النقد الأدبي
في
كتاب الأغاني

تأليف
د. وليد محمود خالص
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

الجزء الأول

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

الناشر

النقـــد الأدبـــــي

في

كتـاب الأغـانـــي

.....

تـــاليـف

د. وليـد محمود خالص

جامعـــة السلطان قابوس

سلطنـــة عُمـــان

.....

الجـــزء الأول

دار أسامة للنشر والتوزيع

الأردن ــ عمّان

بين يدي

كتاب النقد الأدبي في "الأغاني" [1]

لم يكن لي من قراءةٍ وافية في "كتاب النقد الأدبي ... " أن وقفت في مواد "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني على عبارة "النقد" أو النقد الأدبي ، وكأني أذهب إلى أن هذه العبارة مما جدَّ وأستعير في عصرنا فهي من المصطلح الفرنسي الذي اعتمده العرب في مطلع هذا القرن ، وأنا هنا أراه من Critique Litteraire. وليس هذا النقد الجديد شيئاً يومئ إلى "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر.

ولم يكن لنا أن ندرك الجديد أيضاً في المقدمة النقدية لكتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة، ذلك أن النظر القديم لما هو "نقد" لا نقف عليه في النقد الأدبي الحديث. ونحن لا نقف على "النقد" في "المثل السائر" إلاّ على مفهومه لدى قدامة وغيره.

ثم أتحول إلى ما هو " أدب" فلا أجد دلالة " تاريخ الأدب"[2] في كتب الأدب القديم، ذلك أن مفهوم "الأدب" في مصادرنا شيء ذو سعة. إن صفة "الأديب" في مصادرنا تطلق على النحويين واللغويين ، وأصحاب علوم القرآن، وأصحاب علوم الحديث، والمؤرخين، وأصحاب الأنساب والقبائل وأيّام العرب، وأصحاب النبات والشجر والحيوان، والمعارف العامة، والشعراء والكتاب والمُغنّين وغير هؤلاء.

وأنت تجد جمع هؤلاء مثلاً في كتاب "نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء" لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، وإن كنت تلمح تأكيداً على نشأة النحو وأخبار النحويين واللغويين. وقد يكون لك مثل هذا وأنت تعرض لمعجم الأدباء" لياقوت الذي تقف فيه على شيء أفرده وخصَّه بالشعراء.

و"معجم الشعراء" لياقوت الذي لم يصل إلينا نجد شيئاً منه في "معجم الأدباء" وشيئاً آخر في "معجم البلدان " الذي هو على اختصاصه بالمواضع والحواضر والمياه والجبال كتاب أدب.

---

(١) كتاب النقد الأدبي في "الأغاني" للأستاذ وليد :حمود خالص.

(٢) إن مادة "تاريخ الأدب" في دلالتها الحديثة شيء جديد استعرناه من الأصل الفرنسي وهو **Histoire de Litterature**. فأنت لا تجد هذا المصطلح قبل القرن التاسع عشر. إن مفهوم "تاريخ الأدب" يتصل بـ"تأريخية الشعر والنثر" وأوّليته. وهو لا يخرج عن الشعراء والكتاب، فليس فيه ذكر لأهل العلم من المفكرين والفلاسفة وأهل الفنون عامة.

وأتحول بعد هذه العجالة إلى "كتاب الأغاني" فأجد أبا الفرج الذي انصرف إليه قرابة نصف قرن يجمع موادّه وأصوله ويرجع إلى الكتب والرسائل والكراريس[1] يخصه بفن واحد وسمه بالعنوان الكبير وهو "الأغاني".

لقد كان أبو الفرج مصنّفاً ذا منهج علمي جعل مادته "الأصوات المئة"، وهو يبدأ بما هو "صوت" يغنّيه مُغنٍّ بلحنه وإيقاعه ذاكراً المصطلح الموسيقي.

ثم إنه يعود إلى الأبيات فيشير إلى صاحبها ويعرض لشيء من أخباره يأتي فيها على ما صحّ منها وما اختلف فيه وزيد.

وأنت تجد فيه منجماً للعربية ففيه "النقد القديم" وفيه ما هو "تاريخ أدب" وفيه فوائد أخرى. وقد يكون ذلك وأنت تقرأ هذا الكتاب العظيم أن ترى أن مصنّفه أبا الفرج رجل أحبَّ دنياه فرأى في لهوها مادة حياة عرفها وأدرك أسرارها.

وكان له أن تزوّد وهو في هذا الكتاب العظيم أن أحاط بفنونٍ شتى ، فليس غريباً أن يكون له سعة في "أخبار القيان[2] والجواري". وليس غريباً أن يكون له في "الشراب ومجالسه"[3] شيء من زاد علمي.

وليس غريباً أن يكون له في "الديارات" وأصحابها ، وما اتصل بها من أدب.

وإذا كان هذا مما كان لأبي الفرج فإنه ليشير إلى ميله إلى اللهو والسماع والغناء ، فكيف أراه يعرف بانتمائه جاداً إلى "تشيّع" عرف به وهو الأمويّ المرواني؟

---

(١) لقد نفس على أبي الفرج صنعته الدقيقة فنسبه بعضهم نابزاً أنه "صحفيّ" قد جمع موادّه مما يتزوّد به من الكراريس والأوراق، وهم بهذا لا يحسبونه ممن أخذ علمه عن شيوخه. وإلى هذا ذهب المفضّل الضبّي الذي عدّه صحفياً ناقلاً ليس من أهل العلم.وقد قسا عليه وظلمه.

(٢) أقول : و"القيان" جمع "قينة" وهي الجارية المغنية. وقد أجد صلة بين مادة "ق ي ن" و"غ ن ي" فأرمي أن مادة "قين" في الحبشية تدل على الغناء،ومن هنا كان الغناء قد عُرف في الجواري القيان المولّدات.فقد عرفنا مما ورد في الأغاني (بولاق)١١٢/٢أن الوليد بن يزيد أهدى ابن ميّادة جارية من طيرستان، كانت كاملة من جميع الوجوه ما عدا عربيّتها، فقال فيها ابن ميّادة:

بأهلي ما ألذّكِ عند نفسي لو انّكِ بالكلام تُعَرّ بينا
كأنّكِ ظبيةٌ مضغتْ أراكا بوادي الجزع حين تُبَغّمينا

(٣) وقد يكون لي أن ألاحظ أن "بائع الخمر" وصاحب "حرفة الحديد" يُسمى "الحدّاد" ، وليس في هذا غرابة، وذلك لأن كليهما لم يكن عربياً، وفي الأغلب أنه غير مسلم لأن العرب ابتعدوا عن الحِرَف ، و لم يكن لهم بعد إسلامهم أن احترفوا الحِرَف، فظلّت هذه مما اختص به غيرهم، ثم إني ألاحظ أن الذي يمارس "الحدادة" قد سمّي "القَيْن" وكان "القَيْن" مما يُنبز، ولهذا دعا الفرزدق جريراً "ابن القين" نبزاً . فهل لي أن أشير إلى "القَيْن" و"القينة" وهل لي أن أذهب إلى صلة العجمة بينهما؟

وقد يكون لي أن أشير إلى حواشٍ أخرى أفادها أبو الفرج وهو يشقى في صنعته بكتاب الأغاني[1].

كأني أراه انحاز ظاهرا إلى التشيع ليفيد مما ذهب إليه في خدمة آل بويه، أصحاب الشأن الذي على العباسيين في مركز الخلافة في بغداد الذي لا يرجى فيه الخير. وكان له أن صنف "مقاتل الطالبيين" ، وهو شيء تجمع له من صنعته الكبيرة في "الأغاني".

وكأن النوبختي صاحب "فرق الشيعة" قد أدرك هذا من أبي الفرج فنبزه وعابه وأنكر أن يكون صاحب تشيع صحيح.

وإني لأذهب إلى أنه لا يمكن أن يكون شيعيا، وعندي أنه لو كان كذلك ما كان له أن يتفسح في لهوه فيذهب في نعته لسكينة بنت الحسين مذهب من نسب إليه لهوها وحبها الدنيا، وما كان من صلتها بالناس والرجال، وما عرف مما ذكره وما كان لها مع الشعراء.

وكان أحد الذين تشيعوا في عصرنا وغلا في تشيعه، وهو توفيق الفكيكي الذي حرر رسالة في وصم أبي الفرج الذي تقول كذبا على سكينة بنت الحسين، ولم يقبل منه ادعاءه التشيع.

وقد يكون لي أن أقف في مسألة إهدائه نسخة "الأغاني" الأولى للخليفة الأموي في الأندلس، وأنه تسلم جائزته.

وأعود إلى "الأغاني" فأختم القول فأذهب إلى أنه من مصادر العربية ، وأن أبا الفرج قد أحكم صنعته فيه وصرفها للشعر فأتى فيه على الشعراء منذ أول عصورهم، وجمع فيه عامة الشعراء الذين نسبوا إلى أصولهم، ولم يستبعد اليهود والنصارى وغيرهم[2].

ولا بد لي ، وأنا أقرأ "كتاب النقد الأدبي في الأغاني" ، أن أشيد بصنعة الأستاذ وليد خالص الذي اتقن صنعته باحثا جادا ، أفاد من النقد القديم وما أضافه مما جد في عصرنا.

عمان في ١٦/ ١٢/١٩٩٩ إبراهيم السامرائي

---

(١) ولي أن أشير إلى ماله من درس مفيد في مادة "الحنين إلى الديار والأوطان".

(٢) وقد وقفت بأخرة على كتاب "الديارات" لأبي الفرج في نشرة حققها الدكتور خليل العطية ونشرها "الريس" في لندن.

أقول : والكتاب هذا شيء يسير عرض له أبو الفرج وهو يدرس الشعر في مجالس اللهو، وما كان منه خاصا بـ"الأديرة"، وكأني أراه مما ذكره الشابشتي في كتابه "الديارات" الذي نشره في بغداد الأستاذ كوركيس عواد قبل سنين، ثم أعيد نشره في بيروت.

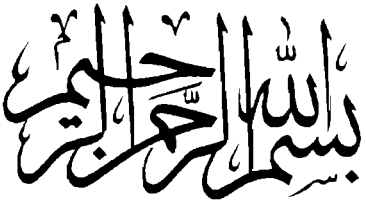
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـــة لا بدّ منها

إنّ لهذا الكتاب خبراً طويلاً عمره عشر سنوات وتزيد نرى هذا في تاريخ المقدمة الأولى بعـــد هذه الكلمة، وبين ذلك التاريخ البعيد، وهذا اليوم القريب غصص وشـــدائد أعـــاقت ظـــهور الكتـــاب مطبوعاً في وقت مناسب لعل أهمّها وأشدها إيلاماً بعض أدعياء نشر الكتب الذين تطفلوا علـــى هـــذه المهنة الكريمة، مهنة نشر العلم، وبذله بين أيدي الناس، إذ لم يكن همُّ أولئك سوى الكسب الرخيـــص، والعَرَض الزائل، وكانت النتيجة أن حُبس هذا الكتاب تلك الأعوام، وها هو يحاول جاهداً شق حُجُـــب الظلام من حوله ليرى النور لعل فيه ما ينفع دارسي العربية عموماً، والنقد العربي القديم خصوصـــاً، لا سيما أنَّ كتباً ظهرت بعده تتفق مع الأساس الذي بُني عليه نخص منها بالذكر كتابَيْ الدكتور الشاهد البوشيخي الذي جمع نصوص النقد الأدبي عند الشعراء حتى العصر الأموي فأفاد وجود، ونرجـــو أن يكون ظهور الكتاب مثار تشجيع باحثين آخرين يدرسون كتباً أخرى تنتظر الدرس والكشف .

ومن الضروري أن أخصّ بالذكر هنا ثلاثة من الأساتذة الأفاضل الذين أعانوا على إخراج هـــذا الكتاب، أمّا الأول فهو أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم السامرائي الذي قرأ الكتـــــاب، وأثنـــى عليـــه، وتفضّل فكتب بأسلوبه المتميز كلمة يجدها القارئ في موضعها من الكتاب، فأسدى للكتاب وصاحبـــه يداً لا تنسى. وأما الثاني فهو الزميل العزيز الدكتور محمد إبراهيم حوَّر الذين رافق هذا الكتاب منـــذ أن كان فكرة حتى استوى كتاباً بين الأيدي، ورأى فيه إضافة هامة لدرس النقد العربي القديم، ثـــم زاد فأعان على نشر المقدمة الأولى في البصائر الغرّاء، مجلة جامعة البتراء الأردنية، وأمّا الثالث فـــهو الأخ الدكتور نبيل أبو حلتم الذي استقبل الكتاب بخلق رضيّ ونفس طيبة على كـــبر حجمـــه، وثقـــل جرمه فأثبت أنَّ الخير في هذه الأمة الكريمة موصول إلى يوم الدين كما علمنا رسول الله صلـــى الله عليه وسلم في حديثه الذائع المشهور.

إنّ هذا الكتاب ثمرة رؤية خاصة، وجهد موصول هدفه كشف النقاب عن جـــانب مـــن النقـــد العربي القديم ظلّ مهملاً مدة طويلة، وهو مما بسطنا الحديث عنه في الصفحات المقبلة.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم لا نبتغي به دنيا فانية، ومجداً زائلاً. اللهم ارحم أبـا الفرج بقدر ما قدّم لهذه الأمة الكريمة وأدبها المجيد. اللهم ارحمني ووالديّ وأساتذتي ، ولا تكلني إلـى نفسي فإنها أمّارة بالسوء، اللهم اغفر لأولئك الأدعياء من الناشرين فقد ظلمـــوا الكتـــاب وصاحبـــه، وأهداهم سواء السبيل، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله. وآخـــر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين .

وليد محمد خالص

شتاء ٢٠٠٠

المملكة الأردنية / سلطنة عُمان

جامعة السلطان قابوس /كلية الآداب

أساس هذا الكتاب

" .. لله درُّ أبي الفرج ، فلقد أبقى له بالأغاني ذكراً لا يُنسى ، وبسط نمرقة لا تبلـــى، ولقــد جمّل الدنيا بفضله الذي أظهره فيه، فهو حقيق بتسميته (الحاوي) لا الأغاني" .

الصاحب بن عبّاد
المتوفى سنة ٣٨٥هـ عن كتاب مختار الأغاني
في الأخبار والتهاني لابن منظور ١/١

"لعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذِّكر، جمُّ الفوائد، عظيم العلم جــامعٌ بيــن الجــدّ البحْت والهزل النحت" .

ياقوت الحموي الرومي
المتوفى سنة٦٢٦هـ عن كتابه معجم الأدباء١٣/٩٨

هذا كتاب لا يجد الدارسون له نظائر كثيرة في المكتبة العربية. إذ قلّما يعمد باحث محدث إلى مصدر ضخم من مصادر التراث العربي فينتزع منه ما يشاء من نصوص وفق نظرة خاصة ومنهج معيّن، ويحاول من خلال هذا الانتزاع تقرير واقع ورصد ظواهر واستشراف مستقبل. وهو في هذا كلّه يعالج النقد العربي القديم عامّةً ونصوصه المبثوثة في ثنايا ذلك الكتاب خاصة.

ولا يريد الباحث أن يقول إنّه قد فتح باباً جديداً في الدرس النقدي لم يعرفه السابقون، لأنّه يعلم أنّ الطريق ممهّد قبله بجهود أساتذة كبار، درسوا تاريخ النقد العربي وحلّلوا قضاياه ووقفوا عند أعلامه. ولكنّه يعلم أيضاً أنّ ذلك الطريق مليء بالأشواك محفوف بالصعاب، ذو معالم مختلطة وصُوى تكاد لا تبين، وخاصة في تلك المرحلة من تاريخ النقد وهي مرحلة النقد غير المدوّن؛ ولذلك يقول ويكرّر القول إنّ هذه المرحلة المهمة من تاريخ النقد العربي، وهي مرحلة الأساس والجذور، لم يتهيّأ لها دارس جادّ يهيء مادتها الخام ويعرضها سائغة بين أيدي الدارسين، فهي متفرّقة في بطون الكتب، مبثوثة في مظان متباعدة.

والمنهج يشهد بأنّ أيّة دراسة لا تستوفي مادّتها أو تأخذ بأطراف كثيرة منها، دراسة ناقصة شوهاء، مقدّماتها هزيلة ونتائجها تقف على شفا جُرُفٍ هارٍ لا يلبث أن يتهاوى ويسقط. ويؤيّد هذا الأمر ما بأيدينا من كتب درست تاريخ النقد العربي في مراحله المتقدّمة، إذ نراها تغفل إغفالاً واضحاً تلك الجمهرة الواسعة من النصوص التي حوتها مصادر مهمّة يبدو من عنواناتها أو موضوعها العام أنّها بعيدة عن النقد وهمومه، مثل كتب الأدب بمفهومه العام الواسع، ومالنا لا نذكر كتب التفسير والطبقات، وهل نذهبُ بعيداً فندخل في هذه الدائرة كتب الأنساب والتاريخ ومعاجم اللغة والجغرافيا.

وقلّب الطرف في هذه الكتب وجُلْ في أنحائها فلن تعدم نصّاً أو نصوصاً نقدية أغفلتها كتب النقد المعتبرة، وحفظها هذا المصدر أو ذاك بين أضلاعه، أميناً عليه، ينتظر منْ يقلّبُ أوراقه ويزيح تراب الإهمال عنه.

ولمعت الفكرة في الذهن مقرونة بسؤال: لِمَ لا تُجْمع تلك النصوص وتُقدَّم على هيئة كتاب، يكون الخطوة الأولى، ولكنَّها السليمة، في اكتشاف تلك المراحل المتقدّمة وما أدَّته للنقد العربي. وهاله ذلك الاتساع الذي سيضيع بين لججه، مصادر متنوّعة ومادَّة غزيرة، وقد يعود الدارس خائباً بعد أن يكون قد قرأ كتباً كثيرة ذات أجزاء عدَّة لم تَحْوِ شيئاً ممَّا أراد، ولكنَّه من المؤكد سيظفر بزاد طيّب لو أدام القراءة والتقصيّ، ثمَّ أليستَ العملية كلُّها محاولة واكتشافاً؟ ففيها إذن ما في المحاولة والاكتشاف من النجاح والفشل، وفيها مابين هذا وذاك من الانتظار، والترقّب، والرجاء الشيء الكثير.

وألحَّ سؤال آخر ظلَّ يعتلج في النفس وهو: لم لا يبدأ تلك المحاولة بنفسه، ومع كتاب يختاره، وليكن كبيرَ الحجم ذائعَ الانتشار، غزير المادَّة، تردُّد في الاختيار وأمعن في الحيرة، حتى قرَّ القرار على كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني، وهو من الذيوع والانتشار وكثرة الفوائد التي يقدّمها مالا يحتاج الدارس إلى دليل يقدِّمه، ومع كثرة استخدام الدارسين له منذ صدوره مطبوعاً سنة (١٨٦٨م) للمرة الأولى(١) وتكرار الطبع، وبعد هذا، التصوير ، لم يجد الباحث مَنْ يلتفت إلى غزارة المادَّة النقدية التي حواها خلا شذرات قليلة وأبحاث متفرّقة، ولكنَّها بالرغم من هذا لم تحاول لمَّ شتات تلك المادة النقدية على نفاستها وأهميتها.

وبدأت القراءة الأولى فالثانية، وفيهما يكتشف الباحث أشياء لم تكن في الحسبان، تبدأ المادة النقدية قليلةً حييَّة خجلة، ولكنَّها تتضخَّم وتتسَّع وتغزر، ويصيب الباحثُ حظوظاً كثيرةً من وضوح الطريق، وسلاسة المنهج، وكانت القراءة الثالثة ـ ولا تعدم رابعة وخامسة لهذا الجزء أو ذاك ـ استكمالاً للسابقتين وسدّاً للنقص وتأصيلاً للمنهج(٢)، مما سنجده مفصَّلاً فيما سنستقبل من صفحات.

وقد صحَّ العزم على أن تسبق تلك المادة النقدية أو النصوص النقدية دراسة تتضمَّن محاور ثلاثة أولها: كتاب الأغاني ومؤلفه، يعمد فيها الدارس إلى تبيان قيمة ذلك الكتاب وجهد مؤلفه فيه، والآراء التي قيلت بشأنهما، وحرص الدارس على أن يكون هذا المحور وافياً بغرض هذا الكتاب، بعيداً عن التطويل والاغراق في التفصيل والإفاضة، والاكتفاء بالإحالة على الدراسات التي قامت حول المؤلف وكتابه.

---

(١) ينظر دراسة في مصادر الأدب، د. الطاهر أحمد مكي، ص ٢٦٨.

(٢) اعتمد الباحث في هذه الدراسة على الطبعة المصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، وهي تقع بأربعة وعشرين جزءاً.

وثاني المحاور يدور حول نوعين من الكتب ألفّها باحثون محدثون في تاريخ النقد العربي القديم من جهة، وفي الاختيارات النقدية من جهة أخرى. وكان الغرض من هذا المحور أمرين:

أولهما تبيان ذلك الإهمال الواضح لكثير من النصوص النقدية في العصور: الجاهلي، الإسلامي، الأموي بسبب إغفال مصادر كثيرة ومنها كتاب الأغاني، والاكتفاء بما هو معروف مشهور من كتب النقد العربي. ومن المعلوم أنّ هذه الكتب وحدها لا تقدّم صورة وافية لواقع النقد في تلك العصور، ممّا أدّى بالتالي إلى إصدار أحكام واسعة عليها تفتقر إلى الدُّقة لافتقارها المادة الكافية التي تقوم عليها تلك الأحكام.

ومن الملاحظ أنّ تلك الكتب تكاد تعتمد نصوصاً متشابهة، بحيث نستطيع القول إنّ اللاحق ينقل عن السابق مع تحوير بسيط لا يؤثر جوهرياً على نوعية النصوص وعددها، وإنّما هو التفاوت البسيط والاختلاف الذي لا يُلحظ.

أمّا الأمر الثاني فهو اكتفاء أصحاب كتب الاختيارات النقدية بانتزاع نصوصهم من كتب النقد العربي المعروفة المتداولة، ولعلّ هذا الصنيع يشبه إلى حدٍّ كبير صنيع الباحثين الذين تصدّوا للكتابة في تاريخ النقد العربي، وهو سهل متيسّر، بسبب سهولة الحصول على الكتاب نفسه، وتحديد الدارس لميدان عمله بمجال ضيّق، ممّا ييسّر التقاطه النصوص التي يريدها ضمن الكتاب لا غير.

وقد أدّى ذلك إلى ترك كتب كثيرة حوت نصوصاً مهمّة من جهة، وتقديم صورة تكاد تكون ناقصة عن النقد العربي، باعتبار أنّها قطعت تلك النصوص الناضجة عن جذورها التي استمدّت منها نسغ الحياة والنضج من جهة أخرى.

أمّا المحور الثالث ـ وهو الأخير ـ فيتعلّق بعمل الباحث في هذا الكتاب، والمنهج الذي اتّبعه من حيث جمع المادة وترتيبها وتبويبها، والإضافة الجوهرية التي قدّمها لمسيرة النقد العربي القديم من حيث اكتشاف نصوص جديدة توسّع النظرة لتلك العصور وتعمّق طرق البحث فيها، وغير هذا من النتائج التي توصّل إليها.

لقد اقتضى إنجاز هذا العمل سنوات عدّة، فيها الكثير من الجهد والتتبّع، وللباحث رجاء مقرون بالأمل وهو أن يُقرأ هذا الكتاب بعيون منهجية أولاً وعيون نقدية ثانياً، ذلك لأنّ المنهج الذي يقف مستترا، غير ظاهر وراء التقاط النصوص وتصنيفها حسب القضايا وترتيبها ترتيباً تاريخياً، هو الذي اقتضى من الباحث الجزء الأكبر من الزمن المتقدّم والنصيب الأوفر من

الجهد، ويعتقد الباحث أنَّ القضية برمَّتها في قبضة المنهج، وتأتي النصوص النقدية بعد هذا لتكمل نقصاً، وترأب صدعاً، وتسدُّ ثلمةً.

ويأمل الباحث أن يكون قد قدَّم شيئاً لخدمة النقد العربي القديم، وفتح الطريق لكتب مشابهة يقوم بها نفسه أو غيره من الباحثين الحريصين على استقصاء المادة النقدية المتناثرة في بطون المصادر، وهو يحمد الله الذي أعانه على إكمال هذا العمل حمداً متَّصلاً غير مجذوذ.

مدينة العين في ١١ رمضان ١٤١٠هـ ٦ نيسان (أبريل) ١٩٩٠م.

(١)

يقف كتاب الأغاني متفرّداً بين كتب الأدب والتراجم لأسباب عدّة منها غزارة ترجماته وسعة مادّته وتنوّع أخباره، وقد أدرك العلماء والباحثون منذ زمن بعيد تلك المكانة وذلك التفرّد، ولذلك راح يذكره الذاكرون ويشيد به المشيدون وينهل منه الناهلون ويعوّل عليه الدارسون، وقلّما تجد مصنّفاً قديماً أو باحثاً محدثاً لم يكن الأغاني ضمن مصادره وهو يكتب عن عصور الشعر العربي المتباعدة حتى عصر المؤلف. واتّسع هذا الاهتمام بالكتاب، فنجد فئات مختلفة من الدارسين نظرت فيه ومحّصت مادّته وتناولت جانباً أو جوانب منه.

ففئة عالجت الأصل الذي قام عليه وهو الغناء(١)، فوقفت عند الأصوات التي أوردها والآلات والمغنين وطبقاتهم والعازفين ومنازلهم، واستيعابه لهذا الفنّ وتعقّبه مَنْ ألّف فيه أخذاً أو رداً، وعدّته الغاية التي وصل إليها التأليف في هذا الباب(٢)، وربطت بين اهتمام أبي الفرج بالغناء واهتمامه بالشعر، ونحن نعلم الصلّة القوية بين الغناء والشعر قبل زمن أبي الفرج بوقت طويل، ولذلك رأينا «الكتّاب والفضلاء من الخواصّ في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم بالغناء حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه، ولم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة»(٣).

وفئة درست نظرة أبي الفرج إلى التاريخ وحوادثه، وجعلت من كتابه واحداً من كتب التاريخ التي لا يستغني الباحث عنها بسبب اعتماده على مصادر موثوق بها، وسعة المادة التاريخية فيه

---

(١) ينظر حول هذا الموضوع: رسالة ابن المنجّم في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني، تحقيق وشرح وتعليق د. يوسف شوقي، ص١٠، ٨٧، ٨٩ وغيرها، وحلّ رموز كتاب الأغاني للمصطلحات الموسيقية العربية، الحاج هاشم محمد الرجب. وفي مقدّمة المصدر الأول مراجع مستفيضة تبيّن مدى اهتمام العرب والمستشرقين وخاصة هنري فارمر بالجانب الغنائي من الكتاب، يُنظر ص ٨٧ ـ ٩٥

(٢) يقول محمد عبد الجواد الأصمعي: «يعدُّ كتاب الأغاني أجمع كتاب ترجم مؤلفه لأكثر المغنين المعروفين في صدر الإسلام والدولتين: الأموية والعباسية. وجمع الأغاني العربية قديمها وحديثها. وانفرد بذكر الغناء العربي وقواعده وآلات الطرب والموسيقى التي كانت شائعة ومستعملة في أزهى العصور الإسلامية». ينظر أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، ص١٩٩.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ص ٥٥٤، وينظر مناهج التأليف عند العلماء العرب، د. مصطفى الشكعة، ص ٣٢٨

التي تتحدّث عن العصر الجاهلي والعصور الإسلامية، وأمانته في النقل، وتمحيصه الأخبار الموجودة بين يديه(١).

وفئة ثالثة وجدت فيه ضالّتها، مع كتب أخرى قليلة، وهي تبحث في حياة الناس ومعيشتهم وأطوارها المختلفة، بعيداً عن التاريخ السياسي للخلفاء والقادة، فكأنّه أرّخ للحياة الاجتماعية في أماد متباعدة، فقدّم بذلك خدمات جليلة لفهم الحياة العربية من جوانبها المختلفة، وساعد على تجلية الصورة ممّا جعلنا نستحضر تلك الحياة في تفصيلاتها الدقيقة(٢)، وهذا ممّا لم تمسّه كتب التاريخ المعروفة إلاّ مسّاً رفيقاً، وصبّت جهودها على أمور أخرى وقضايا معروفة.

وفئة رابعة وهي من أوسع الفئات انتشاراً وأكثرها استفادة من هذا الكتاب. وهي فئة دراسي الأدب، فقد قدّم لها هذا الكتاب مادّة في أخبار الشعراء ومذاهبهم ونماذج من شعرهم مالم يقدّمه مصدر آخر، فهو سجلّ ضخم لتراجم أعلام الشعراء.. في عصر أبي الفرج والعصور التي سبقته»(٣)، ولذلك راح أولئك الدراسون يغترفون من ترجماته للشعراء ويعتمدون عليه اعتماداً كبيراً في رسم صورة الشعراء ومراحل حياتهم.

ولا غرابة بعد ذلك كلّه أن تُجمع جمهرة كبيرة من المصنّفين والدراسين، قديماً وحديثاً على أهمية الكتاب ومكانته المتميّزة في تاريخ التأليف عند العرب، وقد عقد الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي فصلين طويلين في كتابه(٤) بيّن فيهما آراء القدماء والمحدثين في الكتاب، فقدّم بذلك

---

(١) ينظر حول هذا الموضوع: أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، محمد عبد الجواد الأصمعي، ص ٢٨٠ ومابعدها، ودراسة الأغاني، شفيق جبري، ص ١٨ ومابعدها، واستخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي العام د. علي إبراهيم حسن، ص ٦٩ ومابعدها.

(٢) ينظر حول هذا الموضوع: دراسة الأغاني، شفيق جبري ص ٩٥ ومابعدها، والعامّة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فهمي عبد الرزاق سعد، ص ٥٦، ١٠٣، ١٠٦، ١٤٧، وغيرها، ومصادر التراث العربي، د. عمر الدقاق، ص١١٦.

(٣) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب، د. أمجد الطرابلسي، ص ١٨٧، وينظر كتاب شخصيات كتاب الأغاني، د. داود سلوم و د. نوري القيسي، ويقول الدكتور مصطفى الشكعة: «يعتبر كتاب الأغاني.. قمّة التأليف في الأدب العربي، ولا يزال نسيج وحده منهلاً للأدباء ومورداً سائغاً للدراسين». مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٣٣٥.

(٤) ينظر هذان الفصلان في كتابه أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني، ص ١٦٣ ـ ١٧٠ وهو الفصل الخاص بـ (آراء القدماء في كتاب الأغاني)، وص ١٧١ـ ١٩٥، وهو الفصل الخاص بـ (آراء المحدثين في كتاب الأغاني).

جهداً مشكوراً وعرضاً تاريخياً نافعاً لتداول الكتاب بين أيدي الدراسين، ممّا يثبت اتّساع الاعتماد عليه والاهتمام به. ولكنّنا لن نغفل في هذا المقام ذلك الاتهام القاسي الذي وُجِّه إلى الكتاب وصاحبه، من حيث عدالته والمادة التي تحمّلها ونقلها فيه، خاصة ونحن قد أظهرنا فضلهما وأهميّة ما قدّماه للثقافة العربية.

ولعلّ أهمّ ما يواجهنا في هذا الباب ما ذهب إليه أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي (وُلدَ سنة ٣٢٠هـ وتوفي سنة ٤٠٢هـ)، وهو معاصر لأبي الفرج، حين قال: «كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس، كان يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة، والدكاكين مملوءة بالكتب، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته، ثم تكون رواياته كلُّها منها»(١)، ولا شكَّ في أنّ هذا الكلام يحمل بين طيّاته كثيراً من التسرّع وعدم الموضوعية، ولذلك وجدنا مَنْ يردُّ عليه ويحاول تفنيده من وجهات متباينة، فنرى الأستاذ شفيق جبري يعلّق قائلاً: «هذا هو التحامل، يسلخ صاحب الأغاني خمسين سنة في تأليف كتابه ويتبع فيه الصدق وشدّة التوقّي على قدر الإمكان، فيجهد نفسه في البحث عن أصحّ الأخبار والروايات ويتبرأ فيها من كلّ عهدة، ويحاسب الرواة على الأكاذيب والخطأ والخطل، ويؤاخذهم بكل تحامل وحمق وشتم وتجهيل، فيجيء أحد النُّقاد فيقول فيه إنّه أكذب الناس دون أن يكلّف نفسه بيان موطن من مواطن هذا الكذب، هذا هو الكلام الذي لا يرضى به منطق ولا خُلُق..»(٢).

ويقول الدكتور خلف الله معقّباً على ذلك الرأي وأشباهه: «ونحن لا نستطيع أن ننقد أبا الفرج من حيث نَقْده هؤلاء، ذلك لأنّا نعلم أننا ندرس أبا الفرج من حيث هو راوية(٣)، ونحن

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٣٩٩/١١.

(٢) دراسة الأغاني، ص٥٧.

(٣) من الضروري أن نشير هنا إلى أنّ المنهج العام الذي يكتنف كتاب الأغاني هو منهج الرواة وهو مختلف تماماً عن منهج المؤرخين، وقد فصّل الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه (صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية) الحديث عن هذين المنهجين وانتهى إلى القول بأنّ أبا الفرج «واضح الدلالة في أنّه كان يجري على مذهب الرواة، وأول ما يطالعنا من هذه الدلالات أنّ أبا الفرج كان يحرص حرصاً شديداً على ألاّ يفوته أيّ شيء ممّا يعرفه الناس، فهو حريص على جمع كلّ ما قيل حتى ولو كان من المصنوعات والأكاذيب، وليس ذلك من مذاهب المؤرخين الذين يحرصون الحرص كلّه على الوقوف على الحقيقة وذكر ما يعتقدون أنّه الحقّ .. وثاني ما يطالعنا من الدلالات على أنّه كان يذهب مذهب الرواة حرصه على إيراد الخبر والقصة حتى ولو كان المعنى فاسداً أو الخبر مختلطاً غير صحيح الضبط.. أمّا ثالث ما يطالعنا من =

نعلم أنَّ من شأن الرواة جمع كلُّ ما قيل حتى لو لم يكن مرويّاً عن شيوخ ممتازين أو مأخوذاً عن أصول جياد»(١)، فكلا الباحثين غير مقتنعين بكلام النوبختي، وهما ينظران إلى القضية من جانبين مختلفين، فنرى الأول يطلب أدلّة لكذب أبي الفرج من الكتاب يقوّي بها النوبختي كلامه، والثاني يعتمد على المفهوم العلمي للراوية ودوره في نقل ما يسمع ويحفظ ويقرأ، بحيث تكون مرحلة التدقيق والتمحيص تالية لهذا النقل.

وينضوي تحت هذا الباب ماذهب إليه ابن الجوزي (ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ) في «المنتظم» حيث قال عن أبي الفرج: «.. ومثله لا يوثق به وبروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق.. وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومنْ تأمّل كتاب الأغاني رأى كلّ قبيح ومنكر»(٢)

= الدلالات فهي روحه، تلك الروح التي تخالف معاصريه من المؤرخين من أمثال المسعودي ومسكويه». ص١٨٧ ومابعدها

(١) صاحب الأغاني، أبو الفرج الراوية، ص ١٩٧، ونودّ توضيح أمرين يتعلّقان بما ذهب إليه الدكتور خلف الله، أولهما إنّ أبا الفرج نفسه قد أشار في مواضع كثيرة من الكتاب إلى أنّه سوف يورد كلّ ما يعرفه عن القضية التي يعالجها، أو الشخصية التي سيترجم لها، وهذا يقرّبه من مناهج الرواة، وثاني الأمرين أنّه كان، وهو يروي تلك الجمهرة الواسعة من الأخبار، يعتمد الإسناد في النقل، ويتحرّى الصدق أيضاً، وكان كثيراً ما يبدي رأيه في الأخبار التي ينقلها، ممّا يقرّبه من طائفة المؤرخين في بعض الأحيان، وقد أشار الدكتور خلف الله نفسه إلى ظاهرة وجود الأمرين عند شخصية واحدة: الرواية والتاريخ، وقد وجدنا الطبري وهو من أشهر المؤرخين المسلمين يقول في افتتاح كتابه ما يلي: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أنّ اعتمادي في كلّ ما أحضرت ذكره فيه ممّا شرطت أنّي راسمه فيه؛ إنّما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مُسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج المعقول، واستُنبط بفكر النفوس، إلاّ اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير وأصل إلى مَنْ لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم؛ إلاّ بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالمعقول، والاستنباط بفكرِ النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يُؤْتَ في ذلك من قِبلنا، وإنّما أتي به من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وأنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ممّا أدّي إلينا» (تاريخ الرسل والملوك، ١/٧ ـ ٨)، فهذا النصّ يشير صراحة إلى أنّ الطبري سوف يورد في تاريخه أخباراً يتبرأ منها وتكون المهمة فيها على ناقليها، فهو إذن راوية في هذا الجانب من تلك الأخبار مع معرفتنا بتدقيقه وتمحيصه في جوانب أخرى.

(٢) المنتظم، ٤/٨٥.

وينقل ابن كثير (ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ) هذا الرأي بعينه في« البداية والنهاية»(١).

وقد ناقش الدكتور خلف الله هذا الرأي وذهب إلى ضرورة التفرقة بين مناهج المحدّثين في نقل الحديث ومناهج الرواة في نقل الأخبار وهي تفرقة لابدُّ منها لتوضيح الموقف إذ «لن تكون سبيلنا إلى الثقة برواة الأدب والأخبار ألاَّ يكونوا ممَّن تحدَّث عنهم صاحب المنتظم، فهذه السبيل إن صلحت عند بعضهم في رواية الحديث فإنها لا تصلح بحال من الأحوال في الرواية الأدبية»(٢)، ذلك لأنَّ المحدّثين قد وضعوا شروطاً معروفة في التدقيق والإحكام لمن يتحمّل الحديث أو يؤدّيه، منها التمييز والإسلام والعدالة والضبط وغيرها، وقد استفاد منها اللغويون وهم يعملون في نقل اللغة وتدوينها(٣)، أمَّا رواة الأخبار والقصص فلم تكن تحكمهم تلك الشروط لاختلاف المادة الخبرية التي ينقلونها اختلافاً بيّناً عن الحديث واللغة، ونحن نعلم ما للحديث الشريف من مكانة في نفوس المسلمين وموضعه من التشريع واستنباط الأحكام، فلذلك كان التعامل مع رجاله يقتضي ذلك الضبط والاتقان ممّا لا نجد له نظيراً في الرواية. ونحن نعلم أنَّ أبا الفرج كان راويةً في المقام الأول ولذلك لم يأخذ نفسه بتلك الشروط التي أشرنا إليها، واصطنع منهج الرواة في نقل الأخبار، وهو ممّا يتلاءم مع ثقافته ومنهجه العلمي عموماً.

ومعلوم أنَّ كتاباً يتَّسم بذلك الاتساع وغزارة المادة، لا يسلَم من أن يرى فيه دارسٌ نقصاً، أو أن يحكّم فيه رأياً يتّفق مع تفكير ذلك الدارس أو اتجاهه، ولكنَّ النتيجة التي توصّلت إليها الجمهرة الواسعة من الدارسين هي أهمية هذا الكتاب وسدّه نقصاً كبيراً في المكتبة العربية، ولعلّ الدكتور زكي مبارك قد نظر تلك النظرة الكليّة حين قال: «من النادر أن نجد باحثاً في تاريخ الأدب أو تاريخ الإسلام لم يتّخذ كتاب الأغاني مرجعاً له»(٤)، فهي نظرة نابعة من انتشار

---

(١) البداية والنهاية، ٢٦٣/١١و، وللأستاذ محمد كرد علي رأي في الأغاني وغيره من الكتب لا يخرج عن الرأيين السابقين، ينظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الثالث، المجلد الثامن، سنة ١٩٢٨.

(٢) صاحب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني الراوية، ص١٤٩.

(٣) فصّل الدكتور شرف الدين علي الراجحي الكلام في كتابه (مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب) الحديث عن مناهج المحدّثين واللغويين، وشروط المحدِّث، واللغوي، وينظر هناك، ص ٣٧ ومابعدها، ومن المفيد أن نذكر هنا أنَّ اللغويين أنفسهم لم يلتزموا ذلك الالتزام الدقيق بالشروط الواجب توافرها فيمن ينقل اللغة أسوة بالمحدّثين، فهم وإنْ قلّدوهم إلاَّ أنَّ «تقليدهم كان مبتوراً ذلك لأنّهم استخدموا مصطلحات المحدّثين أنفسهم دون تقيّد بشروط أو ضوابط». ينظر المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) النثر الفني في القرن الرابع، ٢٨٨/١

الكتاب بين أيدي الدارسين ممّا يدلُّ على مكانته وفوائده التي لا تُحصى.

(٢)

رأينا فيما تقدَّم كثرة اعتماد دارسي الأدب العربي على كتاب الأغاني وإطرائهم له، ولكنّنا نرى القليل من الباحثين يلتفتون إلى جانب في الأغاني لا يقلُّ أهمية عن الجانب الأدبي والتاريخي، وهو النقد الأدبي، ونحن هنا لا نطلب من القدماء الذين تعرَّضوا لأبي الفرج وكتابه الالتفات إلى هذا الجانب المهم فيه. فالنقد كان جزءاً غير منفصل عن الأدب والبلاغة، وهم لم يعانوا ذلك الانفصال بين الأدب ومباحثه من جهة والنقد وقضاياه من جهة أخرى.

ونشير هنا إلى صنيع عبد القادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣هـ)، وهو من علماء العربية المتأخرين، في كتابه «خزانة الأدب» حين طفق يسرد المصادر التي فاء إليها أو «المواد التي اعتمد عليها وانتقى منها»(١) على حدِّ قوله، إذ نراه يجعل الأغاني مع الكتب التي تنضوي تحت (فنّ الأدب)(٢) ويضع معه ما يرى أنّه من نظائره مثل «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر، و«العمدة» لابن رشيق و«المثل السائر» لابن الأثير، وهي كتب لو صُنِّفت اليوم لوُضِعَتْ مع كتب النقد الأدبي والبلاغة، إذ هي أقرب في روحها ومادَّتها إليهما من الدرس الأدبي الذي وضعه البغداديّ فيها، فهو يرى المباحث النقدية سواء أكانت كتباً أم آراء مندرجة تحت فنّ الأدب، ذلك المفهوم الواسع الذي يحتمل النقد وغيره عن الدرس(٣).

---

(١) خزانة الأدب، ١/١٨

(٢) خزانة الأدب، ١/٢٣

(٣) ولعلّ ممّا يوضح الأمر ما قرَّره الأستاذ طه أحمد إبراهيم وهو يتحدّث عن علم البيان، وتداخل مباحث نقدية معه، وهو يتساءل قائلاً: «أجهل العرب فنّ النقد الأدبي؟ إنّهم لم يعدُّوه في علوم اللغة العربية لأنّه كان في نظر كثير من الباحثين جزءاً من علم البيان، كان من مسائله، ولكنّ علم البيان لا يتصدّى إلاّ للصياغة والمعاني ولا يخوض عادة في البحوث التي ... هي من ميادين النقد الأدبي، لم يفرّق العرب بين علم البيان وفنّ النقد الأدبي، تفرقة واضحة متميّزة كما فرّقوا بين الصرف والاشتقاق مثلاً على قرب أبحاثهما». وينتهي بعد هذا ليقول: «على أنّ من الكتب التي أُلِّفَت في البحث عن جمال القول ما يدلُّ دلالة لا لبس فيها على أنّ العرب عرفوا فنّ النقد الأدبي كنهاً وحقيقة، وإن لم يعرفوه عنواناً لطائفة من المسائل». ويذكر من هذه الكتب طبقات ابن سلاّم، ووساطة الجرجاني والأحاديث المبثوثة عن الشعراء في الأغاني، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن المثل السائر لابن الأثير، والطراز للعلوي، وهذا يقوّي ما ذهبنا إليه سابقاً من تقارب =

كان ذلك شأن القدماء، ولهم تصوُّرهم الخاص الذي بنوا تصنيف العلوم عليه. ولكنَّ ما يجعلنا نتوقف هنا هو موقف المحدثين من النقد الأدبي في الأغاني وعدم التفاتهم بشكل جادّ إلى غزارة المادة النقدية التي حواها بين دفَّتيه، ونحن لن نستطيع تبيّن ذلك الموقف على وجهه الواضح بغير الوقوف عند نوعين من الكتب أشرنا إليهما في المقدمة وهي كتب تاريخ النقد الأدبي عند العرب، وكتب الاختيارات النقدية. فإنَّ هذه الوقفة ستتيح لنا إظهار مدى الصدود الذي عاناه الأغاني وغيره من المصادر التي تزخر بالمادة النقدية، واكتفاء الدارسين بمصادر النقد المعروفة حتى وهم يؤرّخون للعصور التي سبقت التدوين في غالب الأحيان.

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع نرى لزاماً علينا التوقف عند تلك الشذرات التي حوتها بعض كتب المحدثين، أشارت فيها إلى جانب النقد في الأغاني، وهي إشارات اعتمدت على الصورة العامة واللمحة الدالّة.

ولعلَّ من أوائل الذين رأوا في الأغاني فوائد نقدية الأستاذ طه أحمد إبراهيم الذي تحدّث عن «الأحاديث المبثوثة عن الشعراء في هذا الكتاب»(١)، والدكتور محمد مندور الذي أشار إلى امتلاء الأغاني باللمحات النقدية (٢) التي تقوم على الذوق. أمَّا الأستاذ شفيق جبري فقد أفرد فصلاً في كتابه لـ (النقد الأدبي في الأغاني)(٣)، قال فيه صراحةً إنَّنا لو «جمعنا ما تشتَّت من هذه الآراء والمذاهب الموجودة في الكتاب لحصلنا على كتاب في النقد قائم بذاته»(٤)، وهذا

= هذه الفنون فيما بينها، فكأنَّ القضية قضية منهج قبل أن تكون قضية وجود أو عدم. ينظر تاريخ النقد، ص ٥٦

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص٦

(٢) النقد المنهجي عند العرب، ص ١٥. ومن الضروري أن نذكر هنا أنَّ الدكتور مندور يرى عدم الجدوى في جمع تلك اللمحات الخاطفة، فنراه يقول: «... وكان نقدهم كما نتوقع نقداً ذوقياً في نشأته، ونحن هنا لا نرى داعياً لأن نجمع لمحاتهم الخاطفة في هذا السبيل، فكتب الأدب غاصَّة بها وبخاصة الأغاني، كما أنَّ المرحوم الأستاذ طه إبراهيم قد جمع ورتَّب طائفة صالحة منها في الفصول الأولى من كتابه...»
وقد استند رأيه هذا على أنَّ ذلك النقد كان نوقياً يعيبه أمران: عدم وجود منهج، وعدم التحليل المفصَّل، وهو لذلك يرى أنَّ دراسة النقد المنهجي أجدى، وهو ممَّا يتلاءم مع منهج كتابه، ويبقى لرأيه الاحترام مع الاختلاف معه.

(٣) دراسة الأغاني، ص ٢٩٢ ـ ٣١٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٩٢

هو الأساس الذي يقوم عليه هذا الكتاب مثلما هو معروف، وقد استشهد الأستاذ جبري بنصوص نقدية قليلة من الكتاب تتناسب مع كتاب يدرس الأغاني من جوانب عدّة.

ويرى الدكتور داود سلوم أنّ كتاب الأغاني يحتّل مكانة متميّزة بين كتب النقد لأنّه «ضمّ .. أغلب الروايات القديمة والآراء في الشعر والشعراء، كما أنّه تبنّى نظرية المدرسة البغدادية، التي تنظر إلى الشعر على أساس القيم الذاتية للفنان بغضّ النظر عن الأديب أو الشاعر.. وفاق مَنْ جاء بعده من نقّاد الجمال الأدبي بأن وسّع منهج الجاحظ في تحقيق النصوص والنظر في تسلسلها ونسبتها وشرحها وتوضيحها»(١)، كما قام الدكتور سلوم بدراسة جانب من جهود أبي الفرج النقدية مثل الأحكام ولغة النقد وغيرها.

وتذهب الدكتورة هند حسين طه إلى أنّ «ذوق أبي الفرج الأدبي وحسّه النقدي أهّلاه لأن يصدر أحكامه النقدية الدقيقة التي يصدرها على الشعراء، أو على شعرهم»(٢)، وهي ترى فيه قيمة نقدية لا غنى عنها، أمّا الدكتور محمد حسن عبد الله فيرى في صنيع أبي الفرج في الأغاني «وعياً وبصراً بالشعر وفنون القول»(٣)، ويلخّص ملامح رعايته للمنهج النقدي بأمور أربعة هي: استقصاء روايات الخبر الواحد، مشاركته في تصحيح نسبة بعض الأشعار إلى غير أصحابها، التزام الدقّة في رصد الأخبار، منهجه في الحكم على الشعر(٤)؛ ويخلص من هذا إلى القول بأنّ «الأغاني من الدراسات الشاملة التي لا يستغني عنها الدارس»(٥).

ويولي الأستاذ محمد خير شيخ موسى كتاب الأغاني عناية كبيرة، وخاصة في جانبه النقدي، إذ يفرد صفحات طويلة من كتابه للحديث عن سير الشعراء فيه والمصطلح النقدي، والقديم والمحدث، والسرقات وغيرها من قضايا النقد المعروفة التي حفظ هذا الكتاب نصوصها بين دفّتيه، وهو يبدي استغرابه لعدم التفات دارسي النقد إليه إذ «لم يحظَ بما هو أهل له لدى الباحثين من عناية خاصة تتجلّى في دراسة منهج مؤلفه في دراسة الشعر والشعراء، والبحث عن مواقفه المختلفة من قضايا النقد ومسائله، وتحليل آرائه النقدية حولها»(٦).

---

(١) دراسة كتاب الأغاني ومنهج مؤلفه، ص ١٢ ـ ١٣. ويشير الدكتور سلوم في قائمة مراجعه إلى رسالة جامعية للدكتور شوقي ضيف تحمل عنوان (النقد في كتاب الأغاني)، يعود تاريخها إلى سنة ١٩٣٩. وقد بذل الباحث جهوداً كبيرة للحصول على نسخة منها فلم يوفّق.

(٢) النظرية النقدية عند العرب، ص ٢٣٦

(٣) و(٤) و(٥) مقدمة في النقد الأدبي، ص ٤٨٢ ومابعدها.

(٦) فصول في النقد العربي وقضاياه، ص ٤٧.

والتفت بعض المستشرقين(١) إلى هذه القضية ورأوا ضرورة دراسة الوجوه المختلفة الموجودة في هذا الكتاب، ومنها الجانب النقدي.

هذا ما استطاع الباحث الوصول إليه من آراء لباحثين محدثين رأوا في الأغاني جانباً نقدياً يستحقّ الدراسة والجمع.

وننتقل الآن إلى ما أفردنا له الكلام في هذه الصفحات، وهو مدى استفادة مؤرخي النقد العربي ومنتخبي نصوصه من هذا الكتاب، فهل أخذت تلك الآراء والنظرات السابقة طريقها إلى أقلامهم وهم يكتبون؟ أو إلى مصادرهم وهم يعتمدون على هذا المصدر أو ذاك؟

إنّ الباحث يستطيع أن يقرّر جملة من الوقائع توصّل إليها من خلال دراسته سبعة عشر(٢) كتاباً في تاريخ النقد الجاهلي والإسلامي والأموي(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٦ ومابعدها، ففيه حديث عن آراء المستشرقين.

(٢) وهذه الكتب هي مرتبة وفق تاريخ صدورها: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع، طه أحمد إبراهيم، تاريخ المقدمة سنة ١٩٣٧، النقد الأدبي، أحمد أمين، سنة ١٩٥٢. دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى غاية القرن الثالث، د. بدوي طبانة، سنة ١٩٥٣. في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، العصر الجاهلي والقرن الأول الإسلامي، د. محمد طه الحاجري، سنة ١٩٥٣. تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث الهجري، د. داود سلوم، سنة ١٩٦٩. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبد العزيز عتيق، سنة ١٩٧٤، مقدّمة في النقد الأدبي، د. محمد حسن عبد الله، سنة ١٩٧٥، النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، د. محمد إبراهيم نصر، سنة ١٩٧٨، اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. منصور عبد الرحمن، سنة ١٩٧٩. في مرآة النقد العربي القديم، د. فتحي محمد أبو عيسى، سنة ١٩٧٩. في النقد الأدبي عند العرب، د. محمد طاهر درويش، سنة ١٩٧٩. ملامح النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. عبد الرحمن عبد الحميد علي، سنة ١٩٨٠، عن اللغة والأدب والنقد، د. محمد أحمد العزب، سنة ١٩٨٠، مقالات في تاريخ النقد العربي، د. داود سلوم، سنة ١٩٨١، النقد العربي القديم، د. عبد اللاه محمود حسن محروس، سنة ١٩٨٣، محاضرات في تاريخ النقد الأدبي عند العرب في العصرين الجاهلي والإسلامي، د. السيد العراقي، سنة ١٩٨٣، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، بلا تاريخ.

(٣) لم يذكر الباحث كتباً مثل: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، د. أحمد مطلوب، واتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري، د. منصور عبد الرحمن، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر، من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس، واتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، د. محمد عبد المطلب مصطفى، وذلك لأنّها تتحدّث عن النقد في عصر =

وأولى هذه الوقائع أنَّ تلك الكتب قد اعتمدت نصوصاً قليلة جداً باعتبارها تمثِّل واقع النقد في تلك العصور التي أرخَتْ لها، وهي في حقيقة الأمر لا تمثِّله تمثيلاً كافياً، وهذا يعني إهمالها نصوصاً كثيرة من الأغاني وغيره من الكتب العامة، كان من الممكن أن تغيِّر صورة النقد في تلك العصور أو تثريها أو تعمِّق نظرة الدراسين إليها(١). وهذا ما أشرنا إليه في المقدمة من حيث كونه خللاً منهجياً ينبغي تداركه.

وثاني هذه الوقائع يتمثَّل في أنَّ تلك الكتب تكاد تنطق بلسان واحد من حيث النصوص والأحكام المترتبة عليها، وهذا أمر بدهي، فما دامت النصوص واحدة أو متقاربة، فمن الطبيعي أن تكون النتائج متقاربة هي الأخرى، لابل إنَّ القارئ يشعر أنَّ تلك الكتب وخاصة المتأخرة تكاد تعتمد على المتقدِّم منها في نقل نصوصه، ممَّا جعل النصوص الموجودة فيها متداولة شائعة لا تزيد عن خمسة نصوص للعصر الجاهلي، ومثلها أو أكثر قليلاً للعصر الإسلامي، وتزداد النسبة للعصر الأموي فتقترب من ثلاثين نصاً فحسب، ولكنَّ التشابه والتداول يظلاّن سمتين تميِّزان تلك النصوص، ممَّا يدعو الباحث إلى التساؤل عن فائدة وضع كتاب في تاريخ النقد لا يضيف فيه مؤلفه نصّاً جديداً إلى ما سبق من الكتب أو يأتي برأي جديد.

وثالث هذه الوقائع أنَّ هذه الكتب تعتمد في نقل نصوصها على المشهور المتداول من كتب النقد العربي مثل: «طبقات فحول الشعراء» لابن سلاّم، و«عيار الشعر» لابن طباطبا، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر، و«الموازنة» للآمدي، و«الوساطة» للقاضي الجرجاني، وإن بعدت قليلاً كان «الشعر والشعراء» لابن قتيبة و«الموشّح» للمرزباني، ويظلُّ الأغاني وغيره من كتب الأدب العامة، والتراجم بعيداً عن الأيدي إلاّ في القليل النادر.

ونحن نعلم أنَّ تلك الكتب لا تكفي البتّة لكشف صورة النقد في العصور الثلاثة: الجاهلي، الإسلامي الأموي، لأنَّ لها مناهجها الواضحة وغاياتها المعروفة، وهي تستخدم من النصوص ما يتلاءم مع تلك المناهج، وما يوصلها إلى تلك الغايات. وقد يأتي النصّ عرضاً في سياق الكلام لا

= التدوين وظهور الكتب المفردة للنقد والنّقاد المتخصّصين.

(١) من الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ هذا الأمر لا ينطبق على كتاب الأستاذ طه أحمد إبراهيم (تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع)، باعتباره رائداً في هذا المجال، فتح الباب لمن جاء بعده، وكان همُّه تأصيل القواعد، ووضع الأساس من خلال اللمحة الدالّة والإشارة المعبِّرة مع الزمن المبكّر الذي ألقى فيه محاضراته التي أصبحت كتاباً بعد هذا.

يُقصد لذاته، بخلاف الصنف الثاني من الكتب التي جعلت هذه النصوص وكدها وغايتها، فحوت قدراً أكبر منها، وضمّت تنوّعاً في القضايا وألواناً من المشارب.

ورابع هذه الوقائع يتعلّق بالحركة النقدية في العصر العباسي، إذ نجد هذه الكتب تعتمد على مصادر النقد وحدها، تلك التي أشرنا إليها فيما تقدّم. ولا شكّ أنّ لهذه المصادر مكانتها الخطيرة في تلك الحركة، فهي لنقّاد كبار أثروا النقد بآرائهم الصائبة ومنهجهم المتميّز. ولكنّ الاقتصار على تلك المصادر وحدها، لا يمنحنا بُعداً واسعاً للرؤيا عمّا كانت عليه حال النقد في العصر العباسي، إذ يرفد تلك الكتب ويسندها جمهرة كبيرة من الخلفاء والشعراء والعلماء الذين شاركوا في تلك الحركة النقدية ولم يخلّفوا كتباً في النقد، وبقيت تلك الآراء حبيسة النصوص لم تنقلها تلك المصادر، وتكفّل الأغاني وغيره من الكتب بحفظ تلك النصوص، ولا ريب في أنّ الاستفادة من تلك النصوص يوسّع المجرى العام للنقد في ذلك العصر ويضيف إليه أمداداً واسعةً، بالإضافة إلى تلك المصادر وما قدّمته من مادة نقدية مهمة.

هذه هي أهم النتائج التي توصّل إليها الباحث، من خلال الكتب التي أرخّت للنقد العربي القديم، ولم تختلف الكتب التي اختارت من النقد العربي نصوصاً عن سابقاتها، وهو الصنف الثاني الذي سنتوقف عنده الآن. ومن الملاحظ أنّ تلك الكتب(١) قد اقتصرت في اختيار نصوصها النقدية على مجموعة من المصادر المطبوعة المتداولة لم تتجاوزها إلى غيرها، وقارئ هذه النصوص سيتوصّل بشكل أو بآخر إلى أنّ تلك الكتب وحدها هي التي تمثّل النقد العربي القديم ومنها تُستقى نصوصه النظرية والتطبيقية على حدٍّ سواء(٢)، وهذا مخالف لحقيقة النقد

---

(١) بنى الباحث آراءه على الكتب الآتية وهي مرتّبة وفق تواريخ صدورها: نصوص النظرية النقدية في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. جميل سعيد و د. داود سلوم، سنة ١٩٧٠، نصوص من النقد العربي، د. محمود الربيعي، سنة ١٩٧٦، النقد العربي، مداخل تاريخية حول اتجاهاته الأساسية، نصوص بلاغية ونقدية قديمة وحديثة، د. عبد المنعم تليمة و د. عبد الحكيم راضي، سنة ١٩٧٧، المتخيّر من كتب النقد العربي، د. محمود الربداوي، سنة ١٩٨١، التراث النقدي نصوص ودراسة، د. رجاء عيد، سنة ١٩٨٣. نصوص من النقد العربي القديم، إعداد الأستاذ الدكتور عثمان موافي، سنة ١٩٨٩، نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث، د. وليد قصّاب، سنة ١٩٨٧، وقد أخّرنا هذا الكتاب لأنّه الوحيد الذي يستفيد من مصادر أخرى غير مصادر النقد المعروفة، تلك التي اعتمدت عليها الكتب السابقة.

(٢) اكتفى الدكتور عثمان موافي - مثلاً - بتصوير النصوص من مصادرها بلا تعليق، واعتمد على شروح محقق الكتاب.

وما نعرفه عن عدد النصوص الكبير المهمل في تلك المصادر، والموجود في مصادر أخرى.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن بعض الكتب قد حاول جامعوها دراسة النصوص النقدية التي اختاروها مثل المتخيّر، والتراث النقدي، كما تميّز كتاب الدكتور عبد المنعم تليمة والدكتور عبد الحكيم راضي بمقدمته النفيسة وآرائه الصائبة؛ ولكنَّ الظاهرة العامة التي تسِمُ تلك الكتب هو اعتمادها الكبير على مصادر نقدية محدودة(١) معروفة متداولة.

ولا شكَّ في أنَّ هذا الأمر يدخل في باب السهولة التي تميّز الحصول على تلك النصوص، فما أقرب هذه المصادر! وما أكثر تداولها بين أيدي الدارسين! ولعلّ هذا يفسّر إحجام الكثرة من الجامعين عن الرجوع إلى مصادر تبدو في الظاهر بعيدة عن النقد، بسبب ضخامتها، أو أنَّ الظفر بنصوص منها يقتضي زمناً، وجهداً هو أكثر بكثير من ذلك الذي بُذل في قراءة تلك المصادر المشهورة.

إنَّ الكلام السابق لا يعني بخس الناس أشياءهم، بقدر ما يشير إلى حقائق ظهرت من خلال استقراء تلك الكتب والنتائج التي توصَّل إليها ذلك الاستقراء، ولعلَّ الالتفات إلى مصادر جديدة غير تلك التي ظلَّتْ لزمن طويل هي المعتمدة في دراسة تاريخ النقد وانتقاء نصوصه، سيؤدي إلى تغيير صورة النقد في عيون القارئين، ويعمّق نظرة الدارسين إليه، ويضيف إليه مادة جديدة لم تحفظها تلك المصادر بين دفَّتيها.

(٣)

هل استطاع هذا العمل أن يفي بشيء من الآمال السابقة؟ وهل قدَّم نصوصاً جديدة للنقد في العصور: الجاهلي والإسلامي والأموي؟ وهل رفد المصادر النقدية المعروفة بروافد غير معروفة، ومشاركين جدد في الحركة النقدية في العصر العباسي؟

---

(١) من الواجب أن نذكر هنا تلك المصادر التي اعتمدت عليها هذه الكتب واجتزأت نصوصاً منها وهي: طبقات ابن سلام. الشعر والشعراء ابن قتيبة. عيار الشعر ابن طباطبا، نقد الشعر لقدامة. موازنة الآمدي. وساطة الجرجاني، عمدة ابن رشيق، منهاج البلغاء لحازم. المثل السائر لابن الأثير. سرُّ الفصاحة لابن سنان. كما نشير إلى أنَّ الدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلوم استقيا نصوصاً قليلة من غير المصادر السابقة مثل: «البيان والتبيين» للجاحظ، «الرسالة العذراء» لابن المدبّر «أخبار أبي تمام» للصولي، «البرهان في وجوه البيان» لابن وهب.

لقد تمكّن الباحث من التقاط أكثر من ألفين وسبعمائة وثمانين نصاً من الكتاب، كان نصيب العصر الجاهلي منها سبعين نصاً تقريباً، ونصيب العصر الإسلامي مئة وثلاثين نصّاً تقريباً، ونصيب العصر الأموي ثمانمائة وثمانين نصاً تقريباً، وما تبقّى فللعصر العبّاسي وهو بحدود ألف وسبعمائة نصّ تقريباً، وأغلب هذه النصوص جديدة لم توظّفها كتب تاريخ النقد وهي تتحدّث عن العصور الثلاثة الأولى، بالإضافة إلى كثرتها بالقياس إلى عدد النصوص المستخدمة، وهو ما أشرنا إليه في موضع سابق.

أمّا نصوص العصر العباسي فهي صفحة جديدة، ونافذة واسعة سيُطلُّ منها الدارس على ذلك العصر ليرى اتسّاع الحركة النقدية فيه بمعزل عن كتب النقد المتخصّصة، وسيلاحظ مشاركة طوائف كثيرة من الخلفاء، والوزراء، والقادة، والشعراء، والعلماء في الحركة النقدية، وإدلائهم بآراء صائبة، وبصرهم بالشعر وقضاياه.

وقد كان التعامل مع تلك المادة النقدية مشكلة مهمة اعترضت الباحث، كما كان المنهج غائماً، وبعد القراءة المتكرّرة والاستفادة من تجارب الآخرين، وضع المنهج واستقام واستقرّ على ثلاثة أمور: القضايا، والترتيب التاريخي، والتعليق على النصوص.

أمّا القضايا فيُقصد بها تصنيف النصوص المبعثرة في ثنايا الأغاني وفق قضايا النقد العربي الكبرى، تلك التي دارت حولها مباحث النقّاد وأخذت من كتبهم وجهدهم حيّزاً كبيراً، وهذا الأمر قد مكّن من حصر نصوص القضية في مكان واحد ممّا يسهّل الاستفادة منها من جهة، ويمكّن الدارس من النظرة الكلية إليها من جهة ثانية، وهذه القضايا هي(١):

١ـ الشعر، مكانته، فائدته، أثره، وهي مجموع النصوص التي تبيّن مكانة الشعر والشاعر في المجتمع العربي، بالإضافة إلى الفوائد التي قدّمها خلال مسيرته الطويلة، مثل فضّ الخصومات واستجلاب النوال، أمّا أثره فهو انفعال المستمع بالشعر الذي يسمعه وما يترتّب على هذا الانفعال من سلوك أو عمل. وهذه القضية من أوسع القضايا وأكثرها نصوصاً، ولايدانيها في عدد النصوص سوى القضية الثالثة وهي (آراء في الشعر).

---

(١) كان في نيّة الباحث أن يفرد لشرح الشعر موضعاً بين القضايا، ولكنّه عدل عن هذا بعد أن ظفر بكتاب هو (شروح الأصفهاني في كتاب الأغاني) جمع وتصنيف طلال سالم الحديثي، وكريم علكم الكعبي، وقد توصّل الباحثان في كتابهما إلى ما يُراد منه هنا، فعُدل عنه خشية التكرار وضياع الجهود. ويشكر الباحث هنا الأستاذ الدكتور داود سلّوم الذي وفّر له نسخة من هذا الكتاب، ولم يكن ليحصل عليها لولا تلك اللفتة منه.

٢ـ الأغراض الشعرية. وهي ما يتعلّق بالأغراض الشعرية المعروفة مثل: الوصف، الرثاء، الهجاء، النسيب وغيرها، وقد آثرنا فصلها عن الآراء في الشعر عامة وذلك لأنها مختصّة بالحديث عن هذا الغرض أو ذاك نصاً، وهذا يسهّل الاستفادة منها ويتيح للدارس مواكبة التطوّر التاريخي الذي أصاب تلك الأغراض من خلال الآراء المختلفة حولها.

٣ـ آراء في الشعر. وهي مجموع الآراء التي حواها الأغاني عن الشعر، سواء أكان هذا الشعر بيتاً أم مقطوعة أم قصيدة، وهي آراء كثيرة متنوعة لأشخاص مختلفي المشارب والثقافات، تبيّن مدى الاهتمام الذي حظي به نقد الشعر في بيئات متباعدة، وتشير إلى تعدّد منابعه ومصادره.

٤ـ آراء في الشعراء، وهذه القضية تتعلّق بآراء مختلفة في الشعراء أنفسهم من حيث مكانتهم أو مذهبهم الشعري، ولم يدخل فيها الحديث عن حياتهم وسلوكهم، فكأنّها مخصّصة للشعراء من حيث هم شعراء فحسب، وهذا أدخل في مهمة النقد ووضعه الشعراء مواضعهم التي يستحقّون. ومن المعلوم أنّ هذه القضية كانت من قضايا النقد المبكّرة وخاصة في تفضيل شاعر على آخر، وظلّت شغل النقد الشاغل إلى وقت متأخر.

٥ـ السرقات والانتحال. ولعلّها من قضايا النقد الخطيرة التي حظيت من تاريخه بمكان بارز، وألّفت الكتب حولها. وقد رأينا اهتمام أبي الفرج وغيره ممن نقل آراءهم فيها ممّا يشير إلى أهميتها ومكانتها.

٦ـ نسبة الشعر إلى شاعرين. وهي من القضايا المهمة عند ترجيح إحدى النسبتين خاصة، وبيان أسباب الترجيح، وغالباً ما تكون هذه الأسباب نابعة من النصّ نفسه فهي أدخل فيما يُسمّى بالنقد الداخلي للنصّ، أو معرفة الناقد بأسلوب الشاعر عامّة، فيبني رأيه على هذه المعرفة، أو يعتمد على أسباب خارجية مثل العصر، وزمن الشاعر، ومناسبة الشعر. وهي ـ مثلما نرى ـ أمور متشابكة تؤدي في النهاية إلى توثيق الشعر ونسبته إلى شاعر معيّن، مع الفوائد النقدية الكثيرة التي تتخلّل التوثيق والتثبيت.

٧ـ القدماء والمحدثون. وهي من القضايا النقدية التي ظهرت في أعقاب تمسّك بعض العلماء بالشعر القديم وتفضيله على الشعر المحدث، ومحاولة الشعراء المحدثين مقارعة أولئك العلماء بالحجّة، وإثبات أنّ هذا الشعر المحدث الذي يأتون به لا يقلّ جودة عن الشعر القديم. وقد شارك نقّاد وأدباء في هذا الصراع بين الفريقين مثلما هو مفصّل في كتب الأدب، وقد حفظ أبو

الفرج نصوصاً من هذه القضية المهمة.

٨ـ أشعر العرب أو الناس. وهما من مقاييس الحكم على جودة شاعر ما، وبلوغه الغاية في وصف معيّن أو معنى مخصوص. وقد أورد أبو الفرج نصوصاً كثيرة استُخدم فيها هذا المقياس في عصور مختلفة ممّا يشير إلى استمرار استخدامه وأخذ كثير من المشتغلين بالنقد به إلى وقت متأخر.

٩ـ الصدق والكذب في الشعر. ويراد بها تلك الآراء التي أدلى بها مَنْ تعقَّبَ شعراً معيناً، حاول في هذا التعقُّب تبيان مدى ارتباط الواقع بهذا الشعر. وقوة الصلة بين الحقيقة والمعاني الموجودة فيه. وقد لاحظنا إلحاح كثير من الآراء على فكرة التطابق وطلبهم لها، ولم نعدم من أطلق للشاعر حرية التصوير والتعبير بمعزل عن واقعه أو ما يريد الحديث عنه. ومن المعروف أنَّ هذه القضية قد شغلت النقاد كثيراً، ولعلّ حديث قدامة بن جعفر المستفيض عنها في كتابه «نقد الشعر» يقوّي الاتجاه الثاني المشار إليه سابقاً.

١٠ـ صنعة الشعر ودواعيه، شياطين الشعراء، ثقافة الشاعر، وقد جُمعت هذه القضايا في موضع واحد بسبب تقاربها الشديد، واهتمامها بموضوع يكاد يكون متجاوراً، وهي تقدّم نصوصاً متنوعة عن كيفية نظم الشعر، والمراحل التي يمرُّ بها الشاعر أثناء هذه العملية مع العوامل التي تساعد الشاعر على قول الشعر، كما إنَّها تتحدَّث عن عملية الإبداع متلما تصوّرها كثير من الناس في عصور مختلفة وتدّخل قوى غيبية تعين الشاعر، وتنفث القول على لسانه، بالإضافة إلى ثقافة الشاعر، والعلوم التي عليه معرفتها أو الإشارة إلى ما استوعبه منها من خلال دراسة شعره.

هذا بشأن القضايا، أمّا الترتيب التاريخي فيريد الباحث أنَّه بعد أن وزّع النصوص على القضايا، رأى أنَّ إلقاءها هكذا بلا ترتيب سيدخل الفوضى إليها ولن تتحقَّق الفائدة المرجوّة منها، ولذلك عزم على أن يرتّب النصوص داخل كلّ قضية وفق موقعها التاريخي، وقد وضع لذلك أربعة عصور هي: الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي.

وكان المعوّل في نسبة النصّ إلى العصر صاحبَ النّص نفسه بلا اعتبار للسند أو أيّةِ أمور أخرى. وقد اقتضت هذه العملية جهداً كبيراً وأناة شديدة، ولكنّها حقّقت الغاية المطلوبة منها من حيث النظر التاريخي للقضية النقدية، وهذا من الأمور الخطيرة في معالجة أيّة قضية، لأن هذا النظر يكسب البحث نظرة شاملة ويمنحه فرص الرؤية الواسعة لمعرفة التطور الذي أصاب

القضية أو الجمود على حدّ سواء.

وقد آثرتُ أن أجعل لكلّ قضية مقدّمة قصيرة تعالج محاورها الأساسية، وتبيّن أهم النقاط التي دارت حولها، وتكون بمثابة فاتحة تمهدّ السبيل للقارئ لكي يتفاعل مع النصوص، ويستفيد منها، ولم يكن الغرض من هذه المقدّمات تقديم دراسة شاملة عن القضايا، فهذا ما تكفّل به الأمر الثالث مثلما سنرى.، ولكنّها محاولة لجمع شتات الموضوعات في حيّز واحد يعين على تلمّس هذه الموضوعات من جهة، والوصول إلى نتائجها من جهة أخرى.

أمّا الأمر الثالث والأخير، فهو التعليق على النصوص، وسيرى القارئ أن أغلب النصوص قد رافقتها تعليقات تأتي بعد انتهاء النص، وقد اقتضت جهداً جديداً، وبحثاً يكاد يكون منفصلاً عن العمل الأصلي وهو جمع النصوص وترتيبها، وكانت الغاية من تلك التعليقات توضيح النصوص ووضعها في سياقها التاريخي والأدبي مما يساعد على فهمها والاستفادة منها، وممّا يجب الإشارة إليه هنا أنّ تلك التعليقات قد انتظمت في تسمين كبيرين هما: التعليق الأدبي النقدي، والتعليق اللغوي، أمّا الأول فهو انطباعات الباحث عن النصّ مع إيضاح دوره في القضية المعينة، وقدرته على تعميقها وإنضاجها، وربطه بالنصوص المشابهة له، مع محاولة للإشارة إلى ورود نظائر لتلك النصوص في كتب النقد العربي، أو القضية بشكل عام، وقد استعان لتحقيق هذا الغرض بالكثير من كتب الأدب والنقد التي أشير إليها في مواضعها، ممّا يجعل الاستفادة من النص متكاملة، مشدودة العُرى مع كتب النقد الأخرى.

أما التعليق اللغوي فهو تقديم الشروح لما ورد في النصوص من مفردات غريبة، وتركيبات

معقّدة، وقد كان جلّ هذا العمل منصبّاً على الشعر، مع اهتمام بالنثر أيضاً. ورأى الباحث أنّ تلك العملية ضرورية مع نصوص أغلبُها مثقلٌ بالألفاظ الغريبة. كما إنّ إهمالها لن يساعد على تحقيق الهدف من الكتاب، وهو الجهد النقدي في الأغاني، إذ ربّما انشغلنا بفكّ ألفاظ النصّ عن تلمسّ مغزاه النقدي، ومعالجته للقضية التي يحملها. ولهذا عوّل، لتجاوز هذا الأمر، على هوامش الأغاني نفسه، وهي ليست كافية وحدها، فعمد إلى المعاجم يستشيرها مع خبرة متواضعة بالشعر العربي مكّنته من فهم هذا الشعر، ونقله إلى هذه الهوامش.. وقد حاول أن يقدّم من خلال هذه الشروح اللغوية، النصوص سهلةً، سائغة، قابلة للفهم السريع بلا عناء أو رجوع للمعاجم.

وسيلاحظ القارئ أنّ بعض النصوص جاءت غُفْلاً بلا تعليق، ومردّذلك إلى عدم وجود ما يُشرح فيها لوضوحها، أو أن تكون النقطة النقدية قد عولجت في نصّ سابق، وحينذاك سيكون التعليق فُضُولاً، وزيادة لا مبررَ لهما.

وهناك أربع ملاحظات يودُّ الباحث إضافتها هنا، وهي تكتنف العمل كلّه وتعين على وضوح منهجه وانتظام أقسامه:

أولى هذه الملاحظات إبقاء السند الذي أورده أبو الفرج في النصوص كلّها، ولهذا فائدتان: توثيق الخبر من جهة والاستغناء عن الكتاب من جهة أخرى.

وثاني الملاحظات هي أنّ الباحث قد حذف من النص ما ليس له علاقة بالقضية التي وُضع فيها، ورمز لهذا الحذف بنقاط ممّا هو معروف في منهج البحث، وخاصة في تلك النصوص الطويلة التي تجيء اللمحة النقدية في سياقها، وهذا يساعد على إبراز القضية النقدية ويبعد عنها ما ليس داخلاً فيها.

وثالث الملاحظات تتعلّق بالنصوص التي تحتوي على قضيتين نقديتين مختلفتين، فقد عمد الباحث إلى حذف واحدة منهما ووضع النصّ في موضعه، ثمّ أعاد النصّ نفسه في موضع آخر بعد أن حذف القضية الأولى، وهذا يؤدي إلى عدم التداخل بين القضايا ويضع النصّ في موضعه المطلوب منه.

ورابع الملاحظات هي الأرقام التي وضعت للنصوص، فلكلّ نصّ رقمان، علوي وسفلي، فالرقم العلوي يشير إلى تسلسل النصّ داخل القضية والعصر، فإذا جاء عصر جديد بدأ تسلسل جديد لذلك العصر. أمّا الرقم السفلي فيدلّ على موضع النصّ من الأغاني حسب الجزء

والصفحة حيث يشار إلى الصفحة التي يبدأ النصُّ فيها.

هذه هي أهمّ الملاحظات التي ودُّ الباحث إثباتها لتسهيل الاستفادة من الكتاب والنصوص الكثيرة التي حواها. ولعلّ طبيعة هذا العمل الخاصّة، قد اقتضت أن تختلط نتائجه بمباحثه، فالإحساس بقصور كتب تاريخ النقد العربي وكتب الاختيارات النقدية، وإثبات هذا الإحساس من نتائج هذا العمل، وتوجيه الأنظار إلى مصادر جديدة واكتشاف نصوص جديدة فيها، من نتائج هذا العمل، وهذه المحاولة في التقاط تلك النصوص المتناثرة في كتاب الأغاني وتصنيفها، مع الإضافات الواضحة التي قدّمتها تلك النصوص، ربّما تكون من أهم النتائج التي توصّل إليها هذا العمل، كما إنّ انتظار دراسة هذه النصوص دراسة تفصيلية سواء حسب القضايا أم حسب موقعها التاريخي، ليدعو الباحث أو غيره للقيام بتلك الدراسة خدمة للنقد العربي القديم وتجلية لقضاياه ودفعاً للإهمال الذي ران عليه لأوقات طويلة. وهو يرجو وينتظر.

الشعر

مكانته ، فائدته، أثره

لعلَّ من نافلة القول الحديث عن مكانة الشعر عند العرب، والمنزلة العالية التي تبوأها بينهم، فقد كثر الكلام عن هذه القضية، وعالجتها أقلام دارسين متعدِّدين، كما أشارت إليها كتب الأدب قديماً، وتناولتها مصادر النقد العربي بالدرس والتحليل. وسنحاول هنا تبيان المحاور الأساسية لهذه القضية، ومدى ما قدَّمه {الأغاني} من نصوص لتوضيح جوانبها، وتعميق النظرة إليها.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنّ من البيان لَسِحرا، وإنَّ من الشعر لَحُكْماً»، [ينظر الترمذي، ٤/٢١٦، وابن ماجة، ٢/٢١٠، وفي رواية: إنَّ من الشعر حكمةً]، وقد أرسى صلى اللهّ عليه وسلّم بهذا الحديث، وأحاديث ومواقف أخرى، مكانة الشعر عند العرب، واستمرار الاهتمام به في ظلِّ العهد الجديد، مع التأكيد على أنَّ الرسول صلّى الله عليه وسلم قد حدَّد لون الشعر الذي يفضّله، واللون الآخر الذي يرفضه بما يتناسب مع روح الإسلام وقيمه، ويقترب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من هذا المفهوم بقوله: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علمٌ أصحَّ منه»، [طبقات فحول الشعراء، ابن سلاّم، ١/٢٤]، وهو يشير بهذا الرأي إلى الشعر في الجاهلية الذي يوضحه ابن سلاّم بقوله: «كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوانَ علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»، [طبقات فحول الشعراء، ١/٢٤].

ولم يتبوأ الشعر تلك المنزلة إلاّ لأسباب وجيهة دعتْ إلى ذلك، ونرى ابن قتيبة يشير إلى بعضٍ من تلك الأسباب بقوله: «الشعر معدن علم العرب، وسِفْرُ حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامُها، والسُّور المضروب على مآثرها ... ومَنْ لم يقم عندهم على شرفه، وما يدَّعيه لسلفه من المناقب والفعال الحميدة بَيْتٌ منه، شَذَّت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودرستْ على مرور الأيام وإن كانت جِساماً، ومَنْ قيَّدها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر ... أخلدها على الدَّهر». [عيون الأخبار، ٢/١٨٥]، فلا غرو بعد هذا كلِّه أن تتمسَّك به العرب، وتتعهدّه بالرعاية والاهتمام.

ونرى بعد هذا ارتفاع منزلة الشاعر عند العرب، فهو لسان القبيلة، الذائد عن محارمها، الناشر أمجادها، والهاجي أعداءها، ولهذا احتلَّ مكاناً متميِّزاً بين أفراد القبيلة، يبيِّنها أبو عمرو بن العلاء بقوله: «كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم»، (الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، للرازي، ١/٩٥). وقد استمرَّتْ هذه المنزلة الرفيعة زمناً طويلاً حتَّى

غيَّر الشعر والشاعر من موقعهما، فتغيّر هذا الموقع في النفوس أيضاً، وبدأتْ تلك الدرجة تأخذ في الهبوط، ولكن لا على الإطلاق، بسبب ابتذال الشاعر نفسه، وتكسّبه بشعره، ووضعه في غير موضعه، وينقل الجاحظ في هذا الصدد كلاماً مهماً لأبي عمرو بن العلاء وهو: «كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيِّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ويهوِّل على عدوِّهم ومَنْ غزاهم .. ويهابهم شاعرُ غيرِهم فيراقب شاعرهم، فلمّا كثر الشّعر والشعراء، واتّخذوا الشعر مكسبةً ورحلوا إلى السُّوقة، وتسرَّعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر» [البيان والتبيين، ٢٤١/١].

ولعلَّ ما قدّمه أبو عمرو يُعدُّ سبباً وجيهاً لهذا التغيّر، إذ نرى الشاعر يتخلّى عن مهمَّته الجوهرية إلى منافعَ شخصية، ونَيْلِ مآربَ تنفعه وحده، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى إراقة ماء الوجه، وكسر الأعراف الاجتماعية، والهجوم على الآخرين بسبب أو بدون سبب. ويعرض الجاحظ رأياً نراه جديراً بالتوقّف، يتعلّق بصنعة القصيدة نفسها، تلك التي ينظمها الشاعر لغرض التكسب إذ يقول: «ومَنْ تكسَّب بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السَّماطين، وبالطِّوال التي تُنشد يوم الحفل، لم يجد بُدّاً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما، فإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ...» [البيان والتبيين، ١٣/٢]. فكأنَّ الشاعر في هذا الموقف يصبح مضطراً لتنقيح قصيدته، وتثقيفها مثلما كانت تفعل مدرسة عبيد الشعر، حتى وإن لم يكن مقتنعاً بهذا اللون من التنقيح، وذلك كي تنسجم مع الموضع الذي يريد إلقاءها فيه، ولعلّ الجاحظ أراد أن يومئ من خلال هذه الإشارة إلى أنَّ الشاعر في هذه الحالة قد أصبح تابعاً من جهتين، جهة الممدوح الذي يُسمعه ما يريد، وجهة الشعر الذي ينظمه وهو غير راغب فيه، فماذا يبقى من الشاعر وفنّه بعد هذه، وتلك؟! ولابدَّ لنا من أن نشير هنا إلى أنَّ هذه المكانة التي تحدّثنا عنها لم تهبط بشكل عام بحيث ينضوي الشعراء جميعهم تحتها، إذ قدَّم الأغاني نصوصاً كثيرة تشير إلى عكس هذا الاتجاه، وتدلّ على أن كثيراً من الشعراء ظلّوا يتمتَّعون بمواقعهم السابقة التي ارتضوها لأنفسهم، وارتضاها المجتمع لهم، وهو ما سنفصلّ الحديث عنه بعد قليل.

ولم تكن أهمية هذه القضية، وخطورتها، لتغيبَ عن أبي الفرج، ولذلك نراه يحشد في الأغاني نصوصاً كثيرة تنضوي تحتها، وتعالج جوانبها المختلفة التي تحدّثنا فيما سبق، وقد انتظمتْ هذه النصوص عصور الأدب المتتابعة: الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، ونرى أبا الفرج يقدّم مادة ثريّة عن صورة هذه القضية في تلك العصور، والتباين الذي أصابها، والتغيّر الذي

احتوى بعض جوانبها، ونستطيع تحديد الإطار العام لهذه الصورة (القضية) مثلما وردتْ في الأغاني في أمور ثلاثة:

أولّ هذه الأمور يتعلّق بمنزلة الشاعر، فقد كانت عالية مرتفعة في العصر الجاهلي، واستمرّت كذلك إلى العصور اللاحقة: الإسلامي، والأموي، والعباسي، وتُقدِّم جمهرةٌ من النصوص اختلافاً جوهرياً عن النظرة السائدة من أنّ مكانة الشاعر قد هبطتْ بعد تكسبّه بشعره، ووقوفه طالباً النوال، لقد طرأ تغيير على هذه المكانة سنقف عنده بعد قليل، هذا حقّ، ولكنّ هذا التغيير لم يكن ليشمل الشعراء قاطبةً، فكثير منهم ظلّ محتفظاً بكرامته، باذلاً شعره في قضايا دينية، أو سياسية، أو شخصية، ولم يقترب من الممدوحين راجياً نوالهم، وإن حصل هذا الاقتراب فهو قائم على الاقتناع، والإيمان بما يذهب إليه الممدوح، رأينا هذا عند شعراء صدر الإسلام، وشعراء السياسة في الدولة الأموية، وكثير منهم ظلّ محتفظاً بعقيدته، مدافعاً عنها، باقياً على ولائه القديم بعد تغيّر الأحوال، وتبدُّل الزمان.

وقد تفرّع عن هذا الأمر جملة نقاط منها، إنّ شعر الشاعر كان في كثير من الأحيان يؤدي به إلى القتل، أو النفي، أو التشريد، كما إنّ بعض مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ظلّ محافظاً على ولائه القديم للأمويين، لم يغيّره حتى بعد مجيء الدولة العباسية، ومساطة رجالها لأولئك الشعراء، فلم ينفوا تلك (التهمة) عنهم، ولم يَنْأَهم- في المقابل- من العباسيّين كبير شرّ. ونرى على النقيض من هذا كلّه وَلَعَ جمهرة أخرى من الشعراء بالتكسّب بالشعر، وطلبهم شعر المديح خاصة وسيلة لهذا التكسّب، وقد أدرك الخلفاء أهميّة الشعر في تثبيت أركان سلطانهم فراحوا يغدقون على الشعراء أموالاً طائلة، وخاصة في العصر العباسي، ونستثني من ذلك بقوة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أبى أن يعطي الشعراء شيئاً من بيت المال، واكتفى بمنحهم شيئاً قليلاً من ماله الخاص، ولم يكن يرى في الشعراء أهمية تذكر، فضرب مثالاً فريداً في علاقة الشعراء بالخلفاء قلّ نظيره.

وبدأنا نرى منذ العصر الأموي ظاهرة ستنتشر في العصر العباسي، وهي عدُّ أبيات القصيدة، ومَنْح الشاعر قَدْراً من المال مقابل كلّ بيت فيها، وقد أدّى هذا الأمر إلى إقبال الشعراء على المديح من جهة، وإفراطهم فيه، وذمّ الخصوم من جهة ثانية، ونما في ظلّ هذه الظاهرة اتجاهان لم يكونا معروفين سابقاً، أولهما ارتباط الشاعر ومنزلته بالممدوح، سواء أكان خليفةً، أم وزيراً، أم قائداً، فإذا أنشد بين يدي هذا الممدوح، وقُبل مدحه ارتفعت منزلته، وإلاّ فإنّه يسقط، ولن يرتفع له ذكر آخر الدهر، ومن المعلوم أنّ هذا الاتجاه وقتي، مرتبط بعصره

ارتباطاً وثيقاً، فليس هناك من أحد يحاكم الشاعر اليوم وفق ذلك المقياس، فلم يبقَ بين أيدينا سوى الشعر، وهو المقياس الوحيد الذي يرفع الشاعر إن كان جيداً، ويخفضه إن كان رديئاً.

أمّا الاتّجاه الثاني، وهو اتجاه خطير، عمُّقه بعض الشعراء الذين ابتذلوا أنفسهم، فراحوا ينعتون الشاعر بأنّه مُضحك، وطالب فضل، لا همُّ له سوى المدح، وكسب المال، ونرى ابن رشيق في العمدة يبارك هذا الاتجاه، ممّا سنراه في موضعه من النصوص، وأوغل بعض الشعراء في هذا الأمر، فبادروا إلى تغيير قصائدهم لتتلاءم مع الممدوح الجديد، بعد أن كانت القصائد نفسها في ممدوحين زالت دولتهم ويظهر هذا واضحاً عندالشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

فلا غرو بعد ما تقدّم أن تضطرب صورة الشاعر في عيون مجتمعه، وتتغيّر علوّاً، وهبوطاً، خاصة بعد أن أصبح أداة للمديح، ووسيلة للغضّ من خصوم ليسوا خصومه، أو خصوم قبيلته(١).

وثاني هذه الأمور ما رسخ في الأذهان من أنَّ الشعر أكثر تأثيراً في النفوس من النثر، وقد رأينا إشارات إلى هذا الأمر في بداية الحديث، عند غير أبي الفرج، وخاصة في قول ابن قتيبة السابق، فَمَنْ أراد أن يسجِّل مأثرة، أو يذيع فضلاً فعليه بالشعر، فهو أسرع في الانتشار، وأبرع في التأثير. ولعلَّ هذا راجع إلى طبيعة الشعر العربي نفسه من حيث نقله روايةً لا تدويناً، فالشعر يُلقى في المحافل، وتسمعه الناس، وهم يقومون بنقله وهكذا، بلا كتاب مدوّن إلاّ فيما ندر. ولم يُفْقِد التدوين في العصر العباسي هذه الميزة للشعر، فما يزال الجوّ الأدبي بحاجة إلى الحفظ والإنشاد، وماتزال المجالس بحاجة إلى المديح والسمر. وكان الشعر المادّة الأساسية فيهما، فإذا أضفنا شيئاً آخر، وهو طبيعة النثر من حيث هو شكل فنّي، إذ يصعب حفظه وتداوله، كما إنّه مفتقر إلى الموسيقى التي تؤثر، وتهزّ المشاعر، وهو بعيد عن المديح وفنونه، أقول إذا أضفنا هذا كلّه أدركنا سبب تفوّق الشعر على النثر، وإلحاح الجمهرة من الناس على الأخذ به، والسعي وراءه.

---

(١) يودُّ الباحث أن يشير هنا إلى أنَّ التغيّر الكبير الذي طرأ على المجتمع العربي قد غيّر من قيم الأفراد أنفسهم، فالتحضّر، وبناء المدن، والاختلاط بالأمم الأخرى، وفوق هذا كلّه روح الإسلام التي أرست قيماً جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي. أقول، هذا كلُّه قد أثّر على الشاعر، وعلى مناحي شعره، فلم يعد ينظر بمنظور القبيلة وحدها، وإنّما أصبحت السلطة المركزية، والولاة الذين يمثّلونها، عوامل تعويض عن القبيلة، وقيمها، ولكنّنا مع هذا لا نستطيع إلغاء فكرة القبيلة، وخاصة في العصر الأموي، إذ نراها تتمثّل في مظاهر كثيرة، وما يزال الشاعر يحنّ إليها، ويعيش في جوانبها بالرغم من ذلك التغيّر الهائل.

وثالث هذه الأمور يتعلّق بمجالس الخلفاء الأمويين، والعباسيين، فقد كانت مكاناً أدبياً خصباً، أبدع فيها الشعراء، وتسابقوا إلى نَيْل الحظوة لدى هذا الخليفة، أو ذاك ولعلّ خير ما يصوّر هذا الأمر بيت بشار بن بُرد في قصيدته التي يمدح بها عقبة بن سلم (ديوانه، ١٤٦/١):

يسقطُ الطيْرُ حيث ينتثر الحبُّ وتُغشى منـازلُ الكرمـاءِ

وقد كان (الحَبّ) كثيراً هناك، فتوافد الشعراء على تلك المجالس عارضين أشعارهم، منتظرين النوال، وتُبيّن طائفة من النصوص أنّ استقبال الشعراء أصبحت له مراسيم معينة، وأوقات محدّدة، كأن تكون الزيارة مرّةً واحدة في العام في وقت معلوم. وتُظهر طائفة أخرى من النصوص أنّ الشعراء يأتون إلى باب الخليفة، فإن سُمح لهم دخلوا، وإلاّ ذهبوا، على أن يكرروّا المجيء مرات أخَر، وربما انتظر أحدهم شهوراً كي يستطيع الدخول. وتبيّن طائفة ثالثة من النصوص أنّ القائمين على باب الخليفة كانوا يلقّنون الشعراء ما عليهم أن يقولوه، والمدّة التي يستغرقها إنشادهم.

وبالرغم من اختلاف كثير من الدارسين حول أهمية تلك المجالس، فإنّها تظلّ معلماً أدبياً، ونقدياً بارزاً لا يمكن إنكاره، والنصوص الكثيرة التي حفظها أبو الفرج تشير بقوة إلى أهمّيتها من خلال وصفه التفصيلي لما كان يدور فيها، والأحاديث الأدبية والنقدية التي كانت تتردّد بين جنباتها، وتكتسب هذه المجالس بُعداً جديداً حين يكون الخليفة نفسه شاعراً، أو راوية للشعر، متذوّقاً له. مثل عبد الملك بن مروان، والوليد بن يزيد، وهشام بن عبد الملك، وهارون الرشيد، وولده المأمون، إذ يتحوّل المجلس إلى ساحة أدبية ثريّة، لا تقتصر على قصيدة المديح حسب، بل تتعدّاها إلى قضايا أدبية، ونقدية مختلفة.

وقبل الدخول إلى نصوص هذه القضية المهمة، نشير إلى أن فضل أبي الفرج يتمثل فيها بالجمع والحفظ وحده، إذ لم نقف على رأي له، أو تعليق على جانب منها، إلاّ في القليل النادر، ولعلّ ذيوعها، وكثرة مَنْ أدلى بدلوه فيها لم يدعا زيادة لمستزيد، أو أنّه رأى أنّ ما حفظه بين دفّتي الكتاب يكفي وحده لعرضها بلا مناقشة، أو تعقيب. وسنرى ـ فيما سنستقبل من قضايا ـ شخصية أبي الفرج الأدبية والنقدية تكاد تبرز بوضوح. وله في كثير من النصوص رأيه الخاص، ومذهبه المتفرّد.

العصر الجاهلي

(١)

رُبَّ ركـــبٍ قد أناخـــوا عندنـــا ... يشـربون الخمـرَ بالماء الزّلالِ
عصفَ الدهرُ بهم فانقرضـوا ... وكذاكَ الدهرُ حـالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العباديّ، وهذه الأبياتُ قالها عديٌّ بن زيد العباديّ على سبيل الموْعظة للنُّعْمان بن المُنْذر فيقال: إنها كانت سبب دخوله في النصرانية(١). (٢/٩٥)

(٢)

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شيْخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأمويّ قال حدّثني محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشـهـر الحـرامِ فلستَ منهم ... ولست من الكرام بني عُبَيْدِ
ولا مـن رَهْطِ جبّار بـن قُـرْط ... ولا من رهط حـارثة بن زيد

ـ قال: وهؤلاء كلهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: أنا، لا أبالك، أشرفُ من هؤلاء. قال: فسبَّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى، وكان متغيّظاً عليه. فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؛ فجاء حتى نزل بشُريح بن السموءل بن عادياء الغسانيّ صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شريح بالأعشى، فنادى به الأعشى بقوله:

شُرَيْحُ لا تتْرُكَنّي بعد مـا علقتْ ... حبـالك اليومَ بعد القدّ أظفـاري
قد جُلْتُ ما بين بانقيا إلى عدنٍ ... فطال في العُجْم ترْدادي وتسْياري
فكان أكْرمـهم عـهـداً وأوثقـهم ... عـقْدا أبوك بُعـرف غـيـر إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه ... وفي الشداء كالمستأسد الضّاري

(١) لعل نبرة الحزن التي تكتنف البيتين، ومظاهر الموت، والرحيل فيهما قد زهّدتا النعمان في الدنيا فالتجأ إلى النصرانية يستعدّ بها لذلك الانقراض المرتقَب.

كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به ... في جحْفلٍ كسواد الليل جرَّار
إذ سامه خُطَّتيْ خسْفٍ فقال له ... قُلْ ما تشاء فإنّي سامعٌ حار
فقال غدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما ... فاختَرْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكَّ غير طويلٍ ثم قال له ... اقْتُل أسيرك إني مانعٌ جاري
وسوف يُعْقبنُيه إن ظفرت به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هدراً ... وحافظات إذا استُودعْن أسراري
فاختار أدراعه كي لا يُسبَّ بها ... ولم يكن وعدُه فيها بختَّار

قال: فجاء شُريح إلى الكلْبيّ فقال له: هبْ لي هذا الأسير المضْرور. فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقِمْ عندي حتى أكرمك وأحْبوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إليَّ أن تُعْطيني ناقةً ناجية وتُخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقةً، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيّ أن الذي وهب لشُريح هو الأعشى، فأرسل إلى شُريح: ابعث إليَّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوه وأعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يلْحقه(١). (٣٣٣/٦)

(٣)

وقال ابن الكلبيّ: حدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ: أنَّ حُجْراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألاَّ يقيم معه أنفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك(٢). (٨٧/٩)

---

(١) يبدو واضحاً أثر الشعر في رفع قوم أو خفضهم، إذ نرى الناس تسبّ الكلبي بهجاء الأعشى له، ممّا سيصبح عاراً عليه، وقد حداه هذا الأمر إلى تعقبّه، وطلبه مع عدم معرفته، وعندما يصبح في حوزته، يُفتدى، وهو لا يعلم، فيطلبه أخرى. ولكن لات ساعة مندم، إنَّ هذا الإصرار على طلب الشاعر يدلّ بوضوح على مدى وقع الهجاء في النفس، وذيوعه بين الناس، وبانقيا: ناحية من نواحي الكوفة. والختّار هو الغادر، ومن الواضح أنَّ الأعشى يورد قصة السموْال المشهورة في حفظ العهد، وعدم تسليمه أمانة امرئ القيس، ممّا أدى إلى قتل ولده، فضرب المثل بأمانته ووفائه.

(٢) يبدو أنَّ هذه الأنفة جاءت من مواقف بعض الشعراء والحافهم في الطلب، ونقرأ في العمدة (٤٣/١) «وقد حكي أنّ امرأ القيس نفاه أبوه لمّا قال الشعر، وغفل أكثر الناس عن السبب، وذلك أنّه كان خليعاً متهتكاً، شبّب بنساء أبيه، وبدأ بهذا الشرّ العظيم، واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة، فكان إليه من أبيه ما كان، ليس من جهة الشعر، لكن من جهة الغيّ والبطالة، فهذه العلّة، وقد جازت كثيراً من الناس».

(٤)

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ عن الرِّياشيّ مما أجازه له عن العُتْبيِّ عن رجل من قيس عيلان قال: كان الأعشى يُوافي سُوقَ عُكاظ في كلّ سنة، وكان المُحلِّق الكلابيُّ مِنْناثاً مُمْلِقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال: ويحك! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحِمْل!.

قالت: الله يُخلِفُها عليك، قال: فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح؟ قالت: إنَّ عندي ذخيرةً لي ولعلِّي أن أجمعها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى: مَنْ هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: المحلِّق. قال: شريفٌ كريم، ثمَّ سلَّمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يغْمزنه ويمْسحْنه.

فقال: ما هذه الجواري حوْلي؟ قال: بناتُ أخيك وهنَّ ثمانٍ شريدتُهن قليلة، قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوقَ عكاظ إذا هو بسرْحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشدهم:

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار باليفاع تحرَّقُ
تُشبُّ لمقرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار النُّدى والمُحلَّقُ
رضيعي لبانِ ثَدْيِ أمٍّ تحالفا ... بأسْحم داجٍ عوْضُ لا نتفرَّقُ

فسلَّم عليه المحلِّق؛ فقال له: مرْحباً يا سيدي بسيِّد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذْكارٌ يزوِّج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده وفيهنَّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها(١). (١١٣/٩)

(٥)

وذكر علي بن محمد النوفلي في خبر المحلِّق مع الأعشى غير هذه الحكايات. وزعم أن أباه حدّثه عن بعض الكلابيِّين من أهل البادية قال:

---

(١) يقف الشعر هنا على نقيض ما رأيناه في النص الثاني السابق، إذ نراه يستجلب المدح، والمكانة الرفيعة للممدوح، والشاعر واحد، وتشير النصوص الآتية إلى هذا الأمر، مع تفصيلات أخرى، فالأعشى يصف، والناس تتلقّف ما يقوله الأعشى، المحلّق كريم، ذو مروءة، فليتقرّب إليه الناس بالزواج من بناته، فالشاعر صادق، نشرَ الفضائل، وفعلَ الشعر فعلَه.

كان لأبي المحلَّق شرفٌ فمات وقد أتلف ماله، وبقي المحلَّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتي بُرودٍ حبرة كان يشهد فيهما الحقوق. فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فنزل الماء الذي به المحلَّق، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمَّة المحلَّق فقالت: يابن أخي! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ الماء، والعرب تزعم أنه لم يمدح قوماً إلاَّ رفعهم ولم يهجُ قوماً إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتلْ في زقٍّ من خمر من عند بعض التُّجار فأرسلْ إليه بهذه الناقة والزِّقِّ وبُرْدَي أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكبدُ والسنام والخمرُ في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين، ليقولنَّ فيك شعراً يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقع رسْلها. فأقبل يدخل ويخرجُ ويهمّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عمَّته حضَّتْه؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجلُ ومضى. قالت: الآن والله أحسنُ ما كان القِرى! تُتْبعه ذلك مع غلام أبيك ـ مولًى له أسودَ شيخٍ ـ فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنَّك لمَّا وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرهتَ أن يفوتك قراه؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضُّه حتى أتى بعضَ التُّجار فكلَّمه أن يُقْرضه ثمن زقِّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرَّ بماء قيل: ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدَّة من الفتيان قد غدَّاهم بغير لحم وصبَّ لهم فضيخا فهم يشربون منه، إذ قُرع الباب فقال: انظروا مَنْ هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المحلَّق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المحلَّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت. فقال: وَيْحكم ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليَّ لأقدرُ له! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعراً لم أقلْ مثله. فواثبه الفتيان وقالوا: غبت عنَّا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتنا الفضيخ واللَّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بدا منك، فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزِّقَّ والبردين بين يديه. قال: أقْرِه السلام وقل له: وصلتْك رحمٌ، سيأتيك ثناؤنا.

وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يشْوون، وصبُّوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البُرْدين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول: أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّق

حتى انتهى إلى قوله:

أبا مسمع سار الذي قد فعلتُم فأنجد أقوامٌ به ثم أعْرقوا(١)

---

(١) أنجدوا: ذهبوا إلى نجد، وأعرقوا أتوا العراق.

به تُعْقد الآمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقد أطرافُ الحبال وتُطْلق

قال: فسار الشِّعر وشاع في العرب، فما أتت على المحلَّق سنةٌ حتى زوّج أخواته الثلاث كلُّ واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرُف. (١١٥/٩)

(٦)

وذكر الهيثم بن عديّ عن حماد الرواية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمرَّ ببني كلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلْماء، فأوى إلى فتىً من بني بكر بن كلاب، فبصُر به المحلَّق وهو (عبد العُزى بن) حنْتم بن شدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له نُؤابة، فأتى أمَّه فقال: يا أمَّهْ! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يكْسبنا مجداً. قالت: وما تريد يا بُنيّ؟ قال: نضيفه اللَّيلة. فأعطته جلبابها فاشترى به عشيراً من جُزور وخمراً، فأتى الأعشى، فأخذه إليه، فطعم وشرب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه: أرقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّق

والرواية الأولى أصح. (يقصد الرواية في النصّ السابق) (١١٧/٩)

(٧)

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعيم قال حدثنا قعْنب بن المُحْرز عن الأصمعي قال حدّثني رجلٌ قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إنَّ لي بناتٍ قد كسدن عليَّ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تنْفُق. فشبَّب بواحدة منهنّ، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بُعث به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زُوِّجت فلانةُ، فشبّب بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأله عنها فقيل: زُوِّجتْ. فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجن جميعا. (١١٨/٩)

(٨)

حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المعْوليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الرواية عن سماك بن حرْب قال: قال الأعشى: أتيتُ سلامةَ ذا فائش فأطلت المُقام ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدته:

إنَّ محـــلاً وإن مُـــرْتحـــلا وإنَّ في السَّفْرِ من مضي مهلا(١)

---

(١) المحلّ، والمرتحل مصدران ميميان، والخبر محذوف أي إنَّ لنا في الدنيا حلولاً، وإنّ لنا عنها ارتحالاً، وإنّ لنا عنها ارتحالاً، والسَّفْر: اسم جمع لسافر بمعنى مسافر. والمَهَل: مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة. =

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ـعدْل وولّى الملامةَ الرجلا
الشعرُ قلّدتُه سلامةَ ذا فانشَ والشيءُ حيث ماجُعلا

فقال: صدقْت، الشيء حيث ما جُعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأعطاني كرشاً مدبوغة مملوءة عنبراً وقال: إياك أن تُخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء. (١٢٤/٩)

(٩)

قال الأصمعي: وبلغني أنّ هرماً كان قد حلَفَ ألاّ يمدحه زُهير إلاّ أعطاه، ولا يسأله إلاّ أعطاه، ولا يسلّم عليه إلاّ أعطاه: عبْداً أو وليدة أو فرساً، فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملأ قال: عُموا صباحاً غير هرمٍ، وخيركم استثنيتُ، وروي المهلّبيّ: وخيركم تركت. (٣٠٥/١٠)

(١٠)

قال وحدّثني حمّاد الرواية عن سعيد الرواية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أنّ زُهيراً هجا آل بيتٍ من كلب من بني عُلَيْم بن جناب، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وراء وراء، وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم، وأكرموه لمّا نزل بهم وأحسنوا جواره. وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى إلاّ المقامرة، قُمِرَ مرّةً فردّوا عليه، ثم قُمِر أخرى فردّوا عليه، ثم قُمِرَ الثالثة فلم يردّوا عليه، فترحّل عنهم وشكا ما صُنع به إلى زُهَيْر، والعربُ حينئذ يتّقُون الشعراء اتقاءً شديداً، فقال: ما خرجتُ في ليلة ظلْماء إلاّ خِفْتُ أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم. قال: والذي هجاهم به قوله:

عفا من آل فاطمة الجواءُ فيُمْنَ فالقوائمُ فالحِساءُ(١)
فنُو هاشٍ فميثُ عُرَيْتناتٍ عفتْها الرِّيحُ بعدك والسماءُ(٢)
جرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيري نوىً مشْمولةٌ فمتى اللِّقاءُ(٣)

= ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ٦٩/١، إنّ هذا الشعر منحول.

(١) كانت العرب تتقي الشعراء اتقاءً شديداً، وذلك لعلمهم بتأثير الشعر على النفوس، وقدرته الواسعة، في توجيه أفكار الناس، وقد استمر هذا الاتقاء زمناً طويلاً مثلما سنرى. الجواء، ونو هاش، والحساء، وعريتنات أسماء مواضع. والميث جمع ميثاء. فإذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء.

(٢) والسماء: المطر. (٣) والسانح: ما أقبل من شمالك يريد يمينك.

كـأنَّ أوابدَ النَّيران فيهـا هجانٌ في مغابنها الطِّلاء(١)
لقـد طالبتُها ولكلِّ شيءٍ وإن طالتْ لجاجتـه انتهـاءُ
وقـد أغـدو على شَرْبٍ كـرامٍ نشاوى واجدين لما نشـاءُ
لهـم طـاسٌ وراووقٌ ومِسْـكٌ تُعـلُّ بـه جلـودُهُم وماءُ (٣١٠/١٠)

(١١)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْميُّ المصريُّ قال حدّثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ، وذكر هذا الخبر أيضاً التوّزيّ عن أبي عُبيدة، فجمعت روايتيهما، قالا: كان أوْس بن حجر غزلاً مُغْرماً بالنساء؛ فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أسدٍ بين شرْجٍ وناظرة، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته فاندقت فخذاه فبات مكانه؛ حتى إذا أصبح غدا جواري الحيّ يجتنين الكمْأة وغيرها من نبات الأرض والناسُ في ربيع. فبينا هنّ كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقىً، ففزعن فهربن. فدعا بجارية منهن فقال لها: مَنْ أنت؟ قالت: أنا حليمةُ بنت فضالة بن كلدة، وكانت أصغرهن؛ فأعطاها حجراً وقال لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابنُ هذا يُقْرئك السلام. فأخبرته فقال: يا بُنيَّة، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل، ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيته حيث صُرع وقال: واللّه لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ. فقال أوس بن حجر في ذلك:

جُدلتُ على ليلـةٍ ساهرهْ بصحـراء شرْجٍ إلى ناظره(٢)
تُزاد ليـاليّ في طُولهـا فليست بطلْق ولا ساكره(٣)
أنوءُ برجـل بها ذهنُهـا وأعيتْ بها أختُها الغابرة(٤)

وقال في حليمة:

لعمْرُك ما ملتْ ثـواء ثويِّهـا حليمةُ إذ ألقى مراسي مُقْعد(٥)
ولكن تلقّتْ باليدين ضمـانتي وحلَّ بشرْجٍ مِ القبائل عوّدي(٦)

---

(١) الأوابد: الوحشية. الهجان: إبلٌ بيض (٢) جُدِلت: صُرِعْتُ. شرج وناظرة: موضعات.
(٣) ليلة طلق وطلقة: طيبة لا برد فيها ولا مطر. وليلة ساكرة: ساكنة الريح.
(٤) الذهن: القوة. الغابرة: الباقية. (٥) الثواء: الإقامة. الثويّ: الضيف. المقعد: الذي به داء يقعده.
(٦) الضمانة: الداء في الجسد.

ولم تُلْهها تلك التكاليفُ إنّها كما شئتَ من أكرومةٍ وتخرُّد(١)
سأجزيك أو يجْزيك عنّي مُثَوِّبٌ وقصْرُك أنْ يُثْني عليك وتُحْمدي(٢) (٧٢/١١)

(١٢)

أخبرني بخبره محمدُ بنُ خلفٍ وكيعٌ قال: حدّثنا عبيد الله بن سعد الزبيري قال: حدّثني عمّي قال حدثني أبي - أظنه عن الزهري - قال: كان بَدْءُ تفرّق بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلامُ عن تهامةَ ونزوعهم عنها إلى الآفاق، وخروج من خرج منهم عن نسبه، أنه كان أوّل من ظعن عنها وأخرج منها قضاعة بن معدّ. وكان سبب خروجهم أن خزيمة بن نهد بن زيد بن سود ابن أسلم بن الحاف بن قضاعة بن معدّ كان مشؤوماً فاسداً، متعرِّضا للنساء، فعلق فاطمة بنتَ بذكر بن عنزة - واسم بذكر عامر- فشبب بها وقال فيها:

إذا الجوزاء أردفتَ الثريا ظننتُ بآل فاطمة الظنونا(٣)
وحالت دون ذلك من همومي همومٌ تُخْرج الشجن الدُّفينا
أرى ابنة بذكرٍ ظعنت، فحلّت جَنوبَ الحزْن ياشحطا مبينا(٤)

قال: فمكث زماناً، ثم إن خزيمةَ بن نهد قال لبذكر بنِ عنزة: أحب أن تخرج معي حتى نأتي بقرظ. فخرجا جميعاً، فلما خلا خزيمةُ بن نهد ببذكر بن عنزة قتله، فلما رجع - وليس هو معه - سأله عنه أهله، فقال: لست أدري، فارقني وما أدري أين سلك. فكان في ذلك شرٌّ بين قضاعة ونزار ابني معد، وتكلموا فيه فأكثروا، ولم يصحّ على خزيمة عندهم شيء يطالبون به، حتى قال خزيمة بن نهد:

فتاة كأنّ رضاب العبير بفيها يُعلُّ به الزنجبيلُ
قتلت أباها على حبِّها فتبخلُ إنْ بخلت أو تنيلُ

فلما قال هذين البيتين تثاور الحيّان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً، فكانت نزارُ بنُ معد وهي يومئذ تنتسب فتقول كندة بن جُنادة بن معد. وحاءٌ وهم يومئذ ينتمون فيقولون حاءُ بنُ عمرو بنِ أدّ بن أدد. وكانت قضاعة تنتسب إلى معد، وعك يومئذ تنتمي إلى عدنان فتقول: عك عدنان بن

---

(١) التخرّد: الحياء والخفر.

(٢) قصْرُك: غايتك وكفايتك ومثله قصارك وقصاراك.

(٣) الجوزاء: برج في السماء، وأردفت الثريا: ردفتها وتلتها.

(٤) ظعنت: رحلت، والحزن: ما غلظ من الأرض، ويتبدّون: ينزلون البادية.

أدّ، والأشعريون ينتمون إلى الأشعر بن أدد. وكانوا يتبدّون من تهامة إلى الشام، وكانت منازلهم بالصفّاح، وكان مرٌ وعُسْفان لربيعة ابن نزار، وكانت قضاعة بين مكة والطائف، وكانت كندة تسكن من الغمر إلى ذات عرق، فهو إلى اليوم يسمى غمر كندة(١). (٧٨/١٣)

(١٣)

قال أبو عبيدة: وكان هُريم بنُ مرداس مجاورا في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُويلد، وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره، فقال:

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصل
ونبئت أن قد عوّضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزل
فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ وفيها متاعٌ لامرئ متذلّل

فلمّا بلغتْه هذه الأبيات ألى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُريم، ثم إن أبا حُلَيْس النُّصْريّ لقي خويلداً قاتل هُريم فقتله، فقال بنو نصر: بؤ بدم فلان النصريّ - رجل كانت خزاعة قتلته - فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُؤبدم هُريم بن مرداس(٢). (٣١١/١٤)

(١٤)

فذكروا أن أمُّ حاتم أوتيت وهي حُبْلى في المنام، فقيل لها: أغلام سَمْح يقال له: حاتم أحبُّ إليك أم عشرة غِلْمة كالناس، ليوثٌ ساعة اليأس، ليسوا بأرغال ولا أنكاس، فقالت: بل حاتم فولدت حاتماً. فلما ترعرع جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه. فلما أتى أبوه أنه يهلك طعامه قال: له الحقْ بالإبل، فخرج إليها، ووهب له جاريةً وفرساً وفلوها، فلما أتى الإبلَ طفق يبغي الناسَ فلا يجدهم، ويأتي الطريقَ فلا يجد عليه أحداً، فبينا هو كذلك إذ بصر بركْبٍ على الطريق، فأتاهم فقالوا: يا فتى هل من قِرى؟ فقال: تسألوني عن القرى وقد ترَوْن الإبل؟ وكان الذين بصر بهم عبيد بن الأبرص، وبشر بن أبي خازم، والنابغة الذبياني؛ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد: إنما أردنا باللقرى اللبن، وكانت تكفينا بكْرةً إذا كنت لا بدَّ متكلفاً لنا شيئاً، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكني رأيتُ وجوها مختلفة،

---

(١) قدّم البيتان الدليل على القتل، واستدعيا معاني الثأر وطلبه، فاقتتلت الأحياء، وأصبحت فرقاً، بعد أن كانت يداً واحدة.

(٢) أثار الشعر مكامن النخوة في النفس، فطبع السلوك بطابع الزهد، والاستعداد للحرب.

وألوانا متفرِّقة، فظننت أن البلّدان غيرُ واحدة؛ فأردت أن يذكر كلُّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه، فقالوا فيه أشعاراً امتدحوه بها، وذكروا فضْله. فقال حاتم: أردتُ أن أحسن إليكم فكان لكم الفضْل عليّ، وأنا أعاهدُ الله أن أضربَ عراقيب إبلي عن آخرها أو تقدموا إليها فتقتسموها، ففعلوا، فأصاب الرجل تسعة وتسعين بعيراً، ومضوا على سفرهم إلى النعمان. وإن أبا حاتم سمع بما فعل، فأتاه، فقال له: أين الإبل؟ فقال: يا أبت؛ طوَّقتك بها طوقَ الحمامة مجد الدهر، وكرماً لا يزال الرجل يحمل بيتَ شعر أثنى به علينا عِوضاً من إبلك.

فلما سمع أبوه ذلك قال: أبإبلي فعلتَ ذلك! قال: نعم، قال: والله لا أساكِنك أبداً، فخرج أبوه بأهله، وترك حاتماً، ومعه جاريتُه وفرسه وفِلْوها. (٣٦٦/١٧)

العصر الإسلامي

(١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الحسن بن عُثمان قال حدّثني ابن أبي زائدةَ عن محمد بن إسحاق عن أصحابه، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدثنا (أحمد) بن حُميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه، قالوا: قتل رسول الله(ص) يوم بدْرٍ عُقْبة بن أبي مُعيط صبْرا: أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان بـ «الصُفراء» قتلَ النَّضْر بن الحارث بن كلدة أحد بني عبد الدار، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنقه، قال عمر بن شبّة في حديثه بـ «الأثيل» فقالت أخته قُتيلةُ بنتُ الحارث ترْثيه:

يا راكباً إنَّ الأثيـــلَ مظنّـــةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنتَ موفَّقُ(١)
أبلـغْ بـــه ميتـاً بأنَّ تحيّـــة ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفقُ
منِّي إليك وعـبْرةٌ مســفـوحـةٌ ... جـادتْ بدرّتهـا وأخـرى تخْنَقُ
هل يسـمعنَّ النضرُ إن ناديتُه ... إن كان يسـمعُ هالكٌ لا ينطقُ
ظلَّتْ سيـوفُ بني أبيه تنوشُه ... للـــه أرحـــامٌ هناكَ تُشـــقَّقُ
صبراً يُقادُ إلى المنيَّة مُتعباً ... رسْـفَ المقيَّد وهو عانٍ موثَقُ(٢)
أمُحمّدٌ ولأنتَ نسْـلُ نجيبـةٍ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
مـا كان ضـرّكَ لو مننْتَ وربَّمـا ... منَّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَقُ
أوْ كُنتَ قـابل فـديةٍ فليـأتينْ ... بأعـزِّ مـا يغْلو لديـك وينفُقُ
والنضـرُ أقربُ مَنْ أخـذتَ بزلَّةٍ ... وأحـقُّهم إن كـان عِتْـقٌ يُعْتَـقُ

فبلغنا أنَّ النبيَّ (ص) قال: «لو سمعتُ هذا قبل أن أقتله ما قَتَلْتُهُ». فيقال: إن شعرها أكرمُ

---

(١) الأثيل موضع قرب المدينة.

(٢) رسف المقيّد أي مشيه بثقيل مثل المقيّد.

(٢)

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء: حدّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال حدّثني عمّي قال: قدم الحطيئةُ المدينة فأرصدت قريشٌ له العطايا خوفاً من شرّه، فقام في المسجد فصاح: منْ يحملني على بغْلين.

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمدُ بن سلاّم وأخبرني الحسينُ بن يحى المرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ: كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريشٌ العطايا، والناسُ في سنةٍ مجدبةٍ وسخْطةٍ من خليفة، فمشى أشرافُ أهل المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا: قد قدم علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يظُنّ فيُحقّقُ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جهد نفسه بهْرها، وإن حرمه هجاه، فاجْمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعداً يجمعونه بينهم له، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوْه فقالوا له: هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان، فأخذها، فظنوا أنهم قد كفُّوه عن المسئلة، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي: مَنْ يحملني على بغلين وقاه الله كبّة جهنّم(٣) . (١٦٤/٢)

(٣)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو عُبيدة عن يونس قال: قدم حمّادٌ الرّاوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد؛ قال: بلى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعريّ يمدحه:

---

(١) الموتور: مَنْ قُتل فلم يدرك بدمه.

(٢) تحدثت قتيلة في شعرها عن مكارم الأخلاق، وأشارت إلى المَنّ، والفداء، ومدحته صلى الله عليه وسلم، فهل يقول غير ما قال، لقد أدّى الشعر دوره. ولّفت نظر النبي إلى هذا المقتول، وأخته، ولو جاء الشعر سابقاً للقتل لفكّ الأسير، وكان سبباً في الإطلاق.

(٣) مكانة الشاعر عند العرب أشهر من أن تساق لها الأدلة، فكيف إذا كان شاعراً مثل الحطيئة، كبير المحلّ في الشعر. لاذع الهجاء، فلا عجب بعد هذا أن تأخذ قريش أهبتها، وتجمع له المال اتّقاء شرّه، ولسانه.

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ومن تميم ومن حاءٍ ومن حامِ(١)
مُسْتحقباتٍ رواياها جحافلها يسْمُو بها أشعريٌّ طرْفهُ سامي(٢)

فقال له بلال: ويْحك! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعريّ وأنا أروي شعر الحطيئة كلَّه فلا أعرفُها! ولكن أشعْها تذهبْ في الناس.

وذكر المدائني أن الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده: جَمَعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو:

فمـا رضيتَهُم حتى رفدْتهمُ بوائلٍ رهط ذي الجدَّين بِسْطامِ(٣)

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب إليه: إني اشتريت عرْضي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما ولى بلال بنُ أبي بُرْدة أنشده إياها حمَّادٌ الرواية فوصله أيضاً(٤). (١٧٥/٢)

(٤)

حدّثنا أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال حدثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضّل: أن الحطيئة أقحمتْه السنةُ، فنزل ببني مُقلّد بن يربوع، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: إن هذا الرجل لا يسلم أحدٌ من لسانه، فتعالوا حتى نسأله عما يحبّ فنفعله وعما يكره فنجتنبه؛ فأتوه فقالوا له: يا أبا مُلَيْكة، إنك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنه؛ فقال: لا تُكثروا زيارتي فتُملُّوني، ولا تقطعوها فتُوحشُوني، ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم، ولا تُسْمِعوا بناتي غناء شُبَّانكم،

---

(١) جمعتَ في بيت الحطيئة الأول تعود إلى الجحفل.

(٢) مستحقبات من استحقب الشيء إذا احتمله من خلف. والروايا: الإبل التي تحمل الأزواد والأثقال. والجحافل: جمع جحفلة وهي من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان.

(٣) بسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ويسمى ذا الجدّين.

(٤) يأبى عمر رضي الله عنه على الولاة أن يبدّدوا أموال المسلمين، ولكنّ إعطاء شاعر مثل الحطيئة وضع للمال في نصابه، وموضعه، كفّاً للأذى، وتهدئة للنفوس. ولا ننسى هنا أنّ لعمر رضي الله عنه نفسه قصة مماثلة مع الحطيئة. وسوف تأتي.

فإن الغناء رُقْية الزنا. قال: فأقام عندهم. وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال: أمُّكم الطلاقُ، لئن تغنّى أحد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهرُنا لأضربنّه ضربةً بسيفي أخذتْ منه ما أخذتْ. فلم يزل مقيما فيما يرضى حتّى انجلتْ عنه السُّنَةُ، فارتحل وهو يقول:

جاورتُ آلَ مقلّدٍ فحمدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخي جوارٍ يُحْمَدُ

أيام مَنْ يُردِ الصنيعة يصْطَنعْ ... فينا ومن يُردِ الزَّهادة يزْهَدُ (١٧٨/٢)

(٥)

فحينئذ قال الحطيئة يهْجو الزِّبْرقان ويُناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها:

والله ما معْشرٌ لامُوا امْرأً جُنُباً ... في آل لأي بن شمّاس بأكياس(١)

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبالكمُ ... في بائس جاء يحْدو آخر الناس

لقد مريْتُكم لو أن دِرَّتكم ... يوماً يجيء بها مسْحي وإبْساسي(٢)

وقد مدحتُكُم عمداً لأرْشدكم ... كيما يكون لكم متْحي وإمراسي(٣)

لما بدا لي منكم غيبُ أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي

أزمعتُ يأساً مُبينا من نوالِكُمُ ... ولن يُرى طارداً للحُرِّ كالياسِ

جارٌ لقوم أطالوا هونَ منزله ... وغادروه مقيماً بينَ أرْماس(٤)

ملُّوا قراه وهرَّتْه كلابُهُم ... وجرَّحُوه بأنياب وأضْراسِ

دعِ المكارم لا ترحلْ لبُغْيتها ... واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

من يفْعلِ الخيرَ لا يعْدَمْ جوازيه ... لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس(٥)

ما كان ذنبي أن فلَّتْ معاولكم ... من آلِ لأيٍ صفاةً أصلُها راسي

قد ناضلوك فسلُّوا من كنائنهم ... مجداً تليداً ونبْلاً غير أنْكاس(٦)

فاستعدى عليه الزبرقانُ عمر بن الخطاب، فرفعه عُمر إليه واستنشده فأنشده؛ فقال: عمر لحسَّان: أتراه هجاه؟ قال: نعْم وسلح عليه، فحبسه عمر. (١٨٤/٢)

---

(١) الجُنُب: الغريب.

(٢) مريتكم من مري الناقة يمريها أي يمسح ضرعها، والمراد مداراتهم ومدحهم ليدرّوا عليه العطاء. الدّرة: اللبن. والابساس: صوت تسكّن به الناقة عند الحلب.

(٣) المتح: استسقاء الماء ببكرة. والإمراس: أن ينزل الحبل عن مجراه من البكرة فيرُدّ إليه.

(٤) الأرماس: القبور. (٥) العُرف: المعروف.

(٦) أنكاس: جمع نكس وهو أضعف السهام.

(٦)

وروي عن عبد الله بن المبارك أنَّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجّة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم؛ فقال الحطيئة في ذلك:

وأخذت أطرافَ الكلام فلم تدعْ شتْماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

وحميْتني عرضَ اللئيم فلم يخفْ ذمِّي وأصبح آمناً لا يفْزَعُ(١) (١٨٩/٢)

(٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغني أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتُم في حربكم؟ قال: كنَّا ألفَ حازم، قال: وكيف؟ قال: كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه، وكنا نُقْدِم إقدام عنْترة، ونأتمُّ بشعر عُرْوة بن الورْد، وننقاد لأمر الرّبيع بن زياد. (٧٤/٣)

(٨)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا معْمرٌ عن الزُّهْريّ عن سعيد بن المُسيِّب قال: جاء حسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هريرة، فقال: أنْشُدُك الله: أسمعتَ رسول الله (ص) يقول: «أجِبْ عنِّي» ثم قال: «اللهُمَّ أيِّده بُروح القُدس»؟ قال أبو هريرة: اللّهُمَّ نعمْ(٢) . (١٣٧/٤)

(٩)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القعنبيّ قال حدثنا مرْوان بن معاوية قال حدّثنا إياس السُّلميّ عن ابن بُرَيْدة قال: أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ (ص) بسبعين بيتاً. (١٤٢/٤)

---

(١) هذا ما أشرنا إليه في النص الثالث السابق، من رغبة عمر في دفع الأذى، والمحافظة على القيم التي أرساها الإسلام.

(٢) هذا يشير بقوة إلى استمرار الاعتناء بالشعر في المجتمع الإسلامي الجديد، ورغبة الرسول في إشراك الشعر في المعركة بينه وبين المشركين، إحساساً بقدرته، وقوة تأثيره.

(١٠)

وأخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدثنا سعيد بن عامر قال حدثني جُويرية بن أسماء قال: بلغني أنَّ رسول الله (ص) قال: «أمرتُ عبد الله بن رواحة فقال وأحْسنَ، وأمرتُ كعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسَّان بن ثابت فشفى واشتفى».
(١٤٢/٤)

(١١)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُرَيْج قال أخبرنا زياد بن أبي سهْل قال حدّثني سعيد بن المُسيَّب: أنَّ عمر مرَّ بحسَّان بن ثابت وهو يُنْشد في مسجد رسول الله(ص) فانتهره عمر؛ فقال حسَّان: قد أنشدتُ فيه مَنْ هو خيرٌ منك؛ فانطلق عمر.
(١٤٣/٤)

(١٢)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمر قال حدّثنا هوذةُ بن خليفة قال حدّثنا عوْفُ بن محمد قال: قال النبيّ (ص) ليلةً وهو في سفرٍ: «أين حسَّان بن ثابت»؟ فقال حسَّان: لبَّيْك يا رسول الله وسعْديك. قال: «احدُ»، فجعل يُنْشد ويُصْغي إليه النبيُّ (ص) ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائقُ راحلته حتّى كان رأسُ الراحلة يمسُّ الورك حتّى فرغ من نشيده، فقال النبيّ(ص): «لهذا أشدُّ عليهم من وقعْ النَّبْل»(١).
(١٤٣/٤)

(١٣)

أخبرنا أحمد قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا ابن وهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويْعلى بن شدَّاد بن أوْس عن عائشة قالت: سمعتُ رسول الله (ص) يقول لحسَّان بن ثابت الشاعر: «إنَّ رُوحَ القدس لا يزال يُؤيِّدك ما كافحتَ عن الله عز وجل وعن رسول الله»(٢).
(١٤٣/٤)

---

(١) يشير هذا النصّ، وغيره إلى اهتمام الرسول بالشعر، مع عناية خاصّة منه صلى الله عليه وسلّم بأنه أداة فعالة في الحرب، يهجو الأعداء، ويبيّن مبادئ الدين الجديد.

(٢) نرى في هذا النصّ شيئاً من التحديد، يطلبه الرسول من الشاعر، فما دام مكافحاً عن الله ورسوله، ذابّاً =

عنهما، مُعلياً شأنهما، فإنّ روح القدس يُؤيده، ويعينه، وينصره، وما أعظمه من تأييد.

(١٤)

أخبرنا أحمد قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب: أنّ عمر مرّ على حسّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله (ص) فذكر مثله وزاد: وعلمت أنّه يريد النبي (ص). (١٤٤/٤)

(١٥)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقي عن مُسْلم بن يسار: أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنْشد الشعر في مسجد رسول الله (ص)، فأخذ بأذنه وقال: أرُغاءً كرُغاء البعير! فقال حسّان: دعْنا عنك يا عمر! فوالله لتعلَمُ أنّي كنت أنْشِد في هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر عليّ! فصدّقه عمر(١). (١٤٤/٤)

(١٦)

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحرميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنا أبو غزيةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مُصْعب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت: مرّ الزُّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله(ص)، وحسّان بن ثابت يُنْشدهم من شعره وهو غيرُ نشاطٍ لما يسمعون منه، فجلس معهم الزُّبير فقال: مالي أراكم غيرُ أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُريعة! فلقد كان يعْرض لرسول الله (ص) فيُحْسن استماعه ويُجْزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه بشيء. فقال حسّان:

أقـام على عـهـد النبيِّ وهدْيـه حـواريُّه والقـوْلُ بالفعْل يُعْدَلُ(٢)
أقـام على مِنْهـاجـه وطريقـهِ يوالي وليَّ الحقِّ والحقُّ أعـدل

---

(١) كانت غاية عمر نبيلةً في طلبه من حسّان الامتناع عن إنشاد الشعر في المسجد، لئلاّ يضطرب دور المسجد في نفوس بعض الناس، ولكنّه عدل بعد أن ذكرّه حسّان بما كان يصنعه من الإنشاد أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا تأكيد لدور الشعر في المجتمع الجديد، خاصة ذلك الشعر الذي شعّ بروح الإسلام، ومكارم الأخلاق.

(٢) حواريّ النبي صلى الله عليه وسلم هو الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي يصُولُ إذا ما كان يومٌ مُحجَّل
إذا كشفتْ عن ساقها الحربُ حشُّها بأبيض سباقٍ إلى الموتِ يُرْقل(١)
وإنْ امرأ كانتْ صفيَّةُ أمَّهُ ومِنْ أسدٍ في بيتها لمرقَّل(٢)
له من رسول الله قُربى قريبةٌ ومِنْ نُصْرة الإسلام نصرٌ مؤثَّلُ
فكمْ كُرْبةٍ ذبَّ الزُّبيْرُ بسيفه عن المصطفى واللهُ يُعْطي فيُجْزلُ
فما مثلُه فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدَّهْرَ مادام يذْبلُ(٣)
ثناؤك خيرٌ من فعال معاشرٍ وفِعْلُك يابنَ الهاشميَّة أفضلُ(٤) (١٤٤/٤)

(١٧)

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فُضيْل عن مجالد عن الشَّعبيّ قال: لما كان عامُ الأحزاب وردُّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، قال النبيُّ(ص): «مَنْ يحْمي أعراض المسلمين»؟ فقال كعب: أنا يا رسول الله، وقال عبد الله بن رواحة: أنا يا رسول الله، وقال حسَّان بن ثابت: أنا يا رسول الله؛ فقال: «نعْم أهْجُهم أنت فإنَّه سيُعينُك عليهم رُوحُ القُدس». (١٤٥/٤)

(١٨)

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو داودُ قال حدّثنا حُديج بن مُعاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبير قال: كنَّا عند ابن عبَّاس فجاء حسَّان، فقالوا: قد جاء اللَّعين. فقال ابن عبَّاس: ما هو بلعين؛ لقد نصر رسول الله بلسانه ويده(٥). (١٤٥/٤)

(١٩)

حدّثنيه أحمد بن الجعْد قال حدثنا محمد بن بكَّار قال حدّثنا حُديج بن معاوية قال حدّثنا

---

(١) حشُّ الحرب إذا أسعرها وهيجَها. ويُرقل يسرع في سيره.

(٢) المرقّل: المعظمّ المسوَّد. (٣) يذبل: اسم جبل في بلاد نجد.

(٤) إنَّ حسن استماع الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان، وإجزال العطاء له تكريم للشعر، والشاعر على حدٍّ سواء. فليس قليلاً أن يسمع الرسول من الشاعر مع منزلته الجليلة، وشواغله الكثيرة.

(٥) لعل وصف الشاعر باللعين يعود إلى ما شاع عن بعض الشعراء من اقتراف المنكرات. وهجاء المحصنات، وجاءت قولة ابن عباس رضي الله عنهما لتصحّح هذا الوضع عن حسان، وتضعه في موقعه السليم، ناصراً لرسول الله، مدافعاً عنه.

أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال: جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال: قد جاء اللعين حسّان من الشأم. فقال ابن عباس: ما هو بلعين؛ لقد جاهد مع رسول الله (ص) بلسانه ونفسه. (١٤٦/٤)

(٢٠)

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمْرو وشُرَيْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: لمّا قدم وفد بني تميم وضع النبيُّ (ص) لحسّان منْبراً وأجلسه عليه، وقال: «إنّ الله ليؤيّد حسّان بُروح القُدُس ما كافح عن نبيّه» (ص). هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً. وأتينا به على تمامه هاهنا؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه: أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبيرْ قال حدّثنا محمد بن الضّحاك عن أبيه قال: قدم على النبيِّ (ص) وفد بني تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً، فيهم الأقرع بن حابس، والزِّبرْقان بن بدْر، وعُطارد بن حاجب، وقيْسُ بن عاصم، وعمرو بن الأهتم، وانطلق معهم عُيينة بن حِصْن، فقدموا المدينة، فدخلوا المسجد، فوقفوا عند الحُجرات، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ: اخْرُجْ إلينا يا محمد؛ فقد جئنا لنفاخرك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا.

فخرج إليهم رسول الله (ص) فجلس، فقام الأقرعُ بن حابس فقال: والله إنّ مدْحي لزيْن، وإنّ ذمّي لشيْن. فقال النبيّ (ص) «ذلك الله». فقالوا: إنا أكرمُ العرب، فقال رسول الله (ص): «أكرمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام». فقالوا: ايذَنْ لشاعرنا وخطيبنا، فقام رسول الله (ص) فجلس وجلس معه الناس، فقام عُطارد بن حاجب فقال: الحمدُ لله الذي له الفضلُ علينا وهو أهلُه، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعزَّ أهل المشْرق، وآتانا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف، ليس في الناس مثْلُنا؛ ألسنا برءوس النّاس وذوي فضْلهم! فمنْ فاخرنا فليعْدُدْ مثل ما عددْنا، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خوّلنا الله وأعطانا. أقول هذا، فأتُوا بقوْلٍ أفضلَ من قولنا، أو أمرٍ أبيْنَ من أمرنا. ثم جلس.

فقام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال: الحمدُ لله الذي السمُّواتُ والأرضُ خلْقُه، قضى فيهنّ أمره ووسع كرسيُّه علمه، ولم يقْض شيئاً إلا من فضله وقُدرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلْقه لنا رسولاً أكرمهم حسباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً، فأنزل عليه كتاباً، وأتمنه على خلْقه، وكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا رسولُ الله (ص) إلى الإيمان، فآجابه منْ قومه وذوي رحمه المهاجرون أكرُم الناس أنساباً، وأصْبَحُ الناس وجوهاً، وأفضلُ الناس فعالاً. ثم كان أوّل من اتّبع رسول الله (ص) من العرب واستجاب له نحن معْشر الأنصار؛ فنحن أنصارُ الله ووزراءُ

رسوله، نُقاتل الناس حتى يُؤمنوا ويقولوا: لا إله إلا اللهُ. فمنْ آمن بالله ورسوله منعَ منا ماله ودمه، ومنْ كفرَ بالله رسوله جاهدناه في الله، وكان جهادُه علينا يسيرا. أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. فقام الزِّبْرقان فقال:

نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يُقاربُنا ... منّا الملوكُ وفينا يُؤْخذُ الرُّبُعُ(١)
تلك المكارمُ حُزْناها مقارعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا
كمْ قد نشدْنا منَ الأحياء كلّهمُ ... عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يتّبَعُ
وننْحَرُ الكُوم عُبْطاً في منازلنا ... للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا(٢)
ونحن نُطْعِم عند المحْلِ ما أكلوا ... من العبيط إذا لم يظْهَرِ القزَعُ(٣)
وننصر الناسَ تأتينا سراتُهُمُ ... منْ كُلِّ أوْبٍ فتمضي ثم تتّبَعُ

فأرسل رسولُ الله(ص) إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه. فقال حسان:

إنّ الذوائبَ منْ فهرٍ وإخْوتِهمْ ... قد بيّنُوا سُنّةً للنّاس تُتّبَعُ
يرْضى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه ... تقْوى الإله وبالأمر الذي شرعُوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهُم ... أو حالوا النّفْعَ في أشياعهم نفعوا
سجيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدثةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلم شرُّها البدع
لا يرْقَعُ الناسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رقعوا
إنْ كان في الناس سبّاقون بعدهُمُ ... فكُلُّ سبْقٍ لأدْنى سَبْقِهِمْ تبعُ
أعفّةٌ ذُكِرتْ في الوحي عفّتُهمْ ... لا يطمعون ولا يُزْرى بهم طمَعُ
ولا يضنُّونَ عن جارٍ بفضْلهم ... ولا يمسُّهُمُ منْ مطْمعٍ طبعُ
يسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةً ... إذا الزّعانفُ من أظفارها خشعُوا(٤)
لا يفْرحون إذا نالوا عدوّهُمُ ... وإنْ أصيبوا فلا خُورٌ ولا جزَعُ
كأنّهم في الوغى والموتُ مُكتنعٌ ... أسودُ بيشة في أرساغها فدعُ(٥)
خُذْ منهمُ ما أتى عفْواً وإنْ منعُوا ... فلا يكُنْ همُّكَ الأمرَ الذي منعُوا

---

(١) الرُّبع: كان من عادة العرب في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصاً دون أصحابه، وذلك يسمّى الرُّبّع أو المرباع.

(٢) الكوم: البعير الضخم، عُبْطاً: سليمة ليس بها داء.

(٣) القزع: السحاب. (٤) الزعانف: أرذال الناس.

(٥) المكتنع: الداني والقريب. وبيشة: موضع على خمس مراحل من مكة. والفَدَع: اعوجاج في الرُّسغ.

فإنَ في حربهم - فاترُك عداواتهم - سُمّاً يُخاض عليه الصّابُ والسّلَعُ(١)
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهُمْ إذا تقرّقتِ الأهواءُ والشّيَعُ
أهْدى لهُم مدحي قلبٌ يؤازرُهُ فيما أراد لسانٌ حائكٌ صنعُ
فإنّهم أفضل الأحياء كلّهُم إنْ جدَّ بالناس جِدُّ القولِ أو سمعوا(٢)

فقام عُطارد بن حاجب فقال:

أتيناك كيما يعلم الناسُ فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنّا فُروعُ الناس في كلّ موطنٍ وأنّ ليس في أرض الحجاز كدارم

فقام حسّان بن ثابت فقال:

منعْنا رسول الله من غضبٍ له على أنْفِ راضٍ من معدٍّ وراغم
هلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنّدى وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائم(٣)

قال: فقال الأقرع بن حابس: والله إنّ هذا الرجلَ لَمُؤتّى له! والله لشاعره أشعرُ من شاعرنا، ولخطيبُه أخطبُ (من خطيبنا)، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا! أعطني يا محمد فأعطاه فقال: زِدْني فزاده، فقال: اللّهمّ إنّه سيد العرب. فنزلتْ فيهم: (إنّ الذين يُنادونك منْ وراء الحُجراتِ أكْثرُهُم لا يعْقِلُون). ثم إنّ القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيِّ (ص) يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله(ص) وكساهم، وقال: «أما بقي منكم أحدٌ؟» ، وكان عمرو بن الأهْتم في ركابهم، فقال: قيس بن عاصم، وهو من رهْطِهِ وكان مُشاحناً له، : لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلامٌ حديثُ السنّ في ركابنا؛ فأعطاه رسول الله (ص) مثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عمراً ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

ظَلَلْتَ مُفْتَرشَ الهلباء تشْتُمني عند الرسول فلم تصْدُقْ ولم تُصِبِ
إنْ تُبْغضونا فإنّ الرُّومَ أصلُكُمُ والرومُ لا تملك البغضاء للعربِ
فإنّ سُؤْدُدنا عوْدٌ وسُؤدَدكم مؤخّرٌ عند أصل العجبِ والذّنَبِ

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتُم أعْبُداً دارُكُم الحيرةُ والسيلَحُونْ(٤) (١٤٧/٤)

---

(١) الصابّ والسّلع: ضربان من الشجر مرّان.
(٢) شمعوا: مزحوا. (٣) العَوْد: القديم.
(٤) السّيْلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

(٢١)

وروى العبّاس بن ميمون طائع عن ابن عائشة قال حدّثني أبي قال: لما أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر، حضر الحُطيئة فاستأذن على عثمان وعنده بنو أميّة متوافرون، فطمعوا أن يأتي الوليد بعذر، فقال:

شهد الحُطيئة يوم يلقى ربُّه ... أنَّ الوليد أحقُّ بالعذرِ
خلعوا عنانك إذ جريتَ ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري
ورأوْا شمائل ماجدٍ أنفٍ ... يُعطي على الميسور والعُسر
فنُزعت مكنوباً عليك ولم ... تنزع إلى طمع ولا فقر

قال: فسُرُّوا بذلك وظنُّوا أن قد قام بعذره؛ فقال رجل من بني عِجْل يردُّ على الحُطيئة:

نادى وقد تمّتْ صلاتُهُم ... أأزيدكم - ثملاً - وما يدْري
فأبوْا أبا وهْبٍ ولو فعلوا ... وصلتْ صلاتُهُم إلى العشْر

فوجم القومُ وأطرقوا، فأمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدَّ(١) (١٢٧/٥)

(٢٢)

قال: وقد كان عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليد بن عُقْبة صدقات بني تغْلب، فبلغه عنه بيتٌ قاله وهو:

إذا ما شددْتُ الرأسَ منّي بمشْوذٍ ... ففيكُ منّي تغْلب بنةَ وائلِ(٢)

فعزله(٣). (١٣٦/٥)

(٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن القاسم الغنويّ وكان علاّمةً بأمر الأعشى: إنه وفد إلى النبيِّ (ص) وقد مدحه

---

(١) نقل الشعر الواقعة، ووصفها فكان سبباً في إقامة الحدّ، وكم حفظ الشعر من حوادث، سنرى كثيراً منها في النصوص المقبلة.

(٢) المشوذ: العمامة، وغيّك منّي: أي غيّاً لك ما أطوله منّي.

(٣) ينسجم هذا العزل مع تقوى عمر رضي الله عنه وعدالته، كما يتّفق مع النمط الشعري الذي يتوخّاه، ويتطلبه من الشعراء في ظلّ مفاهيم الإسلام.

بقصيدته التي أولها:

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرْمدا وعادك ما عاد السَّليم المُسهّدا(١)

وماذاك من عشق النساء وإنما تناسيتَ قبل اليوم خُلَّة مهْددا(٢)

وفيها يقول لناقته:

فـآليتُ لا أرْثي لهـا مـن كـلالةٍ ولا من حـفاً حـتى تزُورَ محـمـدا

نبيٌّ يرى مـا لا تـرونَ وذكـره أغـار لعـمْري في البـلاد وأنْجـدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ تُراحـي وتلْقى مـن فواضلـه يدا

فبلغ خبرُه قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا: هذا صنُاجةُ العرب، ما مدح أحداً قطُّ إلاَّ رفع في قدره: فلما ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بصير؟ قال: أردتُ صاحبكم هذا لأسلم. قالوا: إنَّه ينهاك عن خِلال ويحرِّمها عليك، وكلُّها بكَ رافق ولك موافق. قال: وما هنَّ؟ فقال أبو سفيان بنُ حرْب: الزِّنا. قال: لقد تركني الزِّنا وما تركته؛ ثم ماذا؟ قال: القمار. قال: لعلِّي إن لقيتُه أن أصيبَ منه عوَضًا من القمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الرِّبا. قال: ما دِنْتُ ولا ادَّنْتُ؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوْهْ! أرْجِع إلى صُبابةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس(٣) فاشربُها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خلفاً، وإن ظهر علينا أتيته. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتَّبعه ليُضرمنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل. ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة(٤) رمى به بعيرُه فقتله. (١٢٥/٩)

(٢٤)

قال الأصمعي: وقال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدْحِ زُهيْر أباك، فأنشده فقال عمر: إن كان ليُحْسِن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنَّا لنُحْسِن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم(٥). (٣٠٤/١٠)

---

(١) السليم: الملدوغ. (٢) مهدد: معشوقة الأعشى.

(٣) المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

(٤) منفوحة: قرية مشهورة من نواحي اليمامة.

(٥) يأبى عمر رضي الله عنه إلاّ أن يؤكد أهمية الشعر، وتفوّقه على الأعراض الزائلة، فلقد ذهبت هذه =

الأعراض، وبقي الشعر مخلّداً مَنْ ذكر. وليس هذا بغريب على ناقد، مرهف الحسّ مثل عمر الذي وصفُ بأنّه «أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة» العمدة، (٣٣/١). وسنرى لهذا الموقف نظائر كثيرة فيما سيأتي.

(٢٥)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال عمر لابن زُهير: ما فعلت الحُلَلُ التي كساها هرمٌ أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكنَّ الحلَلَ التي كساها أبوك هرماً لم يُبْلها الدهر. وقد ذكر الهيثمُ بنُ عديّ أن عائشة خاطبتْ بهذه المقالة بعض بناتِ زُهيرْ. (٣٠٥/١٠)

(٢٦)

قال محمد بن حبيب: أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه، فأخبره أنَّ العدَّةَ قد تمت، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها، وأوّلها:

هل تعرف الدار من عامين أو عامِ ... دار لهند بِجزْع الحرج فالدام

وفيها يقول:

وجحفلٍ كسواد الليلِ منتجعٍ ... أرضَ العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ(١)

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ... ومن تميم ومن حاءٍ ومن حامِ

ـ حاء من مذحج، وحام من خثعم ـ

وما رضيتَ لهم حتى رفدتهم ... من وائل رهط بسطامٍ بأصرامِ(٢)

فيه الرماح وفيه كلُّ سابغة ... جدلاء مُحْكمةٍ من نسجِ سلاَّمِ(٣)

وكلُّ أجردَ كالسِّرحان أضمره ... مسحُ الأكُفِّ وسقى بعد إطعامِ(٤)

مستحقباتٍ رواياها جحافلُها ... يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ

---

(١) بَوْس: يقول ياقوت، (٥٠٨/١)، إنّها قرية بصنعاء اليمن، وفي الديوان، ص ١٢٧، ببُوسي بعد إنعام، أي يريد أن يغزوهم ليبدّل نعمتهم ببوس.

(٢) بسطام: هو بسطام بن قيس الشيباني. وأصرام: جماعات.

(٣) سابغة: دروع، وجدلاء: لطيفة مجدولة، ومبهمة: لا تسبين فيها أطراف حلَقها، و سلاّم: أراد سليمانَ بن داوود عليهما السلام، والعرب قد تحرّف الاسم عن جهته وينقصون بعض حروفه، وجعله القاضي الجرجاني في وساطته بين المتنبّي وخصومه، ص١٤، من أغاليط الشعراء.

(٤) الأجرد: قصير الشَّعَر، والسرحان: الذئب، وسقي: يعني اللبن.

لا يزْجُرُ الطَّيرَ إن مرَّت به سَنُحاً ولا يُفيـــضُ على قـــدْحٍ بأزلام

وقال المدائني: لما مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى - وقد كان كتب من أراد وكملت العدَّةُ - فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب يلومُه، فكتب إليه: إني اشتريت منه عرضي، فكتب إليه: أحسنت. (١٣٩/١٢)

(٢٧)

فأمَّا البيت الذي ذكرتُ من شعره أنَّ فيه لعريبَ صنعةً وهو:

أضاءَتْ لهم أحسابُهمْ ووُجوهُهمْ

فإنه من قصيدة لأبي الطمحان القيني مدح بها بُجير بن أوْس بن حارثة بن لأم الطائيَّ، وكان أسيراً في يده، فلما مدحه بهذه القصيدة أطلقه وجزَّ ناصيته، فمدحه بعد هذا بعدَّة قصائد. وأوَّل هذه الأبيات:

إذا قيل أيُّ الناس خيرٌ قبيلةً وأصبرُ يومـــاً لا توارى كواكبُهْ(١)
فإنَّ بني لأم بن عمْرٍو أرُومـــةٌ علَتْ فوقَ صعبٍ لا تُنالُ مراقبهْ(٢)
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهُمْ دُجى الليل حتى نظَّم الجزع ثاقبهْ(٣)
لهم مجْلسٌ لا يحْصَرون عن النَّدى إذا مطْلبُ المعـروف أجْـدبَ راكبه (٩/١٣)

(٢٨)

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباري قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن المدائنيُّ قال: حدَّثنا (أبو) أميةَ بن عمرو بن هشام الحرانيُّ قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد بن سنان قال: حدَّثني جدِّي سنانُ بن يزيد قال: كنت مع مولاي جرير بن سهْمٍ التميمي وهو يسير أمام عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ويقول:

يا فرسي سيري وأمِّي الشاما وخلِّفي الأخـــوالَ والأعماما(٤)
وقطِّعي الأجْـوازَ والأعـلامـــا وقـاتلي من خـالف الإمـامـا(٥)

---

(١) قبيلة منصوبة على التمييز، وكذلك يوماً، ويعني به الوقعات والحروب، وقوله: لا تُوارى أي لا تتوارى أي لا تستر.

(٢) والأرومة: الأصل، والمراقب: جميع مرقبة، وهي المنظرة في رأس جبل أو حصن.

(٣) الجَزع: الخرز. (٤) أمِّي: اقصدي.

(٥) الأجواز جمع جوز وهي الجهات، والأعلام: الجبال

إني لأرجـو إن لقـينا العـامـا جـمْعَ بني أميّةَ الطُغـامـا
أنْ نَقْتُلَ العـاصي والهُمـامـا وأن نُزيلَ من رجـالٍ هامـا

فلما انتهى إلى مدائن كِسرى وقف عليٌّ عليه السلام ووقفنا، فتمثّل مولاي قول الأسودِ بن يعْفُر:

جـرتِ الرِّياحُ على مكانِ ديارهـم فكأنّمـا كـانوا على مـيـعـاد

فقال له عليٌّ عليه السلام: فلمَ لمْ تَقُلْ كما قال الله جلّ وعزّ: «كمْ تركُوا منْ جناتٍ وعُيُون. وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك أورثناها قوماً آخرين). ثم قال: يابن أخي إن هؤلاء كفروا النعمة، فحلّت بهم النِّقْمةُ، فإياكم وكُفْرَ النِّعمةِ فتحلَّ بكم النقمةُ. (١٨/١٣)

(٢٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دريد. قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به هاشم بن محمد الخزاعي عن أبي غسان دماذ، عن ابن الأعرابي قال: هاجر شيبانُ بن المخبل السعدي، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبَّل جزعاً شديداً، وكان قد أسنَّ وضعُف، فافتقرَ إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلَب على عقله، فعمد إلى إبله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنيناً، فمنعه علقمة بنُ هوذة بن مالك، وأعطاه مالا وفرساً، وقال: أنا أكلم أمير المؤمنين عمر في ردّ ابنك، فإن فعل غنمتَ مالك، وأقمتَ في قومك، وإن أبي استبقيت ما أعطيتُك ولحقت به، وخلُفْتَ إبلك لعيالك، ثم مضى إلى عمر ـ رضوان الله عليه ـ فأخبره خبر المخبَّل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيُهلكني شـيـبـانُ في كلِّ ليلـة لقلبيَ من خـوف الفـراق وجـيـب(١)
أشـيـبـانُ مـا أدراك أنْ كلُّ ليلـة غـبـقـتُك فـيـهـا والغَبوقُ حـبـيبُ(٢)
غبقتُك عظماها سناماً أو انبرى برزقـك برّاق المتـون أريـب(٣)
أشيبان إن تأبى الجيوش بحدّهم يقـاسـون أيامـاً لهنَّ خطـوب(٤)
ولا هـمَّ إلا البـزُّ أو كـلُّ سـابح عليه فتىً شاكي السلاح نجيب(٥)

(١) الوجيب: الخفقان. (٢) الغبوق: الشرب في العشي.
(٣) برّاق المتون: أراد به السيف، والأريب: المغتال.
(٤) حدّهم: سيفهم. (٥) البزّ: السلاح، والسابح: هو الفرس الذي يسبح في جريه.

يذودون جُند الهرمُزان كأنّما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب(١)
فإن يكُ غصني أصبح اليوم ذاوياً ... وغصنُك من ماء الشباب رطيبُ
فإنّي حنَتْ ظهري خطوبٌ تتابعت ... فمشيي ضعيفٌ في الرجال دبيبُ
إذا قال صحبي يا ربيعُ ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبانُ أن لن يعقّني ... تعُقُّ إذا فارقتني وتحوب(٢)
فلا تُدْخِلنَّ الدهر قبرك حوبةً ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

- يعني بقوله «حسيب» الله عزّ ذكره -

قال: فلما أنشد عمر بن الخطاب هذه الأبيات بكى ورق له، فكتب إلى سعد يأمره أن يُقْفل شيبان بن المخبل ويردّه على أبيه، فلما ورد الكتابُ عليه أعلم شيبانَ وردّه فسأله الإغضاء عنه، وقال: لا تحرمنّي الجهاد. فقال له: إنّها عزمةٌ من عمر، ولا خيرَ لك في عصيانه وعقوق شيخك، فانصرف إليه، ولم يزل عنده حتى مات. (١٨٩/١٣)

(٣٠)

فأخبرني أحمدُ بنُ محمّد بن الجعد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال: حدّثنا محمد بنُ فُليح عن موسى بن عقبة، عن ابنِ شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غيْلان الثّقفيّ قال: حدّثنا داود بن عمرو الضّبيّ قال: حدّثنا محمد بن راشد عن ابن اسحاق، وحدّثنيه محمد بنُ جرير قال: حدّثنا محمد بنُ حُميد قال: حدّثنا سلمة عن ابن اسحاق - وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض - أن رسول الله (ص) قسّم غنائم هوازن، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزل القسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزوى كثيراً من القسْم عن أصحابه، فأعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضّل فيها عيينة والأقرع على العبّاس، فجاءه العباس فأنشده:

وكانت نهاباً تلافيتُها ... بكرّي على المهْر في الأجرعِ(٣)
وإيقاظي الحيّ أن يرقُدوا ... إذا هجع القومُ لم أهجع
فأصبح نهبي ونَهْبُ العبيـ ... ـدِ بين عُيينة والأقرعِ(٤)

---

(١) الهرمزان: الكبير من ملوك العجم. وتلوب: تحوم. (٢) تحوب: تائم.
(٣) النهاب: الغنائم. (٤) العبيد: اسم فرسه.

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرإٍ فلم أعطَ شيئاً ولم أمنعِ(١)
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليومَ لا يُرفع(٢)

فبلغ قوله رسول الله(ص)، فدعاه فقال له: أنت القائل: «أصبْحَ نهبي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال: فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه، فقال: هما سواء، لا يضرّك بأيّهما بدأت: بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله(ص): اقطعوا عنّي لسانه، وأمر بأن يُعطوه من الشاء والنّعم ما يرضيه ليُمسك، فأعطي. (٣٠٧/١٤)

(٣١)

.. أنّ معاويةَ لما ولي بعثَ إلى جبلة بن الأيهم فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها، فأبى ولم يقبل، ثم إنّ عمر رضي الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز وإلى الإسلام، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جثامة بنُ مساحِق الكناني، فلما انتهى إليه الرجلُ بكتاب عمر أجاب إلى كلّ شيءٍ سوى الإسلام، فلما أراد الرسولُ الانصراف قال له هرقل: هل رأيت ابن عمّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا؟ قال: لا. قال: فالقه. قال الرجل: فتوجهتُ إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسُّرور مالم أرَ ببابِ هرقلَ مثله، فلما أدخلت عليه إذا هو في بهوٍ عظيم، وفيه من التصاوير مالا أحسن وصفه، وإذا هو جالس على سريرٍ من قوارير، قوائمه أربعةُ أسدٍ من ذهب، وإذا هو رجلٌ أصهبُ سبالٍ وعُثنون، وقد أمر بمجلسه فاستُقبل به وجه الشمس، فما بين يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح، فما رأيتُ أحسنَ منه. فلمّا سلمتُ ردّ السلام ورحّب بي، وألطفني ولامني على تركي النزول عنده، .. ثم قال للجواري: أطربْنني. فخفقن بعيدانهنّ يغنين:

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم يوماً بجلّق في الزمان الأوّلِ(٣)
بيض الوجوه كريمةٍ أحسابُهم شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوّل
يُغشَون حتّى ما تهرُّ كلابُهم لا يسألون عن السُّواد المقبل

---

(١) ذا تدرأ: أي ذا عزّ ومنعة.

(٢) تضع: تخفض.

(٣) عصابة: جماع، وجلّق: اسم لكورة الغوطة كلّها، وقيل: بل هي دمشق نفسها، ياقوت، (١٥٤/٢).

فاستهلّ واستبشر وطرب ثم قال: زِدنني. فاندفعن يغنين:

لمن الـــدارُ أقـفَـرتْ بمعـــانِ ... بين شاطي اليرموك فالصمَّان(١)
فحِمى جاسم فأبنية الصُّفْـ ... ـر مغنى قنابلٍ وهجـــان(٢)
فالقُريات من بلاس فداريًا ... فسكاءَ فالقصور الدواني(٣)
ذاك مغنى لآل جفنة في الدْ ... ارِ وحقٌّ تعاقُب الأزمان
قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ ... ـن سِراعاً أكلةَ المرْجان(٤)
لم يُعلِّلنَ بالمغافير والصمْـ ... ـغ ولا نقف حنظل الشُّريان(٥)
قد أراني هناكَ حقّاً مكيناً ... عند ذي التاج مقعدي ومكاني

فقال: أتعرف هذه المنازل؟ قلت: لا. قال: هذه منازلُنا في مُلكنا بأكناف دمشق، وهذا شعر ابنِ القُريعة حسانَ بن ثابت، شاعر رسول الله (ص). قلت: أما إنّه مضرورُ البصر كبير السنّ. قال: يا جاريةُ هاتي. فأتته بخمسمائة دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج، فقال: ادفعْ هذا إلى حسان وأقرئه منّي السلام. (١٦٤/١٥)

(٣٢)

أخبرني عمي قال حدّثنا الكراني قال حدّثني العمريُّ قال: حدّثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال: لم يسمع من لبيدٍ فخره في الإسلام غيرَ يومٍ واحد، فإنّه كان في رحبة غنيٍّ مستلقياً على ظهره قد سجّى نفسه بثوبه، إذ أقبل شابٌّ من غنيّ فقال: قبحَ الله طُفيلاً حيث يقول:

جزى الله عنّا جعفراً حيثُ أشرفَتْ ... بنا نعلنا في الواطئين فزلّت
أبَوْا أن يملُّونا ولو أن أمّنا ... تلاقي الذي يلقَوْن منّا لملّت
فذو المال موفورٌ وكل مُعصَّبٍ ... إلى حُجرات أدفأت وأظلّت(٦)

---

(١) معان: مدينة بطرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. الصمّان: من نواحي الشام بظاهر البلقاء.

(٢) جاسم: اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، والقنابل: جمع قنبل وقَنبلة: الطائفة من الناس والخيل، والهجان من الناس: الخالص الكريم، ومن الإبل البيض الكرام.

(٣) بلاس، وداريًا، وسكاء من قرى دمشق، ذكرها ياقوت جميعاً ينظر معجم البلدان (٤٧٦/١)، (٤٣١/٢)، (٢٢٩/٣).

(٤) الفصح: من أعياد النصارى واليهود. (٥) الشريان: موضع.

(٦) المعصَّب: مَنْ يعصب بطنه بالخرق من الجوع.

وقـــالت هلُمُّوا الدار حـــتّى تبـــيْنُوا وتنجلـيَ الغـمُّـــاءُ عـمَّا تجلّت

ليت شعري ما الذي رأي من بني جعفرٍ حيثُ يقول هذا فيهم؟ قال: فكشف لبيدٌ الثَّوبَ عن وجهه وقال: يا ابن أخي، إنَّك أدركتَ الناس وقد جُعِلت لهم شُرطةٌ يزعون(١) بعضهم عن بعض، ودارُ رزقٍ تخْرجُ الخادمُ بجرابها فتأتي برزق أهلها، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتهم، ولو أدركت طفيلاً يوم يقول هذا لم تلُمْه. ثم استلقى وهو يقول: أستغفر الله، فلم يزل يقول: أستغفر الله؛ حتى قام. (٣٦٧/١٥)

(٣٣)

أخبرني أحمد قال: أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن عباد بن حبيب المهلّبي قال: حدّثنا نصر بن دأب عن داود بن أبي هند عن الشعبيّ قال: كتبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة: أن استنشد من قبلك من شُعراء مِصرك ما قالوا في الإسلام. فأرسل إلى الأغلب الراجز العِجْلي، فقال له: أنشدني، فقال:

أرجزاً تريدُ أم قصيداً لقد طلبتَ هيِّناً موجوداً

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال: أنشِدْني. فقال: إنْ شئت ما عُفِيَ عنه ـ يعني الجاهلية ـ فقال: لا، أنشدني ما قلتَ في الإسلام، فانطلق فكتب سُورة البقرة في صحيفةٍ ثم أتى بها وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكانَ الشعر. فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة، فكتب الأغلب: يا أمير المؤمنين أتنقُص عطائي أن أطعتُك؟! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيدٍ على ألفين وخمسمائة.

قال أبو زيد: وأراد معاويةُ أن ينقُصه من عطائه لمّا ولي الخلافة، وقال: هذان الفودان ـ يعني الألفين ـ فما بال العِلاوة؟ يعني الخمسمائة، فقال له لبيد: إنما أنا هامةُ اليوم أو غد، فأعِرني اسمها، فلعلّي لا أقبضها أبداً فتبقى لك العلاوة والفودان. فرقَّ له وترك عطاءه على حاله، فمات ولم يقبضْه. (٣٦٩/١٥)

(٣٤)

.. وقد روى بشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عنه قال: حدّثني أحمد بن الجعد قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال: حدّثنا عتّاب بن سلمة

---

(١) يزعون: يمنعون.

عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال: كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه: أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله (ص) قال: «والذي نفسي بيده، لكأنما تنضحونهم بالنُّبل بما تقولون لهم من الشعر»(١). (٢٢٧/١٦)

(٣٥)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: كان كعب بن مالك الأنصاريّ أحد من عاون عثمان على المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يُغْمدوا سيوفهم انصرف، ولم ير أن الأمر يخلص إليه، ولا يجْري القوم إلى قتله؛ فلما قُتل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، في مسجد رسول الله (ص)، فأنشدهم:

مَنْ مُبلِغُ الأنصارِ عنّي آيةً ... رُسُلا تقُصُّ عليهمُ التِّبيانا
أن قد فعلْتم فعْلة مذكورة ... كَسَت الفُضُوح وأبدتِ الشُّنآنا(٢)
بقعودكم في دوركم وأميركم ... تُحْشى ضواحي داره النيرانا
حتى إذا خلصوا إلى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يُعلُون قلّته السيوفَ وأنتمُ ... متلبِّثون مكانكم رِضوانا(٣)
الله يعلم أنني لم أرضه ... لكُمُ صنيعاً يوم ذاك وشانا
يا لهْفَ نفسي إذ يقول: ألا أرى ... نفرا من الأنصار لي أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابتٌ ... ومعاشر كانوا له إخوانا(٤)
وأبو دُجانة وابنُ أرقمَ ثابتٌ ... وأخو المشاهد من بني عجْلانا(٥)
ورفاعة العُمريُّ وابنُ مُعاذهم ... وأخو مُعاويَ لم يخف خذلانا(٦)
قومٌ يرون الحق نصر أميرهم ... ويرون طاعة أمره إيمانا
إن يُتْركوا فوْضى يرَوْا في دينهم ... أمْراً يُضيِّق عنهمُ البُلْدانا

---

(١) هذا تأكيد لما سبق من اهتمام الرسول (ص) بالشعر، وخاصة ذلك الشعر الذي هُجي به الكفّار، ودافع به الشعراء المسلمون عن بيضة الإسلام، وحرمة رسول الله.

(٢) الشنآن: البغضاء. (٣) رضوانا: راضين بما يصنعون.

(٤) ابن قيس هو ثابت بن قيس بن شمّاس.

(٥) أبو دجانة: هو سماك بن خرشة، وابن أرقم: هو ثابت البلوي، وأخو المشاهد: هو معن بن عدي.

(٦) رفاعة: هو ابن عبد المنذر العمري، وابن معاذ: هو سعد بن معاذ، وأخو معاوية: هو المنذر بن عمرو الساعدي.

فليُعْلِينَّ اللـــه كـــعبَ وليـــه ولـيـــجـــعلنَّ عـــدُوَّه الذُّلَّانا
إني رأيت مـحـمـداً إخـتـاره صِهـرا وكـــان يعُدُّه خِلّصـــانا(١)
مـحْضَ الضرائب ماجدا أعراقُهُ من خيرِ خِندفَ منصباً ومكانا
عـــرفَتْ له علّيـــا مَعَدٌّ كلُّهـــا بعـــد النبيُّ الملكَ والسلطانا
من مـعْشـر لا يغـدرون بجـارهم كـانوا بمكـة يرْتعـون زمـانا
يُعْطون سـائلهم ويأمنُ جـارهـم فـيـهم ويُرْدون الكُمـاة طِعـانا
فـلو انكم مع نصـركم لنبـيكـم يوم اللقـاء نصـرتُمُ عـثـمـانا!
أنسـيـتُم عـهـد النبيّ إليكُمُ ولقـد ألظَّ ووكـدُ الأيمـــانا(٢)

قال: فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عزوجل(٣). (٢٢٨/١٦)

(٣٦)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا عبد الله بن بكر السُّهميّ قال: حدّثني حاتم بن أبي صغيرة قال: حدثنا سماك بن حرب قال: أتى رسول الله (ص) فقيل: إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة، فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. فقال له: أنت الذي تقول: فثبّت الله؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

فثبت الله ما أعطاك من حسنٍ تثبيت مُوسى، ونصْرا كالذي نصرا

فقال: وأنت فعل الله بك مثل ذلك. قال: فوثب كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت الذي تقول: همّت؟ قال: نعم يا رسول الله، أنا الذي أقول:

همت سخينةُ أنْ تغالبَ ربَّها وليُغْلَبنَّ مُغـالبُ الغـلاَّب(٤)

فقال: أما إن الله لم ينس لك ذلك(٥). (٢٣١/١٦)

---

(١) الخلصان: الصديق الخالص. (٢) وألظَّ: ألحَّ.

(٣) أثار الشعر شجوناً قديمة وردّ الأنصار إلى فترة عصيبة مرّت بهم، بالإضافة إلى الصدق، والحرارة اللتين جلّلتا هذا الشعر، ولذلك نراه يستثير ذكرياتهم الحزينة، ويجعل العيون تهمى دمعاً غزيراً.

(٤) سخينة: طعام من دقيق وسمن أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء، وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرتْ بها، حتى سُمّوا سخينة.

(٥) أضاف الرسول بُعداً جديداً لذلك الشعر الذي قاله الشعراء وهم يدافعون عن الإسلام، فقد حُسب مع أعمالهم، وجعله الحقّ سبحانه أجراً لهم لا ينساه، وحاشاه من النسيان: فما أوسعها من آماد فتحها الرسول للشعراء لكي يقولوا، ويبدعوا.

(٣٧)

قال أبو زيد: وحدّثني سعيد بن عامر قال: حدثنا أبو عون عن ابن سيرين قال: وقف رسول الله (ص) بباب كعب ابن مالك، فخرج فقال له رسول الله(ص): إيه، فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده، ثم قال: إيه فأنشده (ثلاث مرات). فقال رسول الله(ص): لهذا أشدُّ عليهم من مواقع النَّبْل. (٢٣٣/١٦)

(٣٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال: حدثنا المدائني، عن أبي بكر الهذليّ قال:

لما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له: يا أمير المؤمنين، اكتب لي كتاباً إلى علقمة بن عُلاثة، لأقصدَه به، فقد منعتني التكسب بشعري. فقال: لا أفعل. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه. فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمة قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله:

لعمري لنعم المرءُ من آل جعفرٍ ... بحورانَ أمسى أعلقَتْه الحبائلُ

فإن تحى لا أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتُك سالما ... وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائلُ

فقال له ابنه: يا حطيئة، كم ظننت أن علقمة يعطيك؟ قال: مئة ناقة . قال: فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها. فأعطاه إياها. (٢٩٥/١٦)

(٣٩)

حدّثني عليُّ بن محمد، قال: حدثني إسماعيل بن عليّ، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد الأسديّ، قال:

سمعتُ أبي يقول: رأيتُ رسولَ الله (ص) في المنام، فقال: مِنْ أيِّ الناسِ أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمِنْ أيِّ العرب؟ قلت: من بني أسد، قال: من أسد بن خزيمة؟ قلت: نعم، قال لي: أهلاليٌّ أنتَ؟ قلتُ: نعم. قال: أتعرفُ الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله، عمّي ومِنْ قبيلتي، قال: أتحفظُ مِن شعره شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أنشدني: طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ

قال: فأنشدته حتى بلغت إلى قوله:

فمالي إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالِيَ إلاَّ مشْعبَ الحقِّ مشْعَبُ

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام، وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة (٢٦/١٧)

(٤٠)

حدّثني عليُّ بن محمد بن عليٍّ إمام مسجد الكوفة، قال: أخبرنا إسماعيل بن عليّ الخُزاعي - ابن أخي دعبل - قال: حدّثني عمّي دعْبل بن علي قال: رأيتُ النبيَّ (ص) في النوم، فقال لي: مالك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله، وما بيني وبينه إلاَّ كما بين الشعراء، فقال: لا تفعل، أليس هو القائل:

فلا زلتُ فيهم حيثُ يتّهمونني ولا زِلتُ في أشْياعهم أتقلَّبُ

فإنَّ الله قد غفر له بهذا البيت. قال: فانتهيتُ عن الكميت بعدها. (٢٦/١٧)

(٤١)

وجدْتُ في كتاب بخطّ المُرْهبيّ الكوفيّ: حدثني سليمان بن الربيع بن هشام النهديّ الخراز، قال: حدّثني نصْر بن مُزاحم المِنقريّ، أنّه رأى النبيَّ (ص) في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده:

من لِقلْب مُتيَّم مُسْتهام

قال: فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا الكميْتُ بن زيْد الأسديّ، قال: فجعل النبيُّ (ص) يقول له: جزاك الله خيراً! وأثنى عليه. (٢٧/١٧)

(٤٢)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني إبراهيم بن المنذر الحزاميّ، قال: حدّثني الحجاج بن ذي الرُّقيْبة بن عبد الرحمن بن مُضرّب بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، عن أبيه، عن جدّه قال: خرج كعْب وبجُير ابْنا زهير بن أبي سلْمى إلى رسول الله (ص) حتى بلغنا أبرق العزّاف(١)، فقال كعب لبُجيْر: الحقِ الرجل، وأنا مقيم ها هنا، فانظُرْ ما يقولُ لك. فقدم بُجير على رسول الله (ص)، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً، فقال:

ألا أبْلغا عنّي بُجيْراً رسالةً على أيِّ شيء ويْب غيْرك دلّكا(٢)

---

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد. (٢) ويب: مثل ويح وويل.

على خُلق لم تُلْفِ أمًّا ولا أباً عليه ولم تُدْرِك عليه أخاً لكا
سقاكَ أبو بكر بكأسٍ رويَّة فأنهلك المأمونُ منها وعلَّكا

ويروى «المأمور»، قال: فبلغت أبياته هذه رسول الله (ص) فأهدر دمه، وقال: مَنْ لقي منكم كعْب بن زهير فليقْتُله.

فكتب إليه أخوه بُجيْر يخبره، وقال له: انجه(١) وما أراك بمُقْلِعٍ وكتب إليه بعد ذلك يأمُره أنْ يُسْلم ويُقْبِل إلى رسول الله (ص) ويقول له: إنَّ مَنْ شهد أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسوله قبل (ص) منه، وأسقط ما كان قبل ذلك. فأسلم كعب، وقال القصيدة التي اعتذر فيها إلى رسول الله(ص):

بانتْ سُعادُ فقلْبي اليومَ متْبُولُ مُتَيَّمٌ عِنْدها لم يجْزَ مكْبولُ

قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله (ص)، وكان مجلسه من أصحابه به مكانَ المائدة من القوم حلْقة ثم حلْقة ثم حلْقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يُحدِّثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطّى حتى جلس إلى رسول الله (ص)، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومَنْ أنْتَ؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنْتَ الذي يقول ..كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله:

سقاكَ أبو بكْرٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فقال رسول الله (ص): مأمون والله. ثم أنشده ـ يعني كعباً ـ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متْبُول(٢) . (٨٦/١٧)

(٤٣)

أخبرني بذلك حرميّ، عن الزبير، عن وهْب بن جرير ، عن جُويرية بن أسماء، عن عبد الوهاب بن يحيى، عن عباد بن عبْد الله بن الزبير، عن شيخ من قريش، قال: إني وفتية من قريش عند قينةٍ من قيان المدينة، ومعنا عبدُ الرحمن بن حسّان بن ثابت إذ استأذن حسّان، فكرِهْنا دخوله،

---

(١) انجه: أي انج، زيدت هاء السكْت في آخره.

(٢) هذا النصّ يؤكد ما ذكرناه سابقاً عن اهتمام الرسول بالشعر، ولكن من وجهة أخرى، فلولا الاهتمام لما أهدر الرسول دمه، إذ إنَّه تجاوز القدر المسموح به، وبدأ يذكّر أخاه بدينه القديم، ويعرّض برجال الدين الجديد، ولكنّ العفو كان الخاتمة.

وشقَّ ذلك علينا؛ فقال لنا عبد الرحمن: أيسرُّكُم ألا يجلس؟ قلنا: نعم. قال: فمروها إذ نظرت إليه أن ترفع عقيرتها وتغنّي:

أولادُ جفْنةَ عند قبْرِ أبيهمُ ... قبْرِ ابْنِ مارية الكريم المُفضلِ
يُغشَوْن حتى ما تهرُّ كلابُهم ... لا يسألون عن السَّواد المقبلِ

قال: فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سقطتْ نفْسُه ثم قال: أفيكم الفاسق! لعمْري لقد كرهتم مجلسي سائر اليوم، وقام فانصرف، والله تعالى أعلم. (١٧/١٧٢)

(٤٤)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لقيْني إياس بن الحطيئة، فقال لي: يا أبا عثمان، مات أبي، وفي كِسْر بيته عشرون ألفاً أعطاه إياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله(١) (١٧/٢٢٥)

(٤٥)

أخبرني عليُّ بنُ سُليمان الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ الحسن الأحول، عن ابنِ الأعرابيِّ، عن المُفضَّل قال:

لمّا كثُرَ شُربُ أبي مِحجن الخمْر، وأقام عُمرَ بنُ الخطّاب رضي الله عنه عليه الحدَّ مراراً وهو لا ينْتهي، نفاه إلى جزيرة في البحْر يقال لها حضوضى(٢)، وبعث معه حرسياً يقال له ابنُ جهْراء، فهرب منه على ساحل البحْر، ولحق بسعْد ابن أبي وقّاص، وقال في ذلك يذْكُر هربه من ابنِ جهراء:

الحمدُ للّهِ نجّاني وخلّصني ... من ابن جهْراء والبوصيُّ قد حُبِسا(٣)
من يجشِمِ البحْرَ والبُوصيُّ مرْكبهُ ... إلى حضوضى فبئس المرْكبُ التمسا

.. بين الصفّين، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلْب فبدر أمامَ الناس، فحمل على القوْم فلعب بين الصفّين برُمحه وسلاحه، وكان يقصفُ الناسَ ليُلتذذ قصفاً مُنكراً.؛ فعجب الناسُ منه

---

(١) هذا يشبه قولة عمر رضي الله عنه لبعض أولاد زهير، فالشعر هو الباقي، أمّا المال والمتاع فأعراض زائلة.

(٢) حضوضى: جزيرة أو جبل في البحر كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها.

(٣) البوصيّ: ضرب من السفن.

وهم لا يعرفُونه ولا يروْه بالأمس، فقال بعضُ القوم: هذا من أوائل أصحاب هشام بن عُتبة أو هشامٌ بنفْسه. وقال قوم: إن كان الخضر يشْهد الحروبَ فهو صاحبُ البلْقاء، وقال آخرون: لولا أنَّ الملائكة لا تُباشر القتال ظاهراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا؛ وجعل سعد يقول ـ وهو مشرف ينظر إليه ـ الطَّعنُ طعنُ أبي مِحْجن، والضَّبرُ(١) ضَبْر البلْقاء. ولولا محْبس أبي محجن لقلتُ: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلم يزل يُقاتل حتى انتصف الليل، فتحاجز أهلُ العسكرين وأقبل أبو مِحْجن حتى دخل القصر، ووضع عن نفسه ودابته، وأعاد رجْليه في القيد، وأنشأ يقول:

لقد عَلِمتْ ثقيفٌ غير فخر ... بأنّا نحن أكرمُهم سُيوفا
وأكثرُهم دُروعاً سابغاتٍ ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا
وأنّا رِفْدُهم في كلِّ يوم ... فإن جحدوا فَسَلْ بهُم عريفا
وليلةَ قادسٍ لم يشْعُروا بي ... ولم أكره بمخرجي الزُّحوفا
فإن أحبسْ فقد عرفوا بلائي ... وإن أطلقْ أجرِّعْهم حُتوفا

فقالت له سلْمى: يا أبا محجن؛ في أيِّ شيء حبسك هذا الرجل؟ فقال: أما والله ما حبسني بحرامٍ أكلتُه ولا شربتُه، ولكني كنتُ صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤٌ شاعِر يدبُّ الشِّعر على لساني فينفثه أحياناً فحبسني لأني قلت(٢):

إذا متُّ فادفِنِّي إلى أصل كرْمةٍ ... تُروِّي عظامي بعد موْتي عُروقُها
ولا تدْفنِّي في الفلاة فإنني ... أخافُ إذا ما متُّ ألاَّ أنُوقُها
ليُروى بخمر الحُصِّ لحمي فإنَّني ... أسير لها من بعد ما قد أسُوقُها(٣) (٦/١٩)

(٤٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن ابن شبّة، عن أبي حرب البابيِّ ـ من آل الحجاج بن باب ـ قال: حدثنا يونس بن حبيب، عن رؤية بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة، قال: كنا مع النبي(ص) في سفر وحادٍ يحْدُو:

طافَ الخيالانِ فهاجا سقما ... خيالُ لُبْنى وخيالُ تكتُما

---

(١) الضبْر: جمع القوائم والوثب.

(٢) لا ريب أنَّ المعاني التي أوردها الشاعر في شعره ممّا يخالف الإسلام صراحة، وعمر رضي الله عنه خير منْ يعلم سرعة شيوع الشعر وانتشاره. ولذلك بادر إلى معاقبة الشاعر وفق منظور إسلامي خالص.

(٣) الحُصّ: موضع بنواحي حمص ينسب إليه الخمر.

قامت تريك خشيةَ أن تصرما ساقا بخنْداةٌ وكعبا أدرما(١)

والنبي (ص) يسمع ولا ينكر. (٢٠/٣٤٧)

(٤٧)

فأما خبره مع عمر فإنَّ الحسنَ بن عليٍّ أخبرني به، قال: حدثني الحارثُ بنُ محمد قال: حدثني المدائنيّ عن أبي بكر الهُذليّ عن الزبيريّ عن عُروةَ بنِ الزبيرَ قال: هاجر كِلابُ بنُ أميةَ بنِ الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بنِ الخطاب، فأقام بها مدّة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام، فسألهما: أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لِمَن شيخان قد نشدا كلابا كتابَ اللهِ إن قبِل الكتابا
أناديه فيعرض في إباء فلا وأبي كلابٍ ما أصابا
إذا سجعتْ حمامةُ بطنِ وادٍ إلى بيْضاتها دَعَوا كلابا
أتاه مهاجران تكنفاه ففارق شيخه خِطئا وخابا
تركتَ أباك مُرعشةً يداه وأمّك ما تُسيغ لها شرابا
تُمسّح مُهره شفقاً عليه وتجنُبه أباعرها الصعابا
فإنّك قد تركت أباك شيخا يطارق أينُقا شُزُباً طِرابا(٢)
فإنك والتماسَ الأجرِ بعدي كباغي الماء يتّبع السرابا

فبلغتْ أبياته عمر، فلم يردُد كلابا وطال مقامه فأمتر أمية وخُلِط جزعاً عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله (ص) وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذلَ قد عذلْتِ بغير قدرٍ ولا تدرين عاذلَ ما ألاقي
فإمّا كنت عاذلتي فردّي كِلابا إذ توجّه للعراق
ولم أقضِ اللُّبانة من كِلابٍ غداة غدٍ وأذّن بالفراق
فتى الفتيان في عُسْرٍ ويسْرٍ شديدُ الرُّكن في يوم التلاقي
فلا والله ما باليتَ وجدي ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وإبقائي عليكَ إذا شتونا وضمُّك تحت نحري واعتناقي

---

(١) بخنداة: ممتلئة، والأدرم: المستوى.

(٢) يطارق: يطابق، وشزب: ضامرة.

فلو فلَق الفــؤاد شــديدُ وجْدٍ لهمٌ ســوادُ قلبي بانفــلاقِ
سأستعدي على الفاروق ربًّا لــه دُفِعَ الحجيجُ إلى بُساق(١)
وأدعـو الله مـجـتـهـداً عليـه ببطن الأخـشـبين إلى دُقـاق
إنِ الفــاروقُ لم يردد كــلاباً إلى شـيـخين هامُهـمـا زواق

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب بِردّ كلاب إلى المدينة(٢) (٩/٢١)

(٤٨)

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمرُ بن شبّة، قال: حدثني محمد بن عباد بنِ حبيبٍ المهلَّبيُّ، قال: حدثني نصرُ بن نابٍ عن داود بن أبي هند عن الشعبيِّ، قال: كتب عمر بنُ الخطاب إلى المغيرة بن شعبةَ وهو على الكوفة: أن استنشد مَن قبلك من شعراء قومك وما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجليّ فاستنشده فقال:

لقد سألتَ هيِّناً موجوداً أرجزاً تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لبيد فقال له: إن شئتَ مما عفا الله عنه - يعني الجاهلية - فعلتُ قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عزوجل بهذه في الإسلام مكانَ الشعر.

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمرُ من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتنقص عطائي أن أطعتك! فرد عليه خمسمائة وأقرَّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة. (٣٠/٢١)

(٤٩)

أخبرني محمدُ بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمرُ بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم قال: حدثنا عليُّ بنُ القاسم، عن الشعبيِّ قال: دخل الأغلبُ على عمر، فلما رآه قال: هِيه، أنت القائل:

---

(١) بُساق: موضع.

(٢) توافرت أمورة عدّة في تشكيل موقف عمر رضي الله عنه النهائي، وكان البكاء دليلاً على التأثر والتفاعل. ومن هذه الأمور صدق الشاعر وحديثه المباشر، والمعاني السامية التي حمّلها شعره، بالإضافة إلى ذلك، التصوير الرائع في وصف حاله بعد فراق ولده، وقد لقيت هذه الأمور كلُّها أذناً صاغية من عمر الناقد، المتذوق للشعر، فأمر بما أمر به.

أرجزاً تريد أم قصيدا؟ لقد سألتَ هيّنا موجودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعمتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن اردد عليه الخمس المائة، وأقرّ الخمسَ المائة للبيد. (٢١/٣٠)

(٥٠)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال: هاجر خِراشُ بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغزا مع المسلمين، فلوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، وشكا إليه شوقه إلى ابنه، وأنه رجل قد انقرض أهلُه، وقُتل إخوته، ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خِراش، وقد غزا وتركه، وأنشأ يقول:

ألا مـن مُبلغٌ عني خِراشـــاً وقـد يأتيك بالنبـأ البـعـيـدُ
وقـد يأتيكَ بالأخـبـار مَنْ لا تُجـهِّزُ بالجِذاء ولا تَـزيـدُ(١)
يُناديـــه ليـغـبِقـــه كليبٌ ولا يأتي، لقـد سـفُه الوليـدُ(٢)
فـردُّ إنائَه لا شـيءَ فـيـــه كـأنَّ دموعَ عـينيـه الفـريد(٣)
وأصبحَ دون غابقـه وأمسـى جبالٌ من جرارِ الشام سُود(٤)
ألا فاعلـم خِـــراشُ بـأنَّ خيـ ـرَ المهاجر بعد هجرته زهيدُ
رأيتـــكَ وابتغـــاء البِرِّدوني كمـحصـور اللَّبان ولا يصيد(٥)

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأنْ يُقْبل خراش إلى أبيه، وألا يغزوَ من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذَنَ له. (٢١/٢٢٦)

(٥١)

وحدثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أسد ظفِرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعدما أكثر من سبّهم وهجاهم وتآمروا في قتله ، فقال بعضهم: لا تقتلوه، ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونُحْسِنَ إليه فيمحو بمدحه ما سلفَ من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلاً منهم كان قد

---

(١) تزيد وتزوّد واحد، من الزاد. (٢) الكَليب: الظمأ، ويغبقه: يسقيه مساءً.
(٣) الفريد: اللؤلؤ. (٤) حرار: جمع حرّة وهي الأرض فيها حجارة سوداء.
(٥) اللبان: موضع اللبب من الصدر، والمحصور: المشدود.

عضّه بهجائه، اغتفله فضربَهُ بسيفه، فقتله وقال في ذلك:

قُتل ابنُ دارةَ بالجزيرة سبُّنا وزعمتَ أن ســـــبابنا لا يقْتُلُ

قال علي بن سليمان: وقد رُوي أن البيت المتقدم:

فلا تكثروا فيه الضّجـــاج فـإنه محا السيف ما قال ابنُ دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذي قتلَ ابنَ دارة، وهو من بني أسد، وهكذا ذكر السكريّ (٢٤٨/٢١)

(٥٢)

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ (ص)، ويُحرِّض عليه كُفّار قريش في شعره، وكان النبي(ص) قدم المدينة، وهي أخلاط، منهم المسلمون الذين تجمعُهم دعوةُ النبي (ص)، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج، فأراد النبيّ (ص) - إذ قدم - استصلاحهم كلّهم، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك، ويكون مسلماً وأخوه مشرك، وكان المشركون واليهود حين قدم النبي (ص) يؤذونه وأصحابه أشدَّ الأذى، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفو عنهم، وأنزل في شأنهم: (ولتسْمعُنَّ من الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم) الآية. وأنزل فيهم: (ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم) إلى قوله: (واصفحوا) فلما أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزع عن أذى النبيّ (ص) وأصحابه أمر النبي(ص) سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً، فيقتلوه، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير، والحارث بن أخي سعد، في خمسة رهط، فأتوه عشيّة، وهو في مجلس قومه بالعوالي، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم، وكان يُذْعَر منهم، فقال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا: جئنا لنبيعك أدراعاً نستنفِق أثمانها، فقال: والله لئن فعلتم ذلك لقد جهدتم مُذْ نزل بكم هذاالرجل، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ الناس، فجاءوا، فناداه رجل منهم، فقام ليخرج، فقالت امرأته: ماطرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحبّ، فقال: بلى إنهم قد حدّثوني حديثهم، وخرج إليهم فاعتنقهُ أبو عبس، وضربه محمد بنُ مسلمة بالسيف في خاصرته، وانحنوا عليه، حتى قتلوه، فرعبَتْ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين، وغدوا على النبيّ فقالوا: قد طرُق صاحبنا الليلة، وهو سيّد من ساداتنا، فقُتل، فذكر لهم (ص) ما كان يؤذي به في أشعاره، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً، فكتبت الصحيفة بذلك في دار الحارث، وكانت بعد النبي(ص) عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه(١) . (١٣٢/٢٢)

---

(١) ينكرّنا هذا النص بموقف الرسول من بجير، وقد تقدّم، وإصرار هذا الشاعر على الطعن في المسلمين =

(٥٣)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائني عن أبي بكر الهُذليّ وابن دأب وابن جُعدبة، قالوا: أتى عتيبةُ بن مرداس - وهو ابن فسوة - عبد الله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شُميلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلميّ، فأستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم، فيعطونه، ويخافون لسانه، فلما دخل على ابن عباس قال له: ما جاء بك إليَّ يابن فسوة؟ فقال له: وهل عنك مقصرٌ أو وراك معْدى؟ جئتك لتعينني على مروتي، وتصل قرابتي، فقال له ابن عباس: وما مروة مَنْ يعصي الرحمنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصل؟ والله لئن أعطيتك لأعينَنَّك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنَّكَ هجوت أحداً من العرب لأقطعُنَّ لسانك، فأراد الكلام، فمنعه مَنْ حضر، وحبسه يومه ذلك، ثم أخرجه عن البصرة(١).
(٢٢٨/٢٢)

(٥٤)

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: قال ابن الأعرابي:

كان عتيبة بن مرداس السُّلميّ شاعراً خبيثَ اللسان مخُوف المعرَّة في جاهليته وإسلامه، وكان يقدم على أمراء العراق وأشرافِ الناس، فيصيب منهم بشعره، فقدم على ابن عامر بن كُرَيْز - وكان جواداً - فلما استؤذن له عليه أرسل إليه: إنك والله ما تسألُ بحسب ولادين ولا منزلة، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً، وأمر به فلُكِزَ وأهينَ فقال ابنُ فسْوة:

= بشعره يجعل من هذا الشعر سلاحاً ينبغي كَسْرَ شوكته، خاصة إذا انتشر وذاع وهو شأن الشعر في ذلك الوقت.

(١) كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من نقدة الكلام، وصيارفة الشعر، وله القول المشهور: «إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب»، العمدة (٣٠/١)، وينظر الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٦٧/١)، ولهذا لم يغب عليه ما كان الشاعر يورده في شعره من بهتان، وقطع ما أمر الله به أن يوصل على حدّ قوله، ولذلك صنع به ما صنع، وهو موقف فردي يتعلّق بذلك الشاعر وحده ولا يمكن تعميمه على الجمهرة من الشعراء.

وكائن تخطَّتْ ناقتي وزميلُها إلى ابن كُريز مِنْ نُحوسٍ وأسْعُدِ(١)
وأغبرَ مسْحولِ التراب ترى له حيا ردَتْه الريحُ من كل مطْرَدِ(٢)
لعمرك إني عند باب ابنِ عامر لكالظَّبي عند الرُّمْيةِ المتردِّدِ
فلم أر يوماً مثله إذ تكشَّفتْ ضبابتُه عنِّي ولَمْ أقيَّدِ

فبلغ قولُه ابنَ عامر، فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له، وأحسن القومُ رِفْده، وقالوا: هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليسير يرضيه، فقال: رُدُّوه فرُدَّ، فقال له: إيه يا عتيبة، أردد عليَّ ما قلت، فقال: ما قلت إلا خيراً قال: هاته فقال: قلت:

أتعرفُ رسم الدار من أم معبدِ نعم فرماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ
فيالكَ من شوقٍ ويالكِ عبرةً سوابقها مثل الجُمان المبدَّدِ(٣)
وكائنْ تخطتْ ناقتي وزميلُها إلى ابن كُريز من نحوس وأسعُدِ
فتى يشتري حُسنَ الثَّناء بماله ويعلم أنَّ المرء غيرُ مخلَّدِ
إذا ما ملمّاتُ الأمور اعترينه تجلَّى الدُّجى عن كوكب متوقِّدِ

فتبسم ابن عامر وقال: لعمري ما هكذا قلت، ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضي وانصرف. (٢٣١/٢٢)

(٥٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: حدثني خالي يوسف بن الماجشُون قال: كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجند، فكتب إلى عثمان: إني قد اشتريتُ غلاماً حبشياً يقول الشعر، فكتب إليه عُثمان: «لا حاجة لي إليه، فأردده، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر منه، إن شبِعَ أن يتشبَّب بنسائهم، وإن جاع أن يهجوهم، فردُّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس. (٣٠٥/٢٢)

(٥٦)

أخبرني محمد بن خلفَ بن المرزبان قال: حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة، وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمر قوله:

---

(١) الزميل: الرِّديف على البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع، والنحوس: جمع النَّحس وهي خلاف السَّعد من النجوم، والأسعد: هي الكواكب التي يقال لكلّ واحد منها سعد، أو هي من نجوم الصيف ومنازل القمر.

(٢) مسحول: ناعم. (٣) الجمان: اللؤلؤ.

تُوسِّدُني كفّاً وتثني بمِعْصَمٍ عليَّ وتحوِي رِجلها من ورائيا

فقال عُمر: ويلك إنك مقتول. (٢٢/٣٠٥)

(٥٧)

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلاّم، قال: أتي عُثمان بن عفان بعبد بن الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر: وأرادوا أن يرغّبوه فيه، فقال: لا حاجة لي به؛ إذ الشاعرُ لا حريم له، إن شبع تشبَّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيرهُ، فلما رحل قال في طريقه:

أشوقاً ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلة فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهْرا؟
وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعني بشيء ولو أمستْ أنامِلُه صِفرا
أخوكم ومولى مالكم وحليفُكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دَهْرا

فلما بلغهم شعرُه هذا رثوا له، فاستردّوه. فكان يشببُ بنسائهم، حتى قال:

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضكم عرقٌ على متن الفِراش وطيبُ

قال: فقتلوه. (٢٢/٣٠٦)

(٥٨)

أخبرني محمد بن خلف قال: حدثنا أبو بكر العامريّ، عن علي بن المغيرة الأثرم قال: قال أبو عبيدة: الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوة من بني صُبَيْر بن يربوع، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدّة المغالبة على إبداء المحاسن. فقال سُحيم:

كأن الصُّبيريّاتِ يومَ لقيننا ظباءٌ حَنَتْ أعناقها في المكانس(١)
فكم قد شققنا من رداء مُنيَّر ومن برقع عن طفلة غيرِ ناعسِ(٢)
إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

فيقال: إنه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه، فجلس له في مكان كان إذا رعى نام فيه، فلما

---

(١) الصبيريات: الجواري البيض الحسان، والمكانس: جميع مكْنِس وهو مولج الوحش من الظباء والبقر تستكنّ فيه من الحرّ.

(٢) منيّر: له نير، أي علم الثوب.

اضطجع تنفّس الصُّعداء، ثم قال:

يا ذِكْرةَ مالكَ في الحاضرِ ... تذكُرُها وأنتَ في الصادر
من كل بيضاء لها كفل ... مثل سنام البكرة الماترِ

قال: فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً، وقال له: مالك؟ فلجلج في منطقه، فاستراب به، فأجمعَ على قتله، فلما وردَ الماء خرجت إليه صاحبتُه، فحادثته، وأخبرته بما يرادُ به، فقام يَنْفُض ثوبَه ويُعفي أثره، ويلقُط رضّاً(١) من مسكِها كان كسرها في لعبه معها، وأنشأ يقول:

أتُكتم حيبتُم على النأي تُكْتما ... تحيّةَ من أمسى بحبكِ مُغرما
وما تُكتمين إن أتيتِ دنيّةً ... ولا إن ركبنا يابنةَ القوم مَحْرما
ومثلكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمها ... إلى مجلسٍ تجرُّ بُرداً مسهّما(٢)
وماشيةٍ مشيَ القطاةِ اتّبعتُها ... من السترِ تخشى أهلها أن تكلّما
فقالتْ: صهٍ يا ويحَ غيرك إنني ... سمعت حديثاً بينهم يقطُر الدّما
فنفضتُ ثوبيها ونظّرت حولها ... ولم أخشَ هذا الليلَ أن يتصرّما
أعفّي بآثار الثيابِ مبيتها ... وألقط رَضّاً من وقوف تحطّما(٣)

قال: وغدوا به ليقتلوه، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودّةٌ ثم فسدت، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال:

فإن تضحكي مني فيا ربَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيها كالقباء المفرّج

فلما قدّم ليقتل قال:

شُدّوا وثاقَ العبد لا يُفْلِتْكُم ... إن الحياةَ من الممات قريبُ
فلقد تحدّر من جبين فتاتِكم ... عرقٌ على متْنِ الفراش وطيبُ

قال: وقُدّم فقُتل، وذكر ابن دأب أنه حُفِرَ له أخدود، وألقيَ فيه، وألقيَ عليه الحطبُ فأحرقَ. (٢٢/٣٠٧)

---

(١) الرضّ: الكِسَر، ومسكها: سوارها أو خلخالها.

(٢) مسهّم: فيه صورة السهم.

(٣) وقوف: جمع وقف، أي سوار من عاج وغيره.

العصر الأموي

(١)

أخبرني الجوهري والمهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ قال: حدّثنا ابن أبي ثابت، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفّان عن إسحاق عن المُسيَّبي والزُّبيريّ والمدائني ومحمد بن سلاّم، قالوا: قال أيُّوبُ بن سيّار، وأخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عِمْران عن أيُّوبَ بن سيّار عن عُمرَ الركاء قال: بينْا ابنُ عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافعُ بن الأزْرق وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عُمر بن أبي ربيعةَ في ثوبين مصبوغين مُوردين أو مُمصرّيْن حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابنُ عباس فقال أنشدنا فأنشده:

أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ غداة غدٍ أم رائحٌ فمُهجِّرُ

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافعُ بن الأزْرق فقال: الله يابن عباس! إنّا نضرب إليك أكبادَ الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلالِ والحرامِ فتتثاقلُ عنّا، ويأتيك غلام مُترفٌ من مُتْرفي قريش فيُنشدك:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيخْزى وأمّا بالعشيِّ فيخْسرُ

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحى وأمّا بالعشيِّ فيخْصَرُ

فقال: ما أراك إلا وقد حفِظْتَ البيتَ! قال: أجلْ! وإن شئت أن أنشدَك القصيدة أنشدتُك إيّاها. قال فإنّي أشاء؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. وفي غير رواية عمرَ بن شبّة،: أنّ ابن عباس أنشدها من أوّلها إلى آخرها، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبة، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرّة صفْحاً. قال: وهذا غاية الذكاء. فقال له بعضهم: ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب(١). (٧١/١)

---

(١) هذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من اهتمام عبد الله بن عباس بالشعر، وتذوّقه له، ولم يكن الموقف السابق =

(٢)

قال الزُّبير وحدّثني عمّي عن جدّي - وذكره أيضاً إسحاقُ فيما رويناه عن أبي هفّانَ عنه عن المدائنيّ - قال قال هشام بن عُروة: لا تُروُّوا فتياتكم شعر عمر بنِ أبي ربيعة لا يتورّطْنَ في الزِّنا تورُّطا، وأنشد:

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حذَرَكْ

وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ: نوِّلي عُمَرَكْ (٧٤/١)

(٣)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بكّار قال حدّثتني ظبْيةُ مولاة فاطمة بنتِ عمر بنِ مُصْعب قالت: مررتُ بجدِّك عبد الله بن مُصْعَب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر، فقال: ما هذا معك؟ ودعاني. فجئته وقلت: شعرُ عمر بن أبي ربيعة. فقال: ويْحك! تدْخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة! إنّ لشعره لموْقعاً من القلوب ومدْخلاً لطيفاً، لو كان شِعْرُ يسْحر لكان هو، فارجعي به. قالتْ: ففعلتُ(١). (٧٨/١)

(٤)

قال: قال ابن جُريجْ: ما ظننتُ أنّ الله عزّوجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمنُ مُنشداً يُنشد قوله:

باللـه قولي لـه في غير معتبـة ماذا أردتَ بطول المكث في اليمن

إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها فمـا أخـذت بترك الحج من ثمن

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكة، فخرجتُ مع الحاجّ وحججت. (١١١/١)

(٥)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابيّ، وحدّثني عليّ بن

= سوى حالة فردية أملتها معاني الشاعر نفسه، وكون ابن عباس والياً مسؤولاً عن الرعيّة، أمّا هنا فلا نسمع إلاّ صوت الشعر وحده، ذلك الشعر الذي لا يتعرّض بهجاء لأحد، أو مدح فيه، وهو ما عُرف عن شعر عمر.

(١) لعلّ هذا النصّ وما قبله يشيران إلى موقفٍ من شعر عمر، نابع من ولعه بالغزل، وذكر النساء، وقد يدعو هذا الشعر إلى شيوع ما ورد فيه من قيم لا يرضاها كثير من الناس لنسائهم، ولذلك رأيناهم يمنعون روايته وقراءته.

صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق الموْصليّ عن رجاله، قالوا: كان ابن أبي ربيعة قد حجّ في سنة من السنين. فلمّا انصرف من الحج ألْفى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس، فجاءه عمرُ فَسلّم عليه وجلس إليه. فقال له: أنشدني شيئاً من شعرك فقال: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير وقد تركتُ الشعر، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد، وهما يرْويان كلّ ما قلْتُ وهما لك. قال: ائتني بهما ففعل؛ فأنشداه قوله:

أمِنْ آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبكِرُ

فطرب الوليدُ واهتزّ لذلك، فلم يزالا يُنْشِدانه حتى قام، فأجزل صلته وردّ الغلامين إليه. (١١٩/١)

(٦)

أخبرني ابن المرزُبان قال حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: حجّتْ أمُّ محمدٍ بنتُ مروانَ بن الحكم، فلما قضتْ نُسُكها أتتْ عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نسوة، فحدّثها ملياً. فلما انصرفت أتْبعها عمرُ رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثْبتها؛ فعادتْ إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها.

فقالت: نشدتُك الله أن تُشهِّرني بشعْرك!(١) وبعثتْ إليه بألْفِ دينار، فقبلها وابتاع بها حُلاً وطيباً فأهْداه إليها، فردّته. فقال لها: والله لئن لم تَقْبليه لأنهبنّه(٢)، فيكونُ مشهوراً؛ فقبلَتْه ورحلتْ. فقال فيها:

أيُّهـــا الراكبُ المُجِدُّ ابْتكـارا ... قد قضى من تهامة الأوْطارا
من يكُنْ قلبُه صحيحاً ســليماً ... ففؤادي بالخيْفِ أمْسى مُعاراً(٣)
ليتَ ذا الدهـر كـان حتْماً علينا ... كـلَّ يـومين حجّـةً واعتمـارا (١٦٦/١)

(٧)

قال حمّاد: وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية، وأخبرنا الحرميّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال حدثني رجل من خزاعة من أهل كلُيّة - وهي قرية كان فيها النصيّب وكثير - قال: بلغني أن النصيب قال: مضيت فقدمت مصر وبها عبد العزيز بنُ مروان، فحضرتُ بابه مع الناس، فنُحّيتُ عن مجلس الوُجوه، فكنتُ وراءهم، ورأيتُ

---

(١) نشدتك الله: سألتك بالله ألاّ تشهّرني في شعرك.

(٢) لأنهبنّه: لأبيحنّه لمن شاء نهباً.

(٣) الخيف: مبتدأ بطحاء مكة، ينظر يا قوت (٤١٢/٢).

رجُلاً جاء على بغْلةٍ حسنَ الشارةِ سَهْلَ المدْخلِ، يُؤذَنُ له إذا جاء. فلمّا انصرف إلى منزلهِ انصرفتُ معه أماشي بلغته، فلما رآني قال: ألك حاجةٌ؟ قلت: نعم، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ، وقد مدحتُ الأمير وخرجتُ إليه راجياً معروفه، وقد ازدُريتُ فطُرِدْتُ من الباب ونُحِّيتُ عن الوجوه. قال: فأنشدني، فأنشدتُه. فأعجبه شعري، فقال: ويْحك! أهذا شِعْرُك؟ فإيّاك أن تنْتحلَ؛ فإنّ الأميرَ راويةٌ عالمٌ بالشِّعْر وعنده رُواةٌ، فلا تفْضَحْني، ونفسك. فقلت: والله ما هو إلا شِعْري. فقال: ويْحك! فقُل أبياتاً تذكرُ فيها حوْفَ مصر وفضلها على غيرها، وألْقني بها غداً. فغدوتُ عليه من غدٍ فأنشدْتُه قولي:

سرى الهمُّ تشتيني إليكَ طلائعُهْ ... بمصرَ وبالحوف اعترتْني روائعُهْ(١)
وباتَ وسادي ساعدٌ قلَّ لحْمُه ... عن العظْمِ حتى كاد تبْدو أشاجعُهْ(٢)

قال: وذكرت فيها الغيْثَ فقلتُ:

وكم دونَ ذاك العارضِ البارقِ الذي ... له اشْتقْتُ مِنْ وجْهٍ أسيلَ مدامعُهْ
تمشّى به أفْناءُ بكْرٍ ومذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مرابعُهْ(٣)
فكلُّ مسيلٍ من تهامةَ طيِّبٌ ... دميثُ الرُّبا تسْقي البحار دوافعُهْ(٤)
أعنّي على برْقٍ أريكَ وميضَه ... تُضيءُ دُجُنّاتِ الظّلامِ لوامعُهْ
إذا اكْتحلتْ عيْنا مُجِبٍّ بضوْئِه ... تجافَتْ به حتّى الصّباحَ مضاجعُهْ
هنيئاً لأمِّ البخْتريِّ الرُّوى به ... وإن أنْهَجَ الحبْلُ الذي أنا قاطعُهْ(٥)
وما زِلْتُ حتّى قُلْتُ إنّي لخالعٌ ... ولاني مِنْ مولًى نمتّني قوارعُه
ومانِحُ قومٍ أنتَ منهمْ مودّتي ... ومُتّخِذٌ مولاكَ مولًى فتابعُهْ

فقال: أنت والله شاعرٌ! احْضُرْ بالباب حتّى أذْكُرك للأمير. قال: فجلستُ على الباب ودخل، فما ظننْتُ أنه أمكنه أن يذْكُرني حتى دُعي بي. فدخلْتُ فسلّمْتُ على عبد العزيز، فصعّدَ فيَّ بصره وصوّب، ثم قال: أنت شاعرٌ؟ ويْلكَ! قلت: نَعَمْ، أيُّها الأميرُ. قال: فأنْشدني. فأنْشدتُه،

---

(١) الحوف بمصر: حوفان الشرقي والغربي وهما متّصلان: أول الشرقي من جهة الشام، وآخر الغربي قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة، وحوف رمسيس موضع آخر بمصر.

(٢) الأشاجع: أصول الأصابع.

(٣) تمشّى: أصله تتمشّى حُذفتْ إحدى تاءيه، والأفناء: الأخلاط.

(٤) البحار: المدن والقرى والأراضي الواسعة.

(٥) الرُّوى: الماء الكثير، ودميث السهل الليّن من الأرض.

فأعْجبهَ شِعْري. وجاء الحاجبُ فقال: أيُّها الأميرُ، هذا أيْمَنُ بن خُرَيْم الأسديّ بالباب، قال: ائذن له، فدخل فاطمأنّ. فقال له الأميرُ: يا أيمن بن خُريم، كم ترى ثمن هذا العبد؟ فنظر إليّ فقال: والله لنِعمَ الغادي في أثر المخاضُ(١)، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار. قال: فإنّ له شِعْراً وفصاحة. فقال لي أيْمَنُ: أتقول الشعر؟ قلت: نعم. قال: قيمته ثلاثون ديناراً. قال: يا أيمن، أرْفَعهُ وتخفضُه أنتَ! قال: لكونه أحْمقَ أيُّها الأميرُ! ما لهذا وللشِّعْر! أمثْلُ هذا يقولُ الشِّعْرَ! أو يُحْسِن شِعْراً! فقال: أنشدْه يا نُصيبُ، فأنشدتُه. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمنُ؟ قال: شِعْرُ أسْوَدَ، هو أشعر أهل جِلْدته. قال: هو والله أشْعرُ منك. قال: أمِنّي أيُّها الأميرُ؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيُّها الأميرُ، إنك لمُولٌ طرفٌ. قال: كذبتَ والله ما أنا كذلك! ولو كنتُ كذلك ما صبرْتُ عليك. (٣٢٦/١)

(٨)

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عِمرانَ بن أبي فرْوة قال: أوّل مَنْ نوّه باسم نُصيبَ وقدمَ به على عبد العزيز بن مرْوان عبدُ الله بنُ أبي فرْوة، قدمَ به عليه وهو وصيفٌ حين بلغ وأوّل ما قال الشِّعْرَ. قال: أصْلَحَ اللهُ الأمير! جئتُك بوصيف نوبيٍّ يقول الشعر - وكان نُصيب ابنَ نوبيّيْن - فأدخله عليه، فأعجبه شعرهُ، وكان معه أيْمنُ بن خُريم الأسديّ، فقال عبدُ العزيز: إذا دعوتُ بالغداء فأدْخلوه عليّ في جُبّةِ صوفٍ مُحتزماً بعقالٍ، فإذا قلْتُ قوّمُوه فقوّموه وأخرِجوهُ ورُدُّوه عليّ في جُبّة وشْيٍ ورداءِ وشْيٍ. فلما جلس للغداء ومعه أيمنُ بنُ خريم أدْخلَ نصيبٌ في جُبّة صوفٍ محتزماً بعقالٍ، فقال: قوّموا هذا الغلام. فقالوا: عشرةٌ، عشرون، ثلاثون ديناراً. فقال: رُدُّوه، فأخْرجُوه ثم ردُّوه في جُبّة وشْيٍ ورداءِ وشْيٍ. فقال: أنْشِدْنا فأنشدهم. فقال: قوّموه، قالوا: ألفُ دينارٍ فقال أيمن: والله ما كان قطُّ أقلَّ في عيْني منه الآن، وإنه لنِعْمَ راعي المخاض. فقال له: فكيف شِعْرُه؟ قال: هو أشعرُ أهل جِلْدته. فقال له عبد العزيز: هو والله أشعرُ منك. قال: أمِنّي أيّها الأمير؟ قال نعم. فقال أيمنُ: إنك لمُولٌ طَرِفٌ. فقال له: والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا تضع يدك حيثُ أضعُها وتلتقي يدُك مع يدي على مائدة، كلُّ ذلك أحتملك! - وكان بأيمن بياضٌ - فقال له أيمنُ: ائذن لي أن أخْرُجَ إلى بِشْرٍ. فأذن له فخرج(٢). (٣٣٠/١)

---

(١) المخاض: الحوامل من النوق، يريد: لنعم هذا العبد راعياً للإبل.

(٢) كان الشعر الوسيلة الوحيدة بيد الشاعر كي يعتق نفسه، وأهله ويدخل قبل هذا، على الأمير ليسهّل له ما أراد، ولولا الشعر لظلّ نصيب واحداً من الناس، يروح ويغدو بلا ذكْر أو شهرة، لقد أنقذه الشعر ممّا هو =

(٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: يقال: إن نُصيباً أضلّ إبلاً له فخرج في بُغائها فلم يُصبْها خاف مواليه أن يرجع إليهم، فأتى عبد العزيز بن مرْوان فمدحه وذكر له قصّته؛ فأخلف عليه ما ضلّ لمواليه وابتاعه وأعْتقه. (٣٣١/١)

(١٠)

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الخليلُ بن أسد قال حدّثنا عبدُ الله بن صالح بن مسلم قال حدّثنا كُليب بن إسماعيل مولى بني أميّةَ وكان حدّثاً (أي حسن الحديث) قال: بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه، فأضلّ منها بعيراً، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسْطاط، وبه إذ ذاك عبدُ العزيز بنُ مروان، وهو وليُّ(عهد) عبد الملك بن مرْوان، فقال نُصيبٌ: ما بعد عبد العزيز واحدٌ اعتمدهُ لحاجتي فأتى الحاجب فقال: استأذنْ لي على الأمير، فإني قد هيّأتُ له مديحاً. فدخل الحاجبُ فقال: أصلح الله الأمير! بالباب رجلٌ أسودُ يستأذن عليك بمديح قد هيأهُ لك فظنّ عبدُ العزيز أنه ممن يُهْزأ به ويُضْحِكُهم، فقال: مُرْه بالحضور ليوم حاجتنا إليه. فغدا نُصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر وأتاه آتٍ من عبد الملك فسرّه، فأمر بالسّرير فأُبرِزَ للناس، وقال: عليَّ بالأسود، وهو يريد أن يُضْحِك منه الناس. فدخل، فلما كان حيثُ يُسْمع كلامُه، قال:

لعبد العزيز على قومه ... وغيرهُم نِعَمٌ غامرَهْ
فبابُك ألينُ أبوابهم ... ودارُك مأهولةٌ عامرَهْ(١)
وكلبُك آنسُ بالمُعْتفينَ ... من الأمِّ بالإبنة الزائرَهْ(٢)
وكفُّك حينَ ترى السائلي ... ن أندى من اللّيلة الماطرَهْ
فمنك العطاءُ ومنّي الثّناءُ ... بكلِّ مُحبَّرةٍ سائرَهْ(٣)

فقال: أعْطُوه أعْطُوه فقال: أنّي مملوكٌ. فدعا الحاجبَ فقال: اخرُجْ فابْلُغْ في قيمته؛ فدعا المقوّمين فقال: قوّمُوا غلاماً أسودَ ليس به عيبٌ. قالوا: مائةُ دينارٍ. قال: إنه راعٍ للإبل يُبْصرها

= فيه، وجعله من شعراء العصر الأموي المرموقين.

(١) بابك ألينُ أبوابهم: أي إنّ الدخول عليه سهل.

(٢) المعتفون: الطالبون أو القادمون.

(٣) المحبّرة: هي القصيدة التي أجيد صنعها.

ويُحْسِن القيامَ عليها. قالوا: حينئذ مائتا دينار. قال: إنه يبْري القسيَّ ويُثَقِّفُها ويرْمي النَّبْلَ ويريشُها. قالوا: أربعمائة دينار. قال: إنه رواية للشِّعْر بصيرٌ به. قالوا: ستُّمائة دينار. قال: إنه شاعرٌ لا يُلْحَقُ حِذْقاً قالوا: ألفُ دينار. قال عبد العزيز: ادفَعُوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! ثمن بعيري الذي أضللتُ. قال: وكم ثمنُه؟ قال: خمسةٌ وعشرون ديناراً. قال: ادفعُوها إليه. قال: أصلح الله الأمير! جائزتي لنفْسي عن مديحي إيَّاكَ. قال: اشتر نفسك ثم عُدْ إلينا. فأتى الكوفة وبها بِشْرُ بنُ مَرْوانَ، فاستأذنَ عليه فاستصعبَ الدخولَ إليه. وخرج بِشْرُ بنُ مروان متنزِّها فعارضه، فلما ناكَبَه (أي صار حذاء منْكبه) ناداه:

يا بشرُ يابنَ الجعفريَّة ما ... خلقَ الإلهُ يديْك للبُخْلِ

جاءتْ به عُجُزٌ مُقابلةٌ ... ما هُنَّ من جرْمٍ ولا عُكْلِ(١)

قال: فأمر له بِشْرٌ بعشْرةِ آلاف درْهم. (٣٣٢/١)

(١١)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا (الزُّبيري، وحدّثنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال حدّثنا الزُّبير) قال حدّثنا محمد بن إسماعيل الجعْفريّ قال: دخل النُّصيبُ على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدَقُ، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سيُنْشِدُه مديحاً له، فأنشده قوله يفتخر:

وركْبٍ كأنَّ الريحَ تطلبُ عندهمْ ... لها ترةً من جذْبها بالعصائبِ(٢)

سروْا يرْكبُون الريح وهي تلُفُّهم ... على شُعبِ الأكْوارِ من كلِّ جانبِ(٣)

إذا استوْضَحُوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خَصِرتْ أيديهمُ نارُ غالبِ(٤)

قال: وعمامتُه على رأسه مثلُ المِنْسَفِ(٥)؛ فغاظ سليمان وكلح(٦) في وجهه، وقال لنُصيب: قُمْ فأنشدْ مولاك ويْلك! فقام نُصيب فأنشده قوله:

أقول لركْبٍ صادرينَ لقيتُهم ... قفاذاتِ أوْشالٍ ومولاك قاربُ(٧)

---

(١) عُجُز: جمع عجوز، يريد بهنّ أمهاته وجدّاته، ومقابلة: الكريمة النسب من قبل أبويها.

(٢) الترة: الثأر، والعصائب: العمائم. (٣) شُعب الأكوار: نواحيها، والكور: رحل البعير.

(٤) خصرت: بردت، ونار غالب: نار أبيه غالب. (٥) المنسف: الغربال الكبير.

(٦) كلح: عب. (٧) قفاذات أوشال: وراءها، والأوشال جمع وَشَل وهو الماء القليل. وقارب: طالب الماء ليلاً.

قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّني ... لمعروفِهِ من أهلِ ودَّانَ طالبُ
فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ... ولو سكتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائبُ
وقالوا عهِدْناهُ وكلُّ عشيَّةٍ ... بأبوابه من طالبِ العُرْفِ راكبُ(١)
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حولَه ... ولا تُشْبِهُ البَدْرَ المضيءَ الكواكبُ

فقال له سليمان: أحسنتَ والله يا نُصيبُ! وأمر له بجائزة ولم يصنَعْ ذلك بالفرزدق. فقال الفرزدقُ وقد خرج من عنده:

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُه رجالاً ... وشرُّ الشعرِ ما قال العبيدُ (٣٣٦/١)

(١٢)

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيوبُ بن عباية قال: بلغني أنَّ النُّصيبَ كان إذا قدِمَ على هشام بن عبد الملك أخْلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أميَّة، فإذا أنشده بكى وبكى معه فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها يقول فيها:

إذا استبقَ الناسُ العُلا سبقتْهُم ... يمينُك عفْواً ثم صلْتُ شِمالُها

فقال له هشامٌ: يا أسْودُ، بلغت غايةَ المدح فسلْني. فقال: يدُك بالعطيَّة أجودُ وأبسطُ من لساني بمسئلتك. فقال: هذا والله أحسنُ من الشعر، وحباه وكساه وأحسن جائزته. (٣٣٦/١)

(١٣)

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ قال: حدّثني نُصيبٌ قال: دخلْتُ على عبد العزيز بن مروان، فقال: أنشدني قولك:

إذا لم يكنْ بينَ الخليليْنِ ردَّةٌ ... سِوى ذكر شيء قد مضى درس الذِّكْرُ(٢)

فقلتُ: ليس هذا لي، هذا لأبي صخْر الهُذليّ، ولكنّي الذي أقول:

وقفتُ بذي دوْران أنْشُدُ ناقتي ... وما إنْ بها لي مِنْ قَلُوصٍ ولا بكْرِ(٣)

فقال لي عبدُ العزيز: لك جائزةٌ على صدقِ حديثك، وجائزةٌ على شعرك؛ فأعطاني على صدق حديثي ألفَ دينارٍ، وعلى شِعْري ألفَ دينار. (٣٤٢/١)

---

(٢) العُرف: المعروف.

(٣) ردّة: بقية.

(٣) ذو دَوران: موضع بين قديد والجحفة.

(١٤)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النُطّاح قال حدّثني أبو اليقْظان عن جُوَيْرِيةَ بنِ أسماء قال: أتى النُّصيبُ عبدَ الله بن جعْفَرٍ فحمله وأعطاه وكساه. فقال له قائل: يا أبا جعْفَر، أعْطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا! فقال: والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءه لأبيضُ، وإنّ شِعْره لعربيّ، ولقد استحقّ بما قال أكثر مما نال. وما ذاك! إنما هي رواحِلُ تُنْضى، وثيابٌ تبلى، ودارهمُ تَفْنى، وثناءٌ يبْقى، ومدائحُ تُرْوى!(١) (٣٤٣/١)

(١٥)

قال أيُّوب: وكانت بملل(٢) امرأةٌ ينزل بها الناس، فنزل بها أبو عُبيدةَ بنُ عبد الله بنِ زمْعةَ وعِمْرانُ بن عبد الله بن مُطيع ونُصيب. فلمّا رحلوا وهب لها القُرشيّانِ ولم يكن مع نُصيب شيءٌ، فقال لها: اختاري إن شئت أن أضمن لك مثلَ ما أعطياك إذا قدمْتُ وإن شئت قلتُ فيك أبياتاً تنفعُك. قالت: بل الشِّعْرُ أحبُّ إليّ. فقال:

ألا حيِّ قبلَ البيْن أمَّ حبيبِ ... وإن لم تكُنْ منّا غداً بقريبِ
لئن لم يكن حُبِّيك حُبّاً صَدَقْتُه ... فما أحدٌ عندي إذا بحبيب
تهامٍ أصابتْ قلبه مللِيّةٌ ... غريبُ الهوى يا ويْح كلُّ غريب(٣)

فشهرَها بذلك، فأصابتْ بقوله ذلك فيها خيراً. (٣٤٦/١)

(١٦)

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلف قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال: كان نُصَيْبٌ يُكْنَى أبا الحجْناءِ، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال:

رأيتُ أبا الحجْناءِ في الناس حائراً ... ولونُ أبي الحجْناءِ لونُ البهائم
تراه على مالاحه من سوادِه ... وإن كان مظلوماً لَهُ وجهُ ظالم

فقيل لنصيب: ألا تُجيبُه! فقال: لا، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجبتُه، ولكن الله أوصلني بهذا

---

(١) هذا يذكرّنا بموقف عمر رضي الله عنه من ابن زهير، وموقف إياس بن الحطيئة (النص ٤٤)، فلقد ذهب المال، وبقي الشعر خالداً يُروى، ويذكّر بالمجد القديم.

(٢) ملل: موضع في طرق مكة بين الحرمين، ياقوت (١٩٤/٥). (٣) تهامٍ: نسبة إلى تهامة.

الشعر إلى خير، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقوله في شر، وما وصفني إلا بالسواد وقد صدق. أفلا أنشدُكم ما وصفتُ به نفسي؟ قالوا بلى. فأنشدهم قوله:

ليس السوادُ بناة حصي مادام لي ... هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثابتِ
مَنْ كان ترفَعُه منابتُ أصله ... فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ منابتي
كم بين أسودَ ناطقٍ ببيانه ... ماضي الجنان وبين أبيضَ صامتِ
إني ليحْسُدني الرفيعُ بناؤُه ... من فصل ذاك وليس بي مِنْ شامتِ

ويُروى مكان «من فضل ذاك»، «فضل البيان» وهو أجود(١). (٣٥٢/١)

(١٧)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حدّثتُ عن السُّدُوسي قال: وقف نصيبٌ على أبيات فاستسْقى ماءً، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسقتْه، وقالت: شبِّبْ بي. فقال: وما اسمُكِ؟ فقالت: هندٌ. ونظر إلى جبلٍ وقال: ما اسمُ هذا العلم؟ قالت: قناً. فأنشأ يقول:

أحبُّ قناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ ... أبالي أقُرْباً زاده اللهُ أم بُعْدا
ألا إنَّ بالقيعان من بطن ذي قنا ... لنا حاجةٌ مالتْ إليه بنا عمْدا
أروني قناً أنظرْ إليه فإنَّني ... أحِبُّ قناً إنّي رأيُ به هِنْدا

قال: فشاعتْ هذه الأبياتُ، وخُطبت هذه الجاريةُ من أجلها، وأصابتْ بقول نُصيب فيها خيراً كثيرا. (٣٥٣/١)

(١٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسديّ أسد قريش قال:

قال ابن أبي عتيق لنُصيب: إنّي خارج، أفترسلُ إلى سُعْدى بشيء؟ قال: نعم، بيتيْ شعرٍ. قال: قل: فقال:

أتصبرُ عن سُعْدى وأنت صَبُورُ ... وأنت بحُسْنِ الصبر منك جديرُ
وكدتُ ولم أخْلَق من الطير إن بدا ... سنى بارقٍ نحو الحجاز أطيرُ

---

(١) يعلم نصيب علم اليقين أنّه لم يكن يصل إلى ما وصل إليه لولا الشعر، ولذلك آثر أن لا يدخله في مضايق هو في غنى عنها، ونراه يحتكم إلى العقل في جوابه، فلم يوصف إلاّ بأنه أسود، وقد كان كذلك، ولكنّ هذا السواد لم يمنعه من أن يكون شاعراً مجيداً.

قال: فأنشد ابن أبي عتيق سُعْدى البيتين، فتنفَّسَتْ تنفُّسَةً شديدةً. فقال ابنُ أبي عتيق: أوَهْ! أجَبْته والله بأجودَ من شعره، ولو سمعك خليلُك لنعق وطار إليك. (١/٣٦٤)

(١٩)

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتبُ قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق الموصليّ عن المُسيَّبيّ قال: قال أبو النَّجم: أتيتُ الحكم بن المُطَّلب فمدحتُه، وخرج إلى السِّعاية(١) فخرجنا معه ومعه عدَّةٌ من الشعراء. فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ، إذا براكبٍ يُوضع(٢) في السَّراب وإذا هو نُصيب، فتقدَّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله، فمكث أياماً حتى أتاه فقال: إنِّي قد خلَّفْتُ صِبْيةً صِغارا وعيالا ضعافاً. فقال له: ادخلُ الحظيرة(٣) فخُذْ منها سبعين فريضةً. فقال له: جعلني الله فداك قد أحسنت! ومعي ابنٌ لي أخاف أن يتُلِمها(٤) عليّ. قال: فادخُلْ فخذ له سبعين فريضة أخرى! فانصرف بمائة وأربعين فريضة. (١/٣٦٥)

(٢٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: دخل نُصيبٌ على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يوم، فأنشده قصيدة امتدحه بها، فطرب لها يزيدُ واستحسنها، فقال له: أحسنت يا نصيب! سلْني ماشئت. فقال: يدُك يا أميرَ المؤمنين بالعطاء أبْسَطُ من لساني بالمسألة! فأمر به فمُلئ فمُه جوْهراً، فلم يزلْ به غنيّاً حتى مات. (١/٣٧٠)

(٢١)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال: دخل نُصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة، فأنشده قوله:

يابنَ الهِشاميْن لا بيْتٌ كبيتِهما إذا تسامَتْ إلى أحسابها مُضَرُ(٥)

فقال له إبراهيم: قم يا أبا مِحْجَن إلى تلك الراحلة المرْحولة فخُذْها برحْلِها. فقام إليها نُصيب متباطئاً والناس يقولون: ما رأينا عطيَّةً أهْنأ من هذه ولا أكرم ولا أعْجَل ولا أجْزل.

---

(١) السِّعاية: مباشرة عمل الصدقات. (٢) يوضع: يسرع في سير.

(٣) الحظيرة: ما أحاط بالشيء وهي تكون من قصب وخشب.

(٤) يتلمها: يأخذ منا فينقصها.

(٥) يريد بالهشامين هشام عبد الملك بن مروان أباه، وهشام بن اسماعيل المخزومي جدَّ أبيه لأمّه.

فسمعهم نُصيب فأقبل عليهم وقال: والله إنكم قلَّما صاحبتُم الكِرام! وما راحلةٌ ورحْلٌ حتى ترْفَعُوهما فوق قدْرِهما! (٣٧١/١)

(٢٢)

قال: وبلغ إبراهيم بنَ هشام قوله: (حكم الخُضْريّ) في نساء بني مُرَّة إذ يقول: «وما حملتْ إلاَّ لألأم مَنْ مَشَى». ففضب ثمَّ نذر دمه؛ فهرب من الحجاز إلى الشأم فمات بها. (٣٠١/٢)

(٢٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز المُرِّيّ ثم الصارديّ عن أبيه: قال جلال: وقد رأيتُ ابنَ ميّادة في بيت أبي، قال: قال لي ابنُ ميّادة وصلتُ أنا والشعراءُ إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة. وكان مولًى من موالي خرشة يقال له شُقْران يعيب ابنَ ميادة ويحْسُده على مكانه من الوليد. فلما اجتمعت الشعراءُ قال الوليد بن يزيد لشُقْران: يا شُقْران، ما عِلْمُك في ابن ميّادة؟ قال علمي فيه يا أميرَ المؤمنين أنَّه:

لنيمٌ يُباري فيه أبْردُ نَهْبلاً لنيمٌ أتاه اللؤمُ من كلِّ جانبِ(١)

فقال الوليد: يابن ميّادة، ما عِلْمُك في شُقْران؟ قال: عِلْمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خرشة كاتبتْه على أربعين درهما ووعدها - أو قال: وعدتْه - أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبُضَتْه إيّاها، فأغنه عنّي يا أمير المؤمنين، فليس له أصْلٌ فأحتفرَه، ولا فرْعٌ فأهتصرَه؛ فقال له الوليد: اجْتنبْه يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشُّتيمة، فقصر شُقْرانُ صاغراً، ثمَّ أنشدته، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري، وأمر لي بمائة لقْحةٍ وفحْلها وراعيها وجاريةٍ بكْرٍ وفرسٍ عتيق، فاخْتلتُ ذلك اليوم وقلتُ:

أعْطيتني مائة صفْرا مدامعها كالنخل زيَّنَ أعلى نبْته الشُّربُ(٢)
يسُوقُها يافع جعْدٌ مفارقُهُ مثْلُ الغُرابَ غذاه الصرُّ والحلبُ(٣)
وذا سبيبٍ صُهَيْبياً له عُرُفٌ وهامةٌ ذاتُ فرقٍ نابُها صَخِبُ(٤) (٣٠٢/٢)

---

(١) أبرد: اسم والد ابن ميّادة، ونهبل: عبد كان تزوج ميادة قبل أبرد، ينظر شعر ابن ميادة، ص ٢٥.

(٢) مدامعها: مآقيها وهي أطراف العين، ولعلّ مسايل الدمع من الناقة تصفرّ إذا رعت الصَّفْرية وهو نبات، والشّرب: جمع شربة، وهي ما يُحفر حول النخلة أو الشجرة كالحوض ويملأ ماء فتتروى منه.

(٣) الصرّ: من الصرار وهو خيط يُشدّ فوق الخِلْف لئلا يرضعها ولدها. (٤) السبيب: هنا شعر الذنب =

(٢٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال: قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين ـ وهو موضع كان الوليد ينْزله في الربيع ـ:

لعمْـــرُك إنـــي نـــازلٌ بأبـاينٍ ... لصـوْمَر مشتـاقٌ وإن كنتُ مُكْرَمـاً(١)

أبيتُ كـأنّي أرمـــدُ العين ســـاهرٌ ... إذا باتَ أصـحـابي من الليل نُوَّمـا

قال: فقال لي الوليد: يابن ميّادة كأنّك غرَضْتُ(٢) من قُربنا؛ فقلت: ما مِثْلُك يا أمير المؤمنين يُفْرَضُ من قربه، ولكن:

ألا ليت شـــعـــري هل أبيتنّ ليلـةً ... بحـــرّة ليلى حـيث ربّتني أهلـيُ(٣)

وهل أسمعنّ الدهر أصوات هجْمةٍ ... تطالعُ من هجْلٍ خصيبٍ إلى هجْلُ(٤)

بلادٌ بهـــا نيطـتْ عليَّ تمـــائمي ... وقُطِّعْنَ عنّي حينَ أدركني عـقْلي

فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسي ... فأيْسرُ عليَّ الرزق واجمع إذاً شمْلي

فقال: كم الهجْمة؟ قلت: مائة ناقة؛ فقال: قد صدَرْتَ بها كلُّها عُشراءُ(٥). قال ابن ميّادة: فذكرت ولدْانا لي بنجْد إذا استطعموا الله عزّوجل أطعمهم وأنا، وإذا استسقوْه سقاهم الله وأنا، وإذا استكسوْه كساهم الله وأنا، فقال: يابن ميّادة، وكم ولدانُك؟ فقلت: سبعة عشر، منهم عشرةُ نفرٍ وسبعُ نسوة، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي؛ فقال: يابن ميّادة، قد أطعمهم الله وأميرُ المؤمنين، وسقاهم الله وأمير المؤمنين، وكساهم الله وأمير المؤمنين؛ أمّا النساء فأربع حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا الرجال فثلاثُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا السُّقْي فلا أرى مائة لقحة إلا ستُّرويهم، فإن لم تُروهم زِدتهم عينين من الحجاز؛ قلتُ: يا أمير المؤمنين، لسنا بأصحاب عيون

= والناصية، والأصهب من الإبل: الذي ليس بشديد البياض، وعرف الفرس: منبت الشعر من عنقها، وفرق الرأس ما بين الجبين إلى دائرة الرأس.

(١) صومر: ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة.

(٢) غرضت: ضجرت ومللت.

(٣) حرّة ليلى: والحرة أرض ذات حجارة سود، وفي ديار العرب حرّات كثيرة، وأكثرها حوالي المدينة إلى الشام، ومنها حرّة ليلى هذه، وهي في ديار بني مرّة بن عوف من غطفان، يطؤها الحاج في طريقهم إلى المدينة. وربّتني: فعل رباعي، يقال ربّت الصبي تربيتاً أي ربّاه تربية.

(٤) الهجمة: القطعة من الإبل، قيل أولها الأربعون فما زادت. والهجل: المطمئن من الأرض.

(٥) العشراء: الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار.

يأكلُنا بها البعُوض، وتأخذُنا بها الحُمَّيات؛ قال: فقد أخلفها الله عليك؛ كلُّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العام: مائة لقِحة وفحْلها وجارية بكْر وفرس عتيق. (٢/٣٠٩)

(٢٥)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبي قال حدّثنا عُمر بن شبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني رجلٌ من كلْب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال: أمر الوليد بن يزيد لابن ميّادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهي الغرائب، وأن يُمسكوا التِّلادَ(١)؛ فقال ابن ميّادة:

ألم يبْلغْكَ أنَّ الحيَّ كلبـاً ... أرادوا في عطيّتك ارتدادا
وقـالوا إنّهـا صُهب ووُرْقٌ ... وقد أعطيتها دُهْماً جِعاداً(٢)

فعلموا أن الشعر سيبلغ الوليد فيُغْضبُه، فقالوا له: انطلق فخذها صُفْرا جِعادا. (٢/٣١٢)

(٢٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السُّعْديّ: أنّ الوليد بن عبد الملك قدم مكّة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال: هل من رجل عالمٍ يُخْبرني عنها؟ فقالوا: عُمرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكرُوه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال: هاتوه؛ وركب معه فجعل يُحدِّثه، وكان قد حمل الغريض معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاته، فدعا به فقال: أسمِعْ أمير المؤمنين أحسن شيء قلته؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر

إني لأحـفظُ سِـرَّكم ويسُـرُّني ... لو تعلمين بصـالح أن تُذْكـري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسـلاً ... أو نلتـقي فـيـه عليّ كـئشـهُرِ
يا ليـتني ألقى المنيّة بغْتـةً ... إنْ كـان يومُ لقـائكم لم يُقْدَرِ
مـا كنتِ والوعـدَ الذي تعـدينني ... إلا كـبـرْقٍ سـحـابـةٍ لـم تمْطُـرِ
تُقْضى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هـذا الغـريمُ لنا وليس بمُعْسِـرِ

(١) التِّلاد: مال قديم ولد أو نتج.

(٢) الصهب: جمع أصهب أو صهباء، والصهبة من الإبل: أن يكون في ظاهر الشعر حمرة وفي أصوله اسوداد، والورق: جمع أورق أو ورقاء، والورقة: سواد في غبرة وقيل: سواد في بياض، والدُّهم: جمع أدهم أو دهماء والدهمة: السواد، والجعاد: جمع جعدة من الجعودة وهي في الإبل التواء وبرها وتقبُّضه.

قال: فاشتدّ سرور الوليد بذلك وقال له: يا عمر هذه رُقْيتُكَ(١)، ووصله وكساه وقضى حوائجه. (٣٩٥/٢)

(٢٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال: سمعت أن عبد الله بن جعْفر بن أبي طالب قال لمعلّم ولده: لا تُروِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الورْد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسْعى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

ويقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم. (٧٥/٣)

(٢٨)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوبُ بن نُعيم قال حدّثنا أحمد بن عُبيد أبو عصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزّيادي، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبّة ولم يُسنده إلى أحد وروايتُه أتمّ: أنّ عبد الملك بن مرْوان لما قدمَ الكوفةَ بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب ـ وقال عُمر بن شبة: إنّ مصعبَ بن الزبير كان صاحب هذه القصّة ـ فقام معْبدُ بن خالد الجدليّ، وكان قصيراً دميماً، فتقدّمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة؛ قال معبدٌ: فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنتَ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا، فقلتُ من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّكم نو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان عدْوانياً؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال: لم سُمّيَ ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشتْه حيّةٌ في إصبعه فيبست؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: وبم كان يسمّى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمّى حُرْثان؛ فأقبل على الرجل وتركني، فقال: مِنْ أيّ عَدْوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر:

وأمـا بنُـو نَاجٍ فلا تذْكُرنّهُـمْ ولا تُتبِعَنْ عينيك ما كان هالكا
إذا قُلتُ معـروفاً لأصلحَ بينهم يقـول وُهيبٌ لا أسـالِمُ ذلكا

(١) ما يزال مستمعو الشعر الجيّد يصفونه بالرُّقية، والتعويذة، والتعويذة، كأنّهم يجعلون له أثراً في النفس يشبه ذلك الأثر الذي يحدثه السِّحر وطلاسمه في الإنسان.

وروى عمر بن شبة: لا أسلم.

فأضحى كظهر الفحل جُبَّ سنامُه يدبُّ إلى الأعـــداء أحدبَ باركا(١)

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله: عذير الحيّ من عدوان

قال الرجل: لستُ أرْويها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتُك؛ قال: ادْنُ منّي، فإني أراكَ بقومك عالماً؛ فأنشدتُه:

وليس المرءُ في شيءٍ من الإبـرام والنقض
إذا أبـرم أمـــراً خـــا له يقْضي ومـــا يقْضي
يقولُ اليومَ أمضيه ولا يملكُ مـــا يُمْضـــي
عذيرَ الحيّ من عـدوا ن كانوا حيّة الأرض(٢)
بغى بعضُهُم بعضاً فلم يُبْقُوا على بعض
فقد صاروا أحاديث برفع القول والخفض(٣)
ومنهم كانت السادا ت والموفونَ بالقرض
ومنهم حكمٌ يقضي فلا يُنقضُ ما يقضي
ومنهم من يُجيزُ النا سَ بالسُّنّة والفرض
وهم مَنْ ولدوا أشْبَوْا بسرّ الحسبِ المحْض(٤)
ومِمَّنْ ولدوا عامِـ ـرُ ذو الطول وذو العرض
وهم بوّؤا ثقيفاً دا رَ لا ذُلٌّ ولا خفْـــض(٥)

فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل عليّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا؛ فانصرفتُ بها. (٩١/٣)

(٢٩)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريُّ عن العُتْبيّ قال: جرى بين عبد الله بن

---

(١) جُبَّ: قُطع.

(٢) حيّة الأرض: تقول العرب للرجل المنيع الجانب: حيّة الأرض، ينظر ثمار القلوب للثعالبي، ص ٥١٧.

(٣) صاروا أحاديث: أي انتشر ذكرهم وكثر الحديث عنهم.

(٤) أشبوا: أشبى فلان إذا ولد له ولدٌ كيِّس. (٥) بوّؤا: أنزلوا.

الزّبير وعُتْبة بن أبي سُفْيان لحاءٌ(١) بين يدي معاوية، فجعل بن الزُّبير يعدلُ بكلامه عن عُتبةَ ويُعرِّضُ بمعاويةَ، حتى أطال وأكثر (من ذلك)، فالتفت إليه معاويةُ متمثِّلاً وقال:

ورامٍ بعُوران الكلام كأنها ... نوافرُ صُبحٍ نفَّرتْها المراتعُ(٢)
وقد يمْحضُ المرءُ المُواربُ بالخنا ... وقد تُدرك المرءَ الكريمَ المصانعُ(٣)

ثم قال لابن الزُّبير: مَنْ يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أترْويه؟ قال: لا؛ فقال: مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

وساعٍ برجليه لآخر قاعد ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسارٍ ومانعُ
وبانٍ لأحساب الكرام وهادمٌ ... وخافضُ مولاه سفاهاً ورافعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوب وقد بدت ... له عَورةٌ من ذي القرابة ضاجعُ
وطالب حُوبٍ باللسان وقلبُه ... سوى الحقِّ لا تخفى عليه الشرائعُ(٤)

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفاً، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة. (١٠٠/٣)

(٣٠)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال: مدح بشارٌ سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحرّان وخرج إليه فأنشده قوله فيه:

نأتْكَ على طُول التجاورُ زينبُ ... وما شعرتْ أن النُّوى سوف تشعبُ(٥)
يرى الناسُ ما تلْقى بزينب إذ نأت ... عجيباً وما تُخْفي بزينبَ أعجبُ
وقائلةٍ لي حين جدَّ رحلينا ... وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكُبُ
أغادٍ إلى حرّان في غير شيعة ... وذلك شاوٌ عن هواها مُغرَّبُ(٦)
فقلتُ لها كلّفتني طلب الغنى ... وليس وراء ابنِ الخليفة مذهبُ

---

(١) اللحاء: المنازعة.

(٢) عوران الكلام: ما تنفيه الأذن، الواحدة عوراء، والنوافر: الدوّاب الفزعة المتباعدة عن المراعي.

(٣) يمحض: يزلق ويزلّ، والموارب: المخادع والمخاتل.

(٤) الحوب: الإثم، وسوى الحقّ: وسطه، يعني أنّ قلبه ملازم الحقّ.

(٥) تشعب: تفرّقُ. (٦) شيعة: جماعة، ومغرّب: بعيد.

سيكفي فتىً من سعيه حدُّ سيفه وكُورٌ عـلافيٌّ ووجنـاء ذِعْلَبُ(١)
إذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها بنات الصُّوى منها ركوبٌ ومُصْعَبُ(٢)
فـعُدّي إلى يوم ارتحلتُ وسـائلي بزَوْرك والرُّحّـال من جـاء يضـربُ
لعلـك أن تَسْـتَيْقني أن زوْرتـي سليمان من سير الهواجر تُعقِبُ
أغـرُّ هشـاميُّ القناة إذا انتمى نمتْـه بدورٌ ليس فـيهنّ كـوكبُ
ومـا قـصدت يوماً مـخيلين خيلُه فـتُصْـرَفُ إلاّ عـن دمـاءٍ تصـببُ

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال:

إن أمسِ مُنْقَبِضَ اليدين عن النّدى وعـن العـدوّ مُخيَّس الشـيطانِ(٣)
فلقـد أروحُ عن اللئـام مُسلّطاً ثلجَ المقـيل مُنعَّـمَ النُّدْمـانِ(٤)
في ظلّ عـيش عشـيرةٍ محـمودةٍ تنْدى يدي ويُخـافُ فرْطُ لساني
أزْمـانَ جِنّيُّ الشـبـاب مُطـاوِعٌ وإذ الأمـيـرُ عليّ مـن حـرّانِ
ريمَ بأحْويـة العـراق إذا بـدا برقـتْ عليـه أكلّةُ المرْجـان(٥)
فـاكحلْ بعْبدة مُقْلتيْكَ مـن القذى وبوشْـكِ رؤْيتهـا مـن الهمـلان
فلقُرْبُ مَنْ تهـوى وأنتَ مـتـيمٌ أشْـفى لدائكَ مـن بني مـرْوان

فلما رجع إلى العراق بَرَّه ابنُ هُبَيْرة ووصله، وكان يُعظِّم بشّاراً ويُقدّمه، لمدحه قيساً وافتخاره بهم، فلما جاءت دولةُ أهلِ خُراسان عَظُم شأنُه. (٢١٧/٣)

(٣١)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ: أن بشّاراً وفد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحّلت صاحبي كـأن المنـايا في المُقـامِ تُناسبُهْ(٦)

---

(١) الكور: الرَّحل، والعلافي: نسبة إلى عِلاف بن طوار لأنّه أوّل مَنْ عملها، والوجناء: عظيمة الوجنتين صلبة قوية، وذعلب: سريعة.

(٢) استوغرت: حميت والمراد هنا ضاقت عليه، والصوى: جمع صوّة وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يُهتدى بها في المفازة، وبناتها: صغارها، والركوب: المذلّل بالركوب، والمصعّب: ما لم يركب ولم يمُس من الإبل.

(٣) مخيّس: مذلّل. (٤) ثلج المقيل: باردة.

(٥) أحوية: جمع حوراء وهي جماعة البيوت المتدانية.

(٦) تناسبه: تكون له ذات نسب فهي لا تضرُّه.

فـقلتُ له إنّ العـراق مـقـامـه وخـيمٌ إذا هبّت عليـك جنائبُـهْ(١)
لألقى بني عـيـلان إنّ فـعـالهم تزيد على كـلّ الفـعـال مـراتبُهْ(٢)
أولاك الألى شقّوا العمى بسيوفهم عن العين حتّى أبصـر الحقّ طالبُهْ(٣)
وجيشٍ كجُنح الليل يزحف بالحصا وبالشـوك والخَطّيّ حُمراً ثعالبُـهْ(٤)
غدونا له والشّمسُ في خِدر أمّها تُطـالعنا والطّلُّ لـم يجرِ ذائبُـهْ(٥)
بضـربٍ يذوق الموت من ذاق طعـمه وتُدْرِك مـن نجّى الفـرارُ مـثالبُـهْ
كـأنّ مُثـارَ النقع فـوق رءوسـنا وأسـيـافنا ليلٌ تهـاوى كـواكـبُهْ(٦)
بعـثنـا لهـم مـوتَ الفُجـاءةِ إنّنـا بنو الموت خـفّاق علينا سـبـائبُـهْ(٧)
فـراحـوا فـريقٌ في الإسـار ومـثلهُ قـتـيلٌ ومـثلٌ لاذ بالبـحـر هاربُـهْ
إذا الملك الجـبّار صـعّـر خـدّه مـشـينا إليـه بالسّيـوف نعـاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار ورفعتْ من ذكره، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها:

إذا كنتَ في كلّ الأمـور مُعـاتبـاً صـديقك لم تلق الذي لا تُعـاتِبُه
فـعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فـإنه مُقـارفُ ذنبٍ مـرّةً ومـجانبُـهْ(٨)
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئتَ وأيّ النّاس تصفو مشـاربُهْ (٢٣٦/٣)

(٣٢)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطّلّحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طلْحة قال: لما زُفّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، عارضها موسى شهوات:

طلْحـةُ الخيرِ جدُّكم ولخيـر الفواطِـم
أنتِ للطاهـراتِ مِن فـرْع تيْمٍ وهاشم

---

(١) الجنائب: جمع جنوب بمعنى ريح الجنوب.
(٢) الفَعال: الفعل الحسن خاصة. (٣) ألاك: لغة في (أولئك).
(٤) يزحف: يهجم، والحصى: العدد الكثير، والخطيّ: الرمح، وثعالبه: جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في حديدة السنان.
(٥) الطلّ: الندى. (٦) تهاوى: بمعنى تتهاوى أي تسقط وتختفي.
(٧) السبائب: الرّايات. (٨) مقارف: مُخالِط.

أرْتجـــيكُمْ لنفْعِكم ولدفـــع المظـالـم

فأمر له بكُسْوةٍ ودنانير وطيب. (٣٥٧/٣)

(٣٣)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال: أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن معاوية على بابه بدمشق، وكان فتىً جواداً سمْحاً، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابّته، ثم قال:

قم فصوِّتْ إذا أتيت دمشقاً يا يزيد بن خالدِ بن يزيدِ

يا يزيد بن خالدٍ إن تُجِبني يلْقني طائري بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوةٍ، وقال له: كلما شئتَ فنادنا نُجِبْك. (٣٥٨/٣)

(٣٤)

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العنزيّ عن العتْبيّ قال: كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز قريعَ قريـش إذا يُذْكَرُ(١)

تزوُّجتِ داودَ مُخْتـــارةً ألا ذلك الخلـفُ الأعْـورُ(٢)

فكانت إذا سخِطت عليه تقول: صدق والله موسى، إنك لأنتَ الخلفَ الأعور، فيشتُمُه داود (٣٥٨/٣)

(٣٥)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعبَ الزبيريّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازي والحسين بن عليّ: قال عُبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ عن أبي مِخْنَف: أن أنسَ بن زُنيْم اللَّيْثي كتب إلى عبد الله بن الزُّبير:

---

(١) الأغرّ: المشهور، المعروف، والقريع: السيّد والرئيس.

(٢) الأعور: الرديء من كلّ شيء، ويقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً من ناصح لك لا يُريك خداعا
بضع الفتاةَ بألف ألفٍ كاملٍ وتبيتُ قاداتُ الجيوش جياعاً(١)
لو لأبي حفْصٍ أقولُ مقالتي وأبثُّ ما أبثثْتُكم لارتاعاً(٢)

فلما وصلت الأبياتُ إليه جزع ثم قال: صدق والله، ولو لأبي حفصٍ يقول: إنَّ مُصْعباً تزوّج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفه وسلّ أيره وسنعْزله، فدعا بابنه حمزة، وأمُّه بنت منظور بن زيّان الفزاريّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولاّه البصرة وعزل مصعباً. فبلغ قولُه عبد الملك في أخيه مصعب، فقال: لكنّ أبا خُبيْب أغمد سيفه وأيره وخيّره. (٣٦١/٣)

(٣٦)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال: كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيْثمة بن حُذيفة العدويّ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بني أميّة يحسنون إليه ويُدرُّون عطاءه وتجيئُه صلاتُهم إلى الحجاز. وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجّها داودُ بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغرِّ ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يُذكرُ
تزوّجت داودَ مختارةً ألا ذلك الخلفُ الأعورُ

فغلب عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلفُ الأعورُ. (٣٦٥/٣)

(٣٧)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الفسّانيّ: أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى

---

(١) بَضَع: تزوج.

(٢) (لأبي حفص أقول مقالتي): دخل على هذا الشطر (الوقص) وهو ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من (متفاعلن).

ثم غنّاه فيها معْبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار. (٣٦٥/٣)

(٣٨)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد:

أقبل الأحوصُ حتّى وقف على معْن بن حُمَيْد الأنصاريّ، أحد بني عمرو بن عوف بن جحْجبى، فقال:

رأيتك مزْهُـوّاً كـــأنّ أباكـــمُ صُهَيْبة أمْسى خير عوْفٍ مُركبًا
تُقِرُّ بكـم كُوثى إذا ما نُسِـــبْتُمُ وتُنكركم عَمْرُ بن عوف بن جَحْجبى
عليك بأدنى الخَطْبِ إن أنتَ نِلْتَـه وأقْصرُ فلا يذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهبا(١)

فقام إليه بنوه ومواليه؛ فقال: دعُوا الكلب، خلُّوا عنه، لا يمسُّه أحدٌ منكم؛ فانصرف. حتى إذا كان عند أحجار المراء بقباء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان، وكان شديداً ضابطاً(٢)؛ فقال له الأحوصُ:

إنّ بقومٍ سوّدُوك لحاجـــةً إلى سيِّدٍ لو يظْفَرون بسيِّد

فألقى ثيابه وأخذ بحلْق الأحوص، ومع الأحوص راويتُه، وجاء الناسُ ليخلِّصوه، فحلف لئن خلّصه أحدٌ من يديه ليأخُذنّه وليدعنّ الأحوص؛ فخنقه حتى استرخى، وتركه حتى أفاق؛ ثم قال له: كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ، لئن سُمِع أو سَمِعْتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أريد بها نفْسك ولو كنْتَ تحت أستار الكعبة. فأقبل الأحوص على راويته فقال: إنّ هذا مجنون، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك؛ فإيّاك أن يسمعه منك خلْق(٣). (٢٤١/٤)

(٣٩)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبيرَ بن بكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عُبيدة حدّثه: أنّ الأحوص لم يزلْ مقيماً بدهْلك(٤) حتّى مات عُمر بن عبد العزيز، فَدسّ إلى حبابة ففنّت

(١) كوثى: محلة بمكة لبني عبد الدار. (٢) ضابطاً: شديد البطش والقوة والجسم.
(٣) لقي الشاعر شرّاً بسبب أبياته، ولم يكن مَنْ عناهم ليرضوا بالسكوت حتى تشيع الأبيات، وتنتشر، وكان التحذير منصبّاً على إخفاء الشعر ودفنه، وكان لهم ما أرادوا.
(٤) دَهْلك: جزيرة في بحر اليمن، وهو مُرْس بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة، حرجة، حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نَفَوه إليها. ينظر ياقوت (٤٩٢/٢).

يزيد بأبيات له ـ قال أبو عبيدة: أظنُّها قوله:

أيُّهـذا المُخبِّري عـن يزيـدٍ ... بصـلاحٍ فـداكَ أهلي ومـالي
مـا أُبالي إذا يزيـدُ بقى لي ... مَنْ تولَّتْ به صُروفُ الليـالي

قال أبو عبيدة أراه عرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يقدِرْ أن يصرِّح مع بني مروان ـ فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالت: الأحوص، وهوَنتْ أمره، وكلَّمته في أمانه فأمنَّه. فلمَّا أصبح حضر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائة ألفِ درهم. (٢٤٩/٤)

(٤٠)

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان: أنَّ الأحوص دسّ إلى حبابة، ففنَّت يزيد قوله:

كـريمُ قُريشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقـرَّتْ له بالمُلْكِ كـهْلاً وأمْردا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانعـاً ... إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المالِ في الحمـد إنَّـه ... إمـامُ هُدىً يجـري على مـا تعـوَّدا
تشـرَّف مـجـداً من أبيـه وجـدّه ... وقـد ورثا بُنْيـان مـجـدٍ تشـيَّدا

فقال يزيد: ويلك يا حبابةُ! مَنْ هذا من قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أمير المؤمنين. فقال: ومن قال هذا الشعر؟ قالت: الأحوص يمدح به أمير المؤمنين؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دهْلك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة. (٢٥٠/٤)

(٤١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني عمر بن موسى بن عبد العزيز قال: لمَّا ولي يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألف درهم. فلمَّا قدم قُباء صبّ المال على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه، وقال: إنِّي قد عملتُ لكم طعاماً. فلمَّا دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال، وقال: (أفسِحْرٌ هذا أمْ أنْتُمْ لا تُبْصِرون). (٢٥١/٤)

(٤٢)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهيْثم بن عديّ قال: كان المطَّلبُ بن عبد الله بن حنْطَبٍ قاضياً على مكة، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة؛ فقال

له المطّلب: (ويْحك!) ألستَ الذي يقول:

لقد طفت سبعاً قلتُ لما قضيتُها ألاَ ليت هـذا لا علـيَّ ولا ليـا

لا قبلتُ لك شهادةً أبداً. فقال له أبو سعيد: أنا والله الذي أقول:

كأنَّ وجوه الحنْطبيِّين في الدُّجى قناديلُ تسْقيها السَّليط الهياكلُ(١)

فقال الحنطبيّ: إنَّك ما علمتك إلا دباباً(٢) حول البيت في الظُّلم، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار؛ وقبل شهادته (٣٣٨/٤)

(٤٣)

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال: كان ابن رُهيْمةَ يُشبِّبُ بزينب بنتِ عِكْرمةَ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ويغني يونس بشعره، فافتضحتْ بذلك. فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك، فأمر بضرْبه خمسمائة سوط، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها، وأن يُفْعلَ ذلك بكلِّ مَنْ غنّى في شيء من شعره. فهرب هو ويونُس فلم يُقْدَرْ عليهما (٤٠٥/٤)

(٤٤)

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمةَ عن مُصْعَب قال: اسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً، وهم مِن سبي فارس، وكان اسماعيل شعوبياً(٣) شديد التعصُّب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم. قال: فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعبُ قوله:

إذ نُـربِّي بناتنـا وتدُسُّـو نَ سفاها بناتِكم في التُّرابِ(٤)

فقال له أشعبُ: صدقتَ والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم لغير ما أردتموهنّ له. قال:

(١) الحنطبيون: بطن من مخزوم، ينسبون إلى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي الصحابي، والسَّليط: الزيت وكلّ دهن عُصر من حبّ.

(٢) دبّاباً: ماشيا بهدوء وسكينة.

(٣) الشعوبية: فرقة لا ترى للعرب فضلاً على غيرها من الأمم، وتذهب إلى التسوية بين الشعوب، ومنهم مَنْ يفضّل غير العرب عليهم.

(٤) تدسّون سفاها بناتكم في التراب: يعرّض بما كانت العرب تفعله في جاهليتها من وأد البنات، وقد أبطل الإسلام هذا كلّه.

وماذاك؟ قال: دفن القومُ بناتهم خوفاً من العار، وربيْتُمومنُّ لتنكحومنُّ. قال: فضحك القومُ حتى استقربوا(١)، وخجل إسماعيل حتّى لو قدر أن يسيخَ(٢) في الأرض لفعل. (٤/٤١٢)

(٤٥)

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا عاصم الأسْلمي قال:

بينا ابنُ يسارٍ النَسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة، إذ أشار الوليد إلى مولىً له يقال له عبد الصمد، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه: فأمر به الوليدُ فأخرجَ. فقال ابن يسار:

قُلْ لوالي العهْدِ إنْ لاقيْتَه ... ووليُّ العهدِ أولى بالرُّشَدْ
إنّه واللهِ لولا أنتَ لم ... ينْجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنّه قد رام منّي خُطّةً ... لم يرُمْها قبله منّي أحدْ
فهو مما رامَ منّي كالذي ... يقْنُصُ الدُّراجَ من خيس الأسَدْ(٣)

فبعث إليه الوليدُ بخلْعةٍ سنيّةٍ وصلةٍ وترضّاه. وقد رُوي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصة أخرى، وذُكر هذا الشعر لهُ فيه. (٤/٤١٣)

(٤٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال: غنّيَ الوليدُ بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يسار، وهو:

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه ... وغارت الجوزاء والمِرزَمُ(٤)
خرجتُ والوطْءُ خفِيٌّ كما ... ينساب من مكمنه الأرقم(٥)

---

(١) استقربوا، بالغوا في الضحك.

(٢) يسيخ: يغيب ويدخل في الأرض خجلاً.

(٣) الدُّراج: طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما، أغبر على خلقة القطا إلاّ أنّه ألطف، وخيس الأسد: غابته ومكانه، و(يقنص الدرّاج من خيس الأسد) مثل، يُضرب لمن يطلب ما يتعذرّ وجوده والحصول عليه.

(٤) المِرْزم: من نجوم المطر، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنّى، فيقال: المرزمان.

(٥) الوطء: المشي الهادئ، وخفيّ: هادئ، بلا صوت، والأرقم: أخبث الحيّات.

فقال: مَنْ يقول هذا؟ قالوا: رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النَّساني فكتب في إشخاصه إليه. فلمَّا دخل عليه استنشده القصيدة التي هذان البيتان منها؛ فأنشده:

كلُّكُمُ أنتِ الهمُّ يا كلَّكُم ... وأنتُم دائي الذي أكْتُمُ
أكاتمُ الناسَ هوىً شفَّني ... وبعضُ كتمان الهوى أحزمُ
قد لُمْتني ظلماً بلا ظنَّةٍ ... وأنتِ فيما بيننا ألومُ
أبْدي الذي تُخْفينه ظاهراً ... أرتدُّ عنه فيك أو أقدمُ
إمَّا بيأس منك أو مطمَعٍ ... يُسْدي بحسن الودُّ أو يُلْحَمُ
لا تتركيني هكذا ميِّتاً ... لا أمْنَحُ الودُّ ولا أصْرَمُ
أوْفي بما قلْت ولا تندمي ... إنَّ الوفيَّ القولِ لا يندَمُ
آية ما جئتُ على رِقْبة ... بعد الكرى والحيُّ قد نوَّمُوا(١)
أخافتُ المشْي حذار العدا ... والليلُ داجٍ حالكٌ مظلمُ
ودون ما حاولتُ إذ زرتُكم ... أخوكَ والخالُ معاً والعمُ
وليس إلاَّ الله لي صاحبٌ ... إليكمُ والصارمُ اللُّهْذَمُ(٢)
حتَّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ ... من شفقٍ عيناك لي تسْجُمُ
ثم انجلى الحزنُ وروعاتُه ... وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ(٣)
فبتُّ فيما شئتُ من نعْمةٍ ... يمْنحُنيها نحرها والفمُ(٤)
حتَّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه ... وغارت الجوزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفيٌّ كما ... ينسابُ من مكْمنِه الأرْقَمُ

قال: فطربَ الوليد حتَّى نزل عن فرْشه وسريره، وأمر المغنِّين فغنُّوه الصوتَ وشرب عليه أقداحاً، وأمر لإسماعيل بكُسْوةٍ وجائزة سنيَّة، وسرَّحه إلى المدينة. (٤/٤١٦)

(٤٧)

حدَّثني عمّي قال حدَّثني أحمد بن أبي خيْثمة قال حدَّثنا مُصْعب بن عبد الله عن أبيه: أن إسماعيل بن يسار دخل على عبد الملك بن مرْوان لمَّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير، فسلَّم ووقف موقف المُنْشِد واستأذن في الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يابن يسار!

---

(١) رِقبة: تحفُّظ. (٢) اللُّهذم: القاطع من السيوف والأسنة.

(٣) المبرم: الجليس الثقي. (٤) النِّعمة بفتح النون: المسرَّة والفرح.

إنّما أنت امرؤٌ زُبيريٌّ، فبأيّ لسان تُنْشِد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صفحتَ عن أعظم جُرْماً وأكثر غناءً لأعدائكَ منّي، وإنما أنا شاعر مُضْحِك. فتبسّم عبد الملك؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنْشِد. فابتدأ فأنشد قوله:

ألا يا لقومي للرُّقادِ المُسهِّدِ ... وللماء ممنوعاً من الحالم الصَّدي(١)
وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحُبُّ بعد السُّلْوة المُتمرِّدِ
وللمرء يُلْحى في التصابي وقبله ... صبا بالغواني كُلُّ قرْم مُمجَّدِ(٢)
وكيف تناسى القلْب سلْمى وحُبُّها ... كجمْرِ غضىً بين الشَّراسيف موقدِ(٣)

حتى انتهى إلى قوله:

إليكَ إمام الناس من بطن يثْرب ... ونِعْمَ أخو ذي الحاجة المُتعمِّدِ
رحلْنا لأنَّ الجود منك خليقةٌ ... وأنَّك لم يذْمُمْ جنابك مُجْتدى
ملكتَ فزِدْتَ النَّاسَ ما لم يزِدْهُم ... إمامٌ من المعروف غيرِ المُصرَّدِ(٤)
وقُمْتَ فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولمّا وليتَ المُلْك ضاربتَ دونه ... وأسندته لا تأتلي خيرَ مُسْنَدِ
جعلتَ هشاماً والوليدَ ذخيرةً ... وليّين للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال: فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّماً، والتفت إلى سليمان فقال: أخرجك إسماعيل من هذا الأمر. فقَطَبَ سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب. فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين، إنما وزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل، وقد قلتُ بعده:

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ... ومنْ يعْتصمْ بالله منك يرْشُدِ

فأمر له بألفي درهمٍ صلةً، وزاد في عطائه، وفرض له، وقال لولده: أعْطُوه؛ فأعطوه ثلاثة آلافِ درهم(٥). (٤/٤٢١)

---

(١) الحالم: العَطِش. (٢) يُلحى: يلحّ ويُغْرم، والقرم: السيّد العظيم.

(٣) الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. (٤) المصرَّد: القليل.

(٥) نرى عبد الملك بن مروان يذكّر الشاعر بموقفه السياسي القديم، وليس هذا بغريب من خليفة يتطلب الولاء من أتباعه، ولكنّ الغرابة تكمن في موقف الشاعر، إذ سرعان ما يتراجع ويصف نفسه بأنه شاعر مضحك، يطلب الصفح والغفران، ويذكّرنا هذا الأمر بما ورد في عمدة ابن رشيق (١/٧٥)، حيث أورد مواقف متشابهة لشعراء كثيرين، نرى بعضهم يُقتل بسبب شعر قاله، ولكنّ ابن رشيق يعلّق بقوله: «وأحمق الشعراء عندي مَنْ أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرّض له، وما الشاعر والتعرّض للحتوف؟ وإنّما هو طالب =

(٤٨)

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال ذكر ابن النُّطّاح عن أبي اليقْظان:

أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم:

يارَبْعَ رامةَ بالعلياء من ريم ... هل ترْجِعنّ إذا حيّيْتُ تسليمي(١)
ما بالُ حيٍّ غدتْ بُزْلُ المطيِّ بهم ... تخْدي لغربتهم سيراً بتقحيمِ(٢)
كأنّني يوم ساروا شاربٌ سلبتْ ... فؤاده قهوةٌ من خمْرِ داروم(٣)

حتى انتهى إلى قوله:

إنّي وجدّك ماعُودي بذي خورٍ ... عند الحفاظِ ولا حوْضي بمهدوم(٤)
أصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحدّ السّيْفِ مسمومِ
أحْمي به مجد أقوامٍ ذوي حسبٍ ... من كلّ قرْمٍ بتاج المُلْكِ معمومِ
جحاجحٍ سادةٍ بلْجٍ مرازبةٍ ... جُرْدٍ عتاقٍ مساميحٍ مطاعيمِ(٥)
مَنْ مثلُ كِسرى وسابور الجنود معاً ... والهُرْمزانِ لفخرٍ أو لتعظيمِ
أسْدُ الكتائب يوم الرَّوْع إن زحَفُوا ... وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّرْكِ والرُّومِ
يمشون في حلقَ الماذيِّ سابغةً ... مشْيَ الضَّراغمةِ الأسْدِ اللُّهاميمِ(٦)

= فضل»، ولعلّ ابن رشيق وقبله اسماعيل بن يسار يمثلاّن اتجاهاً عريضاً هذا شأنه، ولولا حكمة عبد الملك المعروفة، وحسن تدبيره، لَعدّ ما يقوله فيه وفي أولاده من جنس ما قاله في الزبيريّين، إذ من الممكن التراجع والنكوص عنه عند أوّل سانحة، وسنرى نظائر لهذا في نصوص مقبلة، وليس الشاعر (على أيّة حال) مضحكاً مثلما أراده اسماعيل، فهو وَصْفٌ إن أراده لنفسه، لا نراه يسري على كثير من الشعراء غيره.

(١) ورامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة، وقيل: رامة هضبة أو جبل ببني دارم، وريم: وادٍ لبني مزينة قرب المدينة.

(٢) بزل: جمع بزول وهي الناقة في تاسع سنيّها، وتخدي: تسرع في سيرها، والتقحيم: طيّ المنازل وعدم النزول بها.

(٣) القهوة: الخمرة، وداروم: قلعة بعد غزّة للقاصد إلى مصر، تنسب إليها الخمر. (٤) الخَوَر: الضعف.

(٥) الجحاجح: السادة، والجُرد: الأقوياء، والمساميح: الكرماء، والمرازبة: جمع مرزبان وهو رئيس الفرس.

(٦) الحلق: الدرع، والماذيّ: الدروع السهلة اللينة. واللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس.

هـنـاك إنْ تسـألي تُنْبيْ بأنَّ لنـا جُرْثومـةً قـهـرتْ عِزَّ الجـراثيم(١)

قال: فغضب هشامٌ وقال له: يا عاضَّ بظرِ أمّه! أعليٌّ تفخر وأيّاي تُنْشِد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاج قومك!! غُطُّوه في الماء، فغطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرُج، ثم أمر بإخراجه وهو بشرٌ ونَفاه من وقته، فأخرج عن الرُّصافة منفيّاً إلى الحجاز. قال: وكان مبتلىً بالعصبية للعجم والفخر بهم، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً(٢). (٤/٤٢٢)

(٤٩)

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيْثمة قال قال ابن النُّطاح وحدّثني أبو اليقظان: أنَّ إسماعيل بن يسار وفدَ إلى الوليد بن يزيد، وقد أسنَّ وضعُف، فتوسَّل إليه بأخيه الغمْر ومدحه بقوله:

نأتْك سُليمى فالهوى مُتشاجرُ وفي نأيها للقلب داءٌ مُخامِرُ(٣)
نأتْك وهام القلب، نأياً بذكرها ولجَّ كما لجَّ الخليعُ المُقامِرُ(٤)
بواضحة الأقرابِ خفّاقة الحشى برَهْرَهةٍ لا يجْتويها المعاشِرُ(٥)

يقول فيها يمدح الغمْر بن يزيد:

إذا عدَّد النـاسُ المكـارم والعُـلا فلا يفْخرَنْ يوماً على الغمْر فاخرُ
فما مرَّ من يومٍ على الدهر واحد على الغمْرِ إلاَّ وهو في الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً كما خشعَتْ يوماً لكسْرى الأساورُ(٦)
أغرُّ بطاحيٌّ كأنَّ جبينه إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ(٧)
وقى عِرْضه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ له وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافرُ(٨)

---

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) هذا موقف يناقض ما رأيناه في النصّ السابق، إذ كيف يأمن الشاعر أن يفخر في مجلس الخليفة بقوم غير قومه، والكلّ يعلم تعصّب بني أمية للعرب، بالإضافة إلى ما رأيناه من تراجعه في مجلس عبد الملك عن موقفه من الزبيريين.

(٣) متشاجر: متكاثر متلاطم، ومخامر: مخالط.

(٤) نأتك وهام القلب نأياً بذكرها: أي نأتك نأياً وهام القلب بذكرها.

(٥) الأقراب: جمع قُرب وهي الخاصرة، وبرهرهة: المرأة البيضاء الشابة الناعمة.

(٦) الأساور: مفردها أسوار: وهو الفارس المقاتل في الجيش الفارسي.

(٧) بطاحيّ: نسبة إلى البطاح، التي كان ينزلها قريش البطاح، وهم أشرف قريش وأكرمهم. (٨) جُنّة: وقاء.

وفي سيبه للمجتدين عمارةٌ ... وفي سيفه للدِّين عزٌّ وناصر(١)
نماه إلى فرعي لُؤيِّ بن غالبٍ ... أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامر
وخمسةُ آباء له قد تتابعوا ... خلائفُ عدلٍ ملّكُهم مُتواتر
بَهاليلُ سبّاقون في كلِّ غايةٍ ... إذا استبقتْ في المكْرُماتِ المعاشر(٢)
هُم خيرُ مَنْ بين الحجونُ إلى الصَّفا ... إلى حيثُ أفضتْ بالبطاحِ الحزاورِ(٣)
وهمْ جمعوا هذا الأنام على الهُدى ... وقد فرّقتْ بين الأنام البصائر

قال: فأعطاه الغمْرُ ثلاثةَ آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم. (٤/٤٢٤)

(٥٠)

أخبرني عمي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة عن مُصْعبٍ قال: لمّا مات محمد بن يسار، وكانت وفاته قبل أخيه، دخل إسماعيلُ على هشام بن عُروةَ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه، ثم أنشده يرثيه:

عيلَ العزاءُ وخانني صبْري ... لمّا نعى الناعي أبا بكْرِ(٤)
ورأيتُ ريْبَ الدَّهْر أفردني ... منه وأسْلَم للعدا ظهري
من طيِّب الأثوابِ مُقْتبِلٍ ... حلْو الشمائل ماجدٍ غمْرِ(٥)
فمضى لوجْهته وأدركه ... قدرٌ أنيحَ له من القدْر
وغبرتُ مالي من تذكُّره ... إلاّ الأسى وحرارةُ الصدرِ(٦)
وجوى يعاودني وقلَّ له ... منِّي الجوى ومحاسنُ الذِّكْر
لمّا هوتْ أيدي الرِّجال به ... في قعْرِ ذات جوانبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنِّي لن ألاقيه ... في الناس حتّى ملتقى الحشْرِ
كادتْ لفُرْقته وما ظلمتْ ... نفْسي تموت على شفا القبر
ولعمْرُ مَنْ حُبِس الهديُّ له ... بالأخْشبينِ صبيحةَ النَّحْرِ(٧)
لو كان نيلُ الخُلْدِ يُدْركه ... بشرٌ بطيب الخيم والنُّجْرِ(٨)

---

(١) سَيْبه: عطاؤه وكرمه. (٢) البهاليل: السادة المقدَّمون.
(٣) الحزاور: جمع حَزْورة وهي الرابية الصغيرة. (٤) وعيل: نفد. (٥) الغمر: الكريم الواسع الخلق.
(٦) غبرت: مكثت وبقيت. (٧) الأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى.
(٨) الخيم: الطبيعة والسجيّة، والنجْر: الأصل.

لغـبَرْتَ لا تخـشى المنُـونَ ولا أوْدى بنفـسـك حـادثُ الدَّهرِ
ولنِعْـمَ مـأوى المُـرْملـينَ إذا قُحطوا وأخلـفَ صـائبُ القطْرِ
كـم قُلت آونـةً وقـد ذرفـتْ عـيني فـمـاءُ شـؤونها يجـري
أنّى وأيُّ فـتـىً يكـون لنـا شـرْواكَ عند تفـاقُم الأمـر(١)
لدفـاع خـصْمٍ ذي مُشـاغبـةٍ ولعـائلٍ تـربٍ أخـي فـقْـرِ
ولقد علمتُ وإنْ ضمنتُ جوىً ممـا أجِنُّ كـواهـج الجمـر
مـا لامـرئٍ دون المنيَّة مِنْ نفـقٍ فـيُحْـرِزُه ولا سِـتْرِ

قال: وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير، فقال له: أحسنت وأسرفتَ في القول، فلو قلت هذا في رجلٍ من سادات قريش لكان كثيراً. فزجره هشام قال: بئس والله ما واجهت به جليسك؛ فشكره إسماعيل، وجزاه خيراً. فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبيري وقال: ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر مَلَكَ قوله فصرف أحسنه إلى أخيه! مازدت على أن أغريته بعرْضك وأعراضنا لولا أنّي تلافيتُه(٢). (٤/٤٢٥)

(٥١)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دأب قال: لما خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفّين خرج معه نابغةُ بني جعْدة؛ فساق به يوماً فقال:

قـد علم المِصْران والعـراقُ أنّ علياً فـحلُهـا العُتـاقُ(٣)
أبيضُ جـحـجـاحٌ له رواقُ وأمّه غـالى بهـا الصّـداقُ(٤)
أكـرمُ مـن شـدَّ به نِطـاقُ إنّ الألى جـاروكَ لا أفـاقـوا
لهم سـيـاقٌ ولكم سـيـاقُ قـد علمتْ ذلكـمُ الرِّفـاقُ

(١) شرواك: مثلك.
(٢) ينبّه هشام بن عروة إلى مكانة الشاعر، وقدرته على التصرّف في فنون القول، وتمكنّه من النّيل من ذلك الذي جبهه بذلك الكلام القاسي، خاصة أنّ الشاعر قد وجّه شعره إلى غاية نبيلة، وهي رثاء الأخ، ولم تكن لتضرّ أحداً. وهذا التلافي كان أمراً لا محيص عنه سدّاً لخلل، ودفعاً لأذى منتظر.
(٣) المِصران: البصرة والكوفة، والعُتاق: الكريم.
(٤) جحجاح: سيّد مُقدَّم، ورواق: بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد طويل، أراد أن له بيتاً يلتجئ إليه الناس فيه.

سُقتم إلى نهْج الهُدى وساقُوا إلى التي ليس لها عِراقُ(١)
في ملّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلما قدم معاويةُ بن أبي سفيان الكوفة، قام النابغة بين يديه فقال:

ألم تأتِ أهل المشرقين رسالتي وأيُّ نصيح لا يبيتُ على عتْبِ
ملكتمْ فكان الشرُّ آخر عهدكمْ لئن لم تداركُكُمْ حلُومُ بني حرْب

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهلَ النابغة وما له؛ فدخل النّابغةُ على معاوية، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان، فأنشده:

مَنْ راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي على النّأي والأنباءُ تُنْمى وتُجلَبُ
ويُخْبر عنّي ما أقول ابنَ عامر ونعم الفتى يأوى إليه المُعصَّبُ(٢)
فإنْ تأخذوا أهلي ومالي بظنّةٍ فإنّي لحرّابُ الرجالِ مُحرَّبُ(٣)
صبورٌ على ما يكره المرءُ كلِّه سِوى الظلم إني إن ظُلمت سأغضبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى ألاّ تردَّ عليه شيئاً؛ فقال: ما أهونَ والله عليك أن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فترويه، أما والله إن كنت لِمن يرويه! أردُد عليه كلَّ شيء أخذته منه(٤). (٣٠/٥)

(٥٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال: استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيات على حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقالت له الجاريةُ: ليس عليه إذنٌ الآن؛ فقال: أما إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي! قال: فدخلت الجاريةُ على حمزة فأخبرتْه، فقال: ينبغي أن يكون هذا ابنَ قيس الرقيّات، ائذني له، فأذنتْ له؛ فقال: مرْحباً بك يابنَ قيس، هل من حاجة نزعتْ بك؟ قال: نعم، زوّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخٍ لي ثلاث،

---

(١) إلى التي ليس لها عراق: يريد إلى مضلّة لا نهاية لها لا غاية.

(٢) المعصَّب: هو الذي عصبته السنون أي أكلت ماله.

(٣) حرّاب الرجال محرِّب: يصف نفسه بأنّه شديد الكيد والنكاية.

(٤) كان معاوية راويةً للشعر، متذوقاً له، عارفاً أهميته في مجتمعه، بالإضافة إلى ما عُرف عن حسن تدبيره ونفاذ بصيرته، وما كان له بعد هذا كلّه أن يترك الشاعر يقول ما يشاء فترويه العرب فينتشر، ولذلك نراه يلبيّ للشاعر ما طلب، ويتغاضى عن قوله السابق وما مرّ له من مواقف

وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاث بناتٍ لي؛ قال: فلبنيكَ الثلاثة أربعمائة دينارٍ أربعمائة دينار، ولبناتك الثلاث ثلثمائة دينار ثلثمائة دينارٍ، ولبنات أخيك الثلاث ثلثمائة دينار ثلثمائة دينارٍ، هل بقيتْ لك من حاجة يابن قيس؟ قال: لا والله إلا مؤونة السفر؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رقاع أخْفافِ الإبل. (٩٣/٥)

(٥٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزّبير بن بكّار قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ واسمه هارون بن عبد الله قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان الحسنُ بن زيد قد عوّد داودَ بن سلْم مولى بني تيْم إذا جاءته غلة من الخانقين(١) أن يصلَه. فلما مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد، أغضب ذلك الحسنَ؛ فقدم من حجٍّ أو عُمرة، ودخل عليه داودُ مسلماً، فقال له الحسن: أنت القائل في جعفر:

وكُنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ ... وكان المُنى في جعفر أن يُؤمّرا
حوى المِنْبرين الطاهرينْ كليْهما ... إذا ما خطا عن منبرٍ أمّ منْبرا(٢)
كأن بني حوّاء صُفّوا أمامه ... فخُيِّر من أنسابهم فتخيّرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداكم، فكنتم خيرة اختياره؛ وأنا الذي أقول:

لعمْري لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِماً ... بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرا
لأنتَ بما قدّمتَ أولى بمنْحةٍ ... واكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصرا
هو الغُرّةُ الزّهْراءُ من فرع هاشمٍ ... ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد النّديّ والسّبْطِ سِبْطَ محمدٍ ... وعمُّك بالطّفِّ الزّكيُّ المطهرا(٣)
وما نال مِن ذا جعفرٌ غير مجلسٍ ... إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقّكمُ نالوا ذُراها فأصبحوا ... يرَوْن به عزّاً عليكم ومفْخرا

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يزل يصلُه ويُحْسِن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: «وإن كان مُعْذِراً» أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثة ألفَ دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه. (١٤/٦)

---

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. (٢) أمّ: قَصَد.

(٣) زيد: هو زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب، والسبط: هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمه: يعني به الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٥٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن موسى بن طلْحة قال حدّثني زُهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس: أن داود بن سلْم خرج إلى حرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية؛ فلما نزل به حطَّ غلمانُه متاعَ داودَ وحلّوا عن راحلته؛ فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولُمّا دفعْتُ لأبوابهم ... ولاقيتُ حرْباً لَقيتُ النجاحا
وجدناه يحْمده المُجْتدُون ... ويأبى على العسر إلا سماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرى كلبُهم ... يهابُ الهرير وينْسى النُّباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذِنَ له وأعطاه ألفَ دينار. فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه؛ فظنَّ أن حرْباً ساخطٌ عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه؛ فقال له: سلْهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا نُنْزِل من جاءنا ولا نُرْحل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضريّ حديثه فأتاه فحدّثه فقال: أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنُ من شعرك. (١٩/٦)

(٥٥)

وذكر محمد بن صالح بن النَّطّاح أنَّ هشام بن محمد الكلبيّ حدّث عن أبيه: أن أعشى همْدان كان مع خالد بن عتّاب بن ورْقاء الرِّياحيّ بالرَّيّ ودسْتبى(١)، وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقّينه وفيهنّ أمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القدْر عنده، فجعل الناسُ يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّعاس؛ فقالت أمُّ ولد خالد بن عتّاب لجواريها: إن امرأة خالد لتُفاخرني بأبيها وعمِّها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش. وسمعها الأعشى فقال: مَنْ هذه؟ فقال له بعضُ الناس: هذه جارية خالد؛ فضحك وقال لها: إليك عني يا لكْعاء؛ ثم أنشأ يقول:

وما يُدْريك ما فرسٌ جَرُورٌ ... ومايدريك ما حمْلُ السِّلاحِ(٢)
وما يدريك ماشيخ كبيرٌ ... عداه الدهر عن سنن المراحِ

---

(١) دَسْتبى: كورة كانت مقسومة بين الريّ وهمذان.

(٢) الجرور: الذي لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه.

فـأقْسِمُ لو ركـبتِ الوِرْد يومـاً وليلتـــه إلى وضـــح الصُّبـاح
إذا لنظـرتُ منـك إلى مكـــان كســحْق البُرْد أو أثرِ الجراح(١)

قال: فأصبحت الجاريةُ فدخلتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى؛ فقالت: والله ماتُكْرَم، ولقد اجترئ عليك! فقال لها: وما ذاك؟ فأخبرتْه أنها مرّت برجل في وجه الصبح، ووصفتْه له وأنه سبّها؛ فقال: ذلك أعشى همْدان؛ فأيّ شيء قال لك؟ فأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زعمتْ أنك هجوْتها؛ فقال: أساءت سمعاً، إنما قلتُ:

مـررتُ بنســـوة متعطِّـرات كضوء الصبح أو بيض الأداحي(٢)
على شُقُر البغال فصدن قلبي بحســـن الـدُّل والحدق المـلاح
فـقلتُ مَنِ الظبـاءُ فَقُلْنَ سِرْبٌ بـدا لك مـن ظبـاء بني ريـاح

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبياتَ؛ فقال له خالد: أما إنّها لولا أنّها قد ولدت منّي لوهبتُها لك، ولكنّي أفتدي جنايتها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تُعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك.

وذكر هذا الخبرَ العنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرها، ولم يأتِ به على هذا الشرح. (٤٢/٦)

(٥٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعيد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن الهيْثم بن عديّ عن مُجالدٍ عن الشَّعْبيّ:

أنه أتى البصرة أيامَ ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنفُ بن قيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا خولُنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! (يعني الخوارج). قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثّلتُ قول أعشى همدان:

أفـخرتم أنْ قـتلتمْ أعـبُداً وهـــزمـتُمْ مـرّةً آل عـزلْ(٣)
نحن سُـقناهمْ إليـكم عنْوةً وجـمعنا أمركم بعد فـشل
فـإذا فـاخـرتمونا فـاذكروا مـافـعلنا بكُم يومَ الجمـل

(١) سحق: الثوب البالي. (٢) الأداحي: جمع أُدحية وهي مبيض النعام في الرمل.
(٣) آل عَزْل: العزل هو الاعتزال والتنحّي، ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين.

بين شيخٍ خاضبٍ عُثْنونه وفتىً أبيضَ وضّاح رفل(١)
جاءنا يرفلُ في سابغةٍ فذبحناه ضحىً ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا وكفرتم نعمةَ الله الأجلّ

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته. (٥٤/٦)

(٥٧)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ومحمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال:

أُطْلق أعشى همْدان فأتى خالد بنَ عتّاب بن ورْقاء فأنشده:

رأيتُ ثناء الناس بالقول طيباً عليكَ وقالوا ماجدٌ وابن ماجدِ
بني الحارث السامين للمجد، إنكم بنيتم بناءً ذكرُه غيرُ بائد
هنيئاً لما أعطاكُم الله واعلموا بأني سأُطْري خالداً في القصائد
فإن يك عتّابٌ مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثلُ خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم. (٥٦/٦)

(٥٨)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غسّان (قال): قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ - ودخل عليه -: أنشدني يا سابقُ شيئاً من شعرك تذكّرني به؛ فقال: أو خيراً من شعري؟ فقال: هات؛ قال قال أعشى همدان:

وبينما المرءُ أمسى ناعماً جذِلاً في أهله معجباً بالعيش ذا أنقِ(٢)
غِرّاً، أتيح له من حينه عرض فما تلبّث حتى مات كالصُّعق(٣)
ثُمّتَ أضحى ضُحىً من غبِّ ثالثة مقنّعاً غير ذي رُوح ولا رمق
يُبكى عليه وأنّوْه لُمظْلمة تُعْلى جوانبُها بالتُّرب والفلق(٤)
فما تزوّد ممّا كان يجْمَعه إلاّ حنُوطاً وما واراه من خِرق

---

(١) العثنون: اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين، والرَّفَل من الناس: الطويل الذَّيل.
(٢) جَذِل: فَرِح، والأنَق: السرور والفرح.
(٣) الصُّعق: مَنْ أصابته الصّاعقة. (٤) الفِلق: الحجارة.

وغـيـر نفـحـة أعـواد تُشبُّ له وقـلّ ذلـك مـن زادٍ لمُنطلـق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته. (٥٧/٦)

(٥٩)

أخبرني الحرمي بن العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الدينارىّ قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهيْثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال: سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبْسيّ حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوه:

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبَحت فارساً تُعدّ إذا عُدَّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرت هذا فقُلْ كذا وبيِّن لي الجُرح الذي كان قد دثر
وإصبعُكَ الوسطى عليه شهيدةٌ وما ذاك إلا وخزهُا الثوبَ بالإبر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خياطاً، وقد كان ولي للحجاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجّاج قال له: يا شجرة، أرني إصبعك أنظُر إليها؛ قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صفة الأعشى؛ فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مُرِ المُعْطى أن يُعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا أتاك امرؤٌ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه(١). (٥٨/٦)

(٦٠)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد الأزديّ قال حدّثنا أحمد بن عمر الحنفيّ عن جماعة ـ قال المبرّد ـ أحسب أن أحدهم مؤرِّج بن عمرو السُّدُوسيّ ـ قالوا: لما أتِيَ الحجاجُ بن يوسف الثقفي بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمْكن منك، ألستَ القائل:

لُما سفونا للكفور الفتّانْ بالسيّد الغطْريف عبد الرحمن(٢)
سار بجمْع كالقطا من قحْطان ومن معدّ قد أتى ابن عدْنان
أمكن ربّي من ثقيف همْدان يوماً إلى الليل يُسلّى ما كان

---

(١) لعل الحجّاج يصدر من النبع ذاته الذي صدر منه مَنْ ذُكِروا سابقاً، من حيث اتّقاء الشاعر، ووضعه موضع تكريم يليق به في مجتمع يلهج بالشعر، يعدُّه من مفاخره، وكبير محاسنه.

(٢) سفونا: أسرعنا.

إنَّ ثقيفاً منهم الكذّابان كذّابُها الماضي وكذابٌ ثان

أولست القائل:

يابْنَ الأشجّ قريع كِنْدة لا أبالي فيك عتْبا(١)
أنت الرئيسُ ابنُ الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
نُبِئْتُ حجاج بن يو سف خرٌ من زَلَق فتبّا
فانهض فُديتَ لعله يجلو بك الرحمنُ كرْبا
وابعث عطية في الخيـ ـل يكُبُّهنّ عليه كبّا(٢)

كلاّ يا عدوّ الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زلق فتبٌّ، وحار وانكبّ، ومالقي ما أحب؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهترّ منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

أبى الله إلا أن يتمم نوره ويطفئ نارَ الفاسقين فتخمُدا
وينزل ذُلاً بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكّدا
وما لبث الحجاجُ أن سلّ سيفه علينا فولّى جمعُنا وتبدّدا
وما زاحف الحجاجُ إلا رأيته حُساماً مُلقىً للحروب مُعوّدا
فكيف رأيتَ الله فرّق جمعهم ومزّقهم عُرْضَ البلاد وشرّدا
بما نكثوا من بيْعة بعد بيعة إذا ضمنوها اليوم خاسُوا بها غدا(٣)
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصْعدْ إلى الله مصْعدا
ولمّا دلفْنا لابن يوسف ضِلّة وأبرق منا العارضان وأرعدا(٤)
قطعنا إليه الخندقين وإنما قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصدا(٥)
فصادمنا الحجاجُ دون صفوفنا كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجُند أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى مُعاناً مؤيّدا
ليهنئْ أميرَ المؤمنين ظهورُه على أمة كانوا بُغاةً وحُسّدا
وجدنا بني مروان خير أئمة وأعظم هذا الخلْق حلماً وسُؤْدُدا

---

(١) الأشجّ: هو الأشعث بن قيس الكندي جدّ عبد الرحمن بن محمد المعنيّ في هذا الشعر. والقريع: السيّد.

(٢) عطية: هو عطية بن عمرو العنبري، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق.

(٣) خاسوا: نكثوا وغدروا. (٤) ضلة: ضدّ الهدى.

(٥) مُرْصد: مترقّب.

وخير قريش في قريش أرُومةً وأكرمهم إلاّ النبيّ محمدا
إذا ما تدبَّرنا عواقب أمرنا وجدنا أمير المؤمنين المُسدَّدا
سيغلب قوماً غالبوا الله جهْرةً وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يُضِلّ الله من كان قلبُه ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألْحدا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم وبيضاً عليهن الجلابيب خُرَّدا(١)
يناديهم مستعبراتٍ إليهمُ ويُنْزِرن دمعاً في الخدودِ وإثْمدا
وإلا تناولْهُنّ منك برحمة يكنّ سبايا والبُعولةُ أعبُدا
تعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ فقد تركوا أمر السفاهة والرَّدى
لعلهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً وتعرف نُصحاً منهمُ وتودُّدا
لقد شمْتَ يابن الأشعث العام مصرنا فظلّوا وما لاقوا من الطير أسعدا
كما شامَ اللهَ النُّجير وأهلَه بجدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا(٢)

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخلِّ سبيله؛ فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إيّاه وأراد به أن يحرّض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدوّ الله أنك تخدّعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجو! ألستَ القائل! ويحك!.

وإذا سألتَ: المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمد وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيس باذخٍ بَخٍ بَخٍ لوالده وللمولودِ

والله لا تبخبخ بعدها أبداً. أو لست القائل:

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم فاليوم أصبر للزمان وأعرف!

كذبتَ والله، ما كنت صبوراً ولا عروفا. ثم قلت بعده:

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكل غيابة ستكشُف

أمّا والله لتكوننّ نكبة لا تنكشف غيابتُها عنك أبداً ! يا حرسيّ، اضربْ عنقه؛ فضرب عنقه(٣).
(٥٨/٦)

---

(١) البيض: النساء، والخرَّد: جمع خريدة وهي من النساء البكر التي لم تُمسّ.
(٢) النجيّر: حصن قرب حضرموت منيع.
(٣) لم يكن الحجّاج ليغفر للشاعر شعره القديم، ولم يستطع شعره الجديد أن يجبَّ ذلك القديم، وما فيه من هجاء للحجّاج وتحريض عليه، فكان القتل عقاب الشاعر بسبب ذلك الشعر.

(٦١)

أخبرني عمي قال حدّثني الكُراني قال حدّثنا العُمري عن العُتْبيّ والهيْثم بن عديّ ولقيط قالوا: قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: بمَ استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأنّي أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثرمنهم ممن تعرف أنك لم تعرفْه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميّزتُ القديم منه من المحدث؛ فقال: إنَّ هذا لعلم وأبيك كثير! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيرا، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام؛ قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد؛ فأنشد الوليد حتى ضجِر، ثم وكّل به من استحلفه أن يصدقُه عنه ويستوفي عليه؛ فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم. (٦/٧٠)

(٦٢)

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال: قال حماد الراوية: أرسل إليّ أمير الكوفة فقال لي: قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فحُملت فقدمت عليه وهو في الصيد، فلما رجع إذِن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجّد بالأرْمني(١) أرضُه وحيطانُه؛ فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك؛ قال: فما بلغ من روايتك؟ قلت: أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها: بانت سعاد؛ فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبّت في الكأس ثم مزجْته حتى رأيتُ له حبابا؛ فقال: أنشدني في مثل هذه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عديّ بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـح يقولون لي ألا تستفيقُ
ثمَّ ثاروا إلى الصُّبوحِ فقامت قينةٌ في يمينها إبريق
قدَّمَتْه على سُلافٍ كريح الـ ـمسك صفّى سُلافها الرُّاووقُ(٢)
فترى فوقها فقاقيعَ كاليا قوت يجْري خلالها التصفيق

قال: فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكر؛ ثم قام فتناول مِرْفقةً من

---

(١) منجّد: مُزيّن، والأرمني: لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أرمن وهي إقليم جبلي من أذربيجان اشتهر بصناعة الحرير.

(٢) الرّاووق: المصفاة.

تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يشتري لحوم البقر؟ ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك! فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه(١). (٩١/٦)

(٦٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال الوليد بن يزيد لحمّاد الراوية: لِمَ سُمّيت الراوية؟ وما بلغ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة! فقال: إنْ هذا لحفظ! هات، فاندفع يُنشد حتى ملّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال؛ فأحسن الوليد صلته وصرفه. (٩٣/٦)

(٦٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال حدّثني المِسْور العنزيّ - وكان من رُواة العرب وكان أسنُّ من سماك بن حرْب - (عن حماد) قال: دخلت على زياد فقال لي: أنشدني؛ فقلت: مِنْ شعر مَنْ أيها الأمير؟ قال: من شعر الأعشى؛ فأنشدتُه:

بكرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً أجمالُها

قال: فما أتممتُ القصيدة حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه(٢)؛ وقال الحاجب للناس: ارتفعوا؛ فقاموا؛ ثم لم أعد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أوْ أمير تنبّهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة. (٩٣/٦)

(٦٥)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشي، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثعْلب عن الرياشيّ - وخبره أتم - قال الرياشيّ حدّثني أبو سلمة الغفاريّ قال قال ابن رُبيْح راوية ابن هرمة قال حدّثني ابن هرمة قال:

أوّل من رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤونتي. فلم ينشب أن عُزل

---

(١) تأثّلته: اكتسبته.

(٢) سميّة: اسم أمّ زياد، ولهذا غضب من تطابق الاسمين وروده في الشعر.

وولّيَ غيره مكانه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهبَ لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قدم عبد الواحد المدينة، فأخبر أنّي مدحت الذي عُزل به، فأمر بي فحُجبت عنه، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنعتُ، فلم أدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ فقلت: يابن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدح غيره، فأعطيتُه بذلك عهداً، ثم دعاني الشرُه والكدّ إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصّتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم؛ قال: كل حاجة لك مقضيّة إلا ابنَ هرمة؛ فقال له: إن رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فافعل. قال: قد فعلتُ؛ قال: فحاجتي ابن هرمة؛ قال: قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته؛ قال: فتأذن له أن يُنشدك؛ قال: تُعفيني من هذه؛ قال: أسألك أن تفعل؛ قال: ائتوا به؛ فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال: فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه(١) ثم وثب مُغْضباً، وتجوّزت في الإنشاد ثم لحقتُه فقلت له: جزاك الله خيراً يابن رسول الله؛ فقال: ولكنْ لا جزاك الله خيراً ياماصّ بظْر أمه، أتقول لابن مروان:

وكان أبوك قدامة الجناح

بحضرتي وأنا ابن رسول الله ـ (ص) ـ وابن عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ! فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدعُه به طلباً لدنياه، ووالله ماتسنّت بكم أحداً قطُّ. أفلم تسمعني قد قلتُ فيها: وبعضُ القول يذهب بالرياح، فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفك!(٢). (١٠٥/٦)

---

(١) الرِزّ: الصوت.

(٢) نرى الشاعر يقابل الصنيع الحسن بما لا يشبهه، فبعد الطلب والكدّ، يعفو الوالي ويصفح، ولكنّه يعود مرة أخرى ليحكم على نفسه أنّه يخدعه، ولم يكن جاداً في قوله بعد أن رأى غضباً من الطرف الآخر، ولعلّ هذا يدخل ضمن الاتجاه الذي أشرنا إليه عند النص السابع والأربعين السابق.

(٦٦)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كُناسة قال: اجتمع الكُميت بن يزيد ونُصيب في الحمّام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال: والله ما أحفظها؛ فقال الكميت: لكنّي أحفظها، أفأنشدك إياها؟ قال نعم. فأقبل الكميتُ يُنشده وهو يبكي. (١٢١/٦)

(٦٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر ابن الحُويرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفْص عن مولاة لهم قالت:

إنا لبمنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدْرِ لمن هي، حتى أُنيخ بعير، فنزل عنه أسودُ وسوداء، فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومرّ راكب يتغنّى غناء الركبان:

بزينبَ ألمم قبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له: شهرّتني وأذعت في الناس ذكري؛ فإذا هو نُصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتازبهم وتغنّى ابن سريج. (١٢١/٦)

(٦٨)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثنا العُمريّ عن الهيْثم بن عديّ قال: كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ(١) الناسُ ناداهم: ليخرجْ إليّ بعضُكم؛ فيخرج إليه فتْيان من العسكر؛ فيقول لهم: أيّما أحبُّ إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر؟ فيقولون له: أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك، فأنشدْنا؛ فيقول لهم: يا فسقةُ، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن، ثم لا يزال يُنْشدهم ويستنشدهم حتى يملّوا ثم يفترقون(٢). (١٥٠/٦)

---

(١) تكافَّ الناس: توقفّوا عن القتال.

(٢) لم يكن القوم يفضّلون الشعر على القرآن بعد أن هداهم الله، ولكنّ معرفتهم بالقرآن من جهة، وحبّهم سماع الجديد من الشعر من جهة ثانية دعاهم لطلب سماع الشعر ليروّحوا به عن قلوبهم، وينشطوا للعمل والقتال.

(٦٩)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثقفيّ، وحدثنا به ابن عمّار والجوهريّ عن عمر بن شبّة ـ ولم يذكرا فيه يعقوب بن داود ـ قالوا جميعاً:

قال: مُسلم بن جندب الهُذليّ ـ وكان قاضي الجماعة بالمدينة ـ: إني لمع محمد بن عبد الله بن نُمَيْر بنعمان(١) وغلام يسير خلْفه يشتمه أقبح الشتيمة؛ فقلت: من هذا؟ فقال: هذا الحجاج بن يوسف، دعه فإني ذكرت أخته في شعري، فأحفظه ذلك. (١٩١/٦)

(٧٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمريّ عن عطاء عن عاصم بن الحدثان قال: كان ابن نُمير الثُّقفيّ يشبّب بزينب بنتِ يوسف بن الحكم؛ فكان الحجاج يتهدّده ويقول: لولا أن يقول قائلٌ صَدَقَ لقطعتُ لسانه. فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن(٢)، وقال في هربه:

أنتْني عن الحجاجْ والبحرُ بيننا ... عقاربُ تسْري والعيونُ هواجعُ
فضِقْتُ بها ذرْعاً وأجهشتُ خيفةً ... ولم آمن الحجاج والأمرُ فاظع
وحَلَّ بي الخطب الذي جاءني به ... سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالع
فبِتُّ أدير الأمر والرأي ليلتي ... وقد أخضلتْ خدِّي الدموعُ التوابع
ولم أر خيراً لي من الصبر إنه ... أعفُّ وخيرٌ إذ عرتْني الفواجع
وما أمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرُّه ... ولا طاب لي مما خشيتُ المضاجع
إلى أن بدا لي رأس إسْبيل طالعاً ... وإسبيلُ حصن لم تنلْه الأصابع(٣)
فلي عن ثقيفٍ إن هممتُ بنجْوة ... مهامهُ تهْوي بينهنّ الهجارع(٤)
وفي الأرضِ ذاتِ العرْض عنك ابنَ يوسف ... إذا شئتُ منْأى لا أبا لك واسع
فإن نلْتني حجّاجُ فاشتفِ جاهداً ... فإنّ الذي لا يحفظ اللهُ ضائع

---

(١) نَعْمان: هو نعمان الأراك، واد بينه وبين مكة نصف ليلة.

(٢) بحر عدن: هو بحر القلزم، ويسمّى في كلّ موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فإذا قابله بطن اليمن يُسمّى بحر عدن إلى أن يجاوز عدن ثم يسمى بحر الزنج، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء.

(٣) وإسبيل: جبل في مخلاف نمار.

(٤) الهجارع: جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السلوقية.

فطلبه الحجّاج فلم يقدر عليه. وطال على النُّميرّي مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه، فجاء حتى وقف على رأس الحجّاج؛ فقال له: إيه يا نُميريّ! أنت القائل: فإن نلتني حجّاجُ فاشْتفِ جاهداً

فقال: بل أنا الذي أقول:

أخاف من الحجّاج مالستُ خائفاً ... من الأسد العِرْباض لم يَثْنِه ذُعْرُ(١)

أخاف يديْه أن تنالا مقاتلي ... بأبيض عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ(٢)

وأنا الذي أقول:

فهأنذا طوّفْتُ شرْقاً ومغْرِباً ... وأبْتُ وقد دوّخت كلّ مكان(٣)

فلو كانت العَنْقاء منك تطير بي ... لخِلْتك إلا أن تُصدّ تراني

قال: فتبسم الحجاج وأمنّه، وقال له: لا تعاود ما تعلم؛ وخلّى سبيله. (١٩٨/٦)

(٧١)

حدّثني الحسين بن الطيِّب البلْخي الشاعر قال حدثنا قُتيبةُ بن سعيد قال حدثنا أبو بكر بن شُعيْب بن الحبحاب المِعْوليّ قال: كنت عند ابن سيرين(٤)، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر، فأنشده ابنُ سيرين:

كأنّ المُدامة والزنجبيلَ ... وريح الخُزامي ونوبَ العسلْ

يُعلّ به بردُ أنيابها ... إذا النجم وسْطَ السماء اعتدل

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة. (٢٠٨/٦)

(٧٢)

أخبرني محمد بن خلفَ بن المرزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المرْوزي قال حدثنا

---

(١) العرباض: الأسد الثقيل العظيم.

(٢) الأبيض: السيف، وعَضْب: الباتر القاطع.

(٣) دوّخت: سرت في البلاد حتى عرفها ولم تخف عليه طرقها.

(٤) محمد بن سيرين أحد الفقهاء من أهل البصرة، والمذكورين بالورع في وقته، ينظر تاريخ بغداد (٣٣١/٥)، توفي سنة ١١٠هـ، ولم نجده مع هذا الفقه والورع يمتنع عن إنشاد الشعر وروايته، إذ لم يجد في ذلك حرجاً أو إثماً، وقد عقد ابن رشيق في العمدة فصلاً (٢٧/١)، ضمنّه الكثير من القصص والأخبار عن كثير من الصحابة الكرام، والتابعين الذين كانوات ينشدون الشعر ويروونه.

العُمريّ عن لقيط والهيْثم بن عديّ: أنّ أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان استأذنت الوليد بن عبد الملك في الحج فأذن لها، وهو يومئذ خليفة وهي زوجته. فقدمت مكة ومعها من الجواري مالم يُر مثلُه حسناً. وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممن تبِعها. وقدِمتْ، فتراءت للناس، وتصدّى لها أهلُ الغزل والشعر، ووقعتْ عينُها على وضّاح اليمن فهويتْه. (٢١٨/٦)

(٧٣)

فحدثنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْري عن محمد بن جعفر مولى أبي هُريرة عن أبيه عن بُديح قال: قدِمتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً، والوليدُ يومئذ خليفة. فبعثتْ إلى كُثيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبابي. فأمّا وضّاح اليمن فإنه ذكرها وصرّح بالنّسيب بها؛ فوجد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله. وأمّا كُثيّر فعدل عن ذكرها ونسب بجاريتها غاضرة فقال:

شجا أظْعانُ غاضرة الفوادي ... بغير مشُورة عرضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداة بِنْتم ... حُنُوَّ العائدات على وسادي
أوْيتِ لعاشق لم تشكميه ... بواقدةٍ تلذّعُ كالزناد(١)

قال بديحٌ: فكنتَ لمّا حجَجْتَ أم البنين لا تشاء أن ترى وجهاً حسناً إلا رأيته معها. فقلت لعُبيد الله بن قيس الرّقيات: بمن تشبّب من هذا القطين؟ فقال لي:

وما تصنع بالسرّ ... إذا لم تك مجنونا
إذا عالجتَ ثِقْلَ الحـ ... ـبّ عالجت الأمرِّينا
وقد بُحتَ بأمرٍ كا ... ن في قلبيَ مكنونا
وقد هِجْتَ بما حاولـ ... ـتَ أمراً كان مدفونا

قال: ثم خلا بي فقال لي: أكتُم عليّ، فإنّك موضع للأمانة؛ فأنشدني:

أصحوتَ عن أمّ البنيـ ... ـن وذكرها وعنائها
وهجرتَها هجرَ امرئ ... لم يقْلُ صفو صفائها
قُرشيّةٌ كالشمس أشـ ... ـرق نُورها ببهائها
زادتْ على البيض الحِسا ... ن بحسنها ونقائها

(١) أويت: رثيت له وأشفقت علي.

لمّا اسبكرَّتْ للشبـــا ب وقَنَّعـــت بردانهـــا(١)
لـم تلتفت للـداتهـــا ومـضتْ على غُلوائها
لـــولا هـــوى أمِّ البنيـ ـنَ وحـاجتي للقـانها
قـد قـرّبت لي بغلـــةً مـحـبـوسـة لنجـانها

قال بُديح: فلمّا قتل الوليدُ وضّاح اليمن(٢)، حجّتْ بعد ذلك أمُّ البنين محتجبةً لا تكلّم أحداً؛ وشخصت كذلك، فلقيني ابنُ قيس الرقيّات، فقال: يا بديح

بان الحـبـيبُ الذي بـــه تشِـــقُ واشـتـدَّ دون الحـبـيـبـة القَلَقُ
يا من لصـفْراء في مـفـاصلها لينٌ وفي بعض بطشـهـا خُرُق

وهي قصيدة قد ذُكرتْ مع أخبار ابن قيس الرقيّات. (٢١٩/٦)

(٧٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدّثني كثيِّر قال: حججتُ مع أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبابي؛ فهِبْتُ ذلك ونسبت بجاريتها غاضرة، فقلت:

شجـا أظعانُ غـاضرة الغوادي بغير مشُورة عرضـاً فؤادي
أغـاضـر لو شـهـدت غداة بنْتم حُنُوَّ العـائدات على وســادي
أويْتِ لعـــاشقٍ لم تشكُمـيـــه بواقـــدةٍ تُلـــذِّع كـــالزنـــاد

وأمّا وضّاح فنسب بها، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقلته. (٢٢١/٦)

(٧٥)

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعيد الكرانيّ قال حدّثني أبو عمر العُمريّ عن العُتْبيّ قال: مدح وضّاح اليمن الوليد بن عبد الملك، وهو يومئذ خليفة، ووعدته أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده عنده وتقوِّي أمره. فقدم عليه وضّاح وأنشده قوله فيه:

صـبـا قلبي ومـــال إليك مـيْلا وأرّقني خـــيـــالُك يا أثيـــلا(٣)

---

(١) واسبكرّت: اعتدلت وتمّت.

(٢) وضّاح اليمن من الشعراء الذين قتلهم الشعر، أبى إلاّ أن ينساق وراء فنّه، ولم يستمع لنُصح أو تحذير، خاصة وأنّ الذي حذّر هو الخليفة، فانفذ أمره. (٣) أثيل: ترخيم أثيلة وهو اسم امرأة.

يـمـانيـــةً تُلِمّ بنـــا فـتُبْـدي دقـيـق مـحـاسـن وتُكنّ غـيـلا(١)
دعـيـنا مـا أممتُ بنات نعْشٍ من الطَّيْفِ الذي ينتـاب ليـلا(٢)
ولكنْ إن أردتِ فـصـبِّحـينا إذا أمَّتْ ركـانبُنا سُـهـيـلا(٣)
فـإنك لو رأيت الخـيلَ تعـدو سِراعـاً يتـخـذن النَّقْعَ ذيْلا
إذاً لرأيتِ فـوقَ الخـيل أسْداً تُفـيـد مـغـانماً وتُفـيت نيْلا(٤)
إذا سـار الوليـدُ بنا وسِرْنا إلى خـيـل نلُـفّ بهنّ خـيْلا
وندخل بالسـرور ديار قـوم ونُعـقِب آخـرين أذى وويْـلا

فأحسن الوليد رِفْده وأجزل صلته. ومدحه بعدّة قصائد. ثم نُمي إليه أنه شبّب بأم البنين، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه، ودبر في قتله.

ومدحه وضّاح بقوله أيضاً:

مـا بـال عـينكَ لا تنام كـأنمـا طلب الطبـيبُ بهـا قـذىً فـأضلّهُ
بل مـا لقلبك لا يزال كـأنه نشـوانُ أنْهلـه النديم وعلّـه(٥)
مـا كنت أحـسبَ أنْ أبيتَ ببلدةٍ وأخي بأخـرى لا أحُلُّ مـحلّـه
كـنّا لعـمْرُك ناعـمين بغـبطـةٍ مع مـا نُحبّ مـبـيـتـه ومظلّه
فـأرى الذي كنّا وكـان بِغـرّة نلهـو بِغـرّتـه ونهـوى دلّـه
كـالطيف وافق ذا هوىً فلهـا به حـتى إذا ذهب الرقـاد أضلّـه
قل للذي شـعف البـلاءُ فـؤادَه لا تهلكـنّ أخـاً فـربّ أخ لـه
والق ابن مـروان الذي قـد هزّه عـرق المكـارم والنّدى فـأقلّه
واشْكُ الذي لا قـيـتـه من دونه وانشُـرْ إليـه داء قلبـك كلّـه
فعلى ابن مروان السلامُ من امرئ أمسـي يـذوق من الرُّقاد أقلّـه
شـوقـاً إليك فـمـا تنالك حـالُه وإذا يحُـلّ البـاب لـم يُؤذن لـه
فـإليك أعـملتُ المطايا ضُمَّراً وقطعتُ أرْواحَ الشـتـاء وظله
وليـاليـاً لـو أنّ حـاضـر بثّهـا طرف القـضـيب أصـابه لأشلّه

---

(١) تكنّ: تخفي، وغيلا: الساعد الريّان الممتلئ.

(٢) بنات نعش: من الكواكب الشامية ويعني: دعيني من طيفك حين أقصد قَصْدَ الشام للغزو.

(٣) إذا أمّت ركائبنا سهيلاً: يريد إذ اتجهت ركائبنا نحو اليمن.

(٤) تفيد مغانماً وتفيت نيلاً: يريد تفيد المغانم من أعدائها وتفيتهم نيل شيء منها. (٥) علّه: سقاه قليلاً.

فلم يزل مجفُواً حتى وجد الوليد له غِرّة، فبعث إليه من اختلسه ليلاً فجاءه به، فقتله ودفنه في داره، فلم يُوقف له على خبر. (٢٢٢/٦)

(٧٦)

وقال خالد بن كلثوم في خبره: كان وضّاح قد شبّب بأمّ البنين بنت عبد العزيز بن مرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك، وهي أم ابنه عبد العزيز بن الوليد، والشرفُ فيهم. فبلغ الوليد تشبُّبُه بها فأمر بطلبه فأتي به، فأمر بقتله. فقال له ابنه عبد العزيز: لا تفعل يا أمير المؤمنين فتحقّق قوله، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأبي دهْبل؛ فإنه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأله أن يقتله؛ فقال: إذا تُحقّق قوله، ولكن تبرُّه وتحسن إليه فيستحي ويَكُفُّ. ويكذّب نفسه. فلم يقبل منه، وجعله في صندوق ودفنه حياً. فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فخارٌ خرجا فيه إلى أن أغلظا المُسابّةَ، وذلك في دولة بني العبّاس؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أن أمّ البنين عشِقَت وضاحا، فكانت تُدخله صندوقاً عندها. فوقف على ذلك خادم الوليد فأتاه إليه وأراه الصندوق، فأخذه فدفنه. هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبير بن بكّار جميعاً. (٢٢٤/٦)

(٧٧)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال: بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وضّاح بأمّ البنين فهمّ بقتله. فسأله عبد العزيز ابنُه فيه، وقال له: إن قتلته فضحتني وحقّقت قوله، وتوهّم النّاس أن بينه وبين أمّي ريبة. فأمسك عنه على غيظ وحنق، حتى بلغ الوليد أنه قد تعدّى أمُّ البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك، وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وقال فيها:

بنتُ الخليفة والخليفــة جَدُّهـا ... أختُ الخليفة والخليفة بعلُها
فرِحتْ قوابلُهـا بها وتباشـرتْ ... وكذاك كانوا في المسرّة أهلُها

فأحنق واشتدّ غيظه وقال: أما لهذا الكلب مُزْدَجرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا، ولا له عنّا مذهب! ثم دعا به فأحضر، وأمر ببئر فحُفرتْ ودفنه فيها حياً. (٢٢٧/٦)

(٧٨)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال: وفد سعد بن مُرّة بن جُبيْر مولى آل كثير بن الصلْت، وكان شاعراً، على الوليد بن

يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدك وزائرك ومؤمِّلك فتبادر الحرس إليه ليصدُّوه عنه، فقال: دعوه، ادْنُ إليَّ فدنا إليه؛ فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر؛ قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع منّي أربعة أبيات؛ قال: هات.

شِمْنَ المخايلَ نحو أرضك بالحيا ... ولقين ركباناً بعُرْفك قُفَّلا(١)

قال: ثم مَهْ؛ قال:

فعمدن نحوك لم يُنِخْن لحاجة ... إلاّ وقوع الطير حتى ترْحلا(٢)

قال: إن هذا السير حثيث؛ ثم ماذا؟ قال:

يعمدن نحو مُوطِّيءِ حجراته ... كرماً ولم تعدل بذلك معْدلا

قال: فقد وصلت إليه، فمهْ؛ قال:

لاحت لها نيرانُ حيِّيْ قسْطلٍ ... فاخترْنَ نارك في المنازل منزلا(٣)

قال: فهل غيرُ هذا؟ قال لا؛ قال: أنجحتْ وفادتُك، ووجبت ضيافتك؛ أعطوه أربعة آلاف دينار؛ فقبضها ورحل. (٢٤/٧)

(٧٩)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثنا العُتْبيّ قال: كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف؛ فغاضبها، ثم لم يُطعه قلبه فجعل يتسبَّب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبره، فبرم به؛ فأنشده:

أعتبْتَ أن عتبتْ عليك صدوفُ ... وعتابُ مثلك مثلها تشريف

لا تقعُدنَّ تلوم نفسك دائما ... فيها وأنت بحبِّها مشغوف

إن القطيعة لا يقوم لمثلها ... إلا القويّ، ومن يحبّ ضعيف

الحبّ أملكُ بالفتى من نفسه ... والذلّ فيه مسْلك مألوف

---

(١) شِمْنَ المخايل: تطلّعن إليه مترقّبات، وعرفك: معروفك، وقُفّل: عائدات.

(٢) وقوع الطير كناية عن السرعة.

(٣) قسطل: موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة.

قال: فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها. (٤٤/٧)

(٨٠)

قال: فلم يزل (يزيد بن ضبّة) مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافة، فوفد إليه فلما دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هناه بالخلافة؛ فأدناه الوليد وضمّه إليه، وقبّل يزيدُ بن ضبّة رجليه والأرض بين يديه؛ فقال: الوليد لأصحابه: هذا طريدُ الأحول(١) لصُحْبته إيّاي وانقطاعه إليّ. فاستأنف يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذن له، فأنشده:

سُليْمى تلك في العير ... قفي أسألك أو سيري
إذا ما بنتِ لم تأوى ... لصبُّ القلب مغْمور
وقد بانت ولم تعْهد ... مهاةٌ في مها حُور
وفي الآل حُمُولُ الحيّ ... تُزْهى كالقراقير(٢)
يُواريها وتبدو منـ ... ـه آلٌ كالسُّمادير(٣)
وتطفو حين تطفو فيـ ... ـه كالنُّخل المواقير(٤)
لقد لاقيتُ من سلْمى ... تباريحَ التّناكير(٥)
دعتْ عيني لها قلبي ... وأسباب المقادير
وما إنْ مَنْ به شيبٌ ... إذا يصبو بمعذور
لسلمى رسمُ أطلالٍ ... عفتْها الريحُ بالمُور(٦)
خريقٌ تنخُل التُّربَ ... بأذيال الأعاصير(٧)
فأوْحشْ إذ نأتْ سلمى ... بتلك الدُّور من دُور
سأرمي قانصات البيـ ... ـد إن عِشْتُ بعُسْبور(٨)

---

(١) الأحول: هو هشام بن عبد الملك بن مروان، لُقّب كذلك لحَوَلٍ في عينيه.

(٢) الآل: السراب، والقراقير: السفن العظيمة أو الطويلة، وآل: هي الشخوص التي تظهر في السراب.

(٣) السّمادير: الأشياء التي تتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب.

(٤) المواقير: جمع ميقار وهي النخلة التي عليها حمل ثقيل. (٥) التباريح: الشدائد، والتناكير: الأمور المنكرة.

(٦) المور: الغبار المتردّد أو تراب تثيره الريح. (٧) الخريق: الريح الشديدة الهبوب.

(٨) العسبور: الناقة الشديدة.

من العيس شجوجاةٍ طواها النَّسْعُ بالكُور(١)
إذا ما حَقَبٌ منها قرنّاه بتصْدير(٢)
زجرْنا العيس فارقدَّتْ بإعصافٍ وتشْمير(٣)
تُقاسيها على أيْنٍ بإدلاجٍ وتهْجير
إذا ما اعْصوصَب الآلُ ومال الظِّلُّ بالقُور(٤)
وراحت تتقي الشمس مطايا القوم كالعُور
إلى أن يُفْضِح الصبحُ بأصوات العصافير(٥)
لتعْتام الوليد القرْ مَ أهلَ الجودِ والخيرِ(٦)
تُراعي حين تُزْجيها هويّاً كالمزاميرِ(٧)
كما جاوبتِ النِّيبُ رباعَ الخُلج الخُور(٨)
ويُعْطي الذهبَ الأحمـ ـر وَزْناً بالقناطيرِ
بَلَوْناه فأحمدنا ه في عسْرٍ وميسورِ
كريم العودِ والعنصـ ـرِ غَمْرٌ غير منزورِ
له السَّبْق إلى الغايا ت في ضمِّ المضاميرِ
إمامٌ يوضِح الحقَّ له نور على نور
مقالٌ من أخي ودّ بحفظ الصدق مأثور
بإحكام وإخلاص وتَفْهيمٍ وتحْبيرِ

قال: فأمر الوليدُ بأن تُعدَّ أبيات القصيدة ويُعطى لكل بيت ألف درهم؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأعْطي خمسين ألفاً(٩). فكان أوّل خليفة عدَّ أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف

---

(١) شجوجاة: الطويلة جداً، والنسع: سير مفتول يشدّ به الرّحل، والكور: الرّحل.

(٢) حَقَبٌ: حبل يُشدّ به الرّحل في بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير، والتصدير: الحزام.

(٣) الارقداد: سرعة السير، والإعصاف: الإسراع في السّير، والتشمير: الجدّ في الأمور والاجتهاد فيها.

(٤) اعصوصب: اشتدّ، والقور: جمع قارة وهي الجبيل المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة.

(٥) أفضح الصبح: بدا. (٦) اعتام: اختار واصطفى.

(٧) الهويّ: الدويّ في الأذن.

(٨) الرباع: جمع ربّع وهو ما ولد من الإبل في أوّل النتاج، والخلج: جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن التي تحنّ إلى ولدها.

(٩) نرى الشعرُ هنا يوزن بالمال، فلكلّ بيت ألف درهم، وهذا عهد جديد لم يعرفه الشعر قبل هذا الموقف. =

درهم؛ ثم لم يفعل ذلك إلاّ هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدّي مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفْصة ومنصوراً النَّمريّ لمّا مدحاه وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألفَ درهم. (٩٧/٧)

(٨١)

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني العُمريّ عن العُتْبيّ قال: لما همَّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتوْلية الوليد ابنه العهد، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مدّاحاً له؛ فدخل إليه في يوم حفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

أشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينك أنْ أضحى قِفاراً من أهله طلحُ(١)

حتى انتهى إلى قوله:

أزَحْتَ عنّا آلَ الزبير ولو كانوا همُ المالكين ماصلحوا
إن تلْقَ بلْوى فأنت مُصْطَبِرٌ وإن تُلاقِ النُّعْمى فلا فرح
ترمي بعينيْ أقْنى على شرف لم يؤذه عائرٌ ولا لَحَحُ(٢)
آلُ أبي العاص آلُ مأثُرةٍ غُرٌّ عِتاقٌ بالخير قد نفحوا
خيرُ قريشٍ وهم أفاضلُها في الجدِّ جِدٌّ وإن همُ مزحوا
أرْحبُها أذْرُعا وأصبَرُها أنتم إذا القوم في الوغى كلحوا(٣)
أمّا قريش فأنتَ وارثُها تكُفُّ من صعبهم إذا طمحوا
حفظْتَ ما ضيَّعوا ونِدْهم أوريْتَ إذ أصلدوا وقد قدحوا(٤)
أليتُ جهْدا ـ وصادقٌ قسمي بربِّ عبدٍ تجُنّه الكُرُحُ(٥)
يظلّ يتلو الإنجيلَ يدرسُه من خشْية الله قلبُه طفح
لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مُطّرح
داود عدْلٌ فاحكم بسيرته ثم ابنُ حرْب فإنهم نصحوا(٦)

= وسنراه يتكرّر مع مروان والنمري وغيرهما فيما سنستقبل من نصوص.

(١) طلح ونو طلح: موضع دون الطائف لبني محرز.

(٢) الأقنى: الصُّقر، والعائر: الرّمد، واللّحح: لصوق الأجفان بالرمص وهو وسخ أبيض جامد يلصق بالجفون.

(٣) كلحوا: تكشّروا في عبوس. (٤) أصلد الزند: قدحه ولم يُورِ.

(٥) تجنّه: تحويه، والكُرُح: بيوت صغار بأرض الكوفة تسكنها الرهبان.

(٦) داود: هو نبيّ الله داود عليه السلام، وعدل: عادل. وابن حرب: هو معاوية بن أبي سفيان.

وهم خيارٌ فاعمل بسنتّهم واحْى بخير واكْدَحْ كما كدحوا

قال: فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك بإنذار ولا دفع؛ فعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز، فقال: لقد أدْخل ابنُ النّصرانية نفسه مُدْخلاً ضيّقاً فأوردها مورداً خطراً؛ وبالله عليّ لئن ظفِرتُ به لأخْضبنّ قدمه بدمه. (١٠٦/٧)

(٨٢)

وقال أبو عمرو الشّيْباني: لما قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشّيْبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنئته بالفتح:

ألا طال التنظُّر والثّواءُ وجاء الصيف وانكشف الغِطاءُ
وليس يُقيم نو شجنٍ مقيمٍ ولا يمْضي إذا ابتُغي المضاءُ
طوال الدهر إلاّ في كتابٍ ومقدارٍ يُوافقه القضاءُ
فما يُعطى الحريصُ غنىً لحِرْصٍ وقد يَنْمي لذي الجود الثّراء(١)
وكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ سيتبعُها إذا انتهت الرُّخاء

يقول فيها:

أؤمُّ فتىً من الأعياص ملْكاً أغرَّ كأنّ غُرّته ضياء(٢)
لأسْمعه غريبَ الشعر مدحاً وأثْني حيث يتّصل الثناء
يزيد الخيرِ فهو يزيد خيراً وينمي كلّما ابْتُغي النّماء
فضضت كتائبَ «الأزديّ» فضّاً بكبشك حين لفّهما اللقاء(٣)
سمكْتَ الملْكَ مقتبلاً جديدا كما سُمِكَتْ على الأرض السماء(٤)
نرجّي أن تدوم لنا إماماً وفي مُلك الوليد لنا رجاءُ
«هشامٌ» و«الوليد» وكلُّ نفسٍ تُريد لك الفناء لك الفِداء

وهي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نعم كلْب وأن تُوقر له بُرّاً وزبيبا، وكساه وأجزل صلته. (١٠٨/٧)

---

(١) ينمي: يكثر ويزيد.

(٢) الأعياص: نوو الأصول المعروفة.

(٣) الكبش: السيّد الشجاع. (٤) سمكت: رفعت.

(٨٣)

قال: ووفد (النابغة الشيباني) إلى هشام لمّا ولي الخلافة؛ فلما رآه قال له: يا ماصَّ ما أبْقتِ المواسي من بظْر أمِّه! ألستَ القائلَ:

هشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ ... تريد لك الفناء لك الفداء

أخْرِجوه عنّي! والله لا يرْزُقُني شيئاً أبداً وحرمه. ولم يزل طول أيامه طريداً؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته. (١٠٩/٧)

(٨٤)

أخبرني عمّي قال حدّثني العُمريّ عن الهيْثم بن عديّ قال حدّثنا صالح بن حسّان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني محمد بن السَّريّ قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره، واللفظُ لصالح بن حسان وخيرُه أتمّ، قال: حجّتْ عاتكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان، فنزلت من مكة بذي طُوىً فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحرّ وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرتْ جواريها فرفعن السُّتر وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحيّ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه؛ فلمّا فطنت له سترتْ وجهها وأمرت بطرح السّتر وشتَمَتْه. فقال أبو دهبل:

إني دعاني الحيْن فاقتادني ... حتى رأيتُ الظبي بالبابِ(١)
يا حسنه إذ سبّني مُدْبراً ... مستتراً عنّي بجلباب
سبحان من وقّفها حسرةً ... صُبّت على القلب بأوصاب
ينوء عنها إن تطلّبتُها ... أبٌ لها ليس بوهّاب
أحلّها قصراً منيعَ الذُّرى ... يُحْمى بأبواب وحُجّاب

قال: وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّىَ فيها المُغنّونَ، حتّى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوة، وجرتِ الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشأم ونزل قريباً منها، فكانت تعاهدُه بالبرِّ واللُّطف(٢) حتى وردتْ دمشق وورد معها، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً.

---

(١) الحَيْن: التلف والهلاك. (٢) اللُّطَف: الهدايا.

فقال في ذلك:

طال ليلي وبتّ كالمحزون ... ومللتُ الثُّواءَ في جيرون(١)
وأطَلْتُ المُقام بالشأم حتى ... ظنَّ أهلي مُرجُماتِ الظُّنون
فبكتْ خشيةَ التفرق جُمْلٌ ... كبكاء القرين إثْرَ القرين
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّا ... صِ ميزتْ من جوهر مكنون
وإذا ما نسبْتَها لم تجِدْها ... في سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها إلى القُبّة الخضـ ... ـراءِ تمشي في مرْمرٍ مسْنون(٢)
قُبّةٌ من مراجل ضربوها ... عند برْد الشتاء في قيْطون(٣)
عن يساري إذا دخلت من البا ... ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
ولقد قلتُ إذا تطاول سُقْمي ... وتقلّبتُ ليلتي في فنون
ليت شعري أمِنْ هوىً طار نومي ... أم براني الباري قصير الجفون

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه النّاس وفيهم أبو دهبل؛ فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه وارددْه إليّ؛ وجعل الناس يسلمون وينصرفون، فقام أبو دهبل لينصرف؛ فناداه معاوية: يا أبا دهبل إليّ؛ فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنتُ ظننتُ أنّ في قريش أشعر منك حيث تقول:

ولقد قلت إذ تطاول سُقْمي ... وتقلّبتُ ليلتي في فنون
ليت شعري أمن هوىً طار نومي ... أم براني الباري قصير الجفون

غير أنك قلت:

وهي زهراءُ مثل لؤلؤة الغوّاص ... ميزتْ من جوهر مكنون
وإذا ما نسبْتَها لم تجدْها ... في سناء من المكارم دون

ووالله إنّ فتاةً أبوها معاويةُ وجدُّها أبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرت؛ وأيُّ شيء زدت في قدْرها! ولقد أسأت في قولك:

ثم خاصرتُها إلى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسْنون

---

(١) جيرون: حصن بدمشق وقيل هي دمشق نفسها. (٢) المسنون: المصبوب على استواء.
(٣) المراجل: ثياب من ثياب اليمن، والقيطون: البيت في جوف البيت.

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما قلتُ هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أمّا من جهتي فلا خوف عليك، لأني أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أنّ فتيان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كلّ من جاز أن يقولوه فيه وكلٌ من لم يجُزْ، وإنما أكره لك جِوار يزيد، وأخاف عليك وثباته، فإن له سورةَ الشباب وأنفةَ الملوك. وإنما أراد معاويةُ أن يهرُبَ أبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته؛ فحذر أبو دهبل فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكاتب عاتكة. فبينا معاويةُ ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصيٌ له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلمّا قرأتْه بكت ثم أخذته فوضعتْه تحت مُصلاها، ومازالت خاثرة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصيّ، فلم يزل يلْطُف حتى أصاب منها غِرّةً فأخذ الكتابَ وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

أعاتِكُ هلاّ إذ بخلْتِ فلا تَرَيْ ... لذي صبْوة زَلّفي لديك ولا حَقّا
رددْت فؤاداً قد تولّى به الهوى ... وسكّنْتِ عيناً لا تملُّ ولا ترْقا(١)
ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ... ولم أرَ يوماً منك جُودا ولا صدقا
أتنسيْن أيّامي بربْعك مُدْنفاً ... صريعاً بأرض الشأم ذا سقم مُلْقى
وليس صديقٌ يُرتضى لوصيّةٍ ... وأدعو لداني بالشُّراب فما أسْقى
وأكبرُ همّي أن أرى لك مُرْسلاً ... فطول نهاري جالسٌ أرْقُبُ الطُّرقا
فواكبدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتُك تزدادين للصّبّ غلظةً ... ويزداد قلبي كلُّ يوم لكم عشقا

قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمرُ الذي شجاك؟ قال: أمر أمْرضني وأقلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعملُ في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: والله إن الرأي لهيّنٌ قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزقة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أفٌ لك! والله إنّ أمراً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيْر ذي رأي، وأنتَ قد ضاقَ ذرْعُك وقصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتلَ رجلاً من قريش!أو ما تعلم أنك إذا فعلتَ ذلك صدّقت قوله وجعلتنا أحدوثةً أبداً! قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتْني وأوجعتني وحملْتني على ما أشرتُ به فيه. قال: وما هي؟ قال قال:

---

(١) لا ترقا: لا يجفّ دمعها.

ألاَ لا تقُلْ سهلاً فقد ذهب المهْلُ وما كلُّ من يلْحى محبّاً له عقل
لقد كان في حولين حالاً ولم أزُرْ هواي وإن خُوِّفتُ عن حبها شغل
حمى الملكُ الجبّار عنّي لقاءها فمن دونها تُخْشى المتالفُ والقتل
فلا خير في حبٍّ يُخاف وبالُه ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل
فواكبدي إنّي شُهِرتُ بحبّها ولم يك فيما بيننا ساعةً بذْلُ
وياعجباً إني أكاتم حبّها وقد شاع حتى قُطِّعت دونها السُّبُلُ

قال: فقال معاوية: قد والله رفّهتَ عنّي، فما كنتُ آمنُ أنه قد وصل إليها؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير، قُمْ عنّي؛ فقام يزيد فانصرف. وحج معاوية في تلك السنة؛ فلما انقضت أيام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبض أبو دهْبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاويةُ فرجع إليه؛ فقال له: يا أبا دهبل، مالي رأيتُ أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقت به وأنفذتَه إلى خُصمائنا ومواليناء لا تَعْرِضْ لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنّه مكذوبٌ عليه. فقال له معاويةُ: لا بأس عليك، وما يضرّك ذلك عندنا؛ هل تأهّلتَ؟ قال: لا. قال: فأيّ بنات عمّك أحبُّ إليك؟ قال: فلانة؛ قال: قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى! فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبقَ منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتنيها طالقٌ البتّةَ. فُسُرّ بذلك معاويةُ وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بإدْرار ما وصله به في كل سنة؛ وانصرف إلى دمشق ولم يحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلا من أجل أبي دهبل. (١٢١/٧)

(٨٥)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني محمد بن عمر قال حدّثني سليمان بن عبّاد قال حدّثني أبو جعفر الشُّوَيْفعي (رجل من أهل مكة) قال: قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حرّ شديد، فكان يُنقَلُ سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء. فلما بلغ بني جُمح نُودي بأبي دهبل، فقال سليمان: أين أبو دهبل الشاعر؟ عليَّ به؛ فأتي به؛ فقال سليمان: أنت أبو دهبل الشاعر؟ قال: نعم؛ قال: فأنت القائل:

فتْنةٌ يُشْعلها وُرّادُها حطبَ النار فدعها تشْتعِلْ
فإذا ما كان أمنٌ فأتُهمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزل

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

يدعون مروانَ كيما يستجيبَ لهم وعند مروان خار القومُ أو رقدوا

قد كان في قوم موسى قبلهم جسد عجلٌ إذا خار فيهم خوْرةً سجدوا(١)

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامة! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فُتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجْلبُوا عليكم بخَيْلِهم ورجْلهم ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم، وإنما فُتِنْتُ فقلت بلساني، فلمَ لا يُعْفى عنّي! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن. فقيل لسليمان: كيف أقطعتَه هذه القطيعة! قال: أردتُ أن أميتَه وأميتَ ذكره بها(٢). (١٣٤/٧)

(٨٦)

أخبرني علي بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر المُغيرة بن حجْناء قال حدّثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقْضي للفرزدق على جرير ويفضّله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمرُه وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلاّ تعْجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضربتُ رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يومٍ يمشي ولم يركب دابته؛ وقال: والله ما يسرُّني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلْقةٌ بأعلى المرْبد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض له لألقاه من حيالٍ حيثُ كنت أراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه، وما يسرُّني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مرَّ على بغلة له وابنُه جنْدلٌ يسير وراءه على مُهْرٍ له أحْوى محذوفِ الذَّنَبِ(٣) وإنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السَّبب(٤)، فلما استقبلتُه قلتُ: مرْحباً بك يا أبا جنْدل! وضربتُ بشمالي على معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جنْدل! إن قولك يُستمع وإنك تُفضِّل الفرزدق عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويكْفيكَ من ذاك هيِّنٌ: إذا ذُكِرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه

---

(١) الجسد: الذي لا يعقل ولا يميّز.

(٢) من الواضح أنّ الخليفة يذكّر الشاعر بشعر قديم قاله، يظهر فيه الشاعر بعيداً عن الأحداث معتزلاً لها، مع تعريض برجال البيت الأموي، ولكنّ الشاعر يقدّم حجتّه ويطلب الغفران، وهو يصدر عن ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق.

(٣) ومهر أحوى: الذي يضرب إلى السواد من شدّة خضرته، ومحذوف: مقطوف من الطرَف.

(٤) بعض السبب بعض الأمر.

لائمةٌ. قال: فبيْنا أنا وهو كذاك واقفاً على وما ردَّ عليَّ بذلك شيئاً حتى لحقَ ابنهُ جنْدلٌ، فرفع كرْمانيةً(١) معه فضربَ بها عَجُزَ بغلته ثم قال: لا أراك واقفاً على كلبٍ من بني كُليب كأنك تخْشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً! وضرب البغلةَ ضربةً، فرمحتْني رمْحةً وقعتْ منها قلَنْسُوتي، فوالله لو يعرِّج عليَّ الراعي لقلتُ سفيهٌ غوى ـ يعْني جندلاً ابنَه ـ ولكن لا والله ما عاج عليَّ، فأخذتُ قلَنْسُوتي فمسحْتُها ثم أعدْتُها على رأسي ثم قلتُ:

أجنْدلُ ما تقول بنو نُميْرٍ إذا ما الأيْر في استِ أبيك غابا

فسمعتُ الرّاعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلَنْسُوتَه طرْحةً مشئومة. قال: جريرٌ: ولا والله ما القلَنسوةُ بأغيظِ أمرِه إليَّ لو كان عاجَ عليَّ. فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلّى العشاء بمنزله في علِّيَّةٍ(٢) له قال: ارفعوا إليَّ باطيةً من نبيذ وأسْرجوا لي، فأسْرَجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ. قال: فجعل يُهَمْهِمُ(٣)؛ فسمعتْ صوته عجوزٌ في الدار فاطّلَعَتْ في الدُّرجةِ حتى نظرتْ إليه، فإذا هو يحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفُكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لطيَّتك، نحن أعلم به وبما يُمارس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمير. فلما ختمها بقوله:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك من نُميرٍ فلا كعْباً بلغْتَ ولا كلابا

كبَّر ثم قال: أخْزيتُه وربِّ الكعْبة. ثم أصْبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبد، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بدُهْنٍ فادهنَ وكفَّ رأسه(٤)، وكان حسن الشَّعر، ثم قال: يا غلام، أسْرِجْ لي، فأسرَج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم؛ حتى إذا كان بموْضعِ السلام قال: يا غلامُ ـ ولم يسلِّم ـ قل لعبيدٍ: أبَعَثَكَ نِسْوتُك تكْسبُهنَّ المالَ بالعراق! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لترْجِعنَّ إليهنَّ بميْرٍ يسوءهن ولا يسُرُّهنَّ! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكس الفرزدقُ وراعي الإبل وأرمُّ(٥) القومُ، حتى إذا فرغ منها سار، وثبتَ راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلته بشرٍّ وعُرٍّ وخلَّى المجلس حتى ترقَّى إلى منزله الذي ينزله، قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم هاهنا مُقام، فضحكم والله جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنك. قال: فما كان إلا ترحلُّهم. قال فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيْفِ وهو أعلى دار بني نُميرٍ. فيحلفُ بالله راعي الإبل وجدْنا في أهلنا: فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ

---

(١) كرمانية: ضرب من السياط. (٢) علِّيّة: غرفة.

(٣) الهمهمة: الصوت الخفيّ. (٤) كفَّ شعره: جمعه وضمَّ أطرافه.

(٥) أرمّ القوم: سكتوا.

وأقْسَم بالله ما بلَّغه إنْسيٌّ قطّ، وإنَّ لجريرٍ لأشياعاً من الجنّ. فتشاسمتُ به بنو نُمير وسبُّوه وابنه، فهم يتشاسمون به إلى الآن(١). (٢٩/٨)

(٨٧)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الحسن بن عليل قال حدّثني محمد بن عبد الله العبْديّ عن عمارةَ بن عقيل عن جدِّه قال: وقف الفرزدقُ على أبي بمرْبد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلغ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرْف إنك من نُميرٍ فلا كعْباً بلغـــت ولا كلابـــا

أقبل الفرزدقُ على راويته فقال: غضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بها برصٌ بجانبِ إسْكتيْها

وضع الفرزدقُ يده على فيه وغطّى عنْفقته(٢)؛ فقال أبي: كعنْفَقةِ الفرزدق حين شابا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أخْزِه! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طَمِعْتُ ألاَّ يأبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العنزيّ حدّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال قال يونُس: ما أرى جريراً قال هذا المصراع إلا حين غطّى الفرزدق عنْفَقته، فإنه نبَّه عليه بتغطيته إيّاها(٣). (٣٤/٨)

(٨٨)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخْفش قال حدّثني محمد بن يزيد عن عمارة بنِ عُقيل عن أبيه قال: قال: جرير: وفدتُ إلى يزيدَ بن معاوية وأنا شابٌّ (يومئذ)؛ فاستأْذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليَّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصلُ إلينا شاعر لا نعرفه ولا

---

(١) أدرك الراعي أنَّ ابنه فتح باباً للشرّ كبيراً، ولم يكن ليحسن التصرّف مع شاعر كبير مثل جرير. ولذلك نراه يصف فعلة ابنه بالشؤم، وقد كان هذا، ونلاحظ كذلك سرعة انتشار قصيدة جرير، وشدّة تناقل الناس والرواة لها، حتى ظنَّ الراعي أنَّ الجنَّ هي التي قامت بعملية النشر هذه، والراعي يعلم قبل غيره أهمية جرير وشعره في ذلك المجتمع، فلا عجب أن يطير شعره وينتشر بلا حاجة إلى جنّ أو قوى خفيّة أخرى.

(٢) العنفقة: شعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٣) كان الفرزدق خبيراً بالشعر، سابراً أغواره، ولذلك نراه يدرك منذ الوهلة الأولى شدّة وقع أبيات جرير على الراعي وأهله، ويتوقع أن تصحبهم هذه الأبيات أينما ذهبوا، وقد صحّ توقّع الفرزدق حين انتشرت الأبيات، ولم يفلح الراعي بعدها على حدّ قول الفرزدق.

نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أنا القائل:

وإنّي لعفُّ الفقر مُشْتركُ الغنى ... سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا(١)
جريءُ الجنانِ لا أهاب من الردى ... إذا ما جعلتُ السيفَ قبضَ بنانيا
وليس لسيفي في العظام بقيةٌ ... وللسَّيْفُ أشْوى وقعةٌ من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ؛ ثم خرج إليَّ وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء؛ فكانت أوّل جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظنُّ أبياتك التي توسّلتَ بها إليَّ إلاّ لي. (٣٦/٨)

(٨٩)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيْخ قال حدّثنا محمد بن الحكم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو الهيْثم بدر بن سعيد العطار قال حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما استُخلف عُمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه؛ فجاء عوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود وعليه عمامةٌ قد أرخى طرفيْها فدخل؛ فصاح به جرير:

يأيُّها القارئُ المُرْخي عمامته ... هذا زمانُك إنّي قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقيهَ ... أنّي لدى البابِ كالمصْفودِ في قرنِ(٢)

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شعراً، فلما دخل عليه غيَّره وقال:

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أخْلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قدراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدر
أأذكر الجهْدَ والبلْوى التي نزلتْ ... أم تكْتفي بالذي بلّغْتَ من خبري
ما زِلْتُ بعدك في دارٍ تعرُّقُني ... قد طال بعدك إصعادي ومُنحدري(٣)

---

(١) عفّ الفقر: أي هو عفيف في فقره لا يريق ماء وجهه بالسؤال، ومشترك الغنى: يُشرك غيره من الناس في ماله.

(٢) المصفود: المربوط، والقَرَن: الحبل.

(٣) تعرُّقني: أخذ ما على العظم من اللحم، يريد أنّها تفقره ولا تدع له شيئاً.

لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادينا ولا يجـود لنا بـادٍ على حضـرِ
كم بالمواسـم من شـعْثاءَ أرْملـةٍ ومن يتيمٍ ضـعيفِ الصوتِ والبصر
يدعوك دعـوةَ ملهوفٍ كـأنَّ بـه خـبلاً من الجنِّ أو مسّاً من النُّشَرِ(١)
ممـن يعُـدُّك تكْفي فقْـدَ والـده كالفرْخ في العُشِّ لم ينْهَضْ ولم يطِرِ

قال: فبكى عمرُ ثم قال: يابن الخطفى، أمِنْ أبناءِ المهاجرين أنت فنعرف لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فيجبَ لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمرَ صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصلُ به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثر قومي مالا، وأحسنهم حالاً، ولكنّي أسألك ما عوَّدتنيه الخلفاءُ: أربعةَ الافِ درهم وما يتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ. فقال له عمر: كلُّ امرئ يلْقى فعله، وأمّا أنا فما أرى لك في مال الله حقاً، ولكن انتظرْ، يخْرُجُ عطائي، فانظرْ ما يكْفي عيالي سنةً منه فادَّخِرْه لهم، ثم إن فضل فضْلٌ صرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحمد وأخرج راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إليَّ؛ فخرج.

فلما ولِّي قال عمر: إن شرَّ هذا ليُتَّقى؛ رُدّوه إليَّ، فردُّوه. فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين إذا غُسِلَتْ إحداهما لبستُ الأخرى، وأنا مقاسمُك ذلك، على أن الله جلَّ وعزَّ يعلم أن عمر أحْوجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وفرَّك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض. قال: أمّا وقد حلفْتَ فإن ما وفَّرْتَه عليَّ ولم تضيِّق به معيشتنا أثَّر في نفسي من المدح، فامْضِ مُصاحبا؛ فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ: ما صنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حزْرة؟ قال: خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراء ويُباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ؛ ثم وضع رِجْله في غرْزِ راحلته وأتى قومه. فقالوا له: ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حزْرة؟ فقال:

تركتُ لكم بالشـأم حبْلَ جماعـة أمينَ القوى مُسْتحصِدَ العقدِ باقيا(٢)
وجدتُ رقَى الشـيطان لا تَستفزُّه وقد كان شـيطاني من الجنِّ راقيا

هذه رواية عمر بن شبّة. وأما اليزيديّ فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ يا أمير المؤمنين، فإنّي ابنُ سبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زادُكَ ونفقةٌ تبلِّغك وتُبدِّل راحلتَك إن لم تحملْك. فألحَّ عليه؛ فقالت له بنو أميّة: يا أبا حزْرة، مهْلاً عن أمير المؤمنين، نحن نُرْضيكَ من أموالنا عنه، فخرج. وجمعتْ له بنو أميّة مالاً عظيماً؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأكثر ممّا خرج من عند

(١) النُّشر: جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض.

(٢) مستحصد: مستحكم.

(٩٠)

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشم عن عمارة بن عُقيل عن أبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده، وقد كانا تهاجيا ولم ير أحدٌ منهما صاحبه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذن له فدخل فسلّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمح طرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومك وتهضَّمْتُ قومك. فقال له جرير: ذلك أشْقى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداك! فضحك ثم قال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة. فردَّ عليه بصره ثم قال: فلا حيّاك الله يابن النصرانية! أمّا منعكم نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تهضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلّة وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزية عن يدٍ وهو صاغر. وكيف تتهضَّم لا أمّ لك قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابنِ النَّصرانية؛ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضْرتي. (٦٢/٨)

(٩١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال شُعيْب بن صخر حدّثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ(٢) واحد على جرير: (قيس وموالي بني أمية) يسلّمون عليه ويسألونه

---

(١) هذا منهج كاد يزول في الدولة الأموية لولا إحياء عمر بن عبد العزيز له، فقد دأب الخلفاء الأمويون على منح الشاعر أموالاً جزيلة، وخاصة أولئك الشعراء الذين تغنّوا بهم، واستمروا في مدحهم، وجرير واحد منهم، ولكنّ عمر بن عبد العزيز لم يكن يرى للشعراء حقّاً في بيت المال سوى حقّ عطائهم أمّا عدا هذا فهو تبذير وطيش، ولذلك نراه يبيّن لجرير هذا الأمر، ويعدّد له الوجوه التي يمكن الإنفاق فيها، وليس لجرير وجه واحد منها، ولكنّه يفيء بعد قليل إلى ماعرفه وسمعه عن الشاعر ومكانته فيطلب من جرير أن يأخذ قليلاً ممّا عنده، فيأبى جرير بأدب ويخرج راضياً، ونعتقد أن هذا الموقف، وقبله موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العطيئة يشير إلى تغلغل الشعر في حنايا المجتمع العربي، ونفاذه إلى أدقّ مكامنه وخباياه.

(٢) العنق: الجماعة الكثيرة.

كيف كنت يا أبا حزْرة في مسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك. وما يُطيف بالفرزدق إلاّ نفرٌ من خِنْدَف جلوسٌ معه. قال شُعَيْبٌ: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: لمدحه قيْساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والفُرُّ أولادَ سارةٍ أبٌ لانُبالي بعده من تعذّرا(١)

قال شُعَيْب: بلغني أنّه أهْديتْ له يومئذٍ حلّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم: وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شُعَيْب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتمُّ من حكاية ابن سلاّم. وقال أبو خليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقيل بن بلال يقول: وافتْه في يومه ذلك مائةُ حلّة من بني الأحرار(٢). (٦٤/٨)

(٩٢)

أخبرنا علي بن سليمان الأخْفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكري قال قال عُمارة بن عُقيل حدّثني أبي عن أبيه: أن الحجّاج أوفد ابنه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، وكان لا يسمع من شعراء مُضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبيْريّةً. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممّن والى ابنَ الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إنّ العرب تتحدّث أنّ عبدك وسيفك الحجّاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم رددْته؛ فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجّاج! ألستَ القائلَ:

من سـدُّ مُطّلَعَ النِّفاق عليكـم أم من يَصُول كصولة الحجاج

إن الله لم ينصرني بالحجّاج وإنما نصر دينه وخليفته. أولست القائل:

أم مَنْ يغارُ على النساءِ حفيظةً إذ لا يثقّـنَ بغـيـرةِ الأزواج

يا عاضٌّ كذا وكذا من أمّه! والله لهمَمْتُ أن أطير بك طيْرةً بطيئاً سُقوطُها، أخرُجْ عنّي، فأخْرِج بشرٌ. فلمّا كان بعدَ ثلاثٍ شفع إليه محمدٌ لجرير وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أدّيت رسالةَ عبدك الحجّاج وشفاعته في جرير، فلما أذنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبّه منه وأشْمتَ به عدوّه، ولو

(١) سارة: زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٢) بنو الأحرار: أبناء الموالي من الفرس.

لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيتَ أن تهبَ كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج، ولي فافعل، فأذن له. فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال: لا تُنشدني إلاّ في الحجّاج، فإنما أنت للحجّاج خاصّةً. فسأله أن يُنْشده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشِده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشده إلاّ من قوله في الحجّاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزِف الرُّحيلُ قال جرير لمحمد: إن رحلتُ عن أمير المؤمنين ولم يسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذنَ لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له فقال جرير: ارحَلْ أنت وأقيم أنا. فدخل محمدٌ على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له، وسأله أن يسمعَ منه، وقبّل يده ورجله، فأذِن له. فدخل فاستأذن في الإنشاد فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشِدْ ويْحك! فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألستمُ خيرَ من ركب المطايا وأنْدى العالمين بطون راحِ(١)

فتبسّم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زِلْنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال:

دعــوتَ المُلْحدينَ أبـا خُبَيْـب جِماحاً هل شُفيتَ من الجماحِ(٢)

وقد وجدوا الخليفـة هِبْرزِيـاً ألفُّ العيص ليس من النَّواحي(٣)

وما شجراتُ عيصكَ في قريش بعشّاتِ الفُروع ولا ضواحي(٤)

قال: ثمّ أنشده إيّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تعـزَّتْ أمُّ حـزْرة ثم قـالت رأيتُ المُـوردين نوي لقـاح

تُعلِّل وهي ســاغبةٌ بنيها بأنفاس من الشَّبِم القراح(٥)

فقال عبد الملك: هل تُرويها مائة لقحة؟ فقال: إن لم يُرْوِها ذلك فلا أرْواها الله! فهل إليها ـ جعلني الله فداكَ يا أمير المؤمنين ـ من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء، وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال: له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون محْلبا؟ فضحك وندس إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتْك! فأخذها وقال: بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعنّي كلُّ ما منحتنيه، وخرج من عنده(٦). قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال

---

(١) راح: جمعة راحة وهي باطن اليد. (٢) أبو خبيب: هو عبد الله بن الزبير.

(٣) الهبرزي: الخالص، والألفُّ: الملتفّ، والعيص: الأصل، يريد أنّه من وسط العزّ لا من نواحيه.

(٤) العشّة: الشجرة الدقيقة القضبان اللينة المنبت.

(٥) الأنفاس: جمع نَفَس: وهو جرعة الماء، والشبم: البارد، والقراح: الخالص.

(٦) نلاحظ هنا الأثر الكبير الذي تركته السياسة وفرَقُها على الشعر، فالخليفة لا يسمع من شعراء مضر =

يمدح يزيد بن عبد الملك:

أعطوْا هُنَيْدَةَ يحْدوها ثمانيةً ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سرفُ (٦٦/٨)

(٩٣)

حدّثني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن عبد الله السدّي قال حدّثني عُمارة بن عُقيل عن أبيه قال: وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا ولم يلقَ أحدُهما صاحبه. فلما استأذنوا لجرير أذِن له فسلّم وجلس، وقد عرفه الأخطل، فطمح بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومك وهضمْتُ قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أشْقى لك كائناً مَنْ كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك فقال: مَنْ هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال: هذا الأخطلُ يا أبا حَزرة. فردَّ بصره إليه وقال: فلا حيّاك الله يا بنَ النصرانية! أمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تهضُّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّة والمسْكنة وباءوا بغضبٍ من الله! إيذَنْ لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانيّة. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثبَ جريرٌ مُغْضباً. فقال عبد الملك: قم يا أخْطل واتبَعْ صاحبك؛ فإنما قام غضباً علينا قبك؛ فنهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يصْنعان إذا برز له الأخطل.

فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حصاناً له أدْهم فركبه وهَدَرَ والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلْفه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره، ؛ فضحك وقال: قاتل الله جريراً! ما أفْحله! أما والله لو كان النصرانيّ برز إليه لأكله. (٧٢/٨)

(٩٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال: كان عمر بن يزيد بن عُمير الأسدي يتعصّبُ للفرزدق على جرير: فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم؛ فقال جرير:

= قاطبة لأنّهم كانوا زبيريّة، ويؤخذ جرير بهذا الذي يراه الخليفة ذنباً فلا يُسمح له بالدخول، وبعد العناء والشفاعة، يدخل، فيُقابَل بوجه عابس كالح، ليخرج بعير طائل، ونراه مصراً على الدخول، مدمناً عليه، فهو يعتقد - ولعلّه اتّجاه عام - أنّه بفشله في مدح الخليفة وأخذ عطائه سيسقط آخر الدهر، فمكانته مرتبطة بالخليفة رضىً أو سُخطاً، وهو أمر لم نَرَه فيما سبق.

نكحتَ إلى بني عُدُس بـن زيدٍ فـقـد هجّنْتَ خـيلَهُم العِرابا(١)
أتنْسى يومَ مسْـكِنَ إذ تُنادى وقـد أخطأتَ بالقـدم الرِّكـابا(٢)

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه. (٧٤/٨)

(٩٥)

قال ابن سلاّم فحدّثني أبو الغرّاف: أن رجال تميم مشتْ بين جريرٍ والتّيْميّ وقالوا: واللّهِ ما شعراؤنا إلا بلاءٌ علينا ينشُرون مساوِيناً ويهْجُون أحياءنا وموْتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى أصدحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلّظة ألاّ يعُودا في هجاء. فكفّ التّيْميّ، وكان جريرٌ لا يزال يسلُّ الواحدة بعد الواحدة فيه؛ فيقول التّيْميّ: والله ما نقضْتُ هذه ولا سمعتُها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح. (٧٩/٨)

(٩٦)

حدّثنا أحمد بن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن النّطاح قال، وحدّثني أبو الأخْضر لُخارق بن الأخْضر القيْسيّ قال: إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلا هو أخصُّ الناس بجرير، وكان ينزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عديّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مداحاً له؛ فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيثُ يقرُب من مجلس بن الرِّقاع إلى أن يأذن الوليدُ للناس فيدخلَ. فقلت له: يا أبا حَزْرةَ، اختصَصْتَ عدوَّك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلاّ لأنشده أشعاراً تُخْزيه وتُخْزي قومه. قال: ولم يكن يُنْشده شيئاً من شعره، وإنما كان يُنْشِدُه شعر غيره ليُذلّه ويخوّفه نفسه. فأذن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا، فأخذ الناسُ مجالسهم، وتخلّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسهم واطمأنُّوا فيها. فبينماهم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السِّماطيْن(٣) يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرِقاع المتفرّقة أوْلُفُ بعضها إلى بعض! ـ قال: وأنا جالسٌ أسمع ـ فقال الوليد: والله لهمَمْتُ أن أخْرِجه على ظهرك إلى الناس. فقال

---

(١) العِراب: الخيل الأصيلة، وهي خلاف البراذين.

(٢) مسكن: موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير سنة (٧١هـ)، وفيها قُتل مصعب، ومن الواضح أنّه يعيِّره بجبنه.

(٣) السِّماطان: الصفّان.

جرير وهو قائم كما هو:

فإن تنْهني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فـإنّي عُرْضـــةٌ للمـراجِـــم(١)

قال فقال له الوليد: لا كثَّر الله في الناس أمثالك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأمّة(٢)، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً. قال: فنظرتُ والله إلى الوليد تبسَّم حتى بدتْ ثناياه تعجُّباً من جرير وجلده. قال: ثم أمره فجلس. (٧٩/٨)

(٩٧)

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا ابن النّطاح عن أبي عُبيدة قال: كان جرير عند الوليد وعديُّ بن الرِّقاع يُنْشده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عديُّ بنُ الرِّقاع قال: فإن شرَّ الثيابِ الرِّقاعُ ثم قال جرير: (عاملةٌ ناصبةٌ تَصلَى ناراً حاميةً)؛ فغضب الوليدُ وقال: يابن اللُّخْناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتابَ الله! والله ليركبنّك! يا غلام أوْكِفْه حتى يركبه. فغمز عُمر بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكن غضبُ الوليد قام إليه عُمرُ فكلَّمه وطلب إليه وقال: هذا شاعرُ مُضر ولسانُها، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاّ يغُضَّ منه! ولم يزل به حتى أعْفاه، وقال له: والله لئن هجوته أو عرَّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلنّ!. فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

أقْصرْ فإن نزاراً لن يفاخرها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس

وذكر وقائع نزارٍ في اليمن؛ فعلمنا أنّه عناه. ولم يُجبْه الآخر بشيء(٣). (٨٠/٨)

(٩٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البلويّ: أن رهط بُثينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقُون بها يقال لها أمُّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أمُّ منظور، أريني بثينة. فقالت: لا! والله لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أما والله لأضربُنّك؛ فقالت: المضرّةُ واللهُ في أن أريكَها. فخرج من عندها وهو يقول:

---

(١) عرضة: يقال: فلان عرضة للكلام إذا كان كثيراً ما يعترضه كلام الناس ويُقذف به، والمراجم: الكلم القبيحة.

(٢) سعرت الأمة: يريد أوقدت فيها الشرّ.

(٣) لم يكن الخليفة ليُنفِّذ تهديده بالشاعر، وهو شاعر مضر ولسانها، ومحلّه في الشعر لا يُنكر، ولكنّه أراد ردعه عن شاعر أثير إليه وهو ابن الرقاع بعد ما رأى منه.

ما أنْسَ لا أنْسَ منها نظرةً سلفَتْ بالحِجْرِ يومَ جلَتْها أمُّ منظورِ(١)
ولا انسلابتَها خُرْساً جبائرُها إليَّ من ساقط الأرواقِ مستورِ(٢)

قال: فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلّقوا بأمّ منظور فحلفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها. هكذا ذكر الزُّبير بن بكّار في خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك. (١١٢/٨)

(٩٩)

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُريْد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال: استعدت جرْمٌ على ابن الطُّثُريّة في وحْشية (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثوْر أخي يزيد بن الطُّثُرية وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلْق لِمّته(٣) فحلقها، فقال يزيد:

أقول لثَوْرٍ وهو يحلِقُ لِمّتي بحجْناءَ مردودٍ عليها نِصابُها(٤)

- قال عبد الرحمن: كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسى بهذا البيت -

ترفَّقْ بها يا ثورُ ليس ثوابُها بهذا ولكن غيرُ هذا ثوابُها
ألا ربَّما يا ثوْرُ قد غلَّ وسْطها أناملُ رخْصاتٌ حديثٌ خضابُها(٥)
وتسْلُك مِدْرى العاج في مُدْلهمّةٍ إذا لم تُفرَّجْ مات غمّاً صُؤابُها(٦)
فراح بها ثوْرٌ ترفُّ كأنها سلاسلُ درْعٍ خيرُها وانسكابُها(٧)
مُنَعَّمةً كالشُّرْيةِ الفردِ جادها نِجاءُ الثُّريّا هطْلُها وذهابُها(٨)
فأصبح رأسي كالصُّخَيْرة أشْرفتْ عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها (١٧٨/٨)

(١) الحِجر: اسم موضع، وجلّتها: زيّنتها.
(٢) انسلابتها: انسلب في الأصل أسرع كأنّه لسرعته يخرج من جلده، والجبائر: الأساور، يريد تسلّلها إليه خفية في سرعة، والأرواق: الفساطيط.
(٣) اللِّمّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن. (٤) حجناء: وهي كلّ حديدة لُويَ طرفها.
(٥) غلّ شعره بالطيّب: أدخله في أصوله.
(٦) المِدرى: شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشَّعر المتلبّد، ومدلهمّة: سوداء.
(٧) ترفّ: تبرق، خيرها: هيئتها.
(٨) الشُّرْية: شجرة الحنظل، تشبّه اللمم بها لحسنها لأنّها جعدة، والنجاء: جمع نجو وهو السحاب الذي هراق ماؤه.

وحدّثني أبي قال حدّثنا يونس قال قال لي أبو عباد: أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبقتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أن تُعلِمني شيئاً؛ فقالت لي: إنّ غيركَ قد سبقك ولا يجملُ تقديمُك على من سواك. فقلتُ: جُعِلتُ فداك! إلى متى تفرُغين ممّن سبقني! قالت: هو ذاك، الحقُّ يسعُك ويسعُهم. فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر - وإنه لأوّل يومٍ رأيتُه وآخرهُ وكنت صغيراً كيِّساً، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح - فقامت وقام الناس، فتلقّته وقبّلتْ رجْليه ويديْه، وجلس في صدر المجلس على كوْمٍ لها وتحوّق(١) أصحابُه حوْله، وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناسُ، وغمزتْني أن لا أبرحُ فأقمتُ. وقالت: يا سيِّدي وسيِّدَ أباني ومواليَّ، كيف نشطتْ إلى أن تثقل قدميك إلى أمتِك؟ قال: يا جميلة، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألاّ تغنّي أحداً إلاّ في منزلك، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فسيحاً. قالت: جُعِلتُ فداكَ! فأنا أصيرُ إليكَ وأكفّر. قال: لا أكلّفك ذلك، وبلغني أنك تُغنّين بيتين لامرئ القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللهُ أنقذ بهما جماعةً من المسلمين من الموت. قالت: يا سيِّدي نعم! فاندفعت تغنّي فغنّت بعُودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثل ذلك الغناء؛ فسبّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه. وهما:

ولما رأتْ أنّ الشريعةَ همُّها ... وأنّ البياضَ من فرائصها دامي(٢)

تيمّمتِ العينَ التي عندَ ضارجٍ ... يفيءُ عليها الظلُّ عرْمَضُها طامي(٣)

فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيِّدي أزيدُكَ؟ قال: حسْبي. فقال بعض من كان معه: بأبي جُعلت فداكَ! وكيف أنقذَ اللهُ من المسلمين جماعة بهذين البيتين؟ قال: نعم أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النّبي (ص) فضلّوا الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، وجعل الرجلُ منهم يستذري(٤) بفيءِ السَّمُر والطّلح يائساً من الحياة، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعض القوم هذين البيتين فقال:

---

(١) تحوّق: استدار حوله.

(٢) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الدّواب، وهمّها: طلبها، والفريصة: اللحم الذي بين الكتف والصدر، والضمير في رأت للحُمُر، يريد أنّ الحمر لمّا أرادت شريعة الماء خافت على أنفسها من الرماة وأن تدمي فرائصها من سهامهم فعدلت إلى (ضارج).

(٣) ضارج: موضع في بلاد بني عبس، والعرمض: الطحلب، وطامٍ: مرتفع.

(٤) يستذري: يستظلّ.

ولمـــا رأتْ أن الشـــريعة همُّهـا وأن البياض من فرائصها دامي
تيمَّمَـتِ العينَ التي عـند ضـارجٍ يفيءُ عليها الظلُّ عرْمضُها طامي

فقال الراكبُ: مَنْ يقول هذا؟ قال: امرؤُ القيْس. قال: والله ما كذب؛ هذا ضارجٌ عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحبَوْا على الرُّكْب فإذا ماءٌ عَذبٌ وإذا عليه العرْمضُ والظلُّ يفيءُ عليه، فشربوا منه ريَّهم وحملوا ما اكتفَوْا به حتى بلغوا الماءَ. فأتوا النبيَّ(ص) فأخبروه وقالوا: يا رسول الله، أحيانا الله عزوجل ببيتين من شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعر. فقال رسول الله(ص): «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار». فكلٌّ استحسن الحديثَ. ونهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القومُ معه. فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه. (١٩٧/٨)

(١٠١)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْريّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خلاد عن أبيه قال: لمّا استنزل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ من قرْقيسيا، أقعده معه على سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكلاع. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرمَ عليَّ منك؛ ولكنْ لسانه لساني وحديثه يُعْجبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أما والله لأقومنَّ في ذلك مقاماً لم يقُمْه ابن ذي الكلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينه منه قال:

وكـأسٍ مثل عين الدِّيكِ صِـرْفٍ تُنسِّي الشـاربين لها العقولا
إذا شـربَ الفـتى منهـا ثلاثاً بغـيـر المـاء حـاول أن يَطُولا
مـشى قُرشـيّة لاشكَّ فـيـهـا وأرخى من مـآزره الفُضـولا

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطَّةٌ في رأسك. قال: أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقد ينْبُت المرْعى على دِمَنِ الثَّرى وتبقى حزازاتُ النفـوس كما هيا

قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدْرَ زُفَر فقلبه عن السرير وقال: أذْهَبَ اللهُ حزازاتِ تلك الصدور. فقال: أنشدُكَ الله يا أمير المؤمنين العهد الذي أعطيتني!. فكان زُفَرُ

يقول: ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال. (٢٩٦/٨)

(١٠٢)

أخبرني عمِّي عن الكُرانيّ عن دماذ عن أبي عُبيدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نصْرانيّ كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: يالُكع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خزٍّ وحِرْزُ خزٍّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن(١). (٢٩٩/٨)

(١٠٣)

أخبرنا أبو خليفةَ قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال زعم محمد بن حفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوْفل بن الحارث بن عبد المطّلب قال: قدِمْتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دمشْق وإذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عنّي فأخْبِر بنسبي، فقال: يا فتى، إنك لرجلٌ شريف، وإني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيّةٌ. قال: إنّ القسَّ حبسني هاهنا فتكلّمُه ليُخلّي عنّي. فأتيتُ القسّ فانتسبت له، فرحبَّ وعظّم، قلت: إنّ لي إليك حاجةً. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطلُ تُخلّي عنه. قال: أعيذُكَ بالله من هذا! مثلُك لا يتكلّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلبُ إليه حتى مضى معي متّكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدُوَّ الله! أتعود تشتُم الناس وتهجوهم وتقذف المُحْصنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويستخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناسُ يهابونك والخليفةُ يُكرمك وقدْرُك في الناس قدْرُك، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذي له!. قال: فجعل يقول لي: إنّه الدِّين! إنه الدِّين!. (٣٠٩/٨)

(١٠٤)

فأمّا السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربْعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: قدِم الأخطل الكوفة فأتى حوْشَبَ بن يزيْم الشَّيْباني، فقال: إني تحمّلتُ حمالتين

---

(١) لم يصل الأخطل إلى ما وصل إليه إلاّ بسبب الشعر، وخاصة ذلك الشعر الذي تغنّى فيه بالخلفاء الأمويين، وفضّلهم على غيرهم من منافسيهم مثل العلويين والزبيريّين، وكأنّه مهّد الطريق من بعده لمروان بن أبي حفصة في مدائحه للعباسيين التي سنراها قريباً، ولكنّ الخمر والصليب وما إليهما من أمور ممّا يخالف الإسلام حتماً. ولعلّ للخليفة رأياً رآه وارتضاه لنفسه.

لأحقن بهما دماء قومي فنهره، فأتى سيار بن البزيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عِكْرِمةَ الفيّاض وكان كاتباً لبِشْر بن مرْوان، فسأله وأخبره بما ردَّ عليه الرجلان؛ فقال: أمّا إني لا أنهرُك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً(١) والأخرى عرضاً(٢) قال: وحدث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافئ عكرمة يوماً فاليوم. فلبس جُبّة خَزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حوْشَب وسيّار نفسا عليه ذلك، وقال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته:

لِمَنِ الدّيارُ بحائلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله:

إنَّ ابنَ رِبْعيٍّ كفاني سَيْبُه ... ضيفَ العدوِّ وغدْرةَ المُحتالِ
أعْطيْتَ حين تواكلتْني وائلٌ ... إنَّ المكارمَ عند ذاك غوالِ
ولقد مننتَ على ربيعة كلِّها ... وكفيْتَ كلَّ مُواكلٍ خذّالِ
كابن البزيعة أو كآخر مثله ... أوْلى لك ابنَ مُسيمة الأجمالِ(٣)
إنَّ اللّئيمَ إذا سألتَ بهرْتَه ... وترى الكريم يراحُ كالمختالِ(٤)
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تَجِدْ ... فهضَ الفُرات كراشح الأوشالِ

قال: فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول: هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم. (٣١٩/٨)

(١٠٥)

وفي بني غُدانة يقول الفرزدق:

أبني غُدانة إنّني حرَّرْتُكم ... فوهبتُكم لعطيّة بن جعالِ
لولا عطيّةُ لاجْتدعْتُ أنوفكم ... من بين آلامٍ أعنٍ وسِبالِ(٥)

وكان عُطية استوهب منه أعراضهم لصهرٍ كان بينه وبينهم، وكان عطية سيّدا من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد امتن عليّ أبو فراسٍ بهذه الهبة وما تممها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم. قال: وكان عطية هذا جواداً، وفيه يقول جرير:

---

(١) العَيْن: ما ضُرب نقداً من الدنانير. (٢) العَرْض: المتاع وكلّ شيء سوى الدراهم والدنانير.
(٣) أولى لك: ويل لك فهي كلمة تقال في مقام التهديد والوعيد.
(٤) بهرته: فجأته وقطعت أنفاسه، ويَراح: ينشط إلى الشيء ويسرّ به. (٥) سبال: جمع سَبَلة وهو الشارب.

إن الجوادَ على المواطن كُلها وابنَ الجواد عطيةُ بن جِعال
يهبَ النجائبَ لا يملُّ عطاءها والمقرباتِ كأنهن سعالى(١) (٣٨٥/٨)

(١٠٦)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليلُ بن أسُد، قال: أنبأنا العُمري عن العُتبي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيلَ وعنده حارثةُ بن بدرٍ الغُداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الوليدُ، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهنّأه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين مُطّلَعٌ قريب زيادةُ أربعٍ لي قد بقينا
فإنْ أهْلكْ فهنّ لكم وإلا فهنّ من المتاع لكم سنينا

فقال له الوليد: فتشاطرني ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصيّر عطاءه ألفاً وثمانمائة. ثم أجرى الوليدُ الخيل، فسبق أيضاً؛ فقال حارثةُ: هذه فرصة (أخرى). فقام فهنأه ودعا له، ثم قال:

وما احتجب الألفان إلا بهيِّنٍ هما الآن أدنى منهما قبل ذالكا
فجُدْ بهما تفديك نفسي فإنني مُعلِّق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليدُ له بالمائتين، فانصرفَ وعطاؤه ألفان. (٣٩٦/٨)

(١٠٧)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: أنبأنا أحمدُ بن يحيى، قال: أنبأنا محمدُ بن عمر بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد؛ عن الشعبي، قال: كنتُ عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأنشدتهُ لحارثة بن بدر:

وكان لنا نبْعُ تقينا عُرُوقه فقدْ بلغت إلا قليلاً حُلوقها
وشيَّب رأسي واستخفَّ حُلُومنا رُعودُ المنايا فوقنا وبُروقها
وإنا لتستحلي المنايا نُفوسنا وتتركُ أخرى مُرَّةً ما تنوقها
رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعُودا إلى دارنا سهلاً إليها طريقها
فقد قُسِّمتْ نفسي فريقين منهما فريقٌ مع الموتى وعندي فريقها

(١) النجائب: جمع نجيبة وهي الكريمة العتيقة من النوق والأفراس، والمقربات: جمع مقربة وهي الفرس يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها، والسعالي: جمع سعلاة وهي الغول.

قال الشعبيّ: فقال لي ابنُ جعفر: نحن كنا أحقَّ بهذا الشعر. وجاءه غُلامه بدراهمَ في منديل، فقال له: هذه غلّة أرْضِك بمكان كذا وكذا. فقال: ألقِها في حجر الشعبيّ. فألقاها في حجري. (٤٠١/٨)

(١٠٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني بعض أصحاب الحديث قال: كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدثّنا. (٥/٩)

(١٠٩)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا المؤمّليّ عن أبي عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثيّر على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أرضاً لك يقال لها غُرَّب(١) ربما أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعيالي فنصبنا من رُطبها وتمْرها بشراء مرّة وطُعْمة مرّة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعمِّرنيها(٢) فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندَّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فهلاّ سألتَ الأرض قطيعةً!. فأتى الوليدَ فقال: إنَّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجْلسني قريباً من البِرْذَوْن. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيه! وعلم أنَّ له إليه حاجةً فقال كثيِّر:

جزتك الجوازي عن صديقكَ نضْرةً ... وأدناكَ ربِّي في الرَّفيق المُقرَّبِ
فإنَّك لا يُعْطى عليك ظُلامةً ... عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرَّب
وإنَّك ما تمنَعْ فإنك مانعٌ ... بحقٍّ، وما أعطيتَ لم تتعقَّبِ

فقال له: أترغب غُرَّباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: اكتبوها له، ففعلوا. (٩/٩)

(١١٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة قال: كان الحزين الكنانيّ قد ضرب على كل رجل من قُريش درهمين في كل

---

(١) غُرَّب: ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير، وغُرَّب أيضاً جبل دون الشام في ديار بني كلب وعنده عين ماء تُسمّى غربة.

(٢) يعمِّرنيها: يقال: عمر فلان كذا إذا جعله له طول عمره.

شهر، منهم ابنُ أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف ـ قال: وكثيِّر مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة ـ قال: وكان قصيراً دميماً ـ فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لابدَّ من هجائه ببيت. قال: أوْ أشتري منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له كُثيِّر: ايذن له، ما عسى أن يقول في بيت! فأذِن له ابن أبي عتيق فقال:

قصيرُ القميص فاحشٌ عند بيته يعضّ القُرادُ باستِه وهو قائمُ

قال: فوثب كثيِّر إليه فلكزه، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبي عتيق بينهما، وقال لكثيِّر قبحك الله! أتأذن له وتسْفَهُ عليه! فقال كثيِّر: أو أنا ظننتُه أن يبلغ بي هذا كلّه في بيت واحد!. (١٠/٩)

(١١١)

أخبرنا الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا المؤمّلي عن ابن أبي عُبيدة، قالوا جميعاً: لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصْعب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعبَ، فإنّ آل الزُّبير ذكروا خروجك، وابعث إليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

إذا ما أراد الغزْو لم تُثْنِ همّــه حصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يزينُها
نهتْه فلمـا لم تَرَ النّهيَ عاقــه بكتْ فبكى مما شجاها قطينها(١)

والله لكأنّه يراني ويراكِ يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره ـ

ووافقه عليه عمر بن شبّة ـ فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطْرقاً؛ فدعا به وقال: لأعْلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بكُّك؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدقني؟ قال نعم!

---

(١) القطين: الخدم والأتباع والحشم.

قال: قل وحقِّ أبي تُراب لتصدُقنّي؛ قال: والله لأصدُقنّك. قال: لا أوْ تحلفَ به، فحلفَ به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبه فيحاريُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا أمن سهماً عائراً(١) لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ. قال: فارجِعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة. (٢١/٩)

(١١٢)

أخبرنا عمّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يُخرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إياه ويرده. (٢٣/٩)

(١١٣)

أخبرنا العرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جميع بن عليّ النُّميريّ عن عبد الله بن عبد العزيز بن معْجِن بن النُّصيْب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصيْب قالت: وفدَ أبي على عبد العزيز بن مرْوان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذنَ له. فأرسلَ إليه حاجبه فقال: استنشدْه، فإن كان شعره رديئاً فارْدُدْه، وإن كان جيِّداً فأدْخِلْه. فقال نُصيب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذهنٍ، فأدخله. فلما واجهه أنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقرَ بنَ مرْوان أنّني ... أردُّ لدى الأبوابِ عنه وأحْجَبُ
وأنّي ثويتُ اليومَ والأمسِ قبله ... على الباب حتى كادت الشمسُ تغربُ
وأنّي إذا رمتُ الدخولَ تَردُّني ... مهابةُ تيْسٍ والرِّتاجُ المُضبَّبُ(٢)

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمَّى قيْساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرَّبْعُ المقيمُ بعَنْبَب ... سقتْك السَّواقي من مُراحٍ ومعْزَبِ(٣)

قال: فلمّا دخل على عبد العزيز أعجبَ بشعره وأوْجهه(٤)، قال: وقال نُصيبٌ فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهَمْ ... بها كاسبٌ غيري ولا متقلَّبُ

---

(١) العائر: الطائش.

(٢) رتاج مضبَّب: مجعولة له ضبّة.

(٣) عَنْبَب، واد باليمن. (٤) أوجهه: جعله وجيهاً وشرّفه.

فهل تلحقنّيهم بعَبْلٍ مواشِكٍ على الأيْنِ من نُجْبِ ابن مروانَ أصهب(١)

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المهاري(٢) فخُذ منها ما شئت، فلو كنتَ سألت غيره لأعْطيته. فدخل فردّه الجمّال. فقال عبد العزيز: دَعْه فإنما يأخذ الذي نعتَ، فأخذه. (٤٥/٩)

(١١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عيّاش قال: حجّت أمُّ عمرو بنتُ مروان، فلما قضَتْ نُسُكَها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفَتْ نفسها في نساءٍ معها، فحادثته ثم انصرفت، وعادت إليه مُنْصرفَها من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكُرْني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردّته. فقال: إذاً واللهِ أنْهبه الناس فيكونُ مشهوراً؛ فقبلتْه. وقال فيها:

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضى من تهامةَ الأوطارا
مَنْ يكن قلبُه الغداة خليّاً ففؤادي بالخيْف أمْسى مُطارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلُّ يومين حِجّةً واعتمارا (٦٣/٩)

(١١٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثنا مُصعب بن عثمان: أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة لم تكن له همّةٌ إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ. فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُدْهما واحملْهما إليّ». فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتّجْميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجّ أفْلتْنَ ذا هوى
وكم مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

فإذا لم يُفْلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون! أما والله لو اهتممتَ بأمر حَجّك لم

---

(١) العبل: الضخم، والمواشك: السريع، والأين: الإعياء والتعب.

(٢) المهاري: جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

تنظر إلى شيءٍ غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أو خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألاّ أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء في شعرٍ أبداً وأجدّدَ توبةً على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلاّه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه!

الله بيني وبين قيِّمها يهربُ منّي بها وأتّبِعُ

بل اللهُ بين قيِّمها وبينك! ثم أمر بنفيه إلى بيش(١)، وقيل إلى دهلك وهو الصحيح، فنُفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدّةٌ من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يكرِمه وقالوا له: قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد أخرج إلى بلاد الشرك، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرم رسول الله (ص) ودار قومه فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبهَتَ حتى ما أكاد أحير

- وفي رواية الزبير «أجيب» مكان «أحير» قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدُورُ ولولا أنّ أرى أمَّ جعْفَرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يَزُرْ لابدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأنّ لُبْنى صبيرُ غاديةٍ أو دُمْيةٌ زُيِّنت بها البيعُ(٢)
الله بيني وبين قيِّمها يهرُب منّي بها وأتّبِعُ

قالوا: الأحوص. قال: إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاّه. قال: وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه - قال الزُّبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجِشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات: -

أيا راكباً إمّا عرضت فبلِّغنْ هُديتَ أميرَ المؤمنين رسالتي
وقُلْ لأبي حَفْصٍ إذا ما لقيتَه لقد كنتَ نفّاعاً قليل الغوائلِ
فكيف ترى للعيش طيباً ولذّةً وخالُك أمسى مُوثقاً في الحبائل
وما طمِعَ الحزْميُّ في الجاه قبلها إلى أحدٍ من آل مروان عادل
وشى وأطاعوه بنا وأعانه على أمرنا مَنْ ليس عنّا بغافلِ
وكنتُ أرى أنّ القرابة لم تدعْ ولا الحُرُماتِ في العصور الأوائل

---

(١) بيش من بلاد اليمن قرب دهلك. (٢) صبير: السحابة الصغيرة.

إلى أحدٍ من آل مروان ذي حجىً بأمـرٍ كـرهـناه مقالاً لقـائل(١)
يُسـرُّ بمـا أنهى العـدوُّ وإنه كنافلة لي من خـيـارِ النوافلِ
فهل ينقُصنّي القوم أن كنتُ مُسْلِماً برئيـاً بـلائي فـي ليـالٍ قـلائل
ألا ربَّ مـسـرورٍ بنا سـيـغيظُه لـدى غبِّ أمـر عـضَّـه بالأنامـلِ
رجا الصُّلح منّي آلُ حزْمِ بن فرْتنى على دينهـم جهـلاً ولسـتُ بفـاعلِ
ألا قـد يُرجُّون الهـوانَ فـإنهم بنو حـبقٍ ناء عن الخـيـر فـائلِ
على حينَ حلَّ القـول بي وتنظَّرت عـقـوبتـهم منّي رءوسُ القـبـائل
فـمنْ يك أمْسى سائلاً بشـمـاتـةٍ بما حلَّ بي أو شامتـاً غيرَ سائل
فقد عجمتْ منّي العواجمُ ما جداً صبوراً على عضّاتِ تلكَ التلاتـلِ(٢)

قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

هل أنتَ أمـيـرَ المؤمنين فـإنني بودِّك مـن ودِّ العـبـاد لقـانعُ
متـمِّمُ أجـرٍ قـد مـضى وصنيـعـةٍ لكـم عندنا أو مـا تُعـدّ الصنائعُ
فكم من عـدوٍّ سـائل ذي كشـاحـةٍ ومنتظرٍ بالغيب مـا أنت صـانعُ

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخْلِ سبيله عمرُ؛ حتى ولى يزيدُ بن عبد الملك فقدمه(٣). (٦٤/٩)

(١١٦)

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال هشام بن حسّان: كان السبب في ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوماً:

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ والذي أقـرّتْ لـه بالملك كهْلاً وأمردا

فطرب يزيد وقال: ويْحك! مَنْ كريمُ قريشٍ هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، ومَنْ عسى أن يكون ذلك غيرك! قال: ومَنْ قائلُ هذا الشعر فيّ؟ قالت: الأحوص وهو منفيٌّ فكتب بردّه وحمْله إليه وأنفذ إليه صلاتٍ سنيّة. فلمّا قدم إليه أدناه وقرّبه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تَمُتْ إلينا بحقٍّ ولا صِهْرٍ ولا رحمٍ إلاّ بقولك:

---

(١) الحجى: العقل. (٢) وعجمت: اختبرت، والعواجم: صروف الأيام، والتلاتل: الشدائد.

(٣) يتّفق صنيع عمر بن عبد العزيز بالشاعرين مع مجمل مواقفه المعروفة من الشعراء، خصوصاً أولئك الذين يتعرّضون للحُرم، ويفعلون ما لا ينبغي فعله في وقت مثل الحجّ. ولذلك نرى الخليفة يعيد على مسامع القوم نماذج من شعر الأحوص، كأنّه ينكرُهم به، ويشير بطرف خفيّ إلى عدم تراجعه عن قرار النفي.

وإني لاســـتحييكُم أن يقـــودني إلى غيركم من سائر الناس مطْمَعُ

لكفاك ذلك عندنا. قال: ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات (٦٧/٩)

(١١٧)

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال: قال مصعب بن عبد الله قال: حجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: ألست القائل:

فكم من قـتـيلٍ مـا يُبـاء به دمٌ ومـن غلـقٍ رهـناً إذا لفـكّـه منى

ومن مالئ عينيه مـن شـيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُّمى

يسـبِّحن أذيالَ المُـروط بأسـوقٍ خِدالٍ وأعـجـازٍ مـاكـمُهـا روا(١)

أوانسُ يسـلُبن الحـليـمَ فـؤاده فـيـاطُول مـا شـوق وياطول مُجْتلى

قال نعم. قال: لا جرم والله لا تحضُر الحجّ العام مع الناس! فأخرجه إلى الطائف (٦٧/٩)

(١١٨)

أخبرني الحسن بن عليّ ووكيع قالا حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير، وأخبرناه الحرميّ بن أبي العلاء إجازةً قال حدّثنا الزُّبير عن ابن أبي أويْس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوة: أن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُخْتلٍ به، فانصرف غضبان. وكان في صلاحه ربما صنعَ الأبيات، فقال لعمر:

أبْنِ لي فكُنْ مثلي أو ابتغِ صاحباً كمثلكَ إنّي تـابع صاحباً مثلي

عـزيزٌ إخـائي لا ينـال مـودّتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل

ومـا يلْبثُ الفتْيـانُ أن يتـفـرّقـوا إذا لـم يُؤلّفْ روحُ شكل إلى شكل

قال: فأخبِر عمرُ بأبياته: فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيْثمة وعراكَ بن مالك يعْنّرانه عنده ويقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا بردُّ الحاجب إياك، فعنّره. قال الزُّبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مُحرِز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها و أوّلها:

---

(١) المروط: كساء من خزّ أو صوف أو كتّان يؤتزر به وتتلفّع به المرأة، واحده مِرْط. وأسوق: جمع ساق، وخِدال: ممتلئة تامة.

وإنّي امـــرؤ من يُصْفني الودُّ يُلْفني ... وإن نزحتْ دارٌ بـــه دائمَ الوصـــل
عـــزيزٌ إخـــائي لا ينـال مـــودّتي ... مـن الناس إلا مـسلمٌ كـاملُ العـقل
ولـولا اتّقـــاني الله قلتُ قـصـيـدةً ... تســيـر بهـا الرُّكْبـانُ أبْردُها يفْلي
بهـا تُنْقض الأحـــلاسُ في كـلِّ منزل ... وينْفي الكرى عنه بها صاحبُ الرَّحْل(١)
كـفـاني يســيـرٌ إذ أراك بحـاجـتي ... كليلَ اللسـانِ مـا تُمِرُّ ومـا تُحْلي(٢)
تُلاوِذُ بالأبـــواب منّي مـخـافـةَ الـــ ... ـمـلامـة والإخـلافُ شـرٌّ من البـخل(٣)

وذكر الأبياتَ الأولَ بعد هذه. (١٤٣/٩)

(١١٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيْل عن حماد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكِنْدي خطيبُ القادسيّة قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثنا شيْبان بن مالك قال حدّثنا عبد الله بن إسماعيل الجحْدريّ عن حمّاد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّياشي، قال: دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم، فكان أوّل مَنْ لقيتُ كثيِّر عزّة. فقلت: يا أبا صخْر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عنديّ ما عند الأحوص ونُصيْب. قلت: وما هو؟ قال: هما أحقّ بإخبارك فقلت له: إنّا لم نَحثُّ المطيَّ نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ. وقلّ مَنْ يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتُك ليكون ما تُخْبرني به حديثاً آخُذه عنك. فقال: إنه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدِمتُ أنا ونُصيْب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر. فكان أوّلُ من لقينا مسْلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب، وكلُّ واحد منّا ينظر في عِطْفيْه لا يشُكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثْوانا، ثم قال: أما علمتم أن إمامكم لا يُعْطي الشعراء شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجِّه لنا في هذا الأمر وجْهاً فقال: إن كان نو دينٍ من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقْضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه أربعة أشهرٍ لا نصلُ إليه، وجعل مسْلمةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذن. فقلت: لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفّظتُ من كلام عمرَ شيئاً!. فأتيت المسجد فأنا أوّل مَنْ حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لكل سفرٍ زادٌ لا

---

(١) الأحلاس: جمع حِلْس وهو كلّ ما ولي ظهر البعير والدابة تحت الرَّحْل والقتب والسرج.

(٢) ما تُمِرّ وما تُحلي: ما تضرّ وما تنفع. (٣) تُلاوذ: تراوغ.

محالة، فتزوّدوا من الدنيا إلى الآخرة التُّقى، وكونوا كمن عاينَ ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا ولا يطولنّ عليكم الأمدُ فتقسُو قلوبكم، وتنقادوا لعدوِّكم. واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثِق بالنُّجاةِ من عذاب الله في الآخرة. فأمّا منْ لا يُداوي جُرْحاً إلا أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا! أعوذ بالله أن أمُرَكم بما أنْهى نفسي عنه فتخْسَر صفْقتي، وتبْدُو عيْلتي، وتظهر مسْكنتي يومَ لا ينْفع فيه إلا الحقُّ والصدق. فارتَجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بَلَّ ثوبه، حتى ظننّا أنه قاضٍ نحْبه فبلغتُ إلى صاحبيَّ فقلت: جدِّدا لعمر من الشَّعْر غير ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنْيويّ. ثم إن مسْلمة استأذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أذن للعامّة. فدخلنا فسلّمْنا عليه بالخلافة فردَّ علينا فقلت له: يا أمير المؤمنين. طال النُّواء وقلتِ الفائدة وتحدّثتْ بجفائك إيّانا وفود العرب. فقال: يا كثيِّر، أما سمعت إلى قول الله عزّوجلّ في كتابه (إنّما الصدُقاتُ للفُقَراءِ والمساكينِ والعاملين عليْها والمؤلّفة قُلُوبُهم وفي الرِّقابِ والغارمينَ وفي سبيل اللهِ وابنِ السَّبيلِ فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيمٌ) أفمنْ هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ابن سبيلٍ ومُنْقطعٌ به. قال: أولستَ ضيفَ أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسبُ مَنْ كان ضيفَ أبي سعيد ابنَ سبيلٍ ولا مُنْقطعاً به. ثم استأذنتُه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلاّ حقاً؛ فإنّ الله سائلك. فقلت:

وليتَ فلم تشْتُم علياً ولم تَخَفْ ... بريّاً ولم تتبع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلت بالذي ... فعلتَ، فأضْحى راضياً كلُّ مسلم
ألا إنّما يكْفي الفتى بعد زيْغه ... من الأودِ الباقي ثقافُ المُقوِّم
لقد لبستْ لُبْسَ الهلُوكِ ثيابَها ... وأبْدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعْصم(١)
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مريضةٍ ... وتبْسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّم
فأعرضتَ عنها مشمئزّاً كأنما ... سقتْك مدُوفاً من سمامٍ وعلْقَم(٢)
وقد كنتَ من أجبالها في مُمنَّعٍ ... ومن بحرها في مُزْبد الموج مُفْعَم
وما زلت سبّاقاً إلى كلّ غايةٍ ... صعدت بها أعلى البناء المقدَّم
فلما أتاك الملكُ عفْواً ولم يكن ... لطالب دنيا بعده من تكلُّم
تركت الذي يفْنى وإن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمَّم
فأضْررتَ بالفاني وشمّرتَ للذي ... أمامك في يومٍ من الهولِ مُظلم
ومالك أن كُنتَ الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رغيبٍ ولا دمِ

---

(١) الهَلوك: من النساء الفاجرة. (٢) مدوفاً: مخلوطاً.

فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها ... منادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول: أميرَ المؤمنين ظلمتني ... بأخذ لدينارٍ ولا أخذ درهم
ولا بسط كفٌّ لامرئٍ ظالمٍ له ... ولا السفك منه ظالماً ملءَ محجم
فلو يستطيع المسلمون تقسّموا ... لك الشطرَ من أعمارهم غير نَدْم(١)
فسعدتَ به ما حجَّ لله راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمقام وزمزم(٢)
فأربحْ بها من صفقةٍ لمُبايع ... وأعظِمْ بها أعظِمْ بها ثم أعظِم

فقال لي: يا كثيِّر، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ. ثم تقدَّم إليه الأحوص فاستأنفه فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعرُ إلاَّ خطبةٌ من مؤلِّفٍ ... بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ
فلا تقبلَنْ إلاَّ الذي وافق الرِّضا ... ولا ترْجِعنَّا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدِلْ عن الحقِّ يمْنةً ... ولا يسْرةً فعلَ الظَّلوم المُجادل
ولكن أخذتَ القصْدَ جهدك كلَّه ... وتقْفُو مثالَ الصالحين الأوائل(٣)
فقلنا ولم نكذِبْ بما قد بدا لنا ... ومَنْ ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذلِ
ولولا الذي قد عوَّدْتنا خلائفٌ ... غطاريفُ كانت كالليوث البواسل(٤)
لما وخدَتْ شهراً برحلي جسْرةٌ ... تقُلُّ مُتونَ البيد بين الرَّواحل(٥)
ولكن رجوْنا منك مثل الذي به ... صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يعيبه ... سوى أنه يُبْنى بناء المنازلِ
فإن لنا قُربى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ ... ومِيراث آباءٍ مَشَوا بالمناصلِ
فَذادوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم ... وأرْسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تمايُلِ
فقبلك ما أعطى الهُنيدةَ جِلَّةً ... على الشعر كعْباً من سديسٍ وبازلِ(٦)
رسولُ الإله المصطفى بنُبوَّةٍ ... عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائل
فكلُّ الذي عدَّدْتُ يكْفيكَ بعضُه ... ونيْلُك خيرٌ من بحور السوائل

---

(١) نَدْم: نادمين. (٢) مُغِذّ: مسرع في سيره.
(٣) تقفو: تتبع. (٤) الغطاريف: السادة. (٥) الجسرة: الناقة.
(٦) الهُنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة، وكعب: هو كعب بن زهير، والسديس: من الإبل ما دخل في السنة الثامنة، والبازل: ما دخل في التاسعة.

فقال يا عمر: يا أحوصُ، إنَّ الله سائلُك عن كلِّ ما قلت ثم تقدَّم إليه نُصيْب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضِبَ غضباً شديداً، وأمره باللِّحاق بدابق(١). وأمر لي وللأحوص لكلِّ واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرِّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخْرُجَ عطائي فأواسيكم منه. فانتظرناه حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظم بركةً من الثلاث المائةِ التي أعطاني، ابتعتُ بها وصيفةً فعلَّمتُها الغناء فبعتُها بألفِ دينار. (٢٥٦/٩)

(١٢٠)

أخبرني عمّي عبد العزيز بن أحمد قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال دُكَيْنٌ الراجز: امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائم، فكرهتُ أن أرْمي بهنّ الفجاج ولم تطِبْ نفسي ببيعهنّ. فقدمتُ علينا رُفْقةٌ من مصر، فسألتُهم الصُّحْبةَ، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة. فأتيتُه فودّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دُكَيْنُ، إن لي نفساً تَوّاقة، فإن صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان. قلت: أشهِدْ لي بذلك. قال: أشهدُ اللهَ به. قلت: ومِنْ خلْقِه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلتُ على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟! قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت له: لقد استسمنت الشاهد(٢). وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ إلى بلدي بهنّ، فرمى الله في أذنا بهنّ بالبركة حتى اعتقدتُ(٣) منهن الإبلَ والعبيد. فإنّي لبصحراء فلْج(٤) إذا ناعٍ ينعى سليمانَ. قلت: فمن القائمُ بعده؟ قال: عُمر بن عبد العزيز. فتوجّهتُ نحوه، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حَزْرة، من أين؟ فقال: من عند من يُعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقتُ فإذا هو في عرْصة دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلُص إليه فناديتُ:

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارِم ... وعُمَرَ النَّسائمِ العظائم(٥)
إني امرؤٌ من قطنِ بن دارم ... طلبتُ دَيني من أخي مكارم
إذ تَنْتحي والليلُ غيرُ نائم ... عند أبي يحيى وعند سالم

---

(١) دابق: قرية قرب حلب بينها وبين حلب أربعة فراسخ.

(٢) استسمنت الشاهد: كناية عن ثقته وعلوّ قدره. (٣) اعتقدت: اشتريت واقتنيت.

(٤) فلج: وادٍ بين البصرة وحمى ضرية. (٥) النسائم: الشمائل أو العطايا.

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادة عليك. فقال: أعرفُها: أدْنُ يا دُكَيْن أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قطُّ إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تتُوق إلى الآخرة، والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم فخذ نصفها. قال: فوالله ما رأيت ألفا كان أعظم بركةً منه. (٢٦٠/٩)

(١٢١)

أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو الغرّاف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عديّ بن الرِّقاع العامليّ. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟. قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عديّ بن الرِّقاع فقال جرير: فشرُّ الثياب الرِّقاعُ قال: ممّن هو؟ قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول (فيها) الله عزّوجلّ (عاملةٌ ناصبةٌ تصْلى ناراً حاميةً). ثم قال:

يُقصِّر باعُ العامليِّ عن النَّدى ولكنَّ أيْرَ العامليِّ طويلُ

فقال له عديّ بن الرِّقاع:

أأُمُّكَ كانت أخبرتْك بُطولَه أم أنت امرؤٌ لم تدْرِ كيف تقول

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العامليّ إلى رِجْل الوليد فقبّلها وقال: أجْرني منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمتَه لأسْرِجنّك ولألجمنّك حتى يركبك فيعيِّرك الشعراءُ بذلك. فكنى جريرٌ عن اسمه فقال:

إني إذا الشاعر المغرورُ حرَّبني جارٌ لقبرٍ على مرّان مرْمُوس(١)
قد كان أشْوسَ آباء فورِّثنا شغْباً على الناس في أبنائه الشُّوس(٢)
أقْصرْ فإنَّ نزاراً لن يفاضلها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس
وابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ في قرنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزْلِ القناعيس(٣) (٣٠٧/٩)

(١٢٢)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة: دخل

---

(١) حرَّبني: أغضبني، وقبر على مَرّان: أراد قبر تميم بن مرّ بمرّان على أربع مراحل من مكة إلى البصرة.

(٢) والشوْس: التكبر والنظر بمؤخر العين.

(٣) ابن اللبون: الصغير ما يزال يرضع، ولُزّ: رُبِط، وقَرَن: حبل، والبزل القناعيس: الجمال القوية الصلبة.

جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامليّ. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا. فمن هو؟ قال: هذا ابن الرّقاع. قال: فشرُّ الثياب الرِّقاع، فممَّن هو؟ قال: من عاملةَ. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: (عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً)!. فقال الوليد: والله ليركبنَّك! لشاعرنا ومادحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة! يا غلام عليّ بإكافٍ(١) ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعْفيه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوته لأفعلنّ ولأفعلنّ فلم يصرِّح بهجائه وعرَّض، فقال قصيدته التي أوّلها:

حيَّ الهدملةَ من ذات المواعيس

وقال فيها يعرِّض به:

قد جرَّبَتْ عرْكتي في كلِّ مُعْتركٍ غُلْبُ الأسودِ فما بالُ الضَّفابيسِ(٢) (٣٠٨/٩)

(١٢٣)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلاّم قال: عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبيدة بن عبد الرحمن عن الأرْدُنّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكّلين به: من أتاه متوجِّعاً وأثنى عليه فأثوني به. فأتى عديُّ بن الرِّقاع وكان عُبيدة إليه محسناً، فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سبَّاقاً جوادا
وكنتَ أخي وما ولدتْك أمِّي وصُولاً باذلاً لي مستزادا
وقد هيضتْ لنكْبتك القُدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثبَ المتوكِّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى. فتغيَّظ عليه الوليد وقال له: أتمدحُ رجلاً قد فعلتَ به ما فعلت!. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليَّ مُحْسناً، ولي مُؤْثِراً، وبي براًّ؛ ففي أيِّ وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم!. فقال: صدقتَ وكرُمتَ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك! فخُذْه وانْصرفْ. فانصرف به إلى منزله(٣). (٣١٢/٩)

---

(١) الإكاف: برذعة الحمار.

(٢) الغُلْب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة، والضفابيس: جمع ضفبوس وهو الضعيف.

(٣) سنجد نظائر لهذا الوفاء الذي يعبِّر عنه الشاعر بشعره، ونوردُ على جملة من المواقف رأيناها سابقاً حين يؤثر الشاعر السلامة وينسحب من الميدان مسرعاً.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيبٍ وأبو غسانَ دماذٌ عن أبي عُبيدةَ قال قال اليزْبوعيّ: قال إبراهيم بن محمد بن سعْد بن أبي وقاص الزُّهْريّ: قدم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبانِ بن عثمان. قال: فإني والفرزدقَ وكثيراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شخْتٌ آدَمُ في ثوبين مُمصَّرين (أي مصبوغين بصُفْرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم، فقال: أيُّكم الفرزدق؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومنْ أنت لا أمّ لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزْم. بلغني أنك تزعُم أنك أشعر العرب وتزعُمُ مضرُ ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسّان شعراً فأردتُ أن أعرِضه عليك وأؤجِّلك سنةً؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتحل. ثم أنشده قول حسّان:

لنا الجفناتُ الغُرُّ يلْمَعْنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يقْطُرْنَ من نجْدةٍ دما
متى ماتُزُرْنا من معدٌ عصابةً ... وغسّانَ نمْنَع حَوْضَنا أن يُهدَّما

- قيل إن قوله: «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع معدّ -

أبى فعلُنا المعروفَ أن نَنْطق الخنا ... وقائلُنا بالعُرْف إلاّ تكلُّما
ولدْنا بني العنْقاءِ وابنَي مُحرِّقٍ ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابنما

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجّلتُك فيها حولاً، ثم انصرف. وانصرف الفرزدقُ مُغْضباً يسحبُ رداءه ما يدْري أيُّ طريقٍ يسلُك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثيِّر عليّ فقال: قاتل الله الأنصاريَّ! ما أفصحَ لهجته، وأوضح حُجّته، وأجْودَ شعره!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاريَّ بقيّة يومنا. حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي. فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلّةِ أفْواف(١) يمانيةٍ مُوشّاةٍ، له غديرتان، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاريّ؟ قال: فنلْنا منه وشتمناه. فقال: قاتله الله! ما رُميتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فاقبلتُ أصْعّد وأصوِّب في كلّ فنٍّ من الشعر، فكأنّي مُفْحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعرا حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلْتُ ناقتي ثم أخذت

(١) الأفواف: جمع قُوف وهو القطن.

بزمامها فقدتُّها حتى أتيتُ ذباباً(١) ثم ناديتُ بأعلى صوتي: أخاكم(٢) أبا لُبْنى ـ وقال سعدان: أبا ليلى ـ فجاش صدري كما يجيش المِرْجل، ثم عقلتُ ناقتي وتوسّدتُ ذراعها؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عشر بيتاً. فبينا هو يُنشدنا، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى انتهى فسلَّم ثم قال: أما إني لم آتِك لأعُجِلَك عن الأجل الذي وقّتَّه لك، ولكنّي أحببت ألاّ أراكَ إلا سألتُك عما صنعتَ. فقال: اجلس، ثم أنشده: عزفتَ بأعْشاش(٣) وما كِدْت تعْزِفُ

فلمّا فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً. فلمّا توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم في مشيخة من الأنصار فسلّموا علينا وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حللنا ومكاننا من رسول الله ووصيّته بنا، وقد بلغنا أنّ سفيهاً من سُفهائنا تعرّض لك، فنسألك بالله لمّا حفظت فينا وصيّةَ النبيِّ(ص) ووهبتنا له ولم تفضَحْنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلتُ أكلّمه أنا وكثيِّر؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ. (٣٣٧/٩)

(١٢٥)

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيْباني قال حدّثني بعض البصْريين منهم أبو برْزة المرْثديّ ـ قال وكان عالماً راويةً ـ قال: خرج العجاج متحفّلاً(٤) عليه جُبّةُ خزٍّ وعمامةُ خزٍّ على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمِرْبد والناسُ مجتمعون، فأنشدهم قوله: قد جبر الدِّينَ الإلهُ فجبرْ

فذكر فيها ربيعةَ وهجاهم، فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النَّجْم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجّاج يهجونا بالمِرْبدَ قد اجتمع عليه الناس!! قال: صِفْ لي حاله وزيَّه الذي هو فيه، فوصفَ له. فقال: ابغني جملاً طحّاناً قد أكْثر عليه من الهناء(٥)، فجاء بالجمل إليه. فأخذ سروايل له فجعل احدى رجليه فيها وأتزّرَ بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى مَنْ يقوده. فانطلق حتى أتى المِرْبدَ. فلمّا دنا من العجّاج قال: اخلعْ خطامَه فخلعه وأنشد:

تذكّر القلبُ وجهْلاً ما ذكرْ

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشمّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسد ثيابه ورحْله بالقطران، حتى إذا بلغ إلى قوله: شيطانه أنثى وشيطاني ذكرْ

---

(١) ذباب: جبل بالمدينة.

(٢) أخاكم: يريد صاحبه من الجنّ الذي ينفث الشعر على لسانه.

(٣) أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

(٤) متحفّل: متزيّن. (٥) الهناء: القطران.

تعلّق الناس هذا البيت وهرب العجاج. (١٥٢/١٠)

(١٢٦)

وقال أبو عمرو الشَّيْباني: أتت مولاة لبني قيْسَ بن ثعْلبة أبا النَّجم فذكرتْ له أنْ بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين، وهي من أجمل النساء وأمدُّهنّ قامةً ولم يخطبها أحدٌ، فلو ذكرتها في الشعر! فقال: أفعل، فما اسمها؟ قالت: نفيسة. فقال:

نفيسَ يا قتّالة الاقْوام أقصدتِ قلبي منكِ بالسِّهام
وما يُصيب القلب إلاّ رامٍ لو يعلمَ العلمَ أبو هشام
ساقَ إليها حاصلَ الشآم وجِزْيةَ الأهْواز كلَّ عام
وما سقى النِّيلُ من الطعام إذ ضاق منها موْضعُ الإدْغام
أجْثَمُ جاثٍ مُسْتديرٌ حام يعضُّ في كيْنٍ له تؤام
عضَّ النجاريّ على اللِّجام

فقالت: حسْبُك حسْبُك! ووفد إلى الشام، فلما رجع سمع الزَّمْر والجلبة. فقال: ما هذا؟ فقالوا: نفيسة تزوّجت. (١٥٩/١٠)

(١٢٧)

ونسختُ من كتاب الخرّاز عن المدائنيّ عن عثمان بن حفْص أنّ أبا النَّجْم مدح الحجّاج برجزٍ يقول فيه:

ويل أمّ ثُور عِزّةٍ ومجْدِ ثُورِ ثقيفٍ بسواء نجْدِ
أهل الحصون والخيول الجُرْدِ

فأعجبَ الحجّاجَ رجزُه وقال: ما حاجتك؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين، فوجم لها وسكت، ثم دعا كاتبه فقال: انظر ذا الجبنين، ما هو! فإن ذا الأعرابيّ سألنيه لعلّه نهر من أنهار العراق، فسألوا عنه فقيل: واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حشفةٌ(١) وأسفلُه سبخةٌ(٢) يخاصمه فيه بنو عمّ له، فقال: اكتبوا له به. قال: فأهلُه به إلى اليوم. (١٦٠/١٠)

---

(٢) السبخة: أرض ذات نَزّ وملح.

(١) الحشفة: صخرة رخوة في سهل من الأرض.

(١٢٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهْرويْه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزاميّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلامٌ. حسنُه حسنٌ. وقبيحُه قبيحٌ. قلتُ: فما تقول في النَّسيب؟ قال: لعلك تُريد مثلَ قول الشاعر:

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أذرُعٍ ... وإن كُنّا حسْرى أن تكوني أماميا

قال: وأراد بإنشاده إيّاهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إياه، فلو كان به بأسٌ ما أنشدتُه(١). (٢٠٢/١١)

(١٢٩)

... قالت ليلى الأخيلية للحجاج ...

أحجّاجُ إنّ الله أعطاك غايةً ... يُقصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مداها
أحجّاجُ لا يُفْلِلْ سلاحُكَ إنّما الـ ... ـمنايا بكفِّ الله حيث تراها
إذا هبطَ الحجّاج أرضاً مريضةً ... تتبّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدّاء العُضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها
سقاها دماء المارقينَ وعلّها ... إذا جمَحتْ يوماً وخيفَ أذاها
إذا سمع الحجّاجُ رِزَّ كتيبةٍ ... أعدَّ لها قبل النُّزول قِراها(٢)
أعدَّ لها مصقولةً فارسيّةً ... بأيدي رجالٍ يحلُبون صراها(٣)
أحجّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا الله يُعْطي للعُصاةِ مُناها
ولا كلُّ حلّافٍ تقلّد بيعةً ... فأعْظَمَ عهدَ الله ثم شراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقذٍ: لله بلادُها ما أشعرها!. فقال: مالي بشعرها علمٌ. فقال: عليّ بُعبيدةَ بن موْهبٍ وكان حاجبه، فقال: أنشديه فأنشدته، فقال: عُبيدةُ: هذه الشاعرة الكريمةُ، قد وجب حقُّها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم؛ واكْسُها خمسةَ

(١) أشرنا فيما مضى إلى حفظ ابن سيرين للشعر، وإنشاده له، ولم يكن يرى في هذا حرجاً مع شدّة تقواه، وغزارة علمه.

(٢) البِزّ: الصوت تسمعه من بعيد. (٣) الصُّرى هنا بقية اللبن.

أثواب أحدُها كساءُ خز، وأدْخِلْها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها: حلِّيها. فقالت: أصلح الله الأمير. أضرَّ بنا العريفُ في الصدقة، وقد خربت بلادُنا، وانكسرتْ قلوبنا، فأخذ خيارَ المال. قال: اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبْتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعَلْ أحدها نجيباً(١)، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزْلِ العريف الذي شكتْه. فقال ابن موْهب: أصلحَ الله الأمير، أأصلُها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتْها (هند) بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين. (٢٤٨/١١)

(١٣٠)

أخبرني محمد بن الحسن الكنديّ قال أخبرني الحسن بن عُلَيْل العنزيُّ عن محمد بن مُعاوية - وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية! - قال: الأقيْشرُ من رهْط خُرَيْم بن فاتك الأسديُّ. وخُريم إنما نُسِب إلى جدٍّ أبيه فاتك، وهو خُرَيْم بن الأخرم (ابن شدّاد) ابن عمرو بن فاتكٍ الأسديّ، وفاتكٌ ابنُ قُلَيْب ابن عمْرو بن أسد. والأقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد. قال: وهو القائل لمّا بنى سِماكُ بن مخْرمة مسجده الذي بالكوفة وهو أكبر مسجدٍ لبني أسد، وهو في خِطّة بني نصْر بن قُعَيْن:

غضِبْتْ نُودانُ من مسْجِدنا ... ويه يعْرِفُهم كلُّ أحَدْ
لو هدمْنا غُدْوةً بُنْيانَه ... لانْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأبدْ
اسمُهم فيه وهم جيرانُه ... واسمه الدَّهْرَ لعمرو بن أسدْ
كلّما صلّوْا قسمْنا أجْره ... فلنا النِّصْفُ على كلِّ جسدْ

فحلف بنو نُودانَ ليضْرِبُنّه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال قلت:

وبنو نُودان حيٌّ سادةٌ ... حلَّ بيتُ المجْدِ فيهم والعدَدْ

فتركوه. (٢٥٢/١١)

(١٣١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبيد الصُّحّاف الكُوفيّ عن قعنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ: أنّ الأقيشر مرَّ يُريدُ

---

(١) النجيب: الكريم.

الحيرةَ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عبْسٍ، فناداه أحدُهم: يا أقيشر، وكان يغضبُ منها، فزجره الأشياخُ، ومضى الأقيْشرِ ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له: قِفْ معي، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي: ولم ذلك، ثم انْصرفْ، وخُذْ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصيرِ معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزؤك شيئاً، قال: فافعلْ. فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرف الشابُّ، فأقبل عليه وقال:

أتدعوني الأقيْشرَ ذلك اسمي وأدعوك ابن مُطْفئةِ السِّراجِ

فقال له الرجل: ولِمَ ذاك؟ فقال:

تُناجي خِدْنها باللّيل سِرّاً وربُّ الناس يعلمُ ما تُناجي

قال قعْنَبٌ في خبره: فلُقِّب ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفِئةِ السراج. (٢٥٣/١١)

(١٣٢)

نسختُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيديّ بخطّه: قال الهيثم بن عديّ حدّثني عطّاف بن عاصم بن الحدثان قال: مرّ أعرابيّ من بني تميمٍ كان يهزأ بالأقيشر، فقال له:

أبا مُعْرِضٍ كن أنت إن مُتُّ دافني إلى جنْبِ قبرٍ فيه شِلْوُ المُضلَّلِ
فعلّي أنْ أنجو من النارِ إنّها تُضرَّمُ للعبد اللئيمِ المُبخّلِ
بذلك أوصاها الإلهُ ولم تزلْ تُحشُّ بأوصالٍ وتُرْبٍ وجنْدلِ(١)
وأنت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلتي بحزْمِك فاحْزُمْ يا أقيشرُ واعْجل

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميمٍ ثم أحدِ بني الهُجيْم بن عمرو بن تميمٍ. فقال الأقيشر:

تميمَ بنَ مُرٍّ كفكفُوا عن تعمُّدي بذُلٍّ فإنّي لستُ بالمتذلِّلِ
أيهزأ بي العبد الهُجيْميُّ ضِنَّةً ومثلي رمى ذا التُّدْرأ المتضلِّلِ(٢)
بداهيةٍ دهْياءَ لا يستطيعُها شماريخُ من أركان سلْمى وينبلِ(٣)
وبالله لولا أنّ حِلْمي زاجري تركتُ تميماً ضُحْكةً كلَّ محْفِلِ
فكُفُّوا رماكم ذو الجلالِ بخزيةٍ تُصبْحُكم في كلِّ جمْعٍ ومنزلِ

---

(١) تُحشّ: توقد، والأوصال: المفاصل واحدها وِصْل وهو كلّ عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره، والجندل: الحجارة.

(٢) ذو تَدْرأ: ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة.

(٣) شماريخ: رؤوس الجبال واحدها شمراخ، وسلمى وينبل: جبلان.

نـــانتم لنـــامُ الناسِ لا تُنكرونه وألأمُكم طُرّاً حُـــرَيْثُ بن جـــنْدَلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجيْمِ واعتذروا إليه واستكفّوه فكفّ. (٢٥٨/١١)

(١٣٣)

وقال ابن حبيبٍ قال أبو عمرو: كان الوليدُ بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تغلِب، فلمّا ولي عُمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يُعْطه شيئاً، وقال: ما أرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً، ولو كان لهم فيه حقٌّ لما كان لك: لأنّك امرؤٌ نصرانيٌّ. فانصرف الأعشى وهو يقول:

لعمْري لقد عاش الوليدُ حياته إمام هُدىً لا مُسْتزادٌ ولا نَزْرُ

كـأنّ بني مرْوانَ بعـدَ وفاتـه جلاميدُ لا تندى وإنْ بلّها القَطْرُ (٢٨٣/١١)

(١٣٤)

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمدُ بن العبّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال حدّثني عمّي عبدُ الله قال حدّثني محمدُ بن حبيب، وأخبرني به عليّ بن سُليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال: كان أبو جلدةَ اليشْكريُّ من أخصّ النّاس بالحجاج، حتى إنه بعثه وبعث معه عبد الله بن شدّاد بن الهادي الليثيِّ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجّاج منه ابنته أمّ كُلْثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشدّ الناس تحريضاً على الحجّاج. فلمّا أتى الحجّاجُ برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم من سرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرُج حتى أتيتُ به مقطوعاً. فلمّا كان يومُ الزاوية(١) خرج أبو جلدةَ بين الصفّيْنِ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فـقُلْ للحـواريّات يبكين غـيـرنا ولا تبْكـنا إلاّ الكـلابُ النوابـحُ(٢)

بكيْنَ إلينـا خشْـيةً أن تُبيحهـا رِماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارح

بكين لكيمـا يمنعـوهنّ منهـمُ وتأبى قلوبٌ أضمـرتْها الجـوانح

وناديننـا: أيـن الفـرارُ وكنتُـم تغارونَ أن تُبدو البُرى والوشائحُ(٣)

---

(١) الزاوية: موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجّاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعثَ قُتل فيها خلق كثير من الفريقين وذلك سنة ثلاث وثمانين للهجرة.

(٢) الحواريات: نساء الأمصار سُمِّين بذلك لبياضهنّ وتباعدهنّ عن قشف الأعراب، بنظافتهنّ الواحدة: حورية.

(٣) البُرى: واحدتها برة وهي الخلاخيل. والوشائح: جمع وُشاح وهو أديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأة =

أأسلمتمونا للعدوِّ على القنا إذا انتُزِعتْ منها القُرونُ النواطحُ
فما غار منكم غائرٌ لحليلةٍ ولا عزبٌ عزتْ عليه المناكحُ

قال: فلمَّا أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدُّوا شدَّةً تضعضع لهم عسكرُ الحجّاج، وثبت لهم الحجّاج وصاح بأهل الشأم فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرةُ له، فجعل يقتّل الناسَ بقيةَ يومه، حتى صاحَ به رجلٌ: والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو، ولقد خالفتَ الله فينا وما أطعته. فقال له: وكيف ويلك؟ قال: لأنَّ الله تعالى يقول: (فإذا لقيتُمُ الذين كفرُوا فضربَ الرِّقابِ حتّى إذا أثخنتُموهُمْ فشدُّوا الوثاق فإمَّا منًّا بعدُ وإمَّا فداءً حتى تضعَ الحربُ أوْزارها) وقد قتلت فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ، فأسرِ ولا تقتُلْ، ثم قال: أو امْنُنْ. فقال: أولى(١) لك! ألا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ الناسَ جميعاً. قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ: فبلغني أنَّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض عليَّ أحدٌ كما حرَّض أبو جلدة: فإنه نزل على سرْحةٍ(٢) في وسط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناسُ ينظرونَ إليه. فقالوا له: مالك ويلك أجُنِنْتَ! ما هذا الفعل! قال: كلُّكم قد فعلتم مثل هذا إلاَّ أنكم سترتموه وأظهرتُه. فشتموه وحملوا عليَّ، فما أنساهم وهو يقدُمهم ويرتجز:

نحن جلبْنا الخيلَ من زَرنجا مالك يا حجّاجُ منَّا منْجى(٣)
لتُبْعَجنَّ بالسيوفِ بعْجا أوْ لتفرُنَّ فذاك أحْجى(٤)

فوالله لقد كاد أهلُ الشأم يومئذ يتضعضعون لولا أنَّ الله تعالى أيّد بنصره. (٣١٠/١١)

(١٣٥)

قال: وولي مِسْمَعُ بن مالك سجستانَ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

بانتْ سُعادُ وأمْسى حبْلُها انْقطعا وليْتَ وصْلاً لها من حبْلِها رجعا
شطَّتْ بها غُرْبةٌ زوْراء نازحةٌ فطارت النَّفْسُ من وجْدٍ بها قِطعا(٥)
ما قرَّتِ العينُ إذ زالتْ فينفعها طعمُ الرُّقادِ إذا ما هاجعٌ هجعا(٦)
بين علتقها وكشحيها

(١) أولى لك: دعاء بمعنى ويل لك. (٢) السَّرحة: الشجرة العظيمة. (٣) زرنج: قصبة سجستان.
(٤) البعج: الشقّ. (٥) زوراء: بعيدة، وشطّت: بعدت. (٦) زالت: فارقت.

منعتُ نفسي من روْحٍ تعيش بـه ... وقد أكونُ صحيح الصَّدْرِ فانصدعا
غدتْ تلُوم على ما فاتَ عاذلتي ... وقبل لوْمِك ما أغنيتِ مَنْ منعا
مهْلاً ذريني فإنِّي غالني خُلُقي ... وقد أرى في بلاد اللـه متَّسعا(١)
فخْري تليدٌ وما أنفقتُ أخْلفه ... سببُ الإله وخيرُ المال ما نفَعا
ما عضَّني الدهرُ إلاَّ زادني كرماً ... ولا استكنتُ له إنْ خانَ أو خدعا
ولا تلينُ على العِلاَّتِ معجمتي ... في النائباتِ إذا ما مسَّني طَبَعا(٢)
ولا تُلَيِّن من عُودي غمائزه ... إذا المُغمَّزُ منها لان أو خضعا(٣)
ولا أخاتلُ ربَّ البيت غفْلته ... ولا أقول لشيءٍ فاتَ ما صنعا
إنِّي لأمدح أقواماً ذوي حسبٍ ... لم يجعلِ اللهُ في أقوالهم قذعا(٤)
الطيِّبين على العِلاَّت معْجمةً ... لو يُعْصَرُ المسْكُ من أطرافهم نبعا
بني شهابٍ بها أعْني وإنَّهُم ... لأكرمُ النَّاسِ أخلاقاً ومُصْطنعا

قال: فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكثه. (٣١٣/١١)

(١٣٦)

قال ابن حبيب: ولحقَ أبا جِلْدةَ ضَبِّيم من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان، فهتفَ بأعْلى صوته: يا مِسْمَعَ بن مالك، يا أمير بن أحْمر، ثم أنشأ يقول:

ولمَّا أنْ رأيتُ سراةَ قومي ... سُكوتاً لا يشوبُ لهم زعيمُ
هتفتُ بمسْمعٍ وصدى أميرٍ ... وقبْرٍ مُعمَّرٍ تلك القرومُ(٥)

قال: فأبكى جميع من حضر، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمْره حتى كفَّ عنه.
قال: وأمير بن أحمد رجلٌ من بني يشْكُرَ، وكان سيِّداً جواداً، وفيه يقول زيادٌ الأعجمُ:

لولا أميرٌ هلكتْ يشْكُرٌ ... ويشْكُرٌ هلْكى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابيِّ: كان أميرُ بن أحمرَ والياً على خُراسان في أيّام معاوية. (٣١٩/١١)

---

(١) غالني: حبسني.
(٢) على العلات: أي على أيِّ حال من يُسر أو عسر. والمعجمة: القوة والصلابة، والطَّبَع: الضعف والخور.
(٣) الغمائز: جمع غميزة اسم من الغمز بمعنى العصر والتليين.
(٤) القَذَع: الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره. (٥) الصَّدَى هنا جسد الإنسان بعد موته.

(١٣٧)

أخبرني هاشم بن محمّد الخزاعي قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العتكي قال حدّثنا ابن عائشة قال: وفدَ زيادٌ الأعْجمُ على عبد الله بن الحشْرج الجعْديّ وهو بسابور(١) أميرٌ عليها، فأمر بإنزاله وألطفَه وبعث إليه ما يحتاج إليه.. ثم غدا عليه زيادٌ فأنشده:

إنَّ السَّماحةَ والمروءة والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحشْرج
ملكٌ أغرُّ مُتوَّجٌ نو نائلٍ ... للمُعْتفينَ يمينُه لم تشْنجُ(٢)
يا خيرَ مَنْ صَعِدَ المنابرِ بالتُّقى ... بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّج
لمّا أتيتُك راجياً لنوالِكُمْ ... ألفيتُ بابَ نوالِكم لم يُرْتَجِ(٣)

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم. (١٢/٣٣)

(١٣٨)

نسختُ من كتاب جدّي لأميّ يحيى بن محمد بن ثوابة ـ رحمه الله تعالى ـ بخطه قال حدّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: وفدَ الطِّرمّاح بن حكيم والكُمَيْتُ بن زيد على مخْلد بن يزيد المُهلَّبيّ، فجلس لهما ودعاهما. فتقدَّم الطِّرمّاح ليُنْشدَ: فقال له: أنْشدنا قائماً، فقال: كلاَّ والله! ما قدرُ الشعر أن أقومَ له فيحُطَّ منّي بقيامي وأحُطَّ منه بضراعتي، وهو عمودُ الفخر وبيت الذِّكْر لمآثر العرب. قيل له: فتنَحَّ. ودُعي بالكميت فأنشد قائماً، فأمر له بخمسين ألف درهم فلمّا خرج الكُمَيْتُ شاطرها الطِّرمّاحَ، وقال له: أنت أبا ضبينة أبعدُ همّةً وأنا ألطفُ حيلةً. وكان الطرماح يُكْنى أبا نفْر وأبا ضبينةَ. (١١/٣٧)

(١٣٩)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن مُجمِّع قال حدّثنا هشام بن محمد قال أخبرنا ابن أبي العمرّطة الكنْديّ قال: مدح الطِّرمّاحُ خالدُ بن عبد الله القسْريّ، فأقبل على العُرْيان بن الهيْثم فقال: إنّي قد مدَحْتُ الأمير فأحبُّ أن تُدْخلني عليه. قال: فدخل إليه فقال له: إنَّ الطِّرمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً. فقال: مالي في الشعر من حاجة. فقال العُرْيانُ للطرمّاح: تراه له فخرج معه، فلمّا جاوز دار زياد وصعدَ المُسنَّاة إذا شيءٌ قد ارتفع له، فقال: فقال: يا عُرْيان انْظُر، ما هذا؟ فنظر ثم رجع فقال: أصْلح الله الأمير! هذا شيءٌ بعث به إليك

---

(١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.

(٢) تشنج: تقبض ولم تشنج كناية عن الكرم. (٣) يُرتج: يُغلق.

عبدُ الله بن أبي موسى من سجستان؛ فإذا حُمُرٌ وبِغالٌ ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ فقال: يا عُرْيان، أين طرمّاحُك هذا؟ قال هاهنا. قال: أعْطه كلَّ ما قُدِم به. فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشده. (١٢/٤٠)

(١٤٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال: دخل الطرِمّاح على خالد بن عبد الله القسري فأنشده قوله:

وشَيَّبني مالا أزالُ مُناهضاً ... بغيرِ غنىً أسْمُو به وأبوعُ(١)
وأنَّ رجالَ المال أضْحَوا ومالُهُم ... لهم عند أبواب الملوك شفيعُ
أمُخْترمي ريْبُ المَنُون ولم أنَلْ ... من المالِ ما أعْصى به وأطيع

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال: امْضِ الآن فاعْصِ وأطِعْ. (١٢/٤٣)

(١٤١)

أخبرني بما أذكرُ من أخباره هاهنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب، وما ذكرته متفرِّقاً فأنا ذاكرٌ إسناده عمن أخذتُه، قال ابنُ حبيب: مَرَّ فضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عُمر بن الخطّاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وهو مُتبذِّلٌ(٢) بناحية المدينة، فنزل به فلم يقْره شيئاً ولم يبْعثْ إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ، وقد عرفوه مكانهم، فارتحلوا عنه. والتفت فضالةُ إلى مولى لعاصمٍ فقال له: قُلْ له: أما واللهِ لأطوِّقنَّك طوْقاً لا يبلى. وقال يهجوه:

ألا أيها الباغي القِرى لستَ واجداً ... قِراكَ إذا ما بتَّ في دار عاصمِ
إذا جئتَه تبْغي القِرى باتَ نائماً ... بطيناً وأمسى ضيْفُهُ غير نائمِ
فدَعْ عاصماً أفَّ لأفعالِ عاصمٍ ... إذا حُصِّل الأقوام أهلُ المكارم
فتىً من قُرَيْشٍ لا يجودُ بنائلٍ ... ويحْسَبُ أنَّ البُخْلَ ضرْبةُ لازمِ(٣)
ولولا يدُ الفاروق قلَّدْتُ عاصماً ... مطوَّقةً يُحدى بها في المواسمِ(٤)
فلَيْتكَ من جَرْمِ بن زبّان أو بني ... فقَيْمٍ أو النوكى أبان بن دارمِ(٥)

(١) أبوع: يمد باعه، يريد يبسط يده بالإنفاق والبذل. (٢) متبذِّل: مقيم بالبادية.
(٣) النائل: العطاء. (٤) مطوّقة: قصيدة، كأنّها تطوّق مَنْ قيلت فيه. (٥) النوكى: الحمقى.

أناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حلَّ بُيوتهم غدا جائعاً عيْمانَ ليس بغانم(١)

(قال): فلمَّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ، فهرب فضالةُ بن شريكٍ فلحقَ بالشأم، وعاذ بيزيد بن مُعاوية وعرَّفه ذنْبه وما تخوَّف من عاصم؛ فأعاده، وكتب إلى عاصمٍ يُخبره أنَّ فضالة أتاه مستجيراً به، وأنَّه يُحِبُّ أن يهبه له. ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره، ويضْمن له ألاَّ يعود لهجائه؛ فقبل ذلك عاصمٌ وشفَّع يزيد بن معاوية، فقال فضالةُ يمدح يزيد بن معاوية:

إذا ما قُريشٌ فاخرتْ بقديمها فخرْتَ بمجْدٍ يا يزيدُ تليدِ
بِمَجْدِ أميرِ المؤمنين ولم يَزَلْ أبوك أمينُ اللهِ غيرَ بليدِ
به عصم اللهُ الأنامَ من الرَّدى وأدرك تبْلاً من معاشر صيد(٢)
ومجْدِ أبي سفْيان ذي الباع والنَّدى وحرْبٍ وما حرْبُ العُلا بزهيد
فمنْ ذا الذي إن عدَّد الناس مجْدهم يجيء بمجْدٍ مثْلِ مجدِ يزيد (٧٣/١٢)

(١٤٢)

(أخبرني عمي والحسن بن عليّ قالا حدَّثني العمري قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجمّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطّاب النحوي: أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتُضر لأبي زُبيد بما يُصلحه في فصحه(٣) وأعياده، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك فقال أهله وبنوه لأبي زُبيد: قد علمتَ أنَّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا، وإنما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقِّك، فقدِّره لنفسك ماشئت أن تعيش، وقوِّمْ ما أوصى به لك حتَّى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح آباءنا بهذا، واحفظه واحفظنا فيه، ففعل أبو زبيد ذلك، وقبله منهم). (١٣٨/١٢)

(١٤٣)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا العتبيّ عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عوانة قال: أتى المتوكل الليثي عكرمة بن ربعيّ الذي يقال له الفياضُ، فامتدحه فحرمه، فقيل له: جاءك شاعر العرب فحرمته! فقال: ما عرفْته، فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم، فأبى أن

---

(١) عيمان: عطشان.

(٢) التَّبْل: الثأر. والصيد: جمع أصْيَد، يقال: ملك أصْيَد إذا كان لا يلتفت من زهوه يميناً ولا شمالاً.

(٣) الفصح: هو عيد الفصح، وهومن أعياد النصارى.

يقبلها وقال: حرمني على رءوس الناس ويبعث إليَّ سراً. (ثم هجاه بعد ذلك بقصيدة). (١٦٦/١٢)

(١٤٤)

فأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: حجّتْ أمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروانَ فقالت لكثيِّر ووضّاحٍ: انسُبابي، فأمّا وضّاح فنسب بها، وأما كثير فنسب بجاريتها غاضرة حيث يقول:

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادي بغير مشورة عرضا فؤادي

قال: وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك، فقتل وضّاحاً ولم يجد على كُثيِّر سبيلا. (١٨٠/١٢)

(١٤٥)

حدّثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال: بلغني أن أعرابياً وقف على مروان بن عبد الحكم أيامَ الموسم بالمدينة فسأله، فقال: يا أعرابيُّ، ما عندنا ما نصلُك؛ ولكن عليك بابن جعفر. فأتى الأعرابيُّ باب عبد الله بن جعفر فإذا ثقلُه(١) قد سار نحو مكة، وراحلتُهُ بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلّق، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيّ يقول:

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة صلاتُهُم المسلمين طهورُ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترحّلوا وليس لرحلي فاعلمنْ بعيرُ
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بماله وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصير

فقال: يا أعرابيّ، سار الثّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها، وإياك أن تُخْدَع عن السَّيْفِ فإني أخذتُه بألف دينار. فأنشأ الأعرابيّ يقول:

حباني عبدُ الله، نفسي فداؤهُ بأعيسَ موّارٍ سباطٍ مشافرُهْ(٢)
وأبيضَ من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليلُ داجٍ عساكرُهْ(٣)
وكل امرئٍ يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليُمْن والبشرِ طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالدا وأكرمه للجار حينَ يجاوره

---

(١) ثقله: متاعه وحشمه.

(٢) الأعيس: واحد العيس وهي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، والموّار: النشيط في سيره المفتول العضل يمور عضداه إذا تردّدا في عرض جنبيه، وسباط: ليّنة، والمشافر: جمع مشفر وهو ما يقابل الشفة في الإنسان. (٣) عساكره: ظُلْمَتُهُ.

ســـائني بمـــا أوليتني يابن جعفـر ومـــا شـــاكرٌ عُرْفاً كمن هو كـافِره (٢١٧/١٢)

(١٤٦)

وحدّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال: جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده:

رأيت أبا جعفـر في المنام كســـاني من الخـزِّ دُرَّاعهْ
شكوتُ إلى صاحبي أمرها فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكَها الماجدُ الجعفريّ ومـــن كفُّـه الدهـرَ نفَّاعـه
ومن قـال للجـود لا تعْدُني فقـال لك السـمع والطاعـه

فقال عبدُ الله لغلامه: ادفع إليه دُرَّاعتي الخزَّ ثم قال له: كيف لو ترى جبتي المنسوجة بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ! فقال له الشاعر: بأبي دعني اغْفى إغفاءةً أخرى فلعلي أرى هذه الجبة في المنام، فضحك منه وقال: يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي. (٢١٨/١٢)

(١٤٧)

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا هرونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال هارونُ وحدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدّثني عمرو بنُ الحكم السُّعيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنِ بنِ عنْبسةَ قالوا: كان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر قد عوَّد ابن هرْمةَ البرَّ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدينٍ، فرفع إليه مع جاريته رقعةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً برّاً، فقال للجارية: قولي له: أيدينا ضيِّقةٌ، وما عندنا شيءٌ إلاّ شيءٌ أخذناهُ بكُلْفةٍ، فرجعتْ جاريتُه بذلك، فأخذ الرقعة فكتب فيها:

فإني ومدحكَ غيرَ المصيـ ـب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثـوابَ فكنتُ كعاصر جنْبِ الحجَرْ

وبعث بالرُّقعةَ مع الجارية، فدفعتْها إلى معاوية، فقال لها: ويحك قد علِم بها أحدٌ! قالت: لا والله إنما دفعها من يديه إلى يدي! قال: فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه، فخرجت بها إليه، فقال: كلاّ، أليس زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً؟. (٢٢٤/١٢)

(١٤٨)

أخبرني أبو أيوب المدينيُّ وأخبرناه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حماد بن إسحاق عن أبيه قالا: مدح ابن هرْمةَ عبدَ الله بن جعفرَ بن أبي طالب فأتاه، فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه. قال ابن هرْمة: ورآني بعض خدمه فعرفني، فسألته عن الذين رأيتُهُم ببابه فقال: عامتُهم غُرماءُ(١) له، فقلت: ذاك شرٌّ. واستوْذِن لي عليه فقلت: لم أعلم والله بهؤلاء الغرماء ببابك، قال: لا عليك أنشدني، قلت: أعيذك باللّه، واستحييت أن أنشد، فأبى إلا أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها:

حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم ... فعُشُّك مأوى بيضها المتفلّقِ
ولم تك بالمُعْزى إليها نصابُه ... لصاقا ولا ذا المركب المتعلقِّ
فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفر ... ومثل أبيك الأريحيِّ المُرهَّقِ(٢)

فقال: مَنْ ها هنا من الغرماء؟ فقيل: فلانٌ وفلان، فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا، وقال لي: اتْبعهما. قال: فأعطياني مالا كثيراً. (٢٢٦/١٢)

(١٤٩)

أخبرني الحرمي بنُ أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي عن جدّي قال: خرج أبو وجْزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة، وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير، وامتدح أبو زيد إبرهيم بن هشام المخزوميّ، فقال له أبو وجزة: هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير، وتشاركني فيما تصيب من إبراهيم؟ فقال: كلا والله، لرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزُّبير. فقدما المدينة، فأتى أبو زيد دار إبراهيم، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلب، فقال إبراهيم لبعض أصحابه: اخرج إلى هذا الأعرابي الجلف فاضربه وأخرجه، فأخرج وضرب. وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرْع(٣) أن يعطي منه ستين وسْقاً(٤) من التمر، فقال أبو وجزة يمدحهم:

راحت قلُوصي رواحا وهي حامدة ... آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا(٥)
راحت بستّين وسقا في حقيبتها ... ما حُمِّلت حِمْلها الأدنى ولا السُّدا(٦)

---

(١) الغرماء: طالبو دين لهم. (٢) المرهّق: الكريم الجواد الذي يغشاه الناس.
(٣) الفُرع: قرية من نواحي الرُّبذة بينها وبين المدينة أربع ليال على طريق مكة.
(٤) الوسق: حمل بعير. (٥) القلوص: الناقة. (٦) السُّدد: الوفق.

ذاك القرى لا كأقوامٍ عهدتهُم يقرون ضيفهم الملويَّةُ الجُددا

يعني السياط. (٢٤٣/١٢)

(١٥٠)

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبعيّ إجازةً قال حدّثنا محمدُ بن مسعود الزُّرقيّ عن مسعود بن المفضّلُ مولى آل حسن بن حسن قال: قدم أبو وجزة السعدي على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقةَ(١)، وقد أصابت قومه سنة مجدبة، فأنشده قوله يمدحه:

أثني على ابْني رسول الله أفضل ما أثني به أحدٌ يوماً على أحد

السيدينِ الكريميّ كلُّ مُنْصرفٍ من والدين ومن صهر ومن ولد

ذريّةٌ بعضُها من بعضها عمرت في أصلِ مجد رفيع السَّمْك والعمد(٢)

ما ذا بنى لهمُ من صالحٍ حسنٌ وحسنٌ وعليّ وابتنوْا لغد

فكرَّم اللهُ ذاك البيتَ تكرمةً تبقى وتخلدُ فيه آخرَ الأبد

همُ السُّدَى والنُّدى، ما في قناتهم إذا تعوّجت العيدانُ من أوَد(٣)

مهذبون هجانٌ أمّهاتُهُم إذا نُسبنَ زُلالُ البارق البرد(٤)

بين الفواطم ماذا ثمَّ من كرم إلى العواتك مجد غير مُنْتقدِ(٥)

ما ينتهي المجد إلا في بني حسن وما لهم دونه من دار ملْتحد(٦)

قال: فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله بُرّاً وتمراً، وكسوه ثوبين ثوبين. (٢٤٧/١٢)

(١٥١)

أخبرني محمدُ بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني الغلابي قال حدّثني ابنُ عائشة قال: دخل يزيدُ بن الحكم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذّب. وقد حلّ عليه نَجْمٌ(٧) كان قد نُجِّم عليه،

---

(١) سويقة: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب. (٢) السَّمك: البناء.

(٣) السُّدى: المعروف، والأود: الاعوجاج. (٤) هجان: كرام، والبارق: السحاب ذو البرق، والبرد: ذو البرد.

(٥) الفواطم: يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم، أمّهما فاطمة بنت رسول الله، وجدّتهما فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أبيهما علي بن أبي طالب رضى الله عنه، والعواتك: جدّات النبي، وهن ثلاث عواتك. قال يوم حنين: «أنا ابن العواتك من سليم».

(٦) الملتحد: الملجأ. (٧) تنجيم الدَّين: أن يقدّر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مسانأة.

وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألفَ درهم فقال له:

أصْبَح في قيْدك السماحةُ والجـ ـدُ وَفَضْـلُ الصَّلاح والحسَبُ
لا بطـرٌ إن تتابعتْ نِعَـمٌ وصابرٌ في البلاء محتسب
برزْتَ سبْقَ الجيادِ في مهلٍ وقصَّرَتْ دون سعيك العربُ

قال: فالتفت يزيدُ بنُ المهلب إلى مولىً له، وقال: أعطه نجم هذا الأسبوع، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر. وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزةَ بنِ بيْضٍ مع يزيد. (٢٩١/١٢)

(١٥٢)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ وأبو الحسن بن محمد الأسديّ قالا: حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعي قال: تقدّم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوّار بن عبد الله ليُقيمَ عنده شهادةً، فصادفه يتمثّل قولَ الأسود بن يعْفُر:

ولقد علمتُ لو أنّ علمي نافعي أنّ السَّبيلَ سبيلُ ذي الأعواد(١)
إنّ المنيّـةَ والحُتوفَ كلاهما يُوفي المخارمَ يرْمِيانَ سوادي(٢)
ماذا أؤمّلُ بعد آلِ مُحرِّقٍ تركوا منازلَهُم وبعدَ إياد(٣)
أهلِ الخورنَق والسَّدير وبارقٍ والقصر ذي الشُّرُفات من سِنداد(٤)
نزلوا بأنْقُرةٍ يفيض عليهمُ ماءُ الفُرات يفيض من أطْواد(٥)
جرتِ الرياحُ على محلِّ ديارهم فكأنّما كانوا على ميعادِ

ثم أقبل على الدارميّ فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا. قال: أفتعرفُ مَنْ يقولُه؟ قال: لا قال: رجلٌ من قوْمِك له هذه النباهةُ وقد قال مثلَ هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه! يا مُزاحم، أثْبِتْ شهادته عندك، فإني متوقّفٌ عن قبوله حتى أسأل عنه، فإني أظنّه ضعيفاً. (١٥/١٣)

---

(١) ذو الأعواد: من أجداد أكثم بن صيفي حكيم تميم، وقيل له ذو الأعواد لسرير كانوا يحملونه عليه لمّا أسنّ، فكان سريره ملاذ الخائف وملجأ المحتاج، وذكره الشاعر هنا ليقول إنّ سبيل كلّ حيّ سبيل ذي الأعواد بعد أن عمّر طويلاً. فكان مصيره إلى الموت.

(٢) يوفي: يعلو، وسوادي: شخصي، والمخارم: أفواه الفجاج والطرق في الجبال.

(٣) آل محرّق: هم ملوك الحيرة من لخم، وإياد: حيّ من معد بن عدنان، وهم بنو إياد بن نزار.

(٤) الخورنق: قصر من قصور الحيرة، والسّدير: قصر كان ما بين نهر الحيرة إلى النجف إلى كسكر من هذا الجانب، وبارق: ماء بالعراق، وسنداد: منزل لإياد.

(٥) أنقرة: مدينة بالأناضول على طريق القسطنطينية.

(١٥٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: مرَّ عمرُ بن عبد العزيز ومعه مُزاحمٌ مولاه يوماً بقصرٍ من قصور آل جفْنة. وقد خرب، فتمثّل مزاحم بقول الأسود بن يعْفر:

جرتِ الرِّياحُ على محلِّ ديارهم ... فكأنّما كانوا على ميعاد
ولقد غَنَوْا فيها بأنْعم عيشةٍ ... في ظلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتادِ(١)
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلْهى به ... يوماً يصيرُ إلى بلىً ونفاد

فقال له عمر: هلاّ قرأت: (كمْ تركوا من جناتٍ وعيونٍ). إلى قوله جلّ وعزّ: (كذلك وأوْرثناها قوماً آخرين). (١٩/١٣)

(١٥٤)

أخبرني به حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت، فذكر قريباً منه يزيد وينقص ولا يُحيل(٢) معنىً. أخبرني عبد الملك بن مسْلمة القُرشيّ الهشاميّ بأنْطاكية(٣) قال أخبرني أبي عن أهلنا أن أرطاة بن سُهيّة دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمرُ الخلافة، وفرغ من الحروب التي كان بها متشاغلاً، وصمد(٤) لإنفاذ الجيوش إلى ابن الزبير لمحاربته، فهنّأه وكان خاصّاً به وبأخيه يحيى بن الحكم، ثم أنشده:

تشكّى قلوصي إليَّ الوجى ... تجرُّ السَّريحَ وتُبْلى الخداما(٥)
تزُورُ كريماً له عندها ... يدٌ لا تُعدُّ وتُهْدى السّلاما
وقلَّ ثواباً له أنّها ... تُجيدُ القوافي عاماً فعاما
وسادَتْ معدّاً على رغْمها ... قُريشٌ وسُدْتَ قريشاً غُلاما
جُعلتَ على الأمرِ فيه صفاً ... فما زال غمْزُك حتى استقاما(٦)
لقيتَ الزُّحوفَ فقاتلتها ... فجرَّدتَ فيهنَّ عضْباً حُساما

---

(١) غنوا: أقاموا. (٢) لا يحيل: لا يغيّر أو يفسد.
(٣) أنطاكية: بلد معروف في شمال الساحل الشامي. (٤) صَمَد: قَصَد.
(٥) الوجى: الحفا، والسَّريح: الذي تشدّ به الخدمة فوق الرسغ، والخِدام: جمع خَدَمة هي السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يُشدّ في رسغ البعير ثم يشدّ إليها سرائح نعلها. (٦) الصفا: المَيْل.

تشُـــقُّ القــوانسَ حتى تنــا ل ما تحتها ثم تبرى العظاما(١)
نزعتَ على مــهـلٍ ســابقــاً فــمــا زادك النَّزْعُ إلاَّ تمامــا(٢)
فــزاد لك اللـــه سُـــلطانَـه وزاد لك الخــيــرَ منه فــدامــا

فكساه مرْوانُ وأمر له بثلاثين ناقةً وأوقرهنَّ له بُرّاً وزبيباً وشعيرا. (٣١/١٣)

(١٥٥)

ونسختُ من كتاب ابنِ حبيبٍ قال ابن الأعرابي: اصطحب العجيرُ وشاعرٌ من خزاعة إلى المدينة فقصد الخزاعيّ الحسنَ بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، وقصد العجيرُ رجلاً من بني عامر بنِ صعصعة كان قد نال سلطانا، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعيّ وكساه ولم يعط العامريّ العجير شيئاً، فقال العجير:

ياليتني يوم حـزَّمتُ القلُوص لــه يَمَمتُها هاشـمـياً غـيـر ممذوق(٣)
محض النِّجار من البيت الذي جعلت فيه النبوَّةُ يجْـري غير مســبوق(٤)
لا يُمْسك الخــيــر إلا ريثَ يُســألُهُ ولا يلاطم عنه اللحم في الســوق(٥)

فبلغت أبياتُه الحسن، فبعث إليه بصلة إلى محلّة قومه وقال له: قد أتاك حظُّك وإن لم تتصدَّ له. (٦٢/١٣)

(١٥٦)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال قال الحرمازي: وقف العجيرُ السّلولي لبعض الأمراء، وقد علق غريمٌ له من أهله فقال له:

أتيــتك أنَّ البــاهلي يســوقني بدين ومطلــوبُ الدُّيون رقــيقُ
ثلاثُتُنــا إن يسرَّ اللــه: فــائزٌ بأخــر، ومُعْطى حـقَّه، وعـتـيقُ

فأمر بقضاء دينه. (٧٠/١٣)

---

(١) القوانس: جمع قونس وهو أعلى البيضة من الحديد. (٢) نزعت: جَرَيْت.
(٣) ممذوق: مخلوط، يرد أنّه هاشمي صريح النسب.
(٤) النِّجار: الأصل والحسب، والمحض: الخالص.
(٥) لا يلاطم عنه اللحم في السوق: أي لا يشتري لضيفانه اللحم من السوق وإنّما يذبح لهم في بيته.

(١٥٧)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان قال: أخبرني عبيدُ الله بنُ محمد بن عبد الملك الزياتِ قال: حدّثني الحسنُ بن جهْورٍ عن الحرمازي قال: قدم المغيرة بن حبناء على طلحة الطلحات الخُزاعيِّ ثم المُليحيِّ، أحد بني مُليح، فأنشده قوله فيه:

لقد كنتُ أسعى في هواكَ وأبتغي ... رضاكَ وأرجو منكَ ما لستُ لاقيا
وأبذُل نفسي في مواطن غيرُها ... أحبُّ، وأعصي في هواكَ الأدانيا
حِفاظاً وتمسيكا لما كان بيننا ... لتُجْزيني مالا إخالُكَ جازيا(١)
رأيتُك ما تنفكّ منك رغيبةٌ ... تقصّرُ دوني أو تحلُّ ورائيا(٢)
أراني إذا استمطرتُ منك رغيبةً ... لتمطرني عادت عجاجاً وسافيا(٣)
وأدْليتُ دلوي في دلاء كثيرة ... فأبْنَ ملاءً غيرَ دلوي كما هيا(٤)
ولستُ بلاقٍ ذا حفاظٍ ونجدةٍ ... من القوم حُرّاً بالخسيسة راضيا
فإن تدن مني تدنُ منكَ مودتي ... وإن تنأ عني تُلْفِني عنكَ نائيا

قال: فلما أنشده هذا الشعر، قال له: أما كُنّا أعطيناك شيئاً؟ قال: لا، فأمر طلحةُ خازنه فأخرج دُرْجاً فيه حجارة ياقوت، فقال له: اختر حجرين من هذه الأحجار أو أربعين ألف درهم، فقال: ما كانتْ لأختار حجارةً على أربعين ألف درهم! فأمر له بالمال، فلما قبضه سأله حجراً منها، فوهبه له، فباعه بعشرين ألف درهم. (٨٤/١٣)

(١٥٨)

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشيباني أنّ سبب التهاجي بين زيادٍ الأعجم والمغيرة بن حبناء، أن زياداً الأعجم والمغيرة بن حبناء وكعباً الأشقريّ، اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه، فأمر لهم بجوائز وفضّل زياداً عليهم، ووهب له غلاماً فصيحاً يُنشد شعره، لأن زياداً كان ألكن لا يفْصح، فكان راويته يُنْشد عنه ما يقوله، فيتكلف له مؤونة ويجعل له سهماً في صلاته، فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فُضّل به؛ فانتدب له المغيرةُ من بينهم فقال للمهلب: أصلح الله الأمير، ما السبب في تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يُغْني غناءنا في الحرب، ولا هو بأفضلنا شعبا، ولا أصدقنا ودا، ولا

---

(١) التمسيك: الصيانة. (٢) تقصر دوني: لا تصل إليّ.

(٣) استمطرت رغيبة: طلبت، والعجاج، الغبار، والسافي: الريح التي تحمل التراب. (٤) أبْنَ: عُدْنَ.

أشرفنا أبا، ولا أفصحنا لسانا! فقال له المهلب: أما إنّي والله ما جهلت شيئا مما قلت، وإن الأمر فيكم عندي لمتساو، ولكنّ زياداً يُكْرَمُ لسنِّه وشعره وموضعه من قومه، وكلُّكم كذلك عندي، وما فضلته بما يُنْفَسُ به، وأنا أعوِّضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به. (٨٩/١٣)

(١٥٩)

نسخت من نسخةِ ابن الأعرابي، قال: كان المغيرة بنُ حبناء يوماً يأكل مع المُفضّل بن المهلَّبِ، فقال له المفضل:

فلم أر مِثْلَ الحنظليّ ولونِهِ أكيلَ كرامٍ أو جليسَ أميرِ

فرفع المغيرة يده وقام مغضباً، ثم قال له:

إني امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني لامِ العتيك ولا أخوالي العوقُ(١)

ـ العوق من يشكر، وكانوا أخوال المفضل ـ

لا تحسبنَّ بياضا فيَّ منقصةً إن اللُّهاميم في ألوانها بلقُ(٢)

وبلغ المهلّب ما جرى، فتناول المفضلَ بلسانه وشتمه، وقال: أردتَ أن يتمضغُّ(٣) هذا أعراضنا، ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مواكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه أوْ لا تؤذِه. ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم، واستصفحه عن المفضل، واعتذر إليه عنه، فقبل رفده وعذره، وانقطع بعد ذلك عن مؤاكلةِ أحدٍ منهم. (٩١/١٣)

(١٦٠)

نسخت من كتابِ عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، قال: كانت ربيعة تقول لزيادٍ الأعجم: يا زياد، أنت لساننا، فاذبب عن أعراضنا بشعرك، فإنّ سيوفنا معك. فقال المغيرة بن حبناء فيه، وقد بلغه هذا القول من ربيعة له:

يقولون ذبَّبْ يا زياد ولم يكن ليوقظَ في الحرب الملمّةِ نائما
ولو أنّهم جاءوا به ذا حفيظةٍ فيمنعهُم أو ماجداً أو مراغما(٤)
ولكنّهم جاءوا بأقلف قد مضت له حججٌ سبعون يُصبح رازما(٥)

---

(١) لام: لا من، والعتيك والعوق: قبيلتان. (٢) اللُّهاميم: مفردها لهموم، وهو الجواد من الخيل.
(٣) يتمضغّ: يجعلها مضغة، أي يهجوهم ويسبّهم. (٤) المراغم: الملجأ.
(٥) الأقلف: الذي لم تَجْرِ عليه موس، والرازم: الذي لا يقدر على النهوض ولا يتحرك هزالاً وإعياءً.

لئيماً ذميما أعجمياً لسانُه ... إذا نال دنّاً لم يبال المكارما(١)
وما خلتُ عبد القيس إلا نفايةً ... إذا نكر الناس العُلا والعظائما(٢)
إذا كنتَ للعبديّ جاراً فلا تزلْ ... على حذرٍ منه إذا كان طاعما
أناساً يُعدُّون الفساء لجارهم ... إذا شبعوا عند الجُباةِ الدراهما
من الفسو يقضون الحقوق عليهم ... ويعطون مولاهم إذا كان غارما
لهم زجلٌ فيه إذا ما تجاوبُوا ... سمعتَ زفيراً فيهم وهماهما(٣)
لعمرك ما نجّى ابنَ زروان إذ عوى ... ربيعةُ من يوم ذلك سالما
أظنُّ الخبيث ابنُ الخبيثين أنّني ... أسلِّم عرضي أو أهابُ المقاوما
لعمرك لا تهدي ربيعةُ للحجا ... إذا جعلوا يستنصرون الأعاجما

قال: فجاءت عبد القيس إلى المغيرة، فقالوا: يا هذا، مالنا ولك، تعمُّنا بالهجاء لأنْ نبحك منّا كلب، فقال وقلت، قد تبرأنا إليك منه، فإن هجاك فاهجُه، وخلِّ عنا ودعْنا، وأنت وصاحبُك أعلم، فليس منّا له عليك ناصر. فقال:

لعمرُك إنّي لابنِ زروان إذ عوى ... لمحتقرٌ في دعوة الودِّ زاهدُ
ومالك أصلٌ يا زياد تعدُّه ... ومالك في الأرض العريضة والدُ
ألم ترى عبد القيس منك تبرأتْ ... فلا قيتَ مالم يلق في الناس واحدُ
وما طاش سهمي عنك يوم تبرّأتْ ... لُكيْز بنُ أفصى منك والجند حاشدُ
ولا غاب قرنُ الشمس حتى تحدّثت ... بنفيك سُكانُ القُرى والمساجدُ(٤) (٩٤/١٣)

(١٦١)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن الهيثم بن عديّ، قال: حدّثنا عبد الله بن عباس، قال: قال زيادٌ الأعجمُ يهجو بني يشكُر:

إذا يشكُريّ مسّ شويك ثوبُه ... فلا تذكرنّ الله حتّى تطهّرا(٥)
فلو أنّ من لؤم تموتُ قبيلةٌ ... إذاً لأماتَ اللؤمُ لا شكّ يشكُرا

قال: فأتت بنو يشكُرَ سويدَ بن أبي كاهلٍ ليهجو زياداً، فأبى عليهم، فقال زياد:

---

(١) الدَّن: وعاء الخمر. (٢) النُّفاية: الرديء.
(٣) الزجل: الصوت، والهماهم: تردّد الزئير في الصدر. (٤) قرن الشمس: ناحيتها.
(٥) تَطَّهرا: تتطهر، حذف إحدى التاءين.

وأنبئتُهم يستصرخون ابنَ كاهلٍ وللـؤم فيهـم كـاهلٌ وسـنامُ(١)
فـإنْ يأتنا يرجعْ سـويدٌ ووجـهُه عليـه الخـزايا غـبـرةٌ وقـتـامُ(٢)
دعيٌّ إلى ذُبيـانَ طـوراً، وتـارة إلى يشكرٍ مـا في الجمـيع كِرامُ

فقال لهم سويد: هذا ما طلبتم لي! وكان سويد مغلّباً(٣). وأما قوله:

دعيٌّ إلى ذُبْيان طوراً وتارةً إلى يشـكر .....

فإن أمّ سويد بن أبي كاهلٍ كانت امرأةً من بني غُبَر، وكانت قبلَ أبي كاهلٍ عند رجلٍ من بني ذبيان بني قيس بن عيلان، فمات عنها، فتزوّجها أبو كاهلٍ، وكانت فيما يقال حاملاً، فاستلاط أبو كاهل ابنها لمّا ولدته، وسمّاه سويداً، واستلحقه(٤)، فكان إذا غضب على بني يشكر ادّعى إلى بني ذبيان، وإذا رضي عنهم أقام على نسبه فيهم. (١٠٣/١٣)

(١٦٢)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزْبان قال: حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ عن عنبسة القرشيُّ الكُريزيّ عن أبيه قال: مدح مطيعُ بن إياس الغمر بن يزيدَ بقصيدته التي يقول فيها:

لا تلْحَ قلبك في شـقـائه ودَعِ المتـيّـم في بلائـه(٥)
كـفكفْ دموعك أنْ يفضْـ ـنَ بنـاظرٍ غـرقٍ بمائـه
ودع النسـيبَ وذكـره فبحسب مثلك من عنائه
كـم لـذّةٍ قـد نلتهـا ونعـيم عـيشٍ في بهـائه
بنواعـمٍ شـبّـه الدُّمـى والليلُ في ثنْيي عـمـائه(٦)
واذكـر فـتىً بيمينـه حتْفُ الزمان لدى التوائه
وإذا أمـيّـةُ حُـصّـلتْ كـان المهـذّبَ في انتمـائه
وإذا الأمـورُ تفـاقمَـتْ عظماً فـمصـدرها برائه(٧)
وإذا أردتَ مـديحـه لم يُكْد قـولُك في بنائه(٨)
في وجـهـه عـلمُ الهـدى والمجـدُ في عِطْفيْ ردائـه
وكـأنّمـا البـدر المنـ ـير مُشبّهٌ به في ضيائه

---

(١) الكاهل: مقدم أعلى الظهر ممّا يلي العنق، وهو الثلث الأعلى وفيه ستّ فقر. (٢) القتام: الغبار.
(٣) المغلّب: المغلوب مراراً، وهو الشاعر الذي يُهجى فلا يردّ. (٤) استلحقه: ادّعاه إليه.
(٥) لا تلْحَ: لا تلُمْ. (٦) ثنيي عمائه: كناية عن شدّة الظلام وازدواجه.
(٧) برئه: برأيه، أي تصدر عن رأيه. (٨) لم يُكْدِ: لم يَخب.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّلَ قصيدة أخذ بها جائزة سنية، وحرُكته ورفعتْ من ذكره، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدمائه. (٢٩٧/١٣)

(١٦٣)

أخبرني عمّي عن ابن مهرويه، عن أبي مسلم، عن ابن الأعرابيّ قال: حبس ابنُ أمّ الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير في جناية وضعها عليه، وضربه ضرباً مبرّحاً لهجائه إيّاه، فاستغاث بأسماء بنِ خارجة، فلم يزل يلطُف في أمره، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحكم في أمره حتى يخلّصه، فأطلق شفاعته، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعياله جرايةً دائمةً من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزبير، يقول فيها:

ألم ترَ أن الجودَ أرسلَ فانتقى ... حليفَ صفاءٍ وائتلى لا يُزايلُهْ(١)

تخيُّرُ أسماءَ بن حصنٍ فبُطِّنَتْ ... بفعل العُلا أيمانُه وشمائلُه

ولا مجدَ إلا مجدُ أسماءَ فوقه ... ولا جرى إلا جريُ أسماءَ فاضلُهْ

ومحتملٍ ضِغنا لأسماءَ لو جرى ... بسجلَيْنِ من أسماءَ فارت أباجلُهْ(٢)

عوى يستجيشُ النابحاتِ وإنما ... بأنيابه صُمُّ الصُّفا وجنادلُهْ(٣)

وأقصرَ عن مجراة أسماءَ سعيُه ... حسيرا كما يلقى من التُّرب ناخلُهْ(٤)

وفضّل أسماءَ بن حصنٍ عليهمُ ... سماحةُ أسماءَ بن حصن ونائلُهْ(٥)

فمن مثلُ أسماءَ بن حصن إذا غدت ... شآبيبُه أم أيُّ شيءٍ يعادلُهْ(٦)

وكنتَ إذا لاقيت منهم حطيطةً ... لقيتَ أبا حسانَ تندى أصائلُهْ(٧)

تضيّفُه غسّانُ يرجون سيْبَه ... ونو يمنٍ أحبوشُه ومقاولُهْ(٨)

---

(١) انتقى: اختار، وائتلى: أقسم.

(٢) السجل: الجري، وأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في باطن الذراع، والمعنى: لو جرى بشوطين من جري أسماء لأعيا وانبهر.

(٣) يستجيش النابحات: أي يستمدّ الكلاب النابحات، والصفا: جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم، والمعنى أنّه لا يؤثر فيه إلاّ كما يؤثر العارض على الصمّ الصلاب.

(٤) حسيراً: كليلاً. (٥) النائل: العطاء. (٦) غدت: بكرت، وشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

(٧) الحطيطة: البخس، وأبو حسّان: كنية أسماء، وأصائل: جمع أصيل وهو العشيّ.

(٨) تضيّفُه: أصله تتضيّفُه: أي تنزل عليه ضيفاً، والعيب: العطاء، والأحبوش: جماعة الحبش، والمقاول: جمع مقول وهو الملك من ملوك حمير.

فتىً لا يزال الدهر ما عاش مُخْصبا ... ولو كان بالمومَاة تخْدى رواحِلُه(١)
فأصبح: ما في الأرض خلقٌ علمتُه ... من الناس إلاَّ باعُ أسماءَ طائلُه(٢)
تراه إذا ما جئتَه متهلِّلا ... كأنك تعطيه الذي أنت سائلُه
ترى الجند والأعراب يغشون بابه ... كما وردت ماء الكُلاب نواهلُه
إذا ما أتوا أبوابه قال: مرحبا ... لجُوا الباب حتى يقتل الجوعَ قاتلُه
ترى البازلَ البُخْتيَّ فوق خوانه ... مقطَّعةً أعضاؤه ومفاصله(٣)
إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي ... تحلَّب كفاه الندى وأنامله
تراهمْ كثيراً حين يغشون بابه ... فتسترهم جُدْرانُه ومنازِلُه

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم. (٢٢٥/١٤)

(١٦٤)

وقال ابن الأعرابي: لما قدم ابنُ الزّبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه، فوصله إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فأنشده قصيدته التي أوّلها:

أصْرمٌ بليلى حادثٌ أم تجنُّبُ ... أم الحبل منها واهنٌ متقضِّبُ(٤)
أم الودُّ من ليلى كعهدي مكانه ... ولكنَّ ليلى تستزيد وتعتب
ألم تعلمي يا ليل أنِّي ليِّنٌ ... مضومٌ وأنِّي عنْبَسٌ حين أغضب(٥)
وأنِّي متى أنْفقْ من المال طارفاً ... فإني أرجو أن يئُوبَ المثوّب(٦)
أأن تلِفَ المالُ التِّلادُ بصفَّه ... تشمَّسُ ليلى عن كلامي وتقْطِب(٧)
عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارها مشدودةً: أين تذهب؟(٨)
أفي كل مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ(٩)
فوالله مازالت تُلبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ

(١) تخدى: تُسرع، والموماة: المفازة. (٢) طاله: فاقه في الطُّول.
(٣) البازل: الجمل في تاسع سنينه، والبختيّ من الجمال: طوال الأعناق.
(٤) الصَّرم: القطيعة، وواهن: ضعيف، ومتقضّب: متقطّع.
(٥) المضوم: المنفق لماله، والعنبس: الأسد. (٦) الطارف: المستحدث، وثاب وثوّب: رجع.
(٧) التِّلاد: المال القديم، وتشمسُّ: هي تتشمَّس أي تنفر وتعرض، وتقطب: تزوي ما بين عينيها وتعبس.
(٨) الأكوار: جمع كُور وهو الرَّحل بأداته. (٩) المتشعّب: المتفرّق.

دعيني ما للموت عني دافعُ ... ولا للذي ولّى من العيش مطلب
إليك عبيدَ الله تهوى ركابُنا ... تعسُّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ(١)
وقد ضمرت حتى كأنَّ عيونها ... نطافُ فلاةٍ ماؤها متصبِّب(٢)
فقلت لها: لا تشتكي الأينَ إنه ... أمامك قرْمٌ من أمية مُصْعَب(٣)
إذا ذكروا فضل امرئ كان قبله ... ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيبُ(٤)
وأنك لو يُشفى بك القرْحُ لم يعدُ ... وأنت على الأعداء نابٌ ومخلبُ(٥)
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ ... ـحليفين ما أرسى ثبيرٌ ويثْرِبُ(٦)
وأنت إلى الخيرات أوّل سابق ... فأبشِر، فقد أدركت ما كنتَ تطلب
أعِنّي بسجْل من سجالك نافع ... ففي كل يوم قد سرى لك محلب(٧)
فإنك لو إيّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومرْحَبُ

قال: فقال له عُبيد الله - وقد ضحك من هذا البيت الأخير -: فإني لا أطلب إليك حاجة، كم السّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالُك أيها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٣٤/١٤)

(١٦٥)

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني علي بن عثّام الكلابيّ قال: دخل عبدُ الله الزّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمّا واليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلمْ يأذن له، وقال له: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قطْرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حصنٍ ... فلا مطرتْ على الأرض السماءُ
ولا رجعَ الوُفود بفُنم جيشٍ ... ولا حملَتْ على الطُّهر النساءُ
لَيومٌ منك خيرٌ من أناسٍ ... كثيرٍ حولهم نعمٌ وشاء
فبُورك في بنيك وفي أبيهمْ ... إذا ذُكروا ونحن لك الفداء

---

(١) تهوي: تسرع في سيرها، وتعسف: هي تتعسّف ومعناها تسير في الطريق على غير هداية، وتدأب: تجدّ وتتعب.

(٢) نطاف: جمع نُطفة وهي الماء الصافي قلّ أو كثر.

(٣) الأين: الإعياء، والقرم: السيد المعظّم، ورجل مصعّب: مسوّد. (٤) أثرى: أكثر.

(٥) القَرح: عضّ السلاح ونحوه ممّا يخرج بالبدن، أراد به ما ينو به من صروف الدهر.

(٦) ثبير: جبل بظاهر مكة. (٧) السّجل: الدلو العظيمة الممتلئة.

فالتفت إليه مصعب وقال له: اذهب إلى أسماء فمالك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصَّ به، سمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه. (٢٤٦/١٤)

(١٦٦)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيُّ عن العُمري عن العُتْبي قال: لمّا قُتل عبدُ الله الزُّبير صلب الحجّاج جسده، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه، فقام عبدُ الله بن الزُّبير الأسدي فاستأذنه في الكلام، فقال له: تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً، وتوخَّ الحقَّ فيما تقولُه، فأنشأ يقول:

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت ... أميَّةُ حتّى أحرزوا القصباتِ
وجئتَ المجلّى يابن مروان سابقا ... أمام قريش تنفُض العُذُرات(١)
فلا زلت سبّاقاً إلى كل غاية ... من المجد نجّاةً من الغمراتِ(٢)

قال: فقال له: أحسنت فسل حاجتك: فقال له: أنت أعلى عينا بها وأرحبُ صدْراً يا أمير المؤمنين؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة، ثم قال له: كيف قلت؟ فذهب يعيد هذه الأبيات، فقال: لا، ولكن أبياتك في المُحِلِّ(٣) فيّ وفي الحجّاج التي قلتها: فأنشده:

كأني بعبد الله يركب ردْعه ... وفيه سنان زاعبيٌّ محرَّبُ(٤)
وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقتْ ... به وبمن أساه عنقاءُ مُغْرب(٥)
تولّوا فخلّوه فشال بشلوه ... طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّبُ(٦)
بكفَّيْ غلام من ثقيفٍ نمت به ... قريش ونو المجد التليد مُعتَّبُ

فقال له عبدُ الملك: لا تقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛

---

(١) المجلّى: السابق من الخيل، والعذرة: الناصية وقيل هي الخصلة من الشعر.

(٢) الغمرات: جمع غمرة وهي الشدّة.

(٣) المُحِلّ: هو عبد الله بن الزبير ودُعي كذلك لإحلاله القتال في الحرم.

(٤) يقال للقتيل: ركب درعه: إذا خرَّ لوجهه على دمه، وزاعبي: نسبة إلى بلد أو رجل ومنه الرماح الزاعبية أو هي التي إذا هُزّت كأنّ كعوبها يجري بعضها في بعض، وحرب السنان: حدّه.

(٥) ويقال: عنقاء مغرب، وهي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحُسّ أو تُرَ.

(٦) الشلو: الجسد، وشال به: رفعه، أي أنّه صُلب على جذع طويل، والتشذيب: إصلاح الجذع.

والله أعلم. (٢٤٩/١٤)

(١٦٧)

قال أبو الفرج: ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه، والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره قال: دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشرٌ خلعها عليه، وكان قد بلغ بشرا عنه شيء يكرهه، فجفاه، فلما وصل إليه وقف بين يديه، وجعل يتأمل من حواليه من بني أمية، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر، إن نظرك يابن الزّبير ليدلُّ أن وراءه قولاً؛ فقال: نعم؛ قال: قل؛ فقال:

كأنَّ بني أمية حول بشر ... نجومٌ وسْطها قمر منير
هو الفرع المقدَّم من قريش ... إذا أخذتْ مآخذها الأمورُ
لقد عمَّت نوافلُه فأضحى ... غنياً من نوافله الفقير(١)
جبرْتَ مَهيضنا وعدلْتَ فينا ... فعاش البائس الكَلُّ الكسير(٢)
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنا، والوا كِفُّ الجوْنُ المطير(٣)

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه. (٢٥١/١٤)

(١٦٨)

قال النضر بن حديد في كتابه هذا: ودخل عبد الله بن الزُّبير إلى بشر بن مروان متعرّضاً له ويُسمعه بيتاً من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً؟ لقد نزحتَ فيه بحرك يابنَ الزّبير؛ فقال: أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة، وكنتُ لمعروفه شاكراً، وأيادي الأمير عندي أجلّ، وأملي فيه أعظم، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفّق للصواب. فقال: هات، فقال:

تداركني بشرُ بن مروانَ بعد ما ... تعاوتْ إلى شلوى الذئابُ العواسلُ(٤)

---

(١) النوافل: جمع نافلة وهي العطيّة.

(٢) هاض العظمت: كسره بعد الجبور أو بعدما كاد ينجبر فهو مهيض، والكَلّ: مَنْ كان عيالاً وثقلاً على صاحبه.

(٣) وكف الماء: سال، والجون: هنا السحاب الكثيف المتراكم.

(٤) الشلو: الجسد، والعواسل: جمع عاسل، وعسل الذئب: اضطرب في عدوه وهزَّ رأسه.

غياث الضعافِ المُرملين وعصمةُ الـ ـيتامى ومن تأوى إليه العباهـل(١)
قريعُ قريشٍ والهمامُ الذي له أقرّت بنـو قحطان طُرًا وواثل(٢)
وقيسُ بن عيلان وخِنْدِفُ كلُّها أقرّت وجنُّ الأرض طُرًا وخابل(٣)
يداك ابنَ مروان يدٌ تقتل العدا وفي يدك الأخرى غياثٌ ونائل
إذا أمطرتْنا منك يوماً سحابةٌ روينا بما جادت علينا الأنامل
فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّدا يُهلّ علينا منك طلٌّ ووابل(٤)
فأنت المصفّى يابن مروان والذي توافت إليه بالعطاء القبائلُ
يرجُّون فضلَ الله عند دعائكمْ إذا جمعتكمْ والحجيجَ المنازلُ
ولولا بنو مروان طاشت حُلومنا وكنّا فراشا أحرقتْها الشمائل

فأمر له بجائزة وكساه خلعة. (١٤/٢٥٢)

(١٦٩)

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا: حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ قال: أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم بن الأشتر النخعيّ فقال له: إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ، فقال: إني لست أعطي الشعراء، فقال: اسمعْها منّي وترى رأيك، فقال: هات إذاً، فأنشده قوله:

اللـه أعْطـاكَ المهابـةَ والتُّقى وأحلّ بيتكَ في العديدِ الأكثرِ
وأقرّ عينك يوم وقعةِ خازرٍ والخيلُ تعثُر بالقنا المتكسّر(٥)
إنّي مدحتُك إذ نبا بي منزلي ونممتُ إخوانَ الغنى مِنْ معْشرِ(٦)
وعرفتُ أنك لا تخيّب مِدْحتي ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشكر
فهلمّ نحوي من يمينك نفحةً إن الزمان ألحّ يابن الأشْترِ

فقال: كم ترجو أن أعطيك؟ فقال: ألف درهم أصلِح بها أمرَ نفسي وعيالي. فأمر له بعشرين ألف درهم. (١٤/٢٦١)

---

(١) أرمل: نفد زاده، والعباهل: هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه. (٢) القريع: السيّد.
(٣) الخابل: الجنّ. (٤) الطلّ: المطر الخفيف، والوابل: المطر الغزير.
(٥) خازر: نهر بين إربل والموصل، وكانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر. (٦) نبا: ضاق.

(١٧٠)

قال: ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ - وكانا لا يفارقان مجلسه - فوقف بين يديه فقال له: تكلّم يا حاجب، فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفٍّيك حقك، ولكنَّ المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعي الإنشاد، وتأذن لي فيه، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي. فقال له يزيد: هات، فما زلتَ مُجيداً محسناً مجملا. فأنشده:

كم من كميٍّ في الهياج تركته ... يهوي لِفيه مُجدّلاً مقتولا(١)
جلّلتَ مفرقَ رأسه ذا رونق ... عضْبَ المهزّة صارماً مصقولا(٢)
قُدْتَ الجيادَ وأنت غرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حرَبْتَ وقد جبرت معاشرا ... وكم امتننت وكم شفيتَ غليلا

فقال له يزيد: سل حاجتك، فقال: ما على الأمير بها خفاء، فقال: قل، قال: إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأميرَ أعزّ الله مع عظم قدره، قال: أجل، فقل يُفعل، فلستَ بما تصير إليه أغبطَ منا، قال: تحملني وتُخدمني وتجزل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرْنَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب:

شِم الغيثَ وانْظُر ويك أين تبعّجتْ ... كُلاه تجدها في يدِ ابن المهلّب
يداه يدٌ يُخْزي بها الله من عصى ... وفي يده الأخرى حياةُ المعصّب

قال: فحسده ثابتُ قُطْنة وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوىً، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضباً، وقال لحاجب يزيد بن المهلّب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا، وإلاّ فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا(٣). (٢٦٦/١٤)

(١٧١)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: أنشد مسلمةُ بنُ عبد

---

(١) الكميّ: الشجاع المتكميّ في سلاحه، وجدّله: صرعه. (٢) جللتَ: علوتَ. وذا رونق: السيف.

(٣) يشبه هذا الموقف ما أشرنا إليه في النص الثاني والتسعين السابق، وهو متعلّق بجرير، إذ يصرّ على الدخول إلى الخليفة وإنشاده، ويرى مَنْعَه سقوطاً له إلى آخر الدهر، إذ يرى حاجب هو الآخر في منعه من الإنشاد هجاءً له ويلحّ على الأمير في إنشاده، وهذا يؤكد تعلّق الشعراء بولاة الأمر، واعتبارهم الدخول عليهم مكرمة كبيرة.

الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قول ثابت قطنة:

ياليت أسْرتك الذين تغيَّبُوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة: وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذ، فسقيتُهم بكأسه، قال: فكانَ مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلبَه(١). (٢٧٨/١٤)

(١٧٢)

أخبرني الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال: حدّثني ابن أبي زريق قال: شبَّبَ عبدُ الرحمن بن حسان برملةَ بنت معاوية فقال:

رمْلَ هل تذكرينَ يومَ غزالٍ إذْ قطعنا مسيرنا بالتَّمنّي
إذْ تقولين عمركَ الله هل شي ءٌ وإنْ جلَّ سوف يُسليكَ عنّي
أمْ هلُ اطمعتُ منكُم بابن حسّا ن كما قد أراك أطمعتَ منّي

قال: فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ففضب، فدخلَ على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج(٢) من أهل يثرب، يتهكّم بأعراضنا ويشبِّب بنسائنا؟ قال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان، وأنشده ما قال، فقال: يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوي القُدرة، ولكن أمهِلْ حتى يقدمَ وفدُ الأنصار ثم ذكّرني. قال: فلمّا قدموا أذكره به، فلما دخلوا عليه قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك تشبِّب برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمتُ أنَّ أحداً أشرفُ به شعري أشرف منها لذكرتُه. قال: وأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإنَّ لها لأختاً؟ قال: نعم. قال: وإنما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعاً فيكذبَ نفسه. قال: فلم يرضَ يزيدُ ما كان من معاوية في ذلك: أن يشبِّب بهما جميعاً، فأرسل إلى كعب بن جُعيل فقال: اهج الأنصار، فقال: أفرق(٣) من أمير المؤمنين؛ ولكن أدلُّك على الشاعر الكافر الماهر. قال: ومن هو؟ قال: الأخطل. قال: فدعا به فقال: اهجُ الأنصار. قال: أفْرقُ من أمير المؤمنين! فقال: لا تخَفْ شيئاً: أنا لك بذلك. قال: فهجاهم فقال:

وإذا نسبْتَ ابنَ الفُريعةِ خلتَه كالجحش بين حمارةٍ وحمارِ(٤)
لعنَ الإلهُ من اليهود عصابةً بالجزْع بين صُليصلٍ وصِرارِ(٥)

---

(١) يشير هذا النص إلى علوّ مكانة الشعر، وتفوّقه على النثر، من حيث التأثير والانتشار.

(٢) العلج: كل جافٍ شديد من الرجال، والحمار. (٣) أفرق: أخاف. (٤) ابن الفُريعة: حسّان بن ثابت، والفُريعة أمُّه، وحمارة وحمار: يعني بذلك أبويه. (٥) صليصل: موضع بنواحي المدينة ومثله صِرار.

قومٌ إذا هدرَ العصيرُ رأيتهم حُمراً عيونُهم من المُصطارِ(١)
خلُّوا المكارم لستُم من أهلها وخُذوا مساحيكم بني النَّجارِ(٢)
إنَّ الفوارس يعلمون ظهوركم أولادَ كلِّ مقبِّح أكَّارِ(٣)
ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا واللؤمُ تحت عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بشيرٍ فدخلَ على معاوية فحسر عن رأسه عمامته، وقال: يا أمير المؤمنين: أترى لؤماً؟ قال: لا بلْ أرى كرماً وخيراً، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا. قال: أو فعل؟ قال: نعم. قال: لله لسانُه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به سأل الرسول ليدخلَ إلى يزيد أوّلاً، فأدخله عليه، فقال: هذا الذي كنتُ أخاف. قال: لا تخفْ شيئاً. ودخل على معاوية فقال: علامَ أرسلَ إلى هذا الرجل وهو يرمي من وراء جمرتنا؟(٤) قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبلْ قوله عليه وهو يدَّعي لنفسه، ولكن تدْعوه بالبيِّنة، فإن ثبُتَ شيئاً أخذته به له. فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها، فخلَّى سبيله. (١٠٦/١٥)

(١٧٣)

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدّثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن بن المبارك قال: شبَّب عبد الرحمن بن حسان بأخت معاوية، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، اقتل عبد الرحمن بن حسان، قال: ولم؟ قال: شبَّب بعمَّتي. قال: وما قال؟ قال قال:

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومللت الثُّواءَ في جيرونِ

قال معاوية: يا بُنيَّ وما علينا من طُول ليله وحزنه أبعده الله؟ قال: إنه يقول:

فلذاكَ اغتربتُ بالشام حتّى ظنَّ أهلي مرجَّماتِ الظنون

قال: يابنيَّ، وما علينا من ظنِّ أهله؟ قال: إنَّه يقول:

هي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغـوّا ص ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ

---

(١) المصطار: الخمر العاصفة.

(٢) المساحي: جمع مسحاة وهي المجرفة من حديد، وقد هجاهم بأنَّهم أهل زراعة. (٣) الأكّار: المرّاث.

(٤) الجمرة: القبيلة التي لا تنضمّ إلى غيرها بحلف أو نحوه في القتال، والمراد هنا الجماعة مطلقاً.

قال: صدق يا بنيّ. قال: إنّه يقول:

وإذا ما نسبتها لم تجدْها في سناء من المكارم دُونِ

قال: صدق يا بنيّ، هي هكذا. قال: إنّه يقول:

ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخضـ ـراء تمشي في مرمرٍ مسنونِ(١)

قال: ولا كلُّ هذا يا بني! ثم ضحك وقال: أتنشدني ما قال أيضاً. فأنشده قوله:

قُبّة من مراجل نصبوها عند حدِّ الشتاء في قيطون
عن يساري إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً فيميني
تجعل النَّدَّ والأُلُوَّةَ والعُـ ـود صلاءً لها على الكانون(٢)
وقبابٌ قد أشْرِجَتْ وبيوتٌ نُطُقت بالريحان والزُّرجُون(٣)

قال: يابني، ليس يجبُ القتل في هذا، والعقوبةُ دون القتل، ولكنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز(٤).
(١٠٩/١٥)

(١٧٤)

حدّثنا الصولي قال: حدّثنا ثعلب قال حدّثني عبد الله بن شبيب قال: مرَّ الحزين الدِّيلي على مجلسٍ لبني كعب من خزاعةَ وهو سكران، فضحكوا عليه، فوقف عليهم وقال:

لا باركَ الله في كعبٍ ومجلسهم ماذا تجمَّعَ من لؤمٍ ومن ضرعِ(٥)
لا يدرُسون كتابَ الله بينهُم ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه، وسألوه الكفَّ وأن لا يزيد شيئاً على ما قاله، فأجابهم وانصرف. (٣٣٢/١٥)

(١٧٥)

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا عمرو بن أبي بكر المؤمّلي قال: حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين قد ضرب على كلِّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين في كلِّ

(١) خاصرتُها: أخذتُ بخصرها وأخذت بخصري. (٢) الألوّة: ضرب من عود البخور.
(٣) أشرجت: تربط أي كما تشرج الخريطة تشدّ أجزاؤها بالعرى والحبال، ونُطُقت: جُعل لها نطاق، والزرجون: الكرم أو قضبانه.
(٤) ينظر النص الرابع والثمانون السابق حيث نُسب الشعر إلى أبي دهبل الجمحي.
(٥) الضَّرَع: الذلّ والمهانة.

شهر، منهم ابن أبي عتيق، فجاءهُ لأخذ درهميه وهو على حمارٍ أعجف، قال: وكثيّر مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين: مَن هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيرَ بن أبي جمعة. قال: وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه ببيت؟ قال: لا لعمري لا آذنُ لك أن تهجو جليسي، ولكن أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين. ودعا له بهما فأصفى ثم قال: لابدَّ لي من هجائه ببيت. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال: ما أنا بتاركه حتّى أهجوه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين؟ فقال له كثير: ائذن له، وما عسى أن يقول فيّ؟ فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

قصير القميص فاحش عند بيته ... يعضُّ القُراد باستهِ وهو قائمُ

فوثب كثيِّر إليه فوكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير: قبحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك، قال كثيِّر: وأنا ظننته يبلغ في هذا كلَّه في بيتٍ واحد! (٣٣٢/١٥)

(١٧٦)

وأخبرني بهذا الخبر عمي تاماً واللفظ له، ولم يذكر الزُّبير منه إلاَّ يسيراً، قال: حدّثنا الكُراني قال: حدّثنا العمري قال: حدّثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزله، فامتدحه وسأله حاجة، فقال له: ليس إلى ما تطلبُ سبيل، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذير، وما كلُّ من سألنا حاجةً استحقَّ أن نقضيها، ولربَّ مستحقٍّ لها قد منعناه حاجته، فقال الحزين: أفمنَ المستحقّين أنا؟ قال: لا والله، وكيف تكون مستحقّاً لشيء من الخير وأنت تشتم أعراضَ الناس وتهتك حريمهم، وترميهم بالمعْضِلات، إنَّما المستحق من كفَّ أذاه، وبذل نداه، ووقم(١) أعداه، فقال له الحزين: أفمن هؤلاء أنت؟ فقال له عمرو: أين تُبعدني لا أمَّ لك من هذه المنزلة وأفضل منها! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول:

حلفتُ وما صبرتُ على يمينٍ ... ولو أُدعى إلى أيمان صبر
بربِّ الراقصات بِشُعثِ قومٍ ... يوافون الجمارَ لصُبْح عشر(٢)
لو أنَّ اللؤم كان مع الثريّا ... لكان حليفه عمرو بن عمرو
ولو أنِّي عرفتُ بأنَّ عمراً ... حليفُ اللؤم ما ضيَّعت شعري

فقال العمري: وحدّثني لقيط أنَّ الحزين قال فيه أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن

---

(١) وَقَم أعداءه: أذلَّهم وقهرهم.

(٢) الرَّاقصات: الإبل ترقص في سيرها وهو ضرب من الخبب، وشعث: جمع أشعث.

الحكم، وجاءه فشكا إليه عمراً، فوصله وأحسن إليه، قال:

إذا لـم يكـنْ للمـرء فضـلٌ يزينُـه ... سـوى مـا ادَّعى يومـا فليس له فضل
وتلقى الفتى ضـخـماً جميـلاً رواؤه ... يروعـك في النـادي وليـس لـه عـقـلُ(١)
وآخـر تنبـو العين عنـه مـهـذَّب ... يجـود إذا مـا الضُّخم نهْنهـهُ البـخل(٢)
فيـا راجياً عـمرو بنَ عـمرٍو وسيبـه ... أتعـرف عـمـراً أم أتـاهُ بك الجـهل
فـإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطئ الفتى ... وإن كـنتَ ذا حـزم إذاً حـارت النبل(٣)
جـهلتَ ابنَ عمرو فالتمس سيب غيره ... ودونـك مرمـىً ليس في جدِّه هـزلُ(٤)
عليك ابنَ مـروان الأغـرُّ مـحـمـداً ... تجـده كـريماً لا يطيش لـه نبـلُ

قال لقيط: فلما أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له: اكففْ يا أخا بني ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك. فقال: لا والله ولا بحُمْرِ النَّعم وسُودِها، لو أعطيتها ما كففتُ عنه، لأنه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ، قليل الخير، متسلِّط على صديقه، فَظٌّ على أهله. «وخير ابن عمرو بالثريا معلق». فقال له محمد بن مروان: هذا شعر. فقال: بعد ساعةٍ يصير شعراً، ولو شئت لعجَّلته. ثم قال:

شـرُّ ابن عـمـروٍ حـاضـر لصـديقـه ... وخـيـر ابن عـمـروٍ بالثـريا مـعلَّـقُ
ووجـهُ ابن عـمـروٍ باسـرٌ إن طلبـتـه ... نـوالاً إذا جـاد الكـريم المـوفـق(٥)
فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدتْ ... كـتـائب فـيـجـاء المـنيَّـة تبـرق
فـلا زال عـمـروٌ للبـلايا دريَّةً ... تبـاكـره حـتَّى يمـوت وتطرق(٦)
يهـرُّ هـريـر الكـلب عـمـرو إذا رأى ... طـعـامـاً فـمـا ينفكُّ يبكي ويشـهقُ

قال: فزجره محمد عنه، وقال له: أفٍّ لك، قد أكثرتَ الهجاء، وأبلغت في الشُّتيمة. (٣٣٦/١٥)

(١٧٧)

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا: أخبرني محمد بن زياد، عن ابن عائشة وأخبرني هاشم بن محمد قال: حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، وخبرُ ابنِ أبي الدُّنيا أتمّ. قال: كان زيادٌ الأعجم صديقاً لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يلي، فقال له عمر: يا أبا أمامة، لو قد

---

(١) الرُّواء: المنظر. والنادي: المجلس والمحفل. (٢) نهنهه: كفَّه ومنعه.
(٣) حارت النبل: أي ضلَّت سهامك سبيل القصد. (٤) سيب: عطاء.
(٥) باسر: كالح. (٦) الدريَّة: مسْهل الدريئة، وهي الحلقة يُتعلَّم الطعن والرمي عليها، وتطرق: تجيئه ليلاً.

وليتَ لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبداً. فلما ولي فارسَ قصدهُ، فلمَّا لقيه أنشأ يقول:

أبلغْ أبا حفص رسالةَ ناصح ... أتَتْ من زيادٍ مستبينا كلامُها
فإنَّكَ مثلُ الشَّمس لاستترَ دونها ... فكيف أبا حفص عليَّ ظلامُها

فقال له عمر: لا يكون عليك ظلامَها أبداً.فقال زياد:

لقد كنتُ أدعو الله في السِّرِّ أن أرى ... أمورَ معدٌّ في يديك نظامُها

فقال له: قد رأيتَ ذلك. فقال:

فلما أتاني ما أردتُ تباشرتْ ... بناتي وقلنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال: فهو عامهن إن شاء الله تعالى. فقال:

فإنّي وأرضاً أنت فيها ابنَ معمرٍ ... كمكَّة لم يطْربْ لأرضٍ حمامها(١)

قال: فهي كذلك يا زياد. فقال:

إذا اخترتَ أرضاً للمقام رضيتُها ... لنفسي ولم يثقُلْ عليَّ مُقامُها
وكنتُ أمنِّي النفسَ منك ابنَ معمر ... أمانيَّ أرجو أن يتمَّ تمامُها

قال: قد أتمها الله عليك. فقال:

فلا أكُ كالمُجْري إلى رأسِ غايةٍ ... يُرجِّي سماءً لم يصبْهُ غمامُها

قال: لستَ كذلك فسلْ حاجتك. قال: نجيبةٌ ورحالتها(٢)، وفرسٌ رائع وسائسُه، وبَدْرةٌ وحاملها، وجاريةٌ وخادمُها، وتختٌ(٣) ثيابٍ ووصيف يحمله. فقال: قد أمرنا لك بجميع ما سألت، وهو لك علينا في كلِّ عام. فخرج مِنْ عنده حتَّى قدم على عبد الله بن الحشْرج وهو بسابُور، فانزله وألطفه(٤)، فقال في ذلك:

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحشْرجِ
ملكٌ أغرُّ متوَّجٌ نو نائلٍ ... للمُعْتفين يمينُه لم تشنجِ
يا خيرَ من صعدِ المنابر بالتقى ... بعد النَّبيِّ المصطفى المتحرِّجِ
لما أتيتُك راجياً لنوالكمْ ... ألفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٣٨٥/١٥)

---

(١) الطرب: الشوق. (٢) النجيبة: الناقة الكريمة، والرحالة: الرحل.

(٣) التخت: وعاء يصان فيه الثياب. (٤) ألطفه: أتحفه بالهدايا والألطاف.

(١٧٨)

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُرانيّ عن العمريّ، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: مرّ يزيد بن حبْناء الضبيّ بزيادٍ الأعجم وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغْرِب، فأفحش فيه، فقال له يزيدُ بن حبناء: ألم يأنِ لك أن ترعوي وتتركَ تمزيق أعراضِ قومك، ويْحك! حتّى متى تتمادى في الضلال، كأنّك بالموت قد صبُحك أو مسّاك! فقال زياد فيه:

يحذّرني الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى الموتِ يغدو جاهداً ويروحُ
وكلُّ امرئٍ لابدَّ للموتِ صائرٌ ... وإن عاشَ دهراً في البلادِ يسيحُ
فقلْ ليزيدٍ يابنَ حبْناء لا تعِظْ ... أخاك وعظْ نفساً فأنت جنوحُ
تركتَ التُّقى والدينُ دينُ محمدٍ ... لأهلِ التُّقى والمسلمين يلوحُ
وتابعتَ مُرّاق العراقين سادراً ... وأنتَ غليظ القُصْريينِ صحيحُ(١)

فقال له يزيد بن عاصم الشَّنيّ: قبحك الله، أتهجو رجلاً وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلاّ كففتَ إذا لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك ثم لا تحْبِقُ فيك عنْزان، اذهبْ ويحك فأتِه واعتذر إليه لعلّه يقبلُ عذرك. فمشى إليه بجماعةٍ من عبد القيس فشفعوا إليه فيه، فقال: لا تثريبَ، لستُ واجداً عليه بعد يومي هذا. (١٥/٣٩٠)

(١٧٩)

أخبرني أحمد بن علي قال: سمعت جدي علي بن يحيى يحدث عن أبي الحسن عن رجل من جُعفيٍّ قال: كنتُ جالساً عند المهلّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب، فلما رآه المهلّب قال: اللّهم إني أعوذُ بك من شرّه! فجاء فقال: أصلحَ الله الأمير، إنّي قد مدحتك ببيتٍ صفدُه(٢) مائة ألف درهم. فسكت المهلّب، فأعاد القول فقال له: أنشدهْ. فأنشده:

فتىً زادَهُ السُّلطانُ في الخير رغبةً ... إذا غيَّرَ السُّلطانُ كلُّ خليلِ

فقال له المهلّب: يا أبا أمامة، مائة ألف؟! فوالله ما هي عندنا ولكنْ ثلاثون ألفاً فيها عُروضٌ(٣). وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعْجم. (١٥/٣٩١)

---

(١) المُرّاق: الخوارج جمع مارق، والقُصْرَيان: مثنّى القصرى وهي آخر ضلع في الجنب أسفل الأضلاع.

(٢) صفّده: عطاؤه.

(٣) عروض: حاجة.

(١٨٠)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال حدّثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه؛ أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبيّ. وأخبرني عمي قال: حدّثنا الكرانيّ قال: حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ، قالوا: خرج أعشى همدان إلى الشأم في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله. فكلم له النعمان اليمانية، وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له، فقالوا: نعم، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه، فقال: أعطوه ديناراً، واجعلوا ذلك معجلاً. فقالوا له: أعطه إياه من بيت المال، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه. ففعل النعمان ذلك، وكانوا عشرين ألفاً، فأعطاه عشرين ألف دينار، وارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أرَ للحاجات عند التماسها ... كنعمانَ نعمانِ الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور(١)
متى أكفرِ النعمان لا ألف شاكرا ... وما خير من لا يقتدي بشكور(٢)
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ... ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير(٣) (٣٣/١٦)

(١٨١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيب بن نصر المهلّبي قالا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا يحيى الزبيري قال حدثني ابن أبي زريق قال: شبّب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية، فقال:

رملَ هل تذكرين يوم غزال ... إذ قطعنا مسيرنا بالتمني
إذ تقولين عمْرك الله هل شيء ... وإنْ جلّ سوف يُسْليك عني
أم هلُ اطمعْتُ منكم يابن حسا ... ن كما قد أراك أطمعتَ مني

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العلج من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يايزيد؛ ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوي القدرة، ولكن

---

(١) مُدْلٍ: مُعْطٍ. (٢) أكفر: أنكر فضله.
(٣) النقير: الشيء القليل.

أمهل حتى يقدم وفد الأنصار، ثم أذكرني به. فلما قدموا أذكره به فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغني أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحداً أشرف لشعري منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعاً، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية في ذلك، فأرسل إلى كعب بن الجُعيل، فقال: اهجُ الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهج الأنصار. فقال: أفرق من أمير المؤمنين. قال: لا تخف شيئاً، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفُريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإله من اليهود عصابة ... بالجِزْع بين صُليصل وصُدار
قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم ... حمرا عيونُهم من المُسْطار
خلُّوا المكارم لستُم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار
إن الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولادَ كل مقبَّح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما؟ قال: بل أرى كرما وخيراً. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أو فعل ذلك؟ قال: نعم. قال: لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذي كنت أخاف. قال: لا تخف شيئاً. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أرسل إلى هذا الرجل الذي يمدحنا، ويرمي من وراء جمْرتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، وهو المدعي لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئاً أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإني غداة استعبرتْ أم مالك ... لراضٍ من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه ... تجللتُ حِدْبارا من الشر أنكدا(١)
فكم أنقذتني من خطوب حباله ... وخرْساء لو يُرْمى بها الفيل بلَّدا(٢)
ودافع عني يوم جِلَّقَ غمرة ... وهمّا ينُسيني الشراب المبرّدا(٣)

---

(١) تجللت: علوت، والحدبار من النوق: الضامرة التي قد يبس لحمها من الهزال وبدا عَظْمُ ظهرها وجعل ذلك مثلاً للأمر الصعب. (٢) الخرساء: الداهية، وبلَّد: ضعف واستكان. (٣) الغمرة: الشدّة.

وبات نجـيّاً في دمـشق لحـيـةٍ إذا همَّ لم ينمِ السليمُ وأقـصـدا(١)
يُخـافـتـه طورا، وطورا إذا رأى من الوجـه إقـبـالا ألحّ وأجـهـدا
أبا خـالد دافـعت عني عظيـمـة وأدركت لحـمي قـبل أن يتـبـددا
وأطفـأت عني نار نعمان بعدما أغـذَّ لأمـر فاجـر وتجـردا(٢)
ولما رأى النعمان دوني ابن حرّة طوى الكشح إذ لم يستطعني وعرّدا(٣) (٣٤/١٦)

(١٨٢)

حدّثني عمي، قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال: لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادُّي أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوماً آووا رسول الله (ص) ونصروه؟! قال: أما إذا كنت غير فاعل فأرشدني إلى من يفعل ذلك. قال: غلام منا خبيث الدين نصراني، فدلَّه على الأخطل. (٣٧/١٦)

(١٨٣)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: اجتمع محمد بن بشير الخارجيّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكة، فوافقا نسوة من بني غِفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت واحدة منهن تحدّث الخارجيّ، وتستنشده شعره حتى أصبحوا؛ فقال لهم رجل مر بهم: أما تبرحون عن هذا الشعر وأنتم حُرُم، ولا تدعون إنشاده وقول الزور في المسجد! فقالت المرأة: كذبت لعمر الله، ما قول الشعر بزور، ولا السلام والحديث حرام على محرم ولا محل. فانصرف الرجل(٤). (١١٦/١٦)

(١٨٤)

أخبرني عيسى، قال: حدّثني الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال: وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص، فمطله، فقال فيه يذمه، ويمدح زيد بن الحسن بن علي عليه السلام:

لعلك والموعـــود حق وفـــاؤه بدا لك في تلك القلـــوص بـداءُ(٥)

---

(١) نجيّاً هنا: الرجل الدامي الشديد، والسليم: الملدوغ، وأقصدت الحيّة الرجل: إذا عضّته فمات في مكانه.
(٢) أغذّ: أسرع. (٣) عرّد: انحرف، يُنظر النصّ الثاني والسبعون بعد المئة السابق ففيه الخبر نفسه.
(٤) هذا رأي امرأة من عامّة الناس، وهو يشير إلى رأي المجموع والكافّة من الناس، ويدلّ على مدى الأهمية التي تمتّع بها الشعر عند العرب، ولعصور متلاحقة.
(٥) بدا بَداء: أي بدا لك أمر جديد فغيّر ما كنت تريد فعله.

فإن الذي ألقى إذا قال قائل ... من الناس: هل أحسستها لعناء(١)
يقول الذي يبدي الشَّماتَ وقوله ... عليٌّ وإشمات العدوّ سواء
دعوتُ - وقد أخلفتني الوعد - دعوة ... بزيد فلم يضْلِل هناك دعاء
بأبيض مثل البدر عظْم حقه ... رجال مِنَ آل المصطفى ونساء

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقلوص من خيار إبله، فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلْعة ... نفى جدبها واخضرَّ بالنبت عودها(٢)
وزيد ربيع الناس في كل شتْوة ... إذا أخلفت أنواؤها ورعودها
حمول لأشناق الديات كأنه ... سراج الدجى إذا قارنته سعودها(٣) (١٢٣/١٦)

(١٨٥)

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدّثنا الزبير قال: حدثنا سليمان بن عياش قال: لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعضادتي الباب، وقال:

أعينيّ جودا بالدموع وأسعدا ... بني رحم ما كان زيدٌ يُهينُها
ولا زيدَ إلا أن يجود بعبرة ... على القبر شاكي نكبة يستكينها(٤)
وما كنتَ تلقي وجهَ زيد ببلدة ... من الأرض إلا وجهُ زيد يزينها
لعمر أبي الناعي لعمْتَ مصيبةً ... على الناس واختصت قُصيّاً رصينها(٥)
وأنّى لنا أمثالُ زيد وجدُّه ... مبلِّغُ آيات الهدى وأمينُها
وكان حليفيه السماحةُ والنّدى ... فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غُدوةً ترمي لُؤيَّ بن غالب ... بجعْد الثُّرى فوق امرذ ما يشنيها
أغرُّ بطاحيٌّ بكت من فراقه ... عُكاظُ فبطحاء الصفا فحجونها(٦)
فقل للتي يعلو على الناس صوتُها ... ألا لا أعان اللهُ مَنْ لا يُعينها

---

(١) أحسستها: استفدتها، وجاء في خزانة الأدب (٢١٦/٩)، وقوله لَعَناء خبر إنّ الذي ألقى. يقول: إن قلتُ للسائل الشامت إنّي أفدتُها فقد كذبت، وكذبي وإشمات العدوّ سواءٌ.

(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض. (٣) الأشناق: مفردها الشَّنَق وهي دية الجراحات.

(٤) يستكينها: يخضع لها ويذلّ، يقول: ذهب زيد فلا يعرف قدره إلاّ مَنْ أصابته نكبة شديدة فلم يجد مَنْ يُعينه، فوقف على قبره يبكيه.

(٥) الرصين هنا: المصيبة الثقيلة. (٦) بطاحي: نسبة إلى بطحاء مكة، يعني هو من ذروة قريش ووسطها.

وأرملـةٍ تبكي وقـد شُقَّ جيـبُهـا عليـه فـأبت وهي شُعْث قـرونهـا(١)
ولو فقهت ما يفقـه الناسُ أصبحت خواشـع أعـلامُ الفـلاة وعينهـا(٢)
نعـاه لنـا النـاعي فظلنـا كـأننا نرى الأرض فيهـا آيةً حـان حينهـا
وزالـت بنـا أقـدامـنا وتقلبـتْ ظهـورُ روابيـهـا بنـا وبطونهـا
وآب ذوو الألبـاب مـنـا كـأنمـا يرون شـمـالا فـارقـتـهـا يمينهـا
سـقى الله سُقْيـا رحمـةٍ تُربَ حُفـرة مـقـيـم على زيدٍ ثراهـا وطينهـا

قال: فما رُؤي يوم كان أكثر باكياً من يومئذ. (١٣١/١٦)

(١٨٦)

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني النوفليّ قال: حدّثني عمي قال: لما قدم الفضل اللّهبيّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها. فلما قدم الأحيحي على المهديّ فمدحه، قال المهدي لمن حضر: كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهبيّ لما مدحه، فما أعلم هاشمياً مدحه غيره؟ فقيل له: أعطاه عشرة آلاف درهم. قال: فكم أعطاه الوليد؟ قالوا: مثل عطية أبيه. فأمر للأحيحيّ بثلاثين ألف درهم. (١٨٢/١٦)

(١٨٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة، قال: حدّثني أحمد بن معاوية، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان بالشام، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له، ومعه بغلة تُجنب، فحدا حادي عبد الملك به، فقال:

يأيهـا البكـر الذي أراكـا عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا(٣)
ويلك هل تعلم من عـلاكـا إن ابن مـروان على ذُراكـا
خليـفـة الله الذي امـتطاكـا لم يعْلُ بكرا مـثلُ من عـلاكـا

فعارضه الفضل اللّهبي، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس، فقال:

يأيهـا السـائل عن عليّ سـألت عـن بدر لنا بدريّ
أغلب في العليـاء غـالبيٌّ وليِّنِ الشـيـمـةِ هاشـمي

---

(١) قرونها: شعرها. (٢) أعلام الفلاة: جبالها، والعين: جمع عيناء أي واسعة العينين يريد بقر الوحش.
(٣) البكر: الجمل.

فنظر عبد الملك إلى علي فقال: أهذا مجنون آل أبي لهب؟ قال: نعم. فلما أعطى قريشاً مرَّ به اسمه فحرمه، وقال: يعطيه عليّ. هكذا رواية عُمر بن شبة. وأخبرني ابن عمار بهذا الخبر عن علي بن محمد بن النوفليّ عن عمه: أن سليمان بن عبد الملك حج في خلافة الوليد، فجاء إلى زمزم فجلس عندها، ودخل الفضل اللُّهبيّ يستقي، فجعل يرتجز ويقول:

يأيها السائل عن عليّ ... سألت عن بدرٍ لها بدريّ
مقدَّم في الخير أبطحيّ ... ولينِ الشيمةِ هاشميّ
زمزمنا بوركتِ من ركيّ ... بوركتِ للساقي وللمستقيّ(١)

فغضب سليمان، وهم بالفضل. فكفه عنه عليّ بن عبد الله، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه، فأخذه من يديه كالمتعجب، ثم قال: نعم إنه يستحب، ووضعه في يده ولم يشربه. فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئاً. (١٨٣/١٦)

(١٨٨)

قال: ولمّا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في الحبس:

إمَّا خُطايَ تقاربَتْ ... مشْيَ المقيَّد في الحصارِ
فبما أمشّي في الأبا ... طحِ يقتفي أثري إزاري
دع ذا ولكنْ هل ترى ... ناراً تُشَبُّ بذي مُرار(٢)
ما إن تُشَبُّ لقُرَّة ... للمصطلين ولا قُتار
ما بالُ ليلكَ ليس ينـ ... ـقُص طُوله طولُ النهار
لتقاصُرِ الأزمانِ أم ... غرضِ الأسيرِ من الإسارِ؟(٣)

قال: فبلغت أبياتُه معاويةَ، فرق له وأطلقه. فرجع إلى مكة. (١٩٩/١٦)

(١٨٩)

أخبرني عمي قال: حدّثنا أبو هفان قال: أخبرني أبو محلم عن المفضل قال: أخذ حمزة بن

---

(١) الركيّ: البئر.

(٢) ذو المرار: أرض كثيرة المرار وهو حمض أو شجر مرّ من أفضل المشب وأضخمه إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها، فبدت أسنانها. (٣) الغرض: الضجر والقلق.

بيض الحنفيُّ بالشعر ألف ألف درهم، من مال وحُملان(١) وثياب ورقيق وغير ذلك. (٢٠٢/١٦)

(١٩٠)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الأثرم، عن أبي عمرو، وأخبرني وكيع قال: حدّثني عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان، قال: حدّثني أبو الحسن الشَّيباني قال: حدّثني شعيب بن صفوان، قال: قدم حمزة بن بيض على مخْلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت، فأنشده قوله فيه:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقل مرحبا يجبِ المرحبُ
ولا تكلنّا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدبٍ منهمُ ما نشأت ... ونعْم لعمركُ ما أدّبوا
بلغت لعشر مضت من سنيـ ... ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُّك فيها جسام الأمور ... وهمُّ لداتك أن يلعبوا
وجُدْتَ فقلتَ ألا سائل ... فيعطى ولا راغبٌ يرغب
فمنك العطية للسائلين ... وممن ينوبك أن يطلبُوا

فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها. قال وكيع في خبره: وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها. وقال أيضاً في خبره: فحسده الكميت. فقال له: يا حمزة، أنت كمُهْدي التمر إلى هجر، قال: نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر. (٢٠٣/١٦)

(١٩١)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا السُّكْن بن سعيد، عن محمد بن عباد، قال: دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلب السجن، فأنشده:

أغلِق دون السماح والجود والنـ ... ـجدة بابٌ حديدهُ أشبُ(٢)
ابنُ ثلاث وأربعين مضت ... لا ضَرِع واهن ولا نكِب(٣)
لا بطِر إن تتابعت نِعَم ... وصابر في البلاء محتسب
برُزْتَ سبقَ الجواد في مهل ... وقصَّرتْ دون سعيك العرب

(١) الحملان: الدّواب التي تحمل الهبات خاصة. (٢) الأشب: المرتفع القويّ.
(٣) الضرع: الضعيف الجبان، والنكِب: مَنْ يعدل عن الشيء كسلاً أو جبناً.

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمي في غير وقت تنويه، ولا منزل لك، ثم رفع مقعداً تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال: خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهباً غيره. فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه، فقال له سرا: خذه ولا تخْدع عنه. فقال حمزة: فلما قال لي: لا تخدع عنه، قلت: والله ما هذا بدينار، فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً، فأردت أن أردُّه عليه، فاستحييت منه. فلما صرت إلى منزلي حللت الصرة، فإذا فص ياقوت أحمر، كأنه سقط زنْد، فقلت: والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، ليُعْلمنّ أني أخذته من يزيد، فيؤخذ مني، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما قبضت المال وصار الفص في يده، قال لي: والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف في قلبي جمرة، فلما رأى تغير وجهي قال: إني رجل تاجر، ولست أشك أني قد غممتك. قلت: إي والله وقتلتني . فأخرج إليّ مائة دينار، فقال: أنفق هذه في طريقك، لتتوفر عليك تلك. (٢٠٩/١٦)

(١٩٢)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثنا عبد الأوّل بن مزيد، قال: حدّثنا العُمري عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرني مخْلد بن حمزة بن بيض قال: قدم أبي على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك، فأدخله إليه، فأنشده:

ساس الخلافة والداك كلاهما ... من بين سخْطه ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا ... وعلى جبينك نُور ملك الرابع
سرُّيتَ خوف بني المهلَّب بعدما ... نظروا إليك بسمِّ موتٍ ناقع
ليس الذي ولاك ربُّك منهمُ ... عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفا. (٢١٠/١٦)

(١٩٣)

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد بن إسحاق: قرأت على أبي: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلَّب، وهو في حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه:

أصبح في قيدكَ السماحة والـ ... حامـلُ للمعضلات والحسبُ
لا بطرٌ إن تتابعت نعمٌ ... وصابرٌ في البلاء محتسبُ

فقال له: ويحك أتمدحني على هذه الحال؟ قال: نعم، لئن كنتَ هكذا لطالما أثبْتَ على الثناء،

فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلفك الآن. قال: أما إذ جعلته سلفا فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك. وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال: قاتله الله! يعطي في الباطل، ويمنع الحق، يعطي الشعراء، ويمنع الأمراء(١). (٢١٠/١٦)

(١٩٤)

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو قال: حدّثني جعفر بن محمد العاصميّ قال: حدّثني عُيينة بن المنهال قال: حدّثني الهيثم بن عديّ قال: حدّثني أبو يعقوب الثقفيّ قال:

قال لي حمزة بن بيض: لما وفد الكُميت بن زيد إلى مخْلد بن يزيد بن المهلّب وهو يخلُف أباه على خراسان، وكان واليها وله ثماني عشرة سنة، وقد مدحه بقصيدته التي أوّلها:

هلا سألتَ معالم الأطلالِ

وهي التي يقول فيها:

يمشين مشي قطا البطاحِ تئوُّدا قُبّ البطــون رواجــح الأكفــالِ

وقصيدته التي يقول فيها: هلا سألت منازلا بالأبرقِ

أعطاه مئة ألفِ درهم، سوى العُروض والحُمْلان، فقدم الكوفة في هيئة لم يُرَ مثلها، فقلت في نفسي: والله لأنا أولى من الكميت بما ناله من مخْلد بن يزيد، وإني لحليفه وناصره في العصبية على الكميت، وعلى مُضر جميعا. فهيأت لمخْلد مديحاً على رويّ قصيدتي الكميت وقافيتيهما، ثم شخصت إليه، فلما كان قبل خروجي إليه بيوم، أتتني جماعة من ربيعة في خمس ديات عليهم لمضر في البدو، فقالوا: إنك تأتي مخْلداً وهو فتى العرب، ونحن نعلم أنك لا تُؤثر على نفسك، ولكن إذا فرغَ من أمرك، فأعلمه ممشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا،

---

(١) يصدر عمر بن عبد العزيز ويزيد بن المهلب عن منهجين مختلفين، يتّفقان مع ما عُرِف عنهما. وقد رأينا ـ فيما سبق ـ كيف أوقف عمر مَنْح الهبات للشعراء من بيت المال وفق منظور إسلامي مسؤول، وهو هنا يرى الإنفاق في وجه من وجوه الباطل، بينما يراه يزيد مكرمة، وتسجيلاً للمآثر، ولم يمنعه السجن، وسوء الحال من الاستمرار على تلك العادة. وسنرى في النص القادم (١٩٤) أنّ مخلد بن يزيد يسير على نهج والده في الإنفاق، ولم يتوقف عن إعطاء الكميت وحمزة آلاف الدراهم، بل يقطع شوطاً بعيداً مع حمزة فيصبح مستعداً أن يهبه خراج خراسان جميعه إن هو استمر في الطلب، ولم يكن عمر بن عبد العزيز ليرضى عن هذا، فكيف يتّفقان؟

فلما قدمت على مخلد خُراسان أنزلني، وفرش لي، وأخْدمني، وحملني، وكساني، وخلطني بنفسه، فكنت أسمرُ معه، فقال لي ليلة: أعليك دين يابن بيض؟ قلت: دعني من مسئلتك إيّاي عن الدين، إنّك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة، ولم أعيِّر بتقصيرك بي عنه. فضحك، ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت. فأمر لي بمئة ألف درهم، كما أعطى الكميت، وزادني عليه، وصنع بي في سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة بحاجة القوم في الديات، فلما جلس أنشدته:

أتيناك في حاجة فاقضها ... وقُلْ مرحباً يجب المرحبُ
ولا تكلنّا إلى معشر ... متى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة ... لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأتَ ... ونِعْم لعمرُك ما أنْبوا
بلغت لعشرٍ مضت من سنيـ ... ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُّك فيها جسام الأمورِ ... وهمٌّ لداتك أن يلعبوا

فقال: مرحباً بك وبحاجتك، فما هي؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت: حمالات في ديات. فتبسم، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم. فقلت: أو غير ذلك أيها الأمير؟ قال: وما هو؟ قلت: أدلُّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده. فتبسم، ثم قال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت: بل أدلُّ على قبر المهلب، فقال: زده يا غلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكررها ويزيدني عشرة آلاف، حتى بلغت سبعين ألفاً. فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت: وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاك. فقال مخلد: أما والله لو أقمت على كلامك، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه. (٢١١/٦)

(١٩٥)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدّثني إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، قال: حدّثني أبو عمر العُمريّ، قال: حدثني عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحدثان قال: قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب، فوعده أن يصنع به خيراً، ثم شُغل عنه، فاختلف إليه مراراً، فلم يصل إليه، وأبطأت عليه عدته، فقال ابن بيض:

أمخْلدَ إن الله ما شاء يصنع ... يجود ويعطي من يشاء ويمنعُ
وإنّي قد أملت منك سحابة ... فحالت سرابا فوق بيداء تلمع

فاجمعت صرما ثم قلتُ: لعله ... يثوب إلى أمر جميل فيرجع(١)
فأياسني من خير مخلد أنه ... على كل حال ليس لي فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه ... من البغض والشنآن أمسى يُقطَّعُ(٢)
ويبخل بالمعروف عمن يسودُه ... فوالله ما أدري به كيف أصنع؟
أأصرمه فالصرم شرٌّ مغبةً ... ونفسي إليه بالوصال تطلّع
وشتان بيني في الوصال وبينه ... على كل حال أستقيمُ ويَظْلَع(٣)
وقد كان دهراً واصلاً لي مودةً ... ويمنعني من صرف دهري أضرع(٤)
وأعقبني صُرْما على غير إحنة ... وبخلا وقِدْما كان لي يتبرع(٥)
وغيُّره ما غيّر الناسَ قبله ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

ثم كتبها في قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام: من صاحب الكتاب؟ قال: لا أعرفه. فأدخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال: لا أدري، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بيض، فأمر به فضُرب عشرين سوطاً على رأسه، وأمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال: إنما ضربناك أدباً لك، لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها. قال الرجل: لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتاباً لمن أعرف، ولا لمن لا أعرف. قال له مخْلد: احذر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعي؛ وبعث إلى ابن بيض، فقال له: أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال: لا. فحدثه مخْلد بقصته، فقال ابن بيض: والله، أصلحك! الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سوْطاً مع الخمس مائة أبداً. فضحك مخْلد، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخمسة أثواب، وقال: وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبداً. قال: أجلْ والله، ولكن من لي بمثلك يُعتبُني إذا استعتبته، ويفعل بي مثل فعلك؟ ثم قال:

وأبيض بُهْلُولٍ إذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذي جئت أسألُ(٦)
ويُعْتبُني يوماً إذا كنت عاتبا ... وإن قلت، زدني: قال: حقاً سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذي جئتَ تسألُ
فللّه أبناءُ المهلّب فتيةٌ ... إذا لقحتْ حرب عوانٌ تأكّلُ(٧)

---

(١) الصرْم: الفراق. (٢) الشنآن: الكُرْه والبغض.
(٣) يظلع: يعرج في مشيه، ويريد هنا أنّه يطلب الودّ ولكنّ الآخر ليس مثله. (٤) أضرع: أذلّ.
(٥) إحنة: عداوة وحقد. (٦) البهلول: السيّد الكريم. (٧) لقحت: اشتعل نارها والقوان: مستعرة قوية.

هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كائنٌ بسُمْر القنا والمشرفيةُ من علُ(١)
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم سمام لأقوام ذُعافٌ يُثمِلُ(٢)
وفي ليَ أبناءُ المهلَّب إنهم إذا سئلوا المعروف لم يتسعلّوا
فذلك ميراث المهلَّب إنه كريم نماه للمكارم أوّل
جرى وجرت آباؤه فتحرّزوا عن الذمِّ في عيطاء لا تتوقّل(٣)

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات، أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة أثواب، وقال: نزيدك ما زدتنا، ونضعف لك. فقال:

أمخلّد لم تترك لنفسي بُغْيةً وزدت على ما كنت أرجو وأملُ
فكنتَ كما قد قال معْنٌ فإنه بصير بما قد قال إذ يتمثّلُ
وجدْتُ كثير المالِ إذ ضنَّ مُعْدماً يذُمُّ ويلْحاه الصديق المؤمِّل
وإنَّ أحقَّ الناس بالجودِ من رأى أباه جواداً للمكارم يُجْزِلُ
وجدتَ يزيداً والمهلَّبَ برُزْا فقلت: فإني مثلَ ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية يُقصِّر عنها السابق المتمهِّل
فأنت غياث لليتامى وعصمة إليك جمال الطالبي الخير تُرحل
أصاب الذي رجّى نداك مخيلةٌ تصُبّ عزاليها عليه وتهطل(٤)
ولم تّلفَ إذ رَجُّوا نوالك باخلا تضن على المعروف والمالُ يُعْقَلُ
وموت الفتى خير له من حياته إذا كان ذا مال يضنُّ ويبخل

فقال له مخلد: احتكِمْ، فأبى، فأعطاه عشرة آلاف دينار وجارية وغلاماً وبرْذَونا. (٢٢٠/١٦)

(١٩٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا إسحاق بن محمد النُخَعيّ قال: حدّثنا قال: حدّثنا أبو المعارك الضَّبيّ قال: حدّثني أبو مسكين قال: دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

---

(١) كائن: قريب. والقنا: الرماح، والمشرفية: السيوف.
(٢) ذعاف: سمّ قاتل من ساعته، ويثمل: سمٌّ نُقع أيلماً حتى اختمر.
(٣) العيطاء: الهضبة المرتفعة، وتتوقّل: يُصعد فيها، ويلحاه: يلومه.
(٤) العزالي: جمع عزلاء، وهي مصبُّ الماء من القربة.

رأيتك في المنام شننت خزا عليّ بنفْسجاً وقضيت ديني(١)
فصدق يا فدتْك النفس رؤيا . رأتها في المنام لديك عيْني

فقال سليمان: يا غلام أدخله خزانة الكسوة، واشْنُن عليه كل ثوب خزٍّ بنفْسجيٍّ فيها: فخرج كأنّه مشجب(٢). ثم قال له: كم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها. (٢٢٤/١٦)

(١٩٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدثني أبو غسّان، عن عبد العزيز بن أبي ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز: أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يلْحق به، وكان بفلسطين أو بالأردنّ، فعرض له يحيى بن الحكم، فقال له أين تريد؟ قال: أريد أمير المؤمنين. قال: وما تصنع به؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها، وأربع مئة دينار لزينب، ولك عندي ثلاثون ألف دينار، سوى صداق زينب. فقال المغيرة: أو تنقل إليّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه المال، فتجهز المغيرة، وسيّر ثقله، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبدالملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له: يا أمير المؤمنين، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاه إياها، ورجع إلى منزله. ففضب على يحيى، وخلعه عن ماله، وعزله عن عمله، فجعل يحيى يقول:

ألا لا أبالي اليوم ما فعل الدهرُ إذا بقيت لي كعكتان وزينب

قال: وكانت زينب تسمى المُوصلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها في حياة جده عبد الملك، ولما عقد النكاح بَيْنَهما، عقد في مجلس عبد الملك، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد، ويقولوا في ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعديّ بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عديّ لموضعه منهم، فقال:

قمرّ السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلهما من ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها وتهنّيا طول الحياة معا

وقال جرير:

---

(١) من معاني الشنّ، الماء يقطر من القربة، فكأنّه قال له أفِضْ عليّ أو أعطني خزّاً، والمشجب: ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة.

(٢) جعل الحرب قدراً فهي تفور وتغلي مثله.

جمع الأمير إليه أكرم حرةٍ ... في كل ما حالٍ من الأحوال
حكميُّة علتِ الروابي كلُّها ... بمفاخر الأعمام والأخوال
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ ... فخرتْهمُ بالسيِّد المفضال
عبد العزيز ومن يكلِّف نفسه ... أخلاقه يلْبَثْ بأكسف بال
هنائكم بمودّة ونصيحة ... وصدقت في نفسي لكم ومقالي
فلتهنك النِّعم التي خُوِّلتها ... يا خير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم، ولعديّ بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة. (٢٧٦/١٦)

(١٩٨)

أخبرنا محمد بن خلف بن المرْزبان. قال حدّثني إسحاق بن محمد الأموي قال: لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة، فدخلوا إليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس الأعمى، فلما رآه عبد الملك قال: مرْحباً مرحباً بك يا أبا العباس، أخبرني بخبر المُلحِد المُحِل (يقصد عبد الله بن الزبير) حيث كسا أشياعه ولم يكسك، وأنشدني ما قلت في ذلك.

فأخبره بخبر ابن الزبير، وأنه كسا بني أسد وأحلافها ولم يكسه، وأنشده الأبيات. فقال عبد الملك: أقسم على كل من حضرني من بني أمية وأحلافهم. ومواليهم، ثم على كل من حضرني من أولياني وشيعتي على دعوتهم، إلا كسا أبا العباس.

فخُلعت والله حُلل الوشي والخز والقُوهيّ، وجُعلت تُرمى عليه، حتى إذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه، قال: حتى رأيت في الدار من الثياب ما ستر عني عبد الملك وجلساءه، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم. (٣٠٤/١٦)

(١٩٩)

وقد أخبرني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال: حدّثنا النَّوْفليّ عليّ بن محمد بن سليمان أبو الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتّهم خالد بن عبد الله ـ وكان يُقال: إنه يريد خلْعك ـ فوُجد بباب هشام يوماً رُقعةٌ فيها شعر، فدُخل بها على هشام فقُرئت عليه، وهي:

تألّقَ برْقٌ عندنا وتقابلَتْ ... أثافٍ لقدْرِ الحرْبِ أخْشى اقْتبالها

فدونك قِدْرَ الحرْبِ وهي مُقِرَّةٌ لكفَّيك واجعل دُونَ قِدْرٍ جعالها(١)
ولن تنتهي أو يبلغ الأمْرُ حدَّه فنلْها برِسْلٍ قبل ألاَّ تنالها(٢)
فتجشَم منها ما جشمتَ مِنَ التي بسُوراء هرْت نحو حالكَ حالها(٣)
تلافَ أمورَ الناس قبل تفاقُمٍ بعقْدةِ حزْمٍ لا تخافُ انحلالها
فما أبرم الأقوامُ يوْماً لحيلةٍ مِنَ الأمر إلاَّ قلْتوكَ احتيالها
وقد تُخبِرُ الحرْبُ العوانُ بسرِّها - وإن لم تُبِحْ - منْ لا يُريدُ سؤالها

فأمر هشام أن يجمع له مَنْ بحضرته من الرُّواة، فجُمعوا، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم، فقال: شعرُ مَنْ تُشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً مِنْ ساعتهم أنه كلام الكُميت بن زيد الأسديّ، فقال هشام: نعم، هذا الكميت يُنْذرُني بخالد بن عبد الله. ثم كتب إلى خالد بخبره، وكتب إليه بالأبيات وخالدٌ يومئذ بواسط.

فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمُره بأخْذِ الكميت وحبْسه، وقال لأصحابه: إنه بلغني أنَّ هذا يمدحُ بني هاشم ويهجُو بني أمية، فأتوني من شعره هذا بشيء. فأتي بقصيدته اللامية التي أوّلها:

ألا هلْ عمٍ في رأيهِ مُتأمِّلُ وهل مُدْبِرٌ بعد الإساءةِ مُقْبِلُ

فكتبها وأدْرَجها في كتابٍ إلى هشام، يقول: هذا شعرُ الكميت؛ فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك.

فلما قرئت على هشام اغتاظ، فلما قال:

فياساسةً هاتوا لنا مِنْ جوابكم ففيكم لعمْري نُو أفانين مِقْولُ

اشتدَّ غيْظُه. فكتب إلى خالدٍ يأمُره أنْ يقطع يدي الكميت ورِجْليه ويضرب عنقه ويهدم داره، ويصلبه على تُرابها. (١٥/١٧)

(٢٠٠)

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمذاني بن عقدة، قال: أخبرنا علي بن محمّد الحسينيّ، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن عيسى الحمّال، قال: حدّثنا مصبِّح بن الهلقام، قال:

---

(١) الجعالة: خرقة تنزل بها القدر.

(٢) الرسل: الرفق والتؤدة. (٣) سوراء موضع.

حدّثنا محمد بن سهل صاحب الكميت، قال: دخلتُ مع الكميت على أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال له: جُعلتُ فداك! ألا أنشدك؟ قال: إنها أيامٌ عظام، قال: إنها فيكم، قال: هاتِ ـ وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرُب ـ فأنشده، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت:

يصيبُ به الرُّامون عن قوْس غيرهم فيا آخراً سدَّى له الفيُّ أوّلُ

فرفع أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ يديْه فقال: اللهم اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدَّم وما أخَّر، وما أسرَّ وما أعلن، واعطِه حتى يرْضى(١). (٢٣/١٧)

(٢٠١)

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ، قال: حدثنا عُمر بن شبَّة قال: قال محمد بن كُناسة: حدّثني صاعد مولى الكميت، قال: دخلْنا على أبي جعفر محمد بن عليّ ـ عليهما السلام ـ فأنشده الكميتُ قصيدته التي أولها: منْ لقلْبٍ متيَّم مُسْتهامِ؟

فقال: اللهم اغفر للكُميت، اللهم اغْفِر للكميت.

قال: ودخلْنا يوماً على أبي جعْفر محمد بن عليٍّ، فأعطانا ألفَ دينار وكُسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتُكم للدنيا، ولو أردتُ الدنيا لأتيْتُ مَنْ هيَ في يديه، ولكني أحببتُكم للآخرة؛ فأما الثيابُ التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها، وأمَّا المالُ فلا أقبله، فردَّه وقبلَ الثياب.

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين ـ عليهما السلام ـ فقالت: هذا شاعرُنا أهلَ البيت، وجاءت بقدْحٍ فيه سويق، فحركته بيدها وسقت الكُميت، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها؛ إني لم أحبكم للدنيا. (٢٤/١٧)

(٢٠٢)

أخبرني الحسن بن القاسم البجليُّ الكوفيُّ، قال: حدثنا عليّ بن إبراهيم بن المعلى، قال: حدّثنا محمد بن فُضيل ـ يعني الصَّيْرفيّ ـ عن أبي بكر الحضرميّ، قال: استأذنتُ للكميت على أبي جعفر محمد بن عليٍّ ـ عليهما السلام ـ في أيام التَّشريق بمنىً، فأذن له، فقال له الكميت:

---

(١) يمثّل شعر الكميت لوناً سياسياً ارتضاه لنفسه وصرف همّه إليه، وقد كان آل البيت مدار شعره مثلما رأينا، وسنراه في نصوص مقبلة، وإن كان قد مدح غيرهم فسئل عنه فقال هو للدّنيا، ولهذا اعتبره العلويون شاعرهم ولسانهم.

جُعلت فداك! إنّي قلتُ فيكم شِعْراً أحبُّ أن أنشدكه. فقال: يا كميت، اذكر الله في هذه الأيام المعدودات، فأعاد عليه الكميت القولَ، فرقَّ له أبو جعفر عليه السلام، فقال: هات، فأنشده قصيدته حتى بلغ:

يُصيب به الرُّامُون عن قوْس غيرهمْ فيا آخراً سدَّى له الغيُّ أوَّلُ

فرفع أبو جعفر يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفِرْ للكميت. (٣٠/١٧)

(٢٠٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني ربْعيُّ بن عبد الله بن الجارود بن أبي سبْرة، عن أبيه، قال: دخل الكميت بن زيد الأسديّ على أبي جعفر محمد بن عليّ، عليهما السلام، فقال له: يا كميت! أنت القائل:

فالآن صِرْتُ إلى أمـ ـيَّة والأمورُ إلى المصايرْ

قال: نعم، قد قلْتُ، ولا والله ما أردتُ به إلاّ الدنيا، ولقد عرفتُ فضلكم، قال: أما أنْ قلت ذلك فإنَّ التقيَّة لتحلّ. (٣٣/١٧)

(٢٠٤)

قال: ودخل الكُميتُ على خالد القسْريّ، فأنشده قوله فيه:

لو قيل للجُود: ومَنْ حليفُكَ؟ ما إنْ كان إلاّ إليك ينْتسبُ
أنتَ أخوه وأنتَ صُورته والرأسُ منه، وغيرُك الذَّنَبُ
أحْرزْتَ فضْلَ النِّضال في مهلٍ فكُلُّ يومٍ بكفِّكَ القصبُ(١)
لو أنَّ كعْباً وحاتماً نُشرا كانا جميعاً مِنْ بعْضِ ما تهَبُ(٢)
لا تخلفُ الوعْدَ إنْ وعدتَ ولا أنتَ عن المعْتفينَ تحتجبُ
مالُونك اليوم من والٍ، ولا خلْفَك للراغبين مُنْقلبُ

فأمر له بمائة ألف درهم. (٣٤/١٧)

---

(١) النِّضال: القتال والشجاعة في الحرب، والقصب: يريد به قصب السَّبق ويقال أحرز قصب السَّبق وأصله أنّهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليُعلم أنّه السّابق.

(٢) نُشرا: أعيد إلى الحياة وبُعثا.

(٢٠٥)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلَّبيّ، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: دخل الكميت على مخْلد بن يزيد بن المهلبّ، فأنشده:

قاد الجيوشَ لخمسَ عشْرةَ حجّةً ... ولداتُــه عــن ذاك في أشــغالِ
قــعــدَتْ بهم همُاتهم وســمتْ بــه ... هِــمَمُ الملوكِ وســوْرةُ الأبطــالِ

قال: وقُدُّام مخلد دارهم يقال لها الرُّويجة، فقال: خُذْ وقْرك منها فقال له: البغلة بالباب، وهي أجلد منّي. فقال: خُذْ وقْرها، فأخذ أربعة وعشرين ألف درهم، فقيل لأبيه في ذلك، فقال: لا أردُّ مكرمةً فعلها ابني(١). (٣٥/١٧)

(٢٠٦)

قال الطّلّحيّ في هذا الخبر: وحدثني إبرهيم بن علي الأسديّ قال: التقتْ ريّا بنت الكميت بن زيد، وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة، وهما حاجّتان، فتساءلتا حتى تعارفتا، فدفعت بنت أبان إلى بنت الكميت خلْخاليْ ذهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت: جزاكم الله خيراً يا آل أبان، فما تتركون برّكُم بنا قديماً ولا حديثاً! فقالت لها بنت أبان: بل أنتم، فجزاكم الله خيراً؛ فإنّا أعطيناكم ما يبيدُ ويفْنى، وأعطيتُمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد، يتناشده الناسُ في المحافل فيُحْيْي ميّتَ الذكْرِ، ويرفع بقية العقب(٢). (٣٩/١٧)

(٢٠٧)

قال: حدثني عمرو بن عبد الرحمن بن عمْرو بن سهل، قال: حدثني سليمان بن نوفل بن مساحق، عن أبيه، عن جدّه، قال: أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان، وكتب إلى عبد العزيز يسأله ذلك، فامتنع عليه، وكتب إليه يقول له: لي ابْنٌ ليس ابنُك أحبُّ إليّ منه؛ فإن استطعت ألاّ يفرق بيننا الموت وأنتَ لي قاطع فافعل. فرقّ له عبد الملك، وكفّ عن ذلك، فقال عُبيد الله بن قيس في ذلك ـ وكان عند عبد العزيز:

---

(١) مخلد بن يزيد بن المهلّب هو نفسه الذي أراد أن يعطي الشاعر حمزة بن بيض (ينظر النصّ الرابع والتسعون بعد المئة وفيه ذكر الكميت أيضاً)، خراج خراسان كلّه وهو مستمرّ على نهجه هنا في إعطاء الشعراء وإكرامهم.

(٢) هذه النظرة للشعر ما تزال مستمرة نراها في هذا النصّ، وقد رأيناها في نصوص سابقة.

يخلُفكَ البيضُ منْ بنيك كما ... يُخْلِفُ عُودُ النُّضارِ في شُعَبِهْ
ليسوا مِنَ الخروع الضِّعاف ولا ... أشباهِ عيدانه ولا غربِهْ
نحن على بيعةِ الرسول التي ... أعطيتْ في عُجمه وفي عربِهْ
نأتي إذا ما دعوتَ في الزُّغَفِ المسْرودِ ... أبدانُه وفي جُنُبِه
نُهْدي رعيلاً أمام أرْعنَ لا ... يُعرفُ وجْهُ البقاء في لجبِهِ

فقال عبد الملك: لقد دخل ابنُ قيْس الرقيّات مدْخلاً ضيِّقاً، وتهدّده وشتمه. (٢٧١/١٧)

(٢٠٨)

أخبرني الحسن، قال: حدثني الخراز، عن المدائنيّ، قال: كان أبو عطاء مع ابن هبيرة وهو يبْني مدينته التي على شاطئ الفرات، فأعطى ناساً كثيراً صلات ولم يُعْطِه شيئاً، فقال:

قصائدُ حكّتُهنَّ ليْوم فخْر ... رجعْنَ إلي صِفْراً خاليات
رجعن وما أفأنَ عليَّ شيئاً ... سِوى أنّي وُعِدت التُّرهات
أقام على الفرات يزيد حوْلا ... فقال الناس: أيُّهما الفراتي!
فيا عجبا لبحْرٍ باتَ يسْقى ... جميعَ الخلْقِ لم يبْلُلْ لهاتي

فقال له يزيد بن عمر بن هبيرة: وكم يبلّ لهاتك يا أباعطاء؟ قال: عشرة آلاف درهم، فأمر ابْنه بدفعها إليه، ففعل، فقال يمدح ابنه:

أمّا أبوكَ فعيْنُ الجودِ تعرفُه ... وأنتَ أشبَهُ خلْقِ الله بالجود
لولا يزيد ولولا قبْله عمر ... ألقتْ إليك معدٌّ بالمقاليد
ما ينبتُ العودُ إلا في أرُومته ... ولا يكون الجنى إلاّ من العود (٣٣٣/١٧)

(٢٠٩)

حدثنا وكيع، قال: أخبرنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا سليمان بن منصور، قال: حدثني صالح بن سليمان، قال: وفد أبو عطاء السنديّ على نصر بن سيّار فأنشده:

قالت تريكة بيْتي وهي عاتبةً: ... إنَّ المقام على الإفلاسِ تعْذيبُ(١)
ما بال همِّ دخيلٍ بات محتضرا ... رأس الفؤادَ فنوم العينِ توجيب
إني دعاني إليك الخيْرُ مِنْ بلدي ... والخيرُ عنْدَ ذوي الأحساب مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم. (٣٣٩/١٧)

(١) تريكة البيت: التي تُترك فلا تتزوج، وهي العانس في بيت أبويها.

(٢١٠)

أخبرني حبيب بن نصر، عن ابن شبة، عن العُتبيّ، عن هارون بن عتبة قال: شبَّب ذو الرمّة بخرقاء العامرية بغير هوىً؛ وإنما كانت كحّالة فداوتْ عينه من رمد كان بها فزال، فقال لها: ما تحبّين حتى أعطيك؟ فقالت: عشرة أبيات تشبّب بي؛ ليرغبَ الناس فيّ إذا سمعوا أنّ فيّ بقية للتشبيب، ففعل. (١٨/٣٦)

(٢١١)

نسختُ عن بعض الكتب: حدّثنا المدائنيُّ، عن جُويرية قال: كتب عيسى الحبْطيّ إلى رجل منهم يقال له أبو خالد، كان تخلفَّ عن الخروج مع قطريّ أو غيره منهم:

أبا خالد أنفُرْ فلستَ بخالدٍ ... وما ترك الفُرقانُ عُذْراً لقاعدِ(١)

أتزعم أنّا الخارجون على الهدى ... وأنت مُقيمٌ بين لصٍّ وجاحدِ!

فكتب إليه: ما منعني عن الخروج إلاّ بناتي والحدبِ(٢) عليهن حين سمعتُ عمران بنَ حطّان يقول:

لقد زاد الحياةَ إليَّ حُبّاً ... بناتي إنّهن من الضِّعافِ

ولولا ذاك قد سوّمتُ مُهري ... وفي الرُّحمن للضُّعفاء كافِ(٣)

قال: فجلس عيسى يقرأ الأبيات ويبكي، ويقولُ: صدق أخي، إنّ في ذلك لعُذرا له، وإنّ في الرحمن للضعفاء كافياً. (١٨/١١٥)

(٢١٢)

أخبرني محمدٌ بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا عمّي محمد بن عبيد الله عن محمد بن حبيب، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد، عن عمه العباس بن هشام، عن أبيه، قالا: قدِم أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبدُ الملك: ما الذي بقي منك؟ قال: أنا الذي أقول:

وما أنا في أمري ولا في خصُومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّي ولا قارعِ سِنّي(٤)

ولا مُسلمٍ مولاي عند جنايةٍ ... ولا خائفٍ مولاي من شر ما أجني

---

(١) أنفرْ: أخرج للقتال. (٢) الحدب: الاعتناء والعطف.

(٣) سوّمت مهري: جعلت عليه علامة الحرب أي جعلته مستعداً لها.

(٤) مهتضم: مهضوم أي ذاهب رائح، ولا قارع سني: أي لا يُجترأ عليّ وأهان.

وإن فُـؤادي بيـن جنبيَّ عـالـمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذني
وفـضّلني في الشّـعـر واللُّبُّ أنّني أقـولُ على علمٍ وأعـرفُ من أعْني
فـأصبحتُ إذ فـضّلتُ مـروانَ وابنـه على الناسِ قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وابنِ

فقال عبد الملك: مَنْ يلومني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تُخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألف جريب، وقال له: امضِ إلى زيد الكاتب يكتب لك بها. (١٣٢/١٨)

(٢١٣)

قال أبو فراس: فحدثني الكلبيّ، عن خداش، قال: دخل أعْشى بني أبي ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو وليّ عهد فقال:

أتينا سليـمـانَ الأمـيـرَ نزورُه وكـان امـرأ يُحْبى ويُكْـرمُ زائرُهْ
إذا كُنتَ في النُّجـوى بـه مُنْفرداً فلا الجُودُ مُخْليه ولا البُخْلُ حاضرُه
كـلا شـافـعيْ سُؤْالِهِ من ضـمـيـره على البُخْـلِ ناهيـه وبالجـودِ آمِرُه

فأعطاه وأكرمه وأمر كُلَّ مَنْ كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه. (١٣٦/١٨)

(٢١٤)

قالوا: فلم يزل ابن مفرّغ(١) ينْتقل في قُرى الشام ونواحيها، ويهْجو بني زياد، وأشعارُهُ فيهم ترد البصْرة وتنتشر وتبلُغهم، فكتب عُبيدُ الله بنُ زياد إلى معاوية، وقال الآخرون: إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح، يقول له: إن ابن مُفرّغ هجا زياداً وبني زياد بما هتكه في قبره، وفضح بنيه طُولَ الدهر، وتعدّى ذلك إلى أبي سُفيان، فقذفه بالزنا وسبُّ ولده، فهرب من خُراسان إلى البصْرة، وطلبتُهُ حتى لفظتْه الأرض، فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومنا بها، ويهتك أعراضنا، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنْتصفَ لنا منه. ثم بعث بجميع ما قاله ابنُ مُفرِّغ فيهم.

فأمر يزيدُ بطلبه، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد، فإذا شاع خبرُه انتقل حتى لفظتْه الشام، فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيْس، فالتجأ به واستجار، فقال له الأحنف: إني لا أجير

---

(١) يزيد بن المفرِّغ من الشعراء الذين أورثهم شعرهم تعباً وجهداً، ذلك لأنّه أدخل نفسه مدخلاً ضيّقاً على حدّ قول عبد الملك بن مروان لابن الرقيات (ينظر النص السابع بعد المئتين السابق)، فنراه ينال بشعره الولاة والخلفاء، فكان جزاؤه التشرّد الدائم والتعذيب، والحالة السيئة ممّا قلّ وجود شبيه له بين الشعراء.

على ابن سُميّة فاعزل، وإنما يُجير الرجلُ على عشيرته، فأما على سلطانه فلا، فإن شئت أجرتُك من بني سعْد وشعراهم، فلا يريبُك أحدٌ منهم، فقال له ابنُ مفرِّغ: بأسْتاه بني سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ؟ هذا ما لا حاجة لي فيه. (٢٦٢/١٨)

(٢١٥)

وقال عُمر بنُ شبّة في خبره: جمع عبّاد بن زياد كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرِّغ، وكتب به إلى أخيه عُبيْدِ الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله:

إذا أوْدى مُعاويةُ بنُ حربٍ ... فبشِّرْ شعْب قعْبك بانصداعِ(١)
فأشْهدُ أن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعةَ القناعِ
ولكن كان أمرٌ فيه لبْس ... على وجل شديدٍ وامتناع

وقوله:

ألا أبلغْ مُعاويةَ بنَ حربٍ ... مُغلْغلةً من الرّجل اليماني
أتغضبُ أنْ يُقال أبوك عفٌّ ... وترْضى أنْ يُقال أبُوك زاني
فأشهدُ أنّ رِحْمك من زياد ... كرِحْم الفيل من ولدِ الأتانِ(٢)
وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصخراً من سُميّةَ غيرُ داني

فدخل عُبيد الله بنُ زياد على معاوية، فأنشده هذه الأشعار، واستأذنه في قتله فلم يأذن له وقال: أدِّبه أدباً وجيعاً مُنكِّلاً، ولا تتجاوزْ ذلك إلى القتْل. (٢٦٥/١٨)

(٢١٦)

حدّثني محمد بن جرير الطَّبريّ وحفظْتُه، وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، وحبيبُ بن نصْر المُهلّبيّ قالوا: حدثنا عُمرُ بن شبّة قال: حدّثني عُمر بن محْروس الورّاق بن أقيْصَر السُّلميُّ قال: حدّثنا يحْيى بن عُروة بن أذينة قال: أتى أبي وجماعةٌ من الشعراءِ هشامَ بن عبد الملك، فنسبهم، فلما عرف أبي قال له: أنت القائل:

لقد علِمْتُ وما الإسْرافُ من خُلُقي ... أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يأتيني
أسعى له فيُعنِّيني تطلُّبُه ... ولو جلسْتُ أتاني لا يُعنِّيني

هذان البيتان فقط ذكرهما المُهلّبيّ والجوهريُّ، وذكر محمد بن جرير في خبره الأبيات كلها:

---

(١) الشّعب: الإصلاح والالتئام، والقعب: القدح الضخم الغليظ. (٢) الرِحم: القرابة.

وأنَّ حظَّ امرئٍ غيري سيبْلُغُه ... لابُدَّ لا بُدَّ أن يحتازه دُوني
لا خيرَ في طمعٍ يُدني لمنْقصةٍ ... وغُفَّةٌ من قوام العيش تكْفيني(١)
لا أركبُ الأمرَ تُزْري بي عواقبهُ ... ولا يعُابُ بهِ عِرْضي ولا ديني
كم مِنْ فقيرٍ غنيَّ النفسِ تعرفُه ... ومن غنيَّ فقيرِ النَّفس مِسْكينِ
ومن عدُوٍّ رماني لو قصدتُ له ... لم يأخذِ النِّصفَ مني حينَ يرميني(٢)
ومن أخٍ لي طوى كَشْحاً فقلتُ له: ... إنَّ انْطواءك عني سوف يطْويني
إني لأنْطق فيما كان من أربي ... وأكْثِرُ الصَّمْتَ فيما ليس يعْنيني
لا أبتغي وصْلَ من يبْغي مفارقتي ... ولا أليِنُ لمَنْ لا يشْتهي لينـي

فقال له ابنُ أذيْنة: نعم أنا قائلها، قال: أفلا قَعَدْتَ في بيتك حتى يأتيك رزقُك! وغفل عنه هشامٌ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى مُنصرفاً، ثم افتقده هِشامٌ فعرفَ خبره، فاتبعه بجائزة وقال للرَّسُول: قال له: أردت أن تُكذِّبنا وتُصدِّق نفسك. فمضى الرسولُ فلحقه وقد نزل على ماء يتغدّى عليه، فأبلغه رسالته ودفع الجائزة. فقال: قل له: صدّقني ربِّي وكذَّبك. قال يحيى بنُ عُروة وفرض له فريضتين، فكنت أنا في إحداهما(٣). (٣٢٤/١٨)

(٢١٧)

وإنَّما قيل لعُوَيْف، عُوَيْف القوافي لبيت قاله(٤)، نسخْتُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن الحسن بن دُريد ولم أسمعه منه. قال: أخبرنا السَّكن بنُ سعيد، عن محمد بن عبّاد، عن ابن الكَلْبيّ قال: أقْبل عُوَيْف القوافي - وهو عُوَيْف بنُ معاوية بنِ عُقبة بنِ حصْن بن حُنيفة الفزاريّ، وإنّما قيل له عُوَيْف القوافي، كما حدّثني عمّارُ بنُ أبان بنِ سعيد بن عُيَيْنة، ببيت قاله:

سأكذبُ مَن قد كان يزعُم أنّني ... إذا قُلتُ قولاً لا أجيدُ القوافيا

---

(١) الغُفَّة: البلغة من العيش. (٢) النَّصف: الإنصاف.

(٣) هذا نمط من الشّعر لم يكن ليُقبَلَ في مجالس الخلفاء، ولذلك نرى الخليفة يَجْبه الشاعر بقوة ويذكرّه بذلك الشعر الذي قاله، ولكنّه يفيء بعد قليل إلى ما تعودَ عليه، فيرسل إليه جائزته وهو بعيد. فما يزال للشعر القِدح المعلّى والمكان المرتفع.

(٤) كَثيرٌ هم الشعراء الذين لُقِّبوا ببيت شعر قالوه، فكأنَّ هذا البيت قد أصبح علماً عليهم لا يُعرفون بغيره، وقد صنّف أبو سعيد السكّري كتاباً عنوانه «مَنْ قال بيتاً فلُقِّب به» وأبو الفرج ينقل منه هنا، كما صنّف محمد بن حبيب كتاباً في هذا الموضوع عنوانه «كتاب مَنْ سُمِّي ببيت قاله»، ينظر نوادر المخطوطات (١٠٩/٦)، لعبد السلام هارون، وأفرد السيوطي في المزهر (٢٧٠/٢)، ذكراً لمن لُقِّب ببيت قاله.

قال: فوقف على جرير بنِ عبدِ الله البجليّ وهو في مجلسه فقال:

أصُبٌّ علي بجيلة من شقاها هجائي حين أدركني المشيبُ

فقال له جرير: ألا أشتري منك أعراض بجيلة؟ قال: بلى. قال: بكَمْ؟، قال: بألف درْهم وبرْذون، فأمر له بما طلب فقال:

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلَـةْ نِعْمَ الفتى وبئستِ القبيلةْ

فقال جرير: ما أراهم نَجْوا منك بعد. (١٨٧/١٩)

(٢١٨)

أخبرنا محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثني أحمد بنُ إسحاق، عن أبيه قال: حدّثني عزيزُ بنُ طلْحة بنِ عبد الله بنِ عثمان بن الأقرم المخْزوميّ، قال: حدّثني غيرُ واحد من مشْيخة قريش، قالوا: لم يكُنْ رجلٌ من وُلاة أولاد عبد الملك بن مروان كان أنْفسَ على قومه، ولا أحْسَدَ لهم من الوليد بن عبد الملك. فأذنَ يوماً للنّاس فدخلوا عليه: وأذِنَ للشُّعراء، فكان أوّل مَنْ بدر بين يديه عُويْف القوافي الفزاريّ، فاستأذنه في الإنشاد فقال: ما بقِّيتَ لي بعد ما قلتَ لأخي بني زُهْرة! قال: وما قلتُ له مع ما قلتُ لأمير المؤمنين؟ قال: ألستَ الذي تقول:

يا طلْحَ أنت أخو النّدى وحليفُه إنَّ النّدى من بعد طلْحة ماتا

إنَّ الفعال إليك أطلق رحْله فبحيْث بتَّ من المنازل باتا

أولستَ الذي تقول:

إذا ما جاء يومُك يابنَ عوْف فلا مطرتْ على الأرض السَّماء

ولا سار البشيرُ بغُنْم جيْشٍ ولا حملتَ على الطُّهْرِ النِّساء

تساقى الناسُ بعدكَ يابْنَ عوْفٍ ذريعَ الموْتِ ليس له شفاء

ألم تقُم علينا السَّاعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً، ولا أنفعُك بنافعةٍ أبداً، أخرجوه عنّي.

فلما أخرج قال له القُرشيُّون والشاميُّون: وما الذي أعطاك طلحةُ حين استخرج هذا منْك؟ قال: أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثر من عطيَّته، ولكن لا والله ما أعطاني أحدٌ قطّ أحلى في قلْبي ولا أبقى شُكْراً ولا أجْدر ألاَّ أنساها ما عرفتُ الصِّلات من عطيتَه، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قدِمْتُ المدينة ومعي بُضيْعة لي لا تبلُغ عشْرة دنانير، أريدُ أن أبتاع قعوداً من قعدان الصَّدقة، فإذا برجل في صحْن السُّوقِ على طنفسةٍ قد طُرِحت له، وإذا النّاس حوله، وإذا بين يديْه إبلٌ

معلوفة له، فظننت أنه عاملُ السّوق، فسلّمت عليه، فأثبتني وجهلتُه، فقلت: أي رحمك الله، هل أنت مُعيني ببصرك على قُعود من هذه القِعْدان تبتاعه لي؟ فقال: نعم، أوَ معكَ ثمنهُ؟ فقلت: نعم، فأهْوى بيده إليَّ فأعطيته بُصَيْمتي، فرفع طِنْفِسَته وألقاها تحتها، ومكثَ طويلاً، ثم قُمتُ إليه فقلت: أي رحمك الله، انظُر في حاجتي فقال: ما منعني منك إلا النِّسيان، أمعك حبل؟ قلتُ: نعم، قال: هكذا أفرجوا، فأفرجوا عنه حتى استقبل الإبلَ التي بين يديه، فقال: اقرن هذه وهذه وهذه، فما برِحتُ حتى أمر لي بثلاثين بكْرة أدنى بكْرة منها - ولا دنيَّة فيها - خيرٌ من بضاعتي، ثم رفع طِنْفسته فقال: وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على مَن ترجع إليه، فقلت: أي رحمك الله، أتدْري ما تقول! فما بقي عنده إلا منْ نهرني وشتمني، ثم بعث معي نفراً فاطردُوها حتى أطْلعُوها من رأس الثَّنيّة، فوالله لا أنساه ما دُمت حيّاً أبداً. (١٨٧/١٩)

(٢١٩)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنْزي، قال: حدّثني محمد بن مُعاوية الأسديّ، قال: حدّثني أصحابنا الأسديُّون، عن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعْريّ قال: حضرتُ مع عُمر بنِ عبد العزيز جِنازة، فلما انصرف انصرفتُ معه، وعليه عمامةٌ قد سدلها من خلفه، فما علِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بعير فصاح به:

أجِبْني أبا حفْص لقيتَ محمداً على حوْضِهِ مُسْتبْشِراً ورآكا

فقال له عُمر: لبيْك، ووقف ووقف النّاسُ معه، ثم قال له: فمه، فقال:

فأنتَ امرؤٌ كِلْتا يديك مُفيدةٌ شمالُك خيرٌ من يمين سِواكا

قال: ثم مه، فقال:

بلغت مدى المُجرين قبلك إذْ جروْا ولم يبلُغ المُجْرون بعدُ مداكا(١)

فجدّاك لاجيُّين أكرمُ منهما هُناك تناهى المجدُ ثم هُناكا

فقال له عمر: ألا أراك شاعراً! مالك عندي من حقّ، قال: لا، ولكني سائل وابنُ سبيل وذو سُهْمَة(٢). فالتفت عُمر إلى قهْرمانه فقال: أعطِهِ فضْل نفقتي، قال: وإذا هو عُوَيْف القوافي الفزاريّ. (١٩٣/١٩)

---

(١) المجْرون: يريد بهم الكرماء.

(٢) السّهمة: القرابة والنصيب.

(٢٢٠)

أخبرني محمد بن خلفَ وكيع، والحسن بنُ علي قالا: حدثنا الغلابيّ، قالا: حدثنا محمد بن عُبيْد الله، عن عطاء بن مُصْعب، عن عاصم بن الحَدثان، قال: لما مات سُليمانُ بنُ عبد الملك وولي عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة، وفد إليه عُوَيْفٌ القوافي وقال شِعْراً رثى به سُليمان ومدح عُمر فيه، فلما دخل إليه أنشده:

لاح سحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثم تدانى فسمعْنا صعْقَهُ(١)
وراحت الرِّيحُ تُزجّي بُلقَهُ ... ودُهْمَه ثم تُزجّي وَدْقَهُ(٢)
ذاك سقى قبْراً فروّى وِدْقُهُ ... قبرَ امرئٍ عظّم ربّي حقّهُ
قبرَ سليمانَ الذي مَن عقّهُ ... وجحد الخير الذي قد بقّهُ(٣)
في المسلمين جِلُّه وبِقّهُ ... فارق في الجحود منه صِنْفَه
قد ابتلى اللهُ بخيرٍ خلقَهُ ... ألقى إلى خير قريش وسْقَهُ(٤)
يا عُمرَ الخيرِ المُلقّى وفْقَهُ ... سُمِّيت بالفاروق فافرُقْ فرْقَهُ(٥)
وارزُق عيالَ المسلمين رِزْقَهُ ... واقصِدْ إلى الجُودِ ولا توقّهُ
بحرُك عذبُ الماء ما أعقّهُ ... ريُّك فالمحْروم مَنْ لم يسْقَهُ

فقال له عمر: لسْنا من الشِّعر في شيء، ومالك في بيت المال حقٌّ، فألحّ عُوَيْف يسأله فقال: يا مُزاحم، انظُر فيما بقي من أرزاقنا فشاطِرْه إيّاه، ولنصْبِر على الضِّيق إلى وقْتِ العطاء، فقال له عبدُ الرّحمن بنُ سليْمانَ بن عبد الملك: بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رضا الرَّجُل، فقال: ما أولاك بذلك، فأخذ بيده وانْصرف به إلى منزله، وأعْطاهُ حتى رضي. (٢٠٩/١٩)

(٢٢١)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المُهلبيّ، قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني عبدُ الرّحيم بنُ أحمد بنِ زيد بن الفرج قال: حدّثني محمد بن عبد الله قال: كان عبد الملك بنُ مروان مُعْجباً بشِعْرِ عبد الله بن جحْش، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه، فوردَ كتابُه وقد تُوفِّي، فقال إخوانُه

---

(١) الصَّعق: الصوت الشديد.

(٢) البلق والورق هنا: السحاب بين بياض وسواد، والدهم هنا: السحاب إذا صار أسود منذراً بالمطر، والوَدْق: المطر كلّه شديده وهينّه، اللسان (٣٧٣/١٠)، وتزجّي: تسوق وتدفع.

(٣) بقّه: وسّمه، وبقّه: ما دقّ منه وصغر. (٤) الوسق: الحمل. (٥) افرق فرقه: سِرْ سيرته.

لابنه: لو شخصتَ إلى أميرَ المؤمنين عن إذنه لأبيك لعلّه كان ينفعُك، ففعل، فبينا هو في طريقه إذ ضاع منه كتابُ الإذْنِ، فهمَّ بالرّجوع، ثم مضى لوجهه، فلما قدم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبره بوفاته، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشدني قول أبيك:

هل يُبلغنّها السلامَ أربعةٌ ... منّي وإن يفْعلوا فقد نفعوا
على مِصَكّين من جمالهُم ... وعنْتريسين فيهما سطع(١)
قُرْب جيراننا جمالَهُم ... صُبحاً فأضحوا بها قد انْتجعوا
ما كنتُ أدْري بوشْك بيْنهمُ ... حتى رأيتُ الحُداة قد طلعوا
قد كاد قلبي - والعين تُبصرهم ... لما تولّى بالقوم - ينْصدعُ
ساروا وخلّفتُ بعدهم دنفاً ... أليس بالله بئسَ ما صنعوا!

قال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أرويه، قال: لا عليك، فأنشدني قول أبيك:

أجدّ اليوم جيرتُك الفيارا ... رواحاً أم أرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يبينوا ... يزدْك البينُ صدْعاً مُستطارا
بلى أبقت من الجيران عندي ... أناساً ما أوافقُهم كثارا
وماذا كثْرةُ الجيران تُغني ... إذا ما بان مَنْ أهوى فسارا

قال: لا والله ما أرويه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قول أبيك:

دارٌ لصهْباء التي لا يئْثني ... عن ذكرها قلبي ولا أنْساها
صفراء يطويها الضُّجيعُ لصلّبها ... طيّ الحمالة ليِّن مثْناها
لو يستطيعُ ضجيعُها لاجنّها ... في القلب شهْوةَ ريحها ونشاها(٢)

قال: لا والله يا أمير المؤمنين، ما أرويه، وإنّ صهباء هذه لأمي، قال: ولا عليك، قد يُبْغض الرجلُ أن يُشبّب بأمّه، ولكن إذا نسب بها غيرُ أبيه، فأفٌ لك! ورحم اللهُ أباك، فقد ضيّعتَ أدبه وعققته؛ إذ لم ترْوِ شعره. اخرُجْ فلا شيء لك عندنا. (٢١٣/١٩)

(٢٢٢)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثني الزبير بن بكّار قال: حدثني عمي، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسي قال حدثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيّ قالا: حُبس

---

(١) المصكّ: القويّ، والعنتريس: الناقة القوية الفليظة، والسطع: طول العنق. (٢) أجنّها: أخفاها.

النّصيب في مسجد النبي فأنشد، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه، وأشار بيده، فرآه السريُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصاريُّ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال:

فقدتُ الشعرَ حين أتى نُصيبا ألـم تستحي من مقْتِ الكرام

إذا رفـعَ ابنُ ثوبة حاجبيه حسبت الكلبَ يُضربُ في الكِمام(١)

قال: فقال نصيب: من هذا؟ فقالوا: هذا ابنُ عُويم الأنصاريُّ، قال: قد وهبتُه لله عز وجل ولرسوله - (ص) - ولعويم بنِ ساعدة. قال: وكان لعُويم صحبةٌ ونصرةٌ. (٢٠/١٩٨)

(٢٢٣)

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني زبير بن بكار عن عمِّه: أن السريّ بنَ عبد الرحمن وقف على عمر بنِ عمرو بنِ عثمان، وهو جالسٌ على بابه والناس حوله، فأنشأ يقول:

يابن عثمان يابنَ خيرِ قريشٍ أبْغني مـا يكـفُّني بقُـباء

ربمـا بلّني نـداكَ وجـلّى عـن جبيني عجاجةَ الغُرماءِ

فأعمره أرضاً بقُباء، وجعلها طُعْمةً له أيام حياته، فلم تزَلْ في يده حتى مات. (٢٠/٢٠٢)

(٢٢٤)

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال: حدثنا أبو غسان دماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال: قال الفرزدق: نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوتُ من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رُميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ؛ لأنّه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شطر حسبي وفخري، لأنه من بُحبوحة نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذ ينتصف منّي بيدي ولساني. (٢٠/٢٠٧)

(٢٢٥)

أخبرني محمدُ بن الحسين الكنديُّ خطيبُ القادسية قال: حدثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة عن أبي عمر وقال: كان الفرزدق يقول: نجوتُ من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بعدهن شر: نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُميلة أبي البذال فلم يقع في رأسي، ونجوت من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ. ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي، وقطع لساني عن الشعراء. (٢٠/٢١٠)

---

(١) الكمام: الكمامة.

(٢٢٦)

أخبرني محمد بن مزْيد قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق الموصليُّ قال: حدثني أبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عياش قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارميّ، ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعةَ ليزيد تهيّب ذلك وخاف ألا يمالئه عليه الناس، لحُسن البقية فيهم، وكثرة من يُرشّح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرء(١) وكلام كرهه من سعيدِ بن العاص ومروان بنِ الحكم وعبد الله بن عامر، فأمر يزيدُ مسكيناً أن يقول أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلا وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه وأنشأ يقول:

إن أُدْعَ مسكيناً فإني ابن معشر ... من الناسِ أحمي عنهُم وأذودُ
إليك أميرَ المؤمنين رحلْتُها ... تُثير القطا ليلا وهنّ هُجود(٢)
وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها ... إذا ما اتّقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد؟
بني خلفاء اللهِ مهلا فإنما ... يُبوّئها الرحمنُ حيث يريد
إذا المنبر الغربيّ خلاّه ربه ... فإن أميرَ المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجدُّ صاعد ... لكلِّ أناس طائر وجُدود(٣)
فلا زلتَ أعلى الناس كعباً ولا تزل ... وفود تساميها إليك وفود(٤)
ولا زال بيتَ المُلك فوقك عاليا ... تُشيّد أطناب له وعمود
قُدُور ابنِ حرب كالجوابي وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرِّثال رُكود(٥)

فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين، ونستخير الله. قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته. (٢١٢/٢٠)

(٢٢٧)

أخبرني عمّي، قال: حدثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبي، قال: لما أتى أيمنُ بن خريم

---

(١) ذرء: شيء. (٢) رَحلْتُها: يريد الناقة التي ارتحل عليها.
(٣) الجدود: الحظوظ. (٤) كعباً: يريد كعب الرمح كناية عن الشرف.
(٥) الجوابي: جمع جابية وهي الحوض يُجبى فيه الماء للإبل، والرثال: جمع رأل وهو ولد النعام.

بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً، فقال مَنْ يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ فقيل له: ليس على الأمير حِجابٌ ولا ستر، فدخل وهو يقول:

يُرى بارزا للناس بشرٌ كأنه ... إذا لاح في أثوابه قمرٌ بدْرُ
ولو شاء بشرٌ أغلق البابَ دونه ... طماطمُ سودٌ أو صقالبةٌ شُقْرُ(١)
أبى ذا ولكن سهّل الإذنَ للتي ... يكون له في غبِّها الحمد والشكر(٢)

فضحك إليه بشر، وقال: إنا قوم نحْجُبُ الحُرَمَ، وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٣١٣)

(٢٢٨)

حدثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال: حدثنا عبدُ الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عُبيد الله بن عمّار قال: حدثني عليُّ بنُ محمد النَّوفلي عن أبيه - وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال: قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذُكر لي رجلان: أحدهما من قيس، والاخر من اليمن، فعدلْتُ إلى القيْسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إليّ، وأجدرهما بما أحب؛ فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له: إني مسستك لتمسّني رحمك.

أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك، وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة، وأحببت أن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده، وعلى أن تشفع لي وتوصلني إليه، فقال: ذلك كلُّه لك عليّ، وفي الرجل شدة، ليس كمن عهدت من أهله، وإذا سئل وخُلط مدحُه بطلبٍ حُرم الطالب، فأخلص له المدح، فإنه أجدر أن ينفعك، واغد إليه غداً فإني منتظرك بالباب حتى أوصلك، والله يعينك، فصرتُ من غد إلى باب هشام، فإذا بالرجل منتظر لي، فأدخلني معه، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله:

إلى هشام وإلى مروانِ ... بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفّاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرسا رهان(٣)
مال عليّ حدث الزمان ... وبيعَ ما يغلو من الغلمان

---

(١) طماطم: جمع طمطم وهو الذي في لسانه عجمة.

(٢) التيّ: يريد بها قصيدة المدح. (٣) تباريان: هي تتباريان أي تتسابقان.

بالثمن الوكْس من الأثمان والمُهر بد المُهر والحصان(١)

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينتُ الكراهة في وجهه، ثم استأذنتُ فأذن لي، فأنشدته:

لما أتتني بغيةٌ كالشّهد والعسل الممزوج بعد الرقد(٢)
يا بردها لُمشْتف بالبرْد رَفَعَتْ من أطمار مستعدّ
وقلت للعيْس اعتلي وجدي فهي تخدّى أبرح التخدّي(٣)
كم قد تعسّفتُ بها من نجد ومُجْرهدٌ بعد مجْرهدُ(٤)
قد ادّرَعْن في مسير سمْد ليلاً كلون الطليسان الجرْد(٥)
إلى أمير المؤمنين المُجدي ربٌّ معدّ وسوى معدّ
ممن دعا من أصيد وعبد ذي المجد والتشريف بعد المجد
في وجهه بدر بدا بالسّعد أنت الهُمام القرْمُ عند الجِد(٦)
طُوّقتها مجتمع الأشُد فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعد

قال: حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله، ثم عزفتْ نفسي وقلت: قد استنصحتُ رجلاً، وأخشى أن أخالفه فأخطئ، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً، فلمّا فرغتُ أقبل على جلسائه فقال: الغلام السّعديّ أشعر من الشيخ العِجْلي، وخرجت. فلمّا كان بعد أيام أتتني جائزته، ثم دخلت عليه بعد ذلك، وقد مدحتُه بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليّ جُبّة خزّ من جبابه مبطنةً بسمّور، ثم دخلت عليه يوماً آخر، فكساني دُواجاً(٧) كان عليه من خز أحمر مبطن بسمّور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له:

كسوتنيها فهي كالتُّحفاف من خزك المصونة الكشاف
كأنني فيها وفي اللّحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخزّ مشتاق إلى الأفواف

قال، فضحك - وكانت عليه جبة أفواف - وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إليّ، وقال:

---

(١) الوكس: المنخفض. (٢) الرقد: الرقاد.
(٣) تخدّى: هي تتخدّى أي تسرع في سيرها. (٤) مجرهدّ: مكان لا نبات فيه.
(٥) سَمْد: مستمر في السيْر، والجرد: الخَلِق. (٦) القرم: السّيد.
(٧) الدّواج: الثوب الواسع الذي يغطّي الجسد كلّه.

خذها، فلا بارك الله لك فيها. قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيَّرها وجعلها فيه - يعني الأرجوزة الدالية - فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح(١). (٢٠/٣٩٣)

(٢٢٩)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني أبو عمر الخصاف عن العتبي قال: لما حبس عمرُ بن هُبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يشفِّع فيه أحداً، فدخل عليه أبو نُخيلة في يوم فِطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

أطلقتَ بالأمس أسيـر بكر ... فـهـل، فـداك نفـري ووفْري(٢)
مـن سـبب أو حُجـة أو عذر ... ينْجي التميميَّ القليل الشكر
من حلقَ القيد الثُّقال السُّمر ... ما زال مجنوناً على آست الدهر
ذا حسب ينمو وعقل يحري ... هبه لأخوالك يـوم الفطـر(٣)

قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر قد أفسد، فشفعتَ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه، وإياه عنى أبو نُخيلة، فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له فأخبر، فرجع إلى الحبس وقال: لا أريمه ولو متُّ، انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعة دمي، والله لا أخرج هكذا ولو من النار، فأخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: وهبتك لنفسك، وكان هجاه فحبسه لذلك، فلما عُزل ابن هبيرة وحُبس مدحه الفرزدق، فقال: ما رأيت أكرم منه، هجاني أميراً ومدحني أسيراً. (٢٠/٣٩٦)

---

(١) وردت إشارات كثيرة عن بعض الشعراء، وخاصة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية الذين غيّروا بعض قصائدهم أو أراجيزهم لتتفق مع العهد الجديد، وكانوا قد نظموها في رجالات العهد القديم، ومنهم أبو نخيلة هذا، فقد «اصطنعه مسلمة بن عبد الملك وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد فأغنوه»، ونرى الخليفة هنا يكرمه ويفضّله على غيره، ولكنّه سرعان ما ينسى هذا كلّه فيغيّر شعره، وينقطع إلى العباسيين ويهجو بني أمية، ولعلّه ينضوي تحت ذلك الاتجاه الذي عناه ابن رشيق، وأشرنا إليه فيما سبق وهو إنَّ الشاعر طالب فَضْل، وسنرى فيما سيأتي موقفه من السفّاح وما قاله فيه. وينظر حول هذا الموضوع الدراسة الجيدة التي كتبها جمال نجم العبيدي عن (الرجز، نشأته، وأشهر شعرائه).

(٢) نفري: قومي، ووفري: مالي.

(٣) يحري: ينقص.

(٢٣٠)

أخبرني الحرميّ بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال: دخل جميلُ بن معْمرٍ العُذريُّ على هدبة بن خشْرمٍ السّجنَ وهو محبوس بدم زيادةَ بن زيد، وأهدي له بُردين من ثياب كَساه إيّاها سعيدُ بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هدبة: أأنت يابن معْمرٍ الذي تقول:

بني عـامرٍ أنّى انتجعْتُم وكـنتُـم إذا عُدِّد الأقوامُ كالخُصْيَة الفرد؟

أما والله لئن خلّص الله لي ساقي لأمدنّ لك مضمارك، خذ بُرديك ونفقتك، فخرج جميلٌ، فلما بلغ باب السجن خارجاً قال: اللهم أغْنِ عنّي أجدعَ بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلّت، فحالفت لإياد. (٢١/٢٦٥)

(٢٣١)

قال ابنُ قُتيبة في حديثه: فسأل سعيدُ بن العاص أخا زيادة أن يقبلَ الدّية عنه، قال: أعطيك ما لم يُعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جدّاء(١) ولا ذاتُ داء، فقال له: والله لو نقبْتَ لي قُبّتك هذه، ثم ملأتها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردتُ قبول الدية لمنعني قوله:

لنجدَعـنّ بأيدينـا أنوفكـم ويذهبُ القتلُ فيما بيننا هدرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه. (٢١/٢٧١)

(٢٣٢)

وأخبرني بخبره مع النّوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبّة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن أبيه يحيى بن علي بن حميد: أنّ النوّار لمّا كرهت الفرزدق حين زوّجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم «المنقري ليمنعوها» فقال الفرزدق فيهم:

بني عاصم لا تجنبوها فإنكم ملاجئُ للسوآت دُسْم العمائم(٢)

بني عاصمٍ لو كـان حيّاً أبوكم للام بنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا له: والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنك غيلة، وخلّوه والنوار

---

(١) جَدّاء: القليلة اللبن من مرض أصابها.

(٢) دسم العمائم: من الدّسم بمعنى الدنس.

وأرادت منافرته إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحدٌ على أن يُكريها خوفا منه. ثم إن قوماً من بني عديّ يقال لهم بنو أم النُّسير أكروها، فقال الفرزدق:

ولولا أن يقـول بنو عـديٍّ ألَمْ تـكُ أمُّ حنظلـة النُّوارُ
أتتكـم يا بني مِلْكـان عنّي قـوافٍ لا تُقسّمـها التُّجـارُ

وقال فيهم أيضاً:

لعمـري لقد أردى النُّوارَ وسـاقها إلى البور أحلامٌ خفافٌ عقولُها(١) (٢٩١/٢١)

(٢٣٣)

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلاّم قال: حدثنا عبد القاهر بن السّريّ السلميّ، قال: كان فتى من بني حرام شويعر هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضْرب، وإن شئت فاحلق، فلا عدْوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، قال: فخلّى سبيله وقال:

فمن يك خائفاً لأذاة شعري فقد أمِنَ الهجاء بنُو حرامِ
هم قادوا سـفيههم وخافوا قلائد مثل أطـواق الحمـام (٢٩٦/٢١)

(٢٣٤)

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حمّاد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبيّ، قال: مررتُ بالفرزدق، وقد كنت دوّنت شيئاً من شعره وشعر جرير، وبلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، وعذت بالله من شره، وجعلت أحدثه حديث أبيه وأنكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لقّبُك بالفرزدق، قال: وأي يوم؟ قلت: مررت به وأنت صبيٌّ، فقال له بعضُ من كان يجالسه: كأنّ ابنك هذا الفرزدقُ دهقان الحيرة في تيهه وأبّهته، فسمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، وجعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أجبته بها، فقلت: ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ ولا تحفظ نقائضه؟ والله لأهجونّ كلباً هجاء يتصل عارُه بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها وتنشدينها، فقلت: أفعل فلزمته شهراً، حتى حفظت نقائضها، وأنشدته إيّاها خوفاً من شرّه. (٢٩٦/٢١)

---

(١) البور: الهلاك.

(٢٣٥)

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدي، عن اليربوعي عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمرّ بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه، ثم قالوا له: مَن أنت؟ قال: ابن شاعركم ومادحكم، وأنا والله ابن الذي يقول فيكم:

أضحى لتغلبَ من تميمٍ شاعرٍ ... يرمي الأعادي بالقريض الأثقل
إن غاب كعبٌ بني جُعَيْلٍ عنهم ... وتنمّر الشعراء بعد الأخطل(١)
يتباشرون بموته ووراءهم ... منّي لهم قطعُ العذاب المُرْسلِ

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذاً، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم والذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقة، وساقوها إليه، فانصرف بها. (٣٠١/٢١)

(٢٣٦)

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدق الحسن، فقال: إني هجوتُ إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعنّ أو لأخرجنّ، فأقول للناس: إن الحسن ينْهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق. (٣٠٤/٢١)

(٢٣٧)

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلاً شعراً قط إلا بيتا واحداً وهو قوله:

الموتُ بابٌ وكُلُّ الناسِ داخلُه ... فليتَ شعريَ بعد الباب ما الدّار؟

قال: وقال لي يوماً: ما تقول في قول الشاعر:

لولا جريرٌ هلكتْ بجيلةُ ... نِعْمَ الفتى وبِئسَتِ القبيلةْ

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مُدِحَ مَنْ هُجِيَ قومه. وقال جرير بن حازم: ولم أسمعه ذكر شعراً قط إلا:

ليس مَنْ مات فاستراح بميتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء

---

(١) كعب بن جعيل: شاعر تغلبي مرّ ذكره.

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبِّر: أيتوضأ من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

ألا أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشزاً ولـو رضيتْ رُمحَ استه لاستقرّتِ

ثم كبَّر. (٣٠٥/٢١)

(٢٣٨)

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ، قال: جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطاً، فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمرٍ نزل بي، قال لها: وما هو، قد ضمنت خلاصك منه. قالت: إن ابناً لي أغزي إلى السِّند مع تميم بن زيد: وهو واحدي قال: انصرفي، فعليَّ انصرافُه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تميم بقوله:

تميمُ بن زيد لا تكوننَّ حاجتي بظهرٍ فلا يخفى عليَّ جوابُها

وهب لي حُبَيْشاً واتَّخذْ فيه منَّةً لحرْمةِ أمٍّ ما يسوغُ شرابُها

أتتني فعاذت يا تميمُ بغالبٍ وبالحفْرة السَّافي عليها ترابُها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحداً اسمه حُبيش، ولا حُنيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله. (٣٦٤/٢١)

(٢٣٩)

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، عن حمّاد الراوية، وأخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال: دخل قوم من بني ضبَّة على الفرزدق فقالوا له: قبَّحك اللهُ من ابن أخت! قد عرَّضتنا لهذا الكلب السفيه - يعنون جريراً - حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قبَّحكم الله من أخوال! فوالله لقد شرُفكم من فخري أكثرُ مما غضَّكم من هجاء جرير، أفلا ويلكم عرَّضتكم لسُويد بن أبي كاهل حيث يقول:

لقـد زَرِقَتْ عيناك يابن مكعْبرٍ كمـا كلُّ ضبِّيٍّ من اللؤم أزرقُ

ترى اللؤم فيهم لائحاً في وجوههم كمـا لاح في خيل الحلائب أبلقُ(١)

---

(١) الحلائب: خيول السباق، والأبلق من الخيل ونحوها: ما اجتمع فيه سواد وبياض.

أو أنا عرُضتكم الأغلب العجليّ حيث يقول:

لن تجـد الضَّبّيُ إلاّ فـلاً عـبـداً إذانا ولقـوم ذلاّ(١)
مـثل قـفـا المُدية أو أكـلاّ حـتى يكـون الألأمَ الأقـلاّ(٢)

أو أنا عرُضتكم له حيث يقول:

إذا رأيتَ رجـلاً من ضـبّـهْ فنكه عمداً في سواءِ السُّبَهْ(٣)
إن اليمانيُّ عـقـاصُ الزُّبَـه

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

ولو يُنبح الضَّبّيُّ بالسيف لم تجد مـن اللـؤم للضَّبّيَ لحماً ولادماً!

والله لما ذكرتُ من شرفكم، وأظهرتُ من أيامكم أكثرُ، ألستُ القائل:

وأنا ابنُ حنظلةَ الأغـرُّ وإنني في آل ضـبّـةَ لَلمُعِـمُّ المُخْولُ
فرعان قد بلغ السّماء ذُراهـمـا وإليهمـا من كل خوف يُعْقَـلُ(٤) (٢١/٣٩٦)

(٢٤٠)

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنا محمد الهيثم الشاميّ قال: حدثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال: دخل أبو حُزابة على طلحة الطلحات الخُزاعي، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سجستان، وكان أبو حُزابة قد مدحه، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته، ورأى ما يُعطي غيرُه من الجوائز، فأنشده:

وأدليـتُ دلـوي في دلاء كثـيـرةٍ فـجئن مِلاءً غير دلوي كـمـا هيا
وأهلكني ألاّ تزالَ رغـيـبـةٌ تُقـصِّر دوني أو تحُـلُّ ورائيـا
أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً لتُمطرني عادتْ عجاجاً وسافيا(٥)

قال: فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدره، ووقعت في حجره، ويقال: بل أعطاه أربعة أحجرٍ، وقال له: لا تُخدعْ عنها، فباعها بأربعين ألفاً. ومات طلحةُ بسجستان. (٢٢/٢٦٠)

---

(١) الفَلّ: المنهزم، إذاناً: مأخوذ من أذنه.

(٢) أكلّ: أضعف.

(٣) السواء: الوسط.

(٤) يُعقل: يُلجأ.

(٥) العجاج: الغبار، وسافيا: ريحاً يذروه التراب.

أخبرني عمي وحبيب بن نصر المهلبيّ، قالا: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن منصور بن عطية الغنويّ قال: أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطريّ قال: خرج العُديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ، فوثب عليه العُديلُ، وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالات قريش أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجبُ الكلامَ، فأحفظه. وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بابه ... فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفْتَحُ(١)
فتىً لا يبالي الدهرَ ماقلّ مالُه ... إذا جعلتْ أيدي المكارم تسنَحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ ... وأخرى على الأداء تسطو وتجرحُ(٢)
إذا ما أتاه المرملون تيقّنوا ... بأن الغِنى فيهم وشيكاً سيسرحُ(٣)
أقام على العافين حُرّاسَ بابه ... يُنادونهم والحرُّ بالحرّ يفرحُ(٤)
هلموا إلى سَيْبِ الأمير وعُرفه ... فإنّ عطاياه على الناس تنْفَحُ(٥)
وليس كعلجٍ من ثمودَ بكفّه ... من الجودِ والمعروف حزم مطوّح

فقال له يزيدُ: عرّضْتَ بنا وخاطرتَ بدمك، وبالله لا يصلُ إليك وأنت في حيِّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله على أفراس، وقال له: الحق بطياء نجد، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجاج أو تحتجنَكَ محاجنُهُ، وابعث إليَّ في كل عام، فلك عليَّ مثلُ هذا، فارتحل، وبلغ الحجاجَ خبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العُديلَ، ففاته، وقال لما نجا:

ودون يد الحجاج من أن تنالني ... بَساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ(٦)

قال: ثم ظفِرَ به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولك: ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا نُكر الحجاجُ أضمرتُ خيفة ... لها بين أحناء الضلوع نقيضُ

فتبسم الحجاجُ، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرضَ له. (٢٢/٣٣٠)

---

(١) أرتج: أغلق، والعُرف: المعروف. (٢) تنهب: تعطي.
(٣) العافون: الطالبون. (٤) المرملون: مَنْ نفد زادهم.
(٥) السيب: العطاء. (٦) البَساط: الأرض العريضة الواسعة، والناعجات: من الإبل السريعة الكريمة.

(٢٤٢)

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ، عن حماد الراوية قال: لما قدم الحجّاجُ العراق قال العُديل بنُ الفرخ:

دعوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما ... يُهان ويُسبى كلُّ من لا يقاتلُ
لقد جرّد الحجاجُ للحقّ سيفه ... ألا فاستقيموا لا يميلنّ مائلُ
وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم ... كنزْوِ القطا ضُمّتْ عليه الحبائلُ(١)
وأصبح كالبازي يقلّبُ طرفه ... على مرقب والطيرُ منه دواحلُ(٢)

قال: فقال الحجاج - وقد بلغتْه - لأصحابه: ما تقولون؟ قالوا: نقولُ: إنه مدحك، فقال: كلاّ ولكنه حرّض عليّ أهلَ العراق، وأمر بطلبه فهربَ وقال:

أخوفُ بالحجاج حتى كأنما ... يُحرّكُ عظْم في الفؤادمهيضُ(٣)
ودون يدي الحجّاج من أن تنالني ... بساطٌ لأيدي الناعجات عريضُ
مَهامِهُ أشباه كأنّ سرابها ... مُلاءٌ بأيدي الغاسلات رحيضُ(٤)

فجدّ الحجاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ، فأتى واسطاً، وتنكّر، وأخذ رُقعة بيده، ودخل إلى الحجاج في أصحاب المظالم، فلما وقف بين يديه أنشأ يقولُ:

هأنذا ضاقتْ بي الأرض كلُّها ... إليك وقد جوّلْتُ كلَّ مكان
فلو كنتُ في ثهلان أو شُعْبتيْ أجأ ... لخلتُكَ إلا أن تُصَدَّ تراني(٥)

فقال له الحجاج: العديلُ أنتَ؟ قال: نعم، أيها الأمير، فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه، وجعل يقول: إيه: بساط لأيدي الناعجات عريض

فقال: لا بساط إلاّ عفوُك، قال: اذهب حيث شئت. (٢٢/٣٤٠)

(٢٤٣)

قال أبو عمر بن العلاء: أول ما حرُك من القُطاميّ ورفع من ذكره أنه قدِم في خلافة الوليدِ بن عبد الملك دمشقَ ليمْدحه، فقيل له: إنّه بخيلٌ لا يُعطي الشُّعراء. وقيل: بل قدمها في خلافة

---

(١) النزو: الحركة السريعة أشبه بالقفز، والحبائل: الأشراك.
(٢) دواحل: غارّة مستترة. (٣) مهيض: مكسور.
(٤) المهامه: الصحاري. (٥) ثهلان: جبل.

عُمر بن عبد العزيز، فقيل له: إن الشعر لا ينْفُق عند هذا ولا يُعطي عليه شيئاً، وهذا عبدُ الواحد بن سُليمان بن عبد الملك فامتدحه، فمدحه بقصيدته التي أوّلها:

إنّا مُحيُّوكَ فاسلم أيها الطّلَلُ وإنْ بليتَ وإن طالتْ بكَ الطِّيَلُ(١)

فقال له: كم أمّلتَ من أميرِ المؤمنين؟ قال: أمّلتُ أن يُعطيني ثلاثين ناقةً. فقال: قد أمرتُ لك بخمسين ناقةً موقرةً بُرّاً وتمراً وثياباً، ثم أمر بدفع ذلك إليه. (١٩/٢٤)

(٢٢٤)

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخْفش قال: حدثنا الحسن بن الحسين السكّريّ، عن الرياشيّ عن الأصمعيّ، قال: وذكره المغيرة بن حبْناء قال: حدثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويُفضّله، وكان راعي الإبل قد ضَخُم أمرُه، وكان من أشعرِ النّاس، فلما أكثرَ من ذلك خرج جريرٌ إلى رجال من قوْمه فقال: ألا تعْجبُون لهذا الرّجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ويُفضّله وهو يهجُو قومه وأنا أمدحهم؟ قال جرير: ثم ضربتُ رأيي فيه، فخرجتُ ذات يوم أمشي إليه. قال: ولم يركَب جريرٌ دابّته، وقال: والله ما يسرُّني أن يعلم أحدٌ بسيْري إليه. قال: وكان لراعي الإبل وللفرزدق وجلسائهما حلقةٌ بأعلى المربد بالبصْرة يجْلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّض لها لألقاه من حيال حيثُ كنتُ أراه.

ثمّ إذا انْصرفَ من مجلسه لقيتُه، وما يَسُرّني أن يعلم أحدٌ، حتى إذا هو قد مرّ على بغلة له، وابنه جنْدل يسير وراءه راكباً مُهَراً له أحْوى محذوف الذّنب وإنْسانٌ يمشي معه ويسْأله عن بعض السُّبب، فلما اسْتقبلتُه قلت له: مرحباً بك يا أبا جنْدل، وضربتُ بشمالي إلى معرفة بغلته، ثم قلتُ: يا أبا جنْدل، إنّ قولك يُستمع، وإنك تفضّل عليّ الفرزدق تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدحُ قومك وهو يهْجوهم، وهو ابنُ عمّي، وليس منك، ولا عليْك كُلفة في أمْري معه، وقد يكْفيك منْ ذلك هيّنٌ، وأن تقولَ إذا ذُكرنا: كلاهما شاعرٌ كريم، فلا تحمل منه لائمة ولا منّي، قال: فبينا أنا وهو كذلك، وهو واقفٌ عليّ لا يردُّ جواباً لقولي. إذ لحق بالرّاعي ابنُه جنْدل، فرفع كرمانيّةً معهُ، فضرب بها عجُز بغْلته، ثم قال: أراكَ واقفاً على كلْب بني كُلَيْب، كأنّك تخشى منه شرّاً أو ترجو منه خيراً، فضرب البغلة ضربةً شديدة، فزحمتْني زحْمةً وقعت منها قلنسوتي. فوالله لو يعُوج عليهَ الرّاعي لقلتُ: سفيهٌ غويٌّ - يعني جنْدلاً ابنه - ولكنه لا والله ما عاج عليهَ، فأخذتُ قلنُسوتي فمسحْتُها وأعدتُها على رأسي وقلت:

---

(١) الطِّيَل: الدّهر.

أجندلُ مـا تقـول بنُـو نُمَيْر إذا ما الأيرُ في استِ أبيك غابا؟

قال: فسمعتُ الرُّاعي يقول لابنه: أما والله لقد طرحتَ قلنسوته طرْحةً مشئومة. قال جرير: ولا والله ما كانت القلنسُوةُ بأغْيظَ أمره إلى لو كان عاج عليّ. فانصرف جريرٌ مُغضباً حتى إذا صلّى العشاء ومنزلُه في عُلَيَّة قال: ارفعوا إليَّ باطية من نبيذ، وأسْرِجُوا لي، فأسرجُوا له وأتوه بباطيةٍ من نبيذ فجعل يُهينم فسمعتْه عجوزٌ في الدار، فطلعتْ في الدَّرجة حتى إذا نظرتْ إليه فإذا هو على الفراش عُريان لما هُو فيه، فانحدرت فقالتْ: ضيفُكم مجْنُون، رأيتُ منهُ كذا وكذا، فقالوا لها: اذْهبي لطيَّتك، نحْنُ أعلم به وبما يُمارس، فما زالَ كذلك حتّى كان السُّحرُ فإذا هو يكبّر، قد قالها ثمانين بيْتاً، فلمّا بلغَ إلى قوله:

فغُضَّ الطَّرفَ إنّكَ منْ نُمَيْرٍ فـــلا كعْباً بلغْتَ ولا كـلابا

فذاكَ حين كبُر، ثم قال: أخزيتُه والله، أخزيتُه وربِّ الكعْبة.

ثم أصبح، حتى إذا عرفَ أنَّ النَّاسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان جرير يعرف مجْلِس الرُّاعي ومجْلس الفرزدق، فدعا بدهنٍ فادَّهن، وكفَّ رأسهُ، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غُلام أسرِجْ لي، فأسرجَ له حصاناً، ثمَّ قصد مجْلسهم، حتّى إذا كان بموْضع السّلام لم يُسلِّم، ثم قال: يا غُلام، قل لعُبيْد الرّاعي: أبَعْثتْك نسْوتُك تُكْسبُهنَّ المال بالعراقِ؟ والذي نفسُ جرير بيده، لترجعنَّ إليهنَّ بما يسوءهن ولا يسرهنَّ ثم اندفع في القصيدة فأنشدها، فنكّس الفرزدق رأسَهُ، وأطرقَ راعي الإبل، فلو انشقّتْ لهُ الأرضُ لساخَ فيها، وأرمَّ القومُ، حتى إذا فرغ منها، سار، فوثب راعي الإبل من ساعته فركب بغلته بشرٍّ وعَرٍّ، وتفرَّق أهلُ المجلس، وصعدَ الرّاعي إلى منزله الذي كان ينزله، ثم قال لأصحابه: ركابَكم ركابكم، فليْس لكم هاهنا مُقام، فضحكم والله جرير فقال له بعضُهم: ذلك شُؤمُك وشُؤْم جنْدل ابنك؛ قال: فما اشتغلوا بشيء غير ترحّلهم، قالوا: فسِرْنا والله إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشُّرَيْف، وهو أعلى دار بني نُمير، فحلف راعي الإبل أنَّهم وجدُوا في أهلهم قوْلَ جرير:

فغُضَّ الطَّرفَ إنّك من نُمَيْرٍ

يتناشدُه النَّاس، وأقْسَم بالله ما بلغه إنسان قطّ، وإنَّ لجرير لأشْياعاً من الجنّ فتشاءمت به بنو نُمير، وسبّوه وسبّوا ابنه، فهُم إلى الآن يتشاءمون بهم وبولدهم(١). (٢٠٦/٢٤)

---

(١) ينظر النص السادس والثمانون السابق ففيه القصة نفسها.

فأخبرني محمدُ بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم الفراسيّ قال: حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ عن حماد الراوية، ولفْظ الرجلين كالمُتقارب قال:

استقْدمني هشامُ بن عبد الملك في خلافته، وأمر لي بصلةٍ سنيّة وحُمْلان فلما دخلتُ عليه استنْشدني قصيدة الأفوه الأوديّ:

لنا معاشرُ لم يبْنُوا لقومِهِمُ ... وإن بنى قومُهم ما أفسَدوا عادُوا

قال: فأنشدتُه إياها، ثم استنشدني قولَ أبي ذُؤَيْب الهُذليّ: أمِنَ المنونِ وريْبها تتوجّعُ

فأنشدتُه إيّاها، ثم استنْشدني قولَ عديّ بن زيدٌ: أرواحٌ مودّع أم بُكور

فأنشدتُه إياها، فأمر لي بمنْزل وجراية، وأقمتُ عنده شهْراً، فسألني عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسنِ أخلاقها، وأنا أخبره وأنشده، ثم أمر لي بجائزة وخلعة وحُملان، وردّني إلى الكوفة، فعلِمْتُ أنّ أمرَه مُقبل.

ثم استقْدمني الوليد بن يزيد بعده، فما سألني عن شيْء من الجدِّ إلا مرّة واحدة، ثم جعلتُ أنشده بعدها في ذلك النحو فلا يلتفت إليه، ولا يهشُّ إلى شيء منه، حتى جرى ذكر عمّار بن ذي كبار فتشوّقه وسأل عنه، وما ظننت أنّ شعر عمّار شيءٌ يُرادُ أو يُعبأُ به. ثم قال لي: هل عندك شيءٌ من شعْره؟ فقلت: نعم أنا أحفظ قصيدة له، وكنت لكثرةعبثي به قد حفظتُها، فأنشدتُه قصيدته التي يقول فيها:

حبُّذا أنتِ ياسلا ... مة ألفين حبُّذا
أشتهي منْك منْك منك ... مكانا مُجنْبذا
مفْعماً في قُبالةٍ ... بين رُكْنين ربذّا
منْغماً ذا مناكب ... حسنْ القدِّ مُحْتذى
رابياً ذا مَجَسّةٍ ... أخنساً قد تقنْفذا
لم ترَ العينُ مثْله ... في منامٍ ولا كذا
تامكاً كالسّنام إذْ ... بُذّ عنه مُقذّذا
ملء كفّيْ ضجيعها ... نال عنها تفخُّذا
لو تأمّلته دُهِشْـ ... ـتَ وعاينْتَ جِهْبذا

طيّب العرف والمجسّـ ـــة واللُّمس هِرْبِـذا
فـأجـأ فـيـه فـيـه فـيـ ـــه .... كـمِثْـــل ذا
ليـتَ .... وليْـــت حـــ ـرْكَ جـمـيـعـاً تآخـذا
فـــأخـــذ ذا بشـــعْر ذا وأخـــذ ذا بقَعْـــرِ ذا

قال: فضحك الوليد حتى سقط على قفاه، وصفَّق بيديْه ورجْليه، وأمرَ بالشراب فأحضر، وأمرني بالإنشاد، فجعلتُ أنشده هذه الأبيات وأكرّرها عليه، وهو يشرب ويُصفِّق حتى سكِر، وأمر لي بحلّتين وثلاثين ألف درهم، فقبضتُها، ثم قال لي: ما فعل عمّار؟ فقلتُ: حيٌّ كميّت، قد عشي بصرُه، وضعُفَ جِسمُه ولا حراك به. فأمر له بعشرة آلاف درْهم. (٢٤/٢٢٠)

العصر العبّاسي

(١)

أخبرنا يحيى بن علي عن أبي أيوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال: وُلد بشّارٌ أعمى، وهو الأكمهُ، وقال في تَصداقِ ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه:

وعبدي فقا عينيكَ في الرَّحْمِ أيرُه ... فجئتَ ولم تعلمْ لعينيكَ فاقيا

أأمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً؟ ... عليٌّ إذاً مشيي إلى البيت حافيا

قال: ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين منْكسرا. (١٤١/٣)

(٢)

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كانتْ بالبصرة قَيْنةٌ لبعض ولدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسنةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشّار صديقاً لسيِّدها ومدّاحاً له، فحضر مجلسه يوماً والجاريةُ تُغنّي؛ فسُرَّ بحضوره وشرب حتى سكر ونام، ونهض بشارٌ؛ فقالت: يا أبا مُعاذ، أحبُّ أن تذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ولا تذكُرَ فيها اسمي ولا اسم سيِّدي وتكْتُبَ بها إليه؛ فانصرف وكتب إليه:

وذاتِ دلٍّ كأن البدرَ صُورتُها ... باتتْ تُغنّي عميدَ القلب سكرانا(١):

(إنَّ العيونَ التي في طرْفِها حورٌ ... قتلْننا ثم لم يُحيينَ قتلانا)

فقلتُ أحسنْتِ يا سُؤْلي ويا أملي ... فاسمعيني جزاكِ اللهُ إحساناً:

(يا حبّذا جبلُ الرَّيان من جبلٍ ... وحبّذا ساكنُ الرَّيانِ مَنْ كانا)(٢)

قالتْ فهّلا، فدتك النفسُ، أحسن منْ ... هذا لمَنْ كان صبَّ القلب حيرانا:

(يا قوم أذْني لبعض الحيِّ عاشقةٌ ... والأذن تعشقُ قبل العين أحياناً)

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً ... أضرمْتِ في القلب والأحشاءِ نيرانا

---

(١) عميد القلب: مريضه. (٢) الرّيان: جبل في ديار طيء.

فاسمعيني صوتاً مطرباً هزجاً ... يزيدُ صبّاً مُحبّاً فيكِ أشجانا(١)
يا ليتني كنتُ تُفّاحاً مُفلّجةً ... أو كنتُ من قُضْبِ الريحان ريحانا(٢)
حتى إذا وجدتْ ريحي فأعجبها ... ونحن في خلوةٍ مُنّتْ إنسانا
فحرّكَتْ عُودَها ثم انثنَتْ طرباً ... تشدُو به ثم لا تُخفيه كتماناً:
(أصبحْتُ أطوعَ خلقِ الله كُلّهم ... لأكثرِ الخلق لي في الحبّ عصيانا)
فقلتُ أطْربتنا يازينَ مجلسنا ... فهاتِ إنكِ بالإحسان أولانا
لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلني ... أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنّتِ الشَّرْبَ صوْتاً مُؤْنِقاً رملاً ... يُذْكي السُّرورَ ويُبْكي العينَ ألوانا(٣):
(لا يقتُلُ اللهُ مَنْ دامَتْ مودّتُهُ ... واللهُ يقتُلُ أهلَ الغدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً. (١٦٥/٣)

(٣)

أخبرني أحمدُ بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بن عُليلٍ قال حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرئ الجحْدريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال: دخل أعرابيّ على مجْزأةَ بن ثورٍ السَّدُوسيّ وبشّارٌ عنده وعليه بزّةُ الشعراء، فقال: الأعرابيّ: من الرجلُ؟ فقالوا: رجلٌ شاعرٌ؛ فقال: أمولّىً هو أمْ عربيّ؟ قالوا: بل مولّىً؛ فقال الأعرابيّ: وما للموالي والشعر! فغضبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً، ثم قال: أتأذَنُ لي يا أبا ثورٍ؟ قال: قل ما شئتَ يا أبا مُعاذٍ؛ فأنشأ بشّارٌ يقول:

خليلي لا أنامُ على اقتسارِ ... ولا أبى على مولّىً وجارِ
سأخْبِرُ فاخرَ الأعراب عنّي ... وعنه حين تأذَنُ بالفخارِ
أحين كُسيتَ بعد العُرْي خزّاً ... ونادَمْتَ الكرامَ على العُقارِ
تُفاخِرُ يابنَ راعيةٍ وراعٍ ... بني الأحرار حَسْبُكَ مِنْ خسار
وكنتَ إذا ظمِئْتَ إلى قراحٍ ... شَرِكْتَ الكلبَ في ولْغِ الإطارِ(٤)
تريغُ بخُطبةٍ كسرَ الموالي ... ويُنْسيكَ المكارمَ صيدُ فارِ(٥)

---

(١) الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه. (٢) مفلجة: مقسمّة.
(٣) المؤنق: المعجب، ومن الواضح أن بشاراً يضمّن في قصيدته أبياتاً من قصيدة جرير المشهورة.
(٤) الإطار: ما ركد من الماء حول البيوت. (٥) تُريغ: تطلب.

وتغدُو للقنافـــذ تدْريهـــا ولم تعـــقِلْ بدَرّاج الدِّيـــار(١)
وتُشـــحُ الشَّمـــالَ للابسـيهـا وترعى الضـــأنَ بالبلدَ القـفـارِ(٢)
مُقـــامُـكَ بيننـا دنسٌ عـلينا فليـستكَ غـائبٌ في حـــرِّ نارِ
وفـخـــرُكَ بين خـنزيرٍ وكـلـبٍ على مـثلي من الحدثِ الكُبـارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ: قبحكَ اللهُ! فأنتَ كسبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك!(٣). (١٦٥/٣)

(٤)

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخْفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مهْديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرْمكيّ قال: كان الزُّوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برْمك السُّؤّالَ؛ فقال خالد: هذا والله اسم استثقله لطُلاّب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يسمّيَ به أمثالَ هؤلاء المؤمّلين، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النّعيم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصد وأفضلُ أدباً، ولكنّا نسمّيهم الزُّوّار؛ فقال بشّار يمدحه بذلك:

حذا خالدٌ في فعله حذوَ برْمكٍ فمجدٌ لـه مُستطرف وأصيلُ
وكـان ذوو الامـالِ يُدعَوْن قبله بلفظٍ على الإعـدام فيـه دليلُ
يُسمّون بالسُّؤّالِ في كلّ موْطنٍ وإن كـان فيهـم نابـــهٌ وجـليلُ
فسمّاهُم الزُّوارَ سترْاً عليهمُ فـأستـارُه في المُجْتدين سُدُولُ

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم. (١٧٣/٣)

(٥)

أخبرني هاشم قال حدّثني دماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال: جاء أبو الشُّمقْمقِ إلى

---

(١) تدْريها: تختلها لتصيدها، ودرّاج: القنفذ.

(٢) الشّمال: جمع شملة وهي الكساء يُتشَح به.

(٣) كان مقتل بشار لأسباب تجمّعتْ، ويقف الشعر في مقدّمتها، وخاصة ذلك الشعر الذي تغلغل إلى الخفايا، ونال من أناس كبار في الدولة، بالإضافة إلى ما حمله من معانٍ شعوبية، ونزعة إلى التقليل من شأن العرب، ولم يكن الشعر في هذا النصّ بقسوته، وشدّة هجائه، يتناسب مع قولة الأعرابي، ولكنّ الشاعر أراد أن ينتقم بحدّته المعروفة عنه فخلط الحابل بالنابل، ونال من القريب والبعيد، وكان على مجزأة أن يوجّه كلاماً لبشار شبيهاً بالكلام الذي وجّهه للأعرابي يلفت نظره فيه إلى شعره العنيف الجارح.

بشّار يشكو إليه الضيقة ويحلف له أن ما عنده شيء؛ فقال له بشّار: والله ما عندي شيء يُغْنيكَ ولكن قُمْ معي إلى عُقبةَ بن سلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال: هو شاعرٌ وله شكر وثناءٌ، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشّار:

يا أحدَ العرب الذي أمسى وليس له نظيرُ
لو كان مِثْلَكَ آخرٌ ما كان في الدنيا فقيرُ

فأمر لبشّار بألفيْ درهم؛ فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فجعل بشّار يضْحَكُ. (١٧٨/٣)

(٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بنُ قاسم بن مهْرُويَهْ قال حدّثنا زكريا بن يحيى أبو السُّكينِ الطائيّ قال حدّثني زحْرُ بنُ حصْنٍ قال: حجَّ المنصورُ فاستقلبناه بالرُّضْم(١) الذي بين زُبالة والشُّقُوقِ، فلما رحل من الشُّقوقِ رحل في وقت الهاجرة فلم يركب القُبّة(٢) وركب نجيباً فسار بيننا، فجعلت الشمسُ تضحكُ(٣) بين عينيه، فقال: إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهبْتُ له جُبَّتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

وهاجرةٍ نصبْتُ لها جبيني يُقطِّعُ ظهرُها ظهْرَ العظايهْ

فبدر بشارٌ الأعمى فقال:

وقفْتُ بها القلوصَ ففاضَ دمعي على خدِّي وأقْصرَ واعظايَهْ

فنزع الجبَّة وهو راكب فدفعها إليه. فقلتُ لبشّار بعد ذلك: مافعلتَ بالجُبَّةِ؟ فقال بشارٌ: بعتُها واللهِ بأربعمائة دينار. (١٧٨/٣)

(٧)

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: لما أنشدَ بشارٌ أرجوزته: ياطلل الحيّ بذات الصَّمْدِ

---

(١) الرُّضْم: قال ياقوت (٥٠/٣): «موضع على ستة أيام من زبالة بينه وبين الشقوق، فيه بركة، وزبالة: منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق، والشقوق: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة.

(٢) القبّة الهودج. (٣) تضحك: تتلألأ.

أبا المِلدِّ عُقْبةَ بن سلْم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثةَ أيام، فأمر غلامه بشّاراً أن يكتبَ على باب عُقْبةَ عن يمين الباب:

مـازال مـامنّيـتني من همِّـي والوعـدُ غمٌّ فـأزِحْ من غـمِّي
إنْ لم تُردْ حمْدي فراقِبْ ذمِّي

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال: هذه منْ فعلات بشّارٍ، ثم دعا بالقهْرمانِ(١)، فقال: هل حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرْتُ له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضيقُّون(٢) وغداً أحملُها إليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرة آلاف درهم واحملِها إليه الساعةَ؛ فحملها من وقته. (١٨٢/٣)

(٨)

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دماذ قال: سألتُ أبا عُبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أولُ ذلك استهتارُ نساء البصرة وشُبّانِها بشعره، حتى قال سوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بنُ دينار: ما شيءٌ ادعى لأهل هذه المدينةِ إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ ومازالا يعظانه؛ وكان واصلُ بنُ عطاءٍ يقول: إن مِنْ أخدع حبائل الشيطان وأغواها لَكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ، وأنشد المهديَّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غيرةً؛ قال: فقلت له: ما أحسبُ شعرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثيّرٍ وجميلٍ وعُرْوة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يعرفُ المراد منها، وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيُّ حُرّةٍ حصانٍ تسمع قولَ بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا همَّ لها إلا الرجالُ؛ ثم أنشد قوله:

قـد لامـني فـي خليلتي عُمـرٌ واللّومُ في غـيـر كُنهـهِ ضـجـرُ
قـال أفـق قلت لا فقـال بلـى قد شاع في الناس منكما الخبرُ
قلتُ وإذ شـاع مـا اعتـذارُك ممّا ليـس لـي فـيه عندهـم عُـذُرُ
مـاذا عليـهم ومـا لهم خـرِسُوا لـو أنّهـم في عـيـوبهم نظرُوا
أعـشـقُ وحـدي ويؤخـذُون بـه كـالتـركِ تغزو فـتـؤخـذ الخَزَرُ
يا عـجـبـا للخـلاف يا عَجَبـا بِفي الذي لامَ في الهـوى الحَجَرُ
حـسـبي وحـسـبُ الذي كلِفْتُ به مـنّي ومـنـه الحـديثُ والنّظـرُ

(١) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج. (٢) مضيّقون: ضيّقو الحال.

أو قُبلةٌ في خـــلال ذاك ومـــا ... بأسٌ إذا لـــم تُحـــلُ لـي الأزُرُ
أو عـــضةٌ في ذراعـــها ولهـــا ... فـــوق ذراعي من عـــضِّهـــا أثرُ
أو لمســـةٌ دون مـــرْطِهـــا بيـــدي ... والبـــابُ قـــد حـــال دونـه السُّتُرُ
والســـاقُ برَّاقـــةٌ مُخلخلُهـــا ... أو مصُّ ريقٍ وقـــد عـــلا البُهُرُ
واســـترخت الكفُّ للعـــراكِ وقـــا ... لـتْ إيـه عـــنِّي والدُّمـــعُ مُنْحـــدرُ
انهضْ فـما أنتَ كـالذي زعـموا ... أنـــتَ وربِّـــي مُـفـــازلٌ أشـــرُ
قـد غـابتِ اليـومَ عنكَ حـاضنتي ... واللـــهُ لي مـنكَ فـيكَ ينتصـــرُ
يـاربِّ خُذْلي فـقـد ترى ضـرعي ... مـن فـاسـقٍ جـاء مـا به سكَرُ
أهوى إلى مِعْضـدي فـرضَّضـهُ ... نو قـــوَّةٍ مـا يُطـــاقُ مُقـتـدرُ
ألصقَ بي لحـيـــةً له خـــشُنَتْ ... ذات ســـوادٍ كـــأنهـــا الإبـــرُ
حـــتَّى عـــلاني وأســـرتي غـيبٌ ... ويلي عليـهم لو أنَّهم حـضـروا
أقـــسم باللـــه لا نجـــوتَ بهـــا ... فـــاذهبْ فـــأنت المُســـاورُ الظَّفِرُ
كـيف بأمِّـي إذا رأتْ شـفـتي ... أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قـد كنتُ أخـشى الذي ابتُليتُ به ... مـنك فـمـاذا أقـولُ يا عـبـرُ
قلتُ لهـــا عند ذاك يا سكني ... لا بأس إني مُـجـــرَّبٌ خـــبِرُ
قُـولي لهـــا بقَّةٌ لهـــا ظُفُـرٌ ... إن كـــان في البقِّ مـــاله ظُفُرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تميل القلوبُ ويلين الصَّعْبُ. (١٨٢/٢)

(٩)

أخبرني عمي قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن سهْل عن محمد بن الحجّاج قال: ورد بشّار على خالد بن برْمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده ومطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

أظلَّتْ علينا مـنكَ يومـاً سحابـةٌ ... أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رشاشُها(١)
فـلا غيمُها يُجلَى فييـأس طامعٌ ... ولا غيثُها يأتي فيروْي عطاشُها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابةُ حتى تبلُّك إن شاء الله. (١٨٤/٣)

---

(١) الرِشاش: المطر الخفيف.

(١٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجونِ قال: دخل بشّار يوماً على عُقبةَ بن سلْمٍ فأنشده قوله فيه:

إنّمـــا لذّةُ الجـــوادِ ابنِ سلْمٍ ... في عطـــاءٍ ومـــرْكَبٍ للّقـــاءِ
ليس يُعطيكَ للرجـاءِ ولا الخـو ... ف ولكـن يلـذُّ طعْـمَ العطـاءِ
يسقُطُ الطيرُ حيثُ ينتثرُ الحَـ ... ـبُّ وتُغْشـى منـازلُ الكُـرماءِ
لا أبالي صفْحَ اللئيم ولا تجْـ ... ـري دُموعي على الحرون الصَّفاءِ(١)
فعلى عُقبةَ السلامُ مقيمـاً ... وإذا سـار تحـت ظـلّ اللـواءِ

فوصله بعشرة آلاف درهم. (١٨٩/٣)

(١١)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال لي خلفٌ: كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسُرعةَ جوابه وجودةَ شعره، فاستنشدتهم شيئاً من شعره، فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينّه ولأطأطئنّ منه، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيمُ الجثّة، فقلتُ: لعنَ الله مَنْ يُبالي بهذا، فوقفتُ أتأمّله طويلاً، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال: إنّ فلاناً سبّك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منكَ؛ فقال: أوقد فعل؟ قال: نعم؛ فانطرقَ، وجلس الرجل عنده وجلستُ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يردُدْ عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درّتْ أوداجُه(٢)، فلم يلبثْ إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه:

نبئْتُ نائكَ أمّـــهِ يغـتابُني ... عند الأميرِ وهل عليَّ أميرُ
ناري مُحرِّقةٌ وبيتي واسعٌ ... للمعتفين ومجلسي معْمُورُ
ولي المهابةُ في الأحبّةِ والعدا ... وكـأنّني أسـدٌ له تامُورُ(٣)
غرثَتْ حليلتُه وأخطأ صيده ... فله على لَقَمِ الطريق زئيرُ(٤)

---

(١) في ديوان بشار (١٣٧/١): الخؤون الصّفاء بدل الحرون الصّفاء، وعلّق المحقّق بقوله: «الخؤون الصفاء هكذا بتعريف المضاف باللام لأنّ الإضافة لفظية، وقد اقترن المضاف إليه باللام. وفي رواية: على خؤون الصفاء وهي أحسن». ولم أجد الحرون الصفاء معنى، ورواية الديوان أقرب وأوضح.

(٢) درّتْ: امتلأت دماً، والأوداج: جمع وَدَج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

(٣) التّامور: عرين الأسد. (٤) غرثت: جاعت، ولَقَم الطريق: متْنه ووسطه.

قال: فارتعدتْ والله فرائصي واقْشعرَّ جلدي وعظُمَ في عيني جداً، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرِّكَ. (١٩١/٣)

(١٢)

أخبرني عمّي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال: كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمّال الخراج، وكان عفيفاً بخيلاً، فسأل عُمرَ بن العلاء، وكان جواداً شجاعاً، في رجل فوهب له مائةَ ألفِ درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عُمر بن العلاء خائنٌ؛ قال: ومن أين علمتَ ذلك؟ قال: كلَّمَ في رجل كان أقصى أمله ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: «قلْ كُلٌّ يعْمَلُ على شاكلته». أما سمعْت قول بشّار في عمر:

إذا دهمتْكَ عظامُ الأمورِ فنبِّهْ لها عُمراً ثم نمْ
فستّى لا ينامُ على دمْنَةٍ ولا يشْربُ الماءَ إلا بدمْ(١)

أو ما سمعتَ قولَ أبي العتاهية فيه:

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنّها قطعَتْ إليكَ سباسباً ورمالاً(٢)
فإذا وردْنَ بنا وردْنَ مُخفَّةً وإذا رجعْنَ بنا رجعْنَ ثقالاً(٣)

أوليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يابنَ العلاء ويابنَ القرْمِ مرْداسِ إني لأطْريكَ في صحْبي وجُلاّسي
حتى إذا قيل ما أعطاك من نشبٍ ألفيتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسي

ثم قال: من اجتمعتْ ألْسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله. (١٩٢/٣)

(١٣)

نسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ بن يحيى قال حدّثني علي بن مهديّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال: مدح بشارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه:

لعمْري لقد أجْدى عليٌّ ابنُ برمكٍ وما كلُّ مَنْ كان الغنى عنده يُجْدي(٤)

---

(١) الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدّهر.
(٢) السباسب: الصحاري. (٣) وردن مخفّة: جاءت خفيفة لا تحمل شيئاً، ورجعت ثقيلة بسبب هداياك وجوائزك. (٤) أجدى: لها أنعم.

حلبتُ بشعْري راحتيْه فدرّتا سماحاً كما درُّ السَّحابُ مع الرعدِ
إذا جئته للحمد أشرق وجهُه إليك وأعطاكَ الكرامةَ بالحمد
له نِعمٌ في القوم لا يستثيبُها جزاءٌ وكيْلَ التاجر المُدُّ بالمُدِّ
مُفيدٌ ومتلافٌ، سبيلُ تُراثه إذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمدِّ(١)
أخالدُ إنَّ الحمدَ يُبقي لأهله جمالاً ولا تبقى الكُنوزُ على الكدِّ
فأطْعِمْ وكُلْ من عارةٍ مُستردَّةٍ ولا تُبقها، إن العواريَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم، وكان قبل ذلك يُعطيه في كلِّ وفادةٍ خمسةَ آلاف درهم، وأمر خالدٌ أن يُكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه. وقال ابنه يحيى بن خالد: آخرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين(٢). (١٩٢/٣)

(١٤)

ونسختُ من كتاب هارونَ بن عليّ أيضاً حدّثني (عليّ قال حدّثني) عبيد الله بن أبي الشّيص عن دعْبل بن عليّ قال: كان بشّارٌ يُعطي أبا الشُمقْمقِ في كلِّ سنة مائتيْ درهم، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقال: ويْحكَ! أجزيةٌ هي! قال: هو ما تسمعُ؛ فقال له بشّارٌ يُمازحه: أنتَ أفصحُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منّي بمثالب الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعرُ منّي؟ قال: لا؛ قال: فلمَ أعطيكَ؟ قال: لئلا أهجُوكَ؛ فقال له: إنْ هجوتني هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل مابدالك؛ فقال أبو الشمقمق:

إني إذا ما شاعرٌ هجانيهْ ولجَ في القول له لسانيهْ
أخذلتُه في أستِ أمّهِ علانيهْ بشّـارُ يا بشّـارُ.....

وأراد أن يقول: «يابنَ الزانيهْ»؛ فوثب بشّارٌ فأمسك فاه، وقال: أراد والله أن يشتُمني، ثم دفع إليه مائتيْ درهم ثم قال له: لا يسمعنّ هذا منكَ الصّبيانُ يا أبا الشمقمق. (١٩٤/٣)

---

(١) التُّراث: ما يخلفه الرجل لورثته، وهو بهذا المعنى لا يتمشّى مع القصد الذي يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فمالُه دائماً لذلك السبب يعتوره النّقص والزيادة، والظاهر أن كلمة تراثه محرّفة عن ثرائه، هذا ما ورد في هامش الأغاني.

(٢) مايزال للشعر تأثيره ومكانه في النفوس، وليس هيّناً أن يُكتب الشعر في صدر المجلس، ويُوصى أن يُعمل به، ويستفاد منه، وليست الكتابة والوصية سوى اعتراف بقيمة هذا الشعر وما حوى من معانٍ وجدتْ لها قبولاً في النفوس.

(١٥)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني الحسنُ بنُ عُليلٍ العنزيُّ قال حدّثني محمد بنُ بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال: أمر عقبةُ بنُ سلْم (الهُنائيُّ) لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم، فأخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له: يا أبا مُعاذٍ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشدونَ:

هلُّلينَـــهْ هلُّلينَـــهْ طعْنَ قـــتّاةٍ لتـــينَهْ
إنَّ بشّـــارَ بـنَ بـــردٍ تيسٌ أعمى في سـفينهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتيْ درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق.
(١٩٥/٣)

(١٦)

أخبرني أحمد قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني المغيرةُ بن محمد المهلّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال: مررتُ ببشّار فقلت: السّلام عليك يا أبا مُعاذٍ؛ فقال: وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسنُ الرأي فيك؛ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!
(١٩٦/٣)

(١٧)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المرْوزيّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثني أبي قال: لما خلعَ محمدٌ المأمونَ وندب له عليُّ بن عيسى، ندب المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهر بنَ الحسين ذا اليمينين(١) وجلس له لعرْضه وعرْض أصحابه، فمرَّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنْشدُ:

---

(١) ذو اليمينين: هو لقب طاهر بن الحسين، ولد سنة (١٥٩هـ)، وتوفي سنة (٢٠٧هـ)، يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان (٥٢٢/٢): «واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأي معنى كان، فقيل لأنّه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان . فقدّه نصفين فقال فيه بعض الشعراء: (كلتا يديك يمين حين تضربه) فلقبه المأمون ذا اليمينين» وذكر الثعالبي في (ثمار القلوب ص٢٩١)، أنّه سُمّيَ بذي اليمينين «لأنّ المأمون كتب إليه لمّا فرغ من أمر الأمين: يا أبا الطيّب، يمينك يمين أمير المؤمنين، وشمالك يمين؛ فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل، فلزمه هذا الاسم».

رُوَيدَ تصاهَل بالعراق جيادُنا كأنك بالضحّاك قد قام نادبُهْ(١)

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعادَ عليه؛ فقال ذو الرِّياستين(٢): يا أمير المؤمنين هو حجرُ العراق؛ قال: أجلْ. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشّار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همٌ لهم بخير. (١٩٩/٣)

(١٨)

أخبرنا محمدُ بن عِمْرانَ الصيرفيُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُليلٍ العنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلّادٍ قال: أنشدتُ الأصمعيّ قول بشّارٍ يهجو باهلة:

ودعاني معشرٌ كلُّهُمُ حُمُقٌ دام لهمْ ذاكَ الحُمُقْ
ليس من جُرْمٍ ولكن غاظَهُم شرفي العارضُ قد سدَّ الأفُقْ

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال: ويْلي على هذا العبدِ القِنِّ ابنِ القِنّ!. (٢٠٠/٣)

(١٩)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني بعضُ أصحابنا قال: وفد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده:

أخالدُ لم أخْبِطْ إليك بذمّةٍ سوى أنني عافٍ وأنتَ جوادُ(٣)
أخالدُ بين الأجر والحمدِ حاجتي فأيُّهما تأتي فأنتَ عمادُ
فإن تُعطني أفرغْ عليك مدائحي وإن تأبَ لم يُضربْ عليّ سداد(٤)
ركابي على حرْفٍ وقلبي مُشيّعٌ ومالي بأرض الباخلين بلادُ(٥)
إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتُها خرجتُ مع البازي عليّ سوادُ

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه، وقال: يا أبا معاذ، هل استقلّ العماد؟ فلمس الأكياس ثم قال: استقلّ والله أيّها الأميرُ. (٢٠٢/٣)

---

(١) تصاهل: أصلها تتصاهل

(٢) ذو الرياستين: هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولُقّب كذلك لأنّه تقلّد الوزارة والسيف. ينظر ثمار القلوب، ص٢٩٢.

(٣) أخبط: أسير إليك. (٤) السِّداد ما تُسُدّ به الثلمة ونحوها.

(٥) الحرف: الناقة القوية، والمشيّع: الشجاع.

(٢٠)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال: وقف رجلٌ من بني زيد شريفٌ، لا أحبُّ أن أسميه، على بشّار، فقال له: يا بشّار قد أفسدتَ علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل؛ فقال له بشار: والله لأصلي أكرمُ من الذّهب، ولفرْعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبك له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جواب كلامك كلاماً لفعلت، ولكنّ موعدك غدا بالمِرْبد؛ فرجع الرجلُ إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضرُ معه المربد ليفاخرَه، فخرج من الغد يريد المربدَ فإذا رجل يُنشدُ:

شهدتُ على الزِّنديّ أنّ نساءه ... ضباعٌ إلى أير العُقيليّ تزفِرُ(١)

فسأل عمّن قال هذا البيت؛ فقيل له: هذا لبشّار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربد حتّى مات. قال ابن سلاّم: وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوتُ بني زيدٍ فما في كبارهم ... حُلُومٌ ولا في الأصغرينَ مُطهّرُ
فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم ... وإن لم يكن فيهم سراةً توقّرُ
لأمكم الويلاتُ إنّ قصاندي ... صواعقُ منها مُنجدٌ ومغوّرُ
أجدُّهُم لا يتّقون دنيّةً ... ولا يؤثرون الخير والخير يؤثرُ(٢)
يلُفُّون أولاد الزّنا في عدادهم ... فعِدّتُهم من عدّة الناس أكثرُ(٣)
إذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم ... أطافوا به، والغيُّ للغيّ أصورُ(٤)
لقد فخروا بالمُلحقين عشيّةً ... فقلتُ افخروا إن كان في اللؤم مفخرُ(٥)
يريدون مسْعاتي ودون لقائها ... قناديلُ أبواب السّموات تزْهَرُ(٦)
فقل في بني زيدٍ كما قال مُعْربٌ ... قواريرُ حجّامٍ غداً تتكسّرُ

فقال يونس للذي أنشده: حسْبُك حسبك! مَنْ هيّجَ هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلانٌ؛ فقال: رُبَّ سفيهٍ قومٍ قد كسب لقومه شرّاً عظيماً. (٢٠٣/٣)

---

(١) ضباع: جمع ضبعة وأصله الناقة تريد الفحل.

(٢) يقال أجدُّك بكسر الجيم فهو استحلاف بجدّه وحقيقته، وأجدُّك بفتح الجيم استحلاف بجدّه وهو بخته.

(٣) يلفّون: يجمعون. (٤) أصور: أميل.

(٥) الملحقين: الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنا. (٦) المسعاة: المكرمة، وتزهر: تتلألأ.

(٢١)

أخبرني عمي قال حدّثنا ابنُ مهْرويه قال حدّثني عبدُ الله بنُ بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال: قال بشار: دعاني عقبةُ بن سلْم ودعا بحمّاد عجْرد وأعشى باهلةَ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر ببالي البارحة مثلٌ يتمثّله الناسُ: «ذهب الحمارُ يطلبُ قرنين فجاء بلا أذنين» فأخْرجُوه من الشعر، ومَن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جلْدتُكم كلّكُم خمسمائة؛ فقال حمّاد: أجلّنا أعزُّ اللهُ الأمير شهراً؛ وقال الأعشى: أجلّنا أسبوعين؛ قال: وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم؛ فقال له عُقبة: مالك (يا أعمى) لا تتكلّمُ؛ أعمى الله قلبك! فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، قد حضرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه؛ فقال قل: فقال:

شطَّ بسلْمى عاجلُ البينِ ... وجاورتْ أسْدَ بني القيْنِ
ورنّتِ النفسُ لها رنّةً ... كادتْ لها تنشقُّ نصفين
يابنة من لا أشتهي ذكره ... أخشى عليه عُلقَ الشيْنِ
واللهِ لو ألقاكِ لا أتّقي ... عيناً لقبّلتُكِ ألفيْنِ
طالبتُها ديني فراغتْ به ... وعلّقتْ قلبي مع الدّيْنِ
فصرتُ كالعيْرِ غدا طالباً ... قرْناً فلم يرجعْ بأذْنيْنِ

قال: فانصرف بشّارٌ بالجائزة. (٣/٢٠٥)

(٢٢)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال: كان الأخفشُ طعنَ على بشّار في قوله:

فالآنَ أقْصرَ عن سُمَيّةَ باطلي ... وأشار بالوَجَلى عليّ مُشيرُ

وفي قوله:

على الغَزَلى منّي السلامُ فربّما ... لهوْتُ بها في ظلّ مرْعُومةٍ زُهْرِ(١)

وفي قوله في صفة سفينة:

تُلاعِبُ نينانَ البُحورِ وربّما ... رأيتَ نُفوسَ القوم من جرْيها تجْري(٢)

---

(١) مرعومة: محبوبة مألوفة. (٢) النينان: الحيتان.

وقال: لم يُسمعْ من الوَجِل والغزل فَعَلَى، ولم أسْمع بنُونٍ ونينانٍ! فبلغ ذلك بشّاراً فقال: ويْلي على القصّارين!(١) متى كانت الفصاحةُ في بيوت القصّارين! دعُوني وأيّاه! فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجزعَ؛ فقيل له: ما يُبْكيكَ؟ فقال: ومالي لا أبكي وقد وقعْتُ في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه إلى بشار فكنّبوا عنه واستوهبُوا منه عِرْضه وسألوه ألاّ يهجوه؛ فقال: قد وهبْتُه للوْم عِرضه. فكان الأخفشُ بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كتُبُه ليبلُغه؛ فكفَّ عن ذكره بعد هذا.

قال: وقال غيرُ أبي حاتم: إنما بلغه أنَّ سيبويه عاب هذه الأحرف عليه لا الأخفش، فقال يهجُوه:

أسِبويْهِ يابنَ الفارسيَّة ما الذي ... تحدَّثْتَ عن شتْمي وما كُنتَ تنبذُ
أظلْتَ تُغنّي سادراً في مساءتي ... وأمُّك بالمصرينِ تُعْطى وتأخُذُ(٢)

قال: فتوقّاه سيبويه بعد ذلك، وكان إذا سُئلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجد له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به استكفافاً لشرِّه. (٢٠٩/٣)

(٢٣)

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثني محمدُ بن القاسم بن مهْرويْهْ قال حدثني محمد بن عثمانَ الكُرْيزيّ قال حدّثني بعضُ الشعراء قال: أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار، فقال لي: خذ منها ما شئتَ، أو تدري ما سبَبُها؟ قلتُ: لا؛ قال: جاءني فتىً فقال لي: أنتَ بشّار؟ فقلتُ: نعم؛ فقال: إني آليتُ أن أدفعَ إليك مائتيْ دينارٍ وذلك أني عشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتُها فلم تلْتفتْ إليّ، فهممْت أن أتركها فذكرتُ قولك:

لا يؤْيسنَّكَ من مُخبَّأةٍ ... قولٌ تُغلّظُه وإن جرحا
عُسْرُ النِّساء إلى مياسرةٍ ... والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جمحا

فعدتُ إليها فلازمتها حتى بلغتُ منها حاجتي. (٢٠٩/٣)

(٢٤)

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسنُ بن عُليلٍ العنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن منْجوفٍ قال: كان بشّار مجاوراً لبني عُقيلٍ وبني سَدوسٍ في منزل الحيينِ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانَتْ عُقيلٌ ببشّار وقالوا له: يا أبا مُعاذٍ، نحن أهلُكَ وأنت

(١) القصّار: مَنْ يحوّر الثياب ويدقّها. (٢) السّادر: المتحيِّر.

وابنُنا وربيبَ في حُجورنا فأعنّا... فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأنَّ بني سَدوسٍ رهطَ ثَوْرٍ خنافسُ تحت مُنكسر الجدار
تُحرِّكُ للفخارِ زُبانييْها وفخرُ الخُنفساءِ من الصِّغار(١)

فوثبَ بنو سدُوسٍ إليه فقالوا: مالنا ولكَ يا هذا! نعوذ بالله من شرِّك! فقال: هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها. (٢١٠/٣)

(٢٥)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخزاعيّ قال: ورد بشار بغداد فقصد يزيد بن مزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهراً؛ ثم ورد روْحُ بنُ حاتم فبلغه خبر بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُسأ كثيرة؛ وكان يحضرُ قيساً مرّة، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزْيد:

ولمّا التقينا بالجُنينية غرّني بمعروفه حتى خرجتُ أفُوقُ(٢)
حباني بعبدٍ قعْسريٍّ وقَيْنةٍ ووشْيٍ وآلافٍ لهنَّ بريقُ(٣)
فقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهد خالياً لنا دونه عند الخليفة سُوقُ(٤)
رقدتَ فَنَمْ يابن الخبيثة إنها مكارِمُ لا يسْطيعُهُنَّ لصيقُ
أبى لك عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حليقُ (٢١٣/٣)

(٢٦)

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدثنا عُمرُ بنُ شبّة قال حدثني خلادٌ الأرقطُ قال: لمّا أنشدَ المهديُّ قول بشار:

لا يُؤْيسنَّكَ من مُخبَّأةٍ قولٌ تغلّظُهُ وإن جرحا
عُسْرُ النساءِ إلى مُياسرةٍ والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جمحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثلَ هذا، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سمّان، فقال له: أنشدْنا يا أبا معاذٍ شيئاً من غزلك، فأنشأ يقول:

---

(١) زبانيا العقرب: قرناها.

(٢) الجنينة: اسم موضع، ينظر ياقوت، ٢ / ١٧٣، أفوق: كناية عن كثرة العطاء.

(٣) القعسريّ: الصلب الشديد. (٤) يلعص: يلعق.

وقائلٍ هاتِ شوِّقْنا فقلتُ له ... أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سمّانِ
أما سمعتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ ... وفي الحليفينِ من نجْرٍ وقحطانِ
قال الخليفةُ لا تنْسبْ بجاريةٍ ... إياكَ إياك أن تشْقى بعصيانِ(١) (٢٢١/٣)

(٢٧)

أخبرني عيسى قال حدثنا سليمان قال: قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشّار فقال له: قُلْ في الحبّ شعراً ولا تُطِلْ واجعلِ الحبُّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمِّ أحداً: فقال:

اجعلِ الحبُّ بين حبّي وبيني ... قاضياً إنني به اليوم راضي
فاجتمعنا فقلتُ ياحبَّ نفسي ... إنَّ عيني قليلةُ الإغماضِ
أنتَ عذّبتني وأنحلتَ جسمي ... فارحمِ اليومَ دائمَ الأمراض
قال لي لا يحلُّ حُكمي عليها ... أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراض(٢)
قلتُ لمّا أجابني بهواها ... شملَ الجورُ في الهوى كلَّ قاضي

فبعث إليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافقنا ذلك، فأمر له بألف دينار. (٢٢٢/٣)

(٢٨)

أخبرني عمّي قال حدّثني سليمانُ قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيدٌ ـ جليسٌ كان لأبي زيد ـ قال: أتاني أعشى سُلَيْم وأبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن يُنْشدَكَ شيئاً من هجائهِ في حمّاد عَجْرد أو في عمروٍ الظالميّ فإنه إن عرفنا لم يُنشِدْنا، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء إلى وادٍ آخر وهما يستمعان وبشّار لا يعرفهُما، فلما خرجا قال أحدُهما للآخر: أمّا تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أعرِّض ـ والله ـ والديَّ له أبداً؛ وكانا قد جاءا يزُورانه، وأحسبُهما أرادا أن يتعرّضا لهاجاته. (٢٢٣/٣)

(٢٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهْرويه قال حدّثني أحمدُ بن خلاّد بن المبارك قال

---

(١) يوصف الخليفة المهدي بأنّه كان ذا غيرة شديدة، ولم يكن ليرضيه ما يشيعه بشّار في شعره من معاني الغزل الواضح، ولذلك جاء النهيَ متفّقاً مع أخلاق الخليفة، وموّجهاً لبشار تحذيراً ـ لا نظنّه ـ قد أخذ به، فكانت النهاية المعروفة. (٢) الإحراض: إدناف الحبّ.

حدثني أبي قال: كان بالبصرة فتىً من بني منْقَرٍ أمُّه عجليَّةٌ، وكان يبعثُ إلى بشّار في كل أضْحيَّةٍ بأضحيَّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسمِّنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تُباعُ الأضحية بعشرة دنانير، ويبعثُ معها بألف درهم؛ قال: فأمر وكيله في بعض السنين أن يُجْريه على رسْمه، فاشترى له نعجةً كبيرةً غير سمينةٍ وسرق باقي الثمن، وكانت نعجةً عبديَّةً من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاجٌ مرنُولٌ، فلما أُخلِتْ عليه قالت له جاريته ربابةُ: ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يبعثُ بها إليك؛ فقال: أدنيها منّي فأدنتْها ولمسها بيده ثم قال: اكتب يا غُلامُ:

وهبتَ لنا يا فتى منقرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهمْ أوّلا
وأبسطهم راحةً في النّدى ... وأرفعهم ذِرْوةً في العُلا
عجوزاً قد اوْردها عمُرها ... وأسكنها الدهرُ دارَ البِلى
سلُوحاً توهّمتُ أن الرِّعاء ... سَقَوْها ليُسهلَها الحنظلا
وأضرط من أمّ مُبتاعها ... إن اقتحمتْ بُكْرةً حرْملا(١)
فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنِّرسيان ... وتدْمِجُ المسكَ والمنْدلا(٢)
لما طيّبَ اللهُ أرواحها ... ولابلَ من عظْمها الأقْحلا(٣)
وضعتُ يميني على ظهرها ... فخلْتُ حراقفها جنْدلا(٤)
وأهوتْ شمالي لعُرْقوبها ... فخلتُ عراقبها مِفْزلا
وقلّبتُ أليْتها بعد ذا ... فشبّهتُ عُصْعُصها منْجلا
فقلتُ أبيعَ فلا مشرباً ... أرجِّي لديها ولا مأكلا
أم اشوي وأطبخُ من لحمها ... وأطْيبُ من ذاك مضْغُ السُّلى(٥)
إذا ما أمرَّتْ على مجلسٍ ... من العُجْبِ سبّحَ أو هلّلا
رأوْا آيةً خلْفها سائقٌ ... يحُثُّ وإن هرْولتْ هرْولا
وكنتَ أمرتَ بها ضخْمةً ... بلحمٍ وشحمٍ قد استُكْملا
ولكنّ روحاً عدا طوره ... وما كنتُ أحسبُ أن يفعلا
فعضّ الذي خانَ في أمرها ... من استْتِ بظْرها الأغْرلا
ولولا مكانُك قلّدتُه ... علاطاً وأنشقتُه الخرْدلا(٦)

---

(١) الحرمل: نبات كالسمسم يُتعب آكله. (٢) النِّرسيان: نوع من أجود التمر. (٣) الأقحل: اليابس.
(٤) الحراقف: جمع حرقفة وهي رأس الورك. (٥) السُّلى: الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمّه.
(٦) العِلاط: حبل يُجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه.

ولولا استحائيك خضّبتُها وعلقت في جيدها جُلْجلا
فجاءتْ حتى ترى حالها فتعْلمَ أنّي بها مُبْتلى
سألتُك لحماً لصبْيانِنا فقد زِدْتني فيهمُ عيلا
فخُذْها وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بي مُحسِناً مُجْمِلا

قال: وبعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له: ويلك! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أعطيه وتُوقعني في لسانه! اذهَبْ فاشترِ أضحيةً، وإن قدرتَ أن تكونَ مثل الفيل فافعل، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعثْ بها إليه. (٢٢٧/٣)

(٣٠)

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المدينيّ قال: كان نافع بن عُقْبة بن سلْم جواداً مُمدّحا، وكان بشّار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفدَ إليه وقد ولي مكانَ أبيه، فمدحه بقوله:

ولنافعٍ فَضْلٌ على أكفائه إنّ الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ
ويا نافعَ الشّبْراتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياح وأعْقبتْ بُويُولِ(١)
أشبهتَ عُقْبةَ غيرَ ما مُتشبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قبُولِ
ووليتَ فينا أشهراً فكفيتنا عنتَ المُريبِ وسلّةَ التّضليلِ(٢)
تُدْعى هِلالاً في الزمان ونافعاً والسِّلمُ نِعْمَ أبُوّةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفدَ عليه. (٢٣٠/٣)

(٣١)

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال: لمّا مات بشّار ونُعيَ إلى أهل البصرة تباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمدوا الله وتصدّقوا، لما كانوا مُنُوا به من لسانه. (٢٤٨/٣)

(٣٢)

أخبرني عمّي قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضّبّيّ قال: وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يا واحدَ العرب الذي أضحى وليس له نظيرُ

---

(١) الشّبْرات: جمع شبرة وهي العطية.

(٢) سلّة التضليل: ظهور التضليل وانتشاره.

لـو كـان مثلك آخـرٌ ما كان في الدّنيا فقيرُ

قال: فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الورق والعيْن(١) بقيّةٌ عشرون ألفَ دينار. فقال: ادفعْها إليه، ثم قال: يا أخي، المعْذرةِ إلى الله وإليك، والله لو أنّ في ملكي أكثر لما احتجبتُها عنك. (٣/٢٨٩)

(٣٣)

أخبرني الحسن بن علي محمد بن خلف بن المرْزبان قالا حدثنا أحمد بن زُهير بن حرْب قال حدّثنا مُصعب الزُّبيريّ عن عبد الملك بن الماجشون قال: كان ابن المولى مدّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العبّاس الهاشميّيْن ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلّب، واستفرغ مدحه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها:

يا واحد العرب الذي دانت له قحطانُ قاطبةً وساد نزارا
إنّي لأرجو إن لقيتُك سالما ألاّ أعالِجَ بعدك الأسفارا
رِشتَ النّدى ولقد تكسّر ريشُه فعلا النّدى فوقَ البلاد وطارا(٢)

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إيّاها؛ فأعطاه حتّى رضيَ. ومرض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقُل حتّى أشْفى، فلمّا أفاق من علّته ونهض، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرّفاً خبره، فقال: لوبِتُّ والله يا أبا عبد الله ألاّ تعالج بعدي الأسفار حقاً، ثم أضعفَ صِلَته. (٣/٢٩٠)

(٣٤)

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني الزُّبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال: كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقيتُه فأنشدتُه، وقد خرج من مسجد رسول الله(ص) إلى أن صار إلى مسجد الشّجرة، فأعطاني رزمتي ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضياعا تُغِلُّ ألفَ دينار، أقومُ في أدناها وأصيح بقيِّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها. (٣/٢٩٠)

(٣٥)

قال الحزْنبلُ: وحدثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى الحسن بن زيد قال: قدم ابنُ المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

---

(١) الورق: الفضة، والعين: الذهب. (٢) رِشْتَ: جعلت له ريشاً.

وما قارع الأعداءَ مثلُ محمد ... إذا الحربُ أبدتْ عن حُجولِ الكواعبِ(١)
أشمُّ من الرهط الذين كأنهم ... لدى حندس الظلماء زُهْرُ الكواكب(٢)
فتى ماجدُ الأعراق من آلِ هاشمٍ ... تبحْبح منها في الذُّرى والنُّوائبِ(٣)
إذا ذُكِرتْ يوماً مناقبُ هاشم ... فإنكم منها بخير المناصبِ
ومَنْ عِيب في أخلاقه ونصابه ... فما في بني العبّاس عيْبٌ لعائب
وإنَّ أمير المؤمنين ورهْطَهُ ... لأهلُ المعالي من لُؤيِّ بن غالبِ
أولئك أوتادُ البلادِ ووارثو النبيِّ ... بأمرِ الحقِّ غير التُكاذُبِ

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

وما نقموا إلا المودّةَ منهمُ ... وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهُم نالوا لهم بدمائهم ... شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهُم ... بسمُرِ القنا والمُرهفاتِ القواضبِ(٤)
وحامُوا على أحسابهم وكرائم ... حسانِ الوجوهِ واضحاتِ الترائبِ
وإن أمير المؤمنين لعائدٌ ... بإنعامه فيهم على كلِّ تائبِ
إذا ما دنَوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا ... تجاوز عنهم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأقْصيْن أن يركبوا الرّدى ... فكيف به في واشجاتِ الأقاربِ(٥)

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، وقدم المدينةَ فائتفق وبنى داره ولبس ثيابا فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفةٌ في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه:

هاج شوقي تفرُّقُ الجيرانِ ... واعترتني طوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني ... حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

ولو أن امرأ ينال خلودا ... بمحلٍّ ومنْصِبٍ ومكانِ
أو ببيتٍ ذُراه تلْصَق بالنجـ ... ـم قرانا في غير بُرج قران

---

(١) الحجول: جمع حجل وهو الخلخال. (٢) تبحبح: تمكّن.
(٣) الحندس: الليل الشديد الظلمة، والنصاب: الأصل. (٤) القواضب: القواطع.
(٥) الواشجات: جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة.

أو بمجد الحياة أو بسماحٍ أو يحلم أوفى على ثهلان
أو بفضل لناله حسنُ الخيـ ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهط أبي القا سم رهطِ اليقين والإيمانِ
هم نَوُو النور والهُدى ومدى الأمـ ـر البرهان والعرفانِ
مَعْدِنُ الحق والنبوّة والعد ل إذا ما تنازع الخصمانِ
وابنُ زيد إذا الرجال تجارَوْا يوم حفل وغاية ورهان
سابقٌ مُفْلِقٌ نُجيزُ رِهانٍ ورث السَّبْق من أبيه الهجانِ

قال: فلما أنشده إياها دعا به خالياً ثم قال له: ياعاضٌ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أمير المؤمنين ورهطه لرهطُ المعالي من لُؤيِّ بن غالبِ
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبيِّ بأمر الحقِّ غير التُّكاذُبِ

فقال له: اتُنْصفني يابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل: وإن أمير المؤمنين ورهطه، ألستم رهطه؟ فقال: دعْ هذا، ألم تقدر أن ينفُق شعرُك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول:

وما نقموا إلا المودّةَ منهُم وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهم نالوا لهم بدمائهم شفاء نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ

فوجمَ ابنُ المولى وأطرق ثم قال: يابن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرّب بجهْده، ثم قام فخرج من عنده منكسراً، فأمر الحسنُ وكيله أن يحملَ إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل، فقال ابن المولى: والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ، فأما إنْ قرنها بالرضا فقبلتُها، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط البتّة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيتُ فاقبلْها، ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه:

سألتُ فأعطاني وأعطى ولم أسلْ وجاد كما جادت غوادٍ رواعِدُ
فأقسم لا أنفكُّ أنشِدُ مدْحَه إذا جمعْتني في الحجيج المشاهدُ
إذا قلتُ يوماً في ثنائي قصيدةً ثنيْتُ بأخرى حيث تُجْزى القصائدُ (٢٩٢/٣)

(٣٦)

قال الحزْنبل: وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال: لما انصرف يزيد بن

حاتم من حرب الأزارقة وقد ظَفِر، خُلِع عليه وعُقِدَ له لواءٌ على كور الأهْواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

ألا يا لقومي هل لما فات مطلبُ ... وهل يُعْذَرَنْ ذو صبْوة وهو أشْيبُ
يحِنُّ إلى ليلى وقد شَطّت النوى ... بليلى كما حنّ اليراعُ المثقبُ(١)
تقرَّبتُ ليلى كي تُثيبَ فزادني ... بعادا على بعدٍ إليها التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن ... دواءً لما ألقاه منها التجنُّبُ
فلا أنا عند النأي سالٍ لحبها ... ولا أنا منها مُشْتفٍ حين تصْقَبُ(٢)
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضا ... ولكنني أنوي العزاءَ فأغلبُ
وليلٍ خُداريِّ الرُّواق جشمتُه ... إذا هابه السارون لا أتهيَّبُ(٣)
لأظْفَرَ يوماً من يزيد بن حاتم ... بحبل جوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلوتُ وقلّبتُ الرجال كما بلا ... بكفيّه أوساط القداح مُقلِّبُ
وصعّدني همّي وصوّب مرّةً ... وذو الهمّ يوما مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ(٤)
لأعرف ما أتي فلم أر مثله ... من الناس فيما جاز شرقٌ ومغربُ
أكرُّ على جيش وأعظمَ هيبةً ... وأوهبَ في جُودٍ لما ليس يوهبُ
تصدّى رجالٌ في المعالي ليلْحقوا ... مداكَ وما أدركته فتذبْذبُوا
ورُمت الذي راموا فأذللت صعبه ... ورامُوا الذي أذللتَ منه فأصعبوا
ومهما تناولْ من منال سنيّة ... يساعدْك فيها المُنْتمى والمركَّبُ(٥)
ومنصبُ آباء كرامٍ نماهُم ... إلى المجد آباءٌ كرامٌ ومنصبُ(٦)
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ ... بدا منهمُ بدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنار به آل المهلّب بعدما ... هوى منكبٌ منهم بليلٍ ومنكبُ
وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ ... بنائبة كادت لها الأرض تخْرَبُ
فلو أبقتِ الأيامُ حيّاً نفاسةً ... لأبقاهُم للجود نابٌ ومخلبُ
وكنتَ ليوميْ نعمةٍ ونكايةٍ ... كما فيهما للنّاس كان المهلَّبُ
ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا ... قبورٌ بها موتاكم حين غُيّبوا

---

(١) اليراع المثقّب: المزمار. (٢) تصقب: تقرب.
(٣) الخداريّ: المظلم. (٤) همّي: عزمي.
(٥) المركّب: المنبت. (٦) المنصب: الأصل.

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده. (٢٩٥/٣)

(٣٧)

قال الحزْنبل: وذكر أحمدُ بن صالح بن النّطّاح عن المدائنيّ: أن المهديّ لمّا ولي الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصار وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووصلهم صلاتٍ سنيّةً، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيام أبيه، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن وكانت سنةُ ولايته سنةَ خصب ورُخْص، فأحبّه الناس وتبركُوا به، وقالوا: هذا هو المهديّ، وهذا ابن عمّ رسول الله (ص) وسميُّه، فلقُوه فدعوا له وأثْنوا عليه، ومدحته الشعراء، فمدّ عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه؛ فقال له: هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده (قوله فيه):

يا ليلَ لا تبخلي يا ليل بالزادِ ... واشفي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجزي عدةً كانت لنا أملاً ... قد جاء ميعادُها من بعد ميعادِ
ماضرُّه غيرُ أن أبدى مودّته ... إنّ المُحبَّ هواه ظاهرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

تطوي البلاد إلى جمٍّ منافعُه ... فَعّالِ خيرٍ لفعل الخيرِ عوّادِ
للمهتدين إليه من منافعه ... خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادي
أغنى قُريشا وأنصار النبيّ ومنْ ... بالمسجدين بإسعاد وإحفادِ(١)
كانت منافعُه في الأرض شائعةً ... تترى وسيرتُه كالماء للصّادي(٢)
خليفةُ الله عبدُ الله والدُه ... وأمُّه حُرّةٌ تُنمي لأمجادِ
من خير ذي يمنٍ في خير رابيةٍ ... من القبول إليها معْقِل النّادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة، وأمر صاحب الجاري بأن يُجْري له ولعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، وألحقهم في شرف العطاء. (٢٩٨/٣)

---

(١٢) إحفاد: إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.

(١٣) تترى: متواترة، ومعقل: ملجأ.

(٣٨)

قال: وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال: وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار، فلما دخلْنا عليه سلّمنا ودعونا وأثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبلَ على ابن المولى فقال: هاتِ يا محمد ما قلتَ، فأنشده:

نادى الأحبّةُ باحتمالِ ... إنّ المُقيم إلى زوالِ
ردُّ القيانُ عليهمُ ... ذُلَلَ المطيّ من الجمالِ
فتحمّلوا بعقيلةٍ ... زهراءَ آنسةِ الدّلالِ
كالشمس راق جمالها ... بين النّساء على الجمالِ
لمّا رأيت جمالهم ... في الآل تغرق باللآلي(١)
يا ليت ذلك بعدَ أنْ ... أظهرتَ أنّك لا تُبالي
ولمثل ما جرّبتَ من ... إخلافهنّ لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلب الصّبا ... وأخو الصّبا لابدّ سالي
يابنَ الأطايب للأطا ... يب ذا المكارم والمعالي
وابنَ الهُداةَ بني الهدا ... ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكرمَ غالبٍ ... عند التّفاخر والنّضالِ
وإذا تُحصّلُ هاشمٌ ... يعلو بمجدك كلَّ عالي(٢)
ويكون بيتُك منهُم ... في الشاهقات من القلالِ(٣)
هذا وأنت ثمالُها ... وابنُ الثّمالِ أخو الثّمالِ(٤)
ومآلُها بأمورها ... إنّ الأمور إلى مآلِ

قال: فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجلّة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثلَ ما أعطاهم، وقال: ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوفادة. (٢٩٩/٣)

(٣٩)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذريّ قال: كان لبعض التُّجارمن أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمنُ

---

(١) الآل: السراب. (٢) تُحَصّل: تخلص ويماز بين بيوتها.
(٣) القلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل. (٤) الثمال: الغياث.

ثياب أخذها منه. فمرَّ به يوماً، فقال صاحبُ الدُّكانَ لغلام ممن يخدُمه حسنِ الوجه: أدرك أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده؛ فأدركه على رأس الجِسْر، فأخذ بعنان حماره ووقفه. فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذ ماله عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية؛ وكان كلُّ من مرَّ فرأى الغلام مُتعلّقاً به وقف ينظُر، حتى رضي أبو العتاهية جمْعَ الناس وحفْلهم، ثم أنشأ يقول:

واللـــه ربِّـــك إنّنـــي لأجلُّ وجهك عن فعالكْ
لـو كان فعلُك مثلَ وجـ ـهك كنتُ مُكتفياً بذلكْ

فخجِل الغلام وأرسل عنانَ الحمار، ورجع إلى صاحبه، وقال: بعثتني إلى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيَّ الشعر حتى أخجلني فهربتُ منه. (٢٠/٤)

(٤٠)

أخبرني الصَّوليّ قال حدثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارئ قال حدثني أحمد بن أبي فنن قال: كنّا عند ابن الأعرابيّ، فذكروا قول ابن نوْفَل في عبد الملك بن عُمير:

إذا ذاتُ دلٍّ كلّمتْـه لحاجـــةٍ فهُمْ بأن يقْضي تنحْنَحَ أو سعَلْ

وأن عبد الملك قال: تركني والله وإنّ السُّعْلة لتعْرِض لي في الخلاء فأذكُر قوله فأهاب أن أسعلَ. قال: فقلت لابن الأعرابيّ: فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعْن بن زائدة:

فـصُغْ مـا كنت حلّيتَ بـه سـيـفكَ خلْخـالا
ومـا تصنع بالسـيْفِ إذا لـــم تـــك قـتّالا

فقال عبد الله بن معْن: مالبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنسانا يلمحُني إلا ظننتُ أنه يحفظ قولَ أبي العتاهية فيّ، فلذلك يتأمّلني فأخجلَ. فقال ابن الأعرابيّ: اعْجِبوا لعبد يهجو مولاه. قال: وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيْبان. (٢٧/٤)

(٤١)

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمْران الضَّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال: أجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشمِّر سابقاً، وكان الرشيد مُعْجباً بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه، فبدرهم أبو العتاهية فقال:

جـــاء المشـــمّر والأفراسُ يقْدُمُها هوْناً على رِسْله منها وما انْبهرا

وخلْف الريح حسْرى وهي جاهدةٌ ومرٌ يختطف الأبصارَ والنظرا(١)

فأجزل صلته، وما جسر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً. (٤٣/٤)

(٤٢)

قال: وكان عليّ بن يقطين صديقاً لأبي العتاهية، وكان يبرُّه في كل سنة ببرّ واسع، فأبطأ عليه بالبرّ في سنة من السنين، وكان إذا لقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسرُّ به ويرفع مجلسه ولا يزيده على ذلك. فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دار الخليفة، فاستوقفه فوقف له، فأنشده:

حتّى متى ليت شعري يابن يقْطينِ أثنى عليك بما لا منك تُوليني

إنَّ السّلامَ وإنَّ البِشْرَ من رجلٍ في مثل ما أنت فيه ليس يكْفيني

هذا زمانٌ ألحَّ الناسُ فيه على تيه الملوك وأخلاقِ المساكينِ

أما علمتَ جزاك الله صالحةً وزادك اللهُ فضلاً يابن يقْطين

أنّي أريدك للدُّنيا وعاجلها ولا أريدك يومَ الدِّين للدين

فقال عليّ بن يقطين: لستُ والله أبرح ولا تبرح من موضعنا هذا إلا راضياً، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كل سنة، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تسلّمه. (٥٠/٤)

(٤٣)

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرِّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال: بلغني من غير وجه: أنَّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسه، وكّل به صاحب خبرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه. فكتب إليه أنه سمعه يُنشد:

أما والله إنَّ الظلمَ لُومُ وما زال المُسيء هو الظَّلومُ

إلى ديّانِ يوم الدين نمْضي وعند الله تجتمع الخصومُ

قال: فبكى الرشيد، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه، وأمر له بألفيْ دينار. (٥١/٤)

(٤٤)

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبي العتاهية قال: لمّا قال أبي في عُتبة:

كأنَّ عتابة من حسنها دُمْيةُ قسٍّ فتنَتْ قسَّها

---

(١) على رسله: على تؤدته. حسرى: كالّة معيبة.

يا ربِّ لـو أنْسـيْتنيها بمـا في جنَّة الفِردوس لم أنْسها

شنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة، وقال: يتهاون بالجنة ويبتذل ذِكْرها في شعره بمثل هذا التهاونِ! وشنَّع عليه أيضاً بقوله:

إنَّ المليـكَ رآكِ أحـ ـسنَ خلْقه ورأى جمالكْ
فحـذا بقُـدرةِ نفسـه حُورَ الجنان على مثالكْ

وقال: أيُصوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة والله لا يحتاج إلى مثال! وأوقع له هذا على ألْسنة العامّة: فلقي منهم بلاءً. (٥١/٤)

(٤٥)

أخبرني أحمد بن العبّاس العسْكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني ابنُ سِنانٍ العجْليّ عن الحسن بن عائذ قال: كان أبو العتاهية يحُجّ في كلّ سنة، فإذا قدم أهْدى إلى المأمون بُرْداً ومطْرفاً ونعلا سوداء ومساويكَ أراكٍ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم. (وكان) يُوصِّل الهديّة من جهته منْجاباً مولى المأمون ويجيئه بالمال. فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قدِم، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة. فكتب إليه أبو العتاهية:

خبِّروني أنَّ من ضَـرْبِ السنهْ جُدُداً بيـضـاً وصُفْراً حسـنهْ
أحْـدِثَتْ لكـنّي لـم أرهـا مـثْلَ مـا كنتُ أرى كلّ سنهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم، وقال: أغفلْناه حتى ذكرْنا. (٥٣/٤)

(٤٦)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني علي بن الصَّباح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال: دخل أبي على الهادي فأنشده:

يا أمـينَ اللـه مـالـي لستُ أدري اليومَ مـالي
لم أنَلْ مـنك الـذي قـد نال غـيـري من نوالِ
تبْـذُلُ الحـقَّ وتُعْطـي عن يمينٍ وشـمـال
وأنا البـائسُ لا تنـ ـظُر فـي رقّةِ حـالي

قال: فأمر المُعلّى الخازن أن يُعْطيه عشرةَ آلاف درهم. قال أبو العتاهية: فأتيته فأبى أن يُعْطيها. ذلك أنَّ الهادي امتحنني في شيءٍ من الشعر، وكان مهيباً، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طبْعي، فأمر لي بهذا المال، فخرجتُ. فلمّا منعنيه المُعلّى صرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عقال،

وكان يُجالس الهادي، فقلت له:

أبلغْ سلَمتَ أبا الوليد سلامي ... عنّي أميرَ المؤمنين إمامي
وإذا فرغت من السّلام فقل له ... قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حصرتُ فليس ذاك بمُبْطلٍ ... ما قد مضى من حُرْمتي وذمامي
ولطالما وفدتْ إليك مدائحي ... مخطوطةً فلْيأتِ كلُّ سلامِ
أيّام لي لسنٌ ورقةُ جِدّةٍ ... والمرءُ قد يبْلى مع الأيّامِ

قال: فاستخرج لي الدراهمَ وأنفذها إليّ. (٤/٥٤)

(٤٧)

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: وُلد للهادي ولد في أوّل يوم ولي الخلافة؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده:

أكثرَ موسى غيظ حُسّاده ... وزيّن الأرضَ بأولادهِ
وجاءنا منْ صلْبه سيّدٌ ... أصْيدُ في تقطيع أجداده
فاكتستِ الأرضُ به بهْجةً ... واستبشر الملكُ بميلادهِ
وابتسم المِنْبَرُ عن فرْحةٍ ... عنتْ بها ذَرْوةُ أعواده
كأنّني بعد قليل به ... بين مواليه وقُوّاده
في محفلٍ تخْفق راياتُه ... قد طبّق الأرض بأجناده

قال: فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه. (٤/٥٥)

(٤٨)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لايُفارق الرشيدَ في سفرٍ ولا حضر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون. فلمّا قدم الرشيدُ الرّقة، لبس أبي الصوفَ وتزهد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل، وأمر الرشيدُ بِحَبْسه فحُبس، فكتب إليه من وقته:

أنا اليوم لي والحمدُ لله أشْهُرُ ... يروحُ عليّ الهمُّ منكم ويبْكَرُ
تذكّرْ أمينَ الله حقّي وحُرْمتي ... وما كنتَ توليني لعلك تذكُرُ
ليالي تُدْني منك بالقُرْب مجلسي ... ووجهُك من ماء البشاشة يقْطُرُ
فمنْ ليَ بالعين التي كنتَ مرّةً ... إليّ بها في سالفِ الدهرِ تنظُرُ

قال: فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لا بأس عليك. فكتب إليه:

أرقتَ وطارَ عن عيْني النُّعاسُ ... ونـام السامرون ولـم يُواسُـوا
أمينَ اللـه أمْـنُك خـيـرُ أمـنٍ ... عليك مـن التُّقى فـيـه لبـاسُ
تُساس من السمـاء بكـلّ برٍّ ... وأنت به تَسُوس كـمـا تُساسُ
كـأنَّ الخلْـقَ رُكِّبَ فـيـه رُوحٌ ... له جـسـدٌ وأنت عليـه راسُ
أمـينَ اللـه إنَّ الحـبْسَ بـئسٌ ... وقـد أرْسلت: ليس عليك باسُ

قال: وكتب إليه أيضاً في الحبس:

وكلّفتني مـا حلْتَ بيني وبينـه ... وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبان كلّفتُ واحداً ... هواك وكلفتَ الخليَّ لما يهْوى

قال: فأمر بإطلاقه. (٦٣/٤)

(٤٩)

حدّثني عمّي قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أخت أبي خالد الحرْبيّ قال: قال لي الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق في الغزل كما كان يقول. فحبستهُ في بيتٍ خمْسة أشبارٍ في مثلها؛ فصاح: الموت، أخْرجوني، فأنا أقول كلّ ما شئتم. فقلت: قُلْ. فقال: حتى أتنفّس. فأخرجته وأعطيته دواةً وقرْطاساً؛ فقال أبياته التي أوّلها:

مَـنْ لعـبـدٍ أذلّـه مـولاهُ ... مـاله شـافعٌ إليـه سـواهُ
يشتكي مابه إليه ويخشا ... هُ ويرجوه مثل ما يخشـاهُ

قال: فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأوْصلها، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر. فلما أحضر قال له: أنشدني قولك:

ياعُتْبَ سـيّدتي أمَـا لكِ دين ... حـتّى مـتى قلبي لديكِ رهينُ
وأنا الذّلولُ لكلّ مـا حـمّلتني ... وأنا الشـقيُّ البـائسُ المسكينُ
وأنا الفـداةَ لكلّ بـاكٍ مُسـعِدٌ ... ولكـلّ صبٍّ صـاحبٌ وخـدينُ
لا بأس إنَّ لذاك عندي راحـةً ... للصَّبِّ أن يلْقى الحزينَ حـزينُ
يا عُتْب أينَ أفرُّ منك أميرتي ... وعليَّ حِصْنٌ مـن هواكِ حـصينُ

فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم. (٦٤/٤)

(٥٠)

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحُسين بن أبي السَّريّ قال: مرَّ القاسم بن الرشيد في موكبٍ عظيمٍ وكان من أتيْهِ الناس، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق. فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له، فلم يزلْ قائماً حتى جاز، فأجازه ولم يلتفت إليه؛ فقال أبو العتاهية:

يتيهُ ابنُ آدم من جهلهِ كأنَّ رحا الموت لا تطْحَنُهْ

فسمع بعض مَنْ في موكبه ذلك فأخبر به القاسم، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقْرعةٍ، وقال له: يابن الفاعلة! أتعرِّض بي في مثل ذلك الموضع! وحبسه في داره. فدسَّ أبو العتاهية إلى زُبيدةَ بنت جعفر، وكانت توجب له(حقَّه)، هذه الأبيات:

حتّى متى نو التّيه في تيههِ أصلحه اللهُ وعافاهُ
يتيه أهلُ التّيه من جهلهم وهم يموتون وإن تاهُوا
مَنْ طلب العزَّ ليبقى به فإنَّ عِزَّ المرء تقْواهُ
لم يعتصم بالله من خلْقه مَنْ ليس يرْجُوه ويخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه، وكانت مائلةً إليه، فرثت له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه؛ فأحضره وكساه ووصله. ولم يرْضَ عن القاسم حتى برّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه. (٦٦/٤)

(٥١)

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال: بعث الرشيدُ بالحرْشيّ إلى ناحية الموْصِل، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج، فوافى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شبْهُ الجنون، فقلتُ له: مالك ويْحك؟! فقال لي: سبحان الله! أيُدْفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده:

اللهُ هوّنَ عندك الدنيا وبغّضها إليكا
فأبيْتَ إلاّ أن تُصـ ـغِّر كلَّ شيء في يديْكا
ما هانتِ الدُّنيا على أحدٍ كما هانت عليْكا

فقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين، ما مُنِحَتِ الخلفاء بأصْدق من هذا المدح.

فقال: يافضل، أعْطه عشرين ألف درهم. فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده:

إذا ما كنتَ مُتَّخذاً خليلا ... فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ... ويُعْطي من مواهبه الجزيلا
أراني حيثُما يممْتُ طرْفي ... وجدتُ على مكارمه دليلا

فقال له الفضل: والله لولا أنْ أساويَ أمير المؤمنين لأعطيتُك مثلها، ولكن سنوْصلها إليك في دفعات، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزادَ له خمسةَ آلاف درهم من عنده. (٦٧/٤)

(٥٢)

حدَّثني الصُّوليَ قال حدَّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدَّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال: لبِس أبو العتاهية كساء صُوفٍ ودرَّاعة صوفٍ، وآلى على نفسه ألاَّ يقول شعراً في الغزل، وأمر الرشيدُ بحسبه والتضييق عليه؛ فقال:

يابنَ عمِّ النبيِّ سمعاً وطاعه ... قد خلعنا الكساء والدِّراعهْ
ورجَعْنا إلى الصَّناعة لمَّا ... كان سُخْطُ الإمام تركَ الصَّناعهْ

وقال أيضاً:

أما رحمتْني يومَ ولَّتْ فأسْرعتْ ... وقد تركْتني واقفاً أتلفَّتُ
أقلِّبُ طرْفي كي أراها فلا أرى ... وأحلِبُ عيني درُّها وأصوِّت

فلم يزلِ الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال:

أما والله إنَّ الظلم لُومُ ... وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدِّين نمْضي ... وعند الله تجتمع الخصومُ
لأمرٍ مَّا تصرَّفتِ الليالي ... وأمرٍ مَّا تُولِّيتِ النُّجومُ
تموت غداً وأنت قريرُ عينٍ ... من الغفلاتِ في لجَجٍ تعومُ
تنامُ ولم تنمْ عنك المنايا ... تنبَّهْ للمنيَّة يا نؤومُ
سلِ الأيَّامَ عن أممٍ تقضَّتْ ... ستُخبرك المعالمُ والرُّسُومُ
تروم الخُلْدَ في دار المنايا ... وكم قد رام غيرُك ماتروم
ألا يانُيِّها الملك المُرجَّى ... عليه نواهِضُ الدنيا تحومُ
أقِلْني زلَّةً لم أجْرِ منها ... إلى لومٍ وما مثلي ملومُ
وخلِّصْني تُخلِّصْ يوم بعْثٍ ... إذا للناس بُرِّزت الجحيمُ

فرقٌ له وأمر بإطلاقه. (٦٨/٤)

(٥٣)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المُنجِّم إجازةً: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخزرجيّ الشاعر قال حدثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال: ماتت بنتُ المهديّ فحزن عليها حُزْناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب، فقلتُ أبياتاً أعزِّيه بها؛ فوافيته وقد سلا وضحك وأكل وهو يقول: لابدَّ من الصبرِ على ما لا بدَّ منه، ولئن سلوْنا عمن فقدنا ليسلُوُنَّ عنّا من يفْقِدُنا وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلا أبلياه. فلمّا سمعتُ هذا منه قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي أن أنشدك؟ قال هات؛ فأنشدته:

ما للجديدَيْن لا يبْلى اختلافُهما ... وكلُّ غضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد ميتته ... كم بعد موتك أيضاً عنك منْ سالي
كأنَّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه ... من لذَّة العيش يحكي لُمْعة الالِ
لا تَلعبنَّ بك الدنيا وأنت ترى ... ما شئت من عِبرٍ فيها وأمْثال
ما حيلةُ الموت إلاَّ كُلَّ صالحةٍ ... أولا فما حيلة فيه لمحتالِ

فقال لي: أحسنتَ ويحك! وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأوجزت! ثم أمر لي لكلِّ بيت بألف درهم. (٧٢/٤)

(٥٤)

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرفي قال حدثنا العنزيّ قال، حدّثني أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال: لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية: قُلْ شعراً في الغزل؛ فقال: لا أقول شعراً بعد موسى أبداً، فحبسه. وأمر إبراهيم الموْصليّ أن يغنّي؛ فقال: لا أغنّي بعد موسى أبداً، وكان مُحسناً إليهما، فحبسه. فلمّا شخص إلى الرَّقَّة حفر لهما حفيرةً واسعةً وقطع بينهما بحائطٍ، وقال كونا بهذا المكان لا تخرجا منه حتى تشعُر أنت ويُغنّي هذا. فصبرا على ذلك بُرْهةً. وكان الرشيد يشرب ذاتَ يوم وجعفرُ بن يحيى معه، فغنَّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طرباً شديداً، وكان بيتاً واحداً. فقال الرشيد: ما كان أحوجه إلى بيت ثانٍ ليطولَ الغناءُ فيه فنستمتعِ مدَّةً طويلة به! فقال له جعفر: قد أصبتُه. قال: من أينَ؟ قال: تبعث إلى أبي العتاهية فيُلحقه به لقُدْرته على الشعر وسرعته. قال: هو أنكدُ من ذلك، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ. قال: بلى! فاكتُبْ إليه حتى تعلم صحة ما قلتُ لك. فكتب إليه بالقصةِ

وقال: ألحِقْ لنا بالبيت بيْتاً ثانياً. فكتب إليه أبو العتاهية:

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ فـــارقَ الرُّوحَ وأخلى من بدن
ولقد كُـــلِّفْتُ أمـــراً عـجـبـاً أسْألُ التَّفريجَ من بيت الحـزَنْ

فلمَّا وصلتْ قال الرشيد: قد عرَّفتك أنه لا يفعل. قال: فتُخرجه حتى يفعل. قال: لا! حتى يشعرُ؛ فقد حلفتُ. فأقام أياماً لا يفعل. قال: ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم: إلى كم هذا ثُلاجُ الخلفاء! هلُمَّ أقُلْ شعراً وتُغنِّ فيه. فقال: أبو العتاهية:

بأبي مَنْ كـان في قلبي له مـرَّةُ حُبٍّ قليلٌ فـسُـرِقْ
يابني العبَّاس فيكـم مِلكٌ شُعبُ الإحسان منه تفترقْ
إنَّمـا هـارونُ خـيـرٌ كلُّه مـاتَ كلُّ الشَّرمُذْ يوم خُلِقْ

وغنى فيه إبراهيم. فدعا بهما الرشيد، فأنشده أبو العتاهية وغناه إبراهيم، فأعطى كلُّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائةَ ثوب. (٤/٧٣)

(٥٥)

حدَّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله العبَّاس بن الفضْل بن الربيع، فقال فيه: غضِب الرشيد على جارية له فحلف ألاَّ يدخُل إليها أيّاماً، ثم ندم فقال:

صـــــدَّ عنِّي إذ رآني مُفْتَتَنْ وأطال الصَّـــدَّ لَمَّـــا أن فطَنْ
كان مملوكي فأضحى مالكي إنَّ هـذا مـن أعاجيب الزَّمـنْ

وقال لجعفر بن يحيى: اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين. فقال له ليس غيرُ أبي العتاهية. فبعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلته. فقال: الآن طاب القولُ؛ ثم قال:

عِـزَّةُ الحبِّ أرثَّـه ذلَّتي في هواه وله وجهٌ حسنْ
ولهذا صِرتُ مملوكاً لـه ولهذا شاعَ مابي وعَلَنْ

فقال: أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي! وأضعف صلته. (٤/٧٤)

(٥٦)

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا ابن مهْرويْه قال حدَّثني يحيى بن خليفة الرَّازي قال حدَّثنا حبيب بن الجهْم النُّميري قال: حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفرْضي، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي، فإذا عوْنٌ حاجبُه قد جاء فقال: هذا أبو العتاهية يُسلِّم عليك وقد قدم من

مكة: فقال: أعْفني منه الساعةَ يشغلُني عن ركوبي. فخرج إليه عونٌ فقال: إنَّه على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين. فأخرج من كُمّه نعلاً عليها شراكٌ فقال: قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداك. قال: فدخل بها؛ فقال: ما هذه؟ فقال: نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب. فقال: يا حبيب، اقرأ ما عليها. فقرأته فإذا هو:

نعلٌ بعثتُ بها ليلبسها ... قرْمٌ بها يمشي إلى المجدِ
لو كانَ يصلُح أن أشركَها ... خدّي جعلتُ شراكها خدّي

فقال لحاجبه عونٌ: احْملْها معنا، فحملها. فلمّا دخل على الأمين قال له: ياعبّاسيّ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها إليَّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أولى بلُبْسها لما وصف به لابسها. فقال: وما هما؟ فقرأهما. فقال: أجاد الله! وما سبقه إلى هذا المعنى أحد، هبُوا له عشرة آلاف درهم. فأخرجتْ والله في بدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وانصرف. (٧٩/٤)

(٥٧)

قال عبد الله بن الحسن وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال: ما زال الفضلُ بن الربيع من أمْيلِ النّاس إليّ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه، فاستنشدني فأنشدتُه:

أفنيتَ عمرك إبراماً وإقبالا ... تبْغي البنين وتبْغي الأهْلَ والمالا
الموتُ هوْلٌ فكُنْ ما شئتَ ملْتمساً ... من هوْله حيلةً إن كنتَ مُحتالا
ألم ترَ الملكَ الأمْسيَّ حين مضى ... هل نال حيٌّ من الدنيا كما نالا
أفناه مَنْ لم يزلْ يُفْني القُرونَ فقدْ ... أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا
كم من ملوكٍ مضى ريْبُ الزمانِ بهم ... فأصبحوا عِبْراً فينا وأمثالا

فاستحسنها وقال: أنت تعرف شُغْلي، فعُدْ إليَّ في وقت فراغي اقعد معك وآنسْ بك. فلم أزلْ أراقب أيّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه؛ فبينما هو مُقْبلٌ عليّ يستنشدني ويسألني فأحدّثه، إذْ أنشدتُه:

ولّى الشبابُ فما له من حيلةٍ ... وكسا نُؤابتي المشيبُ جمارا
أين البرامكةُ الذين عهدْتُهمْ ... بالأمس أعظم أهْلِها أخطارا

فلمّا سمع ذكرى البرامكة تغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك. قال: وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسنَ بن سهْل؛ فقال له: لئن كان ذلك ضرّك

عند الفضْل بن الربيع لقد نفعك عندنا: فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجْرى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم، فلم يزل يقْبلها دارَّةً إلى أن مات. (٨٩/٤)

(٥٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويَهْ قال حدّثني محمد بن سعيد المهْديّ عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ قال: مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جزعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده:

لا تأمنِ الدَّهْرَ والبَسْ ... لكُـل حـين لباسـا
ليدْفنُنّـا أنـاسٌ ... كـمـا دفنّـا أناسـا

قال: فانصرف الناس، وما حفظوا غير قول أبي العتاهية. (٩٩/٤)

(٥٩)

ونسخت من كتابه: عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال قال لي الفضل بن العبّاس: قال لي أبو العتاهية: دخلتُ على يزيد بن مزْيد، فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها:

ومـا ذاك إلاّ أنّني واثـقٌ بمـا ... لديك وأنّي عـالمٌ بوفـائكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً ... تُقـدِّر فـيه حـاجتي بابتدائكا
وإنّ أمـيرَ المـؤمـنين وغـيره ... ليعلَمُ في الهيجـاء فضلَ غنائكا
كـأنّك عند الكرِّ في الحرب إنّمـا ... تفـرُّ من السِّلْم الذي مـن ورائكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرك في الوغى ... ولا آفـةُ الأموال غيرُ حـبائكا

قال: فأعطاني عشرة آلاف درهم، ودابَّةً بسرْجها ولجامها... (١٠٠/٤)

(٦٠)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العدويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال: كان الرشيدُ مما يُعْجبه غناءُ الملاّحين في الزُّلالات(١) إذا ركبها، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم، فقال: قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعراً يُغنُّون فيه. فقيل له: ليس أحدٌ أقْدر على هذا من أبي العتاهية، وهو في الحبْس. قال: فوجّه إليّ الرشيد: قُلْ

(١) الزلاّلات: نوع من السفن.

شعراً حتّى أسمعه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاقي: فغاظني ذلك فقلْتُ: والله لأقولنَّ شعراً يحْزُنه ولا يُسرُّ به، فعملتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حفظَه الملأحين. فلمّا ركب الحرّاقة(١) سمعه، وهو:

خانكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القلبُ الجمُوحُ
لدواعي الخيْرِ والشَّرّ ... دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هلْ لمطلوبٍ بذنْبٍ ... توبةٌ منه نصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنَّما هُنَّ قُروحُ
أحْسَنَ اللهُ بنا أنْ ... الخطايا لا تفُوحُ
فإذا المستورُ منّا ... بينَ ثوْبيْهِ نضُوحُ
كمْ رأينا مِنْ عزيزٍ ... طُويتْ عنه الكشُوحُ
صاحَ منه برحيلٍ ... صائحُ الدَّهْرِ الصُّدُوحُ
موتُ بعضِ الناس في الأرْ ... ضِ على قومٍ فُتُوحُ
سيصير المرءُ يوماً ... جسداً ما فيه رُوحُ
بين عيْنيْ كُلِّ حيٍّ ... علمُ الموتِ يلوحُ
كُلُّنا في غفْلةٍ والـ ... ـمَوْتُ يغدو ويروح
لبني الدُّنيا مِنَ الدُّنـ ... ـيا غبوقٌ وصبُوحُ(٢)
رُحْنَ في الوشْيِ وأصْبَحْـ ... ـنَ عليهنَّ المُسُوحُ
كلُّ نطّاحٍ مِنَ الدَّهْـ ... ـرِ له يومٌ نطُوحُ
نُحْ على نفْسِكَ يا مسْكينُ إنْ كنتَ تنوحُ
لتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

قال: فلما سمع ذلك الرشيدُ جعل يبكي وينْتحب، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعاً في وقت الموْعظة، وأشدِّهم عسْفاً في وقت الغضب والغِلْظة. فلمّا رأى الفضلُ بن الرَّبيع كثرةَ بكائه، أومأ إلى الملأحين أن يسكتوا. (١٠٢/٤)

(٦١)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني أحمد بن معاويةَ القرشيّ

---

(١) الحرّاقة: ضرب من السفن يستعمل بعضها للحرب والآخر للنزه.

(٢) الغبوق: ما شُرب أو أكل آخر النهار، ويقابله الصبوح وهو ما أكل أو شُرب أوّل النهار.

قال: لمّا عقد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، قال أبو العتاهية:

رحلْتُ عنِ الرَّبْعِ المُحيلِ قُعودي ... إلى ذي زُحوفٍ جمَّةٍ وجُنُودِ
وراعٍ يُراعي اللَّيلَ في حِفْظِ أمَّةٍ ... يُدافع عنها الشرَّ غيرِ رُقودِ
بألوية جبريلُ يقْدُم أهلها ... ورايات نصْرٍ حولَه وبُنودِ
تجافى عنِ الدُّنيا وأيْقن أنَّها ... مفارقةٌ ليستْ بدارِ خُلودِ
وشدَّ عُرا الإسلام منه بفتيةٍ ... ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عُهُودِ
هُمُ خيرُ أولادٍ، لَهُمْ خيرُ والدٍ ... لَهُ خيرُ آباءٍ مضتْ وجدود
بنو المصطفى هارونَ حولَ سريره ... فخيرُ قيام حولَه وقُعود
تُقلِّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهم ... عيونُ ظباءٍ في قُلوبِ أسُودِ
جدُودهم شمسٌ أتتْ في أهلَّةٍ ... تبدَّتْ لراءٍ في نُجومٍ سُعُودِ

قال: فوصله الرشيدُ بصلةٍ ما وصل بمثلها شاعراً قطُّ. (١٠٤/٤)

(٦٢)

حدَّثنا الصُّوليّ قال حدَّثنا عوْن بن محمد قال حدَّثنا محمد بن أبي العتاهية قال: قال الرشيدُ لأبي: عظني؛فقال له: أنت آمن. فأنشده:

لا تأمَنِ الموتَ في طرْفٍ ولا نفسٍ ... إذا تسترْتَ بالأبواب والحرس
واعْلَمْ بأنَّ سهامَ الموت قاصدةٌ ... لكلِّ مُدْرِعٍ منّا ومُتَّرسِ
ترجو النجاة ولم تسْلُكْ طريقتها ... إنَّ السفينةَ لا تجْري على اليبسِ

قال: فبكى الرشيد حتى بلَّ كُمَّه. (١٠٦/٤)

(٦٣)

نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار، وأخبرني الأخفش عن المُبرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزُّبير عن سليمان بن عياش السَّعْديّ قال: جاء عبد الله بن عُمرَ العَبْليّ إلى سُويقة(١) وهو طريدُ بني العبّاس؛ وذلك بعقب أيّام بني أميَّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس، فقصد عبدَ الله وحسناً ابنيّ الحسن بن حسنٍ بسويْقةَ؛ فاستنشده عبدُ الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده؛ فقال له: أريد أن تُنْشدني شيئاً مما رثيت به قومك؛ فأنشده قوله:

---

(١) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب.

تقول أمامةُ لمّا رأتْ نشوزي عن المضْجعِ الأنفَسِ
وقلّةَ نومي على مضجعي لدى هجْعةِ الأعيُنِ النُّعَّسِ
أبي ما عراك؟ فقلتُ الهُموم عروْنَ أباكِ فلا تبْلسي(١)
عروْنَ إباكِ فحبُّسنه من الذُّلِّ في شرّ ما محْبِسِ
لفقْدِ الأحبَّةِ إذ نالها سهامٌ من الحدثِ المُبْئِسِ
رمتْها المَنُونُ بلا نُكْلٍ ولا طائشاتٍ ولا نكْسِ
بأسْهُمِها المُتْلفاتِ النفوس متى ما تُصِبْ مُهْجةً تخْلِسِ
فصرْعَنَهمْ في نواحي البلادِ مُلقىً بأرضٍ ولم يُرْمسِ(٢)
تقيٌّ أصيبَ وأثوابُه من العيْبِ والعارِ لم تدْنسِ
وآخرُ قد دُسَّ في حفْرةٍ وآخرَ قد طار لم يُحسسِ
إذا عنَّ ذِكْرُهُمُ لم ينَمْ أبوكِ وأوحش في المجلسِ
فذاك الذي غالني فاعلمي ولا تسألي بامرئٍ مُتْعسِ
أذلّوا قناتي لمن رامها وقد ألصقُوا الرَّغْمَ بالمعْطِسِ

قال: فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وأنّ دموعه لتجري على خدّه. (٣٤٠/٤)

(٦٤)

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال: عُمِّر أبو سعيد بن أبي سِنَّة مولى بني أميَّةَ وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد؛ فلمّا حجّ أحضره فقال: أنْشدني قصيدتك: تقول أمامةُ لمّا رأتْ

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشده الشعر لحْنه في أبياتٍ منها، أوّلُها: أفاضَ المدامعَ قتْلى كُدىً

وكان الرشيدُ مُغْضباً فسكن غضبُه وطرب، فقال: أنْشدني القصيدة. فقال: يا أمير المؤمنين، كان القومُ مواليّ وأنعموا عليّ، فرثيتُهم ولم أهْجُ أحداً: فتركه(٣). (٣٤١/٤)

(٦٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشْقيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار

(١) لا تبلسي: لا تحزني. (٢) يُرمس: يدفن.

(٣) يخالف هذا الشاعر ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه مراراً، فقد بقي على ولائه القديم، ولم يتغيّر، مثلما فعل غيره، ولم يصبح طالب فضل أو مضحكاً على حدّ قول بعض الشعراء مثلما رأينا سابقاً.

عن عمِّه: أنَّ سبب قتْل بني أمية: أنَّ السفاح أنْشدَ قصيدةً مُدِح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مُدِحْتم به! فقال: هيهاتَ! لا يقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيْس الرُّقيات فينا:

ما نقَمُوا من بني أميَّـةَ إلا أنَّهمْ يحلُمون إنْ غضِبوا
وأنَّهُمْ معْدِنُ المُلوك ولا تصلُحُ إلاَّ عليهمُ العربُ

فقال له: يا ماصُّ كذا من أمِّه! أوَ إنَّ الخلافةَ لفي نفْسِك بعدُ! خُذُوهم! فأخذوا فقتلوا. (٣٤٦/٤)

(٦٦)

أخبرني عمِّي قال حدثني محمد بن سعْد الكُرانيّ قال حدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ، وأخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائبَ سلْم بن جنادَة السُّوائيّ سمعتُ أبا نُعيْم الفضلَ بن دُكيْن يقول: دخل سُدَيْفٌ ـ وهو مولى لآل أبي لهبٍ ـ على أبي العبّاس بالحيرة. هكذا قال وكيع. وقال الكُرانيّ في خبره واللفظ له: كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسيّ، وبنو أميَّةَ على الوسائد قد ثُنيتْ لهم، وكانوا في أيام دولتهم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويجلس بنو هاشم على الكراسيّ؛ فدخل الحاجبُ فقال: يا أمير المؤمنين، بالبابِ رجلٌ حجازيٌّ أسود راكبٌ على نجيبٍ متلثِّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر باسمه، ويحلف ألاّ يحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتّى يراك. قال: هذا مولاي سُدَيْف، يدخل فدخل فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أميَّة حوله، حدر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول:

أصبحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس بالبهاليل من بني العبّاس(١)
بالصدور المُقدَّمين قديماً والرُّءوس القماقم الرُّؤاس(٢)
يا أميرَ المُطَّهرينَ منَ الذَّم ويارأسَ منتهى كلِّ راس
أنت مهْديُّ هاشمٍ وفُداها كم أناسٍ رَجَوْكَ بعد إياس
لا تُقيلنَّ عبدَ شمْسٍ عثاراً واقْطعَنْ كلَّ رقْلةٍ وغراس(٣)
أنْزِلُوها بحيث أنزلها اللهُ بدار الهوان والإتْعاسِ
خوْفهم أظهرَ التَّودُّدَ منهم وبهم منكُم كحزِّ المواسي
أقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسمْ عنك بالسيْف شأفَةَ الأرْجاسِ

(١) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكلّ خير.
(٢) الرؤاس: الولاة والحكّام.
(٣) الرقلة: النخلة الطويلة التي تفوت اليد.

واذْكُرَنْ مصْرَعَ الحُسَيْنِ وزيدٍ وقتيلٍ بجانبِ المِهْراسِ(١)
والإمام الذي بحرَّانَ أمْسى رهْنَ قبرٍ في غُرْبَةٍ وتناسي(٢)
فلقد ساءني وساء سواني قُرْبُهمْ من نمارقٍ وكراسي
نِعْمَ كلْبُ الهراشِ مولاك لولا أوَدٌ من حبائل الإفلاس(٣)

فتغير لونُ أبي العبّاس وأخذه زمَعٌ(٤) ورِعْدة؛ فالتفتَ بعضُ ولد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جنْبه، فقال: قتلنا والله العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال: يا بني الفواعل، أرى قتْلاكم من أهلي قد سلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون في الدنيا! خُذُوهم! فأخذتهم الخُراسانيّة بالكافركوبات(٥)، فأهْمِدُوا، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداوُد بن عليّ وقال له: إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعته إليكم؛ فأجاره واستوهبه من السفّاح، وقال له: قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا. فوهبه له وقال له: لا تريني وجهه، ولكن بحيث تأمنُه؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقتْل بني أميّة. (٣٤٤/٤)

(٦٧)

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيْثم بن بِشْر مولى محمد بن علي قال: أنْشدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس، وعنده رجالٌ من بني أميّةَ، قوله:

يابن عمّ النبيّ أنت ضياءٌ استبنّا بك اليقينَ الجليا

فلمّا بلغ قوله:

جرِّدِ السّيْف وارْفَع العفْو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
لا يغُرّنْكَ ما ترى من رجالٍ إنّ تحت الضُّلوع داءً دويّاً
بطن البُغْضُ في القديم فأضحى ثاوياً في قلوبهم مطْوياً

وهي طويلة، قال: يا سُديف، خُلق الإنسان من عجلٍ، ثم قال:

---

(١) زيد: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قُتل في أيام هشام بن عبد الملك، والقتيل هنا: هو حمزة بن عبد المطلب، قتله وحشيّ غلام جبير بن مطعم يوم أحد. المهراس: ماء بأحد.

(٢) الإمام: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية صبراً.

(٣) الأود: الكدّ والتعب والجهد. (٤) الزمع: شبه الرّعدة التي تأخذ الإنسان.

(٥) الكفركوبات: لعلّه اسم أعجمي لآلات يُضرب بها كالعمد وغيرها.

أحيا الضغائن آباءُ لنا سلفُوا فلـــنْ تبيدَ وللآبـاء أبنـاءُ

ثم أمر بمن عنده منهم فقُتلوا. (٣٤٨/٤)

(٦٨)

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهْريّ قال حدّثني عمّي عبد العزيز بن إسماعيل قال: مدح ابنُ هرْمة محمد بن عِمْران الطَّلْحيّ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبيح، فاحتجب عنه؛ فمدح محمد بن عبد العزيز؛ وكان ابن هرْمةَ مريضاً، فقال قصيدته التي يقول فيها:

إنّي دعـوتُكَ إذْ جـُـفيتُ وشـفّني مرضٌ تضاعفني شديدُ المُشْتكى

وحُبِستُ عن طلب المعيشة وارتقتْ دوني الحوائـجُ في وُعورِ المرْتقى

فـأجِبْ أخاك فـقـد أنافَ بصـوته ياذا الإخـاء وياكـريم المُرْتجى

ولقـد حُفيتَ صـبـيب عُكّةِ بيْتنا نوْباً ومزْتُ بصـفْوة عـنك القـذى(١)

فـخُـذ الغنيمـةَ واغـتنمني إنّني غُنْمٌ لمـثلك والمكـارِمُ تُشْـتَـرى

لا تـرْمينّ بحـاجتي وقضـانها ضرْحَ الحجاب كما رمى بي مَنْ رمى(٢)

فركِب إلى جعفر بن سُليمان نصفَ النّهار؛ فقال: ما نزعك يا أبا عبد الله في هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحداً أكْفى منّي. قال: وما هي؟ قال: قد مدحني ابن هرْمةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقي مائة دينار.، قال: ومِنْ عندي مثلُها قال: ومن الأمير أيضاً! قال: فجاءت المائتا الدينارِ إلى ابن هرْمةَ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً واحداً حتّى مات، وورث الباقي أهلهُ. (٣٧٣/٤)

(٦٩)

وقال أحمد بن أبي خيْثمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال: امتدح ابنُ هرْمةَ أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم. فقال: لا تقعَ منّي هذه. قال: ويحكَ! إنّها كثيرة. قال: إنْ أردتَ أن تهنئني فأبِحْ لي الشرابَ فإنّي مُغْرَمٌ به. فقال: ويْحكَ! هذا حدٌّ من حُدود الله. قال: احْتلْ لي يا أمير المؤمنين. قال نعم. فكتب إلى والي المدينة: مَنْ أتاك بابن هرْمةَ سكرانَ فاضْرِبْه مائةً واضْرِب ابن هرمة ثمانين. قال: فجعل الجِلْوازُ إذا مرّ بابن هرمة سكران، قال: مَنْ يشتري الثمانين بالمائة! (٣٧٥/٤)

---

(١) حُفيت: أعطيت، والعُكّة: زُقيق صغير للسمن والعسل، والذوب: العسل.

(٢) الضرح: أن يؤخذ شيء فيرمى به في ناحية.

(٧٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمةَ الغفاريّ قال أخبرنا ابن رُبيْح راويةُ ابن هرْمةَ قال: أصابتِ ابنَ هرْمةَ أزمةٌ؛ فقال لي في يومٍ حارٍّ: اذْهبْ فتكار حمارَيْنِ إلى ستّةِ أميال، ولم يسمِّ موضعا. فركبَ واحداً وركبتُ واحداً، ثم سِرْنا حتى صِرْنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطْحاءِ ابنِ أزْهر، فدخلنا مسجده. فلمّا مالتِ الشمسُ خرج علينا مُشْتملاً على قميصه، فقال لمولىً له: أذِّنْ فأذّن، ولم يكلّمنا كلمةً. ثم قال له: أقِمْ فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هرْمةَ فقال: مرحباً بك يا أبا إسحاق، حاجتك؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي، أبياتٌ قلتُها ـ وقد كان عبدُ الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدُوه شيئاً فأخلفوه ـ فقال هاتها. فقال:

أمّا بنو هاشمٍ حوْلي فقد قرعُوا ... نبْلَ الضِّباب التي جُمِّعتُ في قَرَنِ(١)

فما بيثْرِبَ منهم مَنْ أعاتبُه ... إلاّ عواندَ أرجوهنَّ من حسنِ

الله أعطاكَ فضلاً مِنْ عطيَّتِهِ ... على هَنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ(٢)

قال: حاجتُك! قال: لابن أبي مُضرِّسٍ عليّ خمسون ومائةُ دينارٍ. قال: فقال لمولى له: يا هيْثم، اركَبْ هذه البغلةَ فائتني بابن أبي مُضرِّس وذكْر حقّه. قال: فما صلّينا العصر حتّى جاء به. فقال له: مرحباً بك يابنَ مُضرِّس، أمعك ذكْرُ حقّك(٣) على ابن هرمة قال نعم. قال: فامَحُه، فمحاه. ثم قال: يا هيثم، بع ابنَ أبي مُضرِّس من تمر الخانقين(٤) بمائة وخمسين ديناراً وزِدْه على كلّ دينار ربعَ دينار، وكِل ابنَ هرمة بخمسين ومائةِ دينارٍ تمراً، وكل ابنَ رُبيْح بثلاثين ديناراً تمراً. قال: فانصرفنا من عنده؛ فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسُّيالة، وقد بلغه الشعرُ، فغضب لأبيه وعُمومته فقال: أي ماصٌّ بظْرِ أمّه! أنت القائل: على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهنِ

فقال: لا والله! ولكنّي الذي أقول لك:

لا والذي أنتَ منه نعمةٌ سلفتْ ... نرجو عواقبها في آخرِ الزَّمَنِ

---

(١) الضِّباب: الأحقاد.

(٢) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، وقد كرّرها الشاعر ثلاثاً لأنّه أراد ثلاثة أشخاص معينين.

(٣) ذكر الحقّ: الصكّ الذي يُكتب فيه الدَّين.

(٤) الخانقان: موضع بالمدينة وهو مجمع أوديتها الثلاثة: بطحان والعقيق وقناة.

لقد أتيتُ بأمرٍ ما عمدتُ لـه ولا تعمُّـده قولي ولا سـنني
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً وقد رميتُ بريءَ العُودِ بالأَبَنِ
ما غيَّرتْ وجهـه أمٌّ مُهجِّنـةٌ إذا القتامُ تغشَّى أوْجهَ الهُجُنِ

قال: وأمُّ الحسن أمّ ولد. (٤/٣٧٥)

(٧١)

قال هارون: فحدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عباية قال: لمّا قال ابنُ هرْمةَ هذا الشعر في حسن بن زيد، قال عبدُ الله بن حسن: والله ما أراد الفاسقُ غيري وغيرَ أخويّ: حسنٍ وإبراهيم. وكان عبدُ الله يُجْري على ابن هرْمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه. فأتاه يعتذر، فنُحِّي وطُرِدَ؛ فسأل رجالاً أن يكلِّموه، فردُّهم؛ فينس من رضاه واجتنبه وخافه. فمكث ما شاء الله، ثم مرَّ عشيَّةً وعبدُ الله على زرْبيَّة في ممرّ المنبر، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيره في ذلك المكان. فلمّا رأى عبدَ الله تضاءل وتقنْقذَ وتصاغر وأسرع المشي. فكأنَّ عبد الله رقَّ له، فأمر به فَرُدَّ عليه، فقال: يا فاسقُ، ياشاربَ الخمر، على هنٍ وهنٍ! أتُفضِّل الحسن عليّ وعلى أخويّ! فقال: بأبي أنت وأمّي! وربِّ هذا القبر ما عنيتُ إلاّ فرعون وهامانَ وقارونَ، أفتغضب لهم! فضحك وقال: واللهِ ما أحسبُك إلاّ كاذباً. قال: والله ما كذبْتُك. فأمر بأن تُردَّ عليه جرايتُه. (٤/٣٧٧)

(٧٢)

قال ابن هرمة: ما رأيتُ أحداً قطُّ أسْخى ولا أكرم من رجلين: إبراهيم بنِ عبد الله بن مُطيع، وإبراهيم بن طلْحة بن عمرو بن عبد الله بن معْمر. أمّا إبراهيم ابن طلحة فأتيتُه فقال: أحْسِنوا ضيافةَ أبي إسحاق، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام، فأردت أن أنْشده؛ فقال: ليس هذا وقتَ الشعر. ثم أخرج الغلامُ إليَّ رُقْعةً فقال: انتِ بها الوكيل. فأتيتُه بها، فقال: إنْ شئتَ أخذتُ لك جميعَ ما كتب به، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة. قلت: وما أمر لي به؟ فقال: مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جمّالٌ ومِظلّة وما تحتاج إليه، وقوّتُك وقوتُ عيالك سنةً، قلت: فأعْطني القيمة؛ فأعطاني مائتي دينار. وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه في منزله بمُشاش(١) على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفّان؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزْمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُليّ، ثم قال: لا والله مابقيَّنا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً تُواري به امرأةً، ولا حلْياً ولا ديناراً ولا درهماً. وقال يمدح إبراهيم:

---

(١) مُشاش: موضع بين ديار بني سليم وبين مكة، وبينه وبين مكة نصف مرحلة.

أرقتني تلومني أمُّ بكرٍ ... بعد هدءٍ واللومُ قد يؤذيني(١)
حذرتني الزمانَ ثُمتَ قالتْ ... ليس هذا الزمانُ بالمأمون
قلتُ لما هبتْ تحذرني الدهـ ... ـرَ دعي اللومَ عنكِ واستبقيني
إنَّ ذا الجودِ والمكارم إبرا ... هيمَ يعنيه كلُّ ما يعنيني
قد خبرْناه في القديم فألفيـ ... ـنا مواعيده كعينِ اليقين(٢)
قلتُ ما قلتُ للذي هو حقٌّ ... مستبينٌ لا للذي يُعطيني
نضَحتْ أرضنا سماؤك بعد الـ ... ـجدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ(٣)
فرعيْنا آثارَ غيثٍ هراقتْـ ... ـهُ يدا مُحكَم القُوى ميمونِ (٣٨١/٤)

(٧٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهْريّ عن ابن زُرَيْق، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس بن محمد وكان من أروى الناس، قال: كنتُ مع السُّريّ بن عبد الله باليمامة، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرْمةَ ويُحبُّ أن يفِدَ عليه؛ فأقول: ما يمنعك أن تكتب إليه؟ فيقول: أخاف أن يكلّفني من المؤونة مالا أطيقُ. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هرمة، فكره أن يقْدَم عليه إلاّ بكتاب منه؛ ثم طُلِبَ فشخص إليه، فنزل عليّ ومعه راويتُه ابنُ رُبَيْح. فقلتُ له: ما منعك من القُدوم على الأمير وهو من الحِرْص على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال: الذي منعه من الكتاب إليّ. فدخلتُ على السُّريّ فأخبرتُه بقُدومه؛ فسُرَّ بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً، ثم أذن لابن هرْمةَ فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبَيْح. وكان ابن هرْمة قصيراً دميماً أرْيمصَ(٤)، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب. فسلّم على السُّريّ ثم قال له: أصلحك اللهُ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك. فقال: أنْشِدْ؛ فقال: هذا يُنشد فجلس فأنشده ابن رُبَيْح قصيدته التي أوّلها:

عُوجا على ربْعِ ليلى أمِّ محمودِ ... كيما نُسائله من دون عبُّودِ(٥)
عن أمِّ محمودَ إذ شطَّ المزارُ بها ... لعلَّ ذلك يشْفي داءَ معمودِ(٦)
فعرّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ ... شمسُ النهارِ ولاذ الظلُّ بالعُودِ(٧)

---

(١) الهدء: نوم العيون والهدوء الذي يعمّ بعد النوم. (٢) خبرناه: جرّبناه.
(٣) نضحت: أمطرت، ويريد بها هنا العطاء، وسماؤك: هنا جودك وكرمك.
(٤) أريمص: تصغير أرمص، والرَّمَص: ما سال ممّا تلفظ به العين. (٥) عبّود: جبل ما بين المدينة والسيالة.
(٦) المعمود: مَنْ هدَّه العشق. (٧) التغوير: النزول وقت القائلة.

شيئاً فما رجعتْ أطلالُ منزلةٍ قفرٍ جواباً لمحزون الجوى مُودي(١)

ثم قال فيها يمدح السريَّ:

ذاك السَّريُّ الذي لولا تفقُّدُهُ بالعُرْفِ مُتْنا حليفُ المجدِ والجودِ
مَنْ يعْتمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتدياً لسيْبِ عُرْفِك يعْمِدْ خيرَ معمودِ(٢)
يابنَ الأساة الشُّفاةِ المُسْتغاث بهمْ والمُطْعمينَ ذُرى الكُومِ المقاحيدِ(٣)
والسَّابقين إلى الخيرات قومُهُم سبْقَ الجياد إلى غاياتها القُودِ(٤)
أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البطحاء منبتُكُمْ بطحاءُ مكةَ لا روسُ القراديدِ(٥)
لكُمْ سقايتُها قِدْماً ونَوْتُها قد حازها والدٌ منكُم لمولودِ
لولا رجاؤك لم تعْسِفْ بنا قُلُصٌ أجوازَ مهْمهةٍ قفرِ الصُّوى بيدِ(٦)
لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً من نحو أرضك في دُهْمٍ مناضيدِ(٧)

وأنشده أيضاً قصيدةً مدحه فيها، أوّلها:

أفي طللٍ قَفْرٍ تحمَّلَ أهلُهُ وقفتَ وماءُ العينِ ينْهَلُّ هاملُهْ
تسائل عن سلْمى سفاهاً وقد نأتْ بسلمى نوىً شُحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجو ولم ينطقْ وليس بناطقٍ جواباً مُحيلٌ قد تحمَّلَ أهلُهُ(٨)
ونُؤْيٌ كخطِّ النُّونِ ما إن تبينُهُ عفتْه ذيول من شمالٍ تُذايلُهْ(٩)

ثم قال فيها يمدح السَّريَّ:

فقُلْ للسَّريِّ الواصلِ البرِّذي النَّدى مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّقَ قائلُه

---

(١) المودي: الهالك. (٢) يعمد: يقصد.

(٣) ذرى: جمع ذروة، وذروة كلّ شيء أعلاه، والكوم: الضخام، والمقاحيد: جمع مقحاد وهي الناقة العظيمة السنام.

(٤) القود: جمع أقود، وهو من الخيل الطويل العنق.

(٥) اسلنطح الوادي: اتّسع، والقراديد: جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ.

(٦) العسف: السير في المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية، والصوى: الأعلام من الحجارة تنصب في الفيافي يُستدلّ بها على الطريق، والأجواز: بمعنى جاز المكان إذا قطعه، والطوى: ما يطوى من البلاد، والدهم: السود.

(٧) مناضيد: متراكبة بعضها فوق بعض، يريد سُحباً هذا وصفها. (٨) المحيل: الذي أتت عليه أحوال فغيّرته.

(٩) ذيل الريح: ما انسحب منها على الأرض، وتذايله: تجرّ عليه ذيولها.

جـوادٌ علـى العـلاّتِ يهْتزُّ للنّدى كما اهتزَّ عضْبٌ أخلصتْه صياقلُهْ(١)
نفى الظُّلْمَ عن أهل اليمامةِ عدلُه فعاشُوا وزاح الظّلْمُ عنهم وباطلُهْ(٢)
ونامـوا بأمْنٍ بعد خـوفٍ وشـدّةٍ بسـيرةِ عدْلٍ ما تُخاف غوائلُهْ
وقـد علـم المعـروفُ أنّك خِدْنُه ويعلم هذا الجـوعُ أنّك قـاتلهْ
بك الله أحيا أرضَ حجْرٍ وغيرهـا من الأرض حتّى عاش بالبقْلِ أكلُهْ
وأنـت تُرجّـى للـذي أنت أهلُـه وتنفع ذا القُرْبى لديك وسـائلُهْ

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله: عُوجا نُحيِّ الطُّلولَ بالكَثَبِ(٣)

يقول فيها يمدحه:

دعْ عنك سلْمى وقُلْ مُحـبّرةً لماجـدِ الجـدِّ طيِّب النَّسَبِ(٤)
محْضٍ مُصفّى العُروقِ يحمده في العُسْـر واليُسْر كُلُّ مُرْتغِبِ
الـواهـبِ الخيْلَ في أعنّتهـا والوُصفـاءَ الحسـانَ كالذّهبِ
مجداً وحمـداً يُفيدُهُ كرمـاً والحمد في الناس خيرُ مكْتسبِ

قال: فلما فرغ ابن رُبيْح، قال السَّريُّ لابن هرْمةَ: مرحباً بك يا أبا إسحاق! ما حاجتك؟ قال: جئتك عبداً مملوكاً. قال: (لا!) بل حُرّاً كريماً وابنَ عمّ، فماذاك؟ قال: ما تركتُ لي مالاً إلاّ رهنتُه، ولا صديقاً إلاّ كلّفته ـ قال أبو يحيى: يقول لي ابن زُرَيْق: حتّى كأنّ له ديْانا وعليه مالاً ـ فقال له السَّريّ: وما دينُك؟ قال: سبعمائة دينار. قال: قد قضاها الله عزّوجلّ عنك، قال فأقام أيّاماً، ثُمّ قال لي: قد اشتقتُ. فقلت له: قل شعْراً تشوّقُ فيه. فقال قصيدته التي يقول فيها:

أألحمامـةُ في نخـل ابن همداج هاجتْ صبابة عانى القلب مُهْتاج
أم المُخْبِرُ أنّ الغيْثَ قد وضعتْ منه العشارُ تماماً غير إخْداج(٥)
شقّت سوائفُها بالفرْش مـن ملل إلى الأعـارفِ مـن حَزْنٍ وأولاج(٦)
حتّى كأنّ وُجوهَ الأرض ملْبسـةٌ طرائفاً من سدى عصْبٍ وديباج

---

(١) العضب: السيف، والصياقل: الحدّادون. (٢) زاح: ذهب.
(٣) الكثب: موضع بديار بني طيّ. (٤) المحبّرة: القصيدة التي أجيد صُنعها.
(٥) أخرجت الناقة: ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام.
(٦) شقّت: انفطرت عن النبات، والسوائف: جمع سائفة وهي أرض بين الرمل والجلد أو جانب من الرمل ألين ما يكون، والفرش: واد بين غميس الحمام ومَلَل، والأعارف: جبال باليمامة، والحزن: ما غلظ من الأرض، والأولاج: ما غمض من الأرض.

أمّا السّريُّ فإنّي سوف أمدحُه ... ما المادحُ الذاكرُ الإحسانِ كالهاجي
ذاك الذي هو بعد الله أنقذني ... فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
ليثٌ بحَجرٍ إذا ما هاجه فزعٌ ... هاجَ إليه بإلجامٍ وإسْراجِ
لأحبونّكَ مما أصْطفي مِنَحاً ... مُصاحباتٍ لعُمّارٍ وحُجّاجِ
أسْدي الصنيعةَ من برٍّ ومن لطفٍ ... إلى فروعٍ لباب المُلْكِ ولاّجِ
كَمْ مِن يدٍ لكَ في الأقوامِ قد سلَفَتْ ... عند امرئٍ ذي غِنى أو عند مُحتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دينه، ومائةِ دينارٍ يتجهّز بها، ومائة دينارٍ يُعرِّض بها أهله. ومائة دينار إذا قدم على أهله. (٣٨٢/٤)

(٧٤)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هرْمةَ قال: قال ابن هرْمة:

ومهما ألامُ على حُبِّهمْ ... فإنّي أحبُّ بني فاطمهْ
بني بنت مَنْ جاء بالمُحْكما ... تِ والدِّين والسُّنّةِ القائمهْ

فلقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله: مَنْ قاتلُها؟ فقال: مَنْ عضَّ بظْر أمِّه. فقال له ابنهُ: يا أبت، ألستَ قاتلها؟ قال بلى. قال: فلِمَ شتمت نفْسك؟ قال: أليس أن يعضَّ المرءُ بظْرَ أمّه خيراً من أن يأخذه ابن قحْطبة؟(١). (٣٨٧/٤)

(٧٥)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويةَ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المُسيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدثني ابراهيم بن سكرة جارُ أبي ضمْرةَ قال: جلس ابن هرْمةَ مع قومٍ على شراب، فذكر الحكم بن المطلّب فأطنبَ في مدحه. فقالوا له: إنّك لتُكْثِر ذكر رجلٍ لو طرقته الساعةَ في شاةٍ يقال لها «غرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها. فقال: أهو يفعل هذا؟ قالوا: إي والله. وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها مُعْجبٌ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب. فخرج وفي رأسه مافيه، فدقّ الباب فخرج إليه غلامُه. فقال له: أعْلِمْ أبا مرْوان بمكاني - وكان قد أمرَ ألاّ يُحْجبَ إبراهيم بن هرْمة عنه - فأعلمه به، فخرج إليه متّشحا فقال: أفي مثل

(١) ينفي الشاعر نسبة البيتين إليه خوفاً من العقاب، وهو جزء من الأخطار التي يجلبها الشعر على الشاعر.

هذه الساعة يا أبا إسحاق! فقال: نعم جُعلتُ فداك، ولِد لأخ لي مولود فلم تدرّ عليه أمُّه، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَراء»، فسألني أن أسألكها. فقال: أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقى في الدار شاة إلاّ انصرفتَ بها، سُقْهنَّ معه يا غلام، فساقهنَّ. فخرج بهنَّ إلى القوم، فقالوا: ويحكَ! أيُّ شيء صنعت! فقصَّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنَّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة. (٣٩٥/٤)

(٨٦)

وذكر الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب أن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحب بني أمية بنهر أبي فُطْرُس، إنما بعثه على قتلهم أنه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدح به بني هاشم؛ قال لبعضهم: أين هذا مما كنتم تُمدحون به! فقال: هيهات أن يُمدح أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا:

ما نقمُوا من بني أميَّة إلا أنهم يحلُمُونَ إن غضِبُوا

البيتين؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ: ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أمِّه! ثم أوقع بهم. (٨٥/٥)

(٧٧)

أخبرني جعفر بن قدامة عن حمّاد عن أبيه قال: أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا ولي الخلافة جائزةٌ لإبراهيم، فإنه قال يمدحه لمّا ولي:

ألم ترَ أنَّ الشمسَ كانت مريضةً فلمّا ولي هارونُ أشرق نُورُها
فألبستِ الدّنيا جمالاً بوجهه فهارونُ واليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم. (٢٤٢/٥)

(٧٨)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا أبو أيّوب المدينيّ عن أبي حُذافة قال: لمّا قال ابن هرْمة:

لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبةَ الأجل

قال ابن الكوْسَج مولى آل حُنين يجيبه:

ما يشرب الباردَ القراحَ ولا ينبح من جفْرةٍ ولا حملِ[1]

(١) الجفرة: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش.

كـأنـّـه قِـرْدةٌ يـلاعبهـا قردٌ بأعلى الهضابِ من ملل

قال: فقال ابن هرْمة: لئن لم أوتَ به مربوطاً لأفعلنَّ بآل حُنين ولأفعلنَّ؛ فوهبوا لابن الكوْسج مائة درهم وربطوه وأتوْا به ابن هرْمة فأطلقه؛ فقال ابن الكوسج: والله لئن عاد لمثلها لأعودنَّ. (٢٦٤/٥)

(٧٩)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه، ثم أنشدته بعد التوديع:

فِراقُـكَ مثلُ فـراق الحياةِ وفقدُك مثلُ افتقاد اليَمْ
عليك السلامُ فكم من وفاء أفارق فيك وكـم مـن كرْم

قال: فضمني إليه، وأمر لي بألف دينار، وقال لي: يا أبا محمد، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلُح من الخارجين معنا، لأهْديْتَ بذلك إليَّ أنْساً وأنكرتني بنفسك؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين؛ فكان كتابه لا يزال يرد عليَّ ومعه ألفُ دينار يصلُني بذلك كلما غنّى بهذا الصوت. (٣٠١/٥)

(٨٠)

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال: لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليَّ مُسْتنطقاً؛ فأنشدتُه:

لاح بالمـفْـرِقَ مـنك القتيرُ وذوى غصنُ الشَّبابِ النّضيرُ(١)
هزِئتْ أسـمـاءُ منّي وقـالتْ أنت يابنَ الموصليَّ كـبـيـر
ورأت شـيْباً برأسي فـصـدّتْ وابنُ ستِّين بشـيْبٍ جـديـرُ
لا يروعنَّكِ شـيْبي فـإنّي مع هذا الشَّيب حلْوٌ مَـزيـرُ(٢)
قـد يُفلُّ السـيفُ وهـو جُرازٌ ويصُول الليثُ وهو عـقـيـر(٣)
يابني العـبّاس أنْتم شـفـاءٌ وضـيـاءٌ للقُلـوب ونـور

(١) المفرق: وسط الرأس، والقتير: الشيب، وقيل: هو أول ما يظهر منه. (٢) المزيد: الظريف.
(٣) الفَلّ: ثلم ينال حدّ السيف، والجراز: الماضي القاطع، وعقير: مجروح.

أنتُم أهل الخلافة فينا ولكم منبرُها والسرير
لا يزال المُلك فيكم مدى الدَّهْـ ـرِ مُقيماً ما أقام ثبيرُ(١)
وأبو إسحاق خير إمامٍ ما له في العالمين نظير
ماله فيما يريش ويبْري غير توفيق الإله وزير
واضح الفرْقة للخير فيه حين يبدو شاهدٌ ويشير
زانه هَدْيٌ تُقىً وجلالٌ وعفافٌ ووقارٌ وخير
لو تُباري جوده الريحُ يوماً نزعتْ وهي طليحٌ حسير(٢)

قال: فأمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة. ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غزاته، فأنشدتُه قولي فيه:

لأسماءَ رسمٌ عفا باللِّوى أقامَ رهيناً لطول البلى
تعاورهُ الدهرُ في صرْفه بكرُّ الجديدين حتى عفا
إذ البينُ لم تُخْشَ روعاتُه ولم يصرف الحيُّ صرْفُ الرُّدى
وإذ ميْعة اللهو تجري بنا وحبلُ الوصال متينُ القُوى(٣)
فذلك دهرٌ مضى فابْكِه ومَنْ ضاقَ ذرْعاً بأمرٍ بكى
وهل يشْفينُك من غلّة بكاؤك في إثْر ما قد مضى
إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى بعثنا المطيَّ تجُوب الفلا
إلى ملك حلَّ من هاشمٍ نؤابةَ مَجْدٍ منيفِ الذُّرى
إذا قيل أيُّ فتى هاشمٍ وسيّدُها كان ذاك الفتى
به نعش الله آمالنا كما نعش الأرضَ صوْبُ الحيا
إذا ما نوى فعْلَ أكْرُومةٍ تجاوز من جُوده ما نوى
كساه الإلهُ رداءَ الجمال ونورَ الجلال وهدْيَ التقى

قال: فأمر لي بجائزة. (٣٠٢/٥)

(٨١)

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال:

---

(١) ثبير: من جبال مكة بينها وبين عرفة.
(٢) طليح: تَعِب هزيل، وحسير: كليل. (٣) ميعة اللهو: أوّله.

دخلَ أعرابيٌ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى - وكان يُكْنى أبا القنافذ - فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأذن له؛ فلمّا مثل بين يديه أنشده:

مراض العيونِ خماص البطون ... طوال المتون قصار الخُطا
عتاقَ النُّحورِ رقاقُ الشفور ... لطاف الخصور خدال الشوى(١)
عطابيل من كلّ رقراقة ... تلوث الإزارَ بدعْص النُّقا(٢)
إذا هُنَّ منَّيْننا نائلاً ... أبى البُخلُ منهنَّ ذاكَ المُنى
إلى النُّفر البيض أهلِ البطاح ... وأهلِ السَّماحِ طلبنا النَّدى
لهم سطواتٌ إذا هُيِّجوا ... وحلمٌ إذا الجهلُ حلَّ الحُبا(٣)
يبين لك الخيرُ في أوجهٍ ... لهم كالمصابيح تجْلُو الدُّجى
سعى الناسُ كي يُدركوا فضلهم ... فقصَّر عن سعيهم مَنْ سعى
سعى للخلافةِ فاقتادها ... وبرَّز في السَّبْق لمّا جرى

قال: فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنَّيت فيها، وأمر للأعرابيّ بعشرين ألفَ درهم ولي بثلاثين ألف درهم؛ وما خرج الناس يومئذ إلاّ بهذه الأبيات. (٣٦٥/٥)

(٨٢)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غنّيْتُ الواثق في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي، وهو:

يا حبذا ريحُ الجنوب إذا بدتْ ... في الصبح وهي ضعيفةُ الأنفاسِ
قد حُمِّلت بردَ النَّدى وتحمّلتْ ... عبقاً من الجثجاثِ والبسباسِ(٤)

فشرب عليه واستحسنه وقال لي: يا أبا محمد، لو قلتَ مكان «ياحبذا ريحُ الجنوب»: «ياحبذا ريحُ الشَّمال»، ألم يكن أرقَّ وأعْذى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامةً وأطيبَ للأنفس؟ فقلت: ما ذهب

---

(١) عتاق النحور: جميلاتها، والخدال: جمع خدلة وهي المرأة ذات الساق الغليظة المستديرة، والشوى: الأطراف.

(٢) العطابيل: جمع عطبول وعطبول، وهي الجارية الفتية الممتلئة الطويلة العنق، والدعص: كثيب الرمل المجتمع.

(٣) الحُبا: جمع حُبوة. وهو الثوب الذي يحتبي به الإنسان، والاحتباء: ضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما، ويكنّى بحلّ الحباء عن القيام، ويكنّى بعقدها عن العقود، يريد أنّ للممدوحين حلماً إذا استفزّ أهل الجهل غضباً وطيشاً.

(٤) الجثجاث والبسباس: من نبات البادية، وأعذى: أطيب.

عليٌ ما قاله أميرُ المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعدُ؛ فقال: قل؛ فقلت:

ماذا تهيج من الصُّبابة والهوى ... للصَّبِّ بعد ذهوله والياسِ

فقال الواثق: إنما استطبتَ ما تجيء به الجنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوب، وإليهم اشتقتَ لا إليها؛ فقلت: أجلْ يا أمير المؤمنين؛ وقمتُ فقبَّلتُ يده؛ فضحك وقال: قد أذنتُ لك بعد ثلاثة أيام، فامضِ راشداً؛ وأمر له بمائة ألفِ درهم. (٤٠٦/٥)

(٨٣)

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال: دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى، فرأى شفتيَّ تتحركان بشيء كنتُ أعمله؛ فقال: أتدعو أم تصنع ماذا؟ فقلتُ: بل أمدح؛ قال: قل؛ فقلت:

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جرى لنا ... تجلّى لنا وجهٌ أغرُّ وسيمُ

علانيةٌ محمودةٌ وسريرةٌ ... وفعْلٌ يَسُرُّ المعتفينَ كريمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ، وقال: زد البيتين حُسناً بأن تصنعَ فيهما لحنا؛ فصنعتُ لحنا من الثقيل الثاني. (٤٢٣/٥)

(٨٤)

حدّثني الحسن بن محمد المادرانيَ الكاتب قال حدّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي - وليس خبره بتمام هذا - قال: طلب المنصور حمّاداً الراوية، فطُلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجّهوا إليه برسول يُشخصُه. قال الرسول: فوجدتُه في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجانة وعلى سوأته رأس دستجة(١)، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصتُه إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هِفّان بن همّام بن نضْلة يرثي أباه؛ فأنشده:

خليليَّ عُوجا إنها حاجةٌ لنا ... على قبر همّامٍ سقْته الرواعدُ

على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبْتغى ... جداه إذا لم يحمد الأرضَ رائد

كريم النُّثا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجّى نفْنفٌ متباعد(٢)

إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن ... عييّاً ولا ثِقْلاً على من يقاعد

(١) إجّانة: آنية تُغسل فيها الثياب، ودستجة: الإناء الكبير من الزجاج، معرّب.

(٢) النُّثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء. المزجّى: الضعيف. النفنف: المهواة بين الجبلين.

صبورٌ على العلاّت يُصبح بطنُه خميصاً وأتيه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حفيرة بُحرِّين قد راحتْ عليه العوائد(١)
صريعاً كنصل السيف تضربُ حوله ترائبهنَّ المُعْولاتُ الفواقد

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه. (٨٠/٦)

(٨٥)

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بنُ أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديَّة يستخفُّ مُطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكر له حمادا الراوية، وكان صديقه، وكان مطّرحاً مجفوّاً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. فأتى مطيع حمّاداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه؛ فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير، فأبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه، فاستعار حماد سوادا وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر. فلما دخل عليه سلّم عليه سلاما حسناً وأثنى عليه وذكر فضله؛ فردَّ عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشدني؛ فقال: لمن أيها الأمير؟ ألشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حمّاد: فسُلخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلا قوله:

بان الخليطُ برامتين فودّعوا أو كلّما اعتزموا لبيْن تجزّعُ(٢)

فاندفعتُ فأنشدتُه إياه، حتى انتهيتُ إلى قوله:

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العصا هلاّ هزِئتِ بغيرنا يابوْزَعُ

قال حمّاد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته؛ فقال: بوْزع، أيُّ شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة؛ فقال: امرأة اسمها بوْزع! هو بريء من الله ورسوله ونفيٌ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوْزع إلا غُولا من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلةَ من فزع بَوْزع؛ يا غلمان! قفاه؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدر أين أنا؛ ثم قال: جُرُّوا برجله؛ فجرُّوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرّق السواد وانكسر جفن السيف ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى عليّ؛ وكان

---

(١) حُرِّين: بلد قرب آمد.

(٢) رامتين: تثنية رامة، وهو منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة، وهي آخر بلاد بني تميم، وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة، وقيل هي هضبة أو جبل لبني دارم.

أغلظ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السُّواد وجفن السيف؛ فلما انصرفت أتاني مُطيع يتوجّع لي؛ فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أمية!(١). (٨١/٦)

(٨٦)

حدّثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجحْظة قالا حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخران: دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله؛ قال: وما عسى أن تقول فيّ بعد قول كعب الأشقريّ في المهلّب

براك اللهُ حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غزارا

فقال له: قد قُلت أحسنَ من هذا؛ قال: هات، فأنشده قوله:

له لحظات عن حفافيْ سريره إذا كرّها فيها عقابٌ وناشلُ(٢)

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهديّ: يا أمير المؤمنين، قد تكلّف في سفره إليك نحوها؛ فقال له المنصور: يابُنيّ، إني قد وهبت أعظم من ذلك، وهبتُ له نفسه(٣)، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان:

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتجى لِمُعْترٍّ فِهْرٍ ومحتاجها(٤)
ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى بإلجامها قبلَ إسراجها
أشارت نساءُ بني غالب إليكَ به قبْلَ أزواجها (١١٠/٦)

(٨٧)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدّثني عثمان بن حفْص الثّقفي قال حدّثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال: دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان،

---

(١) اختلط الشعر بموقف حمّاد السابق من بني أميّة، وحبه لهم، فكان ذريعة لجرّ البلاء عليه، وإيقاع الأذى به.

(٢) حفاف الشيء: جانبه.

(٣) غفر المنصور للشاعر مديحه السابق للبيت المرواني، واكتفى بإعطائه اليسير من المال، ورأى أنّ الواجب قتله بسبب ذلك الشعر الذي قاله سابقاً.

(٤) المعترّ: الفقير والمتعرّض للمعروف من غير أن يسأل.

فلما اجتمع الناس قام ابن هرْمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، شاعرك وصنيعتك(١) إن رأيت أن تأذن لي في الإنشاد؛ قال هات؛ فأنشده قوله:

سرى(٢) ثوبه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى انتهى إلى قوله:

له لحظاتٌ عن حِفافيْ سريره ... إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأمُّ الذي أمنتَ أمنةُ الرُّدى ... وأمُّ الذي خوّفتَ بالثُّكل ثاكل

فقال له المنصور: أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولك فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

قال: فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدر على الاعتذار؛ فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل منْفاق مِتْلاف لا يليقُ شيئاً(٣)، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتب بذلك إلى صاحب الجاري(٤) أن يُجريها عليهم فعل؛ فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنه كان مُغضباً عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن:

ما غيَّرتْ وجهه أمُّ مُهجَّنة ... إذا القتامُ تغشَّى أوْجُهَ الهُجُنِ (٦/١١٠)

(٨٨)

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرّد قال حدثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخلعة، ووصفه له وقال: امض إليه؛ فإنّك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد، فانتسبْ له إلى بني أمية أو مواليهم، وسلْه أن يُنشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

---

(١) يضيف ابن هرمة إلى الشاعر وصفاً جديداً هو «الصنيعة» مع بقية الأوصاف التي رأيناها مثل: المضحك، وطالب نوال وغيرها.

٢) سرى عنه الثوب: كشفه. (٣) لا يليق شيئاً: أي ما يمسكه ولا يلصق به.

(٤) صاحب الجاري: لعلّه الرجل الموكل بصرف المال.

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجئني برأسه(١)؛ وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخلعة، وما أراه يُنشدك غيرها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد؛ فقال: ما قلت هذه القصيدة قطُّ ولا أعرفها وإنما نحلها إياي مَنْ يُعاديني، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك أحسنَ منها؛ قال: قد شئتُ فهات؛ فأنشده: سرى ثوبه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها؛ ثم قال له: هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ؛ فقال: أيُّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دفع إليّ؟ فقال: دعْ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعتَ إلى ما حمّلك إياه.. فضحك الرسول ثم قال: صدقتَ لعمري؛ ودفع إليه الألف دينار والخِلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما. (١١٢/٦)

(٨٩)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا عمّي عن جدّي قال: لما أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها... فقال يابُنيّ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

لاستكثرتَ له ما استقللته، ولرأيتَ أنَّ حياته بعد ذلك القول ربح كثير(٢). والله إني يا بُنيّ ما هممت له منذُ يومئذ بخير فذكرتُ قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهُمَّ بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهديّ. (١١٣/٦)

---

(١) يبدو أنَّ هذه القصيدة ستظلّ تلاحق الشاعر في ظلّ العصر الجديد، ونراها تكاد تؤدي به إلى القتل لولاحسن تدبيره.

(٢) هذا يؤكد ما ورد في النصوص السابقة من ملاحقة القصيدة للشاعر، وما يراه الخليفة في الربح الكبير الذي أنعم به عليه الذي يتمثّل في عدم قتله.

(٩٠)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهيْثم بن عديّ عن ابن عياش قال: لما مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة(١) إلى مقابر قريش(٢)، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع، انظُر مَنْ في أهلي يُنشدني: أمِنَ المنون وريْبها تتوجّع حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي. قال الربيع: فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور، فسألتُهم عنها، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها، فرجعتُ فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لقلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدُّ عليّ من مصيبتي بابني. ثم قال: انظُر هل في القوّاد والعوامّ من الجند مَنْ يعرفها، فإني أحبُّ أن أسمعها من إنسان يُنشدها. فخرجتُ فاعترضت الناس فلم أجد أحداً يُنشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شِعْر أبي ذُؤيب فقلت: أنْشدني. فابتدأ هذه القصيدة العينيّة. فقلت له: أنت بُغْيتي. ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إياها. فلما قال: والدهرُ ليس بمُعتب(٣) مَنْ يجْزَعُ

قال: صدق والله، فأنْشدني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ؛ فأنشده، ثم مرَّ فيها. فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يبْقى على حدثانه جوْنُ السُّراة له جدائدُ أربعُ(٤)

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمر الشيخَ بالانصراف. فاتّبعتُه فقلت له: أأمر لك أميرُ المؤمنين بشيء؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم. (٢٧٢/٦)

(٩١)

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضّحاك، فذكر نحواً منه. أخبرني الصّوليّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشْرس،

---

(١) يريد بالمدينة، بغداد.

(٢) مقابر قريش ببغداد: مقبرة مشهورة ومحلّة فيها خلق كثير، والمنصور أولّ مَنْ جعلها مقبرة لما بنى بغداد، وجعلها الخطيب في تاريخ بغداد (١/ ١٢٠)، من المقابر المخصوصة بالعلماء والزّهاد.

(٣) أعتبه: رجع إلى ما يرضيه وترك ما يسخطه.

(٤) جون السراة: أسود الظهر أو أبيضه، ويريد هنا حماراً. الجدائد: الأتن، واحدها جَدود وهي التي لا لبن لها.

قال الصُّوليّ وحدّثنيه عوْن بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع قال: لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يُسمّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضّحاك، وكان من جلساء محمد المخلوع؛ فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

هلاَّ بقيتَ لسدّ فاقتنا أبداً وكان لغيرك التّلفُ
فلقد خلفتَ خلائفاً سلفوا ولسوْفَ يُعْوِز بعدك الخلفُ

لا حاجةَ لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق(٢٢). ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون. (١٤٨/٧)

(٩٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن زيد المهلّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد، فقال: لستَ تطرحَ على جواريّ وغلْماني ما أستجيدُه! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعث إلى منزلي فجيء بالدفاتر واخْترْ منها ما شئتَ حتى ألقيه عليهم؛ فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه، فمرَّ به شعر الحسين بن الضّحاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو:

أطِلْ حزناً وابْكِ الإمامَ محمدا بحزن وإن خفْتَ الحُسامَ المهنّدا
فلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمدٍ ولا زال شملُ الملك منها مُبدّدا
ولا فرح المأمونُ بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرّدا

فقال لي صالح: أنت تعلم أنّ المأمون يجيء إليَّ في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسكّين فجعل يحكُّه؛ وصعد المأمونُ من الدَّرجة ورمى صالح الدفتر. فقال المأمون: يا غلام الدفتر فأتني به، فنظر فيه ووقف على الحكّ فقال: إن قلت لكم: ماكنتم فيه تصدّقُوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك: ابعث فجيء بدفاترك ليتخيّر ما تطرح.. فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكّه؛ قلنا: كذا كان. فقال: غنِّه يا عمرو؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين ابن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر؛ فقال: وما يكون! غنِّه ففنيّتُه؛ فقال: ارْدُدْه فرددتُه ثلاث مرات؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يضْرُرْكَ عندي.

قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسينٌ بنُ الضحّاك، وكان نديمه وصديقه:

(٩٣)

أخبرني عليّ بن العباس قال حدّثني سوادةُ بن الفيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال: لمّا ولي المعتصمُ الخلافة سألني عن حسين بن الضّحاك، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم، فلما دخل وسلّم استأذن في الإنشاد فإذن له؛ فأنشده قوله:

هلاّ سألت تلذُّذ المُشتاق ومننْت قبل فراقه بتلاق
إنّ الرقيبَ ليستريبُ تنفُّساً صُعْداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلةٍ عبْرى عليك سخينةِ الأماق(١)
نفسي الفداءُ لخائفٍ مترقّبٍ جعل الوداعَ إشارةً بعناق
إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيّرٍ إلا الدموعُ تُصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خيرُ الوفود مبشّرٌ بخلافةٍ خصّتْ ببهجتها أبا إسحاق
وافتْه في الشهر الحرام سليمةً من كل مُشْكلةٍ وكلّ شقاق
أعطته صفقتها الضمائرُ طاعةً قبل الأكُفُّ بأوكد الميثاق
سكن الأنامُ إلى إمام سلامةٍ عفٍّ الضمير مهذّبِ الأخلاق
فحمى رعيّته ودافع دونها وأجار مُلْقَها من الإملاق

حتى أتمّها. فقال له المعتصم: ادْن منّي فدنا منه؛ فملأ فمه جوهراً من جوهر كان بين يديه ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه، وأمر بأن يُنْظَم ويُدفعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله. فكان أحسن ما مُدح به يومئذ. وممّا قدّمه أهلُ العلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضحّاك حيث قال:

قُلْ للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسّفين تعسّف المُرّاقُ
إني أحذّركم بوادر ضيْغَمٍ درب بحطْم موائلِ الأعناق(٢)
متأهّب لا يستفزّ جنانه زَجِلُ الرُّعود ولا معُ الإبراق(٣)

(١) أراب الرجل: كان ذا ريبة. (٢) درب: متدرّب، ذو خبرة وتجربة.
(٣) زجل الرعود: يريد الرعود ذات الصوت المرتفع.

لم يبْقَ من متعرِّمين توثَّبوا بالشأم غيرُ جماجمٍ أفلاقِ(١)
من بين مُنْجدل تمُجّ عروقُه علقَ الأخادع أو أسير وثاقِ(٢)
وثنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ تختال بين أحزَّةٍ ورقاقِ(٣)
يحملن كلَّ مُشمِّرٍ مُتَفَشِّمٍ ليثٍ هزبرٍ أهْرت الأشداقِ(٤)
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازلاً والموتُ بين ترائبٍ وتراقِ(٥)
هرَّت بطارُقها هريرَ قساورٍ بُدِهَتْ بأكْرهِ منظرٍ ومذاقِ(٦)
ثم استكانت للحصار ملوكُها ذُلاً ونِاطَ حلوقها بخناقِ(٧)
هَربتْ وأسْلَمتِ الصليب عشيةً لم يَبْقَ غيرُ حشاشةِ الأرماقِ

قال: فأمر له المعتصم لكلّ بيت بألف درهم(٨)، وقال له: أنت تعلم يا حسين أنَّ هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا. فقبَّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه. (١٥٢/٧)

(٩٤)

أخبرني محمد بن يحيى الخراسانيّ قال حدّثني محمد بن مُخارق قال: لمّا بُويع الواثقُ بالخلافة ودخل عليه الحسين بن الضَّحاك فأنشده قصيدته التي أوّلها:

ألم يَرُعْ الإسلامَ موتُ نصيره بلى حقّ أن يرتاع مَن مات ناصرُهْ
سيُسْليكَ عمَّا فات دولةُ مُفْضلٍ أوائلُهُ محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى الله عِطْفَيْه وألَّفَ شخصه على البرّ مُذْ شُدَّت عليه مآزِرُه
يصبُّ ببذْل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نهْباً يُبادرُه(٩)
وما قدَّم الرحمنُ إلاَّ مقدَّماً موارده محمودةٌ ومصادره

---

(١) المتعرِّمون: ذوو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخلق. (٢) العلق: الدم. الأخادع: عروق في العنق.
(٣) الأحزّة: جمع حزيز، وهو الغليظ من الأرض. الرقاق: المستوى اللَّين من الأرض.
(٤) متفشّم: غضوب. أهرت: واسع، وتوصف الأسود بذلك.
(٥) التراتب: عظام الصدور، وفوقها التراقي، مفردها ترقوة.
(٦) هرَّت: صوّتت. القساور: الشجعان والأعزّة والأشدّاء من الرجال. بُدِهَتْ: بغتت.
(٧) الخناق: ما يُخنق به من حبل أو وتر ونحوه.
(٨) بدأت هذه الظاهرة منذ العصر الأموي، وهي عدُّ أبيات القصيدة، وإعطاء مبلغ من المال لكلّ بيت، وقد أشرنا سابقاً إلى انتشارها في العصر العباسي، ونرى المعتصم يصنع هذا، وقبله الرشيد وغيرهما.
(٩) وصب بالشيء: كلف به وولع.

فقال الواثق: إن كان الحسين لينطقَ عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة. ثم أمر بأن يُعطي لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم(١). فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان، منها لعريبَ من طريقة الثقيل الأوّل. (١٥٦/٧)

(٩٥)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنّا مع الواثق بالقاطُول(٢) وهو يتصيّد؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزَّوْ(٣) من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك؛ ثم رجع فتغدّى، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرب وقال: من يُنشدنا؟ فقام الحسين بن الضَّحّاك فأنشده:

سقى اللهُ بالقاطُول مسْرحَ طرفكا ... وخصَّ بسُقياه مناكبَ قصركا

حتى انتهى قوله:

تخيَّرْنَ للدُّرّاج في جنباته ... وللفرِّ أجمالٌ قُدِرْنَ بكفُكا
حُتُوفاً إذا وجُّهْتهنّ قواضباً ... عجالاً إذا أغريتهنّ بزجركا
أبحتَ حماماً مُصْعِداً ومُصوِّباً ... ومارِمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا(٤)
تصرَّف فيه بين نايٍ ومُسْمِع ... ومشمولةٍ من كفّ ظبي لسقْيكا(٥)
قضيتَ لُبانات وأنت مخيَّمٌ ... مُريحٌ وإن شطَّتْ مسافةُ عزْمكا
وما نال طيبَ العيش إلاّ مُودِّعٌ ... وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدُّكا

فقال الواثق: ما يعدل الراحةَ ولذّةَ الدَّعة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خُلقتَ أمينَ الله للخلْق عصمةً ... وأمْناً فكلٌّ في ذراك وظلّكا
وثقْتَ بمن سمّاك بالغيب واثقاً ... وثبّتَ بالتأييد أركانَ مُلْككا
فأعطاكَ مُعْطيك الخلافةَ شكرها ... وأسعدَ بالتقوى سريرةَ قلبكا
وزادك من أعمارنا، غير منّةٍ ... عليك بها، أضعاف أضعاف عمركا

---

(١) يشبه هذا ما رأيناه في النصّ السابق، حيث يأمرَ الخليفة بأبيات القصيدةأن تُعدّ، ويعطي مالاً لكلّ بيت، وما هو الواثق يصنع صنيع أسلافه، فيعطي الشاعر وفق ذلك المقياس.

(٢) القاطول: اسم نهر كانَّه مقطوع من دجلة، حفره الرشيد وبنى على فوهته قصراً سمّاه أبا الجند.

(٣) الزوّ: نوع من السفن كان منتشراً في العصر العباسي.

(٤) رام المكان: زال عنه وفارقه. (٥) المشمولة: الخمر الباردة.

ولا زالت الأقـدارُ في كلّ حـالةٍ عُداةً لمن عـاداك سِلْمـا لسلمكا
إذا كنتُ من جَدْواك في كـل نعمـةٍ فلا كنتُ إن لم أفْنِ عمري بشكركا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخْصرة كانت في يده، وقال: لله درُّك يا حسين! ما أقرب قلبك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودُك يُنطق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلاَّ مسرورا! ثم أمر له بخمسين ألف درهم. (١٥٨/٧)

(٩٦)

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خلف بن المرْزبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن آخره وقصّةِ وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه - ولم يقل وكيع: عن أبيه - واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ، قال: كنت بين يدي المأمون واقفاً، فدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها؛ فظنُّها له فقال: هاتِ؛ فأنشده(١):

أجِرْني فإنّي قد ظمِئْتُ إلى الوعد متى تُنجزُ الوعـدَ المؤكّدَ بالعـهد
أعـيـذُكَ من خُلّف الملوك وقـد بدا تَقطُّعُ أنفـاسي عليك من الوجـد
أيبْخَلُ فـرْدٌ الحـسـن عنّي بنائلٍ قليلٍ وقـد أفـردتُه بهـوىً فـردِ

إلى أن بلغ إلى قوله:

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده فملّكـه واللـه أعْلمُ بالعبدِ
ألا إنّما المأمونُ للناس عصمةٌ مميِّزةٌ بين الضّلالـةَ والرُّشْـدِ

فقال المأمون: أحسنتَ يا عبد الله! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلُها! قال: ومن هو؟ فقال: عبدُك حسين بن الضّحاك؛ فغضبَ ثم قال: لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعم به عيناً! أليس القائلَ:

أعينيَّ جُودا وابكا لي محمدا ولا تذْخرا دمعاً عليه وأسْعدا
فلا تمّتِ الأشـياءُ بعد محمد ولا زال شملُ الملك فيه مبدّدا
ولا فـرح المأمـونُ بالمُلك بعـده ولا زال في الدّنيا طريداً مشرّدا

---

(١) مرّ في نصّ سابق، كرامة المأمون لتقريب هذا الشاعر بسبب مدحه الأمين، وهنا يعيد ما قاله سابقاً مع تغيير جذري مثلما سنرى.

هذا بذاك؛ ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البوّاب: فأين فَضْلُ إحسان أمير المؤمنين وسعةُ حلمه وعادته في العفو! فأمر بإحضاره. فلمّا حضر سلّم، فردّ عليه السلاّم رداً جافياً؛ ثم أقبل عليه فقال: أخْبرني عنك: هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمد هاشميّةً قتلت أو هُتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

وسِرْب ظباء من ذُعابةِ هاشـــمٍ هتفْنَ بدعوى خير حيٍّ وميِّتِ
أرُدُّ يـداً مـنّي إذا مـا ذكـرتُه على كـبـدٍ حـرّى وقلبٍ مـفـتّتِ
فـلا بات ليلُ الشـامـتين بغبْطةٍ ولا بلغـتْ آمـالُهـم مـا تمـنّتِ

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعةٌ غلبتني، وروعةٌ فاجأتني، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني، وسيّد فقدتُه فأقلقني. فإن عاقبتَ فبحقّك، وأن عفوت فبفضلك(١). فدَمَعتْ عينا المأمون وقال: قد عفوتُ عنك وأمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك. (١٦٥/٧)

(٩٧)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عوْن بن محمد قال حدّثني الحسين بن الضحّاك قال: غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأودُبنّه! وحجبني أياماً. فكتبت إليه:

غضبُ الإمـــام أشـدُّ من أدبهْ وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غضبهْ
أصبحتُ معتصماً بمعتصمٍ أثنى الإلـهُ عليـه في كُتُبـه
لا والـذي لـم يُبْقِ لـي سـبباً أرجو النجاةَ به سوى سببه
مـالي شـفـيعٌ غـيـرُ حُرْمـتِه ولكـلُّ من أشْفى على عطبـه

قال: فلمّا قُرئ عليه التفت إلى الواثق ثم قال: بمثل هذا الكلام، يُسْتعْطف الكرام! ما هو إلاّ أن سمعتُ أبيات حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه. فقال له الواثق هو حقيقٌ بأن يُوهبَ له ذنبه ويُتجاوز عنه. فرضي عنّي وأمر بإحضاري. (١٦٧/٧)

---

(١) يقدّم الشاعر حُججاً مقنعة لما قاله من الشعر، فلقد رأى البناء ينهار، والسيّد الذي يحبّه يُقتل، فلم يكن أمامه سوى الشعر يبثّه لوعته، فكان أن قال ما قال، ويتأثر المأمون بهذه الحجج، فيعفو بحذر، ويصفح بلا تقريب له.

(٩٨)

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ وقال حدّثني محمد بن أبي عوْن قال: حضرتُ المتوكّل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضحّاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر، وقال لحسين: قل في هذا شيئاً؛ فقال:

وكالدُّرَّةِ البيضاءِ حيّا بعنبرٍ ... وكالورد يسْعى في قراطِقَ كالوَرْد(١)
له عبثاتٌ عند كلِّ تحيّةٍ ... بعينيه تستدعي الحليمَ إلى الوجد
تمنيْتُ أن أسقى بكفيْه شربةً ... تُذكّرني ما قد نسيتُ من العهد
سقى الله عيشاً لم أبِتْ فيه ليلةً ... من الدّهر إلاّ من حبيب على وعد

فقال المتوكل: يُحمل إلى حسين لكل بيت مائةُ دينار. فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجّب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فوالله لقد أجاب فأسرع، وذكّر فأوجع، وأطرب فأمتع؛ ولولا أنّ يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد. فَخجل المتوكّل وقال: يُعطى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار(٢). وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوْكبيّ قال حدّثنا بشْر بن محمد قال وحدّثني علي بن الجهْم: أنه حضر المتوكّل وقد أمر شفيعاً أن يسقي حسينَ بن الضحّاك؛ وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره. (١٧١/٧)

(٩٩)

حدّثني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثني عبد الله بن المؤمل العسكريّ قال: لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ جلسَ للناس ودخل إليه المهنئون والشعراءُ فمدحوه وهنّئوه؛ ثم استأذن حسينُ بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجُلساء فترفّع عن الإنشاد مع الشعراء فأذن له؛ فأنشده قوله:

أكاتمُ وجْدي فما يَنكتمْ ... بِمَنْ لو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنّي على حسن ظنّي به ... لأحْذَر إن بُحْتُ أن يحْتَشِمْ
ولي عند لحْظتِه روْعةٌ ... تُحقّق ما ظنّه المُتّهِمْ

---

(١) القراطق: جمع قرطُق، جاء في اللسان(١٠/٣٢٣)، «هو تعريب كُرْته، وهو القباء».

(٢) تتكرّر ظاهرة إعطاء المال لكل بيت في القصيدة، مع الإشارة إلى ما ورد في النصّ من أنّ ابن طاهر يرى أنّ ما مُنح قليل. ويطلب المزيد للشاعر للأسباب التي ذكرها.

وقد علم الناسُ أنّي له ... مُحِبٌّ وأحسبُه قد علِمْ
وإنّي لَفُضٍ على لوعةٍ ... من الشوق في كبدي تضْطرم
عشيّةَ ودّعتُ عن مقلةٍ ... سفُوحٍ وزفرةِ قلبٍ سدِم(١)
فما كان عند النّوى مسْعِدٌ ... سوى العين تمزُج دمعاً بدم
سيذكر من بان أوطانه ... ويبْكي المقيمين من لم يُقِمْ

وقال فيها يصف السفينة:

إلى خازن الله في خلْقه ... سراجِ النّهار وبدْرِ الظُّلَم
رحلنا غرابيب زفّافةً ... بدجْلةَ في موْجها المُلْتطِمْ(٢)
إذا ما قصدْنا لقاطولها ... ودُهْمُ قراقيها تصْطَدِمْ(٣)
سكنّا إلى خير مسكونةٍ ... تيمّمها راغبٌ من أمَمْ(٤)
مباركةٌ شاد بنيانَها ... بخير المواطنِ خير الأممْ
كأنّ بها نشْرَ كافورةٍ ... لبرْد نداها وطيب النّسَمْ
كظهر الأديم إذا ما السحا ... بُ صاب على متْنها وانسجم
مُبرأة من وُحُول الشتاء ... إذا ما طمى وحلُه وارتكم(٥)
فما إنْ يزال بها راجلٌ ... يمرُّ الهُوَيْنى ولا يلتطِم
ويمشي على رسْله آمناً ... سليمَ الشّراك نقيَّ القدم
وللنّون والضّبّ في بطنها ... مراتعُ مسكونةٌ والنّعَم
غدوتُ على الوحْش مفترّةً ... رواتعَ في نورها المنتظم
ورُحتُ عليها وأسرابُها ... تحُوم بأكنافها تبْتسِمْ

ثم قال يمدح الواثق:

يضيق الفضاءُ به إن غدا ... بطودَيْ أعاريبه والعجمْ
ترى النّصر يقدم راياتِه ... إذا ما خَفَقْن أمام القَلَمْ
وفي الله دوّخ أعداءه ... وجرّد فيهم سيوفَ النّقَمْ

---

(١) السدم: الندم والحزن.

(٢) غرابيب: سود، الواحد غربيب، والمراد به السفن لأنها تُطلى بالقار. زفّافة: سريعة.

(٣) القراقير: السفن الطويلة. (٤) من أمَم: من قريب.

(٥) ارتكم: تجمّع وزاد.

وفي الله يكظِم من غيظه وفي الله يصفح عمّن جرم
رأى شيم الجود محمودةً وما شيمُ الجود إلاّ قسَمْ
فراح على «نعمٍ» واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نعم

قال: فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم، واتّصلت أيامُه بعد ذلك، ولم يزل من ندُمائه. (١٩٤/٧)

(١٠٠)

.. ثم قال الواثق قوموا بنا إلى حانة الشطّ(١) فقاموا إليها، فشرب وطرب، وماترك يومئذ أحداً من الجلساء والمغنّين والحشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوتُ إليه؛ فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا الماضي، فقد كان حسناً فأنشدته:

يا حانةَ الشطِّ قد أكرَمْتِ مثْوانا عُودي بيوم سرورٍ كالذي كانا
لا تُفْقدينا دُعابات الإمام ولا طيبَ البطالةِ إسراراً وإعلانا
ولا تُخَالعُنا في غير فاحشةٍ إذا يطَّوينا الطُّنْبورُ أحيانا
وهاج زمْرُ زُنامٍ بين ذاك لنا شجْواً فأهْدى لنا روْحا وريحانا(٢)
وسلْسل الرُّطلَ عمروٌ ثم عمَّ به السُّقْيا فألحقَ أولانا بأخرانا
سقْياً لشكلك من شكل خُصصت به دون الدُّساكر من لذّات دنيانا
حفَّتْ رياضك جنّاتٌ مجاورةٌ في كلِّ مُخْترقٍ نهراً وبستانا
لازلتِ أهلةَ الأوطان عامرةً باكرم الناس أعراقاً وأغصانا

قال: فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدّدة، واستحسن الصوت. (١٩٧/٧)

(١٠١)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال: اجتمعتُ أنا وحسين بن الضّحّاك وأبو شهاب الشاعر، وهو الذي يقول:

---

(١) وصف السريّ الرّفاء في كتابه المحب والمحبوب (٣٤٩/٤)، حانة الشط هذه وصفاً تفصيلياً، منه أنّ الواثق أمر بها أن «تفرش بفُرش الخلافة، وتعلّق الستور والستائر، وتنقل إليها من آلة الشراب محاسن ما في الخزانة .. واستعملوا فيها دناناً مذهّبة. وكراسيّ مدهونة مذهبّة». وأورد الرّفاء قصيدة الحسن هذه في وصف الحانة مع قصيدة أخرى له.

(٢) زُنام: زمّار حاذق، خدم كلاً من الرشيد والمعتصم والواثق.

لقد كنتُ ريحانةً في الندى وتُفاحـةً في يدي الكـاعب

وعمرو بن بانة يُغنيهـا فتذاكرْنا الدُّوابَّ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شـهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما، فتسابقا فسبقه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كُلُـوا واشـربوا هُنْتُم وتمتّعـوا وعيشوا وذُمّوا الكوْدنين جميعا(١)
فـاقسـم ما كـان الذي نال منهما مدى السبق إذ جدُّ الجراءُ سريعاً

وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه:

أيا شـاعـر الخُصْيان حـاولتَ خُطَّةً سُبِقْتَ إليـهـا وانكفـأتَ سـريعـا
تُحـاول سـبـقي بالقريض سـفـاهةً لقد رمت جهلاً من حِمـايَ منيعا

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سبب التباعد بينهما. وكنّا إذا أردنا العبث بحسين نقول له: أيا شاعر الخُصْيان، فيُجنُّ ويشتُمنا. (١٩٨/٧)

(١٠٢)

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال: دخل حسين بن الضّحاك على محمد الأمين بعقب وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم،: فهنأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

أمينَ اللـه ثِـقْ باللـ ـه تُعْطَ العـز والنُصْرهْ
كل الأمـرَ إلى اللـه كـلاكَ الله نو القُدرة(٢)
لنا النصرُ بإذن اللـ ـه والكرّةُ لا الفـرّهْ
وللمُـرّاق أعـدائـ ـك يومُ السُّوْء والدُّبْره(٣)
وكـأسٌ تُورد المـوت كـريهَ طعـمُهـا مُرّهْ
سـقـوْنا وسـقـيناهم فكـانت بهـمُ الحـرّه
كـذاك الحربُ أحـيـاناً علينـا ولنـا مـرّهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو يُنشده. (٢٠٧/٧)

---

(١) الكودن: الفرس الهجين والبغل، وهو أيضاً الثقيل والبليد.

(٢) كلاك: حفظك، سُهّلتْ همزته.

(٣) الدُّبرة: الهزيمة في القتال.

(١٠٣)

حدّثني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني هارون بن مُخارق قال: أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها، ولم يُقْطِعْ الحسين بن الضّحاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمينَ اللـــه لا خطّـــةَ لـــي ... ولقد أفردتَ صحْبي بخططْ(١)
أنا في دهْيـــاءَ مـــن مُظْلمـــةٍ ... تحـمل الشـــيخَ على كلّ غلط
صـــعبـــةِ المسْلك يرتاع لهـا ... كلُّ من أصْعد فـيـهـا وهبطْ
بـوِّنـي منك كمـا بوّأتهـم ... عرْصـةً تبسُط طرْفي ما انبسط(٢)
أبتني فيـها لنفسـي موطناً ... ولعـقْبي فرطـاً بعـد فـــرطْ(٣)
لم يزل منكَ قـريباً مسـكني ... فـأعدْ لي عـادةَ القـرب فـقطْ
كلُّ مـن قـــربتـــه مُغْتـــبِطٌ ... ولمن أبعـــدتَ خِزْيٌ وســـخط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها. (٢٠٩/٧)

(١٠٤)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال حدّثني الحسين بن الضّحاك قال: كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني(٤) كلّه وأشفي لوعتي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ، وقد علمتُ مكانك من الأمين، وإنه لحقيقٌ بأن ترثيه، إلاّ أنك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثلْباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون مُنْصبٌّ(٥) إلى العراق قد أقبل عليك؛ فابقِ على نفسك؛ يا ويْحك! أتجسر على أن تقول:

تركوا حريمَ أبيـهمُ نفلاً ... والمُحْصناتُ صوارخٌ هُتُفُ(٦)
هيـهات بعدك أن يدومَ لهم ... عزٌّ وأن يبـقى لهـم شـرفُ

أكْفُفْ غرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرط منك. فعلمتُ أنه قد نصحني فجزيته

---

(١) الخطّة: المكان المختطّ لعمارة وغيرها.

(٢) بوِّني: أصلها «بوّئني» سُهّلت الهمزة فصارت ياءً ثم حُذفت لصيغة الأمر.

(٣) الفَرَط: اسم للجمع، أي جماعة بعد جماعة. ينظر اللسان (٣٦٧/٧).

(٤) بلساني كلّه: أي بما أقدر عليه من فنون الرثاء.

(٥) منصبّ: قادم بسرعة. (٦) النفل: الغنيمة.

الخير، وقطعتُ القول فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو. (٢١١/٧)

(١٠٥)

حدّثني الصّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضّحاك ابن يسمّى محمداً، له أرزاق، فمات فقُطِعتْ أرزاقُهُ فقال يخاطب المتوكّل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفّى لزوجته وأولاده:

إنّي أتيتُك شافعاً ... بولِيّ عهد المسلمينا
وشبيهك المعتزّ أو ... جدٍ شافع في العالمينا
يا بن الخلائف الأولين ... وَيا أبا المتأخرينا
إن ابن عبدك مات والأ ... يامُ تخترم القرينا
ومضى وخلّف صبيةً ... بعراصه مُتلدِّدينا(١)
ومُهيْرةً عبْرى خلا ... فَ أقاربٍ مُستعبرينا
أصبحنَ في ريب الحوا ... دث يُحسنون بك الظُّنونا
قطع الوُلاةُ جرايةً ... كانوا بها مُستمْسكينا
فامنُنْ بردّ جميع ما ... قطعوه غيرَ مراقبينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمّل ... أفضلُ المتفضّلينا

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. (٢٢٣/٧)

(١٠٦)

أخبرني جعفر بن قُدامة حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّحاك ونحن على نبيذ؛ فعبث بالمُغنّية وجسّها؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به. فأنشأ يقول:

لها في وجهها عُكَنٌ ... وثّنّا وجهها ذقَنُ(٢)
وأسنانٌ كريش البطّ ... بين أصولها عفَنُ

قال: فضحكنا وبكت المغنّيةُ حتى قُلت قد عميْت وما انتفعنا بها بقية يومنا. وشاع هذان البيتان فكسدتْ من أجلهما. وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتُجنّ، ثم هربتْ من سُرّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا. (٢٢٤/٧)

---

(١) المتلدّد: المتحيّر (٢) العُكَن: ما انطوى وتثنّى من لحم البطن سمناً، أي هي ذات وجه منتفخ.

(١٠٧)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العنزيّ عن ابن عائشة قال: لمّا استقام الأمر لبني العبّاس قام السيِّد إلى أبي العباس السفّاح حين نزل عن المنبر فقال:

نُونكُموها يا بني هاشـم فجدِّدوا من عهدها الدُّارسا(١)
نُونكموها لا علا كعبُ مَنْ كان عليكم مُلكها نافسا(٢)
نونكُموها فالْبسوا تاجَها لا تعْدموا منكم لـه لابسا
لـو خُيِّر المنبرُ فُرسانه ما اختار إلاّ منكُم فارسا
قد ساسها قبلكُم ساسةٌ لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولستُ من أن تملكوها إلى مهْبط عيسى فيكم آيسا(٣)

فُسُرّ أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنتَ يا إسماعيل! سلْني حاجتك؛ قال: تُوَلّي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل. (٢٤٠/٧)

(١٠٨)

وذكر التّميميّ - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد إذ استأذن آذِنُه للسيِّد، فأمره بإيصاله، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ. ودخل فسلم وجلس. فاستنشده فأنشده قوله:

امُرُرْ على جدث الحسيـ ـن فقُـل لأعْظُمِه الزكيّه
اأعْظُماً لا زِلْـتِ مـن وطْفـاءَ سـاكبـةٍ رويّهْ
وإذا مـررتَ بقبـره فـأطِلْ به وقْفَ المطيّه
وابكِ المُطَهـرَ للمطُـهـر والمطُهـرةَ النُّقيـّـهْ(٤)
كـبُكـاء مُعْولـةٍ أتـت يومـاً لواحـدها المنيُّه

قال: فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت؛ فقال لي: ويلي على الكيْسانيّ الفاعل ابن الفاعل! يقول:

---

(١) يقصد الخلافة. الدّارس: المندثر. (٢) لا علا كعب: لا شرُفه الله ولا أسعده. (٣) كناية عن يوم القيامة.
(٤) المطُهر الأول هو الحسين بن علي، والمطَهر الثاني هو والده علي بن أبي طالب، والمطهّرة هي السيدة فاطمة بنت محمد (ص).

فـإذا مـررتَ بقبره فاطلْ به وقْفَ المطيْه

فقلت: يا أبتِ، وماذا يصنع؟ قال: أولا ينْحر؛ أولا يقتُل نفسه! فثكلتْه أمُّه!. (٢٤٠/٧)

(١٠٩)

وقال التميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فُضل الرسان أنْشدِ جعفرُ بن محمد قصيدةَ السيّد:

لأمِّ عمرو باللِّوى مرْبَعُ دارسةٌ أعلامُهُ بلْقَعُ

فسمعتُ النُّحيبَ من داره، فسألني لمن هي، فأخبرتُه أنها للسيِّد، وسألني عنه فعرّفتُه وفاته؛ فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق. (٢٤١/٧)

(١١٠)

قال وحدّثني أبو سليمان النّاجي قال: جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صلاتٍ لهم وهو وليُّ عهدٍ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش. فجاء السيّد فرفع إلى الربيع رقعةً مختومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلْها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

قُل لابن عبّاسٍ سَميِّ محمدٍ لا تُعْطينّ بني عديّ درهمـا(١)
احْرِمْ بني تيْم بن مُرّةَ إنهـم شـرُّ البريّة آخـراً ومُقـدُمـا(٢)
إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمـةً ويكافـئـوك بأن تُذَمَّ وتُشْتـمـا
وإنِ ائتمنتهـُم أو استعملتهـم خانوك واتُّخذوا خراجك مغْنما
ولئن منعتـهـم لقـد بدءوكُـم بالمنْع إذ ملكوا وكـانوا أظلمـا
منعوا تُراث محـمـد أعمـامه وابنيْه وابْنته عديلـةَ مـرْيـمـا
وتأمّروا من غير أن يُستخْلَفُوا وكفى بمـا فعلوا هنالك مـأثما
لـم يشـكروا لمحـمد إنعامـه أفـيشكرون لغيـره إنْ أنْعـمـا
واللـهُ مـنّ عليهـم بمحمـد وهداهُم وكسا الجنوبَ وأطعما
ثـم انبـرْوا لوصـيّـه ووليّـه بالمُنْكرات فجـرّعوه العلقـمـا

وهي قصيدة طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عُبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه؛ وانصرفَ الناس؛ ودخل السيّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا

---

(١) بنو عدي: هم بنو عديّ بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) بنو تيم: هم رهط أبي بكر الصّديق رضي الله عنه.

نصيحتك يا إسماعيل، ولم يُعطهم شيئاً. أخبرني به عمّي عن محمد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النّخعي عن أبي سليمان الرّياحيّ مثله. (٢٤٣/٧)

(١١١)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النُخعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كُناسة قال:

أهدي بعضُ ولاة الكوفة إلى السيِّد رداءً عدنياً؛ فكتب إليه السيد فقال:

وقد أتانا رداءٌ مـــن هديتكـــم فلا عدمتُك طولَ الدهر مِنْ وال
هو الجمالُ جزاك الله صالحةً لـو أنّه كان موصـولاً بسِرْبال

فبعث إليه بخلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال: يُقطع عتابُ أبي هاشم واستزادته إيانا. (٢٧٠/٧)

(١١٢)

وذكر محمد بن إدريس العُتبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِمْيريّ حدّثه أن السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنّه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدْرتينْ ففرُقهما. فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورّع عن قبول جوائزنا. (٢٧٧/٧)

(١١٣)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوْف عن عبد الرحمن بن مُقرِّن قال: بعثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نفيْسٍ؛ فكنت افعل ذلك، وأغشى ابنه، وكانت له جارية مغنيّة وقد كلِفَ بها فتىً من آل عثمان بنِ عفّان، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها. وابْتُلي برجل من أهل إفريقيّةَ ومعه ابن له، ففشيَ ابنُ الإفريقيّ بيت ابن نُفيْس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويبرُّهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ. فقُضي أن اجتمعنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيّ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفّه فتناثر المِسْكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يكيده بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ابنُ الإفريقي: غنّي:

بيْنا حبالٌ ذاتُ عقْدٍ لبثْنةٍ أتيح لها بعضُ الغُواةِ فحلّها

---

(١) العقدة: الضيعة.

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنِّي:

ومن يَرْعَ نجْداً يلْفني قد رعيْته بجنْيتِه الأولى ويُورِدْ على وِرْدي

قال: فنكسَ ابنُ الإفريقي رأسه وخرج العثمانيُّ فذهب، وخمدَ أهلُ البيت فما انتفعوا بقيّة يومهم. (١١٩/٨)

(١١٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مُصْعَبُ بن عبد الله قال: كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبير يقال لها فُلَيْحة، وكانت لها صبيةٌ يقال لها رخيّة، قد ربّتْها لغير رِشْدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأتْ محمداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً، ثم تمثّل قولَ جميل:

بُثَيْنَةُ من صِنْفٍ يُقلِّبْنَ أيدي الرُّما ة وما يحملن قوساً ولا نَبلا
ولكنَّما يَظْفرنَ بالصَّيد كلمَا جلَوْنَ الثَّنايا الغُرُّ والأعينَ النُّجْلا
يُخالسْنَ ميعاداً يُرَعْنَ لقولها إذا نطقتْ كانت مقالتُها فصْلا
يرِينَ قريباً بيتها وهي لا ترى سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سهْلا

فقال له فُلَيْحة: كأنك تريد رخيّة! قال: إي والله! قالت: إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة. فقال لها: إنّ الدَّنس لا يلْحق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! والله ما يضرُّ إلاّ الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك. فسُرَّ بذلك وقال: أما والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها! لقد مكثتُ أسعى في طلبها حوْلين. فضحِكتْ وقالت: مالي ولأبياتِ جميل! والله ما ابتغيتُ إلا مسرّتك.

قال: فولدتْ منه غلاماً. وكانت فُلَيْحةُ تدعو الله ألاّ يُبْقيه. فبينا محمدٌ في بعض هربه من المنصور والجارية وابنُها معه إذ رهِقهما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أجيب في هذا الصبي دعاءُ فُلَيْحة. (١٢٨/٨)

(١١٥)

كلُّ مَنْ في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضرهْ
مستميرٌ منه مكرُمةً يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان هما اللّذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جبلةَ حتى سلّ لسانه من قفاه، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً:

أنت الذي تُنزل الأيّام منزلها وتنْقُلُ الدهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طرْفٍ إلى أحدٍ إلاّ قضيتَ بأرزاقٍ وآجال (٢٥٥/٨)

(١١٦)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال: قال عليّ بن جبلة: زرتُ أبا دُلَفَ بالجبل، فكان يُظهر من إكرامي وبرّي والتُحفّي بي أمراً مُفْرِطا، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً. فبعث إليّ معْقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنّي، وأحسبك استقللتَ برّي بك، فلا يُغْضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البرّ وكتبت إليه:

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ وهل يُرْتجى نيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لمّا أتيتُكَ زائراً فأفرطتَ في برّي عجزتَ عن الشكر
فَمِ الانَ لا آتيك إلا مُسلِّماً أزورُكَ في الشهرينِ يوماً أو الشهرِ
فإن زدْتني بِراً تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها معْقِل استحسنها جداًوقال: أحسنتَ والله! أما إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دُلَفَ قال: قاتله الله. ما أشعره وأدقّ معانيه! فأعجبته فأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب:

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطتُه وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجّيني فما حال دونه ودون القِرى والعُرْف من نائلي سِتْرُ
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقصْدِه إليَّ وبِراً زاد فيه على برّي
فزوّدته مالاً يقلُّ بقاؤه وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر(١)

قال: وبعث إليَّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليَّ بألف دينار! فقلت حينئذ:
إنما الدنيا أبو دُلَف ... الأبيات. (٢٥٦/٨)

(١١٧)

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خلفَ قال: بينا أبو دلَفَ يسير مع معْقِل، وهما إذا ذاك بالعراق، إذ مرُّا بقصْرٍ، فأشرفتْ منه جاريتان؛ فقالت

(١) نلاحظ استمرار الظاهرة القديمة التي ورد ذكرها سابقاً، وهي زوال المال وبقاء الشعر على مرّ الدهور.

إحداهما للأخرى: هذا أبو دلَفَ الذي يقول فيه الشاعر: إنما الدنيا أبو دُلَف

فقالت الأخرى: أو هذا! قد والله كنتُ أحبُّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه. فالتفت أبو دُلَف إلى معْقِل فقال: ما أنصفْنا عليُّ بن جبلةَ ولا وفيناه حقه، إن ذلك لمن كبير همّي. قال: وكان أعطاه ألفَ دينار. (٢٥٧/٨)

(١١٨)

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن سعيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غضِبَ الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأخرت عن استرضائه، ففمُه ذلك، فوجّه إلى أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزّةُ والشرف، ولأعدائك الذُّل والرُّغْم. استعْمِلْ قولَ العباس بن الأحنف:

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّن تحبّه وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ
فإنك إلاّ تغفِر الذنب في الهوى يُفارِقْكَ من تهوى وأنفُكَ راغِمُ

فقال: صدقتَ، وبعث إليها فترضّاها. (٣٦٨/٨)

(١١٩)

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدّثنا عمرو بن بانةَ قال: كنّا في دار أمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنّين؛ فخرجت جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دراهم، فقالت: أيكم القائل:

من ذا يُعيرك عينه تبكي بها أرأيتَ عيناً للبكـاء تُعـارُ

فنَمَى إلى العباس بن الأحنف؛ فنثرتْ الدراهم في حِجره فَنَفَضها فلقطها الفرّاشون؛ ثم دخلت ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلُّ فرّاش بدْرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزل العبّاس بن الأحنف. (٣٦٩/٨)

(١٢٠)

قال محمد بنُ يزيد: وحُدِّثت من غير وجهٍ أنَّ الرشيدَ ألِفَ العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أرْمينيةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارضه في طريقه فأنشده:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ثم القُفُولُ فقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ الله أن يُدْني على شحط سكانَ دجلةَ من سُكّان جيْحانا
متى الذي كنتُ أرجوه وأمُلُه أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نظرتْ وعذّبتْ بصنوف الهجر ألوانا

قال فقال له الرشيد: قد اشتقتَ يا عبّاس وأذنتُ لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.
(٣٧٢/٨)

(١٢١)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عوْن بن محمد الكِنْديّ قال: لمّا ولى المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضّحاك فهنّاه بالخلافة وأنشده:

تجدّدتِ الدنيا بمُلْكِ محمد فأهْلاً وسهْلاً بالزمان المجدّدِ
هي الدولة الغرّاءُ راحتْ وبكّرتْ مُشهّرةً بالرُّشْد في كل مشْهد
لعمْري لقد شدّتْ عُرا الدين بيْعةٌ أعزُّ بها الرحمنُ كلُّ موحّد
هنّتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ جمعْتَ بها أهواءَ أمّة أحمد

قال: فأظهر إكرامه والسرورَ به، وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعُفْتَ عن الحركة، فكاتبْني بحاجاتك ولا تحْملْ على نفسك بكثرة الحركة. ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه.
(٣٠٣/٩)

(١٢٢)

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني أحمد بن يزيد قال: صلّى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لمّا انصرف:

ما استشرف الناسُ عيداً مثلَ عيدهُم مع الإمام الذي بالله ينتصرُ
غدا بجمْعٍ كجُنْحِ الليل يقدُمه وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجى القمرُ
يؤُمُّهم صادعٌ بالحق أحْكمه حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يذَرُ
لو خُيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم أحظَّ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر له بألف دينار.
(٣٠٤/٩)

(١٢٣)

أخبرني محمد بن يونس الأنباريّ قال حدّثني أبي: أن إبراهيم بن العباس الصُّوليّ دخل

على الرِّضا لمّا عقد له المأمون وولاّه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلُّدِ مصارعُ أولاد النبيِّ محمدِ

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه. فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مُهور نسائه، وخلَّف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره. (١٠/٥٢)

(١٢٤)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني أبو العبّاس بن الفُرات والباقْطانيّ قالا: كان إسحاق بن إبرهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعره في مدح الرّضا، ثم ولي إبراهيمُ بن العبّاس في أيام المتوكّل ديوانَ الضِّياع، فعزله عن ضياع كانت بيده بحلْوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعد بينهُما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العبّاس: والله لئن لم يكْفُف عمّا يفعله فيّ لأخرجنّ قصيدتَه في الرّضا بخطّه إلى المتوكّل. فأحجم عنه إبرهيم وتلافاه، ووجّه من ارتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها، ثم أفرجَ عنه وأزال ما كان يطالبه به[1]. (١٠/٥٢)

(١٢٥)

أخبرني حنْظلةَ قال حدثني ميمون بن هارون قال: لمّا عقد المتوكّلُ لولاة العهود من ولده ركب بسُرَّ مَنْ رأى ركْبةً لم يُرَ أحسنُ منها، وركب ولاةُ العهود بين يديه، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدي المتوكّل بمناطق الذهب، في أيديهم الطُّبرزينات[2] المحلاّة بالذهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيّات[3] وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس، وأذن للناس فدخلوا إليه. فلما تكاملوا بين يديه، مثل إبراهيم بن العبّاس بين الصفّين، فاستأذن في الإنشاد فأذِن له، فقال:

ولمّا بدا جعفرٌ في الخميـ ـس بين المطلّ وبين العروس
بدا لابساً بهما حُلّةً أزيلتْ بها طالعاتُ النُّحوس
ولمّا بدا بين أحبابه وُلاةِ العهود وعزِّ النفوس

---

(١) استُخدم الشعر وسيلة للتهديد بعد زوال العهد الذي قيل فيه، ومجيء عهد جديد، ونلاحظ هنا أنّ التدوين يلعب دوراً مهمّاً في إثبات الشعر لصاحبه، فلا يستطيع الإفلات منه، وهو مدوّن بخطّ يده.

(٢) الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه.

(٣) الجوانحيات: نوع من السفن.

غدا قمراً بين أقماره وشمساً مكلَّلة بالشموس
لإيقاد نارٍ وإطفائها ويومٍ أنيقٍ ويومٍ عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنُّصر والإعزاز والتأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كنفوا الخلافةَ من وُلاة عهود
قمرٌ توافتْ حوله أقمارُه فخفقْن مطلعَ سعده بسعود
رفعتهُم الأيامُ وارتفعوا به فسعَوْا بأكرم أنفُسٍ وجدود

قال: فأمر له المتوكِّل بمائة ألف درهم، وأمر له ولاةُ العهود بمثلها. (٦٤/١٠)

(١٢٦)

قال مروان: وقدِم معْن بعقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيهُ فيك لغضِب عليك. قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرَّضتُ لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك:

معْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ بـه شرفاً إلى شرف بنو شيْبان
إن عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنَّما يوماه يومُ ندىً ويومُ طعان

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

ما زلت يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً بالسيف دون خليفة الرحمن(١)
فمنعتَ حوْزتَه وكنتَ وقاءه من وَقْع كلِّ مُهنَّدٍ وسنان

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال نعم يا أمير المؤمنين! والله لولا مخافة النِّقمة عندك لأمْكنتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إيَّاها، فقال له المنصور: لله دُرك من أعرابيّ! ما أهْوَن عليك ما يعزُّ على الرجال وأهل الحزم! (٨٦/١٠)

(١٢٧)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن

---

(١) الهاشمية: قرية قرب الكوفة فيها كانت ثورة الراوندية على المنصور، وإلى هذا يشير الشاعر، إذ أبلى فيها معن البلاء الحسن. المعلم: المعروف المكان في الحرب، وينظر شعر مروان. جمع وتحقيق د. حسين عطوان، ص ١٠٧

موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهديّ بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلْمٌ الخاسر وغيرُه، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدكُ مروان بن أبي حفصة. فقال له المهديّ: ألست القائل:

أقمْنا باليمامة بعد معْنٍ ... مُقاماً لا نُريد بـه زوالا
وقلّنا أين نرحل بعد معْنٍ ... وقد ذهب النَّوالُ فلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ، فلم جئتَ تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا، جُرُّوا برجله؛ فجرّوا برجله حتى أخرج. قال: فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كلّ عام مرَّة - فمَثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طـرقَتْك زائرة فحيّ خـيالها ... بيضـاءُ تخلط بالجمـال دلالها
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوبَ إلى الصِّبا فأمالها

قال: فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تطْمِسون من السماء نجومها ... بأكُفِّكم أو تسـترون هـلالها
أو تجْحدون مـقالـةً عن ربِّكـم ... جـبـريلُ بلَّغـهـا النَّبيَّ فـقـالـها
شـهِدتْ من الأنفـال آخـرُ آية ... بتُراثهم فـأردتُم إبْطـالُهـا(١)

قال: فرأيت المهديّ قد زحف من صدر مُصلاّه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أوّل مائةِ ألف درهم أعطيها شاعرٌ في أيام بني العبّاس(٢).

قال: ومضت الأيام وولي هارون الرشيدُ الخلافةَ، فدخل إليه مروان: فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرُك وعبدُك(٣) يا أمير المؤمنين مروانُ

---

(١) يريد قوله تعالى «والذين آمنوا من بَعْدُ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منك وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنّ الله بكلّ شيء عليم». صدق الله العظيم.

(٢) رأينا هذا الأمر في العصر الأموي، ويفتتح المهدي عهد بني العباس بعدُ أبيات القصيدة وإعطاء الشاعر لكل بيت مبلغاً معيناً، وستكثر فيما بعد، ونرى الرشيد - بعد قليل - يصنع الصنيع نفسه مع مروان.

(٣) يكرّر الشاعر هنا ما قاله سابقاً للخليفة المهدي من أنّه شاعره وعبده، فقد أوقف شعره عليهم، ومن =

بن أبي حفصة. قال له: ألستَ القائل في معْن بن زائدة! وأنشده البيتين اللَّذيْن أنشده إيّاهما المهديُّ، ثم قال: خذوا بيده فأخْرجوه، لا شيء لك عندنا، فأخْرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لَعَمْرُك ما أنْسى غداةَ المُحصَّب ... إشارةَ سلْمى بالبنان المُخضَّبِ
وقد صدر الحُجَّاجُ إلاَّ أقلَّهم ... مصادر شتى موْكباً بعد موكب

قال: فأعجبْته، فقال: كم قصيدتُك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً فكان ذلك رسْمَ مروانَ عندهم حتى مات. (٨٧/١٠)

(١٢٨)

أخبرني عمّي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال: دخل مروانُ بن أبي حفصة على المهديّ في أوّلِ سنةٍ قَدِمَ عليه. قال: فدخلتُ عليه في قصره بالرُّصافة فأنشدته قولي فيه:

أمَرُّ وأحْلى ما بلا الناسُ طعمه ... عذابُ أمير المؤمنين ونائلُه
فإنْ طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ ... وإنْ قتيلَ الله مَنْ أنت قاتله
كأنَّ أمير المؤمنين محمدا ... أبو جعفر في كلِّ أمر يحاوله

قال: فأعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلة سنيَّة وصلتْ إليّ في أيام بني هاشم. (٨٨/١٠)

(١٢٩)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني محمد بن عبد الله العبْديّ الراوية قال حدثني حسين بن الضّحاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلتُ على المهديّ في قصر السلام، فلما سلَّمتُ عليه، وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود، قلت: يا أمير المؤمنين إنَّ يعقوب رجل رافضيّ وإنه سمعني أقول في الوراثة:

= الضروري أن نذكر هنا أنَّ مروان بن أبي حفصة قد اختطَّ في شعره منهجاً جديداً في تثبيت حقّ العباسيين في الخلافة، والتعريض بخصومهم وخاصة من العلويين. معتمداً في ذلك على القرآن الكريم. والحديث الشريف، وحوادث التاريخ، وقد نال هذا المنهج إعجاب الخلفاء العباسيين لما فيه من قوة، وحجّة واضحة. وحاول بعض الشعراء أن يقتفوا أثر مروان، ويسيروا على خطاه، فمنهم مَنْ نجح ومَنْ أخفق، مثلما سنرى.

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثةُ الأعمام(١)

فذلك الذي حمله على عداوتي. ثم أنشدته:

كأنّ أميرَ المؤمنين محمداً لرأفته بالناس للناس والدُ
على أنه من خالفَ الحقَّ منهُم سقَتْه يد الموت الحتُوفَ الرُّواصد

ثم أنشدته: أحيا أميرُ المؤمنين محمدٌ سُنَنَ النبيِّ حرامها وحلالها

قال فقال لي المهديّ: والله ما أعطيك إلا من صلْب مالي فاعذرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جُبّةً ومُطْرفاً، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى. (٨٩/١٠)

(١٣٠)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدثنا ابن الأعرابيّ أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معْن بن زائدة فأنشده قوله:

بنو مطرٍ يومَ اللِّقاء كأنّهم أسودٌ لها في بطْنِ خفّانَ أشْبُلُ(٢)
هُمُ يمنعون الجار حتّى كأنما لجارهمُ بين السِّماكين منزل
لهاميمُ، في الإسلام سادُوا ولم يكن كأوّلهم في الجاهلية أوّل(٣)
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنيّة وخلع عليّ وزوّدني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابيّ: لو أعطاه كلَّ ما يملك لَما وفاه حقَّه(٤). (٨٩/١٠)

---

(١) من المفيد أن ننقل هنا ما ورد عن هذا البيت المشهور في طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٥١: «وحدثني أبو مالك عن أبيه أنّ عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله (ص) وآله أتى الحسن بن علي فقال: أنا مولاك. وكان قديماً يكتب لعلي بن أبي طالب عليه السلام. فقال فيه مولى لتمّام بن العباس بن عبد المطلب:

جحدتَ بني العبّاس حقَّ أبيهمُ فما كنتَ في الدّعوى كريم العواقبِ
متى كان أولادُ البناتِ كوارثٍ يحوز ويُدعى والداً في المناسبِ

فسرق مروان هذا المعنى، وأودعه قصيدته التي يقول فيها: «أنّى يكون وليس ...».

(٢) خفّان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة، وهو منسدة.

(٣) اللهاميم: جمع لهميم وهو السابق الجواد.

(٤) لا شكّ في أنّ ابن الأعرابي يصدر عن ذوق عربي في الإحساس بمكانة الشاعر، وأهمية ما قاله، فنراه يتمنّى أن يعطي الممدوح كلّ ما يملك جزاء أبيات الشاعر.

(١٣١)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثني أبو حاتم السِّجِسْتاني قال حدّثني العَنْسيّ قال: لمّا قدِم معْن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله، فأخذ بعضادتي الباب(١) وأنشأ يقول:

وما أحْجَم الأعداءُ عنك بقيّةً عليك ولكن لم يرَوْا فيك مطْمعا(٢)
له راحتانَ الجودُ والحتْفُ فيهما أبى الله إلا أن تضُرًّا وتنْفعا

قال فقال له معْن: احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال معْن: ربحْنا عليك تسعين ألفا. قال: أقِلْني. قال: لا أقال الله من يُقيلك. (٩١/١٠)

(١٣٢)

ودخل معْنَ على المنصور، فلما سلَّم عليه وسأله قال له: يا مَعْنُ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم(٣) عن قوله فيك:

معْنُ بن زائدة الذي زيدتْ به شرفاً إلى شرفٍ بنو شيْبان

فقال له: كلاَّ يا أمير المؤمنين! بل أعطيتُه لقوله:

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصورُ من تهجينه إيّاه فتبسَّم وقال: أحسنتَ يا معْن في فعلك. (٩١/١٠)

(١٣٣)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عطية الأضجم قال: لما قال مروان:

أنى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثةُ الأعمام

---

(١) عضادتا الباب: خشبتاه من جانبيه، والأخذ بعضادتي الباب إشارة إلى شدّة التصاق الشاعر بصاحب الباب، والتجائه إليه.

(٢) البقية: الإبقاء.

(٣) رأينا في النص السادس والعشرين بعد المئة السابق أنّ الخليفة يسأل معن بن زائدة، ويشير إلى أن المال كان ألف دينار، ويبدو معن في غاية الذكاء حين نقل المديح إلى الخليفة نفسه، وأنّ سبب العطاء كان التذكير بموقف معن وهو يدافع عن الخليفة في يوم الهاشمية.

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فاقتله أيَّ وقتٍ أمْكنني ذلك، وما زلت ألاطفُه وأبرُّه وأكتب أشعاره، حتى خُصِصْتُ به، فأنِس بي جداً، وعرفتْ ذلك بنو حفْصة جميعاً فانسوا بي، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرض من حمّى أصابته، فلم أزل أظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبتُ عليه فأخذتُ بحلْقه فما فارقتُه حتى مات، فخرجتُ وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزع عليه حتى دُفن، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به(١). (٩٥/١٠)

(١٣٤)

حدّثني جحْظة وعمّي قالا حدّثنا عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: دخل إلينا عليّ بن الجهْم بعقب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين، فمثَلَ قائماً وأنشدنا يرثيه:

أيُّ ركنٍ وهى من الإسلام ... أيُّ يومٍ أخْنى على الأيام
جلَّ رُزْءُ الأمير عن كلِّ رُزْءٍ ... أدركتْه خواطرُ الأوهام
سلبتْنا الأيامُ ظلاً ظليلاً ... وأباحتْ حِميً عزيزَ المرام
يا بني مُصْعَبٍ حللْتم من النا ... س محلَّ الأرواح في الأجسام
فإذا رابكم من الدَّهر ريْبٌ ... عمَّ ما خصَّكم جميعَ الأنام
انظروا هل ترَوْنَ إلاَّ دموعاً ... شاهداتٍ على قلوبٍ دوامي
مَنْ يُداوي الدُّنيا ومَنْ يكلأ المل ... كَ لدى فادح الخطوب العظام(٢)
نحن مُتْنا بموته وأجلُّ الـ ... ـخطبِ موتُ السَّاداتِ والأعلام
لم يمُتْ والأميرُ طاهرُ حيٌّ ... دائمُ الانتقام والإنْعام
وهو من بعده نظامُ المعالي ... وقوامُ الدُّنيا وسيفُ الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورِنا باكياً أكثر من يومئذٍ. (٢٢٦/١٠)

(١٣٥)

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيبٍ قال: لمّا قال أبو دُلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

---

(١) مروان من الشعراء الذين قتلهم شعرهم، فقد استثار هذا الشعر ـ حسب هذه الرواية ـ مَنْ يرى غير رأي مروان، فلم ينفع سوى القتل بعد أن ذاع الشعر، وانتشر، ونفّذ هذا الشخص ما أضمره للشاعر فقتله.

(٢) يكلأ: يحفظ ويرعى

أبا مُسْلِمٍ خوَّفْتني القتل فانْتحى عليك بما خوَّفتني الأسدُ الوَرْدُ(١)
أبا مسلم ما غيَّر الله نعمةً على عبده حتى يغيِّرها العبدُ

أنشدها المنصور في محفلٍ من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها فلمَّا خلا به قال له: إيه! أما والله لو تعدَّيتها لقتلتُك. (١٠/٢٣٥)

(١٣٦)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدّثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال: لمَّا تُوفِّي أبو العبَّاس السَّفاح دخل أبو دلامةَ على المنصور والناس عنده يُعزُّونه؛ فأنشأ أبو دُلامة يقول:

أمْسيْتَ بالأنبار يابنَ محمدٍ لم تستطع عن عُقْرها تحويلا(٢)
ويْلي عليكَ وويْل أهلي كلِّهم ويلاً وعَوْلاً في الحياة طويلا
فلتَبْكيَنَّ لك النساءُ بعبْرةٍ ولَيبْكينَّ لك الرِّجالُ عويلا
مات النَّدى إذ مُتَّ يابن محمد فجعلتَه لك في الثَّراء عديلا(٣)
إنِّي سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمح مَنْ سألتُ بخيلا
ألشقوتي أُخِّرتُ بعدك للتي تدعُ العزيز من الرجال ذليلا
فلأحْلفنَّ يمينَ حقٍّ بِرَّةً بالله ما أعْطيتُ بعدك سُؤلا

قال: فأبْكى الناسَ قولُه: فغضبَ المنصورُ غضباً شديداً وقال: لئن سمعتُك تُنْشِدُ هذه القصيدة لأقطعنَّ لسانك. فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكْرماً وهو الذي جاء بي من البَلْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: (لا تثْريبَ عليْكُم اليومَ يغْفِرُ اللهُ لكُمْ وهو أرْحَمُ الرَّاحمين). فسُرِّي عن المنصور وقال: قد أقلناك يا أبا دُلامة، فسلْ حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العبَّاس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبِضْها. فقال المنصور: ومَنْ يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء،

---

(١) الوَرْد: لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة في كلّ شيء، ويقصد بالأسد الخليفة الذي قتل أبا مسلم، وهو المنصور.

(٢) الأنبار: «مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ .. كان أول مَنْ عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثمّ جدّدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وبنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات». معجم البلدان (١/٢٥٧). العُقْر: وسط كلّ شيء.

(٣) الثراء: لغة في الثرى.

وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مُجالد وأبو الجهْم فقالا: صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمانُ ادفَعْها إليه(١). (١٠/٢٤٠)

(١٣٧)

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: خاصم رجلٌ أبا دُلامةَ في داره، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي: فأنشأ أبو دُلامة يقول:

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرِّجالِ وخاصمتُها سنةً وافيهْ
فما أنْحض اللهُ لي حُجّةً ولا خيَّب الله لي قافيهْ
ومَنْ خِفْتُ من جوْرِه في القضاء فلستُ أخافُك يا عافيهْ

فقال له عافيةُ: أما والله لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأعْلمنّه أنك هجوْتني قال: إذاً يعْزِلك. قال: ولم؟ قال: لأنك لاتعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دُلامة بجائزة(٢). (١٠/٢٥٧)

(١٣٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال: خرج المهديّ وعلي بن سليمان إلى الصيْد، فسنح لهما قطيعٌ من ظباء، فأرسلت الكلابُ وأجريت الخيلُ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرعه، ورمى عليٌّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دُلامة:

قد رمى المهديّ ظبياً شكَّ بالسهم فُؤادَهْ
وعليٌّ بن سليما ن رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كـ ـلُّ امرئٍ يأكل زادَهْ

فضحك المهديّ حتى كاد أن يسقُط عن سرْجه، وقال: صدق والله أبو دُلامة، وأمر له بجائزة سنيّة. أخبرني بهذا الخبر عمّي عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيْثم بنْ عديّ فذكر مِثْلَ ما ذكره وقال فيه: فلُقّب عليٌّ بن سليمانُ «صائد الكلب» وعلقَ به. قال ابنُ النّطاح: وأنشد أبو دُلامة

---

(١) ينبع غضب المنصور من المعاني التي حوتها الأبيات، من موت الندى، والبخل المنتشر بعد موت السفّاح، ومَنْع الناس له بعده.

(٢) من الواضح أنّ الشاعر لا يخاف القاضي لأنّه عادلٌ لا يجوز أن يظلم، ولعلّ القاضي فهم الأبيات على ظاهرها، فظنّها هجاءً له.

المنصور يوماً:

هاتيك والدتي عجوزٌ هِمَّـةٌ ... مثلُ البليَّة درْعها في المِشْجبِ(١)
مهزولةُ اللَّحْيين مَنْ يرها يقُلْ ... أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطْربِ(٢)
ما إن تركتُ لها ولا لابن لها ... مالاً يؤمِّل غير بكْرٍ أجْرب
ودجانجاً خمساً يَرُحْنَ إليهمُ ... لُبًا يَبِضْنَ وغير عيْرٍ مُغْربِ(٣)
كتبوا إليَّ صحيفةً مطبوعةً ... جعلوا عليها طينةً كالعقْربِ(٤)
فعلِمتُ أنَّ الشَّرَّ عند فكاكها ... ففككتُها عن مثْلِ ريح الجوْرب
وإذا شبيهُ بالأفاعي رُقِّشَتْ ... يوعدْنني بتلمُّظٍ وتثوُّبِ
يشكون أنَّ الجوعَ أهلك بعضهم ... لزباً فهل لك في عيالٍ لُزَّبِ(٥)
لا يسألونك غيرَ ظلِّ سحابةٍ ... تغشاهُم من سيلك المتحلِّبِ
يا باذل الخيراتِ يابن بذُولها ... وابنَ الكرام وكلِّ قرْمٍ مُنْجِبِ
أنتم بنو العبَّاس يُعْلم أنَّكم ... قِدْماً فوارسُ كلِّ يومٍ أشْهب
أحْلاسُ خيل الله وهي مُغرةٌ ... يخْرُجْنَ من خللِ الغُبارِ الأكْهبِ(٦)

قال: فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهم. وكانت الدار قريبةً من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها(٧). فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يابنَ عمِّ النبيِّ دعوة شيخٍ ... قددنا هدْمُ دارِهِ ودمارُهْ
فهو كالماخض التي اعتادها الطَّلْـ ... ـقُ فقرَّتْ وما يقرُّ قرارُهْ
إن تَحُزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً ... فبكفَّيْك عُسْرُهُ ويسارُهْ
أو تدعْه فَلَلبوارِ، وأنَّى ... ولماذا وأنت حيٌّ بوارُهْ
هل يخاف الهلاكَ شاعرُ قومٍ ... قَدُمَتْ في مديحهم أشعارُهْ
لكمُ الأرضُ كلُّها فأعيروا ... شيخكم ما احتوى عليه جِدارُهْ

---

(١) همَّة: العجوز الفانية. المشجب: خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر. يريد أنَّ أمَّه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب.

(٢) اللحى: عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان. القُطْرب: هنا هو ذكر الغيلان أو الصغير من الجنّ.

(٣) العير المغرب: الحمار الذي اشتدّ بياضه حتى ابيضّت محاجره. (٤) مطبوعة: مختومة.

(٥) اللَّزَب: ضيق العيش (٦) أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها. الكهبة: غبرة مشوبة سواداً.

(٧) من الواضح أن الشاعر يهدّد الرجلين ويتوعدّهما بالهجاء، ويطلب من الخليفة أن يأذن له بالهجوم عليهما

فكأنْ قد مضى وخلّف فيكم ما أعرتُم وأقفرتْ منه دارُه

فاستعبر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله. (٢٥٨/١٠)

(١٣٩)

قال ابن النَّطاح: ودخل أبو دُلامة على المهديّ وعنده مُحْرز ومُقاتل ابنا نُوَال يعاتبانه على تقريبه أبا دُلامة ويعيبانه عنده. فقال أبو دُلامة:

ألا أيُّها المهديّ هل أنت مُخْبري وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي

ألم ترْحَمِ اللَّحْيَيْن من لحْيَتَيهما وكلتاهما في طولها غيرُ طائل

وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرمي بحلْقِهما من مُحْرزٍ ومُقاتلِ

فإنْ يأذَنِ المهديُّ لي فيهما أقُلْ مقالاً كوقع السيف بين المفاصل

وإلاّ تدْعني والهمومُ تَنُوبني وقلبي من العِلْجَيْن جمُّ البلابل

فقال: أو آخُذُ لك منهما عشرة آلاف درهم يَفْديان بها أعراضهما منك؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما وأمسك عنهما. (٢٦٠/١٠)

(١٤٠)

قال ابن النَّطاح: ودخل أبو دُلامة على سعيد بن دعْلج مولى بني تميم فقال:

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ عليك ورحمةُ الله الرحيم

وأمّا بعد ذاك فلي غريمٌ من الأعراب قُبِّح من غريم

غريمٌ لازمٌ بفناء بيتي لزومَ الكلب أصحابَ الرُّقيم(١)

له مائةٌ عليّ ونصفٌ أخرى ونِصْفُ النِّصْفِ في صكٍّ قديم

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن وصلتُ بها شيوخَ بني تميم

أتوْني بالعشيرة يسألوني ولم أكُ في العشيرة باللَّئيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك؛ وزِدتكَ مائة. (٢٦١/١٠)

---

(١) الرقيم: جاء في اللسان (٢٥١/١٢): «قال أبو القاسم الزجاجي: في الرقيم خمسة أقوال: أحدهما عن ابن عباس أنه لوح كتب فيه أسماؤهم (يعني فتية الكهف)، الثاني أنّه الدواة بلغة الروم، عن مجاهد، الثالث القرية: عن كعب، الرابع الوادي، الخامس الكتاب: عن الضحاك وقتادة وإلى هذا القول يذهب أهل اللغة».

(١٤١)

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور:

له لحظاتٌ عن حِفافيْ سريره إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ(١)

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هرْمة كما قال الأخطل:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدرُوا

قال: فغضب المهديّ حتى استشاط وقال: كذب والله ابنُ النّصرانية العاضُّ بظْر أمّه وكذبتَ ياعاضُّ بظْرِ أمّك! والله ولولا أن يقال: إني خفرتُ(٢) بك لعرُفتك منْ أكثرُ شعرا! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخْرجوه عنّي! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتُمه وهو يُجرُّ ويقول: يابنَ الفاعلة! أراها في رءوسكم وأنفسكم!(٣). (٦٧/١١)

(١٤٢)

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال: كان أبو عديٍّ الذي يقال له العبْليّ مجفواً في أيّام بني مروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم. فلمّا أفضتِ الدولةُ إليهم لم يُبْقواعلى أحدٍ من بني أميّة، وكان الأمرُ في قتلهم جداً إلاّ مَنْ هرب وطار على وجهه. فخاف أبو عديٍّ أن يقع به مكروه في تلك الفوْرة فتوارى؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرمه وماله، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح، فدخل عليه في غُمار(٤) النّاس متنكراً وجلس حجْرةً(٥) حتى تقوّض القوم وتفرّقوا، وبقي أبو العباس مع خاصّته. فوثب إليه أبو عديّ فوقف بين يديه وقال:

ألا قُـلْ للمنازل بالسُّـتارِ سُقيت الغيْثَ من دِمنٍ قفارِ(٦)
فـهـل لك بعْدنا علْمٌ بسـلْمى وأتْرابٍ لهـا شـبـهِ الصّوارِ(٧)

---

(١) حفافي: جانبي. (٢) خفرت: غدرتُ.

(٣) جاء في غضب الخليفة من مديح الأخطل الذائع لبني أمية، مع إعجاب آدم بهذا المديح وتفضيله على مديح الشعراء للعباسيين، فكان ما رأيناه من إيقاع الأذى بآدم بسبب ذكره ذلك الشعر.

(٤) غُمار الناس: عامّتهم وجماعتهم. (٥) حَجرة: ناحية.

(٦) السُّتار: اسم موضع. (٧) الصّوار: القطيع من البقر.

أوانسُ لا عوابسُ جافياتٌ عن الخُلُق الجميل ولا عواري
وفيهنّ ابنةُ القُصويّ سلْمى كهامِ النَّفْسِ مُفْعمةُ الإزار(١)
تلوثُ خمارها بأحمّ جعْدٍ تُضِلُّ الفالياتُ به المداري(٢)
برهْرَهةٌ منعّمةٌ نمتْها أبوّتُها إلى الحسبِ النُّضارِ(٣)
فدعْ ذكر الشباب وعهد سلْمى فمالك منهما غيرُ ادِّكار
وأهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القوافي تنخّلُها بعلمٍ واخْتيار(٤)
لعمْرُكَ إنّني ولُزومَ نجْدٍ ولا ألْقى حباءَ بني الخيار(٥)
لكالبادي لأبْردَ مُسْتهلٌّ بجوباءَ كبطن العيْر عار(٦)
سأرْحل رحْلةً فيها اعتزامٌ وجِدٌّ في رواحٍ وابْتكارِ
إلى أهْل الرسول غدتْ برحْلي عُذافِرةٌ ترامي بالصُّحاري(٧)
تؤمُّ المعْشرَ الأبرارَ تبغي فكاكاً للنّساء من الإسار
أيا أهل الرسول وصيدَ فهْرٍ وخيرَ الواقفين على الجمارِ(٨)
أتُؤْخذ نِسوتي ويُحازُ مالي وقد جاهرتُ لو أغْنى جهاري
واذْعَرُ أن دُعيتُ لعبد شمسٍ وقد أمسكتُ بالحرم الصُّواري
بنُصرةِ هاشمٍ شهّرتُ نفسي بداري للعدا وبغير داري
بقُرْبي هاشمٍ وبحقِّ صهْرٍ لأحمدَ لفّه طيبُ النِّجارِ
ومنزلُ هاشم من عبد شمسٍ مكانَ الجيدِ من علْيا الفقارِ

فقال له السفّاح: مَنْ أنت؟ فانتسبَ له. فقال له: حقٌّ لعمْري أعرفه قديماً ومودّةٌ لا أجحدها،

---

(١) القصويّ: نسبة إلى قصيّ.

(٢) تلوث: تلفّ، والأحمّ: الأسود، والجعد من الشعر: خلاف السبط، وهو ما فيه التواء وتقبّض، والفاليات: من فلا الرأس يفليه ويفلوه، والمداري: جمع مدرى، وهو شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سنٍّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد، وأضلال المداري في الشعر كناية عن طوله وغزارته.

(٣) برهرهة: البيضاء الناعمة. النّضار: الخالص الذي لم يَشُبْه ما يدنّسه.

(٤) تنخّلها: هي تنتخلّها، تختارها وتنتقيها. (٥) الحباء: العطاء.

(٦) البادي الخارج إلى البادية، والأبرد هنا: التمر، ومستهلّ هنا: رافع صوته، وبطن العير: المعروف أنّه يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير، والجوباء: النفس.

(٧) العذافرة من الإبل: العظيمة الشديدة.

(٨) الصيد: جمع أصيد. يريد سادات فهر وملوكها.

وكتب له إلى داودَ بن عليٍّ بإطلاق مَنْ حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تُبلِّغه المدينة. (٢٩٥/١١)

(١٤٣)

وأخبرني حرميّ عن الزُّبير، وأخبرني الأخفش عن المُبرِّد عن المُغيرة بن محمد المهلّبيّ عن الزُّبير عن سُليمان بن عياش السعديّ قال: جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العبليّ إلى سُوَيْقة(١) وهو طريد بني العباس، وذلك بعقب أيّام بني أميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العباس، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بُسويْقة، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تُنْشدني شيئاً مما رثيتَ به قومك، فأنشده:

تقـــول أمـــامـــةُ لمّا رأتْ ... نُشُـوزي عن المضْجَعِ الأنْفسِ
وقِلّةَ نومي على مـــضْجـــعي ... لدى هجْعـــةِ الأعـــيُنِ النُّعَّس
أبي مـا عراكَ؟ فقلتُ الهمومُ ... عـــرونَ أبـــاك فـــلا تُبْلســـي(٢)
عـــرونَ أبـــاكِ فحبُّسْـــنَه ... من الذُّلِّ في شـرِّ مـا محْبس
لفـقْد العـشـيـرةِ إذ نالهـا ... ســهـامٌ من الحـدث المُبْئس
رمـــتْهـــا المنونُ بلا نُصُلٍ ... ولا طـــائشـــاتٍ ولا نُكَّس(٣)
بأسْهُمِها الخالسـاتِ النُّفوسَ ... حتى مـا اقتضتْ مُهْجةً تخْلس
فصرْعـاهُمُ في نواحي البلا ... دِ تُلْقـى بأرضٍ ولـــم تُرْمَس(٤)
كـــريمٌ أصـــيب وأثـوابُـه ... من العـــار والذُّام لم تدْنس
وآخرُ قـد طار خـوفَ الرَّدى ... وكـان الهُمـامَ فلـــم يُحْبـس
فكم غـادروا من بواكي العيـو ... نِ مرْضى ومـــن صبْيـة بُؤَّس
إذا مـــا ذكـــرتُهُم لـــم تنَمْ ... لحـــرّ الهـــمـــوم ولم تَجْلس
يُرجِّعْنَ مـــثلَ بُكاء الحـــمـــا ... مِ في مـــأتمٍ قلـــقِ المجْلسِ
فـذاك الذي غـالني فـاعْلمي ... ولا تســألـيني فـتسْتَنْحسي(٥)

---

(١) سويقة هنا: موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الإبلاس: اليأس والتحيّر، والسكوت من الغمّ والحزن

(٣) النُّصل: جمع ناصل، والناصل من السهام هنا: الذي سقط نصله، ويقال سهم نِكْس وهو الذي ينكس أو يُكسر فوقه ليجعل أعلاه أسفله والجمع أنكاس

(٤) لم تُرمس: لم تُدفن. (٥) استنحس عن الأخبار: طلبها وتتبّعها بالاستخبار.

وأشياءُ قد ضيّقْنني بالبلاد ولستُ لهنّ بمُستحلس(١)
أفاض المدامع قتلى كُدىً وقتلى بكُثوة لم تُرْمسِ(٢)
وقتلى بوجٍّ وبالـلاّ بتيـ ـنِ من يثْرب خيرُ ما أنْفُس(٣)
وبالزّابيـيْنِ نفوسٌ ثوتْ وقتلى بنَهْرِ أبي فُطْرُس(٤)
أولئك قومٌ تداعتْ بهم نوائب من زمن مُتْعس
أذلّتْ قيادي لمن رامني وألزقتِ الرُّغْمَ بالمعْطسِ(٥)
فما أنْس لا أنس قتلاهُم ولا عاش بعدُهم مَنْ نسي

قال: فلمّا أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن. فقال له عمُّه الحسنُ بن حسن بن عليّ عليهم السلامُ: أتبْكي على بني أميّةَ وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد! فقال: والله يا عمِّ لقد كنّا نقمْنا على بني أميّة ما نقمنا، فما بنو العبّاس إلاّ أقلُّ خوفاً لله منهم، وإنّ الحُجّةَ على بني العبّاس لأوجبُ منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر. فوثب حسن وقال: أعوذُ بالله من شرك، وبعث إلى أبي عديّ بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبرهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعثتْ إليه أمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً، وكانت منفعتُه بها كثيرة. فقال أبو عديٍّ في ذلك:

أقام ثويُّ بيتِ أبي عديٍّ بخير منازلِ الجيران جارا(٦)
تَقوّضَ بيتُه وجلا طريداً فصادفَ خيرَ دُورِ الناس دارا(٧)
وإنّي إن نزلتُ بدار قومٍ ذكرتُهُمُ ولم أذممْ جوارا

---

(١) ضيقنني: نزلن بي، والمستحلس للشيء: الملازم له.

(٢) كُدى: موضع أسفل مكة عند ذي طوًى، وقيل بأعلى مكة. ينظر معجم البلدان (٤/٤٣٩). كُثوة: موضع، ينظر معجم البلدان (٤/٤٣٨).

(٣) وجّ: من أسماء الطائف القديمة، ينظر معجم البلدان، ٤/ ٩ اللاّبتان: تثنية لابة وهي الحرّة، والحرّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنّها أحرقت بالنار، ينظر معجم البلدان (٥/٣)، و(٢/٢٤٥). وذكر ياقوت لابّ (جمع لابة) كثيرة والمقصود هنا لابتا يثرب.

(٤) والزّابان: نهران بالعراق، أحدهما الأعلى، والثاني الأسفل، ينظر معجم البلدان (٣/١٢٤). نهر أبي فُطْرُس: قال ياقوت (٥/٣١٥)، «موضع قرب الرملة من أرض فلسطين .. به كانت وقعة عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة (١٣٢)». ثم يذكر ياقوت أبياتاً من قصيدة العبلي هذه. وواضح أنّ الشاعر يأتي على ذكر بعض المواقع المهمة التي قتل الجيش العباسي كثيراً من بني أمية فيها.

(٥) الرّغم: التراب، والمَعْطِس: الأنف. (٦) الثويّ: الضيف. (٧) جلا عن بلده: خرج.

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمتُ عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين ديناراً أخْرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند. (٢٩٧/١١)

(١٤٤)

وذكر العبّاس بن عيسى العُقيليّ عن هارون بن موسى الفرويّ عن سعيد بن عُقْبة الجُهَنيّ قال: حضرتُ عبدَ الله بن عُمر المكنى أبا عدّي الأمويّ يُنْشدُ عبد الله بن حسن قوله:

أفاض المدامعَ قتْلى كُدَى وقتْلي بكُـثُوةَ لـم تُرْمَسِ

قال: فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خدّه. (٣٠٢/١١)

(١٤٥)

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصْر المهلّبيّ قالا حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعْد قال حدّثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلْبيّ قال حدّثني أبو السَّمْط مرْوان الأصغر قال: لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحته ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة، وأنشدتُه:

سقى الله نجْداً والسلامُ على نجْدِ ويا حبّذا نجدٌ على النّأي والبُعْدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بها قومٌ هواهُمْ زيارتي ولا شيءَ أحلى من زيارتهمْ عندي

قال: فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهْرِ فرسٍ وبغْلةٍ وحمارٍ، ولم أبرحْ حتّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول:

تخيَّرَ ربُّ النّاسِ للنّاس جعفرا ومـلْكَـه أمـر العـبادِ تخيُّرا

فلما صرتُ إلى هذا البيت:

فأمْسكْ ندى كفّيْكَ عنّي ولا تزِد فقد كِدْتُ أنْ أطغى وأنْ أتجبَّرا

قال لي: لا والله لا أمسكُ حتّى أغرّقك بجودي. (٨٠١٢)

(١٤٦)

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا أبو العيناء قال: دخل مرْوانُ الأصغرُ بن أبي الجنوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها، فجعل أشْناس يُحرّك رأسه ويومئ بيديه ويُظهر طرباً وسروراً، وأمر له بصلةٍ. فلمّا خرج قال له كاتبه: رأيتُ الأميرَ قد طربَ وحرّك رأسه ويديه لما كان يسمعه، فقد فهمه؟ قال نعم. قال: فأيُّ شيء كان يقول؟ قال: مازال يقول عليَّ رُقْيةَ

الخُبْزِ حتّى حصّل ما أراد وانصرف(١). (٨٥/١٢)

(١٤٧)

أخبرني جعفر بن قُدامةَ ومحمد بن مزيدٍ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: سخِطَ الفضلُ بن الرَّبيع على ابن سيابة، فسألتْه أن يرضى عنه فامتنع، فكتب إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها:

إنْ كان جُرْمي قد أحاطَ بحُرْمتي ... فأحِطْ بجُرْمي عفوكَ المأمولا
فكم ارْتجيْتُك في الّتي لا يُرْتجى ... في مثلها أحدٌ فنِلْتُ السُّولا(٢)
وضلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لي مذْهباً ... ووجدتُ حِلْمَك لي عليك دليلا
هبْني أسأتُ وما أسأتُ أقرُّكي ... يزداد عفْوُك بعد طوْلك طُولا
فالعفْو أجْملُ والتّفضُّلُ بامرئٍ ... لم يعْدَم الرّاجونَ منه جميلا

فلمّا قرأها الفضلُ دمعتْ عيناه ورضي عن ابن سيابة، وأوْصله إليه وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٩٠/١٢)

(١٤٨)

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعْدٍ قال حدثني عبد الله بن فرْقدٍ قال أخبرني محمد بن الفضْل بن محمد بن منصور قال: لمّا افتتح عبدُ الله بن طاهر مصر ونحن معه، سوُّغه المأمون خراجها، فصعد المنبرَ فلم يزلْ حتّى أجاز بها كلّها ثلاثة آلافِ ألف دينارٍ أو نحْوها. فأتاه مُعلّى الطائيُّ وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس في الجوائز، وكان عليه واجداً، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير! أنا مُعلّى الطائيّ، وقد بلغ منّي ما كان منك (إليَّ) من جفاءٍ وغلظٍ. فلا يغْلُظَنّ عليَّ قلبُك، ولا يسْتخِفّنّك الذي بلغك، أنا الذي أقول:

يا أعظم النّاسِ عفواً عند مقْدرةٍ ... وأظْلَمَ الناس عند الجود للمال
لو أصبح النّيلُ يجري ماؤه ذهباً ... لما أشرتَ إلى خزْنٍ بمثْقالِ

---

(١) معلوم أنّ أشناس الأعجمي لم يفهم الشعر الذي قاله الشاعر يمدحه به، ولكنّه أظهر سروراً به، وأعطى الشاعر صلةً. والمهم في هذا النصّ هو إنّ أشناس يرى أنّ الشاعر جاء ليأخذ، فهو طالب فضل، ولعلّه ينضوي تحت ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه مراراً.

(٢) السؤال والسؤلة، ويترك همزهما، هو ما سألته وطلبته.

(١) أغلى بالشيء: جعله غالياً.

تُغْلي بمـا فيه رقُّ الحمدِ تملكُه ... وليس شيءٌ أعاضَ الحمدَ بالغالي(١)
تفكُّ باليُسْرِ كفُّ العُسْـرِ من زمنٍ ... إذا استطالَ على قـوم بإقـلالِ
لم تخْلُ كفُّك مـن جُودٍ لمُخْتبطٍ ... (أ)و مُرْهفٍ قاتلٍ في رأس قتّالِ(٢)
ومـا بنَتْ رعـيلَ الخـيلِ في بلدٍ ... إلاّ عـصـفْـنَ بـأرزاقٍ وآجـالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ منَنْتَ بـه ... فـإنّ شُكْرك من قلبي على بالِ
مـا زِلْتُ منقضباً لولا مُجـاهرةٌ ... من ألْسُنٍ خُضْنَ في صدْري بأقوالِ(٣)

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بما كان منه، وقال: يا أبا السُّمراء أقْرِضْني عشرةَ آلاف دينار، فما أمسيتُ أملكها؛ فأقْرضه فدفعها إليه. (١٠١/١٢)

(١٤٩)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحكم بن موسى السَّلُوليّ قال حدّثني أبي قال: بينا نحن بالرافقة(١) على باب الرَّشيد وقوفٌ، وما أفقدُ أحداً من وجوه العرب من أهل الشام والجزيرة والعراق، إذ خرج وصيفٌ كأنّ دُرَّةً فقال: يا معشر الصحابة: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم منْ كان منكم يروي قصيدة الأسود بن يعْفُرْ:

نام الخليُّ وما أحسُّ رُقادي ... والهـمُّ مُحْتَضرٌ لديَّ وسادي(٥)

فليدخلْ فليُنْشدها أمير المؤمنين وله عشرةُ آلاف درهم، فنظر بعضُنا إلى بعضٍ، ولم يكنْ فينا أحدٌ يرْويها. قال: فكأنّما سقطتُ والله البَدْرةُ عن قربوسي(٦) قال الحكم: فأمرني أبي فرويتُ شعرَ الأسودِ بن يعْفر من أجل هذا الحديث. (١٧/١٣)

(١٥٠)

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قالوا جميعاً: كتب المأمون في إشخاص كلثوم بن عمرٍو العتابي، فلما دخل عليه

---

(١) اختبطه وتخبّطه: سأله المعروف بلا وسيلة من أصرة قربى أو مودّة أو معرفة.

(٢) انقضب من أصحابه: انقطع عنهم.

(٣) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة على ضفة الفرات، ثم خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة، وصار اسم المدينة الرقة، وهي من أعمال الجزيرة، مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات.

(٤) محتضر: حاضر. (٥) القربوس: الجزء المعوج من السَّرْج.

قال له: يا كلثوم، بلغتني وفاتُك فساءتني، ثم بلغتني وفادتُك فسرَّتْني. فقال له العتابي: يا أمير المؤمنين، لو قُسمت هاتانِ الكلمتانِ على أهل الأرضِ لوسعتاها فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتّسع له أمنية، ولا يبسط لسواه أمل، لأنه لا دين إلاّ بك، ولا دنيا إلا معك(١). فقال له: سلني. فقال: يدك بالعطاء أطلقُ من لساني بالسُّؤال. فوصله صلاتٍ سنية، وبلغ به من التقديم والإكرامِ أعلى محلّ. (١١١/١٣)

(١٥١)

أخبرني الحسن بن علي قال، حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن سعدٍ عن إبراهيم بن الحدين، قال: وَجِد(٢) الرشيد على العتّابيّ، فدخل سِرّاً مع المتظلّمين بغير إذنٍ، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذنتني الناس لك ولنفسي فيك، وردُّني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكُّرك قناعةٌ بغيرك، ولنعم الصانُ لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر. وفي ذلك أقول:

أخضِلْني المقام الغمرَ إن كان غرّني ... سنا خُلَّبٍ أو زلّتِ القدمان(٣)
أتتركُني جدبَ المعيشةِ مُقْتِراً ... وكفّاكَ من ماء الندى تكفان(٤)
وتجعلني سهْمَ المطامع بعد ما ... بللت يميني بالنّدى ولساني

قال: فأعجب الرّشيد قولُه، وخرج وعليه الخِلعُ، وقد أمر له بجائزةٍ، فما رأيتُ العتّابي قطُّ أبسط منه يومئذٍ. (١١٣/١٣)

(١٥٢)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا ابن مهرويه عن أبي الشّبل. قال: دخل العتّابي على عبد الله بن طاهر، فمثل بين يديه، وأنشده:

حُسن ظني وحسنُ ما عوّد اللـ ... ـهُ سواي منك الغداة أتى بي
أيُّ شيءٍ يكونُ أحسن من حسـ ... ـنِ يقينٍ حدا إليك ركابي

---

(١) يربط الشاعر ربطاً محكماً بين الدنيا وبين الخليفة، فهي لا تتحقّق لطالبها إلاّ به، وكأنه يشير بذلك إلى ما مرّ سابقاً من ارتفاع مكانة الشاعر حين يدخل على الخلفاء وينشدهم شعره، وتنخفض مكانته إذا مُنِع وحُجِب.

(٢) وَجِد: غَضِب. (٣) الغمر: الماء الكثير، وسنا خُلَّب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

(٤) تكفان: تهطلان.

قال: فأمر له بجائزة، ثم دخل عليه من الغد، فأنشده:

ودكَّ يكفينيكَ في حاجتي ورؤيتي كافيةٌ عن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عشتَ لي وإنَّما كفَّاك لي بيت مالْ

فأمر له بجائزة، ثم دخل في اليوم الثالث، فأنشده:

بهجات الثَّياب يُخلقها الدَّهـ ـرُ وثوبُ الثَّناء غضٌّ جديدُ(١)
فاكسُني ما يبيد أصلحك اللـ ـهُ فالله يكسُوك ما لا يبيدُ

فأمر له بجائزة، وأنعم عليه بخلعة سنيَّة. (١١٦/١٣)

(١٥٣)

أخبرني عمي قال: حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدثني مسعود بنُ إسماعيلَ العدويُّ عن موسى بنِ عبد الله التميمي قال: عتب الرشيدُ على العتابي أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوّده أياها، فأتاه متنَّصلاً بهذه القصيدة:

ماذا شجاك بحُوَّارين(٦١) من طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ(٢)
شجاك حتَّى ضميرُ القلب مشتركٌ والعين إنسانها بالماء مغمورُ
في ناظريَّ انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفون عن الآماق تقصير
لو كنتِ تدرين ماشوقي إذا جعلتْ تنأى بنا وبك الأوطان والدُّور
علمتِ أنَّ سُرى ليلي ومُطَّلعي من بيت نجران والغوْرَيْن تغوير(٣)
إذا الركائبُ مخْسوفٌ نواظرها كما تضمَّنتِ الدُّهنَ القواريرُ(٤)
نادتك أرحامنا اللاتي نمُتُّ بها كما تنادي جلادَ الجلَّة الخورُ(٥)
مُستنبط عزماتِ القلب من فكرٍ ما بينهنَّ وبين الله معمورُ
فُتُّ المدائح إلا أنَّ أنفسنا مستنطَقاتٌ بما تحوي الضَّمائيرُ

---

(١) تتكرّر هذه المقولة كثيراً. رأيناها منذ زمن بعيد عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمرت إلى هذا العصر، يذهب العطاء ويبقى الثناء.

(٢) حُوَّارين: من قرى حلب معروفة. أو هو حصن من ناحية حلب، ينظر معجم البلدان (٣١٥/٢).

(٣) نجران: موضع بالبحرين، وموضع قرب دمشق. والتغوير: الدخول في الغور.

(٤) مخسوف نواظرها: غارت عيونها من شدّة التعب لطول السَّفر.

(٥) الجلاد: النوق الصلاب، والجلّة: المسان من الإبل، والخور: جمع خوّارة على غير قياس وهي الناقة الغزيرة اللبن.

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ... ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير
إن كان منّا نُوو إفكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دينُها العُدوانُ والزُّور(١)
فإنّ منّا الذي لا يستحثُّ إذا ... حُثَّ الجياد وحازتها المضامير(٢)
ومن عرانقه السُّفّاح عندكم ... مجرَّبٌ من بلاء الصِّدق مخبور
الآن قد بُعدت في خطو طاعتكم ... خُطاهم حيثُ يحتل الغشامير(٣)

ـ يعني يزيد بن مزيد، وهشامَ بن عمرٍ والتغلبيّ، وهو من ولدِ سُفيْح بن السفاحِ ـ قال: فرضي عنه وردَّ أرزاقه ووصله. (١٢٤/١٣)

(١٥٤)

أخبرني محمدُ بن جعفر النحويُّ صهرُ المبرد قال: حدّثنا محمدُ بنُ موسى بن حمّاد قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد الكُراني، وأخبرني به عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد حديثَ محمد بن جعفر النحوي أنه قال: حدّثني محمد بنُ عبد الله بن آدم بن جُشم العبدي قال: حدّثنا ثابتُ بن الحارث الجُشميُّ قال: كان منصورٌ النمريُّ مُصافياً للبرامكة، وكان مسكنُه بالشأم، فكتب يسألهم أن يذكُروه للرشيد، فذكروه ووصفوه، فأحبَّ أن يسمعَ كلامه، فأمرهم بإقدامه، فقدِم ونزل عليهم، فأخبروا الرشيد بموضعه وأمرهم بإحضاره، وصادف دخوله إليه يوم نوبةِ مروان(٤)، على ما سمعه من بيانه، وكان مروانُ يقول قبل قدومه: هذا شاميٌّ وأنا حجازي، أفتراه يكون أشعر مني، ودخله من ذلك ما يدخل مثله من الغمّ والحسد، واستنشد الرشيدُ منصوراً، فأنشده:

أمير المؤمنين إليك خُضْنا ... غمارَ الهوْل من بلد شطير(٥)
بخُوص كالأهلة خافقاتٍ ... تلين على السُّرى وعلى الهجيرِ(٦)
حملنَ إليك أحمالاً ثقالا ... ومثل الصخر والدر النثير(٧)

---

(١) الإفك: البهتان، والمارقة: الخارجة على الدين.

(٢) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تركض فيه الخيل.

(٣) الغشامير من الغشمرة وهي: التهضّم والظلم.

(٤) لعلّ هذا داخل في المراسيم التي أشرنا إليها سابقاً، من تحديد أوقات معينة لدخول الشعراء على الخلفاء.

(٥) شطير: بعيد. (٦) الخوص: جمع خوصاء، وهي الناقة لما في عينها من غؤور وصِغَر. يعني ركبنا هذه النوق التي أتعبها طول السفر وجئنا إليك من مكان بعيد.

(٧) أراد شعراً جزلاً هو الغاية في النفاسة.

فـقـد وقـف المديحُ بمنتـهـاه وغـايتـه وصـار إلى المصـيـر
إلى من لا يشـيـر إلى سـواه إذا ذُكِـر النّدى كفُّ المشـيـرِ

فقال مروان: وددتُ والله أنه أخذ جائزتي وسكت. وذكر في القصيدة يحيى بن عبدِ الله بن حسن فقال:

يذلّل مـــن رقـــاب بني علي ومن ليس بالمنِّ الصـــغـــيـــر
متَنْتَ على ابن عبد الله يحيى وكان من الحُتوف على شفير(١)

قال مروان: فما برحتُ حتى أمرني هارون أميرُ المؤمنين أن أنشده ، وكان يبتسم في وقتِ ما كان ينشده النمريّ، ويأخذ على بطنه، وينظر إلى ما قال، فأنشدته:

مـوسى وهارون همـا اللذانِ في كتب الأخبار يوجدان
من ولـد المهـدي مـهـديّان قُـدّا عنانين على عـنان(٢)
قد أطلق المهديُّ لي لساني وشـدّ أزري ما بـه حباني
من اللُّجين ومن العـقـيـان عـيـديّة شـاحطة الأثمـان(٣)
لـو خـايلت دجلـة بـالألبان إذاً لقيل اشتـبـه النهران(٤)

قال: فوالله ما عاج(٥) النمريّ بذلك ولا احتفل به، فـأومـأ إليَّ هارون أن زده؛ فـأنشـدته قصيدتي التي أقول فيها:

خلُّوا الطريقَ لمعشـر عاداتهمْ حطـمُ المناكـب كل يوم زحـام
ارضَوْا بما قسـم الإلهُ لكم بـه ودعُوا وراثةَ كلِّ أصـيـد حـام(٦)
أنّى يكـون وليس ذاك بكـــائن لبني البنات وراثةُ الأعـمـــام

قال: فوالله ما عاج عنها بشيء، وخرجت الجائزتان فأعطى مروان مائة ألف وأعطى النمريّ سبعين ألفاً، وقال: أنت مزيدٌ في ولد علي. (١٤١/١٣)

---

(١) شفير كل شيء: ناحيته وحرفه.

(٢) قُدّا: قيسا وعملا، والعِنان: هو السَّير يشدّ به اللجام، والمعني أنّهما يشبهان المهدي في صفاته.

(٣) العيديّة: ضرب من نجائب الإبل، وشاحطة الأثمان: غالية، مرتفعة الثمن.

(٤) خايلت: فاخرت.

(٥) عاج: انعطف واهتم بالأمر.

(٦) الأصيد: الملك الرافع رأسه كبرا، وحام: هو الذي يحمي الذّمار.

(١٥٥)

أخبرني الحسنُ بن علي قال: حدثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حدثني عبدُ الصمد بنُ المعذّل قال: دخل مروانُ بنُ أبي حفصة وسلْم الخاسر، ومنصور النمري على الرشيد، فأنشده مروانُ قصيدته التي يقول فيها:

أنّى يكون وليس ذاك بكائن لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

وأنشده سلم فقال: حضر الرّحيل وشُدّت الأحداجُ(١)

وأنشده النمريّ قصيدته التي يقول فيها:

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلّك الله منها حيثُ تجتمعُ

فأمر لكلّ واحد منهم بمائةِ ألفِ درهم، فقال له يحيى بنُ خالد: يا أمير المؤمنين، مروانُ شاعرك خاصّة قد ألحقتهم به. قال: فليُزَدْ مروان عشرة آلاف. (١٤٤/١٣)

(١٥٦)

أخبرني عمي قال: حدّثنا ابن سعدٍ قال: حدثنا محمدُ بنُ عبد الله بن آدم العبديّ عن أبي ثابت العبديّ عن مروانَ بن أبي حفصةَ، قال: خرجنا مع الرشيد إلى بلاد الروم، فظفر الرشيدُ، وقد كاد أن يعطب، لولا الله عزوجل ثم يزيد بن مزيد. فقال لي وللنُّمريّ: أنشدا. فأنشدته قولي:

طرقَتْك زائرةٌ فحيِّي خيالها غـراءُ تخلِط بالحياء دلالها(٢)

ووصفتُ الرجال من الأسرى كيف أسلموا نساءهم، والظفر الذي رُزِقه، فقال: عُدُّوا قصيدته؛ فكانت مائةَ بيتٍ، فأمر لي بمائةِ ألفِ درهم(٣)، ثم قال للنُّمريّ: كيف رأيت فرسي فإني أنكرته؟ فقال النمريّ:

مُضرِّجٌ علـى فـأس اللجـام كأنّه إذا ما اشتكت أيدي الجيادِ يطير(٤)

فظلّ على الصُّفصـاف يومَ تباشـرت ضـباعٌ ونُؤبـان به ونسـور(٥)

---

(١) الأحداج: جمع حِدج، وهو المحفّة كالهودج. (٢) الغرّاء: البيضاء.

(٣) أشرنا إلى انتشار ظاهرة عدّ أبيات القصيدة، ومنح الشاعر مالاً لكلّ بيت فيها، والرشيد يصنع هذا هنا.

(٤) مضرّج على فأس اللجام: يقال أضرّ الفرس على اللجام إذا أزمّ عليه، وفأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك.

(٥) الصُّفصاف: كورة من ثغور المصيصة غزاها سيف الدولة بن حمدان في سنة (٣٣٩)، ينظر معجم البلدان =

فـأقـسِم لا ينْسى لك الله أجـرهـا إذا قُسِّـمت بين العـبـادِ أجـور

قال النمريّ: ثم قلت في نفسي: ما يمنعني من إنكارِه بالجائزة؟ فقلت:

إذا الغيث أكْدى واقشعرَّتْ نجومُه فغيـث أمـيرِ المـؤمنين مـطيرُ(١)

ومـا حلَّ هـارونُ الخليفـةُ بلـدةً فـأخلفـهـا غـيثٌ وكـاد يضـيـر(٢)

فـقـال: أذكرتني، ورأيتـه مُتـهلِّلاً لذلك. قـال: فـألحقني بمروانَ وأمـر لي بمائةِ ألفِ درهم. (١٤٥/١٣)

(١٥٧)

أخبرني عمّي، قـال: حدّثنا ابنُ أبي سعدٍ، قال: حدّثنا علي بن الحسين الشيباني، قال: أخبرني منصور بن جهور، قال: سألت العتابي عن سبب غضبِ الرشيد عليه، فقال له: استقبلت منصورا النمري يوماً من الأيام فرأيته مغموما واجما كئيباً، فقلت له: ما خبرُك؟ فقال: تركت امرأتي تُطلّقُ، وقد عسر عليها ولادها، وهي بدي ورجلي(٣)، والقيِّمةُ بأمري وأمرِ منزلي. فقلت له: لم لا تكتبُ على فرْجِها «هارون الرشيد»؟ قال: ليكون ماذا؟ لتلد على المكان. قـال: وكيف ذلك؟ قلت: لقولك:

إن أخلف الغيثُ لم تُخلِف مخايله أو ضـاق أمرٌ ذكـرناه فيتَّسعُ(٤)

فقال لي: يا كشخان(٥)، والله لئن تخلصتِ امرأتي لأذكرنَّ قولك هذا للرشيدِ. فلما ولدت امرأته خبَّر الرشيدَ بما كان بيني وبينه، فغضب الرشيدُ لذلك وأمر بطلبي، فاستترتُ عند الفضلِ بن الربيعِ، فلم يزل يسأل فيَّ حتى أذن لي في الظهور؛ فلما دخلتُ عليه، قال لي: قد بلغني ما قلته للنمريّ، فاعتذرت إليه حتى قبل، ثم قلت: والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذُّبِ عليَّ إلاَّ وقوفي على ميله إلى العلويَّة، فإنْ أراد أمير المؤمنين أن أنشده شعره في مديحهم فعلتُ. فقال: أنشدني . فأنشدته قوله:

= (٤١٣/٣)، وتُباشرُ الضباع والذئاب والنسور في ذلك اليوم معلوم، لأنَّ كثرة قتلى الخليفة ستجعل منهم فرائس سهلة لتلك الضواري.

(١) أكدى الغيث: منع ولم يسقط مطره.

(٢) أخلف الغيث: لم يمطر، وكاد يضير: كاد يُتْلف لغزارته.

(٣) وهي بدي ورجلي: أي أعتمد عليها اعتماداً كبيراً مطلقاً، وما تزال العامية البغدادية تستعمل هذا التعبير.

(٤) مخايله: جمع مَخيلة وهي السحابة. (٥) الكَشْخان: الديّوث.

شاءٌ من الناس راتع هاملْ يعلّلون النفوس بالباطلْ(١)

حتى بلغت إلى قوله:

ألا مساعير يغضبون لها بسلّة البيض والقنا الذّابلْ(٢)

فغضبَ من ذلك غضباً شديداً، وقال للفضلِ بن الربيع: أحضرْه الساعة. فبعث الفضل في ذلك، فوجده قد تُوفّيَ، فأمر بنبشه ليحرقه، فلم يزلِ الفضل يلطُف له حتى كفَّ عنه. (١٤٨/١٣)

(١٥٨)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال: حدّثنا يحيى بنُ الحسنِ بنِ عبد الخالقِ، قال: حدّثني بعض الزينبيين، قال: حبسَ الرشيد منصوراً النمريَّ بسبب الرفضِ، فتخلّصه الفضلُ بن الربيع، ثم بلغه شعره في آلِ عليّ عليه السلام، فقال للفضلِ: اطلبه. فستره الفضلُ عنده، وجعلَ الرّشيدُ يُلحُّ في طلبه، حتّى قال يوماً للفضل: ويْحك: يا فضلُ تُفوّتُني النمريَّ؟ قال: يا سيدي، هو عندي قد حَصلّتُه. قال: فجئني به. وكان الفضل قد أمره أن يُطَوِّلَ شعره، ويكثر مباشرة الشمس ليشحبَ وتسوء حالته، ففعل، فلما أراد إدخاله عليه ألبسه فروة مقلوبة، وأدخله عليه، وقد عفا شعرهُ(٣)، وساءت حالته، فلما رآه، قال: السيف! فقال الفضلُ: يا سيدي من هذا الكلبُ حتى تأمرَ بقتله بحضرتك؟ قال: أليس هو القائل:

ألا مساعيرَ يغضبون لها بسلة البيضِ والقنا الذابل

فقال منصور: لا ياسيدي ما أنا قائلٌ هذا، ولقد كُذِب عليّ، ولكني القائل:

يا منزل الحي ذا المغاني انعِم صباحاً على بلاكا(٤)

هارون يا خيرَ من يُرجّى لم يُطِعِ اللهَ مَنْ عصاكا

---

(١) جعل بعض الناس دوّاباً هَمْلاً، واختار الشاءَ، ليدلّ على جهلهم، وعدم إدراكهم للأمور، لعلّه يقصد العباسيين ومَنْ والاهم، ولذلك رأينا الرشيد يغضب غضباً شديداً.

(٢) ضبط محقق الأغاني (ألا) هكذا: (إلاّ) ولا معنى لها، والصواب ألا للطلب والحثّ. والمساعير الأشدّاء، الشجعان، وقد أغفل جامع شعر منصور النمري شرح البيت، ينظر شعره، جمع الطيب العشاس، (ص١٢٣ ـ ١٢٤)، والسلّة: استلال السيوف. أي إخراجها من أغمادها، والبيض: السيوف، والقنا: الرماح. ينظر لسان العرب (٣٦٦/٤)، والضمير في (لها) يعود إلى السيدة فاطمة بنت محمد (ص) وواضح أنّ الشاعر يدعو إلى نصرة السيدة فاطمة في أولادها، وقد فهم الرشيد في نصّ آخر هذا الأمر، إذ يقول بعد سماعه هذا البيت: «أراه يحرّض عليّ». تاريخ بغداد (٦٨/١٣)، ولذلك يأمر بمعاقبته، وملاحقته بعد موته.

(٣) عفا شعره: طال وكثر. (٤) البِلى: القِدَم.

في خير دينٍ وخير دنيا ... من اتّقى الله واتقاكا

فأمر بإطلاقه وتخليةِ سبيله، فقال منصورٌ يمدح الفضل بن الربيع:

رأيت المُلْك مُذْ آزر ... تَ قد قلمت محانيهِ(١)

هو الأوحد في الفضلِ ... فما يعرف ثانيهِ (١٤٩/١٣)

(١٥٩)

أخبرني عمي، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم العبدي أبو مسعر، قال أتى النمريّ يزيد بن مزيد ويزيد يومئذ في إضاقة(٢) وعسرة، فقال: اسمع منّي جُعِلت فداك. فأنشده قصيدةً له، يقول فيها:

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسب ... سوى يزيد لفاتوا الناس في الحسب

تأوي المكارم من بكرٍ إلى ملكٍ ... من آل شيبانَ يحويهنّ من كثب

أبٌ وعمٌّ وأخوالٌ مناصبُهم ... في منبت النَّبع لا في منبت الغرب(٣)

إنّ أبا خالد لما جرى وجرت ... خيلُ المدى أحرز الأولى من القصب(٤)

لما تلغّبهنّ الجريّ قدُمه ... عتقٌ مُبينٌ ومحضٌ غير مؤتشب(٥)

إن الذين اغتزوا بالحُرّ غرّته ... كمغتزي الليث في عرّيسه الأشب(٦)

ضرباً دراكاً وشدّاتٍ على عنقٍ ... كأنّ إيقاعها النّيرانُ في الحطب(٧)

لا تقربنّ يزيداً عند صولته ... لكنْ إذا ما احتبى للجُود فاقترب(٨)

فقال يزيد: والله ما أصبح في بيت ما لي شيء، ولكن انظر يا غلام كم عندك فهاته. فجاء بمائةِ دينارٍ وحلفَ أنّه لا يملك يومئذ غيرها. (١٥٥/١٣)

---

(١) آزرت: عاونت وصرت وزيراً، ومحانيه: معاطفه.

(٢) الإضاقة: ذهاب المال والضيق.

(٣) الغَرْب: ضرب من الشجر.

(٤) قصبة السباق: هي القصبة التي توضع في آخر المضمار، ومَنْ جاء بعدها يُعدُّ سابقاً.

(٥) تلغبهنّ: أطال الطرد، والعتق: الكرم، وغير مؤتشب: غير مختلط.

(٦) اغتزوا: قصدوا، والمغتزي: القاصد، والعرّيس: مأوى الأسد، والأشب: الشجر الملتفّ.

(٧) الدراك: لحاق الفرس الوحش واتباع الشيء بعضه بعضاً، والعَنَق: السَّير السريع.

(٨) احتبى بالثوب: اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو غيرها.

(١٦٠)

وقد أخبرني عمي بهذا الخبر، حدّثني محمدُ بن علي بن حمزة العلوي، قال: حدّثني عمي عن جدي، قال: قال لي منصور النمريّ: كنت واقفاً على جسر بغداد أنا وعبيدُ الله بنُ هشام بنِ عمرٍو التغلبي، وقد وخطني الشَّيب يومئذ، وعبيد الله شابٌّ حديث السن، فإذا أنا بقصْرية(١) ظريفة قد وقفت، فجعلت أنظر إليها وهي تنظر إلى عبيد الله بن هشام ثم انصرفَتْ، وقلت فيها:

لمّا رأيتِ سوامَ الشيب منتشرا ... في لِمّتي وعبيدَ الله لم يشبِ(٢)
سلَلْتِ سهمين من عينيك فانتضلا ... على سبيبة ذي الأذيال والطربِ(٣)
كذا الغواني نرى منهن قاصدة ... إلى الفروع معرّاة عن الخشبِ(٤)
لا أنتِ أصبحت تعتدّيننا أربا ... ولا وعيشك ما أصبحت من أربي
إحدى وخمسين قد أنضيت جدّتها ... تحول بيني وبين اللهو واللعبِ(٥)
لا تحسبِنّي وإن أغضيتُ عن بصري ... غفلتُ عنك ولا عن شأنك العجبِ

ثم عدلت عن ذلك فمدحتُ فيها يزيدَ بن مزيد فقلت:

لو لم يكن لبني شيبانَ من حسبٍ ... سوى يزيدَ لفاقوا الناسَ بالحسب
لا تحسب الناسَ قد حابَوْا بني مطرٍ ... إذ أسلمَ الجودُ فيهم عاقد الطنبِ
الجود أخشنُ لمساً يا بني مطر ... من أن تبُزّكُموهُ كفُّ مستلب
ما أعرفَ الناسَ أنّ الجُود منفعةً ... للمرءِ لكنّه يأتي على النشبِ(٦)

قال: فأعطاني يزيدُ عشرة آلاف درهم. (١٥٦/١٣)

(١٦١)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدّثني عليُّ بنُ محمدٍ النَّوفلي، فقال: هجا عبدُ الصمد بنُ المعذّل قينةً بالبصرة قال فيها:

---

(١) القصرية: نسبة إلى القصر، صفة للغانية.

(٢) السوام في الأصل: الإبل الراعية، وعنى به الشيب المتفرّق في جوانب الرأس، واللِمّة: الشعر المجاور شحمة الأذن.

(٣) انتضلا: خرجا، والسبيبة: الخصلة من الشَّعر.

(٤) القاصدة: المتّجهة، ومعراة من الخشب: أي تحبّ الشباب وبهجته، ولا يروقها كبار السنّ.

(٥) أنضيت: أخلقت وأبليت. (٦) النَّشب: المال والعقار.

تفتُّر عن مضحكِ السَّدْريِّ إن ضحكت كرْفَ الأتان رأت إدلاءَ أعيار(١)
يفوحُ ريْحُ كنيفٍ من ترائبها سوداءُ حالكةٌ دهماءُ كالقار(٢)

قال: فكسدت والله تلك القينةُ بالبصرة، فلم تُدْعَ ولم تُسْتَتْبع حتى أخرجتْ عنها. (٢٣٣/١٣)

(١٦٢)

أخبرني الأخفشُ، قال: حدثنا المُبرِّدُ، قال: دعا عبدُ الصمد بن المعذَّل شرْوينَ المغنِّي، وكان مُحْسناً متقدِّما في صناعته، فتعالَل عليه ومضى إلى غيره، فقال عبدُ الصَّمد: والله لأسِمنَّه ميسماً لا يدعوه بعده أحدٌ بالبصرة إلاَّ بعد أن يبذل عرضه وحريمه. فقال فيه:

مَنْ حلَّ شروينُ له منزلا فلتنهَهُ الأولى عن الثانيهْ
فليس يدعوه إلى بيته إلا فتىً في بيته زانيهْ

فتحاماه أهل البصرة حتى اضطرَّ إلى أن خرج إلى بغداد وسُرَّ مَنْ رأى. (٢٤٤/١٣)

(١٦٣)

أخبرني عمي قال: حدَّثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال: كان أبو دهمان صديقاً لمطيع، وكان يُظهر للناس تألُّهاً(٣) ومروءةً وسمتاً حسناً، وكان ربَّما دعا مُطيعاً ليلةً من الليالي أن يصير إليه، ثم قطعه عنه شُغْل، فاشْتغل وجاء مطيعٌ فلم يجِدْه، فلمَّا كان من الغدِ جلس مطيعٌ مع أصحابه، فأنشدهم فيه:

ويلي ممَّنْ جفاني وحُبُّه قد براني
وطيفُه يلقاني وشخصُه غير دانِ
أغرُّ كالبدرِ يعْشى بحسنه العينان
جاريَّ لا تعذلاني في حبِّه ودعاني
فربَّ يومٍ قصيرٍ في جوْسق وجنان
بالراح فيه يُحيَّا والقصفِ والريحان
وعندنا قينتانِ وجهاهما حسنان
عُوداهُما غردانِ كأنَّما ينطقان

(١) السدريّ: عنى به رجلاً اسمه أبو نبقة السَّدري، وكرف الأتان: يقال كرف الحمار وغيره يكرف، شمّ بول الأتان ثم رفع رأسه. والإدلاء: الاستعداد للبول، والأعيار: جمع عير وهو الحمار.
(٢) الترائب: عظام الصدر، أو موضع القلادة. (٣) التألُّه: التنسك والتعبُّد.

وعندنا صاحبانِ للدَّهر لا يخضعانِ
فكنتُ أوَّلَ حامٍ وأوَّلَ السَّرعانِ(١)
في فتيةٍ غيرِ ميلٍ عند اختلاف الطِّعانِ
من كلِّ خوفٍ مُخيفٍ في السِّرِّ والإعلانِ
حمَّالِ كلِّ عظيمٍ تضيق عنه اليدانِ
وإنْ ألمَّ زمانٌ لم يستكنْ للزمانِ
فزالَ ذاكَ جميعاً وكلُّ شيءٍ فانِ
من عاذري من خليلٍ مُوافقٍ مِلْدانِ(٢)
مُداهنٍ متوانٍ يكنى أبي دهمانِ
متى يعِدْكَ لقاءً فالنَّجمُ والفرقدانِ
وليس يُعتِمُ إلاَّ سكرانَ مَعْ سكرانِ
يسقيه كلُّ غلامٍ كأنَّه غُصْنُ بانِ
من خندريس عُقارٍ كحُمْرة الأرجوانِ(٣)

قال: فلقيه بعد ذلك أبو دُهمان، فقال: عليك لعنةُ الله فضحتني، وهتفْتَ بي، وأذَعْتَ سرِّي، لا أكلِّمُك أبداً، ولا أعاشرك ما بقيت، فما تفرَّق بين صديقك وعدوِّك. (٢٩١/١٣)

(١٦٤)

حدَّثني جعفر بنُ قدامة بن زيادٍ الكاتب قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمدِ بن الفضل السكوني قال: مدح مطيع بن إياس معنَ بن زائدة بقصيدته التي أوَّلها:

أهْلا وسهلاً بسيِّد العربِ ذي الغُررِ الواضحاتِ والنُّجُبِ(٤)
فتى نزارٍ وكهْلها وأخي الـ ـجودِ حوى غايتَيْهِ من كثبِ
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ـل الناس طُرّاً في السهل والرُّحبِ
أبو العُفاة الذي يلوذُ به من كانَ ذا رغْبةٍ وذا رهبِ(٥)

(١) السُّرعان: المستبقون. (٢) الملدان: عنى به اللَّيِّن الناعم.
(٣) الخندريس: الخمرة القديمة، والعقار: التي تُذهب الوعي. والأرجوان: الشديدة الحمرة.
(٤) الغرر الواضحات والنجب: المظاهر البيضاء التي تدلّ على الشرف والسيادة.
(٥) العفاة: المعدمون، طالبو النوال.

جاء الذي تُفرَجُ الهمومُ به حينَ يُلَزُّ الوضينُ بالحقَبِ(١)
جاء وجاء المضاءُ يقدُمُه رأيٌ إذا همَّ غيرُ مؤتشب
شهْمٌ إذا الحربُ شبَّ دانرُها أعادها عوْدةً على القُطُب
يطفئ نيرانها ويوقدُها إذا خبت نارُها بلا حطب
إلا بوقع المُذكَّراتِ يُشبُّهُ نَ، إذا ما انتُضينَ بالشُّهُب(٢)
لم أرَ قرْنا له يُبارزُه إلا أراه كالصقْر والخرب(٣)
ليْثٌ بخفَّانَ قد حمى أجماً فصار منها في منزل أشب(٤)
شِبْلاه قد أدّبا به فُهما شبههاه في جدِّه وفي لعب
قد ومقا شكله وسيرته واحكما منه أكرم الأدب(٥)
نعم الفتى تُقرَن الصِّعابُ به عند تجاثي الخصوم للرُّكب(٦)
ونعم ما ليلةُ الشتاء إذا اسْـ ـتُنْبِحَ كلبُ القِرى فلم يُجِبِ
لا ونعمْ عنده مخالفة مثل اختلاف الصعود والصَّبب(٧)
يحْصَرَ من لا فلا يهمُّ بها ومنه تُضحى نعْم على أرَب
ترى له الحِلْمَ والنُّهى خُلُقا في صولة مثل جاحم اللُّهب
سيف الإمامين ذاكَ وذا إذا قلَّ بناةُ الوفاءِ والحسبِ
ذا هوْدةٍ لا يُخاف نبوتُها ودينُه لا يُشابُ بالريب(٨)

فلما سمعها معن قال له: إن شئتَ مدحناك كما مدحْتنا وإن شئت أثبناك. فاستحيا مطيع من اختيار الثوابِ على المديح وهو محتاج إلى الثواب، فأنشأ يقول لمعن:

ثناءً من أميرٍ خيرُ كسْبٍ لصاحبِ فاقةٍ وأخي ثراءِ
ولكنَّ الزمانَ برى عظامي وما مِثْلُ الدراهم من دواءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال: لقد لطفت حتى تخلصت منها، صدقت، لعمري ما مثل

---

(١) يُلَزّ: يُقرن، والوضين: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، والحقب: الحزام الذي يلي حقو البعير.
(٢) المذكَّرات: جمع مذكرٌ، وهو السيف ذو المضاء.
(٣) الخَرب: ذكر الحباري، وهي طائر ضعيف إذا قيس بالصقر.
(٤) خفّان: موضع معروف قرب الكوفة، وهو مأسدة فيها غياض، وأشب: كثير الشجر. (٥) ومقا: أحبّا.
(٦) تجاثا: جلس على ركبتيه للخصومة ونحوها. (٧) الصَّبب: النزول السريع المندفع.
(٨) الهودة: التوبة والرجوع إلى الحقّ.

الدراهم من دواء! وأمر له بثلاثين ألف درهم، وخلعَ عليه وحمله. (٣٢٣/١٣)

(١٦٥)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا ابن مهْرويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال: كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم. فجاء بعض سراياه(١) بخبر عمٍّ(٢)، فركب من فوْره وسار أجدَّ سيرٍ وأنا أسايره. فسمع مُنْشداً يتمثّل في عسكره:

إنَّ الأمور إذا انْسدَدْتَ مسالِكُها ... فالصبرُ يفْتَح منها كلَّ ما ارتتجا(٣)

لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مطالبةٌ ... إذا استعنتَ بصبر أن ترى فرجا

فُسرَّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إليَّ وقال لي: يا عليُّ أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم. قال: مَنْ يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسب، وقال: أمر محمود ويسير سريع يَعقُب هذا الأمر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدتُه قوله:

ماذا يكلّفُك الرَّوْحاتِ والدُّلجا ... البرُّ طوراً وطوراً تركبُ اللُّججا(٤)

كمْ من فتىً قصُرتْ في الرِّزْق خُطْوتُه ... ألفيته بسهام الرزق قد فلجا(٥)

لا تيأسنَّ وإنْ طالتْ مُطالبةٌ ... إذا استعنتَ بصبر أن ترى فرجا

إنَّ الأمور إذا انسدَّتْ مسالِكُها ... فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارتتجا

أخْلِقْ بذي الصبر أن يحْظى بحاجته ... ومُدْمِنِ القرْعِ للأبواب أن يلجا

فاطْلُبْ لرجلك قبل الخطْو موْضعها ... فمنْ علا زلقاً عن غِرَّة زلجا(٦)

ولا يغُرَّنْك صفْوٌ أنت شارِبُه ... فربَّما كان بالتكدير مُمتزجا

لا يُنْتِجُ النّاسُ إلا من لقاحِهِمُ ... يبدو لِقاحُ الفتى يوماً إذا نُتِجا(٧) (٤١/١٤)

---

(١) سرايا: جمع سريّة، وهي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس إلى ثمانية أو أربعمائة.

(٢) المقصود بعمّه إبراهيم بن المهدي، وخبره هو خروجه على المأمون.

(٣) رتج الباب وأرتجه: أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وارتج: استغلق.

(٤) الروحات: جمع روحة وهي المرّة من الرواح، والدُّلج: جمع دُلجة وهي: السّير من أول الليل، واللجج جمع لجّة، وهي معظم الماء.

(٥) فلج: ظفر وفاز. (٦) علا زلقا: أي مكاناً زَلقا، والغِرّة: الغفلة، وزلج: زلّ وزلق.

(٧) يقال: نُتجت الناقة: إذا ولدت، فإذا وليها الإنسان حتّى تضع قيل نتجها نتجاً، واللقاح: اسم ماء الفحل من الإبل والخيل.

(١٦٦)

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الخليل بن أسدٍ قال: سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول: بعث إليَّ فلانٌ الطّاهريّ - وكنت قد هجوته فأفرطتُ - بألف دينار وثياب، وقال: أمّا ما قد مضى فلا سبيلَ إلى ردّه، ولكن أحبُّ ألا تزيدَ عليه شيئاً. فبعثت إليه بالألف الدينار والثياب، وكتبتُ:

لا ألبس النعماء من رجلٍ ... ألبستَه عاراً على الدَّهْرِ (١٤/٩٢)

(١٦٧)

أخبرني ابن عمّار العنزيّ قال: كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه، وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً، منه قوله:

عـــدُوّاكَ المكارمُ والكرامُ ... وخِـلُّك دونَ خلّتِكَ اللِّئـــامُ(١)
ونفسُك نفسُ كلبٍ عند زَوْرٍ ... وعُقْبي زائرِ الكلبِ التِـدامُ(٢)
تهرُّ على الجليس بلا احترامٍ ... لتحشِـمَه إذا حضر الطّعام(٣)
إذا مـا كـانت الهِممُ المعـالي ... فـهِـمَّـتُك مـا يكـون بـه الملامُ
قَبُحْتَ ولا سـقـاك الله غـيـثـاً ... وجـانبك التـحـيّـةُ والسـلامُ

قال: فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه:

مـوضـعُ أسـرارك المُريبُ ... وحـشْـوُ أثوابك العُيـوبُ
وتمنع الضيف فضلَ زادٍ ... ورحلُك الواسعُ الخصيبُ(٤)
يا جـامـعـاً مـانعـاً بخـيـلاً ... ليس لـه في العُلا نصيبُ
أبالرُّشا يُستمالُ مثلي؟ ... كلاَّ! ومَـنْ عـنده الغُيوبُ(٥)
لا أرتـدي حُـلّـةً لِـئـيمٍ ... بوجـهـه من يدي نُدوبُ(٦)

---

(١) الخلّة: الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع. (٢) الزور: الزائر، والالتدام في الأصل: ضرب النساء صدورهنّ ووجوههنّ في النياحة. (٣) هرير الكلب: صوته، وهو دون النباح، وأحشمه: أخجله.
(٤) الفضل: البقية، والرّحل هنا: منزل الرجل ومسكنه وبيته. (٥) الرُّشا: الرشوة والجُعل.
(٦) ندوب: جمع ندبة، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد.

وبين جنبيه لي كُلُومٌ ... دامية مالها طبيبُ
ما كنتُ في موضعِ الهدايا ... منكَ، ولا شعْبُنا قريبُ
أنّى وقد نشْتِ المكاوي ... عن سمةٍ شأنُها عجيبُ(١)
وسار بالذَّمِّ فيك شِعْري ... وقيل لي مُحسنٌ مُصيبُ
مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ... ولا أرى أكْلَه يطيبُ
حسْبُك من مُوجزٍ بليغ ... يبْلُغُ ما يبلُغُ الخطيبُ (٩٥/١٤)

(١٦٨)

حدّثني حبيب بن نصر المهلّبي قال: حدثنا علي بن محمد بن سليمان النَّوْفليُّ قال: كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي نُؤيْب من التُّتار، وكان مقْصدَ الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بذُّة،(٢) وهيئة رثّة، ولم يعرفْه نفْسه، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر، وأبو نؤيب يتكلّم متحققا بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم - وقد دخل عليه يوماً - عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاحَ جهله، فردَّ عليه جواباً مُحالاً كالمستصغر له وازدراه، فوثب عن مجلسه مُغْضباً. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بنفْسك وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرّضتَ؟ قال: ومنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهليّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافياً حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبل له رفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب إليه بعد أن افترقا:

أخْطأ وردٌ عليَّ غيرَ جوابي ... وزرى عليَّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عجبٍ لذاك فزادني ... فيما كرهتُ بظنِّه المُرتابُ
وقضى عليَّ لظاهرٍ من كُسْوةٍ ... لم يدْرِ ما اشتملتْ عليه ثيابي
مِنْ عِفّةٍ وتكرُّمٍ وتحمُّلٍ ... وتجلُّدٍ لمصيبةٍ وعقابِ
وإذا الزمان جنى عليَّ وجدتني ... عُوداً لبعض صفائح الأقتابِ(٣)
ولئن سألت ليُخْبرنّك عالمٌ ... أنّي بحيثُ أحبُّ من آدابِ
وإذا نبا بي منزلٌ خلّيْتُه ... قفْراً مجالَ ثعالبٍ وذئابِ(٤)
وأكون مُشْترك الغِنى مُتبذّلاً ... فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي

---

(١) نشْت: سُمع لها صوت عند الكيّ. (٢) بذّة: رثّة اللبسة.

(٣) الأقتاب جمع قتب، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، وصفائح الأقتاب: ألواحها، يريد أنّه صلب ثابت. (٤) نبا به منزله: لم يوافقه. وقفراً: خالياً.

لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ لمّا نُسِبْتُ وخاف مضَّ عتابي(١)
فأقلتُه لمّا أقرَّ بذنبه ليس الكريمُ على الكريم بنابِ (٩٩/١٤)

(١٦٩)

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن عليٍّ بن يحيى أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال: كنت مقيماً بالجبل فمرَّ بي أبو الأسد الشاعر الشَّيْباني، فأنزلته عندي أياماً، وسألته عن خبره فقال: صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف. فما احتبسني ولابرْني ولا عرض عليَّ المقام عنده، وقد حضرْني فيه أبيات فاكتبْها. ثم أنشدني:

إنّي مررتُ بشاهينٍ وقد نفحتْ ريحُ العشيِّ وبردُ الثَّلجِ يُؤذيني
فما وقى عِرْضَهُ منّي بكُسْوتِه لا بل ولا حسبٍ دانٍ ولا دينِ
إن لم يكن لَبَنُ الدَّاياتِ غيَّره عن طبع أبائه الشُّمِّ العرانين(٢)
فربَّما غاب بعلٌ عن حليلته فناكها بعضُ سُوَّاسِ البراذين
وما تحرَّك أيرٌ فامتلا شبقاً إلا تحرَّك عرْقٌ في أسْت شاهين

ثم قال: لأمزّقنّه كلَّ مُمزَّقٍ، ولأصيرنَّ إلى أبي دُلفَ فلأنشدنّه. ومضى من فوْره يريد أبا دُلَف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ فشقَّ عليه وغمّه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصّته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هبْه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه. (١٤١/١٤)

(١٧٠)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ـ وكان علي بن سليمان استأذن أبا نواس في الشعر ـ فأنشده علي بن الخليل:

يا خيرَ من وخدَتْ بأرحُلِه نُجُبٌ تَخُبُّ بمهْمهٍ جلْسِ(٣)
تطوي السباسبَ في أزمَّتها طيَّ التُّجار عمائمَ البُرْسِ(٤)

---

(١) مضَّ عتابي: حرقته وإيلامه. (٢) الدَّايات: جمع داية وهي الجارية المرضعة.
(٣) وخدت: أسرعت، ونُجُب: جمع نجيب، وهو وصف للناقة الخفيفة السريعة، والمَهْمَه: البلد القَفْر. والجَلْس: الغليظ من الأرض.
(٤) السباسب: تجمع سَبْسَب: وهي الفلاة، والتُّجار: جمع تَجْر، وتجر: جمع تاجر: والبُرس: القطن.

لما رأتك الشمسُ إذ طلعتْ ... كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمس
خير البرية أنت كلُّهمُ ... في يومك الغادي وفي أمس
وكذلك لن تنفكَّ خيرُهُم ... تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
لله ما هرون من ملكٍ ... برَّ السريرة طاهرِ النفس
ملك عليه لربِّه نِعَمٌ ... تزداد جِدَّتُها على اللُّبس
تحكي خلافتُه بهجتها ... أنقَ السرور صبيحةَ العُرْس(١)
من عترةٍ طابت أرومتُهمْ ... أهلِ العَفافِ ومنتهى القُدس(٢)
نُطُقٍ إذا احتُضرت مجالسُهم ... وعن السفاهة والخنا خُرس
إني إليك لجأتُ من هربٍ ... قد كان شرَّدني ومن لبس(٣)
واخترتُ حكمك لا أجاوزُه ... حتى أوسَّدَ في ثرى رمْسي
لما استخرتُ الله في مهلٍ ... يمَّمتُ نحوكَ رحلةَ العَنْسِ(٤)
كم قد قطعتُ إليك مُدْرِعاً ... ليلاً بهيمَ اللَّون كالنِّقس(٥)
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ ... كان التوكّل عنده تُرسي
ما ذاك إلا أنني رجل ... أصبو إلى بقر من الإنس
بقرٍ أوانسَ لا قُرونَ لها ... نُجْلِ العيون نواعمٍ لُعْس(٦)
ردْعُ العبير على ترائبها ... يُقبلن بالترحيب والخلس(٧)
وأشاهد الفتيان بينهمُ ... صفراءُ عند المزْج كالورْس(٨)
للماء في حافاتها حببٌ ... نُظُم كرقْم صحائف الفُرس(٩)
والله يعلم في بقيَّته ... ما إن أضعتُ إقامة الخمْس(١٠)

---

(١) الأنق: الفرح والسرور. (٢) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون، والأرومة: الأصل.

(٣) اللبس: الاشتباه والالتباس. (٤) العَنْس: الناقة الصلبة.

(٥) ادْرع: لبس الدرع، والمعنى: لابساً الليل كأنّه درع، والبهيم: الأسود، والنِّقس: المداد.

(٦) نُجْل: جمع بخلاء، والنَّجَل: سعة العين، ولعس: جمع لعساء، وصف من اللَّعس، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء.

(٧) العبير: أخلاط من الطيب، والردع: أثر الطيب في الجسد، والترائب: ما ولى الترقوتين، واحدتها تربية، والخلس: النظر خلسة.

(٨) الورس: صبغ أصفر. (٩) الحَبَب: الفقاقيع التي تطفو فوق الخمر.

(١٠) بقية الله: طاعته وانتظار ثوابه.

فأطلقه الرشيد، وقتل صالح بن عبد القدوس، واحتج عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله(١):

والشّيخ لا يترك أخلاقــه حتى يُوارى في ثرى رمسِهِ

وقال: إنما زعمت ألاّ نتركَ الزندقة ولا تحول عنها أبداً. (١٧٥/١٤)

(١٧١)

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني محمد بنُ عمران الضبيّ عن عليّ بن يزيد قال، ولد ليزيد بن مزْيد ابن، فأتاهُ عليّ بنُ الخليل فقال: اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال: هات، فأنشده:

يزيدُ يابن الصِّيد مــن وائلٍ أهلِ الرياسـات وأهلِ المعـال
يا خـيـر من أنجـبـه والد ليـهنك الفـارسُ ليث النزالْ
جـاءت بـه غـرّاءُ ميمـونـة والسعد يبدو في طلوع الهلالْ
عليـه مـن معْـن ومـن وائـلٍ سميا تباشيرٍ وسميا جلال(٢)
والله يُبـقـيـه لنـا سـيّدا مـدافـعـا عنّا صُروف الليـالْ
حـتى نراه قـد عـلا منبـرا وفـاض في سـؤّالـه بالنـوال
وسـدّ ثغْـراً فكفـى شـرّه وقـارع الأبطال تحت العـوالْ(٣)
كمـا كـفـانا ذاك آبـاؤه فـيحتذى أفـعالَهمْ عن مـثال

فأمر له عن كل بيت ألف دينار(٤). (١٨٠/١٤)

(١٧٢)

فذكر لي عمّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّ أبا الشبل لما مدح المتوكل بقوله:

أقبلي فالخيرُ مقبلْ واتركـي قولَ المعلِّلْ
وثقي بالنُّجح إذ أبـ ـصرت وجه المتوكّل

---

(١) أصبح الشعر في حالة صالح بن عبد القدوس وثيقة أدين بها، وأدّتْ هذه الإدانة إلى القتل.

(٢) سميا: العلامة.

(٣) الثغر: موضع المخافة من البلدان، إذ يكون على حدود بلاد العدو، والعوالي: رؤوس الرماح.

(٤) تطالعنا هنا أيضاً ظاهرة إعطاء الشاعر لكل بيت من قصيدته على حِدة، وهي منتشرة عند الخلفاء وغيرهم، و وسنراها في النصّ القادم مع الخليفة المتوكّل.

ملكٌ يُنصف ياظلـا ... لمتي فـيكِ ويعـدلْ
فـهُو الغـايةُ والمـأ ... مـول يرجـوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتاً، فانصرف بثلاثين ألف درهم. (١٩٣/١٤)

(١٧٣)

حدّثنا الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثني أبو الشبل البرجمي قال: حضرتُ مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إليّ محسنا، وعليّ مُفْضلا، فجرى ذكرُ البرامكة، فوصفهم الناس بالجود، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا، فقمتُ في وسط المجلس، فقلت لعبيد الله: أيها الوزير، إني قد حكمت في هذا الخطب حكماً نظمته في بيْتي شعرٍ لا يقدر أحد أن يردّه عليّ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى(١)، فيأذن الوزير في إنشادهما قال: قل، فربُّ صوابٍ قد قلته، فقلت:

رأيتُ عبيدَ الله أفضلَ سُؤدداً ... وأكرم من فضلٍ ويحيى بن خالد
أولئك جادوا والزّمانُ مساعدٌ ... وقد جاد ذا والدهرُ غيرُ مساعدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال: أفرطتَ أبا الشِّبْل، ولا كلُّ هذا، فقلت: والله ما حابيْتُك أيها الوزير، ولا قلتُ إلاّ حقّاً، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع، وتحتي دابة(٢) بسَرْجه ولجامه، وبين يديّ خمسة آلافِ درهم. (١٩٨/١٤)

(١٧٤)

قال أبو نؤاس: وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسبُه إلى أنّه ابن نهْيا:

يابن نهْيا رأسٌ عليّ ثقيـلٌ ... واحتمالُ الرءوس خطْبٌ جليلُ
ادْع غيري إلى عبادة الأثْنيْـ ... ـنِ فإنّي بواحـدٍ مشغولُ
يابن نهْيا برئتُ منك إلى اللّـ ... ـه جهـرا، وذاك منّي قليـل

قال: فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال: أشاط ابنُ الزانية

(١) ما تزال تلك النظرة إلى الشعر من حيث شيوعه وخلوده، باقية، ماثلة في الأذهان، فهو أقدر على الانتشار، وحفظ المأثر من النثر، وقد أشرنا إلى هذا في مقدّمة هذه القضية.

(٢) تُطلق الدّابة على الذكر والأنثى.

بدمي(١)، والله ما قلت إلاَّ «فإنِّي بواحد مشغول» فغيَّرها حتى شهرني في الناس (بما يهلكني).
(٣٢٥/١٤)

(١٧٥)

أخبرني محمد بنُ العبَّاس اليزيديّ قال: حدَّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنَّ مُجاشِعَ بن مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيٌّ حينئذ ليرتفع بهجائه حمّاداً(٢)، فتركَ حمّادا وشبَّب بأمِّه، فقال:

راعتكَ أمُّ مُجاشـــع بالصدِّ بعد وصالها(٣)
واستبدلتْ بكَ والبلا ءُ عليكَ في استبدالها
جِنِّيَّةٌ مِـــن برْبـرٍ مشـهـورةٌ بجـمـالها
فحرامُها أشهى لنا ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حمّاد بصلة، وسأله الصفحَ عن أخيه، ونال أخاه بكلِّ مكروه، وقال له: ثكلتْك أمُّك، أتتعرَّض لحمّاد وهو يُناقف(٤) بشّاراً ويقاومهُ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر، ولئن تعرَّضت له ليهتِكنَّك وسائر أهلك، وليفضحنّا فضيحةً لا نغسلُها أبدا عنّا.
(٣٤٩/١٤)

(١٧٦)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال: حدَّثني ابن أبي فنن قال: حدَّثني العتّابي، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال: قال العتّابي: وحديث ابن أبي طاهر أتمُّ، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حُشيش وكانت أمُّه حارثيَّة، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثبه، وتهاون به، فقال يهجوه:

يا لقـــومـــي للبـــلاءِ ومـــعـــاريض الشُّقـــاءِ

---

(١) أشاط دمه وبدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه.
(٢) كان بعض الشعراء المبتدئين، ممَّن لايزالون يتعاطون القرزمة، يتعرَّضون لكبار شعراء زمانهم، وخاصة بالهجاء، وذلك كي تذيع أسماؤهم حين يردُّ الشاعر المعروف عليهم. وغالباً ما كان كبار الشعراء يهملون المبتدئين استصغاراً لشأنهم، ينظر حول هذا الموضوع، العمدة (١٠٩/١). (٣) راعته: أفزعته.
(٤) المناقفة والنقاف: المضاربة بالسيوف على الرؤوس، وأراد بها أنَّه يقف أمام بشّار، وهو مَنْ هو، كَبُرَ محلٌّ في الشعر، ويجالده، فكأنّ ما بين بشار وحمّاد مثل الضرب بالسيف من شدَّة وَقْع الهجاء.

قـــســـمَتْ ألويةٌ بيـ ـنَ رجـــالٍ ونســـاءِ
ظفـرتْ أخْت بني الحا رث مـنهـــا بلـــواء
حادثٌ في الأرض يرتا عُ لـه أهـلُ الســماء

قال: فعُرضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش، فقال: أهو الذي يقول فيه الشاعر:

يا لقـومي للبـلاء ومعاريض الشقاءِ؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعملْه(١). (٣٥٩/١٤)

(١٧٧)

أخبرني محمد قال: حدّثنا الفضل بنُ الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمان المازنيّ قال: قال حمّاد عجردٍ يشبّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس:

ألا من لقلبٍ مسـتهام معذّب بحبِّ غزالٍ في الحجال مُربّبِ(٢)
يراه فـلا يسطيع ردّاً لطَرْفه إليـه حـذارَ الكاشح المتـرقّب
ولـولا مليكٌ نافـذٌ فيه حُكمـهُ لأدْنى وصـالاً ذاهبا كلَّ مـذهبِ
تغبرّتُ خِلْف اللّهو بعد صِراوةٍ فبحتُ بما ألقاه من حبِّ زينبِ(٣)

قال: فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان، فنذر دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد. (٣٧٥/١٤)

(١٧٨)

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرفيّ قالا: حدثنا الحسنُ بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني علي بنُ الصبّاح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حمّاد عجردٍ

---

(١) يبيّن هذا النصّ بجلاء، عُمْقَ نفاذ الشعر في قلب المجتمع، وتغلغله فيه، خاصة حين يكون الخليفة راويةً للشعر، حافظاً له، فنراه يصل إلى تولية العمّال أو عَزْلهم، ويصبح مقياساً لجودة الناس أو رداءتهم، فلو كان في هذا الرجل خير ما تعرّض له الشاعر، أو لم يدع الشاعر يتعرّض له بالهجاء، فهو - مثلما يرى المنصور - لم يستطع التعامل مع الشاعر. فكيف يسوس ولايةً، أو يدير عملاً.

(٢) الحجال: جمع حجلة، وهي موضع يزيّن بالثياب والستور للعروس. ومربّب: مربّى.

(٣) تغبر الناقة: احتلب غيرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة، والخلف: حلمة الضرع، والصرار: ما يُشدّ فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها.

بسبب نسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس، فلما هلك محمّد جدُّ ابنُ سليمانَ في طلبه، وخافه حمّاد خوفاً شديداً، فكتب إليه:

يـابن عـمِّ النبيِّ وابنِ النّبيِّ ... لعلـيٌّ إذا انتـمى وعلـيِّ
أنت بدرُ الدُّجى المُضيءُ إذا أظـ ... ـلمَ واسـودَّ كـلُّ بـدرٍ مُضيِّ
وحَيَا الناسِ في المحـول إذا لم ... يُجْدِ غـيثُ الربيع والوسـميِّ(١)
إنَّ مـولاكَ قـد أسـاء ومـن أعـ ... ـتَبَ من ذنبـه فـغـيـر مُسيِّ
ثم قد جاء تائباً فـاقبل التو ... ـبـة منه يابـن الوصيِّ الرضيِّ(٢)

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلُنّ قبر أبي من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرْضى أو تهجو محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه:

قل لوجه الخصيِّ ذي العار إنّي ... سـوف أهـدي لزينبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخو ... ف وأنكـرتُ صـاحبيَّ نهـارا
وظننتُ القبورَ تمنعَ جـارا ... فاستجرت الترابَ والأحجارا
كنتُ عند استـجارتي بأبي أيّـ ... ـوبَ أبغي ضـلالـةً وخسـارا
لم يُجرني ولم أجد فـيـه حظّاً ... أضـرم اللـهُ ذلك القـبـرَ نارا

قال: وقال فيه:

له حزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ ... وغلّمَـةُ سِـنَّوْرٍ بليْـل تُولـولُ(٣)

وقال فيه يهجوه:

يابنَ سليمانَ يا محمّـدُ يا ... من يشتري المكرماتُ بالسِّمَنِ
إنْ فـخرتْ هاشمٌ بمكرُمةٍ ... فـخرتَ بـالشّحم منكَ والعُكَنِ(٤)
لـؤمـكَ بادٍ لمـن يراك إذا ... أقبلتَ في العارضينَ والدُّقَنِ
ليتك إذا كنتَ ضيِّقـا نكرا ... لـم تَدْعَ من هاشمٍ ولم تَكُن

---

(١) الحيا: المطر، والمحول: جمع مَحْل وهو الجدب. والوسميّ: مطر الربيع الأول لأنّه يسم الأرض بالنبات.

(٢) الوصيّ الرضيّ: هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

(٣) السِنّور: الهرُّ، ينظر لسان العرب (٤/٣٨١) وقد تحدّث عنه الجاحظ كثيراً في الحيوان. ينظر مثلاً (٥/٣٣٦) وما بعدها. وتولول: تُعول وتصيح.

(٤) العُكَن: لحم البطن المتثنّي من السِّمَن.

جدَّاك جدَّان لم تُعب بهما لكنّما العيبُ منك في البدن

قال: فبلغ هجاؤه محمد بنَ سليمان فقال: والله لا يُفلتني أبداً، وإنما يزداد حتْفا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً(١). (٣٧٨/١٤)

(١٧٩)

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسن بن علي الرازي قال حدّثني أحمد بن أبي فنن قال: كنّا عند ابن الأعرابي فذكر قول يحيى بن نوفل في عبد الملك بن عمير القاضي:

إذا كلّمتْه ذاتُ دلٍّ لحاجةٍ فهمَّ بأن يقضي تنحنح أو سعَلْ

وأن عبد الملك بن سلمان بن عمير قال: تركني والله وإنَّ السُّعلة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله فأتركها. قال: فقلت له: هذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية:

فصُغْ ما كنت حلَّيتَ به سيفك خلخالا
وما تصنعُ بالسيف إذا لم تكُ قتّالا

قال: فقال عبد الله: ما لبست السيفَ قطُّ فلمحني إنسانٌ إلا قلت إنّه يحفظ شعر أبي العتاهية فيّ، فينظر إليَّ بسببه، فقال ابن الأعرابيّ: أعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه! وكان أبو العتاهية من موالي بني شيبان (٢٧٩/١٥)

(١٨٠)

ورُوي هذا الخبر عن مصعب الزبيري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان آدمُ بن عبد العزيز يشرب الخمر ويُفرط في المجون، وكان شاعراً، فأخذه المهديُّ فضربه ثمانمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة، فقال: والله ما أشركتُ بالله طرفة عين، ومتى رأيتَ قرشيّاً تزندق؟ قال: فأين قولك:

اسقني واسق غُصينا لا تبِعْ بالنقد دينا
اسقنيها مُزَّة الطعـ ـم تُريك الشَّينَ زينا

قال: فقال لئن كنتَ ذاكَ فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة. قال: فأينَ قولك:

---

(١) اختلفت الروايات في سبب موت حمّاد، ولكنْ واحدة منها تشير أنَّ محمد بن سليمان ظلَّ يلاحقه حتى ظفر به في الأهواز، فأرسل مولى له هناك فقتله. وإن صحّت هذه الرواية، فيكون حمّاد أحد الشعراء الذين قتلهم شعرهم.

اسقني واسقِ خليلي في مدى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباءَ صِرفاً سُبيت من نهر بيل(١)
لونُها أصفرُ صافٍ وهي كالمسك الفتيلِ(٢)
في لسان المرء منها مثلُ طعم الزنجبيل
ريحها ينفح منها ساطعاً من رأس ميل
من ينلْ منها ثلاثاً ينْسَ منهاجَ السبيل
فمتى ما نال خمساً تركتْه كالقتيل
ليس يدري حينَ ذاكمْ ما دبير من قبيل
إنْ سمعي عن كلام الـ ـلائمي فيها الثقيل
لشديدُ الوقْر، إنّي غيرُ مطواعٍ ذليلِ
قلْ لمن يلحاك فيها مِن فقيهٍ أو نبيل
أنتَ دعها وارجُ أخرى من رحيق السلسبيل
نعطش اليومَ ونسقي في غدٍ نعتَ الطلول

فقال: كنت فتيّ من فتيان قريش، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون، والله ما كفرتُ بالله قطُّ، ولا شككتُ فيه. فخلّى سبيله ورقَّ له. (٢٨٧/١٥)

(١٨١)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، والحسن بن عليّ، ويحيى بن عليّ، قالوا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثنا أحمد بن عبد الله بن عليّ، قال: حدّثني أبي: أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتُكَ إذ لم يبقَ غيرك جابر ولا واهب يعطي اللُّها والرغائبا(٣)

---

(١) نهر بيل: يقول ياقوت في معجم البلدان (٣١٨/٥)، «نهر بيل: لغة في نهر بين: طسوج من سواد بغداد متّصل بنهر بوق» ثمّ يسوق أبيات أدم تلك.

(٢) الفتيل: المفتول. ومن المفيد أن نذكر هنا أنّ صاحب اللسان يورد هذا البيت في (٥١٤/١١)، وينقل تعليق أبي حنيفة وهو: «ويروى كالمسك الفتيت، قال: وهو كالفتيل: قال أبو الحسن: وهذا يدلّ على أنّه شعر غير معروف إذ لو كان معروفاً لما اختلف في قافيته، فتفهمْه جداً».

(٣) اللُّها: جمع لهوة، وهي العطية، دراهم أو غيرها.

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن توسِعة أخي بني تيم الله بن ثعلبة، في مسمع بن مالك:

قَلَّدَتْه عُـرا الأمـورِ نِزار ... قبل أن تهلك السراةُ البحورُ(١)

قال: وأوّل هذا الشعر:

اظعني من هراة قد مر فيها ... حجـج مذ سكنتِها وشـهور(٢)

اظعني نحـو مسـمع تجـديهِ ... نعم نو المُثنى ونعم المزور(٣)

سوف يكفيك إن نَبَتْ بك أرض ... بخراسـان أو جـفاك أمـير

من بني الحصن عاملِ بن بريح ... لا قليـلُ النـدى ولا مـنزور

والـذي يفـزع الكمـاة إليـه ... حين تدمى من الطعان النحور

فـاصطنع يابن مـالك آل بكرٍ ... واجـبرِ العظم إنه مكسـور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها، وأوّلها:

حديث ريـا حبُّذا إدلالُها
تَسأل عن حالي وماسؤالها
عن امرئ قد شفَّه خيالها
وهي شفاء النفسِ لو تنالها

يقول فيها يمدحه:

سلُّ سيوفا محدثا صقالُها
صاب على أعدائه وبالها(٤)
وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها، وأجزل صلته. (١٨/١٦)

(١٨٢)

أخبرني يحيى بن عليّ، عن علي بن يحيى إجازة، وحدّثنا الحسن بن عليَ قال: حدّثنا محمد بن القاسم، عن عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني إسحاق بن عيسى بن موسى بن مجمع، أحد بني سوار بن الحارث الأسديَ، قال: أخبرني جدّي موسى بن مجمع، قال: قال الحسين

---

(١) السراة: أعالي الناس وأشرافهم، واحدهم سريَ، وجمعهم بحوراً لكرمهم وجُودهم.

(٢) هراة: مدينة عظيمة من مدن خراسان.

(٣) نو المثنى: أي الممدوح نِعْم الرجل يثنّي عنه قاصده بخير كثير. (٤) صاب: انصبَّ في غزارة.

بن مطير في المهدي قصيدته التي يقول فيها:

إليك أمير المؤمنين تعسفتْ بنا البيدَ هوجاءُ النُّجاء خبوب(١)
ولو لم يكن قدامها ما تقانفت جبال بها مغبرة وسُهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب
علا خلْقُه خلق الرجال وخلّقه إذا ضاقَ أخلاق الرجال رحيب
إذا شاهد القوّاد سار أمامهم جريء على ما يتقون وثوب(٢)
وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة بها يقهر الأعداء حين يغيب
يعف ويستحي إذا كان خاليا كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهديّ أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد. (٢٢/١٦)

(١٨٣)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحق بن عيسى، قال: دخل الحسين بن مُطير على المهدي، فأنشده قوله:

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم ما كان في الناس إلا أنت معبود
أضحت يمينك من جودٍ مصوّرة لا بل يمينك منها صُوِّر الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة في السود طرا إذن لابيضت السود

فأمر له لكل بيت ألف درهم. (٢٣/١٦)

(١٨٤)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي عن أبي عكرمة، قال: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن موسى، عن إسماعيل بن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني.

أنه لما دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصُلب، اجتاز به الرُّقاشيّ الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكي أحرَّ بكاء، ثم أنشأ يقول:

---

(١) تعسّفت: من العسف. وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادّة، والهوجاء من الإبل: الناقة المسرعة، والنجاء: الإسراع، وخبوب: صيغة مبالغة من الخبب، وهو ضرب من عدو الإبل.

(٢) أي هو وقادته في المعركة، لا يهاب الموت.

أمـــا والله لـــولا خـــوف واشٍ وعـــين للخليـــفـــة لا تنـــامُ
لطُفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى حساما قدَّهُ السيفُ الحسام(١)
على اللذات والدنيا جميعا ودولـــة آلِ برمـــكٍ السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إليّ محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت(٢). قال: وكم كان يُجْري عليك؟ قال: ألفَ دينار في كل سنة. قال: فإنّا قد أضعفناها لك. (٢٤٨/١٦)

(١٨٥)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال: امتدح ربيعة الرقيّ العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، بقصيدة لم يُسبق إليها حُسْنا، وهي طويلة يقول فيها:

لو قيل للعباس يابن محمدٍ قل: (لا) وأنت مخلَّدٌ ما قالها
ما إن أعُدُّ من المكارم خَصْلةً إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حللت براحتيك عقالها

قال: فبعث إليه بدينارين، وكان يقدّر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجنُّ غيظا، وقال للرسول: خذ الدينارين، فهما لك، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة، وأمر من كتب في ظهرها:

مدحتك مدحةَ السيفِ المُحلَّى لتجريَ في الكرام كما جريتُ

---

(١) قَدَّه: قطعه.

(٢) أحبَّ الفضلُ الرّقاشي البرامكة في حياتهم، وأخلص لهم بعد نكبتهم، وهذا الخبر واحد من أخبار كثيرة تواترت على إخلاصه لهم ووفائه، حتى قيل: «إنّ الرقاشي الشاعر فني في حبّ البرامكة حتى خيف عليه». الأغاني (٢٤٨/١٦). ولم يكن الرشيد ليغيبَ عنه ذلك الأمر، ولذلك نراه يأخذه أخذاً رفيقاً، ويكرمه، ولا شكّ أنّ الرقاشي يمثّل نمطاً من الشعراء يختلف عن ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق وهو يتلخص في أنّ الشاعر طالب فَضْل فحسب.

فهبها مدحةً ذهبت ضياعا كـذبتُ عليك فيهـا وافتريتُ
فـأنتَ المـرءُ ليس لـه وفـاءٌ كـأنّي إذ مـدحـتُك قـد رَثَيْتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها في الموضع الذي أخذتها منه، فردها الرسول في موضعها. فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده، يبجّله ويقدمه، وكان قَدْ هَمَّ أن يخطب إليه ابنته، فرأى الكراهة في وجهه، فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرُّقيّ. فأحضِر، فقال له الرشيد: ياماصُّ كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي، وأثر الخلق عندي، لقد هممت أن أضرب عنقك. فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، في أحد من الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء، وأكثرت في الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها.

فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه، وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة، فتلكأ عليه العباس ساعة، فقال له الرشيد: سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط، فأمر بإحضارها فأحضرت، فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها، فاستحسنها واستجادها، وأعجب بها، وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبرُّ. ثم قال للعباس: كم أثبتّه عليها؟ فسكت العباس وتغير لونه، وجرِض[1] بريقه، فقال ربيعة: أثابني عليها يا أمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس، فقال: بحياتي يارقيّ، كم أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين. ففضب الرشيد غضباً شديداً، ونظر في وجه العباس بن محمد، وقال: سوْءةٌ لك! أيةُ حال قعدتْ بك عن إثابته؟ أقلة المال؟ فوالله لقد مولّتك جُهدي؛ أم انقطاع المادة عنك؟ فوالله ما انقطعتْ عنك، أم أصلك؟ فهو الأصل لايدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، بل نفسك فعلتْ ذلك بك، حتى فضحتَ أباك وأجدادك، وفضحتني ونفسك[2]. فنكس العباس رأسه ولم ينطق. فقال الرشيد: يا غلام، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلْعة، واحمله على بغلة، فلما حُمل المال بين يديه، وألبس الخلعة، قال له الرشيد: بحياتي يارقيّ لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان همَّ به

---

(١) جَرِض بريقه: غصَّ ولم يستطع أن يبلع ريقه من الخوف، أو الخجل.

(٢) إنّ قولة الرشيد، وموقفه من عمّه، ومن الشاعر، يشير بوضوح إلى أنّ مكانة الشاعر ما تزال في محلّ عالٍ، بحيث يُخشى لسانه، ويُجْزل العطاء له، وقد رأينا أنّ الرشيد اعتبر صُنع عمّه فضيحة عمّتْ القاصي والداني، ولم يكن له من بُدٍّ إلاّ استدراكها بذلك الوجه الذي رأيناه.

أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح. (٢٥٦/١٦)

(١٨٦)

قال أحمد بن أبي طاهر: حدّثني أبو دعامة عليّ بن زيد بن عطاء الملْط قال: لما هجا ربيعة يزيدَ بن أسيد السُّلميّ، وكان جليلا عند المنصور والمهديّ، وفضَّل عليه يزيد بن حاتم، قلت لربيعة: يا أبا شبابة، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك، وفضلت عليه رجلا من الأزد؟ فقال: أخبرك. أملقتُ فلم يبق لي شيء إلاّ داري، فرهنتها على خمس مئة درهم، ورحلت إليه إلى أرمينية، فأعلمته ذلك ومدحته، وأقمت عنده حولا، فوهب لي خمس مئة درهم، فتحملت وصرت بها إلى منزلي، فلم يبق معي كبير شيء، فنزلت في دارٍ بكراء، فقلت: لو أتيت يزيد بن حاتم، ثم قلت: هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل، فكيف غيره؟ ثم حملت نفسي على أن أتيته، فأعلم بمكاني، فتركني شهراً حتى ضجرت، فأكريت نفسي من الحمالين، وكتبت بيتاً في رقعة وطرحتها في دهليزه، والبيت:

أراني ولا كفران للــه راجعــا بخُفَّيْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتم

فوقعت الرقعة في يد حاجبه، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمري، فبعث خلْفي، فلما دخلت عليه قال: هيه، أنشدني ماقلت. فتمنعت، فقال: والله لتُنْشدنّي. فأنشدته فقال: واللّه لا ترجع كذلك، ثم قال: انزعوا خفيه، فنُزعا فحشامادنانير، وأمر لي بغلمان وجوار وكُسا، أفلا ترى لي أن أمدح هذا وأهجو ذاك! قلت: بلى والله. ثم قال: وسار شعري حتى بلغ المهديّ فكان سبب دخولي إليه. (٢٦٢/١٦)

(١٨٧)

أخبرني الصُّولي قال: حدّثنا الحسن بن وداع كاتب الحسن بن رجاء قال: حضرت أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده:

أسْقى ديارَهُم أجشُّ هزيمُ وغدتْ عليهـمْ نضـرةٌ ونعيمُ(١)

قال: فلما فرغ أمر له بألفِ دينار، وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا عنده يومنا، فلما كان من غد كتب إليه أبو تمام:

قد كسانا من كُسوةِ الصيف خِرْقٌ مكتسٍ من مكـارم ومســـاعِ(٢)

(١) الأجشّ: من السحاب، الشديد الصوت، ينظر اللسان (٢٧٤/٦)، وهزيم: أي ذو رعد وصوت. يدعو لهم بالمطر والسقيا. (٢) خِرق: سخيّ.

حُلَّةٌ سابريَّةٌ ورداءٌ كسحا القيض أو رداءِ الشُّجاع(١)
كالسُّراب الرَّقْراق في الحسن إلا أنه ليس مثله في الخداع(٢)
قصبيّاً تسترجفُ الريحُ متنيـ ـه بأمرٍ من الهُبوب مطاع(٣)
رجفانا كأنه الدهرَ منه كبدُ الضَّبِّ أو حشا المرْتاع
لازماً ما يليه تحسبه جزْ ما من المَتْنَيْنِ والأضلاع(٤)
يطردُ اليومَ ذا الهجير ولو شبَّـ ـهَ في حرِّه بيوم الوداع
خلعةٌ من أغرَّ أروعَ رحْب الصـ ـدر رحب الفؤاد رحْب الذراع(٥)
سوف أكسوك ما يُعفّي عليها من ثناء كالبُرد بُرْدِ الصُّناعِ(٦)
حسن هاتيكَ في العيون وهذا حسنه في القُلوبِ والأسماع

فقال محمد بن الهيثم: ومن لا يُعْطي على هذا مُلكه؟ والله لا بقي في داري ثوب إلا دفعتُه إلى أبي تمام، فأمر له بكل ثوب كان يملكه في ذلك الوقت. (٣٩٣/١٦)

(١٨٨)

أخبرني محمد قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال: ماكان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه. (٣٨٨/١٦)

(١٨٩)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني إسحاق بن يحيى الكاتب قال: قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد: بلغني أنك أعطيتَ أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألفَ دينار. قال: لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم:

---

(١) السابريّة من الثياب: الرقيقة من النسج الجيدة، وسحا البيض: قشر البيض الذي تحت القشرة الصلبة، والشّجاع: الحيّة.

(٢) الرقراق: المتلألئ. (٣) القصبيّ من الثياب: الرقيق الناعم من الكتّان، وتسترجف: تحرك.

(٤) المتنان: ما يجاور العمود الفقري من يمينه وشماله.

(٥) الأغرّ: الأبيض الوجه، يريد أنّه سيّد شريف كريم الفعال، والأروع: الشهم الذكي.

(٦) يعفّي عليها: يفوقها في القيمة، والصُّناع: المرأة الحاذقة في العمل بيديها.

فاشدُد بهارونَ الخلافة إنه سكنٌ لوحشتها ودارُ قرار
ولقد علمت بأن ذلك مِعْصمٌ ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال: إنه لحقيق بذلك. (٣٩٠/١٦)

(١٩٠)

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال: خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مزْيد وهو بأرْمينية، فامتدحه، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره، وقال: تكون العشرة آلالافِ موفورة، فإن أردتَ الشخوص فاعجل، وإن أردت المُقام عندنا فلك الحباء والبرّ. قال: بل أشخص. فودّعه؛ ومضت أيام، وركب خالد يتصيد، فرآه تحت شجرة، وبين يديه زُكرة(١) فيها شراب، وغلام يغنيه بالطُّنبور. فقال: أبو تمام؟ قال: خادمك وعبدك. قال: مافعل المال؟ فقال:

علّمني جودُك السماحَ فما أبقيت شيئاً لديّ من صلتكْ
ما مرُّ شهر حتى سمحتُ به كأنَّ لي قدرةً كمقدرتك
تُنفق في اليوم بالهبات وفي السـ ـاعة ما تجتنيه في سنتك
فلستُ أدري من أين تنفق لو لا أن ربي يمُدُّ في مدتك

فأمر له بعشرة أخرى، فأخذها وخرج. (٣٩١/١٦)

(١٩١)

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي الفضل قال: لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان، أقبل الشتاء وهو هناك، فاستثقل البلد، وقد كان عبد الله وجد عليه، وأبطأ بجائزته، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمْسسها بيده، ترفعا عنها، فأغضبه وقال: يحتقر فعلي، ويترفع عليّ. فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت، فقال أبو تمام:

لم يبق للصيف لا رسمٌ ولا طلَلُ ولا قشيبٌ فيُسْتكْسى ولا سملُ(٢)
عدلٌ من الدمع أن يُبْكى المصيفُ كما يُبكى الشبابُ، ويُبْكى اللهوُ والغزلُ
يُمْنى الزمانِ انقضى معروفُها وغدتْ يُسْراه وهي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل عبد الله بن طاهر، فأتى أبا تمام، واعتذر إليه لعبد الله

---

(١) زُكرة: وعاء من جلد للخمر.

(٢) القشيب: الجديد من الثياب، والسمل: البالي.

بن طاهر، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله، وتضمّن له ما يُحبه. ثم دخل إلى عبد الله، فقال: أيها الأمير، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره، والإحسان في شعره، والشائع من ذكره، لكان الخوف من شرّه، والتوقّي لذمه، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته(١)، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن، وفراقه السَّكَن، وقد قصدك عاقدا بك أمله، مُعملا إليك ركابه، متعبا فيك فكره وجسمه، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقه، حتى ينصرف راضياً! ولو لم يأت بفائدة، ولا سُمع فيك منه ما سُمِع إلا قوله:

تقولُ في قُومسٍ صحبي وقد أخذتْ ... منا السُّرى وخطا المهريَّة القُودِ(٢)

أمُطلعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا ... فقلت كلاّ ولكن مطلع الجودِ

فقال له عبد الله: لقد نبُهْتَ فأحسنت، وشفعت فلطُفْت، وعاتبت فأوْجعت، ولك ولأبي تمام العُتْبى. ادعه يا غلام. فدعاه، فنادمه يومه، وأمر له بألفي دينار، وما يحمله من الظُّهْر، وخلع عليه خِلْعة تامة من ثيابه، وأمر ببذْرقته(٣) إلى آخر عمله. (٣٩٥/١٦)

(١٩٢)

أخبرني الصُّوليّ قال: حدّثني محمد بن موسى قال: كان أبو تمام يعشق غلاما خزريا للحسن بن وهب، وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبي تمام، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه، فقال له: والله لئن أعنقتَ(٤) إلى الروم، لنركُضنّ إلى الخزر. فقال له الحسن: لو شئتَ حكُمتنا واحتكمت. فقال أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام، وأشبه نفسي بخصمه، فقال الحسن: لو كان هذا منظوماً خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارض لا حقيقة(٥) له، فقال أبو تمام:

---

(١) أشرنا في نصّ سابق إلى أن مكانة الشاعر ما تزال عالية، مرتفعة، ويزيد هذا النصّ تلك المكانة، إذ يشير أبو العميثل إليها، ويدعو الأمير إلى رأب ما صدع من جفائه لأبي تمام. فهو ليس بموضع للجفاء والإبعاد. أليس هو الشاعر الكبير الذي لا ينكر محلّه في الشعر أحد؟ وهو قادر من جهة ثانية على الهجاء، ونشر ما طُوي، فينبغي أن يكرم، إن لم يكن لهذه فلتلك.

(٢) قُومس: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل، والمهرية الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن، وكانت لا يعدل بها شيء في سرعتها.

(٣) بذرقته: حراسته. (٤) أعنقت: سرتَ سيراً فسيحاً ممتدّاً.

(٥) ما تزال هذه الفكرة موجودة، مسيطرة حتى العصر العباسي، وهي إنّ الشعر أهمّ من النثر. وأقدر منه على التأثير، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنّ التدوين لم يستطع أن يزيح الشعر عن مكانه القديم إلاّ قليلاً، وبقيت الكلمة المنظومة لها القِدْح المعلّى.

أبا عليٍّ لصرفِ الدهرِ والغيرِ ... وللحوادث والأيام والعبَرِ(١)
أنكرتني أمر داودٍ وكنتُ فتىً ... مُصرَّف القلب في الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيبُ بها ... وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر
إنَّ القطوبَ له مني محلُّ هوىً ... يحل مني محلَّ السمع والبصر
وربَّ امنعَ منه جانبا وحمىً ... أمسى وتكْتُهُ منِّي على خطر
جرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ ... منه غيابتُها عن نيكة هذر
سبحانَ من سبَّحتْهُ كلُّ جارحةٍ ... ما فيك من طمحان الأير والنظر
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُهُ ... وأيرُه أبداً منه على سفر (٣٩٧/١٦)

(١٩٣)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكرانيّ عن النضر بن عمر قال: قال لي أبو الشيص: لما مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أوّلها:

لا تُنكري صدِّي ولا إعراضي ... ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

أمر بأن تُعدَّ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم(٢). (٤٠١/١٦)

(١٩٤)

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنيّ: أنَّ أبا عطاء مدح أبا جعفر فلم يُثبه، فأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذْهبه في بني أميَّة، فعاوده بالمدح، فقال له: يا ماصَّ كذا من أمِّه، ألستَ القائل في عدوّ الله الفاجر نصر بن سيَّار ترثيه:

فاضتْ دُموعي على نصر وما ظلمت ... عينٌ تفيضُ على نصر بن سيَّارِ
يا نصْرُ مَن للقاء الحرب إن لقِحَتْ ... يا نصْرُ بعدك أو للضيف والجارِ
الخنْدفيّ الذي يحمي حقيقته ... في كل يوْم مخوف الشرِّ والعارِ
والقائد الخيْل قبّاً في أعنّتها ... بالقوم حتى تلفَّ القار بالقارِ
منْ كُلِّ أبيض كالمصباح منْ مُضر ... يجْلو بسنَّتِه الظلماء للسُّاري

---

(١) الغِير: حوادث الدّهر وصروفه.

(٢) كان عقبة بن جعفر أمير الرَّقة، ينظر معاهد التنصيص (٨٨/٤)، ومع هذا نراه يعدّ أبيات القصيدة، ويعطي لكلّ بيت ألف درهم تشبّهاً بالخلفاء، ممّا يدلّ على شيوع هذه الظاهرة وانتشارها.

ماضٍ على الهوْل مقدام إذا اعترضت سُمْرُ الرِّماح وولّى كلُّ فرّارِ
إنْ قال قولا وفى بالقول موْعِدُه إنّ الكنانيَّ وافٍ غيْرُ غدّارِ
والله لا أعطيك بعد هذا شيئاً أبداً (١). (٣٣٢/١٧)

(١٩٥)

نسخت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيديّ: قال الهيثم بن عديّ، عن حماد بن سلمة الكلبيّ، قال: دخل أبو عطاء السنديّ على سليمان بن سُليم بن بشّار، فقال له:

أعوزتْني الرُّواةُ يابن سُليم وأبى أن يقيمَ شِعْري لساني(٢)
وغلا بالذي أجمْجم صدْري وشكاني من عجمتي شيطاني
وعدتْني العيونُ أن كان لوْني حالكا مُظْلماً مِنَ الألوان
وضربت الأمورَ ظهراً لبطـ ـن فكيف أحتال حيلةً لبياني!(٣)
فتمنّيت أنني كنْتُ بالشعـ ـر فصيحاً وبانَ بعْضُ بناني
ثم أصبحت قد أنخْتُ ركابي عند رحب الفناءِ والأعطان(٤)
فإلى مَنْ سواك يابن سليم أشتكي كُرْبتي وما قد عناني
فاكْفِني ما يضيق عنه ذراعي بفصيح مِنْ صالحي الغلمان
يُفهم الناسَ ما أقول من الشعـ ـر فإنّ البيان قد أعياني
ثم خذني بالشكر يابن سُليم حيْثُ كانتْ داري من البلدان

فأمر له بوصيف فصيح كان حسن الإنشاد، فقال أبو عطاء أيضاً:

فاقبلوا نحْوي معا بالقنا وكلهّم يسأل: ما شاني؟
فقلت: شأني كلّه أنني في تعب من لفظ جُرْداني
يابْنَ سليم أنْتَ لي عصمة من حدثٍ أفزع جيراني

---

(١) رأينا في نصوص سابقة أنّ الشاعر يُعاقَب بشعره القديم، ويُذكّر به، فلا يجد سوى الإعراض، ويصنع أبو جعفر هنا مع أبي عطاء مثلما كان يصنعه غيره، إذ يجبه الشاعرَ بشعره في نصر بن سيّار والي الأمويين، فلا يكون جزاؤه غير الصدّ.

(٢) كان السبب في أنّ لسانه لا يقيم شعره بسبب «لكنة شديدة ولثغة في لسانه، فكان لا يُفصح». الأغاني (٣٢٧/١٧).

(٣) يقال ضرب الأمر ظهراً لبطن: إذا قلّبه على وجوهه، وأمعن فيه تفكيراً.

(٤) الأعطان: جمع عطن، وهي السّاحة أمام الدار.

فقد رماني الدَّهْرُ عن فقره ... بسهم فقر غير لغبان(١)
صادَ فُؤادي بعد ما قد سلا ... فصرت كالمقتبل العاني
فانعشْ فدتْكَ النفس مني ومن ... أطاعني مِنْ جِلّ إخواني
وهبْ فدتك النفْسُ لي طفلة ... يقمع حرها رأسَ شيطاني
فإن أيرى قد عتا واعتدى ... وصار يبغي بغيةَ الزُّاني
فالله ثم الله في قمْعه ... من قبل أنْ أمْني بسلطان
يتركني أضحوكةً بعدما ... أضرب في سرٍّ وإعْلانِ

فأمر له بجارية قَنْدُهارية(٢) فارهة، فقال:

أحْصَنَني اللّهُ بكفِّيْ فتى ... مهذَّبٍ مِنْ سرِّ قحْطان
من حمير أهل السُّدى والندى ... وعصمة الخائفِ والجاني
يا خيْرَ خلْقِ الله أنت الذي ... أيْأسْتَ مِنْ فِسقيَ شيطاني

(٣٣٦/١٧)

(١٩٦)

أخبرني إسماعيلُ بن يونس الشِّيعيُّ قال: حدّثنا الرِّياشيُّ قال: حدّثنا محمد بن الصبّاح، عن سفيان بن عُيَيْنة، ونسخت هذا الخبر أيضاً من بعض الكتب: أنَّ حامد بن يحيى البلْخيّ، حدّث عن سفيان بن عُيَيْنة، وهذه الرواية أتمّ، قال: لمّا سمعَ مُسَاور الورّاق لغطَ أصحاب أبي حنيفة وصياحهم أنشأ يقول:

كنّا من الدِّين قبل اليوم في سعةٍ ... حتى بُلينا بأصحاب المقاييس
قومٌ إذا اجْتمعوا ضجُّوا كأنَّهُمُ ... ثعالبٌ ضبَحَتْ بين النَّواويس(٣)

فبلغ ذلك أبا حنيفةَ وأصحابه، فشقَّ عليهم وتوعَّدوه. فقال أبياتاً تُرضيهم وهي:

إذا ما النَّاس يوماً قايسُونا ... بأبدةٍ من الفُتْيا ظريفَهْ
أتيْناهُم بمقْياسٍ ظريفٍ ... مُصيبٍ من قياسِ أبي حنيفهْ
إذا سمع الفقيهُ بها وعاها ... وأثبتها بحبْرٍ في صحيفهْ

---

(١) اللغبان: الشديد الإعياء.

(٢) قندهارية: نسبة إلى قَنْدُهار وهي من بلاد السِّند أو الهند، مشهورة في الفتوح، ينظر معجم البلدان (٤٠٢/٤). (٣) ضبحت الثعالب: صوّتت، والنّواويس: القبور.

فبلغ أبا حنيفة فرضي، قال مُساورٌ: ثم دُعينا إلى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحرّ، فدخلت فلم أجد لرجْلي موْضعاً من الزّحام، وإذا أبو حنيفة في صدر البيت، فلما رآني قال: إليَّ يا مُساور، فجئتُ فإذا مكان واسع، وقال لي: اجلس، فجلستُ، فقلت في نفسي: نفعتْني أبياتي اليوم. قال: وكان إذا رآني بعد ذلك يقول لي: هاهنا، هاهنا، ويوسِّع لي إلى جنبه، ويقول: إنَّ هذا من أهلِ الأدب والفهْم، انتهى. (١٨/١٥١)

(١٩٧)

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدّثني الحسن بن عُلَيْل العنزي، قال: حدّثني العبّاس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان، قال: حدّثني محمد بن عمر الخرّاز، قال: قال لي ابنُ مُناذر: ويحك! لستُ أرى نساء ثقيف ينُحْنَ على عبد المجيد نياحةً على استواء، قلت: فما تُحِبّ؟ قال: تخرجُ معي حتى أطارحك، فطارحني القصيدة التي يقول فيها:

إنَّ عبدَ المجيد يوم تولّى ... هدَّ رُكناً ما كان بالمَهْدودِ
هدَّ عبدُ المجيد رُكْني وقد كُنْـ ... ـتُ برُكْنِ أبوءُ منه شديدِ

قال: فما زِلْتُ حتى حفظتها ووعيتُها، ووضعنا فيها لحناً، فلما كان في الليلة التي يُناح بها على عبد المجيد فيها، صلّينا العشاء الآخرة في المسجد الجامع، ثم خرجنا إلى دارهم، وقد صعد النساء على السُّطح ينُحن عليه، فسكتن سكْتةً لهنّ، فاندفعنا أنا وهو ننُوح عليه، فلما سَمِعننا أقبلن يلْطمْن ويصِحْن حتى كِدْن ينْقلبْنَ من السطْح إلى أسفل من شدة تشرُّفهنّ علينا وإعجابهنّ بما سمعنه منا، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا، وشاع الخبر بالبصرة وتحدّث به الناسُ حتى نُقِلَ من مجلس إلى مجلس. (١٨/١٧٩)

(١٩٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمدُ بن محمد الرُّازي أبو عبْد الله، قال: حدّثني أبو بجير، قال: كان ابنُ مُناذر يجلس إلى إسكاف بالبصْرة، فلا يزال يهْجوه بالأبْيات فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صديقُك فاتّقِ الله وابْقَ على الصُّداقة وابن مناذر يُلِحُّ، فقال الإسكاف: فإني أستعينُ الله عليك وأتعاطى الشعر، فلما أصْبَح غدا عليه ابنُ مُناذر كما كان يفْعل، فأخذ يعْبَث به ويهْجُوه، فقال الإسكافُ:

كثُرَتْ أبوتُـه وقـلَّ عـديدُه ... ورمى القضاء به فراشَ مُناذرِ
عبد الصُّبيريّين لم تكُ شاعراً ... كيف ادُّعَيتَ اليومَ نسْبةَ شاعرِ

فشاع هذان البيْتان بالبصْرة ورواهما أعداؤه، وجعلوا يتناشدُونهما إذا رأوْه، فخرج من البصرة إلى مكّة وجاور بها، فكان هذا سبب هربه من البصرة. (١٨/١٩٥)

(١٩٩)

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زُهير، قال: سمعت إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ يقول:

بلغ ابنَ مُناذر عن ابنِ دأب قولٌ قبيحٌ، قال: فدعاني، وقال: اكتب:

فمن يبْغِ الوصاةَ فإنّ عنْدي ... وصاةً للكهُولِ وللشّبابِ
خُذُوا عن مالك وعن ابْنِ عوْنٍ ... ولا ترْوُوا أحاديثَ ابنِ دابِ
ترى الغاوين يتّبعون منها ... ملاهيَ من أحاديثٍ كذابِ
إذا التُمِسَتْ منافعُها اضمحلّتْ ... كما يرْفَضُّ رقْراقُ السّحابِ(١)

قال: فرُويتْ، وافتضح بها ابنُ دأب. قال الحزاميّ: فلما قدِمْت العراقَ وجدتُهم قد جعلُوها:

«خُذُوا عن يُونُسٍ وعنِ ابن عوْنٍ» (١٨/١٩٨)

(٢٠٠)

ونسخْت هذا الخبرَ من كتاب ابنِ أبي مريم الحاسب: حدّثني ابن القدّاح وعبدُ الله بنُ إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ، قالا: حدّثنا ابنُ مُناذر، قال: حج الرّشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة وحج معه الفضْل بن الرّبيع، وكنتُ مُضيقاً مُملقاً، فهيّأتُ فيه قوْلاً أجدتُ تنْميقَه وتنوّقتُ فيه(٢)، فدخلتُ إليه في يوم التّرْوية وإذا هو يسأل عنّي ويطلُبني، فبدرني الفضلُ بن الرّبيع قبل أن أتكلّم، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شاعرُ البرامكة ومادحهم، وقد كان البِشْر ظهر لي في وجهه لمّا دخلتُ، فتنكّر وعبس في وجهي، فقال الفضْلُ: مُرْه يا أمير المؤمنين أن ينْشدك قوله فيهم:

أتانا بنُو الأملاك من آلِ برْمك

فقال لي: أنشد، فأبيتُ، فتوعّدني وأكْرهني، فأنشدته:

أتانا بنو الأملاكِ من آلِ برْمكٍ ... فياطيبَ أخبارٍ وياحُسْن منْظَرِ
إذا وردوا بطحاءَ مكّةَ أشرقت ... بيَحْيى وبالفضل بن يحيى وجعْفَرِ

---

(١) يرفضُّ: يهطل وينهمر.

(٢) تنميقه: تحسينه وتجميله، وتنوّقت: جوّدتُ، واعتنيت به.

فستُظلِمُ بغدادٌ ويجلو لنا النُّجى بمكَّةَ ما حجُّوا ثلاثةُ أقمُرِ
فما صلحت إلا لجُودِ أكُفِّهم وأرجُلِهم إلا لأعوادِ مِنْبرِ
إذا راضَ يحيى الأمرَ ذلَّتْ صعابُه وحسبُكَ مِنْ راعٍ له ومدبِّرِ
ترى الناسَ إجلالاً له وكأنَّهم غرانيقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصرْصِرِ(١)

ثم أتبعتُ ذلك بأن قلت: كانوا أولياءكَ يا أمير المؤمنين أيام مدحتُهم، وفي طاعتك لم يلْحقهم سُخطك ولم تحلُل بهم نقْمتُك، ولم أكن في ذلك مُبْتدعا، ولا خلا أحدٌ من نُظراني من مدحهم، وكانوا قوماً قد أظلَّني فضلُهم، وأغناني رفدُهم فأثنيتُ بما أوْلَوْا(٢)، فقال: يا غلام، الطُمْ وجهه، فلُطِمْتُ والله حتى سدِرتُ(٣) وأظلم ما كان بيني وبين أهل المجلس، ثم قال: اسحبوه على وجهه، ثم قال: والله لأحرمنَّك ولا تركتُ أحداً يعطيك شيئاً في هذا العام، فسُحبت حتى أخرجت، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا في نفسي وحالي وما جرى عليَّ، ولا والله ما عندي ما يُقيم يومتذ قُوتَ عيالي لعيدهم، فإذا بشابٍّ قد وقف عليَّ، ثم قال: أعزَّ عليَّ والله يا كبيرَنا بما جرى عليك، ودفع إليَّ صُرَّة وقال: تبلَّغْ بما في هذه، فظننتها دراهم فإذا هي مائةُ دينار. قال الصوليّ في خبره: فإذا هي ثلاثمائة دينار. فقلت له: من أنت جعلني الله فداك! قال: أنا أخوك أبو نُواس، فاستعِن بهذه الدنانير واعذِرْني، فقبلْتُها، وقلت: وصلك اللهُ يا أخي وأحسن جزاك. (٢٠١/١٨)

(٢٠١)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدَّثنا ابن مهْرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الرُّبيعي، قال: حدَّثنا أبو معاوية الضلاّبي، قال: قال سُفيان بن عُيينة: كلَّمني ابن مُناذر في أن أكلِّم له جعفر بن يحيى، فكلَّمته له. وقد كان ابن مُناذر ترك الشِّعر، فقال: إنْ أحبَّ أن يعودَ إلى الشِّعْر أعطيتُه خمسين ألفاً، وإن أحبَّ أن أعطيه على القراءة أعطيتُه عشرةَ الآف. فذكرتُ له ذلك، فقال لي: خُذ لي على القراءة، فإنّي لا آخذُ على الشعر وقد تركتُه. (٢٠٢/١٨)

---

(١) الغرانيق: جمع غرنوق، وهو طائر مائي، أبيض، وقيل: هو طائر أسود من طير الماء، طويل العنق، وقال الأصمعي، الغرنيق الكركي. ينظر لسان العرب (٢٨٧/١٠)، والمصرصر: المصوّت بشدّة.

(٢) لم يجاوز الشاعر الصدق فيما قال: فكم من الشعراء مدحوا البرامكة، ونشروا محاسنهم، وكان الرشيد راضياً عن هذا كلّه قبل أن يتغيّر، ولكنّ كلام الشاعر لم ينفع، فنال جفوة وصدّاً من الخليفة.

(٣) سُدِرتُ: تحيّرتُ واختلط بصري.

(٢٠٢)

أخبرني عمّي، قال: حدّثني الكُرانيّ، عن ابن عائشة قال: وَلي خالدُ بن طليق القضاء بالبصرة، وعيسى بنُ سُليمان الإمارةَ بها، فقال محمد بنُ مناذر يهجوهما بقوله:

الحمدُ للـه على ما أرى خالدُ القاضي وعيسى أمير
لكنّ عيسى نوكُه ساعة ونوكُ هذا منْجنُونٌ يدُور(١)

وقال في شيرويْه الزِّياديّ، وشيرويه لقب، واسمه أحمد، وسأله حاجةً، فأبى أن يقضيها إلاّ على أن يمدحه:

ياسَمِيَّ النّبيِّ بالعربيّـهْ وسَمِيَّ اللّيُوثِ بالفارسيّهْ
إن غضبنا فأنت عبدُ ثقيفٍ أو رضينا فأنتَ عبدُ أميّهْ

فغضب شيرويه وجعل يشتُمه، وشاع الشِّعْرُ بالبصرة، فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويْه: ابن مُناذر عليك غضبان أو عنك راض، يشتُم مَنْ يقول له ذلك. (٢٠٤/١٨)

(٢٠٣)

أخبرني مُحمّد بن جعْفر الصَّيدلانيّ النَّحْويّ قال: حدثنا أحمدُ بنُ القاسم البرْقيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بن يعقوب، قال: حدّثني أحمدُ بنُ يحْيى الهُذليّ التُّمارُ، عن عبد الله بن عبد الصّمد الضبّيّ قال: كُنّا يوماً جلوساً في حلْقة هُبيْرة بنِ جرير الضّبّيّ إذ أقبل مُحمّدُ بن مناذر في بُرْد قد كسته إيّاه بانةُ بِنْت أبي العاصي، فسلّم عليّ وحْدي، ولم يعرف منهم أحداً، ثم قام فجلس إلى أبي خيْرة، فخاطبه مُخاطبة خفيفة، وقام مُغْضبا، فقال لي هُبيْرة: مَنْ هذا؟ فقلتُ: محمّدُ بنُ مُناذر: فقال: إنّا لله قُومُوا بنا، فقام إلى أبي خيرة، فقال له: ماذا قال لك ابن مُناذر؟ قال: سألني عن شيء وكنت مشغولا عنه فقال: يا أبا خيْرة إن العشائر تغْبطُنا لعلْمك، وما جعل اللهُ عندك، فنشدْناك اللهَ أن تكون لنا، كما كان عَرادَةُ لبني نُمير، فإنه تعرّض لجرير فهجاه فعمّهُمْ فقال:

عرادةُ من بقيّةِ قوْمِ لوطٍ ألا تبًّا لمـا فعلوا تبابا

أتدْري مَنْ كان عندك أنفاً؟ قال: لا، قال: ابنُ مناذر، وما تَعرّض لأعراض قوْمٍ قطُّ إلا هتكَها وهتكهم، فإذا جاءك يسألُك عن شيءٍ فأجِبْه، ولا تعْتلّ عليه بالبول، ولا تطلب منه شيْئاً، وكُلّ ما

(١) النوك: الحمق، والمنجنون: ما يُستقى عليها.

أردتَ من جهته ففي مالي، قال: أفعل. قال: وكان أبُو خيْرة إذا سأله إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئاً يعْتلّ عليه بالبوْل. فما شعرنا من غد إلا بابْن مُناذر وقد أقبل، فعلمنا أنه قصد أبا خيْرة، فأتيناه، فلما رأى جمعْنا استحْيا منّا، وسلّم علينا وتبسّم، ثم قال: يا أبا خيْرة: قد قُلتُ شعراً، وقبيحٌ بمثلي أن يُسأل عنه فلا يدْري ما فيه، وأنّي ذكرتُ فيه إنساناً فشبّهتُه بالأفْار، فأيّ شيء هو؟ فاحمرّ وجْه أبي خيْرة واضْطرب، وقال: هو التّيْسُ الوثّاب الذي ينْزو وقضيبُه رخْو فلا يصل، فقال: جُزْيتَ خيرا، ووثب وهو يضحك، فقُمْنا إليه وقلنا: قد علمنا أنّك عنيْتَ هذا الشيخ، فإن رأيت أن تهبه لنا فافْعل؛ فإنّه شيخُنا. قال: والله ما عنيْتُ غيره، وقد وهبتُه لكم وكرامة، والله لا يسمعُ منّي أحد ما قلتُ فيه ولا أذكره إلاّ بخير أبداً، وإن كان قد أساء العشرة أمس.
(٢٠٩/١٨)

(٢٠٤)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني أبو دعامة، قال: حدّثني أشجعُ السُّلميّ، قال: كنتُ ذاتَ يوم في مجْلس بعض إخواني أتحدّث وأنشد، إذ دخل عليهم أنسُ بن أبي شيْخ النّصْريّ صاحبُ جعفر بن يحيى، فقام له جميعُ القوم غيري، ولم أعرفه فأقوم له، فنظر إليّ وقال: مَنْ هذا الرّجُل؟ قالوا: أشجع السُّلميّ الشّاعر، قال: أنشدني بعض قولك، فأنشدتُه، فقال: إنّك لشاعر فما يمْنَعُك من جعْفر بن يحيى؟ فقلت: ومَنْ لي بجعْفر بن يحيى؟ فقال: أنا، فقُل أبياتاً ولا تُطِلْ فإنه يملُّ الإطالة، فقلت: لستُ بصاحب إطالة، فقلت أبياتاً على نحْو ما رسم لي(١)، وصرت إلى أنس فقال: تقدّمني إلى الباب، فتقدّمت، فلم يلْبث أن جاء فدخل، وخرج أبو رُمح الهمذانيّ حاجب جعفر بن يحيى، فقال أشجع: فقمتُ، فقال: ادخل، فدخلتُ، فاستنشدني فأنشدته أقول:

وترى المُلوكَ إذا رأيْتَهُمُ ... كُلٌّ بعيد الصّوْت والجرْسِ
فإذا بدا لَهُم ابنُ يحْيى جعْفر ... رجعوا الكلامَ بمنْطِق همْسِ
ذهبَتْ مكارِمُ جعْفر وفِعالُه ... في النّاس مثْلَ مذاهبِ الشّمْسِ

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم لقيتُ المُبارك مؤدّب الفضل بن يحيى بعد أيام، فقال

---

(١) نلاحظ هنا أنّ صاحب جعفر هو الذي يبيّن للشاعر طريقة القول، ويوضح له ما يُعجب جعفر بن يحيى وما يكرهه، ونرى الشاعر يأخذ بما رُسِم له وينسج على منواله، ولعلّ هذا ينضوي تحت تلك الرسوم التي جُعلت للشعراء، وكان ينبغي عليهم الأخذ بها عند دخولهم على الخلفاء والوزراء والقادة.

لي: أنشدني ما قلْتَه في جعفر، فأنشدته، فقال: ما يمنعك من الفضل؟ فقلت: ومَنْ لي بالفضْل؟ فقال: أنا لك به، فأدخلني عليه، فأنشدته:

وما قدُم الفضْلَ بنَ يحيى مكانُه ... على غيره بل قدَّمَتْه المكارِمُ

لقد أرهبَ الأعداء حتى كأنما ... على كل ثغْرٍ بالمنيَّةِ قائمُ

فقال لي: كم أعطاك جعفر؟ فقلت: عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفاً. (٢١٨/١٨)

(٢٠٥)

أخبرني علي بن صالح، قال: حدّثني أحمد بن أبي فنن، قال حدّثني داود بن مُهَلْهِل قال: لما خرجَ جعفر بن يحيى ليُصْلح أمر الشام، نزل في مضْرِبَه، وأمر بإطعام الناس، فقام أشجعُ فأنشده قوله:

فتنتان باغيةٌ وطاغيةٌ ... جلَّت أمورُهما عن الخطَبِ

قد جاءكم بالخيل شازبةٌ ... ينقلن نحوكم رحى الحرْبِ(١)

لم يبْقَ إلا أن تدُورَ بكم ... قد قام هاديها على القُطْبِ

قال: فأمر له بصلة ليست بالسُّنيَّة، وقال له: دائمُ القليل خيرٌ من مُنْقطع الكثير، فقال له: ونزْرُه أكثرُ من جزيل غيره، فأمر له بمثلها، قال: وكان يُجْري عليه في كلِّ جُمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه. (٢١٩/١٨)

(٢٠٦)

أخبرني جعفر بن قُدامة، قال: حدّثنا أبو هفان قال: ذكر أبو دعامة أنَّ أشْجع دخل على الفضْل بن الربيع، وقد تُوفِّي ابنه العباس والناس يُعزّونه، فعزّاه فأحسن، ثم استأذنه في إنشاد مرثية قالها فيه، فأذن له فأنشده:

لا تبكينَّ بعيْن غير جائدةٍ ... وكلُّ ذي حزنٍ يبكي كما يجِدُ

أيُّ امرئٍ كان عباسٌ لنائبةٍ ... إذا تقنَّع دونَ الوالد الولدُ

لم يُدنِهِ طمعٌ من دار مُخْزيةٍ ... ولم يعزُّ له من نعمة بلدُ

قد كنتَ ذا جلدٍ في كلِّ نائبةٍ ... فبان منِّي عليك الصبرُ والجلدُ

لمّا تسامتْ بك الآمالُ وابتهجت ... بك المروءةُ واعتدَّت بك العُدَدُ

ولم يكُن لفتى في نفسه أملٌ ... إلا إليك به من أرضه يفِدُ

---

(١) شازبة: ضامرة قوية.

وحين جئت أمام السّابقين ولم يبلـل عـــذارَك ميْدانٌ ولا أمـدُ
وافاك يومٌ على نكْراء مشتملٌ لَمْ ينْجُ من مثلِه عادٌ ولا لُبَدُ(١)
فـمـا تكشـف إلا عن مُولْولةٍ حـرَّى ومُكْتـئبٍ أحـشـاؤُه تقِدُ

قال: فبكى الفضلُ وبكى الناسُ معه، وما انْصرفوا يومئذ يتذاكرون غيرَ أبياتِ أشجع. (٢٢٢/١٨)

(٢٠٧)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثني عبدُ الرحمن بن النُّعمان السّلميّ قال: كنّا ببابِ جعفر بنِ يحيى وهو عليل، فقال لنا الحاجبُ: إنه لا إذْن عليه، فكتب إليه أشجع:

لمّا اشتكى جعفرُ بنُ يحيى فـارقني النَّـومُ والقـرارُ
ومـرَّ عـيـشي عليَّ حـتّى كـأنّمـا طعـمُـه المُـرارُ
خوفاً على جعفر بن يحيى لا حُقِّـقَ الخـوفُ والحِذارُ
إن يُعـفـه الله لا نُحـاذِرْ مـا أحـدثَ الليلُ والنهـارُ

قال: فوصل الحاجبُ رُقْعتَه، ثم خرج فأمره بالوصول وحده، وانْصرف سائرُ النّاسِ. (٢٢٣/١٨)

(٢٠٨)

أخبرني الحسن قال: حدثنا العنزيّ، قال: حدّثني محمد بن الحُسين، عن عمرو بن عليّ: أنّ أشجع السُّلميّ كتب إلى الرشيد وقد أبْطأ عنه شيءٌ أمرَ له به:

أبلِغ أميـرَ المؤمنين رسـالةً لهـا عَنَقٌ بين الرُّواةِ فـسـيحُ(٢)
بأنَّ لسانَ الشِّـعرِ يُنطقه النَّدى ويُخرِسـه الإبطـاء وهو فصيحُ

فضحكَ الرشيدُ وقال له: لن يخْرَس لسانُ شعرك، وأمر بتعْجيل صلته. (٢٢٣/١٨)

(٢٠٩)

أخبرني عمّي، والحسن بنُ عليّ، قال: حدّثنا الفضلُ بن محمد اليزيديّ، قال: حدثنا إسحاقُ

---

(١) يريد بعاد، قبيلة عاد، وهم قوم هود عليه السلام، موصفون بعِظَم خلقتهم وضخامة أجسامهم، ينظر لسان العرب (٣٢٢/٣)، وثمار القلوب (ص ٧٩). ولُبَد: اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سمّاه بذلك لأنّه لَبِد فبقي لا يذهب ولا يموت كاللبْد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه. ينظر لسان العرب (٣٨٥/٣). يضرب المثل به بطول العمر، ومع هذا فقد أدركه الموت.

(٢) العَنَق: السّير السريع.

بن إبراهيم الموْصليّ، قال: لما ولّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خُراسانَ جلس للناس فدخلوا عليه يُهنّئونه ثم دخل الشعراء فأنشدُوه؛ فقام أشجعُ آخرهم، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قوله:

أتصبرُ للبين أم تَجزَعُ ... فإنّ الديّار غداً بَلْقَعُ(١)
غداً يتفرّقُ أهلُ الهوى ... ويكثرُ باكٍ ومُسْترجعُ

حتى انتهى إلى قوله:

وبوّيةٍ بين أقطارها ... مقاطيعُ أرضينَ لا تُقْطعُ(٢)
تجاوزْتُها فوق عيْرانةٍ ... من الريح في سيرها أسرعُ(٣)
إلى جعفرٍ نزعتْ رغبةٌ ... وأيّ فتىً نحوه تنْزعُ
فما دُونه لامرئٍ مطْمَعٌ ... ولا لامرئٍ غيره مقنعُ
ولا يرفعُ الناسُ مَنْ حطّه ... ولا يضعُون الذي يرفعُ
يُريدُ الملوكُ مدى جعفرٍ ... ولا يصنعُون كما يصْنَعُ
وليس بنوْسَعِهم في الغنى ... ولكنّ معروفه أوسعُ
تلوذُ الملوكُ بآرائه ... إذا نالها الحدثُ الأفظعُ
بديهتُه مثلُ تنْبيره ... متى رُمته فهو مُسْتجْمِعُ
وكم قائلٍ إذْ رأى ثرْوتي ... وما في فضول الغنى أصنعُ:
غدا في ظلال ندى جعفرٍ ... يجُرُّ ثيابَ الغِنى أشجعُ
فقُلْ لخراسانَ تحيا فقد ... أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروعُ

فأقبل عليه جعفرُ بنُ يحيى ضاحكاً، واستحسن شعره، وجعل يُخاطبه مخاطبةَ الأخ أخاه، ثم أمر له بألف دينار.

قال: ثم بدا(٤) للرّشيد في ذلك التّدْبير، فعزل جعفرا عن خُراسان بعد أن أعطاه العهْد والكتب، وعقد له العقْد وأمرَ ونهى، فوجِم لذلك جعفر، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول:

أمستْ خُراسانُ تُعزّى بما ... أخْطأها من جعفر المُرتجى
كان الرشيدُ المُعْتلى أمرُه ... ولّى عليها المُشرِقَ الأبلجا
ثم أراه رأيُه أنّه ... أمسى إليه منهُم أحْوجا

---

(١) البلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها. (٢) دَوِّية: الصحراء الواسعة.
(٣) العيرانة: الناقة النشيطة. (٤) بدا له: أي عرض له شيء جديد، دعاه إلى تغيير ما رآه.

فكمْ به الرُحمنُ من كُربة في مُدَّةٍ تقصُر قد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوَّنتَ عليَّ العزْل، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر، فسلْني ما شِئْتَ، فقال: قد كفاني جُودُك ذلَّةَ السؤال، فأمر له بألفِ دينار آخر. (٢٢٤/١٨)

(٢١٠)

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد، عن أبي دعامة، عن أشجع، قال: دخلتُ على محمد الأمين حين أجلِسَ مجْلس الأدب للتَّعْليم، وهو ابنُ أربعِ سنين، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته:

ملكٌ أبُـوه وأمُّه مـن نبْعـةٍ منهـا سـراجُ الأمَّةِ الوهَّاجُ(١)
شـربَتْ بمكة في رُبا بطْحانها ماءَ النُّبوَّة ليس فيه مـزاجُ(٢)

يعني النَّبعةَ، قال: فأمرتْ له زُبيْدةُ بمائة ألف درهم، قال: ولم يملك الخلافةَ أحدٌ أبوه وأمُّه من بني هاشم إلا أميرَ المؤمنين عليُّ بنَ أبي طالب صلوات الله عليه ومحمد بن زبيدة. (٢٢٦/١٨)

(٢١١)

أخبرني الحسن بنُ علي، ومحمد بن يحْيى الصوليّ، قالا: حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ، قال: حدثنا المهزْميّ، قال: لما وَلي إبراهيمُ بنُ عثمان بنِ نُهيْك الشرطةَ، دخل عليه أشجَعُ، فأنشده قوله فيه:

لِمَـن المنازلُ مـثلُ ظهْر الأرقَـم قـدُمت وعـهْدُ أنيسـها لم يقْدُم(٣)
فـتكَتْ بها سنتـان تعْتـورانها بالمُعْصـفـات وكلُّ أسْـحم مُرزِم(٤)
دِمَنٌ إذا استـثْبَتُّ عينك عـهدها كـرَّت إليك بنظْـرة المُتوهِّـم
ولقـد طعنْتُ الليلَ في أعـجـازه بالكأس بين غطـارفٍ كـالأنْجُم(٥)
يتـمـايلُون على النَّعـيم كـأنَّهم قـضُبٌ من الهِنْديّ لـم تتـثلَّم

---

(١) النَّبعة: شجرة من أشجار الجبال، أصفر العود وزينة ثقيلة في اليد، وإذا تقادم احمرّ، وكلُّ القِسيّ إذا ضمُمْتَ إلى قوس النَّبع كَرَمتْها قوس النَّبع لأنَّها أجمع القسيِّ للشدَّة واللين. ينظر لسان العرب (٣٤٦/٨).

(٢) المزاج: الاختلاط، يريد أنَّه صافٍ نقيّ. (٣) الأرقم: ذكر الحيّات أو أخبثها.

(٤) تعتورانها: تتناوبان عليها، والمعصفات: هي الريح القويّة الشديدة. والأسحم: الأسود القاتم، وأراد هنا السحاب. والمُرزم: ذو الصوت العالي.

(٥) أعجازه: أواخره، الغطارف: مفرده الغطريف. وهو السيّد الكريم.

والليلُ مُشْتَملٌ بفضْلِ ردائه ... قد كاد يحْسُر عن أغرَّ أرثم(١)
لبني نُهَيكٍ طاعةٌ لو أنها ... زُحِمت بهضْبٍ مُتالِعٍ لم تكْلَم
قومٌ إذا غمزوا قناةَ عدُوِّهم ... حطموا جوانبها ببأسٍ مُحْطِم
في سيْف إبراهيمَ خوفٌ واقعٌ ... لذوي النِّفاقِ وفيه أمْنُ المُسْلِم
ويبيتُ يكْلأ ـ والعيونُ هواجعٌ ـ ... مالَ المُضيع ومُهْجةَ المُسْتسْلِم(٢)
ليلٌ يُواصِلُه بضوْءِ نهارِه ... يقْظانُ ليس يذُوقُ نوْمَ النُّوَّم
شدُّ الخِطامَ بأنف كلِّ مُخالف ... حتى استقام له الذي لم يُخْطَم
لا يُصلِح السُّلطانَ إلا شِدَّةٌ ... تغْشى البريءَ بفضل ذنْب المُجْرِم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثها ... بالشيء تكرهه وإن لم تعْلَم
ونهجْتَ في سُبُل السِّياسة مسْلكاً ... ففهمتَ مذهبها الذي لم يُفْهَم

فوصله وحمله وخلع عليه. (٢٢٦/١٨)

(٢١٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ، قال: حدثنا الفلابيُّ قال: حدثنا مهديّ بنُ سابق قال: أعطى جعفرُ بنُ يحيى مروانَ بن أبي حفْصة ـ وقد مدحه ـ ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً، وأعطى أشْجَع ـ وقد أنشده معهما ـ ثلاثة آلاف درهم، وكان ذلك في أول اتصاله به، فكتبَ إليه أشجع يقول:

أعطيتَ مروانَ الثَّلا ... ثينَ التي دلَّت رِعاثُهْ(٣)
وأبا البصير وإنما ... أعطيتني منهم ثلاثهْ
ما خانني حوْكُ القريـ ... ـض ولا اتُّهمتَ سوى الحداثهْ(٤)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى. (٢٢٨/١٨)

(٢١٣)

أخبرني عمّي قال: حدّثني أحمدُ بن المرزُبان قال: حدّثني شيْبةُ بنُ أحمد بن هشام، قال:

---

(١) الأغرّ: الأبيض. والأرثم: الفرس في طرف أنفه بياض، وأراد بالأغرّ الأرثم هنا الصّبح.

(٢) يكلأ: يرعى. والمُضيع: مَنْ كثرت ضياعه.

(٣) الرعاث: جمع رعثة، وهي عثنون الدّيك، ويريد بتدلّي رِعاثه أنّه تكبّر وزها.

(٤) حوك القريض: نظمه وتجويده، والحداثة هنا أوّل المعرفة.

حدّثني أحمدُ بن العباس الرَّبيعيُّ: أن الذي أوْصلَ أشْجع السُّلميَّ إلى الرَّشيد جدُّه الفضل بن الربيع، وأنه أوصله له وقال له: هو أشْعرُ شُعراء أهْلِ هذا الزَّمان، وقد اقتطعتْه عنك البرامكة، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ففعل، فلمَّا وصل إليه أنشده قوله:

قصْرٌ عليه تحيَّةٌ وسلامُ ... نشرَتْ عليه جمالها الأيّامُ
فيه اجْتلى الدُّنيا الخليفةُ والتقتْ ... للملك فيه سلامةٌ وسلامُ
قصْرٌ سُقوفُ المزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فيه لأعلام الهُدى أعْلامُ
نشرت عليه الأرضُ كُسوتها التي ... نسجَ الرَّبيعُ وزخرفَ الإرْهامُ(١)
أدنَتْك من ظلِّ النَّبيِّ وصيَّةٌ ... وقرابةٌ وشَجَتْ بها الأرحامُ
برقتْ سماؤُكَ في العدُوِّ وأمْطرت ... هاماً لها ظلَّ السُّيوف غمامُ
وإذا سُيوفُك صافَحَتْ هامَ العدا ... طارت لهُنَّ عن الرؤس الهامُ
أثنى على أيّامك الأيّامُ ... والشَّاهدان: الحلُّ والإحرامُ
وعلى عدُوِّك يا بْنَ عمِّ مُحمَّدٍ ... رصدان: ضوء الصُّبح والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعتَه، وإذا غفا ... سلَّتْ عليه سُيوفك الأحْلامُ

قال: فاستحْسَنها الرَّشيد، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضْل بنَ الرَّبيع، وشكر له إيصاله إيّاه إلى الرشيد، فقال فيه قصيدته التي أوّلها:

غلب الرُّقادُ على جُفُونِ المُسْهَدِ ... وغرقْتُ في سهرٍ وليلٍ سرْمدِ (٢٣٢/١٨)

(٢١٤)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ والحسنُ بنُ عليّ، قالا: حدثنا العنزيّ قال: حدثنا عليّ بن الفضل السُّلميُّ قال: أوّلُ ما نجم به أشجعُ أنّه اتّصلَ بجعفر بن المنْصورِ وهو حدثٌ، وصله به أحمد بنُ يزيد السُّلميّ وابنه عوف، فقال أشجعُ في جعفر بن المنصور قوله:

اذكُروا حُرمةَ العواتِكِ منّا ... يا بني هاشمِ بنِ عبدِ مناف(٢)

---

(١) أرهمت السماء: أتت بالرِّهمة، وهي المطر الضعيف.

(٢) يشير الشاعر بقوله: حرمة العواتك إلى قول الرسول (ص) يوم حنين: «أنا ابن العَواتك من سلّيم»، والعواتك من سلّيم، ثلاث يعني جدّاته، وهنّ عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أمّ عبد مناف بن قصي جدّ هاشم، وعاتكة بنت مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أمّ هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكوان أمّ وهب بن عبد مناف بن زُهرة جدّ رسول الله (ص) أبي أمّه آمنة بنت وهب. فالأولى من العواتك عمّة الوسطى، والوسطى عَمّة الأخرى، وبنو سلّيم تَفخر بهذه الولادة، ونرى الشاعر هنا يذكّر بها =

قـــد ولدْناكـــمُ ثـــلاثَ ولادا ... تٍ خلطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ
مـهّدَت هاشـمـاً نجـومُ قُصيٍّ ... وبنـــو فـالَجٍ حُجـور عـفـافِ
إنّ أرمـــاحَ بُهْثةَ بنَ سُـــلَيْم ... لعجافِ الأطرافِ غيرُ عجافِ(١)
ولأسـيـافـهـم فَرىً غـيـرُ لذٍّ ... راجِعٌ في مـراجـع الأكـتـافِ(٢)
معشرٌ يُطعمُون من ذِرْوَةَ الشُو ... ل ويسْـقون خمْرة الأقْحافِ(٣)
يضـربون الجبّار في أخـدعـيْه ... ويُسَـقُّونه نقيعَ الذُّعافِ(٤)

فشاع شِعْره وبلغ البصْرة، ولم يزل أمره يتراقى إلى أن وصلتْه زُبيدةُ بعد وفاة أبيها بزوْجها هارون الرشيد، فأسْنى جوائزه، وألْحقه بالطبْقة العلّيا من الشُّعراء(٥). (٢٣٢/١٨)

(٢١٥)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدثني صخرُ بن أحمد السلميّ، عن أبيه، قال: كنت أنا وأشجع بالرَّقّة جلوساً، فمرَّ بنا غلامٌ أمردُ روميّ جميلُ الوجه، فكلّمه أشجع وسأله هل يبيعُه مالِكُه؟ فقال: نعم، فقال أشجع يمدحُ جعْفَرَ بن يحْيى، وسأله ابتياعه له فقال:

ومُضْطـربِ الوشـاحِ لُقْلتيْـه ... عـلائقُ مـا لوصْلتـهـا انْقطاعُ(٦)
تعـــرَّض لي بنظْرةِ ذي دلالٍ ... يُريعُ بِمُقْلتـــيـــه ولا يُراعُ(٧)
لحـاظٌ ليس تُحـجب عن قُلوبٍ ... وأمـرٌ في الذي يهـوى مُطاعُ
ووُسْـعِي ضـيّقٌ عـنه ومـالي ... وضـيقُ الأمـر يتْبَعُه اتّسـاعُ

= أيضاً، ويدعو إلى الأخذ بحرمتها. ينظر لسان العرب (٤٦٤/١٠).

(١) يريد أنّ رماحهم قوية، وليست بضعيفة، قادرة على النفاذ.

(٢) الفرى: القطع الشديد، واللذّ: اللذيذ، وكلاهما يجري مجرى واحداً في النعت، ينظر لسان العرب (٥٠٧/٣).

(٣) الذروة هنا: السّنام، والشُّول: الناقة، والأقحاف: جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنّه نصف قدح.

(٤) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا، والذُّعاف: السّم.

(٥) أشرنا في المقدمة إلى أنّ اتصال الشعراء بالخلفاء، واستماعهم إليهم، يعلي مكانتهم و يرفع من أقدارهم، ويبدو أنّ هذه الظاهرة ما تزال موجودة إلى هذا العصر، إذ نجد الرشيد يدني الشاعر منه، ويلحقه بكبار الشعراء، ولاشكّ في أنّ هذا العمل قد نوّه باسم هذا الشاعر ونقله إلى طبقة أرفع من التي كان فيها.

(٦) مضطرب الوشاح: كناية عن ليونة جسمه وتثنيّه. (٧) يُريع: يخيف.

وتعويلي على مال ابنِ يحْيى إليه حنَّ شوْقي والنِّزاعُ
وثِقْتُ بجعْفرٍ في كلِّ خطْب فلا هلْكٌ يُخافُ ولا ضياعُ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال: اشتره بها فإن لم تكْفِك فازدد. (١٨/٢٣٤)

(٢١٦)

حدثني أحمدُ بن وصيف، ومحمدُ بنُ يحيى الصُّوليّ قالا: حدثنا محمد بن موسى بن حماد، قال: حدّثني عبدُ الله بن عمرو الوراق، قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمدِ بن منْصور بن زياد عن أبيه، قال: دخل أشجعُ على الرّشيد ثاني يوم الفطر فأنشده:

استقْبل العيدَ بعُمْرٍ جديد مدّت لك الأيّامُ حبْلَ الخُلود
مُصعِّدا في درجات العُلا نجْمُك مقرونٌ بِسعْد السُّعود
واطْو رداء الشّمس ما أطلعتْ نُوراً جديداً كلَّ يوم جديد
تمضي لك الأيامُ ذا غِبْطة إذا أتى عيدٌ طوى عُمر عيد

فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يُغنّى في هذه الأبيات. (١٨/٢٤٦)

(٢١٧)

أخبرني محمد بنُ جعفر النَّحْويّ، قال: حدّثنا محمد بنُ موسى بن حمّاد، قال: حدثني أبو عبدِ الله النُّخعيّ، قال: دخل أشجعُ على الرشيد فأنشده قوله:

أبتْ طَبَرسْتانُ غيرَ الذي صدَعْتَ به بين أعضائها(١)
ضمَمْتَ مناكبها ضمّةً رمتْك بما بين أحشائها
سمَوْتَ إليها بمثْل السَّماء تدلّى الصّواعِقُ في مائها
فلمّا نظرتَ إلى جُرحِها وضعْتَ الدّواء على دائها
فرشْت الجهادَ ظُهورَ الجياد بأبنائه وبأبنائها
بنفْسك ترميهمُ والخيول كرْمي العُقاب بأفْلائها(٢)
نظرتَ برأيك لمّا همم تَ دُونَ الرّجال وآرائها

قال: فأمر له بألف دينار. (١٨/٢٤٧)

---

(١) طبرستان: بلدان واسعة يشملها هذا الاسم منها: دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمل، وهي في بلاد فارس. ينظر معجم البلدان (٤/١٣).

(٢) الفلاة: الصحراء الواسعة، وجمعها فَلىً، وجمع الجمع: أفلاء.

(٢١٨)

أخبرني ابنُ أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جبْر بن رياط الأسدي: أنّ عبدَ الملك بن صالح أدخل العُمانيَّ على الرّشيد فأنشده:

يا ناعشَ الجدّ إذا الجـدّ عثرْ ... وجابر العظْم إذا العظْم انكسَرْ
أنـت ربيـعي والربيع يُنْتظـرْ ... وخـيـر أنواء الربيع مـا بكَرْ

فقال له الرشيد: إذاً يبكُر عليك ربيعُنا، يا فضْل، أعطه خمسة آلاف دينار، وخمسين ثوباً.

قال إسحاق: قال جبْر: لما دخل الرّشيدُ الرقّةَ استقبله العُمانيّ، فلما بصُرَ به ناداه:

هارونُ يابنَ الأكْرمين منْصبـا ... لمـا ترحّلْتَ فـصـرت كـثـبـا
من أرضِ بغْـداد تؤُمُّ المغْـربـا ... طابت لنا ريحُ الجنوبِ والصَّبا
ونـزل الغيْثُ لنـا حـتى ربـا ... مـا كان من نشْزٍ وما تصوَّبا
فمرْحباً ومرحباً ومرحبا

فقال له الرُّشيد: وبك مرحباً يا عُمانيّ وأهلا، وأجْزل صلته. (٣١١/١٨)

(٢١٩)

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد قال: حدّثنا حمّاد، عن أبيه قال: قصد العُمانيُّ عبد الملك بن صالح الهاشميّ مُتوسّلا به إلى الرشيد في الوصول إليه مع الشعراء، ومدح عبد الملك بقصيدته التي يقول فيها:

نمتْه العرانينُ من هاشـمٍ ... إلى النُّسب الأوضح الأصْرحِ(١)
إلى نبْعةٍ فرعُها في السماء ... ومغرسُها سُرّةُ الأبطحِ(٢)

فأدخله عبدُ الملك إلى الرّشيد بالرُّقة فأنشده:

هارونُ يابنَ الأكـرمينَ حـسـبـا ... لمـا ترحّلْـتَ فكـنت كـثـبـا
من أرضِ بغـدادَ تؤمُّ المغـربـا ... طابتْ لنا ريحُ الجنوب والصَّبا
فمرْحباً ومرْحباً ومرْحبا

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوباً. (٣١٦/١٨)

---

(١) عرانين القوم: ساداتهم وأشرافهم.

(٢) سرّة كلّ شيء: وَسَطُه والأبطح: يريد بطحاء مكة، يعني أنّه في وسط قريش شرفاً.

(٢٢٠)

أخبرني حبيبُ بنُ نصْر المهلبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني أحمدُ بنُ عليّ بن أبي نعيم قال: حدّثنا مُوسى بنُ صُبيح المروزيّ قال: خرج الرَّشيدُ غازياً بلادَ الرّوم، فنزل بهرْقلة(١)، ونصبَ الحرب عليها، فدخل عليه العُمانيّ وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلُها من النِّعْمة، فأنشده العُمانيّ قصيدة له في هذا المعْنى، يذكرُ فيها طيبَ العيْش ببغداد، وسعة النعم، وكثرة اللّذات، يقول فيها:

ثم أتوْهم بالدَّجاج الدُّجْجِ ... بين قديدٍ وشواءٍ منضجِ
وبِعَبيطٍ ليس بالمُلهوجِ ... فدَقُّ دقَّ الكَوْدنيّ الدَّيْرَجِ(٢)
حتى ملا أعفاج بطنٍ نُفَّجِ ... وقال للقيْنة: صبيّ وامزُجي(٣)

قال: فوهب له على القصيدة ثلاثين ألف درهم. (٣١٨/١٨)

(٢٢١)

أخبرني محمدُ بن عِمران الصيْرفيّ، والحسنُ بن عليّ الخفاف قالا: حدثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال: حدّثني أبو عبدِ الله أحمدُ بنُ محمد بن سُليمان الحنفيّ نو الهِدْمين قال: حدّثني أبي قال: دخلَ يزيدُ بنُ مزْيد على الرَّشيد فقال له: يا يزيد، مَن الذي يقُولُ فيك:

لا يعبَقُ الطِّيبُ خدَّيْه ومفرِقه ... ولا يُمسِّح عيْنيه من الكُحُلِ(٤)
قد عوَّدَ الطَّير عاداتٍ وثِقْنَ بها ... فهُنَّ يَتْبعنَهُ في كُلّ مُرْتحلِ(٥)

فقال: لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين. فقال له هارون: أيُقال فيك مِثْلُ هذا الشِّعر ولا تعرف قائله! فخرج من عنده خجلاً، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له: مَنْ بالبابِ من الشُّعراء؟

---

(١) هِرْقلة: مدينة ببلاد الرّوم، سُمِّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر معجم البلدان(٥/٣٩٨).

(٢) لحم عبيط: طريّ، والمُلهوج: غير الناضج، أي جاءوا بلحم طريّ ناضج. والكودنيّ: البرذون الهجين، أو هو الفيل، والدَّيرج: طنبور نو أوتار تُضرب، ينظر لسان العرب (١٣/٣٥٦ و٢/٢٧٠).

(٣) الأعفاج: جمع عفج، وهو ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة، ونُفَّج: عظيمة كبيرة.

(٤) لا يعبق الطيب خدّيه ومفرقه: أي لا يلصق بهما، ولا يمسح عينيه من الكحل: أي لا يكتحل، يريد أنّه لا يشتغل بالطيب والكحل وما سواهما من الملاذّ لأنّه مشغول بالحرب وأهوالها، يدلّ على هذا البيت الذي يليه.

(٥) العادات التي عودُ الطير عليهن هي تقديم لحوم القتلى إليهنّ، ولذلك تتبعه الطير أينما ذهب وسار، وهو معنى شائع في الشعر العربي، بدأه النابغة الذبياني، وتبعته الجمهرة من الشعراء بعده، ومن المفيد أن =

قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حَجَبْته عنّي فلم تُعْلمني بمكانه؟ قل: أخبرته أنّك مُضيق، وأنه ليس من يديك شيء تعطيه إياه، وسألتُه الإمساكَ والمقام أياماً إلى أن تتسع. قال: فأنكر ذلك عليه وقال: أدخِلْه إليّ فأدخله إليه، فأنشده قوله:

أجرَرْتُ حبل خليع في الصِّبا غزلِ ... وشمَّرتْ هِمَمُ العُذّالِ في عذلي(١)
ردُّ البكاءَ على العَيْن الطُّموحِ هوى ... مُفرِّقٌ بين تَوْديعٍ ومُرْتحلِ(٢)
أما كفى البَيْنَ أن أُرمى بأسْهُمِه ... حتى رماني بلحْظِ الأعيُنِ النُّجُلِ!
مما جنت لي - وإن كانت مُنىً صدقَتْ - ... صبابةُ خُلَسُ التَّسليمِ بالمُقَلِ(٣)

فقال له: قد أمرْنا لك بخمْسين ألفَ درهم، فاقبضْها واعذر، فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم: قد أمرني أن أرهن ضيْعة من ضياعه على مائةَ ألف درهم، خمْسونَ ألفاً لك وخمْسون ألفاً لنفقته. وأعطاه إيّاها، وكتب صاحبُ الخبَر بذلك إلى الرَّشيد، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال: اقضِ الخمْسين الألف التي أخذها الشّاعر وزِدْه مثلها. وخُذ مائةَ ألفٍ لنفقتك. فافتكّ ضيْعته، وأعطى مُسلما خمسين ألفاً أخرى. (٣٥/١٩)

(٢٢٢)

أخبرني الحُسَيْن بنُ القاسم الكوْكبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني مسعودُ بنُ عيسى العبْديّ قال: أخبرني مُوسى بنُ مُوسى عبْدِ الله التميميّ قال: دخل مُسلم بنُ الوليد الأنصاريّ على الفضْل بن سهْل ليُنْشِدَه شعْراً، فقال له: أيُّها الكهْل، إنّي أجِلُّكَ عن الشِّعر، فسلْ حاجتك، قال: بل تستتمّ اليد عندي بأن تسْمع(٤)، فأنشده:

دُموعُها من حذار البيْن تنسَكِبُ ... وقلبُها مُغْرَمٌ من حرِّها يجِبُ(٥)

= نحيل هنا إلى كتاب معاهد التنصيص (٩٧/٤) وما بعدها، إذ تتبّع هذا المعنى عند كثير من الشعراء، مع إيراده الأبيات التي تضمّنت هذا المعنى.

(١) تقول العرب: أجررت فلاناً رسنه، إذا مهّلتَ له في إرادته، وأصله أن تمهّل للدّابة في الرّعي جارّةً رسنها، فيقول: «أجررت حبل خليع في الصّبا» أي حبل مَنْ قد خلع عذاره في الصّبا، وقوله: غزل: أي نو غزل ومُجن، والخليع: مَنْ خلعه قومه لشرّه. (٢) الطُّموح: المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون.

(٣) والخُلَس: جمع خلسة، وهي استراق اللّحظ مخافة الرّقباء. وينظر شرح ديوان مسلم (ص١) وما بعدها.

(٤) من الضروري أن يُنشد الشاعر أمام مَنْ دخل إليه، وإلاّ فستهبط مكانته، ولهذا رأينا الشاعر يصرُّ على الإنشاد، والفضل يطلب منه عدم الإنشاد، ولعلّ هذا يدخل في الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق.

(٥) وجب القلب: خفق ورجف.

جدُّ الرَّحيلُ به عنها ففارقها ... لبيْنِه اللَّهْوُ واللَّذَّاتُ والطَّربُ
يهْوى المسيرَ إلى مرْوٍ ويحزُنُه ... فِراقُها فهو ذو نفْسيْن يرتقبُ

فقال له الفضْل: إني لأجِلُّك عن الشعر(١)، قال: فأغْنني بما أحْببتَ من عملك؛ فولاَّه البريدَ بجُرْجان. (١٩/٤٥)

(٢٢٣)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاقَ عن أبيه قال: عتب عيسى بنُ داود على مُسلم بن الوليد فهجره، وكان إليه مُحسناً، فكتب إليه مسلم:

شكرتُك للنُّعْمى فلمّا رمَيْتني ... بصدِّكَ تأديباً شكرتُك في الهجْرِ
فعندي للتأديب شُكْرٌ وللنُّدى ... وإن شئْت كان العفْو أدْعى إلى الشُّكرِ
إذا ما اتَّقاكَ المستليمُ بعُذْره ... فعفْوك خيْر من ملامٍ على عُذْرِ

قال: فرضي عنه وعادَ له إلى حاله. (١٩/٤٦)

(٢٢٤)

أخبرني الحسنُ قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنْصاريّ من ولدِ النُّعْمانِ بن بشير قال: حدثني مسلم بن الوليد قال: وجّه إليَّ ذُو الرِّياستيْن(٢)، فحُملتُ إليه، فقال: أنشدني قولك:

بالغمْرِ من زينبَ أطلالُ ... مرَّتْ بها بعدك أحوالُ(٣)

فأنشدْتُه إيَّاها حتى انتهيتُ إلى قولي:

وقائلٍ ليست له همَّةٌ ... كلاًّ ولكن ليس لي مالُ
وهمَّتُ المُقْترِ أمْنيَّةٌ ... همٌّ مع الدَّهر وأشْغالُ
لا جِدَّةً أنهضُ عزْمي بها ... والناسُ سُؤَّالٌ وبُخَّالُ(٤)

---

(١) لعلّ في تكرار الفضل قولته للشاعر: إنّي لأجلّك عن الشعر، إشارة إلى تغيّر النظرة إلى الشعر، واحتلاله موقعاً أدنى ممّا كان عليه، بسبب ذلك التكسّب والإلحاف الذي تميّز بهما، وقد ذكرنا في المقدمة أنّ هذه النظرة بدأت تنتشر، ولكنّها لم تصبح الوجه الوحيد للشعر.

(٢) ذو الرِّياستين: هو الفضل بن سهل، وقد شرحنا في موضع سابق سبب هذه التسمية.

(٣) الغَمْر: اسم لعدّة مواضع، فهو بئر قديمة بمكة، وموضع وراء وَجْرة بينه وبين مكة مسيرة يومين، وهو وادٍ بين شحر وتيماء ماؤه قليل. ينظر معجم البلدان (٤/٢١١ - ٢١٢). (٤) الجدة: العطيّة والنوال.

فـاقـعُدْ مع الدَّهر إلى دولةٍ ترفعُ فـيـهـا حـالك الحـالُ

قـال: فلمَّا أنشـدتُه هذا البيت قـال: هذه والله الدَّولةُ التي ترْفَعُ حـالك. وأمـر لي بمالٍ عظيم وقلَّدني - أو قال قبَّلني - جوْزَ جُرجان. (٥٣/١٩)

(٢٢٥)

حدَّثني جحْظة قال: حدَّثني ميْمُونُ بنُ هارون قال: كان مسلمُ بنُ الوليد قد انحرف عن معْنِ بنِ زائدةَ بعد مدْحه إياه، لشيء أوحشه منه، فسأله يزيدُ بنُ مزْيد أن يهبه له، فوعده ولم يفعْل، فتركه يزيد خوفاً منه، فهجاه هجاءً كثيراً، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءَه قطع لسانه، فمن ذلك قولُه فيه:

يا مـعْنُ إنَّك لم تزل في خـزْيةٍ حـتى لفـفتَ أباكَ في الأكـفانِ
فـاشْكُر بلاءَ الموْتِ عنْك إنَّـه أودى بلُؤْم الحيِّ من شـيْبـان

قال: وهجا أيضاً يزيد بنَ مزْيدَ بعد مدْحه إياه فقال:

أيزيدُ يا مـغْرورُ ألامَ مَنْ مـشـى ترْجُو الفـلاح وأنتَ نُطْفة مـزْيدِ
إن كُنتَ تنكرُ منطقي فاصرخ به يوْمَ العرُوبة عند بابِ المسْجدِ(١)
في مَنْ يزيدُ فإن أصبتَ بمزيدٍ فلَسا فهاك على مُخاطرةٍ يدي

هكذا روى جحْظة في هذا الخبر، والشِّعران جميعاً في يزيدَ بنِ مزْيد، فالأوَّل منهما أوَّله:

أيزيدُ إنَّك لم تزل في خزْيةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلم، ولم يلق مُسلم معْنَ بنَ زائدة، ولا له فيه مدْح ولا هجاء. (٥٤/١٩)

(٢٢٦)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ قال: حدَّثنا الهشاميُّ قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ عمْرو قال: حدَّثني مُوسى بنُ عبد الله التميميُّ قال: دخل مُسلم بنُ الوليدِ على الفضْل بن سهْل، فأنشده قوله فيه:

لو نطقَ الناسُ أو أنْبوْا بعلمهمُ ونبَّهتْ عن معالي دهْرِكَ الكُتبُ
لم يبلُغوا منك أدنى ما تمُتُّ به إذا تفاخرت الأملاكُ وانْتسَبُوا

---

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة، وهو من أسمائها القديمة.

فأمر له عن كُلِّ بيت من هذه القصيدة بألف درهم(١). (٥٦/١٩)

(٢٢٧)

أخبرني حبيبُ بنُ نصْر قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال: حدّثني أحمدُ بن إبراهيم بن إسماعيل بنِ داودَ قال:

دخلَ مُسلم بنُ الوليد يوماً على الفضل بن يحيى، وقد كان أتاه خبرُ مسيره، فجلس للشُّعراء فمدحوه وأثابهم، ونظر في حوائج النّاس فقضاها، وتفرّق الناسُ عنه، وجلس للشُّرب، ومُسْلم غيْرُ حاضرٍ لذلك، وإنّما بلغه حين انْقضى المجْلس، فجاء فدخل إليه فاستأذن في الإنشاد، فأذنِ له، فأنْشده قوله فيه:

أتتْك المطـــايا تهتـدي بمطيـــة ... عليها فتىً كالنَّصْل مُؤنسُه النَّصْلُ

يقول فيها:

وردت رواقَ الفـضْـل آمـــلُ فَضْلـــه ... فـــحطُّ الثُّناء الجـــزْلَ نائلُه الجـــزْلُ
فـتى ترْتعي الامـالُ مُـزنـــة جُـوده ... إذا كـان مـرْعـاها الأمـانيُّ والمطْلُ
تسـاقطُ يمُناه النـــدى وشـــمالُه ... الرُّدى وعيـونُ القـوْلِ منطقُه الفصْلُ
ألحَّ على الأيام يفـــري خُطوبهـــا ... على منْهـــجٍ ألفى أبـاه به قـــبْلُ
أنافَ به العليـــاءَ يحـــيى وخـــالدٌ ... فليس لـــه مـــثْلٌ ولا لهُمـــا مثْـــلُ
فُـروعٌ أصـابت مـغْرســـاً مـتمكِّناً ... وأصْلاً فطابت حيث وجُّهـها الأصلُ
بكفِّ أبي العبّاس يُستـمطر الغنى ... وتُسْتَنْزلُ النُّعمى ويُسْتـرعف النَّصلُ(٢)

قال: فطربَ الفضْل طرباً شديدا، وأمر بأن تُعدَّ الأبياتُ، فعُدَّت فكانت ثمانين بيْتا فأمر له بثمانين ألف درهم، وقال: لولا أنّها أكثر ما وُصل به الشُّعراء لزِدتُك، ولكنّه شأوٌ لا يُمْكِنُني أن أتجاوزه- يعني أنّ الرشيد رسمه لمرْوان بن أبي حفْصة(٣)- وأمره بالجُلوس معه والمُقام عنده لمُنادمته، فأقام عنده، وشرب معه، وكانت على رأس الفضل وصيفة تسْقيه كأنّها لؤلُؤة، فلمح

---

(١) ظاهرة عدّ أبيات القصيدة، وإعطاء مبلغ من المال لكل بيت فيها، أقول، تقابلنا هذه الظاهرة مرّة أخرى.

(٢) يُسترعف النّصل: يتقدّم للطعن أو يسيل الدمّ منه، فبيد الممدوح يكون النّصل قاتلاً طاعناً. ينظر لسان العرب(١٢٣/٩)

(٣) ينضوي هذا الرسم المفروض للشعراء، تحت رسوم كثيرة جدّت بين الشعراء والخلفاء، لا يقدر أحد أن يتجاوزها، ونرى هنا أنّ الشأوَ لا يمكن للفضل أن يبلغ أبعد منه بسبب الخليفة الذي أوقفه عند حدٍّ معين.

الفضْلُ مُسلماً ينظر إليها، فقال: قد ـ وحياتي يا أبا الوليد ـ أعجبتْك، فقُل فيها أبياتاً حتى أهبها لك، فقال:

إن كُنتِ تسْقين غيرَ الرَّاح فاسقيني ... كأسـا ألذُّ بها مـن فيكِ تشْفيني
عيْناكِ راحي، وريْحاني حديثُك لي ... ولـونُ خدَّيْك لـونُ الوردِ يكْفيني
إذا نهـانيَ عن شُرْب الطِّلا حـرجٌ ... فـخـمْرُ عـيْنيْكِ يُغْنيني ويجـزيني
لولا عـلامـاتُ شيبٍ لو أتتْ وعظت ... لقد صـحـوتُ ولكن سوف تأتيني
أرضي الشَّباب فإن أهلك فعن قدر ... وإن بقيتُ فإن الشَّـيبَ يُشـقيني

فقال له: خُذْها بُورك لك فيها، وأمَرَ بتوجيهها مع بعْض خدمها إليه. (٥٨/١٩)

(٢٢٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعْد قال: حدثني محمد بن محمد بن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وُهيْب الشاعر قال: لما تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحّاك الجبلَ قلتُ فيه شعراً وأنشدتُه أصحابنا دعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمام الطائيّ، فاستحسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري من الأشعار التي تُلقى بها الملوكُ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صِرْتُ إلى همذان(١) أخبره الحاجبُ بمكاني فأذن لي فأنشدتُه الشعرَ فاستحسن منه قولي:

أجـارتنا إنَّ التعفُّـفَ باليأس ... وصبْراً على استدْرار دُنيا بإبساسِ(٢)
حـريٌّان ألاَّ يقـذفـا بمذلـة ... كـريماً وألاَّ يُحـوجـاه إلى الناس
أجـارتنا إنَّ القِـداحَ كـواذبٌ ... وأكثرُ أسباب النُّجاح مع اليأسِ(٣)

---

(١) همذان: مدينة كبيرة بفارس، كثيرة الخيرات، يقول ياقوت: «ولاشك عند كلّ مَنْ شاهد همذان بأنّها من أحسن البلاد وأنزهها، وأطيبها، وأرفهها، ... إلاّ أنّ شتاءها مفرط البرد بحيث قد أفردت فيه كتب وذُكر أمره بالشعر والخطب»، معجم البلدان (٤١٢/٥).

(٢) الاستدرار هنا: طلب الخير، والإبساس: التصويت للناقة بلطف لتسكن وتدرّ، وهنا استعمال اللُّطف والكياسة في طلب الخير.

(٣) القِداح: جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصل ويُراش، ينظر لسان العرب (٥٥٦/٢)، وأراد بها هنا تلك السهام التي كانت العرب في جاهليتها تستعملها لإنفاذ أمر ما أو منعه، وهي الأزلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مقروناً بالفسق والتحريم، وذلك أن يُكتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، أو أمرني ربّي، أو نهاني ربّي، ويُترك الثالث غُفلاً من الكتابة، فإذا أرادوا شيئاً من ذلك أتوا إلى بيت الأصنام واستقسموها، فإن خرج الأمر أقدموا على الأمر، وإن خرج الناهي أمسكوا عنه، وإن خرج الغُفل =

فأمر حاجبه بإضافتي فأقمتُ بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحُملان أو خلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا علْج(١) فأعدَّ يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبُّ إليّ. فلما كاد الشتاء أن يشتدَّ قال لي: هذا أوان الوداع، فأنشدني الثلاثة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته:

أجـارتنا إن القِـداح كـواذبٌ وأكثرُ أسباب النَّجاح مع الياسِ

قال: صدقت، ثم قال: عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطوهُ لكل بيت ألفَ درهم، فعُدَّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم. (٧٥/١٩)

(٢٢٩)

حدثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال: حدثني أبو هفّان قال: حدّثني خالي قال: كنت عند أبي دُلف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ بنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جداً، فلما انصرف قال له أخوه معْقِل: يا أخي، قد فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه، ما هو في بيت من الشَّرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي. إنه لحقيق بذلك، أو لا يستحقه وهو القائل(٢):

يـدُلُّ على أنني عـاشـقٌ من الدمع مُسْتَشْهَدٌ ناطِق
ولي مـالكٌ أنا عـبـدٌ له مـقرٌّ بأنـه لـه وامـق
إذا مـا سـمـوت إلى وصله تعـرَّضَ لي دونـه عـائق
وحاربني فيه ريبُ الزَّمـان كـأنَّ الزَّمـان لـه عـاشـقُ (٧٧/١٩)

(٢٣٠)

حدّثني عمّي قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: لما قدِمَ المُطَّلب بنُ عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمدُ بنُ وُهيب مستقبلا مع مَن تلقّاه.

= أجالوها ثانياً حتى يخرج الأمرُ أو الناهي، ونرى الشاعر يجعل من هذا كلّه كذباً لا شيء من الحقيقة فيه، ينظر صفوة البيان لمعاني القرآن (ص ١٤٣)، ونشوة الطرب (٧٩٧/٢).

(١) العلج: الشديد.

(٢) تتجاور النُّظرتان التي أشرنا إليهما فيما سبق جنباً إلى جنب، فمعقل يرى أنّ الشاعر أخذ فوق ما يستحقّ، لأسباب ذكرها، أمّا القاسم فيكرم الشاعر ويُجلُّه للأبيات التي أوردها. فنرى أنّ الشعر كان سبب الاحترام، وهذا يدلّ على أنّ النظرتين ما تزالان موجودتين بحسب ما يراه كلّ إنسان، وتذوقه للشعر.

ودخل إليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها:

وما زلتُ أسترعي لك الله غائبا ... وأظهرُ إشفاقاً عليك وأكتُمُ
وأعلم أنَّ الجودَ ماغبتَ غائبٌ ... وأنَّ النَّدى في حيث كُنتَ مُخيِّمُ(١)
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاءٌ بالسُّعود ومقْدَمُ
وظلَّ يُناجيني بمدْحك خاطرٌ ... وليلي ممدود الرِّواقين أدهمُ(٢)
وقال: طواه الحجُّ فاخشعْ لفقده ... ولا عيش حتى يستهلَّ المحرَّم
سيفخر ماضمَّ الحطيمُ وزمزمٌ ... بمُطَّلبٍ لو أنه يتكلَّم
وما خُلِقَتْ إلا من الجود كفُّه ... على أنها والبأس خِدْنان توأمُ
أعدْتَ إلى أكناف مكة بهْجةً ... خزاعيَّةً كانت تُجِلُّ وتُعظِمُ
ليالي سُمَّارِ الحجون إلى الصَّفا ... خُزاعة إذ خلَّت لها البيتَ جُرْهُم(٣)
ولو نطقت بطحاؤُها وحجونها ... وخيفُ منىً والمأزمان وزمزمُ(٤)
إذاً لدعت أجزاءُ جسمك كلها ... تنافسُ في أقسامه لو تُحكَّمُ
ولو رُدَّ مخلوقٌ إلى بدء خلقه ... إذاً كنت جسماً بينهن تُقسَّمُ
سما بك منها كل خيْفٍ فأبطحٍ ... نما بك منه الجوهرُ المتقدِّمُ
وحنَّ إليك الركنُ حتى كأنَّه ... وقد جئته خِلٌّ عليك مُسلِّمُ

قال: فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طُرف ما قدم به وحمله، والله أعلم. (٧٧/١٩)

(٢٣١)

حدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جحْظة قال: حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال: كان محمد بن وُهيْب الحِمْيريّ الشاعر قد مدح عليَّ بن هشام وتردد إليه وإلى بابه دفعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلَّم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تيهٌ شديد، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها،

---

(١) مخيِّم: مقيم.

(٢) ممدود الرواقين: ممتَّد قد جلَّل الكون بظلامه، وأدهم: شديد السواد.

(٣) يشير الشاعر في هذا البيت إلى ما حلَّ بجُرْهم بعد أن «بغوا بمكة، واستحلُّوا خلالاً من الحرمة، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهدى لها» إذ أجمع «بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وغُبشان من خزاعة» لحرب جُرهم، فاقتتلوا، ونَفَوا جرهماً من مكة. تنظر السيرة النبوية لابن هشام (١١٣ ـ ١١٤).

(٤) المأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام ومكة.

فلما وصلت إليه خرقها وقال: أيّ شيء يريد هذا الثقيل السيّئ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضباً وقال: والله ما أردتُ ماله وإنما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغْني الله جل وعزَّ عنه، أما والله ليذُمَّن مغبةَ فعله. وقال يهجوه:

أزْرت بجـود عليٍّ خيفـة العدم ... فصدُّ مُنْهزماً عن شأوِ ذي الهِمِمِ
لو كان منْ فارسٍ في بيْت مكرُمة ... أو كـان من ولد الأملاك في العجمِ
أو كـــان أوله أهلُ البطاح أو الرُّ ... كبُ المُلَبُّونَ إهلالاً إلى الحـــرمِ
أيـام تُتَّخـذ الأصنامُ آلهـــة ... فـلا ترى عـاكـفـاً إلا على صنمِ
لشـجُعَتْه على فـعل الملوك لهـــم ... طبـائعٌ لم ترُعْهـا خـيفـة العدمِ
لم تند كـفُّاك من بذل النُّوال كـمـا ... لـم يند سـيـفُك مُذْ قُلِّدته بدمِ
كُنْتَ امـرأ رفـعـتْه فتْنةٌ فـعـلا ... أيامـهـا غـادراً بالعـهْد والذممِ
حتى إذا انكشفت عَنَّا عـمايتـهـا ... ورُتِّبَ الناسُ بالأحـسـاب والقِـدمِ
مـات التـخلّقُ وارتدّتْ مـرتجـعـاً ... طبـيـعـةً نذلـةَ الأخـلاقِ والشـيمِ
كـذاك مَنْ كـان لا رأسـا ولا ذنبـاً ... كـزَّ اليـدين حـديثَ العـهْد بالنِّعمِ
هيـهـاتَ ليس بحمَّـالِ الدِّيات ولا ... مُعطي الجزيل ولا المرهوب ذي النِّقَمِ

قال: فحدّثني بعضُ بني هاشم أنّ هذه الأبيات لمّا بلغت عليَّ بن هشام ندم على ما كان منه، وجزع(١) لها وقال: لعن الله اللُّجاج فإنه شرُّ خُلُقٍ تخلّقه الناس. ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أني لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلا وأنا مُسْتَح منه، أذكر قول ابنِ وُهيب فيّ:

لم تند كفُّاك من بذْلِ النُّوال كما ... لم يندَ سـيفُك مـذ قُلِّدتـه بدمِ (٨١/١٩)

(٢٣٢)

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثني أهلُنا: أنّ محمد بن وُهيْب قصد المُطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ - عمُّ أبي - وقد وَلي الموصل وكان له صديقاً حفياً، وكان كثير الرِّفد له والثَّواب على مدائحه، فأنشده قوله فيه:

دمـــاء المُحبِّين لا تُعـقـــل ... أمـا في الهـوى حـاكمٌ يعـدِلُ(٢)

---

(١) ما تزال للشعر مكانته القديمة. وما هذا الجزع والنّدم سوى مظاهر لهذه المكانة.

(٢) لا تُعقلُ: أي لا تُدفع ديّاتُها، فهي مهدرة بلا ضابط.

تعبَّدني حَوَرُ الغانيات ودانَ الشَّبابُ لـه الأخطلُ(١)
ونظرة عين تلافيتُها غِراراً كما ينظُر الأحولُ
مُقسَّمة بين وجْه الحبيب وطرْف الرَّقيب متى يغفلُ
أذمٌّ على غربات النَّوى إليك السُّلُوُّ ولا أذهلُ(٢)
وقالوا عزاؤُكَ بعد الفراق إذا حُمَّ مكروهُه أجملُ
أقيدي دماً سفكتْه العُيونُ بإيماضِ كحلاء لا تُكحَلُ(٣)
فكُلُّ سهامك لي مُقْصِدٌ وكُلُّ مواقعها مقتَلُ
سلامٌ على المنزل المُستحيل وإن ضنَّ بالمنْطق المنزل
وعضْب الضَّريبة يلقى الخُطوب بجدّ عن الدَّهر لا ينْكِلُ(٤)
تغلْغل شرْقاً إلى مغرِبٍ فلمّا تبدَّت له الموصلُ
ثوى حيث لا يُستمال الأريب ولا يُؤلف اللُّقنُ الحُوَّلُ(٥)
لدى ملكٍ قابلتْه السُّعودُ وجانبه الأنجمُ الأفَّلُ(٦)
لأيَّامه سطواتُ الزَّمان وإنعامُه حينَ لا مَوْئِلُ
سما مالكٌ بك للباهرات وأوْحدك المرْبأ الأطولُ
وليس بعيداً بأن تحْتذي مذاهبَ آسادها الأشبُلُ

قال: فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجراياته وجدّد له صلة، فأقام عنده بُرهة أخرى، ثم دخل عليه فأنشده:

ألا هل إلى ظلِّ العقيق وأهلـه إلى قصْر أوس فالحزير معادُ؟(٧)

(١) الأخطل: السريع الطائش. (٢) الغربات: جمع غربة، وهي البعد.
(٣) أقيدي: اجعلي شيئاً عوضاً عن آخر، وهنا اجعلي نظري إلى عينيك عوضاً عن دمي الذي سفكته عيناك.
(٤) عضب: يقال عَضَبَ السيف: صار قاطعاً، والضريبة: المضروب بالسيف، أراد أنَّ سيفه قاطع، يقتل مَنْ يضربه به.
(٥) اللَّقن: سريع الفهم، والحَوَّل: السريع التغيّر من الرجال، كأنَّ الشاعر نظر إلى قول علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه حين أشار إلى صدره وقال: إنَّ ههنا علماً، لو أصبتُ له حَمَلةً، بَلى أصيبُ لِقناً غير مأمون، أي فَهماً غير ثقة. ينظر لسان العرب (١٣/٣٩٠).
(٦) الأفَّل: الغائبات.
(٧) قصر أوس: موضع بالبصرة، ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زُفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة، وكان سيّد قومه، وكان قد ولي خراسان في الدولة الأموية، ينظر معجم البلدان (٤/٣٥٦)، =

وهل لي بأكناف المُصلّى فسفحه إلى السُّور مغدىً ناعمٌ ومُرادُ؟(١)
فلم تُنسني نهرَ الأبُلّة نيلةٌ ولا عرصاتِ المِربدين بعادُ(٢)
هنالك لا تبْني الكواعبُ خيمةً ولا تتهادى كلّثمٌ وسعادُ
أجِدِّيَ لا ألقى النَّوى مطمئنةً ولا يزدهيني مَضْجعٌ ومِهادُ

فقال له: أبيتَ إلا الوطنَ والنُّزاعَ إليه. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقرَ له زورقا من طُرف الموْصل وأذِن له. (٨٩/١٩)

(٢٣٣)

حدّثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمدُ بنُ وُهيب تيّاها شديد الذُّهاب بنفسه، فلمّا قدم الأفشين - وقد قتل بابك - مدحه بقصيدته التي أوّلها:

طلولٌ ومغانيها تُناجيها وتبْكيها

يقول فيها: بعثْتَ الخيلَ، والخيرُ عقيدٌ في نواصيها

وهي من جيِّد شعره، فأنشدناها ثمّ قال: مالها عيب سوى أنها لا أختَ لها. قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرقتُها على يد ابن أبي دُؤاد، فأعطى منها محمد بن وُهيْب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تمام عشرة آلاف درهم. قال ابنُ أبي كامل: فقُلت لعليّ بن يحيى المُنجِّم: ألا تعجب من هذا الحظّ؟ يُعطى أبو تمام عشرة آلاف وابنُ وُهيْب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بيْن السماء والأرض. فقال: لذلك علّة لا تعرفها؛ كان ابنُ وُهيْب مؤدِّبَ الفتْحِ بن خاقان، فلذلك وصل إلى هذه الحال. (٩٣/١٩)

(٢٣٤)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني محمد بنُ موسى قال: حدّثني الحسنُ بنُ إسماعيل عن ابن الحفْصيّ قال: قال يزيدُ بنُ مزْيد: وجّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ، فلمّا مثُلت بين يديه قال: يا يزيدُ، مِنَ الذي يقول:

= والحزير: ضبط في الأغاني هكذا براء غير معجمة. وفي معجم البلدان (٢٥٧/٢): الحزيز: موضع بالبصرة.

(١) المُصلّى: موضع بعينه في عقيق المدينة، معجم البلدان (١٤٤/٥).

(٢) الأبُلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأنّ البصرة مُصِّرت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها ممالح من قِبَل كِسرى. أما النهر الذي يذكره الشاعر فقد حفره زياد. ينظر معجم البلدان (٧٧/١).

ومـــن يفْتقِرْ منَّا يعِشْ بحُســـامِه ومن يفْتقِرِ من سائر النَّاس يسْألِ

فقلت له: والذي شرُفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه، قال: فمن الذي يقول:

وإن يكُ جدُّ القوْمِ فِهْرَ بن مالك فجدِّي لُجيْمٌ قرْمُ بكْر بن وائلِ

قلت: لا والذي أكرمك وشرُفك يا أمير المؤمنين ما أعْرفه، قال: والذي كرُمني وشرُفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتُك بساطي وشرُفتُك بصنيعتي أني أحتملك على هذا؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك وأتقصَّاها، وتحسب أنه يخفى عليَّ شيءٌ منها؟ والله إن عيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأتني به. فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوته وأعلمتُه ما كان من الرشيد، فأمرتُ له بألفي درهم، وأسقطتُ اسمه من الديوان، وأمرتُه ألا يظهر مادام الرشيدُ حيّاً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر، فألحقتُ اسمه وزِدْتُ في عطائِه.

(١٠٧/١٩)

(٢٣٥)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدّثني أبو الحسن الكسْكريُّ قال: بلغني أن أبا دُلف لحق أكراداً قطعوا الطّريق في عمله، وقد أردفَ منهم فارسٌ رفيقاً له خلْفه، فطعنهما جميعاً فأنفذهما، فتحدّث الناسُ بأنه نظم بطعنة واحدة فارسين على فرس، فلما قدم من وجهه دخل إليه بكْرُ بن النَّطّاح فأنشده:

قالوا: وينظِم فارسيْن بطعْنة يـــوم اللِّقـــاء ولا يـراهُ جليلا
لا تعْجبوا فلو أنَّ طُولَ قناتِه ميلٌ إذاً نظمَ الفوارسَ ميلا

قال: فأمر له أبو دُلف بعشرة آلاف درهم، فقال بكرٌ فيه:

أبا دُلَـف بُورِكْتَ في كـل بلْـدةٍ كما بورِكَتْ في شهْرها ليلةُ القدْرِ
له راحـةٌ لـو أن مِعْشار جُودهـا على البرِّ كان البرُّ أندى من البَحْرِ
ولو أن خلْقَ الله في جِسْم فـارس وبارزه كـان الخليُّ مـــن العُمُـرِ

(١٠٩/١٩)

(٢٣٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهلَّبيّ قال: حدثني عبدُ الله بنُ العباس قال:

كُنتُ مقيماً بسُرَّ مَنْ رأى وقد ركبني دين ثقيل أكثرُه عينةٌ(١) وربا فقلتُ في المُتوكِّل:

اسقياني سحراً بالكُبَّرهْ ما قضى اللهُ ففيه الخيرهْ(٢)
أكرمَ اللهُ الإمامَ المرتضى وأطال اللهُ فينا عُمُرَهْ
إن أكُن أقعدْتُ عنه هكذا قدَّرَ اللهُ رضينا قدرَهْ
سرَّه اللهُ وأباقه لنا ألفَ عام وكفانا الفجرهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه، وكنت مُسْتتراً من الغُرماء، فقال لعُبَيْد الله بن يحيى: وقُع إليه: مَنْ هؤلاء الفجرة الذين استكفيتَ الله شرَّهم؟ فقلتُ: المُعيِّنون الذين قد ركبني لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا، فأمر عُبَيْد الله أن يقضي دَيْني، وأن يحتسب لهم رءوسَ أموالهم، ويُسقط الفَضلَ، وينادي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يقضي أحدٌ أحداً إلاّ رأس ماله. وسقط عَنّي وعن النَّاس من الأرباح زُهاء مائة ألفِ دينار كانت أبياتي هذه سببها. (٢٥٦/١٩)

(٢٣٧)

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الواسطيُّ، قال: حدثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر قال: لما مات عمروُ أبو سلم الخاسر اقتسموا ميراثه، فوقع في قِسط سلْم مصحفٌ، فردَّه وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه، فلُقِّب الخاسر بذلك. أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورث سلمُ الخاسرِ أباه مائة ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لا شيء عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسلم الخاسر، وقالوا: أنفق ماله على مالا ينفعه. ثم مدح المهديّ، أو الرشيد - وقد كان بلغه اللقبُ الذي لُقِّب به - فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذِّب بهذا المال جيرانك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب، فأنا سلْم الرِّابح، لا سلْم الخاسر. (٢٦٢/١٩)

(٢٣٨)

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدثني الحسن بن عُليل العنزيّ، قالك حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال: لما بنى صالح بن المنصور قصره بدجْلة قال فيه سلْم الخاسر:

---

(١) العينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل، ثمّ يشتريه في المجلس بثمن حال ليسلم به من الرِّبا.

(٢) الكُبَّرة: مبالغة في التكبير.

ياصالح الجودِ الذي مجدُه أفْسدَ مجد الناسِ بالجودِ
بنيتَ قصراً مشْرفاً عاليا بطائريْ سعدٍ ومسعودِ
كأنَّما يرفعُ بنيانه جنُّ سليمان بنِ داودِ
لازلتَ مسروراً به سالماً على اختلاف البيضِ والسودِ

يعني الأيام والليالي، فأمر له صالح بألف درهم. (١٩/٢٦٥)

(٢٣٩)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدون بن إسماعيل - وكان يُنادم المتوكل - عن أبيه، قال: كان سلم الخاسر من غلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عُمر بن العلاء - وهي التي يقول فيها:

إذا نبَّهتْك صعابُ الأمورِ فنبِّه لها عُمراً ثم نمْ
فتىً لا يبيت على دِمْنةٍ ولا يشرب الماء إلاَّ بدَمْ

بعث بها مع سلم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوافاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم، فقال له سلم: إنَّ خادمَك - يعني نفسه - قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لهُناك؟(١) قال: تسمع، ثم تحْكُم، ثم قال: هات، فأنشده:

قد عزّني الداءُ فمالي دواء مِمّا ألاقي من حسانِ النساء
قلْبٌ صحيحٌ كنت أسطوبه أصبح من سلْمى بداء عياء
أنفاسها مِسك وفي طرْفها سِحر ومالي غيرها من دواء
وعدْتني وعْداً فأوفي به هل تصلُح الخمرة إلا بماء؟

ويقول فيها: كم كُرْبةٍ قد مسَّني ضرُّها ناديتُ فيها عُمر بن العلاء

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أولَ عطية سنية وصلت إليه. (١٩/٢٦٦)

(٢٤٠)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهْرويه، قال: وجدْت في كتاب بخط الفضل بن مروان: وكان عاصم بن عتبة الغساني جدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسلم الخاسر، كثيرَ البِرِّ به، والملاطفة له، وفيه يقول سلْم:

---

(١) فإنك لَهُناك: أي أفأنت تطيق ذلك؟

الجُود في قحطانٍ ما بقيتْ غسانُ
اسلمْ ولا أبالي ما فعل الإخوانُ
ماضرّ مُرْتجيه ما فعل الزمانُ
من غاله مُخوفٌ فعاصمٌ أمانُ

وكانت سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مبْلغ ما وصل إلى سلم من عاصم خمْسمائةِ ألفِ درهم، فلما حضرتْه الوفاة دعا عاصماً فقال له: إنّي ميِّت، ولا ورثة لي، وإنَّ مالي مأخوذ، فأنت أحقّ به، فدفع إليه خمسمائةِ ألفِ درهم، ولم يكن لسلم وارث. قال: وكان عاصم هذا جواداً. (٢٦٧/١٩)

(٢٤١)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المِسمعيّ، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العبّاس بن عبد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع، قال: كنا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي قثَمُ يا عباس، اطلب لي الجمّاز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سبق(١)، فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكْن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إليه الجمّاز فواجهه، وأنشد قول سلم الخاسر فيه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يُزهِّدُ الناسَ ولا يزْهَدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجدُ

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: من هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجمازُ، وهو ابن أخت سلم الخاسر، انتصر خاله منك حيث قلت له:

تعالى اللهُ ياسلم بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعناق الرجالِ

قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يابن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذهب خالُك؛ ولا أردتُ أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذهبْتَ من الحرص على الرزق، واللهُ يغفر لكما! ثم قام فانصرف. (٢٧٠/١٩)

---

(١) السَّبَق: ما يتراهن عليه المتسابقون.

(٢٤٢)

أخبرني عمّي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هَفّان، قال: وصل إلى سلم الخاسر مِنْ آل برْمكَ خاصة سِوى ما وصل إليه من غيرهم عشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مِثْلُها.
(٢٧٠/١٩)

(٢٤٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا ابن مهْرويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نسير قريباً من محمل المنصور حين قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدَّعتْ، وكأنَّ رجلا جاء بحبل أسود فشدَّدها، فقال له الربيعُ: مَن الرجل؟ فلم يُجِبه، حتى إذا اعتلَّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة! فأيُّ شيء تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سلم الخاسر في الفضل بن الربيع:

يابن الذي جبر الإسلام يوم وهى ... واستنقذَ الناسَ من عمياء صيْخودِ(١)
قالت قريشٌ غداة انهاضَ مُلْكُهُمُ: ... أين الربيع وأعطوْا بالمقاليدِ
فقام بالأمر منناسٌ بوحْدته ... ماضي العزيمةِ ضرّابُ القماحيد(٢)
إن الأمور إذا ضاقتْ مسالكُها ... حلّت يدُ الفضلِ منها كلَّ معقودِ
إنَّ الربيعَ وإن الفضلَ قد بَنَيا ... رواقَ مجدٍ على العبّاس ممدودِ

قال: فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار.
(٢٧٨/١٩)

(٢٤٤)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرويه، قال: حدّثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بن الحسنِ بنِ عبد الخالق، عن أبيه، قال: قال: سلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

له شيمةٌ عند بذْلِ العطا ... ءِ لا يعْرِفُ الناسُ مقدارها
ومهْديُّ أمّتنا والذي ... حماها وأدرك أوتارها

---

(١) الصيخود: في الأصل الصخرة الشديدة، ويوم سيخود: شديد الحرّ، وصف بها الفتنة الشديدة العمياء التي كان يمكن أن يتعرّض لها الناس لولا صنيع الفضل.

(٢) القماحيد: جمع القمحدوة، وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال.

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألفِ درهم. (٢٧٩/١٩)

(٢٤٥)

أخبرني عمّي، قال حدثنا أبو هفان، قال: حدثني سعيد أبو هريم وأبو دعامة، قالا: لما قال سلم الخاسر في الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين:

قد بايع الثُّقلانِ في مهْد الهُدى لمحمد بن زُبيْدة ابنةِ جعفر
ولُيته عهد الأنام وأمْرَهُمْ فدَمغْتَ بالمعروفِ رأسَ المنكرِ

أعطته زُبيْدة مائة ألفِ درهم. (٢٧٩/١٩)

(٢٤٦)

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بن أبي مزاحمٍ قال: شهِدْتُ المهديّ وقد أمر لمروانَ بنِ أبي حفصة بأربعين ألفَ درهم، وفرض له على أهل بيتهِ وجلسائه ثلاثين ألفَ درهم. وأمر الرشيدُ بعد ذلك لمّا ولي الخلافة لسلم الخاسر - وقد مدحه - بسبعين ألفَ درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ أكثر ما أعطى المهديُّ مروانَ سبعون ألفَ درهم، فزِدْني وفضّلني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم، فقال سلم:

ألا قُل لمروانٍ أتتْكَ رسالةٌ لها نبأٌ لا ينْثني عن لقائكا
حباني أميرُ المؤمنين بنفْحةٍ مُشهُرةٍ قد طنطنتْ من حبائكا
ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلب ماله ولم يك قسْما من أولى وأولائكا

فأجابه مروان فقال:

أسَلْمَ بنَ عمرو قد تعاطيْتَ غايةً تُقصِّرُ عنها بعدَ طُول عنانكا
فاقسِم لولا ابنُ الربيع ورِفْدُه لما ابْتلّت الدّلْو التي في رشائكا(١)
وما نِلْتَ مُذْ صُوِّرتَ إلا عطيّةً تقُوم بها مصرورةً في ردائكا (٢٧٩/١٩)

(٢٤٧)

حدثني وسْواسة بن الموصليّ، وهو محمدُ بنُ أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثني حماد عن أبيه، قال: استوهبَ أبي من الرشيد تركةَ سلم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قبلَ أن يتسلّمها صاحبُ المواريث، فحصّل منها خمسين ألف دينار. (٢٨٠/١٩)

---

(١) الرِّشاء: الحبل.

(٢٤٨)

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هفان، عن سعيد بن هُريم وأبي دعامة أنه رُفِع إلى الرشيد أن سلما الخاسر قد توفيَّ، وخلَّف مما أخذه منه خاصة ومن زُبيدة ألفَ ألفٍ وخمسمائة ألفِ درهم سوى ما خلَّفه من عقار وغيره مما اعتقده(١) قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقال: هذا خادمي ونديمي، والذي خلَّفه من مالي، فأنا أحقُّ به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه. (١٩/٢٨٠)

(٢٤٩)

أخبرني وكيع، قال حدثني يزيدُ بنُ محمدٍ المهلَّبيّ، قال: حدثني عبد الصمد بنُ المُعذَّل، قال: لما أنشد سلْم الخاسرِ الرشيدَ قصيدته فيه: حضر الرَّحيلُ وشُدَّت الأحْداجُ(٢) أمر له بمائةِ ألفِ درهم. (١٩/٢٨٢)

(٢٥٠)

حدثني جحْظةُ قال حدثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سلْم الخاسر على الفضل بنِ يحيى في يوم نيروز(٣) والهدايا بين يديه، فأنشده:

أمِنْ ربْعِ تسـائلُه ... وقـد أقْوتْ منازلُهُ
بقلبي مِنْ هوى الأطلا ... لِ حُبٌّ مـا يُزايلُهُ
رُوَيْدَكُمُ عن المشْغو ... فِ إنَّ الحبَّ قاتلُهُ
بلابلُ صدره تسْري ... وقد نامت عواذلُهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيلِ ... مَن تُرْجى فواضلُهُ
رأيتَ مكارمَ الأخْلا ... قِ ماضمَّت حمائلُهُ
فلست أرى فتىً في النا ... سِ إلا الفضْلُ فاضلُهُ(٤)

---

(١) اعتقده: جمعه.

(٢) الأحداج: جمع حِدْج وهو الحمل، أو مركب من مراكب النساء كالهودج والمحفَّة.

(٣) النَّيروز: والنَّوروز: كلمة فارسية معناها اليوم الجديد، وموعده الأيام الستة الأوائل من أول شهر في سنتهم الشمسية. وهو يوافق (٢٤) من آذار، وهو من أعظم أعياد الفرس، وقد شاع الاحتفال به وخاصة في الدولة العباسية، ينظر عنه بتفصيل: تيارات ثقافية بين العرب والفرس، د. أحمد الحوفي (ص ١١١) وما بعدها.

(٤) فاضله: سبقه وصار أفضل منه.

يقول لسانُه خيرا فتفعلُه أناملُهُ
ومهما يُزْجَ مِنْ خيرٍ فإن الفضل فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنهُ إسحاق حاضرين، فقال لإبرهيم، كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسنَ مرْئيٍّ ومسموع، وفضْلُ الأميرِ أكثرُ منه. فقال: فخُذوا جميع ما أهْدي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا إلا ذلك التمثال، فإني أريد أن أهديه اليومَ إلى دنانير، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يُقوَّم وندفع إليهم ثمنه، ثم نُهديه، فقُوِّم بألفي دينار، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم. (٢٨٢/١٩)

(٢٥١)

أخبرني عمي، قال: حدثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدثني أبو توبةَ وأخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ مهْرويه عن أبي توبة، قال: حدث في أيام الرشيد أمرٌ فاحتاجَ فيه إلى الرأي، فأشْكل، وكان الفضلُ بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته، وأنفذَ الأمر على مشورتِه، فحمد ما جرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده:

بديهتُه وفكْرتُه سواءٌ إذا ما ثابَهُ الخطْبُ الكبيرُ
وأحزَمُ ما يكون الدَّهر رأيا إذا عيَّ المُشاورُ والمُشيرُ(١)

فأمر له بعشرةِ الآف درهم. (٢٨٣/١٩)

(٢٥٢)

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مهْرويه، قال: حدثني أحمد بنُ أبي كامل، قال: حدثني أبو دعامة، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، فأنشده: حيِّ الأحبَّةَ بالسلام

فقال الرشيد: حياهُم اللهُ بالسلامِ

فقال: على وداع أم مُقام

فقال الرشيد: حيَّاهم الله على أيِّ ذلك كان، فأنشده:

لـمْ يبْـقَ مـنكَ ومِنْهُـم غيرُ الجلودِ على العظام

---

(١) عيَّ: عجز

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطيّر منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقي الشعر ولا أثابه بشيء. (٢٨٤/١٩)

(٢٥٣)

أخبرني وكيعٌ قال: أخبرني إبراهيم بنُ إسحاق بن إبراهيم بن صالح قال: أخبرني العامريّ قال: هجا ابن الخياط موسى بن طلحة بن بلال التيميّ، فقال:

عجب الناس للعجيب المُحالِ حاض موسى بن طلحة بنِ بلالِ
زعموه يحيض في كلّ شهر ويرى صفرة لكل هلال

قال: فلقيه موسى، فقال: يا هذا، وأيُّ شيء عليك؟ نعم حضتُ، وحملتُ، وولدتُ وأرضعتُ، فقال له ابن الخياط: أنشدك الله ألا يسمعَ هذا منك أحد فيجترئ على شعري الناس، فلا يكون شيئاً، ولن يبلغك عني ما تكره بعد هذا، فتكافأ (٢/٢٠)

(٢٥٤)

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال: حدثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعودٍ الزُّرقيّ قال: حدثنا ابنُ أبي قباحة الزهريّ قال: لما عُزْل ابنُ عمران - وهو عبد الله بنُ محمد بنِ عمرانَ التيميُّ - عن القضاء، واستُعمل هشامُ بنُ عبد الله بنِ عكرمة المخزوميُّ، جزع ابنُ عمران من ذلك، فقال بعض أصحابه ليونُسَ بنِ عبد الله الخياطِ: اهج هشاماً بما يغضُّ منه، فقال:

كم تغنّي لي هشـــام ذلك الجِلـــف الطويلُ
بعد وهْن وهو في المجلـ ـلس ســـكرانُ يميلُ
هل إلى نار بســـلْع آخرَ الدهْر ســـبيلُ(١)
قلـــت للنُّدمان لمـــا دارت الراحُ الشمـــولُ
بأبـــي مـــالَ هشـــامٌ فكمـــا مـــال فمـــيلُوا

قال: وشهرها في الناس، وبلغ ذلك هشاماً فقال: لعنه الله! إنْ كان لكاذباً. فقال ابن قباحة: فقلتُ لابن الخياط: كذبت كذبت، أما والله إنه لأمرٌ من ذلك. (٩/٢٠)

(٢٥٥)

أخبرني الحسنُ بنُ علي الخفّاف قال: حدثني محمدُ بنُ موسى بنُ حماد قال: حدثني أحمدُ

(١) سلْع: اسم جبل بالمدينة، وآخر بهذيل.

ابن أبي فنن قال: قال عبد الله بن مالك:

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه: أقسم على مَن حضر ممن يحفظ قصيدة عليّ بن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى إلا أنشدنيها، فقال له بعض الجلساء: قد أقسم أمير المؤمنين، ولابد من إبرار قسمه، وما أحفظها، ولكنها مكتوبة عندي. قال: قم فجئني بها، فمضى وأتاه بها، فأنشده إياها وهي:

ذاد وِرْد الغيّ عن صَدَرِهْ ... وارعوى واللّهو من وطرِهْ(١)
وأبت إلا البكاءَ له ... ضحكات الشيب في شعره
ندمي أن الشباب مضى ... لم أبلّغه مدى أشره
وانقضت أيامه سَلَما ... لم أجد حوْلا على غيره
حسرت عني بشاشتُه ... ونوى المحمود من ثمره
ودَمٍ أهدرتُ من رشإ ... لم يُرِد عقلا على هدره
فاتت دون الصّبا هنةٌ ... فليت فُوقي على وتره(٢)
جارتا ليس الشباب لمن ... راح محنيّاً على كبره
ذهبت أشياء كنت لها ... صارها حلمي إلى صوره(٣)
دع جدا قحطان أو مُضر ... في يمانيه وفي مضره
وامتدح من وائل رجلا ... عصر الآفاقَ في عصره(٤)
المنايا في مناقبه ... والعطايا في ذرا حُجَره
ملك تندى أنامله ... كانبلاج النّوء من مطره
مستهلٌّ عن مواهبه ... كابتسام الروض عن زهره
جبلٌ عزّت مناكبه ... أمِنتْ عدنان في ثغره
إنما الدنيا أبو دُلَف ... بين مبداه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّت الدنيا على أثره
لست أدري ما أقول له ... غير أن الأرض في خفره
يا دواء الأرض إن فسدت ... ومُديل اليُسر من عُسره

---

(١) ذاد: دفع وطرد، والورد: المجيء إلى الماء للسقيا. والصَّدَر: الذهاب عن الماء بعد الاستقاء.
(٢) الفوق: موضع الوتر من السّهم.
(٣) صار الشيء صوراً: أماله. (٤) العصر: المنجاة.

(٢٥٦)

أخبرني علي بنُ سليمان الأخفش قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيد الأزديّ قال: أخبرني إبراهيمُ بنُ خلف قال: بينا أبو دُلف يسير مع أخيه معقل - وهما إذ ذاك بالعراق - إذ مرّا بامرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما لصاحبتها: هذا أبو دُلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دُلفٍ بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

قال: فاستعبر أبو دُلف حتى جرى دمعُه، قال له معقل: مالك يا أخي تبكي؟ قال: لأني لم أقض حقَّ عليِّ بن جبلة، قال: أو لم تعطه مائة ألف درهم لهذه القصيدة؟ قال: والله يا أخي ما في قلبي حسرة تقارب حسرتي على أني لم أكن أعطيته مائة ألف دينار. والله لو فعلت ذلك لما كنت قاضياً حقه. (٢٢/٢٠)

(٢٥٧)

أخبرني عمي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم قال: حدثني نادر مولانا: أن عليَّ بن جبلة خرج إلى عبدِ الله بنِ طاهر والي خراسان، وقد امتدحه، فلما وصل إليه قال له: ألست القائل:

إنّما الدنيا أبو دُلف بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دُلف ولّت الدنيا على أثره

قال: بلى، قال: فما الذي جاء بك إلينا، وعدل بك عن الدُّنيا التي زعمت؟ أرجع من حيث جئت، فارتحل، ومرَّ بأبي دُلف وأعلمه الخبر، فأعطاه حتى أرضاه. (٢٥/٢٠)

(٢٥٨)

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة قال: قال رجل لعليّ بن جبلة: ما بلغتَ في مديح أحد ما بلغته في مديحك حُميداً الطوسيّ، فقال: وكيف لا أفعل وأدنى ما وصل إليَّ منه أني أهديت له قصيدة في يوم نيروزٍ فسُرَّ بها، وأمر أن يحمل إليّ كلُّ ما أهدى له، فحمل إليَّ ما قيمته مائتا ألف درهم، وأهديتُ له قصيدة في يوم عيد فبعث إليَّ بمثل ذلك، قال أبو وائلة، وقد كان حُميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم يرَ مثله، فقال عليّ بن جبلة يصف ذلك:

غدا بأمير المؤمنين ويُمْنِه ... أبو غانمٍ غدْو الندى والسحائب
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب ... أحاط به مستعلياً للمواكب
كأنّ سُمُوّ النّقع والبيضُ فوقهم ... سماوة ليل فُرّنت بالكواكب(١)
فكان لأهل العيد عيد بنُسكهم ... وكان حُميد عيدهم بالمواهب
ولولا حُميد لم تَبلُّج عن الندى ... يمينٌ ولم يُدرك غنىً كسبُ كاسب
ولو ملك الدنيا لما كان سائل ... ولا اعتام فيها صاحبٌ فضلَ صاحب
له ضحكة تستغرق المال بالندى ... على عبسةٍ تُشجى القنا بالترائب
ذهبتَ بأيام العلا فارداً بها ... وصرُمتَ عن مسماك شأو المطالب
وعدلْت ميلَ الأرض حتى تعدلت ... فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعد قُطرها ... كأنك منها شاهد كلُّ غائب

قال: والتي أهداها له يوم النيروز قصيدته التي فيها:

حُميدُ يا قاسمَ الدنيا بنائله ... وسيفه بين أهل النُّكث والدِّينِ
أنت الزمان الذي يجري تصرّفه ... على الأنام بتشديد وتليين
لو لم تكن كانت الأيّام قد فنيت ... والمكرماتُ ومماتَ المجد مُنحين
صوّرك الله من مجد ومن كرم ... وصوّر النّاس من ماء ومن طين (٢٠/٢٩)

(٢٥٩)

قال أحمد بن إسماعيل الخصيب الكاتب: دخل علي بن جبلة يوماً إلى أبي دلف فقال له: هات يا عليّ ما معك. فقال: إنه قليل. فقال: هاته، فكم من قليل أجودُ من كثير فأنشده:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها ... على يديك فشكراً يا أبا دُلفِ
أعطى أبو دلفٍ والريح عاصفة ... حتى إذا وقفت أعطى ولم يقف

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما كان بعد مدة دخل إليه، فقال له: هات ما معك فأنشده:

مِن ملك الموت إلى قاسم ... رسالةٌ في بطن قرطاس
يا فارس الفُرسان يوم الوغى ... مُرْني بمن شئتَ من الناس

---

(١) النّقع: التراب المتطاير، والبيض: السيوف. فُرّنت: أضاءت مثل الفُرن.

قال: فأمر له بألفي درهم، وكان قد تطيَّر من ابتدائه في هذا الشعر(١)، فقال: ليست هذه من عطاياك أيها الأمير، فقال: بلغ بها هذا المقدار ارتياعنا من تحمّلك رسالة ملك الموت إلينا. (٣١/٢٠)

(٢٦٠)

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسنُ بنُ عُليل العنزيّ قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله قال: حدثني عليُّ بن جبلة العكوك المروزيّ قال: جاءني أبو يعقوب الخُزيميّ فقال لي: إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: تهجو لي الهيْثم بن عديّ. فقلت: ومالك أنت لا تهجوه وأنت شاعر؟ فقال: قد فعلت، فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إليّ منه إساءة، ولا له إليّ جرم يُحفِّظني؟ فقال: تُقرضني، فإني ملّى بالقضاء. قلت: نعم، فأمهلني اليوم فمضى، وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بنِ عديٍّ نسبة جمعت ... أباءه فأراحتنا من العدد
أعدُد عدياً فلو مدُّ البقاء له ... ما عُمِّر الناسُ لم ينقص ولم يزد
نفسي فداء بني عبد المدان وقد ... تلُّوه للوجه واستعلوْه بالعمد(٢)
حتى أزالوه كرهاً عن كريمتهم ... وعرَّفوه بدُلٍّ أين أصل عدى؟
يابن الخبيثة من أهجو فأفضحه ... إذا هجوتُ وما تُنمى إلى أحد؟

قال: وكان الهيثم قد تزوج إلى بني الحارث بن كعب، فركب محمد بن زياد بنِ عُبيد الله بن عبد المدان الحارثيُّ، أخو يحيى بنِ زياد، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد، فسألوه أن يفرّق بينهما، فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر:

إذا نسبتَ عديا في بني ثُعَلٍ ... فقدّم الدال قبل العين في النسب

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا: هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له: ذُهل بن ثعلبة فأمر الرشيد داودَ بنَ يزيدَ أن يفرّق بينهما، فأخذوه فأدخلوه

---

(١) أولى النقد العربي اهتماماً بمطالع القصائد، وخاصة تلك التي تُلقى بين أيدي الممدوحين، ورسم للشعراء طريقاً في الافتتاح يجنّبهم الخطأ، والوقوع في مزالق هم في غنى عنها، مثلما حدث للشاعر في هذا النصّ. وقد عقد ابن رشيق لهذا الأمر فصلاً في العمدة (٢١٧/١)، بيّن فيه أخطاء الشعراء، والمواضع التي أخذت عليهم.

(٢) تلّه للوجه: جنبه وكبّه على وجهه.

داراً وضربوه بالعصيّ حتى طلقها. (٢٠/٣١)

(٢٦١)

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ الحسن بنِ الخصيب قال: شخص عليُّ بنُ جبلة إلى عبد الله بن طاهر والي خراسان - وقد مدحه فأجزل صلته - واستأذنه في الرجوع، فسأله أن يقيم عنده، وكان برُّه يتصل عنده، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله، فدخل إليه فأنشده:

راعه الشيبُ إذ نزلْ ... وكفاه من العذَلْ
وانقضت مدة الصبا ... فانقضى اللهو والغزل
قد لعمري دَمَلْتُه ... بخضاب فما اندمل
فابك للشيب إذ بدا ... لا على الرُّبع والطلل
وصلَ الله للأمير ... عُرا الملك فاتصل
ملك عزْمُه الزما ... ن وأفعاله الدولْ
كِسروي بمجده ... يضرب الضاربُ المثل
وإلى ظلِّ عزّه ... يلجأ الخائف الوجل
كلُّ خلق سوى الإما ... م لإنعامه خولْ(١)
ليته حين جاد لي ... بالغنى جاد بالقفل(٢)

قال: فضحك وقال: أبيت إلا أن توحشنا، وأجزل صلته، وأذن له. (٢٠/٣٢)

(٢٦٢)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدثني أبو وائلة السدوسيُّ قال: دخل عليّ بنُ جبلة العكوّك على حُميد الطوسيِّ في أول يوم من شهر رمضان فأنشده:

جعل الله مدخل الصوم فوزا ... لحُميد ومتعة في البقاء
فهو شهرُ الربيع للقُرّاء ... وفراقُ الندمان والصهباء
وأنا الضامنُ المليّ لمن عا ... قرها مفطراً بطول الظُّماء
وكأني أرى النُّدامى على الخسف ... يُرجّون صبحهم بالمساء
قد طوى بعضُهم زيادة بعض ... واستعاضوا مصاحفاً بالغناء

(١) الخول: العبيد والأتباع. (٢) القَفَل: الرجوع.

يقول فيها:

بِحُمَيد وأين مثلُ حميد ... فخرتَ طيِّءٌ على الأحياء
جوده أظهر السماحة في الأر ... ضِ وأغنى المقوي عن الإقواء(١)
ملك يأمُل العباد نداه ... مثلَ ما يأملونَ قطْر السماء
صاغه الله مطمعَ الناس في الأر ... ض وصاغ السحاب للإسقاء

قال: فأمر له بخمسة آلاف درهم، وقال: استعن بهذه على نفقة صومك. ثم دخل إليه ثاني شوّال، فأنشده:

علّلاني بصفو ما في الدِّنان ... واتركا ما يقوله العاذلان
واسبقا فاجع المنيّة بالعيش ... فكلٌّ على الجديدين فاني
علّلاني بشَربةٍ تُذهب الهمّ ... وتنفي طوارق الأحزان
وانفُثا في مسامعٍ سدُّها الصو ... م رُقى الموصليّ أو دحْمان(٢)
قد أتانا شوال فاقتبل العيش ... وأعدى قسرا على رمضان(٣)
نِعم عون الفتى على نوبِ الدهر ... سماع القيان والعيدان
وكنوسٌ تجري بماء كُروم ... ومطيٌّ الكنوس أيدى القيان
من عُقار تُميت كلَّ احتشامٍ ... وتسُرُّ النُّدمان بالنُّدمان
وكأنَّ المزاج يقدح منها ... شرراً في سبائك العقيان
فاشرب الراح واعصِ مَنْ لام فيها ... إنها نعم عُدة الفتيان
واصحب الدهر بارتحال وحلّ ... لا تخف ما يجرُّه الحادثان
حسْب مستظهرٍ على الدهر ركنا ... بحُميد رداء من الحدثان
ملك يقتني المكارم كنزا ... وتراه من أكرم الفتيان
خُلقت راحتاه للجود والبأ ... س وأموالُه لشكر اللسان
ملْكتْه على العباد معدّ ... وأقرّت له بنو قحطان

---

(١) المقوي: الفقير.

(٢) الموصلي: هو إبراهيم أو ابنه اسحاق. ودحمان: هو عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ودَحمان لقب لُقِّب به، وكان مشهوراً بالغناء. أفرد أبو الفرج ترجمة له في الجزء السادس (ص ٢١) وما بعدها.

(٣) أعدى: نصر وأعان.

أريحيُّ الندى جميل المحيّا يده والسماح معتقدان(١)
وجْهه مشرق إلى معتفيه ويداه بالغيث تنفجران
جعل الدهر بين يوميه قسمين بمُعْرف جزل وحرٌّ طعان
فإذا سار بالخميس لحرب كلُّ عن نصّ جرْيه الخافقان(٢)
وإذا ما هززته للنوال ضاقَ عن رحب صَدْره الأفقان
غيث جدب إذا أقام ربيع يتفشى بالسُّيب كلُّ مكان
يا أبا غانم بقيتَ على الدهر وخُلّدتَ ما جرى العصران
ما نُبالي إذا عَدَتِ المنايا من أصابت بكلْكل وجران(٣)
قد جعلنا إليك بعث المطايا هربا من زماننا الخوّان
وحملنا الحاجات فوق عتاق ضامنات حوائج الرُّكبان
ليس جودٌ وراء جودك يُنتا ب ولا يعتفي لغيرك عاني

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: تلك كانت للصوم، فخفّفت وخففنا، وهذه للفطر، فقد زدتنا وزدناك. (٣٣/٢٠)

(٢٦٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مهْرويه قال: حدثني أحمد بنُ مروان قال: حدثني أبو سعيد المخزوميُّ قال: دخلت على حُميد الطوسيِّ، فأنشدته قصيدة مدحتُه بها وبين يديه رجل ضرير، فجعل لا يمرّ ببيت إلا قال: أحسن قاتله الله! أحسن ويحه! أحسن لله أبوه! أحسن أيها الأمير. فأمر لي حُميد ببدرة، فلما خرجتُ قام إليَّ البوابون، فقلت: كم أنتم؟ عرِّفوني أولا من هذا المكفوف الذي رأيته بين يدي الأمير؟ فقالوا: عليّ بنُ جبلة العكّوكُ فارفضضْتُ عرقاً. ولو علمت أنه عليّ بن جبلة لما جسُرت على الإنشاد بين يديه. (٣٩/٢٠)

(٢٦٤)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أحمد بن طاهر قال: حدثني ابن أبي حرب الزعفراني، قال: لما بلغ المأمونَ قول عليّ بن جبلة لأبي دلف:

كلُّ مَن في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره

(١) معتقدان: معقودان. (٢) الخميس: الجيش.

(٣) الكَلكل: الصدر، أو هو ما بين التُّرقوتين، والجران: باطن المُنق من البعير وغيره.

مســـتعير منك مكرمـةً يكتسيها يوم مفتخره

غضب من ذلك، وقال: اطلبوه حيث كان، فطُلب فلم يُقْدَر عليه، وذلك أنه كان بالجبل، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة، وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة أيضاً، وتوسط الشام فظفروا به، فأخذوه، وحملوه إلى المأمون، فلما صار إليه قال له: يابن اللُّخناء، أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كلُّ من في الأرض من عرب بين باديه إلى حضره
مســـتعير منك مكرمـةً يكتسيها يوم مفتخره

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم أحد، لأن الله جل وعزَّ فضَّلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيتَ أحداً عن الكلّ، سلُّوا لسانه من قفاه. (٤١/٢٠)

(٢٦٥)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمد بن موسى قال: وحدثني أحمد بنُ أبي فنن: أن المأمون لما أدخل عليه عليَّ بنُ جبلة قال له: إني لست أستحلُّ دمك لتفضيلك أبا دلفٍ على العرب كلّها وإدخالك في ذلك قريشاً ـ وهم آل رسول الله (ص) وعترتُه ـ ولكني أستحلّه بقولك في شعرك وكفرك حيث تقول القول الذي أشركتَ فيه:

أنت الذي تنزل الأيامَ منزلها وتنقل الدهرَ من حال إلى حال
وما مددْتَ مدى طرف إلى أحد إلا قضيتَ بأرزاق وآجال

كذبتَ ياماصَّ بظْر أمه، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله ـ عزوجل ـ والملك الواحد القهار، سلّوا لسانه من قفاه. (٤١/٢٠)

(٢٦٦)

أخبرني عمي قال: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبد الله بن طهمان قال: حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على الرشيد ـ قال: قال لي الرشيد يوماً: أنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدة التي يقول فيها:

كأن الشمس يوم أصيب معنٌ من الإظلام ملّبسة جلالا
هو الجبل الذي كانت سعدٌ تهُدّ من العدُوّ به الجبالا
أقمنا باليمامة بعد معنٍ مُقاماً لا نزيد به زيالا

وقلنا أين تذهب بعد معنٍ وقد ذهب النوال فلا نوالا

قال: فأنشدته إياها، ثم قال لي: أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيد بن مزْيد، فهي والله أحب إليَّ من هذا، فأنشدته:

أحقٌّ أنه أودى يزيدُ تبيِّن أيها الناعي المُشيد
أتدري من نعيتَ وكيف فاهت به شفتاك، كان بك الصعيد(١)
أحامي المجد والإسلام أودى فما للأرض ويحكَ لا تميد!
تأمل هل ترى الإسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليد!
وهل شيمت سيوف بني نزار وهل وُضعتْ عن الخيل اللُّبود!(٢)
وهل تسقى البلاد عشارَ مُزن بدُرتها وهل يخضَرّ عود!(٣)
أما هُدَّت لمصرعه نزارٌ بلى وتقوَّض المجد المشيد
وحلَّ ضريحه إذ حلَّ فيه طريفُ المجد والحسبُ التليد
أما والله ما تنفك عيني عليك بدمعها أبداً تجود
فإن تجمُد دموع لئيم قوم فليس لدمع ذي حسب جُمود
أبعْد يزيد تختزن البواكي دموعاً أو تصانُ لها خدود؟
لتبكِك قبةُ الإسلام لما وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعرٌ لم يُبقِ دهرٌ له نشبا وقد كسد القصيد
فمنْ يدعو الإمامُ لكل خطب ينوب وكلُّ معضلةٍ تنود؟
ومن يحمي الخميسَ إذا تعايا بحيلة نفسه البطلُ النجيد؟
فإن يهلك يزيد فكلُّ حيٍّ فريسٌ للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنايا فتَكنَ به وهُنَّ له جنود؟
فصدن له وهنَّ يحدن عنه إذا ما الحرب شبَّ لها وقود
لقد عزَّى ربيعة أن يوماً عليها مثلَ يومك لا يعود

قال: فبكى هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرُّجة(٤) لملأها من دموعه.

(٤٧/٢٠)

---

(١) الصَّعيد: وجه الأرض، والتراب. (٢) شيمت: سلّه وأغمده، وهو من الأضداد، ينظر لسان العرب (١٢/ ٣٣٠)، وهو هنا بمعنى أغمدتْ، واللُّبود: جمع لِبْد وهو ما يوضع تحت السَّرج.

(٣) العشار: جمع عشراء، من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(٤) سكرُّجة: الصحفة يوضع فيها الأكل.

(٢٦٧)

قال محمد بن يحيى: فحدثني الحسنُ بنُ عليل العنزيّ قال: حدثني محمد بن إدريس قال: لما قُتل محمدٌ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه، فلم يأذن له، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه، فأوصله إلى المأمون فلمّا سلّم عليه قال له المأمون: إيه يا تيميّ.

مثل ما قد حسد القا ... ئمَ بالملك أخوه

فقال التيميّ: بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين:

نُصر المأمون عبدُ الله ... لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا ... نوا قديماً أكّدوه
لم يعامله أخوه ... بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها:

جزِعتَ ابنَ تيم أن أتاك مشيبُ ... وبان الشباب والشباب حبيبُ

قال: فلما أنشده إياها وفرغ منها قال: قد وهبتك لله ـ عزوجل ـ ولأخي العباسيّ ـ يعني الفضل بن سهل ـ وأمرت لك بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٤٩)

(٢٦٨)

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني عونُ بن محمد الكنديّ قال: حدثني عبّاد بنُ محمد الكاتب عن أبي محمد التيْميّ الشاعر قال: أنشدتُ الأمين محمدا أول ما ولي الخلافة قولي:

لابدَّ من سكرة على طرب ... لعل رَوحا يُديل من كُرب

قال، فأمر لي بمائتي ألف درهم، صالحوني منها على مائة ألف درهم. (٢٠/٥٠)

(٢٦٩)

أخبرني وكيع قال: حدثني ابن إسحق قال: حدثني أبي قال: كنت على باب الفضل بن يحيى، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس، وسألني أن أوصلها إلى الفضل، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس، فغضب أبو محمد وقال لي: أما كفاك أن أستخففْتَ بحاجتي؟ منعتني أن أدفعها إلى غيرك، فقلت له: أنا خير لك من القرطاس، ثم دخلت إلى الفضل، فلما تحدّثنا قلت له: معي هدية وصاحبها بالباب؛ وأنشدته، فقال: كيف حفظتها؟ قلت: الساعة دفعها إليَّ

على الباب، فحفظتها، فقال: دع ذا الآن. فقلت له: فأدخله فأدخل، فسأله عن القصة فأخبره. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك ففعل، وجعلتُ أردد أبياته، وجعلت أشيّعها بالإستحسان، ثم خرج التيميّ فقلت: خذ في حاجة الرجل، فقال: أمّا إذا عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم. فقلت له: أمّا إذا أقللتها فعجِّلها، فأمر بها فأحضرت. فقلت له: أليس لإعنائك إياي ثمن؟ قال: نعم. قلت: فهاته. قال: لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح. فقلت: فهات ما شئت، فأمر بثلاثة آلاف درهم، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف، ووجّهتُ بها إليه. (٥١/٢٠)

(٢٧٠)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا أبو العيناء عن أبي العالية، قال: أمر محمدٌ الأمينُ لعبد الله بنِ أيوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه، فاشترى بها ضيعة بالبصرة، وقال بعد ابتياعه إياها:

إني اشتريتُ بما وهبتَ ليَهْ أرضاً أمون بها قَرابَتيه
فبحسن وجهك حين أسأل قل يابن الربيع احمل إليه ميه

فغُنِّيَ بها الأمين، فقال للفضل: بحياتي يا عباسي، احمل إليه مائة ألف، فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً، وقال له: الخمسون الأخر لك عليّ إذا اتسعت أيدينا. (٥٢/٢٠)

(٢٧١)

أخبرني الحسن، قال: حدثني أبو العيناء، عن أبي العالية قال: عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين، فشكا وجده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين، إن التيميّ يجد(١) بجارية لبعض النخاسين، وقد كتب إليّ ببيتين يسألني فيهما ثمنها، فقال: وما هما؟ فقال:

يا أبا عباس إليك المُشتكى وأخو الصبر إذا عيل شكا
ليس لي صبر على فقدانها وأعاف المشربَ المشتركا

قال: فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها. (٥٢/٢٠)

(٢٧٢)

أخبرني الحسن قال: حدثني أبو العيناء عن أبي العالية قال: دخل التيميّ إلى الفضل بن

---

(١) يجد: يهوى ويحبّ.

الربيع في يوم عيد فأنشده:

ألا إنمـــا آلُ الربيـع ربيـــع وغيثٌ حيا للمرملين مـريع
إذا ما بدا آل الربيع رأيتَهم لهـم درَج فـوق العباد رفيع

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٢٠/٥٣)

(٢٧٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال: حدّثني محمد بنُ القاسم بن مهْرويهْ قال: حدّثني ابن الشبُل البُرجُميّ عن أبيه قال: قال لي أبو محمدٍ التيميُّ: أولُ شعر عُرفت به فشاع فيه ذكري ووصلْت به إلى الخليفة قولي:

طاف طيفٌ في المنام بمحبٍّ مستهام
زورة أبقت سقاما وشفت بعض السُّقام
لم يكن ما كان فيها من حرام بحرام
لم تكن إلا فُواقا وهي في ليل التّمام(١)

فقال: فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنى به الرشيد، فسأله عن قائل الشعر، فقال له: صديق لي شاعر ظريف، يُعرف بالتيميّ، فطُلبت وأمرت بالحضور، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون. ودخلت إليه فأنشدته إياها، فأمر له بثلاثين ألف درهم، وصرتُ في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدوَّن شعري. (٢٠/٥٤)

(٢٧٤)

حدّثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، قال: حدّثني أبو دعامة علي بن يزيد قال: حدّثني التيميّ أبو محمد قال: دخلت على الحسن بنُ سهل، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه، وعنده طاهر بن الحسين، فقال له طاهر: هذا والله أيها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع:

لابُدَّ من سكرة على طربِ لعلَّ رَوحا يُديل من كرب
خليفةُ الله خير منتخب لخير أم من هاشم وأب
خلافة الله قد توارثها أبا ذؤ في سوالف الكُتُب
فهْي له دونكم موروثة عن خاتم الأنبياء في الحِقب

(١) الفُواق: الربح تخرج عند ترديد الشهقة، وكنّى به عن السرعة.

يابن الذُّرا من نوائب الشرف الـ ... أقدم أنتم دعائم العرب

فقال الحسن: عرَّض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين، والله لأعلمنَّه. وقام إلى المأمون فأخبره، فقال المأمون: وما عليه في ذلك، رجل أمُّل رجلا فمدحه، والله لقد أحسن بنا، وأساء إليه إذا لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر، ثم دعاني فخلع عليَّ وحملني، وأمر لي بخمسة آلاف درهم. (٢٠/٥٤)

(٢٧٥)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا ابنُ أبي سعد قال: حدثني أحمد بن محمدٍ الفارسي قال: حدثنا غسان بنُ عبدِ الله عن أبي محمدٍ التيميّ قال: لما أنشدت الأمين قولي فيه:

خليفةُ الله خير منتخبٍ ... لخير أم من هاشم وأبِ

أكرمْ بعرقين يجريان به ... إلى الأمام المنصور في النسب

طرب، ثم قال للفضل بن الربيع: بحياتي أوقرْ له زورقه دراهم، فقال: نعم يا سيدي: فلما خرجنا طالبته بذلك، فقال: أمجنون أنت؟ من أين لنا ما يملأ زورقك؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم، فقبضتها. (٢٠/٥٨)

(٢٧٦)

قال الحرَنْبلُ: وكان ابنُ أبي عُيينة لما هجا نزاراً بلغ شعره المأمون، فنذر دمه، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون. (٢٠/١٠٠)

(٢٧٧)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسم بن مهْرويه قال: حدثني أبي قال: كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمه خالد بُجرْجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُند خالدٍ من أهل البصرة، أحدهما مهلَّبي والآخر مولى للأزْد، وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السُّراة من أهل جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم. وولى موسى الهادي الخلافة فكتب ابنُ أبي عُيينة إلى من كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

كيف صبري ومنزلي جُرْجانُ ... والعراق البلادُ والأوطانُ؟

نحن فيها ثلاثةٌ حلفاء ... وندامى على الهوى إخوانُ

نتساقى الهوى ونطرب للذكر ... كما تُطرب النشاوى القيانُ

وإذا ما بكى الحمامُ بكينا ... لبُكاه كأننا صبيانُ

يا زماني الماضي ببغدادَ عُدلي ... طالما قد سررْتني يا زمانُ

يا زماني المسيءَ أحسنْ فقدْما ... كان عندي من فعلك الإحسانُ

ما يريد العُذّال مني أما يُترك ... أيضاً بغمِّه الإنسانُ؟

ويقولون أملُك هواك وأقصِر ... قلت مالي على الهوى سلطانُ

أيها الكاتمُ الحديثَ وقد طا ... ل به الأمرُ وانتهى الكتمانُ

قد لعمري عرّضْتَ حينا فبيّنْ ... ليس بعد التعريض إلا البيانُ

واتخذ خالداً عدوّاً مبيناً ... ما تعادى الإنسان والشيطانُ

والهُ عنه فما يضرّك منه ... عضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ

ولعمري لولا أبوه لنالته ... بسوء منّي يدٌ ولسانُ

قل لفتياننا المقيمين بالبا ... بِ ثقوا بالنجاح يا فتيانُ

لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى ... فلكُمْ من ردى الزمان أمانُ

أوَلم تأته الخلافةُ طوعاً ... طاعةٌ ليس بعدها عصيانُ؟

فهْي منقادة لموسى وفيها ... عن سواه تقاعسٌ وحِرانُ

قل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً ... بقياد وفي يديك العِنانُ

أنت بحر لنا ورأيك فينا ... خيرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ

فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسفَ ... رماه لحتفه الرحمنُ

كمْ إلى كم يُغضى على الذّل منه ... وإلى كم يكون هذا الهوانُ؟

قال: فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفله من جيش خالد إليه. (١١٧/٢٠)

(٢٧٨)

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال: حدّثنا ابنُ مهرويه قال: حدثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزيّ - وكان منزله بالكوفة في رحبة طيئ - قال: سمعْت دعبلَ بنَ عليّ وأنا صبي يتحدث في مسجد المروزية قال: دخلتُ على عليِّ بن موسى الرضا - عليهما السلام - فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت، فأنشدته:

مدارس آيات خلتْ من تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتريهمُ أكفًّا عن الأوتار منقبضات(١)

قال: فبكى حتى أغمي عليه، وأومأ إليَّ خادم كان على رأسه: أن اسكت، فسكتّ ساعة، ثم قال لي: أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرة الأولى، وأومأ الخادم إليَّ: أن اسكت، فسكتُّ، فمكث ساعة أخرى ثم قال لي: أعِد، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها، فقال لي: أحسنت، ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعدُ، وأمر لي مَن في منزله بحلى كثير أخرجه إليَّ الخادم، فقدِمْتُ العراق، فبعت كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مني الشيعة، فحصل لي مائةُ ألف درهم، فكان أول مال اعتقدْتُه(٢). (١٤٨/٢٠)

(٢٧٩)

أخبرني محمدُ بنُ المرْزبان قال: حدثني إبراهيمُ بن محمدٍ الوراقُ عن الحسين بن أبي السريّ عن عبد الله بن أبي الشُّيص قال: حدثني دعبل قال: حججْت أنا وأخي رزين وأخذْنا كُتبا إلى المطُّلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها، فصرنا من مكة إلى مصر، فصحبنا رجل يعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ، نسى عبد الله بنُ أبي الشُّيص اسم أبيه، فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا، ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع، ورأيناه حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتمنا نفْسه، وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطُّلب قصيدة ننحله إياها. فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سرورا وتقُّبلا له، فعملنا قصيدة، وقلنا له: تُنشدها المطلب فإنك تنتفع بها. فقال: نعم. ووردنا مصر به، فدخلْنا إلى المطُّلب، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا، وأنشدناه، فسُرَّ بموضعنا، ووصفنا له أحمد السراجَ هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لـــم أتِ مطّـــلبـــا إلا بمطلّـــب وهمـــةٍ بلغت بي غـــاية الرُّتب
أفـردتُه برجـــاءِ أن تشـــاركـــه فيّ الوسـائل أو ألقـاه في الكتب

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلْتُها إليه وهي بين يديه، فكان ذلك أشدُّ من كل شيء مر بي منه عليّ، ثم أنشده:

رحلتْ عنْسي إلى البيت الحرام على ما كان من وصب فيها ومن نصبِ(٣)

---

(١) الموتور مَنْ يطل دم قتيله، والوتر الدم المطلول، منقبضات: ممسكات لا تمتدّ بالأذى.

(٢) اعتقدته: جمعته. (٣) العنس: الناقة الصلبة.

ألقى بهـا وبوجـهي كلَّ هاجـرة تكاد تقـدح بين الجلد والعـصب
حـتى إذا مـاقـضَتْ نُسْكي ثَنَيْتُ لها عطفِ الزُّمام فـأمَّتْ سـيدَ العـرب
فـيـمَّـمـتْك وقـد ذابت مـفـاصلها من طـول مـا تعبٍ لاقت ومـن نقب(١)
إني اسـتـجـرْت بإستـارين مستلما ركُـنين: مطلُبا والبيتَ ذا الحُجُـب(٢)
فـذاك للآجـل المأمـول ألمسـه وأنـت للعـاجلِ المرجـوّ والطُّلبِ
هذا ثنائي وهذي مـصـرُ سـانحـةٌ وأنتَ أنـتَ وقـد نـاديتُ مـن كـثبِ

قال: فصاح مطلُب: لبيك لبيك: ثم قام إليه فأخذ بيده، وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البِدَر، فأحضرت، ثم قال: الخلع، فنُشرت، ثم قال: الدواب، فقيدت، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه، وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظُنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صِفْراً. (١٥٩/٢٠)

(٢٨٠)

قال: فحدّثني عبد الله بن أبي الشيّص قال: قال لي دعبل: قال لي المطّلب: ما تفكّرت في قولك قط:

إن كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

إلا كنتَ أحبُّ الناس إليَّ، ولا تفكرْت والله في قولك لي:

وعاديْتَ قوما فما ضرهم وقدُمتَ قومـا فلم ينبُلوا

إلا كنت أبغضَ الناس إليّ. (١٦١/٢٠)

(٢٨١)

أخبرني عمي والحسنُ بن عليٍّ قالا: حدثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مهْرويه قال: حدثنا أبو ناجية ـ شيخٌ من ولد زُهيرِ بن أبي سُلمى ـ قال: حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغداد، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجَّ الهجاء بينه وبين دعبل، وقد خافوا لسان دعبل، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمّهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم، فحدّثني غيرُ واحد أنه أتى حينئذ بخاتمه النقاشَ، فنقشَ عليه: أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بريء من بني مخزوم تهاوُناً بما فعلوه. (١٧٢/٢٠)

---

(١) النقب: الحفا. (٢) إستارين: مثّنى إستار، وهو من العدد: أربعة.

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدلانيُّ صهر المبرِّد قال: حدّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العتابيّ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال: بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهليةِ والإسلام إذ بلغ إلى ذِكر المحدثين حتى انتهى إلى ذِكر دعبل، فقال: ويحك ياضبِّيّ!، إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تستتره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله أنا عندك في موضع خانةٍ؟ قال: لا، ولكن أطيبُ لنفسي أن توثّق لي بالأيمان لأركن إليها، ويسكن قلبي عندها، فأحدّثك حينئذ.

قال: قلت: إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إليّ، واستعفيتُه مراراً فلم يُعفني، فاستحييت من مراجعته، وقلت: فليرِ الأمير رأيه. فقال لي: ياضبيّ، قُل: والله. قلت: والله، فأمَرها عليهَ غموساً مؤكّدة بالبيعة والطلاق وكلِّ ما يحلف به مسلم. ثم قال: أشعرْتَ أنَّ دعبلا مدخول النسب؟ وأمسك، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذْتَ العهود والمواثيق ومغلّظ الأيمان؟ قال: إي والله، فقلت: ولم؟ قال: لأني رجل لي في نفسي حاجة، ودعبل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جِذعه على عنقه، فليس يجدَ من يصلبه(١) عليه، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عليّ عاره على الدهر، وقصاراى إن ظفرت به وأسلمته اليمنُ - وما أراها تفعل؛ لأنه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها(٢) - فاضربه مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصيّره في مُطْبق(٣) باب الشام.

---

(١) من النادر أن نجد نمطاً من الشعراء يشبه دعبلاً، فقد وقف موقفاً مناوئاً صريحاً من رجال الدولة العباسية إذ «لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولانو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن، ولا أفلت منه كبير أحد»، الأغاني (٢٠/١٢٠)، ولذلك لن نستغرب أن يكون ابن طاهر على حذر شديد وهو يحدّث بهذا الحديث، فدعبل لا يقف في وجهة شيء، أمّا هذا الجذع المحمول على العنق، وانتظار الصلب، فهو من أقوال دعبل نفسه، ينظر الأغاني (٢٠/١٢١)، فهو يتوقّع الموت في أيّة لحظة، وعلى هذا الأساس بنى تعامله مع الآخرين.

(٢) تبيّن هذه الأوصاف منزلة الشاعر العالية التي مايزال يتمتّع بها، فهو لسان اليمن، وشاعرها، والذابّ عنها، والمحامي لها، والمرامي دونها، وهي الأوصاف نفسها التي كانت تطلق على الشاعر في الجاهلية، لا تلحظ تغييراً فيها. ولعلّ هذا يشير بوضوح إلى ما ذكرناه سابقاً من أنّ امتزاز مكانة الشاعر لم يكن عاماً مطلقاً، إذ وجدنا تجاور النظرتين، ووجود الاتجاهين.

(٣) المطبق: السجن تحت الأرض.

وليس في ذلك عوض مما سار فيّ من الهجاء وفي عقبي من بعدي، فقلت: ما أراه يفعل ويقدم عليك. فقال لي: يا عاجز، أهوَنُ عليه مما لم يكن. أتراه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ؟ فقلت: فإذا كان الأمر كذا فقد وُفق الأمير فيما أخذه عليّ.

قال: وكان دعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفته، فمن أين؟ قال الأمير: إنّه مدخول النسب وهو في البيت الرفيع من خزاعة، لا يتقدمهم غير بني أهبان مكلّم الذئب. فقال: أسمع أنه كان أيام ترعرع خاملاً لا يُؤبه له، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد، لا يملكان غيره، ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردٌ يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك الشيب برأسه فبكى

وغنّى فيه بعض المغنين وشاع، فغُنّي به بين يدي الرشيد، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكي، فطرب الرشيد، وسأل عن قائل الشعر، فقيل له: دعبل بن عليٍّ، وهو غلام نشأ من خُزاعة. فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم، وخِلْعة من ثيابه، فأحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته، وقال له: اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دعبل بنِ عليٍّ، فإذا دُللت عليه فأعطه هذا، وقل له: ليحْضر إن شاء وإن لم يجُب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فسار الغلام إلى دعبل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمسير إليه.

فلما دخل عليه وسلّم أمره بالجلوس فجلس، واستنشده الشعر فأنشده إياه، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً، فكان أوّلَ من حرضه على قول الشعر، فوالله مابلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله: من العطاء السنيّ، والغنى بعد الفقر، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة. وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

وليس حيّ من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مُضر
إلا وهمْ شركاءٌ في دمائهم كما تشارك أيسار على جُزُر(١)
قتلٌ وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغُزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذُر
أربع بطُوس على القبر الزكي إذا ما كنت تربع من دين على وطر(٢)
قبران في طُوسَ خيرٌ الناس كلّهُم وقبرُ شرّهم هذا من العبر

---

(١) دمائهم: يريد دماء الطوبين، الأيسار: مفردها ياسر، وهم المجتمعون على الميسر.

(٢) أربع: ربع الرجل، رَبْعاً: وقف وانتظر، والقبر الزكيّ هو قبر الإمام علي بن موسى الرضا.

ما ينفع الرِّجسَ من قُرب الزكيِّ ولا　　على الزكيِّ بقُرب الرجس من ضرر
هيهات كلُّ امرئٍ رهن بما كسبت　　لـه يداه فخـذ ما شئت أو فذر(١)

ـ يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة. وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله:

علْم وتحكيمٌ وشـيبٌ مفارق　　طمَسْنَ ريعان الشباب الرائق
وإمارة في دولـة ميمونـة　　كانت على اللذات أشغب عائق(٢)
أنّى يكـون وليس ذاك بكـائن　　يرث الخلافة فاسق عن فاسق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها　　فلتصْلُحَنْ من بعـده لمُخارق(٣)

فلما قرأها المأمون ضحك، وقال: قد صَفَحْتُ عن كلّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة، وولاه عهده. وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان، ويحمل إليه مالا. وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعل، فكتب إليه أبي بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه، وأجازه وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل. فلما دخل وسلّم عليه تبسم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوة　　ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصات

فجزع، فقال له: لك الأمان فلا تخف، وقد رويتُها ولكني أحبُّ سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أول داخل، وآخر خارج من عنده. (١٧٨/٢٠)

---

(١) ذَر: اترك.

(٢) شغب شغبا: هيّج الشرّ.

(٣) إبراهيم: هو إبراهيم بن المهديّ، أخو هرون الرشيد، كان منصرفاً إلى الغناء، والعَزف على الطنبور، وإلى قول الشعر، بويع بالخلافة سنة (٢٠١هـ)، بعد أن جعل المأمون ولاية العهد لعليّ الرضا، ولكنّه هُزم سنة (٢٠٣هـ)، وعفا المأمون عنه، وأورد البغدادي في تاريخ بغداد، ١٤٤/٦ هذا البيت إشارة إليه، ومخارق: هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار مولى الرشيد، نشأ بالمدينة، وقيل: كان منشؤه بالكوفة. كان مغنّياً مشهوراً، اشتراه إبراهيم الموصلي وعلّمه الغناء. ومن الواضح أنّ الشاعر يعرّض بالخلافة العباسية التي تولّاها إبراهيم وهو مغنٍّ، ويطلب توليتها من بعده لمخارق وهو مغنٍّ أيضاً.

(٢٨٣)

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال: حدثني أحمدُ بنُ القاسم البرتيّ قال: حدثني علي بن يوسف قال: كنتُ عند أبي دُلف القاسم بن عيسى العِجْلي فاستأذن عليه حاجبه لجُعيفران الموسوس، فقال له: أيُّ شيء أصنع بموسْوِس! قد قضينا حقوق العقلاء، وبقي علينا حقوق المجانين! فقلت له: جُعلت فداء الأمير موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء، وإن له لسانا يُتّقى وقولا مأثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثقل، فأذن له فلما مثل بين يديه قال:

يا أكرمَ العالم موجودا ... ويا أعزَّ الناسِ مفقودا
لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ ... أصبح في الأمة محمودا
قالوا جميعاً إنه قاسمٌ ... أشبه آباءُ له صيدا
لو عبدوا شيئاً سوى ربهم ... أصبحْت في الأمة معبودا
لا زلتَ في نُعْمى وفي غبطةٍ ... مكرَّماً في الناس معدودا

قال: فأمر له بكسوة وبألف درهم. (١٩٣/٢٠)

(٢٨٤)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني عمي عُبيد الله قال: حدثني عمي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا: لما بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل له خطبة يقوم بها يوم الجمعة، فعملنا له خطبته المشهورة، وكان جهير الصوت حسن اللهجة، فلما خطب بها رقّت قلوب الناس، وأبكى من سمعه، فقال أبو محمد اليزيديّ:

لِتَهْنِ أميرَ المؤمنين كرامةٌ ... عليه بها شكرُ الإله وُجوبُ
بأن ولّى العهد مأمونَ هاشم ... بدا فضله إذ قام وهو خطيبُ
ولما رماه الناس من كل جانب ... بأبصارهم والعُود منه صليب(١)
رماهم بقول أنصتوا عجباً له ... وفي دونه للسامعين عجيب
ولما وعت آذانُهم ما أتى به ... أنابَتْ ورقّت عند ذاك قلوب
فأبكى عيونَ الناس أبلغُ واعظ ... أغرُّ بطاحيُّ النِّجار نجيب(٢)

---

(١) صليب: قويٌّ متين. (٢) بطاحيّ: من قريش البطاح، وهم الذين ينزلون بين أخشبي مكة، وهما جبلاها: أبو قبيس والأحمر. والنِّجار: الأرومة والأصل.

مهيب عليه للوقارِ سكينة جرىء جنانٍ لا أكعُّ هيوب(١)
ولا واجبٌ فوق المنابر قلبُه إذا ما اعترى قلبَ النجيب وجيب(٢)
إذا ما علا المأمونُ أعواد منبر فليس له في العالمين ضريب
تصدُّع عنه الناس وهو حديثهم تحدُّث عنه نازح وقريب
شبيه أمير المؤمنين حزامةً إذا وردتْ يوماً عليه خطوب
إذا طاب أصل في عُروق مشاجه فأغصانه من طيبه ستطيب(٣)
فقل لأمير المؤمنين الذي به يقدُّم عبد الله فهو أديب
كأن لم تغب عن بلدة كان والياً عليها ولا التدبيرُ منك يغيب
تتبع ما يُرضيك في كل أمره فسيرته شخص إليك حبيب
ورثتم بني العباس إرث محمد فليس لحيٍّ في التراث نصيب
وإني لأرجو يابن عم محمد عطاياك والراجيك ليس يخيب
أثبني على المأمون وابني محمداً نوالاً فإياه بذاك تثيب
جناب أمير المؤمنين مبارك لنا ولكل المؤمنين خصيب
لقد عمَّهمْ جُود الإمام فكلهم له في الذي حازت يداه نصيب

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم، ولابنه محمد بنِ أبي محمد بمثله. (٢٣٦/٢٠)

(٢٨٥)

حدثنا اليزيديّ قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني أبو صالح بن يزداد قال: حدثني أبي قال: جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر، فاستأذن، فقال الحاجب: قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد، قال: فأمرك ألا توصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدفع إليه رقعة فيها:

هديُّتي التحيةُ للإمام إمام العدل والملك الهمام
لأني لو بذلْتُ له حياتي وما أهوى لقلاً للإمام
أراك من الدواء اللهُ نفعا وعافيةً تكون إلى تمام

(١) الأكعّ: الجبان. (٢) واجب: خافق بقوّة من التهيّب.
(٣) مشاجه: تكوُّنه، وحيث يلتقي اباؤه وأمهاته.

وأعقبك السلامةَ منه ربٌّ يُريك سلامة في كل عام
أتأذن في السلام بلا كلام سوى تقبيل كفك والسلام

قال: فأوصلها، وخرج فأذن له، فدخل وسلّم وحُمِلت معه ألفا دينار. (٢٤٤/٢٠)

(٢٨٦)

حدثني عمي قال: حدثني الفضلُ اليزيديُّ قال: حدثني أخي أحمدُ عن أبي: قال: دخلْتُ إلى المعتصم وهو وليُّ عهد وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمّد، قل أبياتا في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع، فإن كان كما أحب فلك بكل بيت مائة دينار، فقلت:

هذا شبيه الحبيب قد طلعا غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يشاكله فاسأله بالله عنه ما صنعا؟
فرّق بيني وبينه قدر هو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودة فأرقبها كما رأينا شبِهه رجعا

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعلّويه: غن في هذه الأبيات - وكان حاضراً - فغنّى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعلّويه بمثلها. (٢٤٤/٢٠)

(٢٨٧)

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال: حدثنا أبو العباس محمدُ بنُ الحسنِ بنِ دينارٍ مولى بني هاشم قال: حدثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمد بنِ أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيح يودُّ السُّقم كيما تعُوده وإن لم تَعُده عاد عنها رسولُها
ليعلم هل ترتاع عند شكاته كم قد يروع المُشفقات خليلها؟

قال فقلت:

صحيحٌ ودٌّ لو أمسى عليلا لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآك تسومُه الهجران حتى إذا ما اعتلَّ كنت له وصولا
فودُّ ضنا الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلا
هما موتان موت هوى وهجرٍ وموت الهجر شرُّهما سبيلا

قال: فأمر لي بعشرة الآف درهم. (٢٤٦/٢٠)

(٢٨٨)

أخبرنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عونُ بنُ محمد الكنديّ، قال: كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخطيب، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة، وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر، وهي:

يابنَ الخلائفِ والأملاكِ إن نُسبوا ... حُزْتَ الخلافةَ عن آبائك الأُوَلِ
أجرْتَ أم رقدتْ عيناك عن عجب ... فيه البريَّةُ من خوف ومن وَهَلِ(١)
ولُيتَ أربعةً أمرَ العباد معاً ... وكلُّهمْ حاطبٌ في حبْل مُحْتبل
هذا سليمان قد ملُكتَ راحته ... مشارقَ الأرضِ من سهل ومن جبل
ملُكته السند فالشِّحْرين من عدنٍ ... إلى الجزيرة فالأطراف من ملل(٢)
خلافةٌ قد حَواها وحده فمضت ... أحكامُه في دماء القوم والنَّفل(٣)
وابنُ الخصيب الذي ملُكت راحته ... خلافة الشأم والغازين والقفل(٤)
فنيل مصرٍ فبحر الشأم قد جريا ... بما أراد من الأموال والحُلل
كأنَّهمْ في الذي قسَّمتَ بينهُم ... بنُو الرشيد زمانَ القَسْمِ للدُّول
حوى سليمان ما كان الأمينُ حوى ... من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمدُ بنُ خصيب في إمارته ... كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُل
أصبحت لا ناصحٌ يأتيك مستترا ... ولا علانيةً خوفاً من الحيل

---

(١) الوَهَل: الفزع والضعف.

(٢) الشِّحْر: الشط. وهو بين عدن وعمان، ينظر معجم البلدان (٣/٣٢٦)، وملل: موضع في طريق مكة بين الحرمين. (٣) النَّفَل: الغنيمة.

(٤) الغازين: ضُبطت في الأغاني هكذا بزاي معجمة، وشُرحت في الهامش: الغازين لعلّ المراد بهما غاز الكنز، وهو موضع بجبل أبي قبيس، وغاز المعرّة بأرض اليمامة، لبني جشم بن الحارث، وهذا منقول من معجم البلدان لياقوت (٤/١٨٣)، ولكنّ الموجود في معجم ياقوت: غار، براء مهملة، تحت مادّة الغارُ. وأعتقد أنّ معنى الغازين هنا هو المجاهدون الخارجون للجهاد والغزو، يدلّ عليه كلمة (القَفَل) وهم العائدون، وجاء في لسان العرب (١١/٥٦٠): «القفول رجوع الجند بعد الغزوه، وعند هذا يتحقّق الطباق بين الكلمتين: الغازين، والقفل، فابن الخصيب قد مدّ سلطانه على الناس جميعاً والجند: الغازين منهم والعائدين.

سلْ بيتَ مـالكَ أين المال تعـرفـه ... وسل خـراجك عن أمـوالك الجُمل(١)
كم في حبُوسك ممن لا ذُنوب لهـمْ ... أسرى التكذُّب في الأقياد والكَبَل(٢)
سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتضى فبِه ... قس الأمـورَ التي تُنجي من الزلل
عِثْ فيهمُ مثل ما عاثت يداه معاً ... علـى البرامـكِ بالتهديـم للقُلل

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفَ ألفَ دينار، فجعلها في بيت المال. (٢٠/٢٦٩)

(٢٨٩)

حدثني محمد بن موسى، قال، حدثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب، قال: أحسّت زُبيدة من المأمون بجفاء، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعلِمه بذلك، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعْطفه عليها، فقال:

ألا إنَّ ريبَ الدهْرِ يُدني ويبـعـدُ ... ويؤنس بالآلاف طورا ويفـقـدُ
أصابتْ لريْبِ الدهْرِ مني يدي يدي ... فسـلّمتُ للأقدارِ واللـهَ أحْمـدُ
وقلتُ لريْب الدهـر إنْ ذهبت يـدٌ ... فـقـد بقـيت والحـمـدُ لله لي يدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ... ولي جـعـفـرٌ لـم يفقـدا ومحـمدُ

قال: فحسنُ موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه. (٢٠/٣٠٣)

(٢٩٠)

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابيّ قال: حدثني ابن عائشة قال: دخل أبو نُخَيلة على أبي العباس السفاح فسلّم، واستأذن في الإنشاد، فقال له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تنشدنا فضلات بني مروان، فقال: يا أمير المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاكا ... إذا ركبوا الأعناق والأوراكا(٣)
قـد ارتجينا زمـناً أباكـا ... ثم ارتجـينا بعـده أخـاكـا

---

(١) الجمل: جمع جملة، وهي جماعة الشيء.

(٢) الأقياد: جمع قيد، وهو ما يوضع في يد السجين أو رجله من الحديد، والكبل: وهو القيد أيضاً.

(٣) ينضوي أبو نخيلة تحت ذلك الاتجاه الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو إنَّ الشاعر طالب فَضْل، يتنقّل بشعره مع الناس والدُّول، وقد أبان عن موقفه في رجزه هذا.

ثم ارتجينا بعـــده إياكـا وكـان مـا قلتُ لمن سـواكـا
زُورا فقد كفّر هذا ذاكا

فضحك أبو العباس، وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها، وقد كفّر هذا ذاك. (٢٠/٣٩٩)

(٢٩١)

وأخبرنا أبو الفياض سوّار بن أبي شراعة قال: حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعذّل عن أبيه قال: دخل أبو نُخيلة على أبي العباس، قال وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسْلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمّن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرماً منه، فلما وقف بين يديه سلّم عليه، ودعا له وأثنى، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحمّانيّ. فقال: لا حيّاك الله، ولا قرّب دارك يا نِضْو السوء. ألست القائل في مسْلمة بن عبد الملك بالأمس:

أمسْلَم يامن سـاد كـلَّ خليفـةٍ ويافارسَ الهيجا ويا قمر الأرض؟

والله لولا أني قد أمّنت نظراك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضبك بدمك. فقال أبو نخيلة:

كنّا أناسا نرهب الأملاكا

وذكر الأبيات المتقدمة كلّها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس، ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير، ومازال الناس يمدحون الملوك في دولهم(١)، والتوبة تكفر الخطيئة، والظّفر يزيل الحقد، وقد عفونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك. وأنت الآن شاعرنا فاتّسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان، فقد كفّر هذا ذاك كما قلت. ثم التفت إلى أبي الخصيب فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق فخيّره جارية يأخذها لنفسه، ففعل. (٢٠/٣٩٩)

(٢٩٢)

أخبرني هاشم بنُ محمد قال: حدثنا دماذٌ عن أبي عبيدة: أن أبا نُخيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابيّ - وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسما وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر - فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

---

(١) هذا الكلام يؤكد ما أشرنا إليه في النصّ السابق من اتّساع هذا الاتجاه وأخذ جمهرة من الخلفاء والشعراء به.

يا دار أمِّ مـــالك ألا اســـلمي على التنائي من مُقام وانعمي
كيف أنا إن أنت لـــم تكلّمـي بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي(١)
تقـــول لي بنتي مـــلامَ اللُّوَّم يا أبتـــا إنك يومـــا مـــؤتمي(٢)
فـــقلت كـــلاّ فـاعلمي ثم اعلمي أنى لميـقـات كـتـاب مـحكـم
لو كنتُ في ظلمـة شعب مظلم أو في الســمـاء أرتقى بسلَّم
لا نصبَ مقداري إلى مُجْرنثمي إني وربِّ الراقصات الرسَّم(٣)
وربِّ حـــوض زمـــزم وزمـــزم لأستبين الخير عند مـقدمي
وعند ترحـــاليَ عـــن مـُخيَّمي على ابنِ عبد الله قرْمِ الأقرم
فـــإنني بالعلـــم نو ترسُّـــم لم أدر مـــا مـــهـــاجـــرُ التكرم
حتى تبينت قضايا الغشَم مُهاجرُ يا ذا النوال الخضرم(٤)
أنت إذا انتُجعتَ خـيـرُ مُغنم مُشـــتـــرك النائل جـــمُّ الأنعُم
ولتميـمٍ منك خـير مُـقْسَـم إذا التقوا شتى معا كالهُيَّم(٥)
قـد علم الشـأم وكلُّ مـوسم أنك تحلـو لي كـحلو المعـجم(٦)
طورا وطورا أنت مثل العلقم

قال، فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضبا، وقال يهجوه:

إن الكـلابيَّ اللئيـم الأثرمـــا أعطى على المِدْحةِ نابا عِرْزما(٧)
ما جبر العظم ولكن تمَّما

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضّاه، وقام في أمره بما يحب، ووصله، فقال له أبو نُخيلة،: هذه صلة المديح، فأين صلة الشَّبه؟ فإن التشابه في الناس نسب، فوصله حتى أرضاه. (٢٠/٤٠٥)

---

(١) الجمجمة: عدم القدرة على الإبانة في الكلام.

(٢) مؤتمي: جاعلي يتيمة.

(٣) مجرنثمي: مستقرّي، من اجرنثم، أي سقط من علو إلى أسفل، والراقصات: هنا الإبل، الرُسُم: السريعة من أرسم الناقة إذا حملها على السيّر السريع.

(٤) الخضرم: الكثير.

(٥) الهُيَّم: جمع هائم، وهو المحيَّر المضطرب.

(٦) العُجْم: نوى التَّمر والنَّبق.

(٧) الأثرم: مَنْ انكسرت سنٌّ مِن أسنانه المقدَّمة مثل الثنايا. والناب: الناقة المُسنَّة. والعرزم: القويّة.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال: حدَّثنا قعنبُ بنُ المُحرزِ وأبو عمروٍ الباهليُّ قالا: حدثنا الأصمعي قال: دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوان إسحاق بنُ مسلمٍ العُقيليُّ، فأنشده قوله:

صادتْك يومَ الرملتين شعْفَرُ ... وقد يصيد القانصَ المزعفَرُ(١)
يا صورةً حسَّنها المصوِّر ... للرِّيم منها جيدُها والمحجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا ... وقام من تبر النبيِّ الجوهرُ
ومن بني العباس نبع أصفر ... ينميه فرعٌ طيِّب وعنصر
أقبل بالناس الهوى المستبهر ... وصاح في الليل نهار أنور(٢)
أنا الذي لو قيل إني أشعرُ ... جلَّى الضبابَ الرجز المخبِّر
لمَّا مضت لي أشهر وأشهر ... قلت لنفس تُزدهى فتصبر
لا يستخفنَّك ركب يصدر ... لا مُنجد يمضي ولا مُغوِّر(٣)
وخالفي الأنباء فهي المحشر ... أو يسمعَ الخليفة المطَّهر
منِّي فإني كلُّ جنح أحضر ... وإنَّ بالأنبار غيثا يهمُرُ
والغيثُ يُرجى والديار تنضُر ... ما كان إلا أن أتاها العسكر
حتى زهاها مسجد ومنبر ... لم يبقَ من مروانَ عين تنظر
لا غاشبٌ ولا أناس حُضَّر ... هيهات أودى المنعم المعقَّر(٤)
وأمست الأنبار دارا تُعمر ... وخربتْ من الشآم أدور
حمصٌ وبابُ التِّبن والموقَّر ... ودمِّرت بعد امتناع تدمر(٥)

---

(١) شعفر: اسم امرأة، والمزعفر: وهو المصبوغ بالزعفران، وهو نوع من الطيب أشار به إلى المرأة.

(٢) المستبهر: المُدْهش المُحَيِّر.

(٣) المُنجِد: الذي يمضي إلى نجد، والمغوِّر: مَنْ أتى الغَور، وجاء في لسان العرب (٣٤/٥)، عن الأصمعي: «أغار بمعنى أسرع، وأنجد أي ارتفع ولم يُرو أتى الغور ولا نجداً».

(٤) المُعقَّر: الذي ينحر النوق. دلالة على الكرم.

(٥) باب التِّبن: اسم محلة كبيرة كانت ببغداد ويقول ياقوت: «وهي الآن خراب صحراء يزرع فيها» معجم البلدان (٣٠٦/١)، والموقَّر: موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق، كان يزيد بن عبد الملك ينزله.

وواسط لم يبق إلا القرقر منها وإلا الدير بان الأخضر(١)

(ومنها): أين أبو الورد وأين الكوثرُ؟

أبو الورد بن هذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان.

وأين مروان وأين الأشقر وأين فلّ لم يفُت محيّر
وأين عاديكم المُجمْهَر وعامر وعامر وأعصُر؟

ـ قال: يعني عامرَ بن صعْصعة، وعامر بن ربيعة، وأعصُر باهلة وغنيٌّ ـ قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في حر أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إنّي والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان، وماله عهد، وما هو بوفيّ ولا كريم، فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولا ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحوْبة، والحسنات يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم. وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً. (٤١٤/٢٠)

(٢٩٤)

قال المدائني: وحدثني بعض موالي المنصور قال: لما أراد المنصور أن يعقد للمهديّ أحبُّ أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبدُ الجبار بنُ عُبيد الله الحمانيُ قال: حدثني أبو نخيلة قال: قدمتُ على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثي: يا أبا نُخيلة، إن أمير المؤمنين يريد أن يقدّم المهديُّ بين يدي عيسى بنِ موسى، فلو قلتَ شيئاً تحثّه على ما يريد. فقلت:

ماذا على شحْط النوى عناكا أم ما مرى دمعك من ذكراكا؟(٢)
وقد تبكيّتَ فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها:

خليفةَ الله وأنت ذاكا أسندْ إلى محمدٍ عصاكا

---

(١) القَرْقر: موضع بين الفلج ونجران، والديربان: جاء في هامش الأغاني: لعلّه دير أبان، من قرى غوطة دمشق، منسوب، إلى أبان بن عثمان بن حرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أميّة، وهذا الكلام منقول عن معجم البلدان لياقوت (٤٩٥/٢)، ولم أجد لهذا الدير ذكراً في كتاب الديارات للشابشتي.

(٢) الشحط: البعد، ومرى: أسال.

فاحفظْ الناس لها أدناكا وابنُك ما استكفيتَه كفاكا(١)
وكـلُّنا منتظـــر لذاكـــا لو قلتَ هاتوا قلتُ هاك هاكا

قال: فأنشدته إياها، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: احذر عيسى بنَ موسى، فإني أخافه عليك أن يفتالك. قال المدائنيّ: وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نخيلة، فهرب منه، وخرج يريد خراسان، فبلغ عيسى خبرُه، فجرَّد خلفه مولى له يقال له: قطريّ، معه عدَّة من مواليه، وقال له: نفْسك نفسك أن يفوتك أبو نُخيلة، فخرج في طلبه مُفذّاً للسير، فلحقه في طريقه إلى خراسان، فقتله وسلخ وجهه(٢). (٢٠/٤٢٠)

(٢٩٥)

حدثني أبو الفضْل عباسُ بن أحمد بن ثوابة قال: قدم البحتريُّ النُّيل(٦٣) على أحمد بنِ علي الإسكافيّ مادحاً له، فلم يُثبْه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مُدَّتُه عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بنِ عليٍّ ومـن النُّيلِ غيرَ حُمّى النُّيلِ

وهجاه بقصيدة أخرى أولها: قصَّة النّيلِ فاسمعوها عُجابه

فجمع إلى هجائه إيَّاه هجاء أبي ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم وثياب ودابَّةٍ بسرْجها ولجامها، فردَّه إليه، وقال: قد أسلفتكم إساءةً لا يجوز معها قبولُ رفْدكم، فكتب إليه أبي: أمَّا الإساءة فمغْفُورة وأما المعذرة فمشكورة، والحسناتُ يُذْهبْنَ السيئات، وما يأسو جراحك مثلُ يدك. وقد رددتُ إليك ما رددتَه عليَّ، وأضعفتُه، فإن تلافيْتَ ما فرطَ منك أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل احتملنا وصبرنا، فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامُك واللهِ أحسنُ من شعري، وقد اسلفْتني ما أخجلني، وحمَّلتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضلالٌ لها ماذا أرادت إلى الصدّ

وقال فيه بعد ذلك: برقٌ أضاء العقيق من ضرمِهِ

---

(١) إنَّ دَوران الشاعر مع الزمان لم يُفْلِتْه من أيدي مَنْ عناهم، فقد أدخل نفسه في طرق ضيِّقة، كان في غنى عنها، وبما يتلاءم مع مواقفه المتغيّرة، ولكنَّه أثر عاجلاً قليلاً كان السبب في قتله.

(٢) النُّيل: ضُبطت في الأغاني بفتح النون، وفي معجم البلدان لياقوت (٥/٣٣٤)، النِّيل بكسرها، وهامش الأغاني ينقل عنه في التعريف به، وهو اسم يطلق على عدَّة مواضع، أحدها بُليدة في سواد الكوفة قرب حلَّة بني مزيد، وهو نهر من أنهار الرُّقة حفره الرشيد.

وقال فيه أيضاً: دانٍ دعا داعي الصِّبا فأجابَهْ

قال: ولم يزل أبي يصله بعد ذلك، ويتابع برُّه لديه حتى افترقا. (٤٤/٢١)

(٢٩٦)

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض المتوكل مرضة خيفَ عليه منها ثم عوفي، وأذن للناس في الوصول إليه، فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم، فلما رآني استدناني، حتى قُمتُ وراء الفتح، ونظر إليَّ مُسْتَنْطقاً فأنشدته:

يـــومٌ أتانا بالســـرورِ ... فـالحـمـد لله الكبـيـرِ
أخلصتُ فـيـــه شُكره ... ووفـيْتُ فـيـــه بالنُّذورِ
لمـا اعتللتَ تصـدَّعـتْ ... شُعَبُ القلوب من الصدورِ
مـن بين ملتهـب الفـؤا ... د وبين مكتئب الضميرِ
يا عُدَّتي للدِّينِ والدُّنْيـا ... وللخطْـــبِ الخـطـيـرِ
كـــانت جُفـوني ثرَّةَ الـ ... أمـــاق بالدُّمعِ الغـزيرِ
لو لم أمت جـزعـــاً لعـمـ ... ـرُكَ إنني عينُ الصبـور
يومـي هنـالك كالسَّنـيـ ... ـن وساعتي مِثْلُ الشُّهورِ
يا جـعـفرُ المتوكلُ الـ ... ـعالي على البـدر المُنيرِ
اليـومَ عـاد الدين غضَّ ... العـــود ذا ورقٍ نضـيـرِ
واليومَ أصبحت الخـلا ... فة وهي أرسى من ثبير(١)
قـد حـالفـتْكَ وعـاقـدتْـ ... ـك على مطاولـة الدُّهُورِ
يا رحمـــةً للعـــالميـ ... ـنَ ويا ضياء المستنيرِ
يا حـــجـــةَ الله التي ... ظهـــرتْ له بهُدىً ونُورِ
للّـهِ أنتَ فمـــا نشـــا ... هدُ منكَ من كـرم وخـيـرِ
حـــتى نقـــول ومَنْ بِقُر ... بِكَ من وليٍّ أو نصـيـرِ
البـدرُ ينطـــقُ بيننـــا ... أمْ جعفرٌ فوقَ السرير!
فـإذا تواتـرتِ العطـــا ... ـءُ كُنتَ منقطع النظيـر
وإذا تعـــذَّرت العطـــا ... ـءُ كنتَ فيَّاضَ البحُورِ

(١) ثُبير: من أعظم جبال مكّة، بينها وبين عرفة. معجم البلدان (٢/٧٣).

تُمضي الصواب بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيرٍ أو مُشـيرِ

فقال المتوكلُ للفتح: إن إبراهيم لينطق عن نية خالصة، وودٍّ محْض، وما قضينا حقُّه، فتقدَّم بأن يُحملَ إليه الساعة خمسون ألف درهم؛ وتُقدَّم إلى عبيد الله بن يحيى بأن يولِّيه عملا سرياً ينتفع به. (١٥٧/٢٢)

(٢٩٧)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الحرَّانيّ، قال: حدثني أبو قُدامة، قال: حدثني المؤمّل قال:

قدمت على المهديّ وهو بالرّي، وهو إذ ذاك وليُّ عهد، فامتدحته بأبيات، فأمر لي بعشرين ألفَ درهم، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور، وهو بمدينة السلام يُخْبره أنَّ الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم، فكتب إليه يعذله ويلومه، ويقول له: إنما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم(١) وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجِّه إليه بالشاعر، فطُلب، ولم يقدر عليه، وكتب إلى أبي جعفر أنه قد توجّه إلى مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلا، فجعل لا يمرُّ به قافلة، إلا تصفَّح مَن فيها، حتى مرت به القافلةُ التي فيها المؤمّل، فتصفحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمّل بن أميل المحاربي الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهديّ، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر.

فقبضَ عليَّ، وأسلمني إلى الربيع، فأدخلني إلى أبي جعفر، وقال له: هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إليّ، فأدخلتُ إليه، فسلمت تسليم فزع، مروّع، فردَّ السلام، وقال: ليس لك هاهنا إلاَّ خيْر، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنين أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير ، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً، فخدعتُه فانخدع قال: فكأن ذلك أعجبه، فقال: أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه:

---

(١) بات وقوف الشعراء على أبواب الخلفاء والكُبَراء أمراً شائعاً، ينتظرون طويلاً فلا يؤذن لهم، وهذا وجه من وجوه الاتجاه الذي أشرنا إليه، وهو انخفاض مكانة الشاعر، أمّا المنصور والمبلغ الذي حدَّده فهو أمر يتعلّق به وحده، ولا يمكن أن يُعدُّ مقياساً عامّاً، بعد الذي رأيناه من عطايا الخلفاء الكبيرة، وخاصّة أولئك الذين جاءوا بعده.

هـــو المهـــديُّ إلا أن فـيـــه ... مـشـابـهـةٌ من القـمـر المنيـرِ
تشـابه ذا وذا فـهـمـا إذا مـا ... أنارا مُشكلانِ على البـصـيـرِ
فـهـذا في الظلام سـراجُ ليلٍ ... وهـذا في النهـار ضـيـاءُ نُورِ
ولكن فـــضْلُ الرحـــمن هذا ... على ذا بالمـنابِرِ والسُّـــرير
وبالمَلِك العـزيزِ فـذا أمـيـرٌ ... ومـــاذا بالأمـيـر ولا الوزيـر
وبعضَ الشـهـر ينقصُ ذا وهذا ... مُنير عند نقصـانِ الشـهـور
فـيـابن خليـفـةِ الله المصـفّى ... بـه تعلو مـفـاخـرةُ الفـخـورِ
لئن فُتَّ الملـوكَ وقـد توافـَوْا ... إليكَ مِنْ الســهـولة والوُعـورِ
لقد سبق الملـوك أبُوك حتّى ... بقوا من بين كـابٍ أو حسـير(١)
وجئتَ مصلياً تجري حثيثاً ... وما بك حين تجري مـن فُتور(٢)
فـقـال النـاس مـــا هـــذان إلا ... كـمـا بينَ الخليق إلى الجدير(٣)
لئن سـبق الكبيرُ لأهْلُ سـبْقٍ ... له فـضلُ الكبير على الصَّغيرِ
وإن بلـغ الصـغيرُ مـدى كبيرٍ ... فـقـد خُلِقَ الصـغيرُ من الكبيرِ

فـقـال: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشـرين ألفَ درهم(٤)، فـأين المال؟ قلت: هو هذا. قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقي.

قـال المؤمل: فـخـرج مـعي الربيـع، وحَطَّ ثقلي ووزن لي من المال أربعـة الآف درهم، وأخـذ الباقي فلما وَلي المهديُّ الخلافة ولّى ابن ثوبان المظالم، فكان يجلس للناس بالرُّصافة، فإذا ملأ

---

(١) الكابي: العاثر، والحسير: الكليل الواهي.

(٢) المصلّي من الخيل: الذي يأتي تالياً للسابق، والسابق هنا هو الخليفة.

(٣) علّق الأستاذ عبد السلام هارون على هذا البيت بقوله: «أي هما سيّان، كما أنّ الخليق والجديد مترادفان بمعنى الحقيق»، ينظر أمالي الزجّاجي (ص٩٥)، وورد في حاشية أمالي المرتضى ما يأتي: «أي لم يكن بينك وبين أبيك من الفرق والتفاوت إلا مثل ما بين الخليق والجديد، ومعناهما واحد». ينظر أمالي المرتضى (١٠١/١)، وخليق بالشيء جدير به.

(٤) هذا مقياس غريب للشعر لا يُعرف ميزانه، فَلِم أصبحت القصيدة تساوي أربعة آلاف درهم. ولم تساوِ ثلاثة آلاف مثلاً أو خمسة آلاف، ويبدو أنّ استكثار المبلغ الأول دعا إلى التقليل منه مع الاعتراف بجودة الشعر نفسه. وهذا يناقض تماماً ما رأيناه عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي قرَّر أن المال زائل، وأن الشعر باقٍ.

كساءه رقاعاً رفعها إلى المهديّ، فرُفعتْ إليه رُقعة، فلمّا دخل بها ابن ثوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضحك، فقال له ابنُ ثوبان: أصلح الله أمير المؤمنين! ما رأيتك ضحكت من شيء من هذه الرقاع إلا من هذه الرُّقعة، فقال: هذه رقعة أعرفُ سببها، ردّوا إليه عشرين ألفَ ردهم، فردُّوها إليَّ وانصرفْت. (٢٤٥/٢٢)

(٢٩٨)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي، قال: حدثنا عبد الله بن سعد بن أبي سعد قال: حدثني الحكم بن موسى السلوليّ، قال: حدثني سعد بن أخي العوفيّ قال: قدم على المهدى في بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المؤمّل بنُ أميْل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السّلولي وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيري من الكوفة، فقدما على المهديّ في عسكره، فأنشده المؤمّل:

هـاكَ بيـاعنا ياخـيـر والٍ ... فـقـد جُدْنا به لك طائعـينا
فـإن تفعلْ فـأنت لذاك أهـلٌ ... ففضلك يابنَ خير الناس فينا
وَعَدْلُكَ يا بن وارث خـيـرِ خلْق ... نبيِّ اللـه خـيْرِ المرسـلينا
فـإن أبا أبيكَ وأنتَ مـنـه ... هو العـبَّاسُ وارثُه يقـينا
أبان به الكتـابُ وذاك حقٌ ... ولسـنا للكتـابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأنتم غـيـر شـك ... لهـا بالعـدل أكـرمُ خـاتمينا
فـدونكهـا فـأنتَ لهـا مـحلٌّ ... حـبـاك بهـا إلـهُ العـالمينا
ولو قـيـدتْ لغـيـركمُ اشمـأزّت ... وأعْيتْ أن تُطيـعَ القـائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألف درهم، فجيء بالمال، فألقي بينها، فأخذ كل واحد منهما بدرة، وصدع الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا. (٢٤٨/٢٢)

(٢٩٩)

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عبد الله بن أمين عن أبي محمد اليزيديّ، عن المؤمّل بن أميل قال: صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحتُه بقولي:

تعزَّ ودعْ عنك سـلمى وسِـرْ ... حثيثاً على سائراتِ البغالِ
وكـل جـوادٍ لـه مـيْعَـةٌ ... يخُبُّ بسـرحكَ بعـدَ الكلالِ(١)

(١) ميعة الفرس: أوّل جريه. السَّرْح: فناء الدار، أراد به كرمه وسعة صدره ومجلسه.

إلى الشمس شمسِ بني هـاشمٍ وما الشمسُ كالبدْر أو كالهلالِ
ويُضـحكه أن يـدوم السـؤالُ ويُتلف في ضـحكه كلَّ مـالِ

فاستحسنها المهديُّ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وشاع الشعر وكان في عسكره رجلٌ يعرف بأبي الهوْسات، يُغنِّي، فغنَّى في الشعر لرُفقائه، وبلغ ذلك المهديَّ فبعث إليه سرًّا، فدخل عليه، ففناه، فأمر له بخمسة آلاف درهم، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أخرى، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور. (٢٤٩/٢٢)

(٣٠٠)

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهْروية، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك، قال: حدثني أبي، قال: وجَّه المهديُّ نُصيباً الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبلٍ مهريَّة(١)، ووجَّه معه رجلاً من الشيعة، وكتب معه إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار، قال: فمدَّ أبو الحجناء يده في الدنانير يُنفقها في الأكل والشرب، وشراء الجواري والتزويج، فكتب الشيعيُّ بخبره إلى المهديِّ، فكتب المهديُّ في حمْله موثقاً في الحديد.

فلمَّا دخل على المهديِّ أنشده شعْره، وقال:

تـأوَّبني ثقلٌ مـن الهـمِّ مُوجِعُ فـأرَّق عـيْني والخليُّون هُجَّعُ
هُموم توالتْ لو أطاف يسيرُها بسـلْمى لظلَّتْ شمُّها تتصدَّعُ(٢)
ولكنَّها نيطـتْ فـناءَ بحملها جهيرُ المنايا حائنُ النفس مجزعُ(٣)
وعادتْ بلادُ الله ظلماءَ حندساً فخلتُ دُجى ظلمائها لا تقشَّعُ(٤)

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

إليكَ أمـيـرَ المؤمنين ولـم أجـدْ سـواك مُجـيـراً منكَ يُدني ويمنعُ
تلمَّستُ هل من شافعٍ لي فلـم أجدْ سوى رحمـةٍ أعطاكـها الله تشـفعُ
لئن جلَّت الأجـرامُ مني وأفظعتْ لعـفْوكَ عـن جُرمي أجلُّ وأوسعُ

---

(١) الإبل المَهْريَّة: منسوبة إلى مَهْرة بن حيدان وهو أبو قبيلة، وهم حيٌّ عظيم، ينظر لسان العرب (١٨٦/٥).
(٢) سلْمى: أحد جَبَلَيْ طيِّء، وهو موضع بنجد أيضاً، وشمُّها: أراد جبالها المرتفعة.
(٣) نيطَتْ: رُبِطتْ، وهي الهموم في البيت السابق، وجهير المنايا: بدا له الموت جهرة عياناً، وحائن النفس: هالك.
(٤) الحندس: الظلام الشديد، وتقشَّع: هي تتقشَّع أي تنجلي وتزول.

لئن لم تسْعني يابن عمِّ محمد ... لما عجزت عني وسائلُ أربعُ
طُبعت عليها صبغةً ثم لم تزلْ ... على صالح الأخلاق والدين تُطبعُ
تغابيك عن ذي الذنبِ ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتي ويصْنَعُ
وعفوكَ عمَّن لو تكونُ جريمةٌ ... لطارتْ به في الجوّ نكباءُ زعزعُ(١)
وأنّك لا تنفكُّ تُنعش عاثراً ... ولم تعترضْه حين يكبو ويخْمعُ(٢)
وحلمكَ عن ذي الجهل من بعد ما جرى ... به عنَقٌ من طائش الجهل أشنعُ(٣)
ففيهنَّ لي إمَّا شفعْن منافعُ ... وفي الأربع الأولى إليهنَّ أفزعُ
مُناصحتي بالفعل إن كنت نائياً ... إذا كان دانٍ منك بالقولِ يخدعُ
وثانيةً ظنّي بك الخير غائباً ... وإن قلت عبدٌ ظاهر الغشّ مُسبعُ(٤)
وثالثةً أني على ما هويته ... وإن كثّر الأعداء فيَّ وشنّعوا
ورابعةً أنّي إليكَ يسوقُني ... ولائي فمولاك الذي لا يُضيِّع
وإني لمولاك الذي إن جفوته ... أتى مستكيناً راهباً يتضرّعُ
وإني لمولاكَ الضعيفُ فأعْفني ... فإني لعفوٍ منكَ أهلٌ وموضعُ

فقطع المهديّ عليه الإنشادَ، ثم قال له: ومَنْ أعتقك يابن السوداء! فأومأ بيده إلى الهادي، وقال: الأمير موسى يا أمير المؤمنين، فقال المهديُّ لموسى: أعتقْته يا بُنيّ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فأمضى المهديّ ذلك وأمر بحديده، ففُكَّ عنه، وخلعَ عليه عِدَّةً من الخِلَعْ الوشي والخزِّ والسوادِ والبياضِ، ووصله بألفيْ دينار، وأمر له بجارية يقال لها: جعفرةَ فائقةٍ من رُوقة الرقيق(٥). (٢/٢٣)

(٣٠١)

قال ابن أبي سعد: ودخل نصيب على ثُمامة بعد وفاة أخيه شيبة، وهو يفرِّق خيله على الناس، فأمر له بفرس منها؛ فأبى أن يقبله؛ وبكى، ثم قال:

يا شيبةَ الخيرِ إمَّا كنتَ لي شجنا ... أليتُ بعدك لا أبكي على شجنِ
أضحتْ جيادُ أبي القعقاع مُقْسَمةً ... في الأقربين بلا منٍّ ولا ثمنِ

---

(١) الزعزع: الشديدة الثقيلة. (٢) يخمع: يعرج في المشي، وهو كناية عن التعثّر.
(٣) العَنَق: ضرب من السير السريع. (٤) مُسبَع: خبيث.
(٥) روقة الرقيق: جمع رائقة، أي حسان الرقيق.

ورثتهم فتعزّوا عنك إذ ورثوا وما ورثتك غير الهمّ والحزن

فجعل ثُمامة ومَنْ عنده حاضرٌ من أهله وإخوانه يبكون. وشيبة بن الوليد هذا وأخوه من وجوه قواد المهديّ. (٦/٢٣)

(٣٠٢)

قال ابن أبي سعد: لما حجّتْ أم جعفر زُبيدةُ لقيها النُّصيب، فترجّل عن فرسه، وأنشأ يقول:

سيستبشر البيتُ الحرامُ وزمزمٌ بأمٍّ وليٍّ العهد زينِ المواسمِ
ويعلم مَنْ وافى المحصَّب أنها ستحمل ثقل الغُرم عن كل غارمِ
بنو هاشم زينُ البرية كلِّها وأمُّ وليٍّ العهد زينٌ لهاشمِ
سليلةُ أملاكٍ تفرّعت الذُّرى كرامٍ لأبناء الملوك الأكارمِ
فو الله ما ندري: أفضلُ حديثها عليهم به تسمو أم المُتقادمُ
يظنُّ الذي أعطتْه منها رغيبةً يقصّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

فأمرتْ له بعشْرة آلاف درهم وفرس. (١٤/٢٣)

(٣٠٣)

قال ابنُ أبي سعد: خرج المهدي يتنزه بعيسى باذ(١)، وقدم النُّصيبُ، ومعه ابنتُه حجْناء، فدخل على المهديّ، وهي معه، فأنشدته قولها فيه:

ربَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيمٍ وبهاءٍ بمشرقِ الميْدانِ
بسط اللهُ فيه أبهى بساط من بهار وزاهر الحُوذانِ(٢)
ثم من ناضرٍ من العُشْب الأخضرِ يزهو شقائق النُّعمانِ
مدَّه الله بالتُّحاسين حتى قصرت دون طوله العينانِ
حُفَّفَتْ حافتاه حيثُ تناهى بخيامٍ في العين كالظُّلمانِ(٣)
زيّنوا وسطها بطارمةٍ مثـ ـل الثريّا يحُفُّها النَّسرانِ(٤)

---

(١) عيسى باذ: محلّة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي، وباذ ممّا تستعمله الفرس ومعناه العمارة، فكأنّ معناه عمارة عيسى، ينظر معجم البلدان لياقوت (٤/١٧٢).

(٢) البهار: نبت طيّب الرائحة. والحوذان: بقلة من بقول الرياض لها نَوْر أصفر طيب الرائحة أيضاً.

(٣) الظُّلّمان: جمع الظَّليم: وهو ذكر النعام.

(٤) الطارمة: بيت من خشب.

ثم حشْوُ الخيام بيضٌ كأمثا ... لِ المها في صرائم الكُثبانِ(١)
يتجاوبْنَ في غناء شجيٍّ ... أسْعداني يا نخلتي حُلوانِ(٢)
فبقصر السلام من سلَّم اللهُ ... وأبقى خليفةَ الرحمنِ
ولديه الغِزلانُ بل هنَّ أبهى ... عنده من شوادنِ الغِزْلانِ
يا له منظراً ويومَ سرورٍ ... شهدتْ لنُتيه كلُّ حَصانِ

فأمر لها المهديّ بعشرة آلاف درهم، وله بمثلها ؛ قال: ثم دخلت الحجناء على العبّاسة بنت المهدي، فأنشدتها تقول:

أتيناكِ يا عباسةَ الخير والحيا ... وقد عجفَتْ أدْمُ المهاري وكلَّتِ(٣)
وما تركتْ منا السُّنونَ بقيةً ... سوى رِمَّةٍ منا من الجهد رمَّتِ
فقال لنا من ينصحُ الرأي نفسه ... وقد ولَّت الأموالُ عنا فقلَّتِ
عليك ابنةَ المهديّ عُوذي ببابها ... فإن محلَّ الخير في حيث حلَّتِ

فأمرتْ لها بثلاثة آلاف درهم وكُسوة وطيب. (١٥/٢٣)

(٣٠٤)

فأخبرني إسماعيل بن يوسف قال: حدّثني عبد الله بن أحمد الباهليّ قال: حدثني الحسين بن الضَّحاك قال: لما أُتيَ المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه:

أيبخل فردُ الحسن فردُ صفاته ... عليَّ وقد أفردته بهويَ فردِ!
رأى الله عبدَ الله خيرَ عباده ... فملَّكه والله أعلم بالعبْدِ
ألا إنما المأمون للناس عصمةٌ ... مُميِّزةٌ بين الضَّلالة والرُّشدِ

قال: فقال المأمون: أليس هو القائل:

أعينيَّ جودا وابكيا لي محمداً ... ولا تدّخرا دمعاً عليه وأسْعدا
فلا فرحَ المأمونُ بالمُلْك بعده ... ولا زالَ في الدُّنيا طريداً مشرَّدا

هيهات، وواحدةٌ بواحدة! ولم يصلْه بشيء. (٣٨/٢٣)

---

(١) صرائم الكثبان: جمع صريمة، وهي قطعة من الرَّمل.

(٢) حلوان: المراد بها هنا حلوان العراق، وهي في آخر السَّواد ممَّا يلي بغداد شرقاً.

(٣) عجفت: نحلت وضعفت، أدم: جمع أدماء، أي لونها مشرب بياضاً أو سواداً. والمهاري: النوق.

(٣٠٥)

وقال محمد بن القاسم: أملق عبدُ الله بن محمد البواب حين جفاه الخليفة، وعلت سنُّه عن الخدمة، فرحل إلى أبي دلف القاسم بن عيسى، ومدحه بقصيدة، فوهب له ثلاثين ألفَ درهم، وعاد بها إلى بغداد، فما نفدتْ حتى مات وهي قوله:

طرقتْك صائدةُ القلوبِ ربابُ ... ونأتْ فليس لها إليك مآبُ
وتصرَّمتْ منها العهودُ وغلَّقتْ ... من دون نيلِ طلابها الأبوابُ
فالصدفنُ عن الهوى وطلابه ... فالحبُّ فيه بليَّةٌ وعذابُ
وأخصُّ بالمدح المهذَّب سيِّدا ... نفحاتُه للمُجْتدين رغابُ(١)
وإلى أبي دلف رحلْتُ مطيَّتي ... قد شفَّها الإرقالُ والإتعابُ(٢)
تعلونا قُلَلَ الجبال ودونها ... مما هوتْ أهويَّة وشِعابُ
فإذا حللتَ مدى الأمير بأرضه ... نلتَ المُنى وتقضَّت الأرابُ
مَلِكٌ تأثَّلَ عن أبيه وجدِّه ... مجْدا يُقصِّر دونه الطُّلابُ
وإذا وزنتَ قديم ذي حسبٍ به ... خضعت لفضلِ قديمه الأحسابُ
قومٌ علَوا أملاك كلِّ قبيلة ... فالناس كلُّهُمُ لهم أذْنابُ
ضربَتْ عليه المكرماتُ قبابها ... فعلا العمودُ وطالتِ الأطنابُ
عقم النساء بمثله وتعطَّلتْ ... من أنْ تُضمِّن مثله الأصلابُ (٤٣/٢٣)

(٣٠٦)

أخبرني الصُّوليّ قال: حدَّثني أحمد بن محمد الطالقانيّ قال: حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال: لمَّا وثب إبراهيم بن المهديّ على الخلافة، اقترضَ من مياسير التُّجَّار مالا، فأخذ من جدِّي عبد الملك عشرة آلاف درهم، وقال له: أنا أردُّها إذا جاءني مال، ولم يتم أمرُه فاستخفى، ثم ظهر ورضي عنه المأمونُ، فطالبه الناسُ بأموالهم، فقال: إنما أخذتُها للمُسلمين، وأردتُ قضاءها من فيئهم، والأمرُ الآن إلى غيري، فعمل أبي محمدُ بنُ عبد الملك قصيدةً يخاطبُ فيها المأمون، ومضى بها إلى إبراهيم بن المهدي، فقرأه أياها وقال: والله لئن لم تُعطني المال الذي اقترضته من أبي لأوصلنَّ هذه القصيدة إلى المأمون، فخاف أن يقرأها المأمون، فيتدبَّر ما قاله، فيُوقع به، فقال له: خذ مني بعضَ المال، ونجِّم عليَّ بعضه(٣)، ففعل أبي ذلك بعد أن حلَّفه

(١) رغاب: جمع رغيبة. بمعنى واسعة. (٢) الإرقال: الإسراع.
(٣) نَجِّم: خذه منجَّماً أي على دُفعات.

إبراهيمُ بتوكيد الأيمان ألاَّ يظهر القصيدة في حياة المأمون، فوفَّى له أبي بذلك، ووفَّى إبراهيم بأداء المال كله والقصيدة قوله:

ألم ترَ أن الشيء للشيء علَّةٌ ... تكونُ له كالنار تُقدح بالزَّندِ
كذلك جرَّبْتُ الأمورَ وإنما ... يدلُّك ما قد كان قبلُ على البعْد
وظنِّي بإبراهيم أنَّ مكانه ... سيُبْعث يوماً مثلَ أيامه النُّكْدِ(١)
رأيت حُسَيْناً حين صار محمد ... بغير أمان في يديه ولا عقدِ
فلو كان أمضى السيفَ فيه بضربةٍ ... فصيَّره بالقاع مُنْعفِر الخدِّ
إذا لم تكنْ للجند فيه بقيةٌ ... فقد كان ما خُبرتُ من خبرِ الجُنْدِ
همُ قتلوه بعد أن قتلوا له ... ثلاثين ألفا من كهول ومن مُرْدِ
وما نصروه عن يدٍ سلفتْ له ... ولا قتلوه يوم ذلك عن حقدِ
ولكنه الغدرُ الصُّراح وخِفَّةُ الـ ... ـحُلوم وبعدُ الرأي عن سنَنِ القصدِ
فذلك يوم كان للناس عبرةٌ ... سيبقى بقاءَ الوحْي في الحَجَرِ الصَّلْدِ(٢)
وما يوم إبراهيم إن طال عمرُهُ ... بأبعد في المكروه من يومه عنْدي
تذكَّر أميرَ المؤمنين مقامه ... وأيمانه في الهزلِ منه وفي الجدِّ
أما والذي أمسيتَ عبداً خليفةً ... له شرُّ أيمان الخليفة والعبدِ
إذا هزَّ أعوادَ المنابر باسته ... تغنَّى بليلى أو بميَّةَ أو هِنْدِ
فوالله ما من توبةٍ نزعتْ به ... إليك ولا ميلٍ إليك ولا وُدِّ
ولكنَّ إخلاصَ الضمير مقرِّبٌ ... إلى الله زُلفى لا تخيبُ ولا تُكدي
أتاكَ بها طوعاً إليكَ بأنفه ... على رغمه واستأثر اللهُ بالحمْدِ
فلا تتركُنْ للناس موضعَ شُبهة ... فإنك مجْزيَ بحسْب الذي تُسدِي
فقد غلطوا للناس في نصْب مثله ... ومن ليسَ للمنصور بابنٍ ولا المهدي
فكيف بمن قد بايع الناسَ والتقتْ ... ببيعته الركبانُ غوْرا إلى نجدِ
ومن سلكُ تسليمُ الخلافة سمْعَهُ ... ينادي به بين السَّماطين من بُعْدِ
وأي امرئ سمَّى بها قطُّ نفسه ... ففارقها حتى يُغيَّبَ في اللَّحدِ
وتزعمُ هذي النابتيَّة أنَّه ... إمامٌ لها فيما تُسِرُّ وما تُبدي(٣)

---

(١) النُّكْد: جمع أنكد، أي المشؤومة. (٢) الوحي: الكتابة.

(٣) النابتية: أو النوابت، طائفة من الحشوية أحدثوا بدعاً في الإسلام.

يقولون سُنِّيٌّ وأيُّ سُنُّة ... تقومُ بجوْن اللون صعْل القفا جعْد(١)
وقد جعلوا رُخْص الطعام بعهده ... زعيما له باليُمن والكوكب السَّعْدِ
إذا ما رأوا يوماً غلاءً رأيتهم ... يحنّون تحنانا إلى ذلك العهدِ
وإقباله في العيد يوجف حوله ... وجيف الجياد واصطفاق القنا الجُرْدِ(٢)
ورجّالة يمشون بالبيض قبله ... وقد تبعوه بالقضيب وبالبُرْدِ
فإن قلتَ قد رام الخلافةَ غيرُهُ ... فلم يؤتَ فيما كان حاول من جدِّ
فلمْ أجزه إذ خيَّبَ اللهُ سعيه ... على خطأ إذ كان منه ولا عمدِ
ولم أرضَ بعد العفوِ حتّى رفعته ... وللّعمُّ أولى بالتّعهُّد والرِّفْدِ
فليس سواءً خارجيٌّ رمى به ... إليكَ سفاهُ الرأي والرأيُ قد يُرْدي
تعاوتْ له من كل أوْبٍ عصابةً ... متى يُورِدُوا لا يُصدروه عن الوِرْدِ
ومن هو في بيتِ الخلافة تلْتقي ... به وبك الآباء في ذروة المجدِ
فمولاكَ مولاه وجندُك جندُه ... وهل يجمع القينُ الحُسامين في غمْدِ؟
وقد رابني من أهل بيتك أنّني ... رأيتُ لهم وجدا به أيّما وجدِ
يقولون لا تبعد من ابن مُلمَّةٍ ... صبورٍ عليها النفسَ ذي مرّة جلْدِ
فدانا وهانتْ نفسُه دونَ ملكنا ... عليه لذي الحال التي قلَّ من يفْدي
على حين أعطى الناسَ صفْقَ أكفِّهم ... عليُّ بنُ موسى بالولاية والعهدِ
فما كان فينا من أبى الضَّيْم غيرُه ... كريمٌ كفى ما في القبول وفي الرَّدِّ
وجرَّد إبراهيمُ للموتِ نفسه ... وأبدى سلاحاً فوق ذي ميعةٍ نَهْدِ(٣)
وأبلى ومن يبلغْ من الأمر جُهده ... فليس بمذمومٍ وإن كان لم يُجْدِ
فهذي أمورٌ قد يخافُ نَوُو النهى ... مغبَّتها واللهُ يهديكَ للرشْدِ (٤٨/٢٣)

(٣٠٧)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: حدثني الحسن بن رجاء، قال: قدم محمد بن عبد الملك على الحسن بن سهل إلى فم الصلْح(٤)، وامتدحه

---

(١) الجون: الأبيض والأسود، صعل القفا: كناية عن لؤم الحسب، وجعد: بخيل.

(٢) يوجف: يسرع، اصطفاق: اهتزاز. (٣) ذو ميعة: أول جري الفرس ونشاطه، ونهد: جسيم مشرف.

(٤) فمُ الصلْح: قال ياقوت (٤/٢٧٦): «هو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جَبُّل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ... وهو الان خراب إلاّ قليلاً».

بقصيدته التي أولها:

كأنّها حين تنـــاهى خطـــوُهُ أخنس موشيُّ الشوى يرعى القلَلْ(١)

وقال فيها: إلى الأمير الحسن استنجدْتها أيّ مـــرادٍ ومـــناخٍ ومحـــلْ

سيف أمير المؤمنين المنتضى وحصن ذي الرياستين المُقْتبلْ

آبـــاؤك الغـــرُّ الألـى جـــدُّهُمُ كسرى أنو شروان والناس هملْ

من كلِّ ذي تاجٍ إذا قال مضى كـلُّ الذي قـال وإن هـمَّ فعل

فـــأيْنَ لا أيْنَ وأنّـــى مِثلُكـــمْ أنتم الأمـــلاك والناس خـــول(٢)

فأمر له بعشرة آلاف درهم. (٧٠/٢٣)

(٣٠٨)

أخبرني عمي: قال: حدثنا الحسين بن عُليل العنزيّ: قال: حدثني أحمد بن مهران مولى البرامكة: قال: شكا مروانُ بن أبي حفصة إلى بعض إخوانه تغيّر الرشيد عليه وإمساكَ يده عنه، فقال له: ويحك! أتشكو الرشيدَ بعد ما أعطاكَ؟ قال: أوَتعجبُ من ذلك؟ هذا أبان اللاحقيّ، قد أخذ من البرامكة بقصيدةٍ قالها واحدةٍ مثلَ ما أخذته من الرشيد في دهري كلِّه، سوى ما أخذه منهم ومن أشباههم بعدها، وكان أبان نقل للبرامكة كتابَ كليلة ودمنة، فجعله شعراً، ليسهل حفظُه عليهم، وهو معروف، أوله:

هـــذا كـــتـــابُ أدبٍ ومِـــحـنهْ وهو الذي يُدعى كليلة دمنهْ

فيه احتيـالاتٌ وفيه رُشدُ وهـــو كـتـابٌ وضعتْه الهِندُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار، وأعطاه الفضلُ خمسةَ آلاف دينار، ولم يعطه جعفر شيئاً، وقال: ألا يكفيك أن أحفظه فأكونَ راويتك؟ (١٥٥/٢٣)

(٣٠٩)

فأخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمّي قال: حدثنا الحسن بن عُليْل العنزيّ قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أدم العبديّ قال: دخل مروان بن أبي الجنوب على المتوكل فأنشده قوله:

سلام على جُمْلٍ وهيهات من جُملِ وياحبَّذا جمـلٌ وإن صرمت حبْلي

وهي من مشهور شعره، وفيها يقول:

---

(١) الأخنس: ذكر البقر الوحشي، وموشيّ الشوى: منقوش الأطراف، القلل: قمم الجبال وأعاليه.

(٢) الخول: الخدم والحشم.

أبوكم عليٌّ كان أفضل منكُم ... أباه نوُو الشورى وكانوا ذوي عدْلِ(١)
وساءَ رسولَ الله إذ ساء بنته ... بخطْبته بنتَ اللعينِ أبي جهل
أراد على بنت النبيِّ تزوُّجاً ... ببنت عدو الله، يا لك من فعْلِ!
فذمّ رسولُ الله صهرَ أبيكُم ... على منبر الإسلام بالمنطق الفصلِ
وحكّم فيها حاكمَيْنِ أبوكُمُ ... هما خلعاه خلعَ ذي النَّعل للنَّعل
وقد باعها من بعده الحسنُ ابنُه ... فقد أبطلا دعواكما الرِّنَّةَ الحبلِ
وخلَّيتُموها وهْيَ في غير أهلها ... وطالبتُمُوها حيث صارتْ إلى الأهل

فوهب له المتوكل مائة ألف درهم. (٢٠٦/٢٣)

(٣١٠)

وقال محمد بن داود بن الجرّاح: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني أبو هاشم الجُبّائي، قال: دخل أبو السِّمط على المتوكل فأنشده قوله:

الصِّهرُ ليس بوارثٍ ... والبنت لا ترِثُ الإمامةْ
لو كان حقكُم لهمْ ... قامت على الناس القيامةْ
أصبحت بين مُحبِّكمْ ... والمبغضين لكم علامةْ

فحشا المتوكّلُ فمه بجوهر لا يُدْرى ما قيمته. (٢٠٧/٢٣)

(٣١١)

أخبرني عمي والحسن بن علي قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثنا حمّاد بن أحمد البنيّ قال: أخبرني أبو السِّمط مروان بن أبي الجنوب قال: لما صرتُ إلى المتوكل على الله ومدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة، وأنشدته ذلك في قولي:

سقى الله نجداً والسَّلامُ على نجدِ ... وياحبذا نجدٌ على النَّأيِ والبعدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لعلّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ!
بلادٌ بها قوم هواهُمْ زيارتي ... ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي

فلما استتممتُها أمر لي بمائة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه. (٢٠٨/٢٣)

---

(١) أباه: رفضه، يشير إلى ما عهد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الشورى كي يختاروا خليفة من بينهم.

(٣١٢)

أخبرني بخبره فيها جماعة من أصحابنا، منهم محمد بن جعفر النحويّ صِهْر المبرد، والحسن بن عليٍّ قالا: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثني القاسم بن محمد الكاتب قال: حدّثني المرزبان بن الفروان حاجب المنتصر قال: إن مروان بن أبي حفصة الأصغر المكنى أبا السَّمط استأذن على المنتصر لمّا ولي الخلافة، فقال: والله لا أذنت للكافر ابن الزّانية، أليس هو القائل:

وحكَّم فيها حاكمين أبوكُم ... هما خلعاه خلْع ذي النَّعْلِ للنَّعْلِ

قولوا له: والله لا وصلتَ إليَّ أبداً، فلما بلغه هذا القول عمل هذا الشِّعر:

لقد طال عهدي بالإمام محمد ... وما كنتُ أخْشى أن يطول به عهْدي

وذكر الأبيات كلها(١). (٢١١/٢٣)

(٣١٣)

حدّثنا محمدُ بنُ يحيى قال: حدّثنا الحسنُ، قال: حدثنا العنزيّ، قال: قدم عُمارةُ البصرةَ أيّام الواثق، فأتاهُ علماء البصْرة وأنا معهم وكُنتُ غلاماً فأنشدهم قصيدةً يمدحُ فيها الواثق فلمّا بلغ إلى قوله:

وبقيتُ في السَّبعين أنهضُ صاعداً ... فمضى لداتي كلُّهم فتشعَّبُوا

بكى على ما مضى من عُمْره، فقالوا له: أملها علينا، قال: لا أفعلُ حتى أنشدها أمير المؤمنين، فإني مدحتُ رجلاً مرَّةً بقصيدة فكتبها منِّي رجل ثم سبقني بها إليه، ثم خرج إلى الواثق فلما قدم أتوه وأنا معهمْ فأملاها عليهم.

ثم حدَّثهم فقال: أدخلني إسحاقُ بنُ إبراهيم على الواثق، فأمرلي بخلْعةٍ وجائزة، فجاءني بهما خادمٌ، فقلتُ: قد بقي من خِلْعتي شيءٌ قال: وما بقي؟ قلت: خلع عليَّ المأمون خلعةً وسيفاً. فرجع إلى الواثق فأخبره، فأمره بإدْخالي، فقال: يا عُمارة، ما تصنَع بسيْف؟ أتريدُ أن تقْتل به بقيَّة الأعراب الذين قتلْتهم بمقالك؟ قلتُ: لا والله يا أمير المؤمنين ولكن لي شريك في نخيل لي

---

(١) يتتبّع مروان الأصغر نهج مروان الأكبر في تثبيت الخلافة للعباسين عن طريق الشّرع، من خلال استشهاده بآيات من القرآن الكريم، أو الحوادث التاريخية، وقد رأينا إعجاب المتوكّل خصوصاً بهذا النهج، وإغداقه المال الوفير عليه، وفي المقابل نرى المنتَصر يستهجن قوله الذي تجاوز فيه المقدار، فيبعده، ويمنع عنه النوال.

باليمامة، ربما خانتني فيه فلعلي أجرِّبه عليه، فضحك وقال: ونأمرُ لك به قاطعاً، فدفع إليَّ سيفاً من سيُوفه. (٢٥٢/٢٤)

(٣١٤)

أخبرنا الصُّوليُّ قال: حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلّبي قال: حدَّثني النُّخعيّ قال: لما قدم عُمارةُ إلى بغداد قال لي: كلِّم لي المأمون ـ وكان النُّخْعيُّ من ندماء المأمون ـ قال: فما زِلتُ أكلِّمُه حتى أوصلتُه إليه، فأنشده هذه القصيدة:

حتَّام قلبُك بالحسانِ مُوكَّل كلـفٌ بهنّ وهنّ عنه ذُهَّلُ؟

فلما فرغ قال لي: يا نخعيّ، ما أدري أكثر ما قال إلا أن أقيسه، وقد أمرت له لكلامك فيه بعشرين ألف درهم. (٢٥٣/٢٤)

(٣١٥)

قال العنزيّ: وحدَّثني أبو الأشهب الأسديّ من ولد بِشْر بن أبي خازم قال: لمَّا أنشد فروة بنُ حميصة قولَ عُمارة فيه:

ما في السُّوية أن تجرَّ عليهمُ وتكـون يوم الرَّوع أوَّل صادر

قال: والله ما قتلني إلا هذا البيت.

فلمَّا تكاثرت عليه الخيْلُ يوم قُتِل قيل له: انجُ بنفْسِك، قال: كلاَّ والله، لا حقَّقتُ قولَ عُمارة، فصبر حتى قُتِل. (٢٥٦/٢٤)

الأغراض الشعرية

تشكّل الأغراضُ الشعرية، من نسيب، ومدح، وهجاء ووصف، التقسيمَ الطبيعي للشعر العربي، أو الأركان التي قام عليها هذا الشعر، على حدٍّ قول ابن رشيق، (ينظر العمدة، ١/١٢٠)، ولذلك نرى النقد يوليها اهتماماً كبيراً، ويُعنى بتفصيلاتها الدقيقة، ويوجِّه عنايته إلى أخصِّ مسائلها، ويكاد يكون كتاب (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر - على سبيل المثال - حديثاً مطوّلاً عن هذه الأغراض، من حيث المعاني المطلوبة في كلِّ غرض من جهة، والمعاني غير المستحسنة في الغرض نفسه من جهة أخرى، مع عناية بالألفاظ التي تتلاءم مع هذا الغرض، ولا تنسجم مع آخر، مع الإشارة إلى أنَّه صدر عن فَهْم خاص للألفاظ يجعلها تبدو، وكأنَّها مستقلّة، بدون النظر إلى ظلالها، وإيحاءاتها من خلال السِّياق كلِّه، ونشير كذلك إلى قصيدتي أبي العبّاس الناشيء، اللتين حفظهما ابن رشيق في العمدة (٢/١١٣ - ١١٦)، وضمّنهما الكثير من الإشارات عن الأغراض الشعرية، ممّا نجد له صدى واسعاً، وتشابهاً كبيراً مع نصوص الأغاني حول هذه القضية.

وقد حفظ الأغاني بين دفّتيه نصوصاً كثيرة متعلّقة بالأغراض الشعرية، وهي التي سنراها بعد قليل، ولعلّ هذا يشير إلى اعتناء أبي الفرج بهذه القضية، وإيمانه بمدى أهمّيتها لدراسة تطوّر الأدب العربي، ونقده.

ومن الممكن تقسيم نصوص هذه القضية إلى قسمين كبيرين: نظري، وتطبيقي.

ويراد بالقسم النظري تلك النصوص التي تحدّثت عن غرض واحد، أو أغراض مجتمعة، من حيث خصائص الغرض، وبلوغ المثل فيه، أو التّنبيه على النُّقص الذي دخله بسبب استخدام الشاعر لمعنى معيّن، أو لفظ بذاته، ويضمّ هذا القسم كذلك، آراء المعالجين للشعر، الدارسين له من خلفاء، وقادة وشعراء، وعلماء، وغيرهم، حين يجعلون من شاعر ما أغزل الشعراء، أو أمدحهم، أو أوصفهم، أو أنعتهم للخمر .. وهكذا، وهذه الآراء في مجملها تأثرية، قصيرة، ولكنَّ بعضها لا يخلو من وقفة، وتحليل، وتعليل، وهي تشير إلى خبرة أولئك (النّقاد) بحركة الشعر حولهم، ورصدهم تميّز هذا الشاعر أو ذاك بغرض معيّن أهلّه لنيل ذلك اللقب.

ويتعلّق القسم التطبيقي بالتوقّف عند بيت أو أبيات يستحسنها مَنْ ذكرناهم سابقاً، ويحكمون على صاحبها بعد هذا بتفوّقه في الغرض الذي قيل فيه الشعر، أو يذهبون إلى فشله،

وعدم قدرته على إيفاء الغرض حقَّه، وغالباً ما يُترك الحكم بلا تعليل، ولكنّنا لا نعدم في بعض النصوص مَنْ يعلّل لرأيه، ويذكر أسباباً وجيهة للتقديم، أو للتأخير. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ نصوص هذا القسم أكثر من نصوص القسم الأول، وهو ما ينسجم عموماً مع مَيْل النقد العربي إلى الجانب التطبيقي، وقلّة الجانب النظري فيه.

ولعلّنا نستطيع - بعد الذي تقدَّم - أن نرصد السمات العامة التي انتظمت النصوصَ بقسميها، مستفيدين من التوقّف عند أهمّ الأغراض التي عالجتها هذه النصوص، مستعينين بالنقاط الآتية:

- احتفظ الشعراء بنسق القصيدة العربية المعروف، من حيث ترتيب الأغراض: النسيب، وصف الرحلة والراحلة، التخلّص إلى المديح، ونرى الكثرة من الدارسين، والمتذوّقين، تحثّ على الالتزام بهذا النمط، ويأخذ به الشعراء أيضاً، حتى أنّنا نجد بعض الشعراء حين يمدح بثلاثة أبيات، أو أربعة، وتصل أبياته إلى الممدوح يُصرُّ على إضافة أبيات في النسيب يجعلها مُفْتَتَحاً لقصيدته قبل أن تذاع، وتنشر، وهذا يذكّرنا بمذهب ابن قتيبة المشهور الذي رأى أنّ المُجيد من الشعراء مَنْ سلك هذه الأساليب، وعدَل بين الأقسام. (ينظر الشعر والشعراء ١/٧٦).

اقتصر بعض الشعراء، وخاصةً في العصر الأموي على غرض النسيب، ولم يقولوا في سواه، مثل عمر بن أبي ربيعة، وجميل، وقد تنبّه الدارسون، والمتذوّقون إلى هذا الأمر، وعدّوه فضيلة، وفتحاً جديداً في الشعر، خاصة حين بدأ عمر ينهج في الغزل نهجاً لم يكن معهوداً من قبل، وهو أن يكون الرجل مطلوباً، والمرأة طالبة، وقد نُبِّه إلى هذا الأمر، وعدُّه بعضهم من عادات العجم، ولكنّه ظلّ مُصرّاً عليه، ولذلك قُدِّم أولئك الشعراء الذين اقتصروا على غرض واحد هو النسيب، وكثيراً ما وُصِفوا بأنّهم أغزل الشعراء، أو أنسبهم.

وممّا يتعلّق بهذا الغرض، تلك التفرقة بين صدق النسيب، وكذبه، وكان المقياس فيها التجربة، والحياة، فبينما عُدَّ جميل صادقاً في نسيبه، اعتُبر كثيّر متصنّعاً للعشق، واصفاً إيّاه من الخارج فحسب، وهو مقياس يقوم على المعرفة الدقيقة بحياة الشعراء، وطرق معيشتهم، وسلوكهم.

- التفت بعض الدارسين، والعلماء إلى أنّ بعض الشعراء يبدعون في غرض ما، كالوصف مثلاً، بسبب اقترابهم الشديد ممّا يصفون، فكأنّهم ينقلون ما يرونه إلى الشعر، ولكنّهم أشاروا أيضاً إلى أنّ الشاعر ربّما يصف ما لم يره، بل يعتمد في وصفه على تراث شعري سابق،

يستفيد منه، وينهل من معينه، وتعمل موهبته بعد ذلك عملها، في تشقيق المعاني، أو توليدها، وهي إشارات مهمّة تبيّن مصدرين من مصادر الإبداع: التجربة، والثقافة.

- أصبحت الأغراض الشعرية، وخاصة المديح، والهجاء مقياساً يكاد يكون وحيداً، لتقدُّم الشاعر، أو تأخُّره، وقد رأينا هذا، بوضوح في العصر الأموي، إذ أصبح الشاعر الذي يبتعد عنهما شاعراً متأخراً، لا قيمة لشعره، حتّى ولو كان عاليَ الجودة، رفيع الفنّ، والعكس صحيح، فَمَن أخذ بهذين الغرضين، وجوّد فيهما، قُدِّم على أقرانه، ولو لم يكن له في غيرهما شيء يُذكر، ولا ريب في أنّ قيم العصر، وأعرافه أثّرت تأثيراً كبيراً في هذه النظرة من حيث إنماؤها، وتعميقها. ولابدّ لنا من أن نشير إلى أنّ كثرة الأغراض التي يقول فيها الشاعر تُعدُّ مقياساً للتقدّم أيضاً، ولكنّ المقياس السابق كان هو الراجح، والمعوَّل عليه.

- تغيّرت وجهة الهجاء، ومعانيه بتغيّر العصر، فقبل الإسلام كان الهجاء يقوم على سلْب المكارم، وإلصاق المعايب، أمّا بعد الإسلام فقد أصبح الكفر، والشرك، والنفاق من أشدّ المعايب التي تُلصق بالفرد، وسنرى أنّ كثيراً من المشركين كان يؤذيهم النمط الأول، وصار النمط الثاني بعد إسلامهم، هو المؤذي المؤلم.

- وتقودنا النقطة السابقة إلى أخرى جوهرية، وهي ضرورة وجود مادّة للهجاء، فهو لا يقوم بالشتم، والسباب، فهذا طريق يسلكه الضعفة من الشعراء، فللهجاء أسلوبه الخاص، ومسلكه الدقيق، وبدأنا نرى منذ العصر الإسلامي قوّة هذا الاتجاه، فالرسول صلّى الله عليه وسلّم يرسل حسّان بن ثابت إلى أبي بكر رضي الله عنه لكي يعلّمه المثالب والأنساب، وجرير لم يجد في كثير من الشعراء الذين تركهم شيئاً يهجوهم به. وكذلك بشّار، وغيرهم كثير، فكأنّ الشاعر لا يلتفت إلى جميع مَنْ يتعرّضون له، بل ينتقي، ويختار لكي يستطيع القول، وإلى هذا أشار الناشئ في قصيدته حين قال:

وإذا مـــا قرضتُه بهجـاءٍ عُفْتُ فيه مذاهب المر فثينا
فجعلتُ التّصريح منه دواءً وجعلتُ التعّريض داءً دفينا

فهنا مكمن الهجاء الحقيقي، اللفظ العفيف، مع التعريض المؤلم، ولا يقدر على هذا النمط سوى القلّة من الشعراء.

- وممّا ينضوي تحت غرض الهجاء، فقد رصدت النصوصُ ظاهرة لم تكن موجودة قبل العصر العباسي، وانتشرت فيه، وهي الهجاء لكسب النوال، وكنّا قد رأينا في القضية السابقة أنّ الشعراء كانوا يمدحون لكي ينالوا، بينما نراهم هنا يهجون لكي ينالوا، فقد تردّدت مقولة

بينهم مفادها إنَّ الهجاء ممسكٌ بالشاعر، آخذٌ عليه طُرقه، وهو أجدى عليه من المديح المُذِّل، المضرع، فهو يهجو شخصاً ما لكي يتُّقيه الآخرون، فيعطوه لكي يسكت، وهي ظاهرة خطيرة من حيث انتقاد الهجاء للسبب الذي يقال فيه، فبعد أن كان التنازع بين القبائل، أو الإحن الشخصية من أسباب الهجاء، لم يَعُدْ له من سببٍ هنا سوى أخذ المال، وإرهاب الآخرين ممَّن لم يصلهم الهجاء بعد، كي يعطوا الشاعر فيسكت.

- توسَّعت مجالات المديح فاتَّخذ مناحي جديدة، وأساليب لم تكن معروفة، ففي العصر الأموي كان المدح بالصفات النفسية هو المفضَّل، مع تحبيذ الابتعاد عن الصفات الجسدية، وقد نوقشت هذه القضية - فيما بعد - في كتب النقد المتخصِّصة مثل نقد الشعر لقدامة بن جعفر، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني، وكان الوصف مقتصداً، والمعاني مقبولة، ولكنَّنا نقابل في العصر العباسي لوناً جديداً من المديح، ذلك الذي يقوم على تثبيت حقّ العباسيين في الخلافة بالاعتماد على القرآن الكريم، والسنّة النبوية، وهجاء الخصوم من العلويين في الوقت نفسه، مع الإشارة إلى إفراط الشعراء في أوصافهم، وتجاوزهم الحدَّ المقبول، ممَّا دعا الخلفاء، في كثير من الأحيان - وهم الممدوحون - إلى تنبيه الشعراء إلى هذا الإفراط، وتوجيه اللوم الشديد لهم.

- نبَّهت النصوص إلى أمر داخل في غرض المديح، وهو إنَّ النوال ينبغي أن يسبق المديح، وعلى قدر هذا النوال يكون المديح، فكأنَّ المال أصبح دافعاً مهماً للمديح، وبغيره ينتفي كلِّياً، وإن قلّ تقلّ جودة المديح بدورها. ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنَّ نصوصاً أخرى قد نبَّهت إلى أمر قد يكون مغايراً للسابق، وهو إنَّ المديح يكون على أقدار الرجال، فارتفاع هذه الأقدار يؤدي إلى جودة المديح، وارتفاعه، والعكس صحيح، وهذا يتوازن مع ما سبق، ويُدخل الشاعر في نطاق الاعتدال، والابتعاد عن الغلوّ، خاصة أنَّنا سنرى بعض الشعراء وهم يواجهون ممدوحيهم بانخفاض أقدارهم أو أنسابهم، حين يعلّلون تدنّي قصيدة المديح عندهم.

- تقابلنا في هذه القضيّة آراء خاصة بأبي الفرج في بعض الشعراء، أو في مجموعة من الأبيات، وهي أكثر ممَّا وجدناه في القضية السابقة، وقد ذكرنا هناك أنَّ آراء أبي الفرج سوف تغزر، وتكثر كلّما أوغلنا في صلب القضايا النقدية حيث نراه ذا ذوق متميِّز، وبَصَر بالشعر عميق.

العصر الجاهلي

(١)

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجمِّعي قال:

قال حسّان بن ثابت للخنْساء: اهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه(١). قال: فجاءته يوماً فوجدته في مشْرقةٍ(٢) ملتفّاً في كساء له، فنخستْه برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبِرْ، فأدبر، ثم قالت: أقبِلْ، فأقبل؛ قال: والله لكأنها تعترض عبداً تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائماً؛ فقالت: والله لا أهجو هذا أبداً(٣). (٩/٣)

(٢)

قال أبو عمرو: قال حسان بن ثابت: قدمتُ على عمرو بن الحارث فاعتاصَ(٤) الوصولُ عليَّ إليه، فقلتُ للحاجب بعد مدَّة: إنْ أذنتَ لي عليه وإلا هجوتُ اليمن كلَّها ثم انقلبتُ عنكم. فأذِن لي فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ عن يمينه، وعلقمة بن عبدة وهو جالسٌ عن يساره، فقال لي: يا ابن الفُريعة، قد عرفت عيصك(٥) ونسبك في غسّان فارجعْ فإنّي باعثٌ إليك بصلة سنيَّة، ولا أحتاجُ إلى الشعر، فأنّي أخاف عليك هذين السَّبُعين: النابغة وعلقمة، أن يفضحاك، وفضيحتُك فضيحتي، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول:

رِقــاقَ النِّعــال طيِّبٌ حجزاتهم يُحيُّون بالريحانِ يوم السَّباسب(٦)

---

(١) تُرسي الخنساء مذهباً في الهجاء. لا يقوم على قَدْح الأنساب، وثَلْب المكارم وحدها، بل يُقرن بهذا كلّه التغلغل إلى الصفات الشخصية أيضاً، ولا يتحقّق هذا الأمر بغير المشاهدة.

(٢) المشرقة: موضع القعود في الشمس بالشتاء.

(٣) وُصف قيس بن الخطيم بجمال الوجه واعتدال الخلقة، فكأنّ الخنساء لم تجد مطعناً عليه، فعدلت عن هجائه.

(٤) اعتاص: صعب. (٥) العِيص: الأصل. (٦) رقاق النِّعال: كناية عن غناهم ونعومتهم، وحجزاتهم: =

مفردها حُجْزة: وهي موضع شدّ الإزار من الوسط، وهي كناية عن العفّة والشرف، والسُّباسب: هي أيام السُّعانين، وهو عيد للنصارى، وأورد صاحب اللسان هذا البيت في (١/٤٦٠)، وقال: أراد بالسُّباسب عيداً لهم.

فأبيتُ وقلت: لا بدّ منه. فقال: ذاك إلى عمّيك. فقلت لهما: بحقّ الملك إلاّ قدّمتماني عليكما. فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يا ابن الفُريعة. فأنشأت:

أسألتَ رسم الدّارِ أم لمْ تسألِ بين الحواني فالبُضَيع فحومل(١)

فقال: فلم يزل عمر بن الحارث يزْحل(٢) عن موضعه سُروراً حتى شاطر البيت وهو يقول: هذا وأبيك الشُّعرُ، لا ما تُعلّلاني به منذُ اليوم! هذه والله البتّارة التي قد بترت المدائح(٣)، أحسنت يا ابن الفريعة، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة وهي التي في كلّ دينار عشرةُ دنانير. فأعطيتُ ذلك ثم قال: لك عليَّ في كلّ سنةٍ مثلُها. (١٥/١٥٨)

(٣)

وأخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة. ويقال لعلقمة بن عبدة علْقمة الفحل، سُمّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسه(٤)، فطلّقها، فخالفه عليها، وما زالت العرب تسميه بذلك، وقال الفرزدق:

والفحلُ علقمةُ الذي كانت له حُلَلُ الملوك كلامُه يُتنحّل(٥) (٢١/٢٠٠)

(٤)

... وعتيبة بن مرداس كان لقبه ابن فُسوة .. وهُجي بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

---

(١) في الديوان «الجوابي» أراد جابية الجولان، والجولان ما بين دمشق إلى الأردن، والبُضيع: جبل بالشام أسود.

(٢) يزحل: يتنحّى ويتباعد.

(٣) ظلّتْ هذه القصيدة مدار إعجاب الدارسين والنّقاد حتى اليوم، ولعلّ هذا الحكم هو الأوّل عليها، ولكنّه ظلّ سارياً، شائعاً بين الناس، وقد أبدع حسّان فيها أيّما إبداع، ومدّ قصيدة المدح بروح جديدة من خلال أوصافه المتميّزة فيها.

(٤) يلاحظ الدّقة في التقديم، إذ فُضّل بصفة الفرس في الخبر المشهور وسيأتي.

(٥) يُتنحّل: يدّعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته.

.. وإنما قال(ذلك) لأنه كان أوصف الناس لها. وأغراهم بوصفها، ليس له كبير شعر إلا وهو مضمّن وصفها(١). (٢٢٧/٢٢)

(١) أصبح الغرض علماً على صاحبه، فتراه مولعاً بوصف الإبل، ذاكراً لها، فلم يروا سوى أن يقرنوه بها.

العصر الإسلامي

(١)

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذيّاً هجّاءً، فالتمسَ ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

أبتْ شفتاي اليومَ إلا تكلُّماً بشرٍّ فما أدْري لمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ(١) هذا البيتَ في أشْداقِه ولا يرى إنساناً، إذ اطّلع في ركيٍّ(٢) أو حوض فرأى وجهه فقال:

أرى لي وجهاً شَوَّهَ الله خَلْقَه فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ(٣) (١٦٣/٢)

(٢)

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني محمد بن الضّحاك قال: أنشد الحطيئةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال:

مهاريسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلها إذا الريحُ أبدتْ أوجُهَ الجفرات(٤)

يُزيلُ القتادَ جذبُها بأصولِه إذا أصبحت مُقْوِرَةً خرصاتِ(٥)

(١٦٦/٢)

---

(١) يدهور: يردّد.

٢) الركيّ: البئر.

(٣) الحطيئة باع طويل في الهجاء، عمّ أقواماً كثيرين، ووصل إلى قومه ونفسه، وأوجد بذلك طريقاً في ذلك الغرض قلّ المرتادون له.

(٤) المهاريس من الإبل: التي تقضم العيدان إذا قلّ الكلأ وأجدبت البلاد، كأنّها تهرسها بأفواهها أي تدقّها، ورسلها: لبنها.

(٥) المقورّة: المهازيل، والخرصة: الجائعة المقرورة.

(٣)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصْر المُهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيُّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشّعْبيّ قال: شهدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثة التّيْميّ، فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أرجّي ثرْوها ونماها وقد سار فيها خُصْيةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلت؟

قال قلت: وإنّي لأرجو ثروها ونماها وقد سار فيها ناجذُ الحقّ عامرُ

قال زيادٌ: قاتل الله الشاعر، ينقلُ لسانه كيف شاء، والله لولا أن تكون سنّة لقطعتُ لسانكَ! فقام قيْس بن فهْد الأنصاريّ فقال: أصلح الله الأمير، ما أدْري مَن الرجلُ، فإن شئتَ حدّثتُك عن عمر بما سمعتُ منه ـ قال: وكان زيادٌ يعجبه الحديثُ عن عمر رضي الله عنه ـ قال: هاتِه، قال شهدتُه وأتاه الزّبرقان بن بدر بالحُطيئة فقال: إنه هجاني؛ قال وما قال لك؟ قال لي:

دعِ المكارم لا ترحلْ لبُغيتها واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمعُ هجاءً ولكنّها معاتبةً؛ فقال الزبرقان: أو ما تبلُغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس! فقال عمر: عليٌّ بحسان؛ فجيء به فسأله؛ فقال: لم يهْجُه ولكن سلحَ عليه ـ قال ويقال: إنه سأل لبيداً(١) عن ذلك فقال: ما يسرُّني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حُمُرَ النّعم ـ فأمر به عُمر فجُعِلَ في نقير(٢) في بئر ثم ألقي عليه شيء، فقال:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ زُغْبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ(٣)
ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظْلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي من بعدِ صاحبه ألقى إليك مقاليد النُّهى البشرُ
لم يُؤْثروكَ بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانتْ بكَ الأثرُ(٤)

---

(١) كان عمر رضي الله عنه خبيراً بمسالك الشعر، ودروب الهجاء ولكنّه آثر أن يقوّي الحجة فسأل شاعراً آخر، وطلب رأيه، وإلاّ فهو متيقّن أنّه هجاء، وأوجع في هجائه.

(٢) النقير: ما نُقر من حجر أو خشب ونحوهما.

(٣) ذو مَرَخ: وادٍ بالحجاز، وزُغْب: مفردها أزغب وهو الفرخ يعلوه ريش دقيق ليّن، والحواصل: جمع حوصلة وهي في الطائر بمنزلة المعدة في الإنسان، وكنّى بزغب الحواصل عن الأطفال الصغار الضعاف.

(٤) الأثر: جمع أثرة وهي المكرمة.

فأخرجه وقال له: إيَّاك وهجاء الناس؛ قال: إذاً يموت عيالي جوعاً، هذا مكسبي ومنه معاشي؛ قال: فإياك والمُقذِعَ من القول؛ قال: وما المقذع؟ قال: أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خيْرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان(١)؛ قال: فأنت والله أهْجى منّي. ثم قال: والله لولا أن تكون سنّةٌ لقطعتُ لسانك، ولكن اذهبْ فأنت له، خُذْه يا زبرْقان؛ فألقى الزبرقانُ في عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضته غطفانُ فقالوا له: يا أبا شذْرة، إخوتُك وبنو عمِّك، هبْه لنا؛ فوهبه لهم. فقال زيادٌ لعامر بن مسْعود: قد سمعت ما رُوِي عن عمر، وإنما هي السُّنَن، فاذهب به فهو لك؛ فألقى في عُنُقه حبلاً أو عمامة، وعارضتْه بكْرُ بنُ وائل فقالوا له: أخوالُك وجيرانُك؛ فوهبه لهم. (١٨٥/٢)

(٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمرُ بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهاشميّ قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضّحّاك بن عثمان الحزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصْعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسْلم عن أبيه قال: أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ ... زغبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ ... فاغْفر عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقى إليك مقاليد النُّهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ
فامنُنْ على صبيةٍ بالرمل مسكنُهم ... بين الأباطح تغْشاهم بها القِرُرُ(٢)
أهلي فداؤُك كم بيني وبينهُم ... من عرْض داويّةٍ تعْمى بها الخبُرُ(٣)

قال فبكى حين قال: ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

---

(١) يؤكد هذا الأمر ما أشرنا إليه سابقاً من نفاذ بَصر عمر رضي الله عنه بالشعر، فالمخايرة التي ذكرها أدعى إلى إشعال نار الشرّ بين الطرفين من هجاء طرف واحد بمفرده، فكأنّ الخليفة أخذ بأواسط الأمور منعاً لانتشار الهجاء واستطارة الشرّ.

(٢) الرُّمل: قال ياقوت إنّه موضع بعينه ولم يحدّده، وأشار إلى وروده في شعر زهير وطفيل الغنوي، ينظر معجم البلدان (٦٩/٣)، والقرر: جمع قِرّة وهي البرد.

(٣) الداويّة: الفلاة الواسعة.

فقال عمرو بن العاص: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبْراء أعدل من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة ـ فقال عمر: عليَّ بالكُرْسيّ، فأتي به. فجلس عليه ثم قال: أشيروا عليَّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجْر ويَنْسبُ بالحُرَم ويمدح الناس ويذمُّهم بغير ما فيهم(١)، ما أراني إلاّ قاطعاً لسانه، ثم قال: عليَّ بالطُّسْت، فأتي بها، ثم قال: عليَّ بالمِخْصَف(٢)، عليَّ بالسكّين، لا بل عليَّ بالمُوسى، فهو أوحى(٣)؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود؛ فقال: لا أعود يا أمير المؤمنين؛ فقال له: النَّجاء. قال: فلما ولّى قال له عمر: يا حُطيئة، كأنّي بك عند فتىً من قريش، قد بسط لك نُمْرُقةً وكسر(٤) لك أخرى وقال: غنّنا يا حطيئة، فطفقتَ تغنّيه بأعراض الناس. قال ابن أسلم: فما انقضبت الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبيد الله بن عُمر قد بسط له نُمرُقةً وكسر له أخرى وقال: غنّنا يا حطيئة، فجعل يغنّيه، فقلتُ له: يا حُطيئة، أتذكُر قول عمر؟ ففزع وقال: يرحم الله ذلك المرء، أما إنه لو كان حيّاً ما فعلتُ. قال: وقلت لعُبيد الله: سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل. (١٨٨/٢)

(٥)

أخبرني حبيب بن نصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثنا وهْب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سيرين، قال أبو زيد وحدّثنا هوْذةُ بن خليفة قال حدثنا عوْف عن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسول الله(ص) ثلاثةُ رهْطٍ من قريش: عبد الله بن الزِّبعْرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه: اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هجونا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنْ أذنَ لي رسولُ الله (ص) فعلتُ؛ فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال: «ليس هُناك» أو «ليس عنده ذلك»(٥)؛ ثم قال للأنصار: «ما يمْنَع القوْمَ الذين نصروا رسول الله ـ (ص) ـ بسلاحهم أن يَنْصُرُوه بألسنتهم؟». فقال حسّان بن ثابت: أنا لها؛ وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسُرُّني به مقولٌ(٦) بين بُصْرى وصنْعاء. فقال: «كيف

---

(١) يشير هذا التفصيل في كلام عمر رضي الله عنه إلى ذلك البصر بالشعر الذي أشرنا إليه.

(٢) المخصف: مخرز الإسكافي. (٣) أوحى: أسرع.

(٤) كسر: ثنى.

(٥) لعلّ الرسول صلى الله عليه وسلّم رأى أنّ أولئك الشعراء (المحترفين) أقدر على مقارعة المشركين من عليّ كرّم الله وجهه، أو أنّه آثر أن يبعد عليّاً عن قضية الشعر ليتفرّغ للحرب وشواغلها.

(٦) المقول: اللسان.

تهجوهم وأنا منهم»؟ فقال: إنّي أسلُّك منهم كما تُسلُّ الشَّعرةُ من العجين(١). قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسّان بن ثابت، وكعْبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رواحة. فكان حسّان وكعْبٌ يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعيِّرانهم بالمثالب، وكانت عبد الله بن رواحة يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسان وكعب، وأهونُ القول عليهم قولَ ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة(٢). (١٣٧/٤)

(٦)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّةُ قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السُّهميّ قال حدّثنا أبو يونس القِشيْريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماكُ بن حرْب قال:

قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئْتُ لفريْتُ به المزاد(٣)، ائذن لي فيه. فقال: «اذْهبْ إلى أبي بكر فلْيُحدِّثْك حديثَ القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم اهْجهُم وجبريلُ معك»(٤). قال أبو زيد قال ابن وهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدّيّ عن البراء بن عازب وعن سماكِ بن حرْب ـ فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ـ قال أبو زيد: وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرةَ عن سماك بن حرْبٍ بنَحْوه، وزاد فيه: فأخرج لسانه أسود، فوضعه على طرف أرْنبته، وقال: يا

---

(١) هذا مذهب في الهجاء لا يطيقه سوى شاعر كبير مثل حسّان، يشهد عليه ما ورد في ديوانه من هجاء المشركين، وكان سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وجيهاً، وقد استطاع حسان أن يحصر هجاءه في أولئك القوم الذين ما يزالون يسكنون مكّة، وجعل الرسولَ صلى الله عليه وسلم بمنأى عن هذا كلّه.

(٢) غيّر الدِّينُ والزمنُ مفاهيم الفرض، وهي إشارة مهمة جداً فيما نحن بصدده، إذ كانت أعراض الدنيا هي المستهدفة، المآثر والأيام وغيرها، فكان القول موجعاً، وبعد استقرار قيم جديدة أصبح الكفر والإيمان مقياس الإنسان. فكان الكفر القديم وتذكرّه هو الموجع المستديم.

(٣) فريت: قطعت، والمزاد: جمع مزادة وهي التي يُحمل فيها الماء.

(٤) يبيّن إرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم لحسّان بأن يذهب إلى أبي بكر، بأنّ الهجاء يقتضي مادّة تجعله ذا وزن، وتأثير، فهو واحد من أسلحة المعركة، ولو حدث العكس. لاستحال الهجاء إلى شتم محض، وسبّ فاضح، وهو ما يربأ به الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبتعد عنه المسلمون، وبذلك يفقد هذا الفرض هدفه الذي استُخدم لأجله.

رسول الله، لو شئتَ لفريْتُ به المزاد؛ فقال: «يا حسّان وكيف وهو منّي وأنا منه»(١)؟ قال: والله لأسلّنّه منك كما يُسلُّ الشَّعر من العجين؛ قال: «يا حسّان فأت أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك». فأتى أبا بكر فأعلمه ما قاله رسولُ الله(ص)؛ فقال: كُفَّ عن فُلانة واذْكُرْ فلانةَ. فقال:

هجوْتَ محمداً فأجبْتُ عنه ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
فإنّ أبي ووالده وعِرْضي ... لعِرْضِ محمد منكم وقاءُ
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ... فشرُّكُما لخيْركمُا الفداء (١٣٨/٤)

(٧)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال: لمّا أنْشِدتْ قريشٌ شعْر حسّان قالت: إنّ هذا الشَّتْم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة. (١٣٩/٤)

(٨)

أخبرنا وكيعٌ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شبيب قالا حدثنا إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ قال حدّثني محمد بن فضالة النحويّ قال: تقدّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاّ يُشبِّب أحدٌ بامرأة إلاّ جلده(٢). فقال حُميد بن ثور:

أبى اللهُ إلاّ أنّ سرْحةَ مالكٍ ... على كلّ أفنانِ العضاهِ تروقُ(٣)
فقد ذهبتْ عرْضاً وما فوق طُولها ... من السَّرْحِ إلاّ عشّةٌ وسَحُوقُ

ـ العشّة: القليلة الأغصان والورق. والسَّحوق: الطويلة المفرطة ـ

فلا الظلُّ مِنْ بردِ الضُّحى تستطيعه ... ولا الفيْءَ من بردِ العشيِّ تذوقُ(٤)

---

(١) يريد ابن عمّه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(٢) تتشابه آراء الخليفة الثاني رضي الله عنه في بعض الأغراض الشعرية، ويكتنفها هدف واحد، فمثلما رأينا أخْذَه على يد الحطيئة، ومنعه من التعرّض للنساء بالهجاء، نراه هنا يمنع التشبيب، ويطلب من الشعراء ألا يتعرّضوا للنساء في شعرهم، وواضح أنّ الهدف هو إعلاء القيم الخلقية السامية التي دعا إليها الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع وسلامته.

(٣) السرحة: الشجرة الطويلة، ويكني الشعراء بها عن المرأة، والعضاه: جمع عضاهة، وهي أعظم الشجر، أو كلّ ذات شوك، وتروق: تزيد عليها بحسنها وبهائها.

(٤) الظلّ: ما كان من أوّل النهار إلى الزوال. والفيء: ما كان بعد الزوال إلى الليل.

فـهلْ أنا إنْ علّلتُ نفسي بسـرْحـةٍ مـن السُّـرْحِ مـوجـودٌ عليَّ طريـقُ

وهي قصيدة طويلة أولُها:

نأتْ أمُّ عمْرٍ فالفُؤادُ مشُوقُ يحـنُّ إليهـا والهـاً ويتـوقُ (٣٥٦/٤)

(٩)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يُقال له أكْدر، وكان له سلاحٌ يُلبسُه إياّه، فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة قبل أن يلبسه سلاحه، فلقيه الأسد فقتله، ويقال: أخذه فأقْلت منه، فقال عند ذلك أبو زبيد:

أحال أكْـدرُ مُخْتالاً كعـادتـه حتى إذا كان بين البئر والعطن(١)

لاقى لـدى تُلل الأطـواء داهيـةً أسْرَتْ وأكدر تحت الليل في قرن(٢)

حطُـت به شـميةٌ ورْهـاءُ تطردُهُ حتى تناهى إلى الحُولات في السُّنن(٣)

إلى مُقابل خطْـوِ السّـاعدين له فوق السُّراة كنفْرى الفالج القمِن(٤)

رئبال غابٍ فلا قحْمٌ ولا ضـرعٌ كالبغل يحتطم العلجين في شطن(٥)

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. فلامه قومُه على كثْرة وصفه للأسد، وقالوا له: قد خفنا أن تسبُنا العربُ لوصفك له. قال: لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لقيكم ما لقي أكدر لما لُمْتُموني. ثم أمسك عن وصْفه فلم يصفْه بعد ذلك في شعره حتّى مات. (١٣٢/١٢)

(١٠)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنا الحسن بن محمد البصري، قال: حدّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعي قال حدّثني أحمد بن عمار العبدي، وكان من العلم بموضع قال:

---

(١) أحال: أقبل، والعطن: مناخ الإبل حول الورد.

(٢) تُلة البئر: ما أخرج من ترابها، والأطواء: واحده الطويّ، وهي البئر المطويّة بالحجارة، وأسرت: سارت ليلاً، والقَرَن: الحبل يجمع به البعيران.

(٣) الشيمة: الخلق والعادة، ورهاء: حمقاء أو خرقاء. والحولات: جمع حُولة: وهي الداهية.

(٤) الفالج: البعير ذو السنامين، والقمن: السريع، ونفرى: من الحيوان والإنسان: العظم الشاخص خلف الأذن.

(٥) الرئبال: الأسد، القَحْم: مَنْ بلغ أكبر العمر من الناس والحيوان، وضَرِع: ضعيف نحيف، والعلجين: مفرده عِلْج: وهو الحمار. والشّطن: الحبل الطويل تُشدّ به الدّابة.

حدّثني أبي عن جدي قال: صليتُ مع عمر بن الخطاب الصبح، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل قصير أعور متنكباً قوساً، وبيده هِرواة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن نويرة فاستنشده قوله في أخيه، فأنشده:

لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزعٍ مما أصاب فأوجعا
لقد كفّن المنهال تحت ثيابه فتىً غير مبطانِ العشياتِ أروعا(١)

حتّى بلغ إلى قوله:

وكنا كندمانيْ جذيمة حقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا(٢)
فلما تفرّقنا كأنّي ومالكا لطُول اجتماع لم نبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر: هذا والله التأبين(٣)، ولوددتُ أنّي أحسنُ الشّعر فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك. فقال متمم: لو أنّ أخي ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته - وكان قُتل باليمامة شهيداً، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد - فقال عمر: ما عزّاني أحد عن أخي بمثل ما عزّاني به متمم.
(٣٠٨/١٥)

---

(١) المنهال: رجل من بني يربوع، مرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لمّا قتله خالد، فأخذ ثوباً وكفّنه فيه ودفنه، ينظر الأغاني (٣٠٧/١٥)، والعشيّات: جمع عشيّة وهي آخر النهار، أو من صلاة المغرب إلى العتَمة، ينظر لسان العرب (٦٠/١٥)، وغير مبطان العشيّات: كنّى بها عن عفّته وشرفه.

(٢) لن يتصدّعا: لن يتفرّقا.

(٣) رأينا فيما سبق استخدام عمر رضي الله عنه للفظ (الإقذاع)، وهنا يستخدم التأبين مصطلحاً للرثاء الجيّد، وهذا يشير إلى دقّة عمر رضي الله عنه في استخدام الألفاظ التي ستأخذ منحى آخر فيما بعد لتتشكّل منها المصطلحات النقدية، إذ نقرأ في طبقات ابن سلام (٢٩/١): «أخبرني يونس بن حبيب أنّ التأبين مدح المبيت والثناء عليه»، ويأتي قدامة بعد هذا فيقول: «لأنّ تأبين الميت إنّما هو بمثل ما كان يُمدح في حياته»، نقد الشعر (ص ١١١)، فكأنّ التأبين هو الرثاء، ولعلّ استخدام عمر رضي الله عنه لهذا اللفظ يُعدُّ الجذر الحقيقي للمصطلح الذي استخدمه النقاد فيما بعد.

العصر الأموي

(١)

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة: ما يمنعك من مدْحنا؟ قال: إني لا أمدحُ الرجالَ، إنما أمدح النساء(١). قال: وكان ابن جُرَيْج يقول: ما دخل على العواتق(٢) في حجالهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ مِنْ شعر عمر بن أبي ربيعة. (٧٤/١)

(٢)

قال الزُّبير: وسمعتُ عمّي مُصْعباً يُحدّث عن جدّي أنه قال مِثْلَ هذا القول. قال: وحدّثني عدّةٌ من أهل العلم أن النُّصَيْبَ قال: لعُمرُ بنُ أبي ربيعةَ أوْصفُنا لربّات الحجالِ(٣). (٧٤/١)

(٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال: سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال: هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار، ووقع هذا عليه(٤). (٧٥/١)

(٤)

قال إسحاق: وذكر عبدُ الصَّمد بن المُفضّل الرُّقاشيّ عن محمد بن فلان الزُّهْريّ ـ سقط اسمُه ـ عن إسحاق عن عبد الله بن مسْلمة بن أسْلم قال: لقيتُ جريراً فقلت له: يا أبا حزْرة، إنّ

---

(١) جعل عمر من شعره في الغزل مدحاً للنساء، فكأنّ إظهار محاسنهنّ. والتنويه بصفاتهنّ مدحٌ لهنّ.

(٢) العواتق: جمع عاتق، وهي الفتاة التي قد أدركت فخُدِّرت في بيت أهلها ولم تتزوّج؛ سُمِّيت بذلك لأنّها عتقتْ عن خدمة أبويها ولم يملكها زوجها بعد.

(٣) يقصد النصيب بـ (أوصفنا) أي أوصف شعراء زمانه، وهذا ما عُرف في شعر عمر وشاع عنه.

(٤) كأنّ الفرزدق يشير إلى ما صنعه عمر في إفراد القصيدة برأسها للنسيب، وكانت الشعراء قبله تقف على الأطلال، وتصفها، وكان هذا صنيع الشعراء المعاصرين لعمر، ومَنْ جاء بعد عمر أيضاً، وهو من تقاليد القصيدة العربية.

شعرك رُفع إلى المدينة وأنا أحبُّ أن تُسْمِعني منه شيئاً. فقال: إنَّكم يا أهلَ المدينةُ يُعْجبكم النَّسيب، وإنَّ أنْسب الناس المخزوميُّ. يعْني ابنَ أبي ربيعة(١). (٧٦/١)

(٥)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال: وجدتُ كتاباً بخطّ محمد بن الحسن ذكر فيه أنَّ فُليح بن إسماعيل حدّثه عن مُعاذٍ صاحب الهرويّ أن النَّصيب قال: عمر بن أبي ربيعة أوْصفُنا لربّاتِ الحجالِ. (١٠٦/١)

(٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمرُ بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عوانةُ بن الحكم وأبو يعْقُوبَ الثَّقفيّ: أنَّ الوليدَ بن يزيدَ بن عبد الملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة: أيُّ بيتٍ قالتْه العربُ أغْزَلُ؟ فقال بعضهم: قولُ جميل:

يموتُ الهوى منِّي إذا ما لقيتُها ويحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر: قولُ عمر بن أبي ربيعة:

كأنَّني حينَ أمْسي لا تُكلِّمُني ذو بُغْيةٍ يبْتغي ماليس موجودا

فقال الوليد: حسبُك والله لهذا! (١١٣/١)

(٧)

أخبرني ابن المرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيْثم الفراسيّ قال حدّثنا العُمريّ قال أخبرنا الهيْثم بن عديّ قال: قدم الفرزدقُ المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما سُوَيْمٌ، وللآخرُ ابنُ أسماء، وُصِفا له فقصدهما، وكان عندهما قيانٌ؛ فسلَّم عليهما وقال لهما: من أنتما؟ فقال أحدهما: أنا فرْعون، وقال الآخر: أنا هامانُ. قال: فأين منزلُكما في النار حتى أقْصِدكما؟ فقالا: نحن جيرانُ الفرزدق الشاعر! فضحك ونزل، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدَّة. ثم سألهما أن يجْمعا بينه وبين عمر بنِ أبي ربيعة ففعلا، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن أنشد عُمر قصيدته التي يقول فيها:

فلمَّا التقينا واطمأنَّتْ بنا النَّوى وغُيِّب عنَّ مَنْ نخافُ ونُشْفِقُ

---

(١) أجمعت الآراء على تقديم عمر في هذا الغرض، فقد جعله وكده، وغاية همِّه.

حتى انتهى إلى قوله:

فقُمْنَ لكي يُخْلينا فترقرقتْ مدامعُ عينيْها وظلَّتْ تدفُّقُ(١)
وقالت أما ترحمنني! لا تدعْنني لدى غزلٍ جمِّ الصَّبابة يخْرُقُ(٢)
فقلن اسْكُتي عنَّا فلستِ مُطاعةً وخلِّك منَّا ـ فاعلمي ـ بكِ أرْفَقُ

فصاح الفرزدق: أنت والله أبا الخطابُ أغزلُ الناس! لا يحسُن والله الشعراءُ أن يقولوا مثلَ هذا النَّسيب ولا أن يرْقَوا مثل هذه الرُّقْية! ووثَبَ وانصرف. (١٤٨/١)

(٨)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: قال مَسْلمةُ لنُصيب: أنت لا تُحْسن الهجاء. فقال: بلى والله، أتُراني لا أحسن أن أجعل مكان عافاك اللهُ أخْزاك الله؟!(٣) قال: فإنَّ فلاناً قد مدحته فحرمك فاهْجُه، قال: لا والله ما ينبغي أن أهْجُوه، وإنما ينبغي أن أهْجُو نفسي حينَ مدحتُه. فقال مسْلمةُ: هذا والله أشدُّ من الهجاء. (٣٤٤/١)

(٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُريد قال حدَّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال: قال لي محمدُ بنُ عبْدِ ربِّه: دخلتُ مسجد الكوفة، فرأيتُ رجلاً لم أرَ قطُّ مثله ولا أشدُّ سواداً منه، ولا أنْقى ثياباً منه، ولا أحسن زيّاً. فسألتُ عنه، فقيل: هذا نُصيب. فدنوتُ منه فحدَّثْتُه، ثم قلتُ له: أخْبرني عنك وعن أصحابك. فقال: جميلٌ إمامُنا، وعُمر بن أبي ربيعة أوْصفُنا لربَّات الحجال، وكُثيِّر أبْكانا على الدِّمن وأمدحُنا للملوك، وأمَّا أنا فقد قلتُ ما سمعت(٤). فقلتُ له: إنَّ الناس يزعمون أنك لا تُحْسنُ أن تَهْجُو فضحك ثم قال: أفتراهم يقولون: إنِّي لا أحْسن أن أمْدح؟ فقلت لا. فقال: أفما تراني أحْسن أن أجعل مكانَ عفاك اللهُ أخْزاك اللهُ؟ قال قلت بلى. قال: فإنِّي

---

(١) يخلينا: يجعلنا في خلوة. (٢) يخرق: يحمق.

(٣) لو كان الأمر متعلِّقاً بتغيير لفظ مكان لفظ لتشابه الشعر كلّه، واستطاع الشعراء أن ينتقلوا من غرض إلى آخر باستخدام ذلك التغيير المزعوم الذي أشار إليه نُصيب. ولكنَّ القضية أعمق من هذا بكثير، فهناك رسوم كلٌّ غرض وتقاليده، وما يجوز فيه، وما لا يجوز، وهو ما غاب عن نظر نصيب، فظنَّ المسألة تغييراً حسب.

(٤) تكثر هذه الأحكام في العصر الأموي، سواء تلك التي تخصّ شاعراً بغرض معيّن، مثل هذا النص، أم تلك التي تحكم على الشاعر بصورة عامّة، وهي غالباً آراء شخصية تأثرية، تعتمد جُملاً قصيرة، ولكنّها تشير إلى معرفة دقيقة بالشعراء، واتجاهات شعرهم، ولم يكن الحكم سوى ثمرة لتلك المعرفة.

رأيتُ الناسَ رجُلَيْن: إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه، وإمّا رجلٌ سألتُه فمنعني فنفسي كانتْ أحقَّ بالهجاء؛ إذ سوّلت لي أن أسأله وأن أطلُب ما لديه. (٣٥٥/١)

(١٠)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دأب عن عبد الله بن عيّاش المنتوف قال: بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله(ص) بعد ما كفَّ بصرُه وحوله ناسٌ من قريش، إذ أقبل أعرابيٌّ يخْطِر وعليه مِطْرَفٌ وجبّةٌ وعمامة خزٍّ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام، فقال: يابنَ عمّ رسول الله، أفْتني: قال: فيماذا؟ قال أتخاف عليَّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمتُه وشتمني فشتمتُه وقصَّر بي فقصَّرتُ به؟ فقال: العفو خير، ومن انتصر فلا جُناح عليه؛ فقال: يابن عمّ رسول الله(ص) أرأيت امرأ أتاني فوعدني وغرّني ومنّاني ثم أخلفني واستخف بحُرْمتي، أيسعني أن أهجوه؟ قال: لا يصلُح الهجاء، لأنه لا بدَّ بذلك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلِمْك، وتشتُم من لم يشتمْك، وتبْغي على من لم يبْغ عليك، والبغي مرْتعٌ وخيمٌ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل؛ قال: صدقت وبررْتَ؛ فلم ينْشبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سيْحان المُحاربيّ حليفُ قريش، فلما رأى الأعرابيّ أجلَّه وأعْظمه وألطف في مسئلته، وقال: قرَّب الله دارك يا أبا مُليكة، فقال ابن عباس: أجرْول؟ قال: جرول: فإذا هو الحطيئة، فقال ابن عباس: لله أنت! أيُّ مِرْدى قذافٍ(١)، وذائدٍ عن عشيرة، ومُثْنٍ بمعارفة تُؤتاها أنت يا أبا مُليكة!والله لو كنتَ عركْتَ(٢) بجنبك بعضَ ما كرهتَ من أمر الزِّبْرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلِمْك، وشتمت من لم يشتُمك؛ قال: إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم؛ قال ما أنت بأعلم من غيرك؛ قال: بلى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول:

أنا ابنُ بجْدتهم علماً وتجربةً ... فسلْ بسعدٍ تجدني أعلم الناس(٣)
سعدُ بن زيد كثيرٌ إن عددْتَهُم ... ورأسُ سعدِ بن زيد آلُ شمّاسِ
والزبرقانُ ذُنابا هم وشرُهُم ... ليس الذُّنابي أبا العباس كالراس

فقال ابن عباس: أقسمتُ عليك ألاّ تقول إلاّ خيراً، قال: أفعل. (١٩٢/٢)

---

(١) المردي في الأصل: حجر يُرمى به، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال: إنّه لمردي حروب.

(٢) عرك بجنبه ما كان من صاحبه: احتمله.

(٣) البجدة: دخلة الأمر وباطنه.

(١١)

... قالوا: يا أبا مُليكة (الحطيئة).ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيّد يُمدح به مَنْ ليس له أهلاً. (١٩٧/٢)

(١٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المدينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خلاّد عن أبي أيُّوب بن عبد العزيز قال: استأذن ابنُ ميادةَ على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مولًى قُضاعة فأدخله في صُندوق وأذنَ لابن ميادة؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق واستنشده هجاء شُقْران فجعل يُنشده، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يهدركما يهدر الفَحْلُ ويقول:

سأكْعَمُ عن قُضاعةَ كلْبَ قيسٍ ... على حجرٍ فيُنْصِتُ للكعام(١)
أسيرُ أمامَ قيْسٍ كلَّ يومٍ ... وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع:

إنّي إذا الشعراءُ لاقى بعضُهُم ... بعضاً ببلْقعةٍ يريد نضالها
وقفوا لمُرْتجزِ الهدير إذا دنتْ ... منه البكارة قطّعتْ أبوالها(٢)
فتركتُهمْ زُمراً ترمّزُ باللُّحى ... منها عنافقُ قد حلقتُ سبالها(٣)

فقال له ابن ميادة: يا أمير المؤمنين أكفُف عنّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفره، ولا فرعٌ فأقصره(٤)؛ فقال الوليد: أشهد أنّك قد جرْجرت كما قال شُقْران:

فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضَّ جرجرا (٣٠٧/٢)

---

(١) الكَعْم: شدُّ فم البعير لئلاّ يعضَّ أو يأكل، وشدّ فم الكلب لئلاّ ينبح.

(٢) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والمرتجز: ما تسمع له صوتاً متتابعاً. والبكارة: جمع بكرة وهي الفتية من الإبل.

(٣) ترمّز: تتحرك، والعنافق: جمع عنفقة وهي الشعرات التي بين النقن وطرف الشفة السفلى، والسبال: جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا.

(٤) لعلّ ابن ميّادة يشير هنا إلى أنّ الهجاء محتاج إلى مادّة يتضمّنها، وغالباً ما تكون هذه المادة أصلاً كريماً، أو مجداً معروفاً، حيث يقوم الشاعر بهدم هذا وذاك بوسائله المعروفة، أمّا الخامل، ذو البيت المتواضع فلا يمنح شاعر الهجاء مادّة لهجائه.

(١٣)

قال نُصيب: «... وأمّا أوصفُنا لربّات الحجال فكثيرٌ». (٣٩٧/٢)

(١٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يُنشد قول قيس بن الخطيم:

بين شُكول النسـاء خِلْقتُها ... قصدٌ فلا جبْلةٌ ولا قضفُ(١)
تنام عن كُبْر شـأنها فإذا ... قامت رُويداً تكاد تنقصفُ
تفترق الطرفَ وهي لاهيةٌ ... كـأنما شفّ وجهها نُزُفُ(٢)

ثم يقول: قائلُ هذا الشعر أنسبُ الناس. (٤٢/٣)

(١٥)

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضْل المَرْوزيّ قال حدّثني قعْنب بن المُحْرِز الباهليّ قال قال الأصمعيّ:

لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرُّواة فقال له: يا أبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناس بيتاً؟ قال: الذي يقول:

لم يطُـلْ ليلى ولكن لـم أنَمْ ... ونفى عنّي الكرى طيفَ ألمْ
روِّحي عنّي قليـلاً واعلمي ... أنّني يا عَـبْدَ من لحمٍ ودمْ

قال: فمنْ أمدحُ الناس؟ قال: الذي يقول:

لمستُ بكفّي كـفّـه أبتـغي الغنى ... ولـم أدر أنّ الجـود من كـفّه يُعْدي
فـلا أنا منه مـا أفـاد ذوو الغنى ... أفدتُ وأعداتي فـائتَفْتُ مـا عندي

قال: فمنْ أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رأيت السُّهيْلين استوى الجود فيهمـا ... على بُعْد ذا مـن ذاك في حُكْـم حـاكم

---

(١) الشكول: جمع الشَّكل، وهو هيئة الشيء وصورته، وقَصْد: معتدلة مستوية، والجبلة: ذات العيب في الوجه، والقَضَف: الهزيلة، النحيفة.

(٢) تفترق: تشغل الناس بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها، النزف: التجرع الذي ينزف عنه دم الإنسان: أراد أنّ وجهها مثل الدم لحمرة خدّيها.

سُـــهيل بن عـثمـان يجـــود بمالـــه كـمـا جـاد بالوَجْعـا سُهيلُ بن سـالمِ

قال: وهذه الأبيات كلُّها لبشّار. (١٥٠/٣)

(١٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحزنْبلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال: أتُشبِّب بحُرم المسلمين وتُنشدُ ذلك في مسجد رسول الله (ص) وفي الأسواق والمحافل ظاهرا! فحلف له بالطلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّمٍ قط ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ. قال: فمن ليلى هذه التي تذكُر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلاّ قوسي هذه، سمّيتُها ليلى لأذكرها في شعري، فإن الشعر لا يحسنُ إلاّ بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فَقُلْ ما شئت. (٢٩١/٣)

(١٧)

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُليلٍ العنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحيّ قال:

قدم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان ابن المولى يكْثر مدحه، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ـ قال: وابن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك المدينة قدم ابنُ المولى، لما بلغه من مسئلة عبد الملك عنه، فوردها وقد رحل عبد الملك عنها، فاتّبعه فأدركه بإضم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعاً لمروان، فالتفت عبدُ الملك إليه وابنُ المولى على نجيب مُتنكِّباً قوساً عربيّة، فقال له عبد الملك: ابنُ المولى؟ قال: لبّيك يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم ينلْه منا فعلٌ، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ إليَّ ولا ليلـى لـذي الـوُدِّ تبـذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرةً لأزوِّجنّكها، ولئن كانت أمةً لأبتاعنّها لك بما بلغتْ، فقال: كلاّ يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأذكُر حُرْمة حُرٍّ أبداً ولا أمته، والله ما ليلى إلا قوسي هذه، سميّتها ليلى لأشبِّب بها، وإنّ الشاعر لا يُستطاب إذا لم يتشبَّب؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك(١). (٣٠١/٣)

---

(١) أصبح النسيب جزءاً لا يستغني عنه الشاعر في قصيدته، ونرى ابن قتيبة في الشعر والشعرا (٧٥/١). =

(١٨)

أخبرني الحسين عن حمّاد بن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال: لما مات عمر بن عبْد الله التيميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدَّث والله رجالٌ من قريش أنَّ نسيبي بها كان لشيء من الباطل. (٣/٣٢٧)

(١٩)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن سالم بن أبي السُّمْحاء وكان صاحب حمّاد الراوية: أنَّ حمّاداً كان يقدّم الأحوص في النسيب. (٤/٢٦٢)

(٢٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمر بن شبة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ قال حدّثني الهزبريّ قال: قيل لكُثيِّر: ما أنسبُ بيتٍ قلته؟ قال: الناس يقولون:

أريد لأنْسى ذكرها فكأنما تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيل

وأنسبُ عندي منه قولي:

وقُلْ أمُّ عمْرٍو داؤه وشفاؤه لديها ورِبْاها الشِّفاءُ مِنَ الخبْل

وقد قيل: إنَّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثي. (٤/٢٦٧)

(٢١)

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البصير البرْبريّ مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال عُبيد الله بن قيس الرقيّات: استأذنتُ عبد الملك بن مروان في انشاده مديحاً له فأذن لي، فأنشدتُه القصيدة التي أقول فيها:

عاد له من كثيرة الطربُ فعينُه بالدموع تنسكِبُ
كُوفيَّةٌ نازحٌ محلَّتُها لا أمَمٌ دارُها ولا صقبُ
والله ما إن صبتْ إليَّ ولا إن كان بيني وبينها سببُ

= يعلّل لاستخدام الشاعر للنسيب في قصيدته، وذلك لأنّه «قريب من النفوس، لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم».

إلا الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحبُّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها:

إنَّ الأغرَّ الذي أبوه أبو الـ ـعاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ
يعتدل التاجُ فوق مفْرقه على جبينٍ كأنّه الذهبُ

فقال له عبد الملك: يابن قيس تمدحني بالتاج كأنّي من العجم(١) وتقول في مُصعب:

إنما مُصعبٌ شهابٌ من الله تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ
ملكُه ملك عزّةٍ ليس فيه جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

أمّا الأمان فقد سبق لك، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء(٢) أبداً! (٧٧/٥)

(٢٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبد الله البكريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه عن سعيد بن مُسْلم بن وهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال: دخلتُ مسجد رسول الله (ص) مع نوْفل بن مُساحقٍ وإنه لمُعتمدٌ (على يدي) إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردَّ سلامنا؛ ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ، أصاحبنا أم صاحبكم؟ يعني: عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة؛ فقال نوفل: حين يقولان ماذا؟ فقال: حين يقول صاحبنا:

خليليّ ما بالُ المطيّ كأنّما نراها على الأدبار بالقوم تنكُصُ
وقد أبعْد الحادي سُراهنَّ وانتحى بهنَّ فما يألُو عجُولٌ مُقلّص

---

(١) يضع عبد الملك هنا أساساً من أسس المديح، وهو المدح بالصفات النفسية لا الجسدية، وسيكون لقول عبد الملك تأثير فيمن جاء بعده، إذ نجد قدامة بن جعفر يورد قول عبد الملك ويعلّق عله بقوله: «... فوجه عتب عد الملك على الشاعر إنّما هو من أجل أنّ هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفّة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وقد كنّا قدّمنا أنّ ذلك غلط وعيب». نقد الشعر (ص١٨٥).

فالشاعر وصف مصعباً بالنور والعزّ والدل، وهي صفات نفسية، ولم يرَ في عبد الملك سوى ذلك التاج والجبين وهي من الصفات الجسدية، ولم يُرضِ هذا المديحُ عبدَ الملك لعلمه بهبوط مكانته عن مديحه لمصعب. وينظر منهاج البلغاء. لحازم (ص١٦٨). فقد ردَّ على قدامة وأورد رأيين للآمدي والغفاجي.

(٢) يعود منْع عبد الملك العطاء عن عبيد الله بن قيس الرقيات إلى خروجه مع مصعب بن الزبير، وذكره له في أشعاره، وتحريضه على الأمويين.

(وقد قُطِّعتْ أعناقُهُنَّ صبابة فأنفسنا مما تُكلِّفُ شُخَّص)
يزدنَ بنا قُرْباً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ ينقص

ويقول صاحبُكم ماشئت؛ قال: فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك، وصاحبنا أكثر أفانين شعر؛ قال: صدقت؛ فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعْقد بيده ويعُدُّه بالخمسِ كلَّها حتى وفّى مائةً. (٩٢/٥)

(٢٣)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا الرِّياشي قال حدّثني أبو عثمان اللاحقي، وأخبرني به محمد بن مزْيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن بشْر بن المفضّل بن لاحق قال: جاء رجل إلى حمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

سيعلم حمّاد إذا ما هجوتُه أأنتحل الأشعار أم أنا شاعرُ
ألم ترى حماداً تقدُّم بطنُه وأخر عنه ما تُجنّ المآزر(١)
فليس براءٍ خُصْيتيه ولو جثا لركبته، مادام للزيت عاصر
فياليته أمْسى قعيدة بيته له بعلُ صدقٍ كومه متواتر
فحماد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي النكاح وبئس المرء فيمن يفاخرِ

فقال حماد: حسبُنا، عافاك الله، هذا المقدارُ وحسبُك! قد علمنا أنك شاعر وأنك قائل الشعر الأول وأجودَ منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعه فتفضحني؛ فقال له: قد كنتَ غنيّاً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جرَرْتُ على نفسي من البلاء. (٨٥/٦)

(٢٤)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهْريّ عن إسحاق بن قبيصة الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال: سألت نُصيبا: أجميلٌ أنْسبُ أم كثيِّر؟ فقال: أنا سألت كثيِّراً عن ذلك فقال: وهل وطّأ لنا النَّسيب إلاّ جميل. (٩٧/٦)

---

(١) تُجِنُّ: تخفي.

(٢٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال روى الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش عن حمّاد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السَّحر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح؛ فقال: أنشدني في النَّسيب؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يهشّ لشيء منها، حتى أنشدته قول عمّار ذي كنانز:

اصْبِحِ القومَ قهوةً في الأباريق تُحْتذى(١)
من كُميت مُدامةٍ حبّذا تلك حبّذا

فطرب. (٦٧/٧)

(٢٦)

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمْحيّ - قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سلاّم - : غنّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امدح الكأس ومن أعملها واهْجُ قوماً قتلونا بالعطشْ

فسأل عن قائل هذا الشعر فقيل: نابغة بني شيبان؛ فأمر بإحضاره فأحضر؛ فاستنشده القصيدة إياها؛ وظنّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم؛ فقال له الوليد: لو سعِد جدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شيْبان، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ؛ ووصله وانصرف. وأوّل هذه القصيدة قوله:

خلْ قلبي من سُليمى نبلُها إذ رمتني بسهام لم تطشْ(٢)
طفْلةُ الأعطاف رُؤْدٌ دُمْيةٌ وشاها بخْتريّ لم يُحَشْ(٣)
وكأنّ الدُّرّ في أخْراصها بيْضُ كحلاء أقرّته بعُشّ(٤)
ولها عينا مَهاةٍ في مها ترْتعي نبتَ خُزامى ونتشْ(٥)

---

(١) صبحت فلاناً: ناولته صبوحاً من لبن أو خمر. (٢) خَلّ: نفذ وثقب.

(٣) الطفلة: الناعمة، والرؤد: الشابة الحسنة، والدمية: التمثال من الرخام، والشوى: الأطراف، ولم يحش: لم يعق بالإحاطة عليه كما يحوش الصائد الصيد بحبالته.

(٤) الأخراص: جمع خرص وهو القرط، والكحلاء: طائر.

(٥) المهاة: البقرة الوحشية، والخزامى: نبت طيّب الرائحة، والنتش: أوّل ما يبدو من النبات على وجه الأرض.

حُرّةُ الوجه رخيمٌ صوتُها رُطَبٌ تجْنيه كفُّ المنتقش(١)
وهي في الليل إذا ما عُونِقتْ مُنْيةُ البعل وهمُّ المُفْترش

وفيها يقول مفتخراً:

وبنو شيْبان حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْب وليست بالقمشْ(٢)
وردوا المجد وكانوا أهله فرووا والجودُ عافٍ لم ينشّ(٣)
وترى الجُرْد لدى أبياتهم أرنات بين صلْصال وجُشّ(٤)
ليس في الألوان منها هُجْنةٌ وضَحُ الهِلْقِ ولا عيبُ البرش(٥)
فَبها يحْوُون أموالَ العدا ويصيدون عليها كلَّ وحش
دميتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدينيّات والخيل النجش(٦)
نُنْهِل الخطيّ من أعدائنا ثم نفْري الهامَ إن لم نفْترشْ(٧)
فإذا العيسُ من المحل غدتْ وهي في أعينها مثلُ العمش
حُسَّرَ الأوبار مما لقيتْ من سحاب حاد عنها لم يُرشّ(٨)
خُسُفَ الأعين ترْعى جُوفةً همدتْ أوبارُها لم تنْتفش(٩)
تنْعشُ العافي ومن لاذ بنا بسجال الخير من أيْدٍ نُعُشْ
ذاك قولي وثناني وهُسُمْ أهْلُ ودِّي خالصاً في غير غشّ
فسلُوا شيْبان إن فارقتُهم يوم يمشون إلى قبري بنعش
هل غشينا مَحْرَماً في قومنا أو جزينا جازياً نُحْشا بفُحْش (١١٠/٧)

(٢٧)

قال الزبير وحدّثني محمد بن حبش المخزوميّ قال: دخل نُصيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها؛ فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

(١) انتقش: تخيّر. (٢) الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة، والقمش: زعانف الناس وأرذالهم.
(٣) العافي: الوافي، ولم ينشّ: لم ينضب.
(٤) الجرد: الخيول، وأرنات: نشيطات، والصلصال: الحمار المصوّت، وجشّ: جمع أجشّ وهو الغليظ الصوت.
(٥) الهجنة: العيب، والبرش: البرص. (٦) الرُّدينيّات: الرماح، والبخْش: المستثارة، المسرعة.
(٧) الخطيّ: الرمح، ونفري: نشقّ، والهام: جمع هامة وهي الرأس، ونفترش: نصرع.
(٨) أرشت السماء: جاءت بالمطر. (٩) خسُف الأعين: غائرتها، والجوفة: النبتة الفارغة الجوف.

إن تَفْدُ من منْقليْ نجْرانَ مرتحلا يَبِنْ مـن اليمن المعـروفُ والجودُ

ففضب نُصيْبٌ فحمى فنزع عمامته وطرحها وبرك عليها؛ ثم قال: إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل. (١٣٠/٧)

(٢٨)

قال الزبير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجمِّع التَّيْميّ قال: كان إبراهيم بن هشام جباراً وكان يقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهر، فإذا أذِن للناس أذنِ معهم لشاعر، فينُشد قصيدة مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدة مديح لإبراهيم بن هشام. فأذن لهم يوماً، وكان الشاعرُ الذي أذِن له معهم نصيْباً وعليه جُبَّةٌ وشْيٍ؛ فاستأذنه في الإنشادفأذِنَ له؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدةُ هشام أشعرُ، فأراد الناسُ ممالحة نصيْب فقالوا: ما أحسن هذا يا أبا مِحْجَن! أعِدْ هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنّه لشاعرٌ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تُمْسِ من منْقليْ نجْران مرتحلاً يَبِنْ مـن اليمـن المعـروفُ والجـودُ
مازلتَ في دفعـات الخير تفعلها لما اعترى النـاسَ لأواءٌ ومجهود

وحَمي نصيبٌ فقـال: إنّا والله مـا نصنع المديحَ إلا على قدْر الرجال، كمـا يكون الرجلُ يُمدح(١). فعمَّ الناس الضَّحِكُ وحلُم عنه، وقال الحـاجب: ارتفعـوا، فلمـا صـاروا في السَّقيفـة ضحكوا وقالوا: أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار! وحلُم من غير حلم. (١٣٠/٧)

(٢٩)

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم، وأخبرني وكيعٌ عن محمد بن إسماعيل (عن ابن سلاّم) قال حدّثنا أبو الخطّاب عن أبيه عن حجْناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ، ما هجوت قوماً قطُّ إلاّ أفسدتهم سوى التَّيْمِ. فقال: إنّي لم أجد حسباً أضعُه، ولا بناء أهدِمُه(٢).

(٣٤/٨)

---

(١) كأنَّ الشاعر لم يجد في هذا الممدوح كبير شأن، فأعطاه على قدر ما يستحقّ، وفي هذا إشارة إلى قضية اتفّاق الشعر مع الواقع. وسنرى نماذج كثيرة لها في قضية قادمة هي: الصدق والكذب في الشعر.

(٢) يؤكد هذا النصّ ما أشرنا إليه في نصّ سابق هو الثاني عشر من أنّ الهجاء محتاج إلى مادّة يلج فيها الشاعر إلى دار القوم، ولم يجد جرير شيئاً يهجو به التيّم ولذلك لم يؤثر هجاؤه فيهم.

(٣٠)

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنْبسة القُرشيّ وعوانةَ بنِ الحكم: أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مرْوان: فقال لهما بشر: إنّكما قد تقارضتما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة. فجدّدا بين يديّ فخراً ودعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحــن السّـنامُ والمناسِمُ غيرُنا فمنْ ذا يُساوي بالسّنامِ المناسما!(١)

فقال جرير: على موضع الأسْتاهِ أنتم زعمتمُ وكــلُّ ســنامٍ تابعٌ للفلاصــم(٢)

فقال الفرزدق: على محْرثٍ للفرْث أنتـم زعمتُـمُ ألا إنّ فوق الغلْصمات الجماجما

فقال جرير: وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومكم ولا هــامَ إلا تابعٌ للخراطـم(٣)

فقال الفرزدق: فنحن الزّمامُ القائدُ المقتدى بـه من الناس، ومازلنا ولسنا لهازما(٤)

فقال جرير: فنحـن بني زيد قطعنا زمـامهـا فتاهت كَسَارٍ طائش الرأس عارم(٥)

فقال بشر: غلبته يا جريرُ بقطعك الزّمام وذهابك بالناقة. وأحسن الجائزة لهما وفضّل جريراً. (٣٧/٨)

(٣١)

... فقال عبدالملك للأعرابي، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتْني عنْعنةُ تميم(٦) وأسدٍ وكشْكشةُ(٧) ربيعةَ وحُوشيُّ(٨) أهل اليمن وإن كنتُ منهم. فقال: من أيّهم أنت؟ قال: أخوالك من عُذْرة. قال: أولئك فصحاءُ الناس؛ فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلْني عمّا بدالك يا أمير المؤمنين. قال: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركب المطايا وأنْدى العـالمين بطـون راحِ

---

(١) المنسم: طرف خفّ البعير. (٢) الفلصمة: رأس الحلقوم.

(٣) الخرطوم: الأنف أو مقدّمه.

(٤) اللهازم: جمع لهزمة، واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللّحيين والخدّين.

(٥) العرم: الشدّة والقوة والشراسة. (٦) عنعنة تميم: إبدالهم العين من الهمزة فيقولون: عنْ يريدون إنْ.

(٧) الكشكشة لغة ربيعة، يجعلون الشين مكان الكاف، وذلك في المؤنث خاصة فيقولون: عليس مكان عليك.

(٨) الحوشيّ من الكلام: الغامض الغريب.

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير: إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلَّهُم غضابا

قال: فتحرّك (لها جريرٌ). ثم قال له: فأيُّ بيتٍ أهْجى؟ قال: قولُ جرير:

فغضَّ الطّرفَ إنّك من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

قال: فاستشرف لها جرير. قال: فأيّ بيت أغزل؟ قال: قول جرير:

إنَّ العيون التي في طرْفِها حورٌ قتلننا ثم لم يُحْيين قتْلانا

قال: فاهْتزَّ جريرٌ وطرب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسنُ تشبيها؟ قال: قولُ جرير:

سرى نحوهم ليلٌ كأنَّ نجومه قناديلُ فيهنَّ الذُّبال المفتَّلُ(١)

فقال جرير: جائزتي للعُذْريّ يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنْقصُ منها شيئاً. وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعها من الحُمْلان والكُسْوة. فخرج العُذْريّ وفي يده اليمنى ثمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رزْمةُ ثياب. (٤١/٨)

(٣٢)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال: قال جرير: ما عشقتُ قطُّ، ولوعشقت لنسبْتُ نسيباً تسْمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها(٢)، وإني لأرى من الرَّجزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرى، ولولا أنّي أخاف أن يستفرغني لأكثرتُ منه. (٤٣/٨)

(٣٣)

أخبرنا أبو خليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو الغرّاف قال: قال الفرزدق لذي الرُّمّة: ألهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يرْجُز بك (يعْني هشاماً المَرَّي) بمقْبرةِ بني حِصْن(٣). قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرُّمّة وهشام أن ذا الرّمّة نزل بقرية

---

(١) الذُّبالة: الفتيلة التي توضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.

(٢) لعلّ جريراً يريد بذلك النسيب الذي يتمنّى قوله أن يصبح النسيب وكده، وشاغله، وإلاّ فإنّ له نسيباً في مقدّمات قصائده، وفي أثناء القصيدة أيضاً.

(٣) أخذ معاصرو ذي الرمّة من الشعراء عليه أنّه قَصَر شعره على الوقوف على الأطلال والنسيب، وأغفل غَرضيْ المديح والهجاء وهما من أهمّ الأغراض في العصر الأموي. وقد أدّى هذا إلى تأخيره، وعدم عدّه =

من الفحول. يُراجع حول الموضوع كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٩٥) وما بعدها.

لبني امرئ القيس يقال لها: مرْأة(١)، فلم يقْرُوه ولم يعْلِفُوا له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقد طال النهارُ وأوْقدتْ ... علينا حصى المِعْزاءِ شمسٌ تنالُها(٢)
أنخْنا فظلّلْنا بأبْرادِ يُمْنةٍ ... رِقاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صِقالُها(٣)
فلمّا رأنا أهلُ مرْأة أغْلقُوا ... مخادع لم تُرْفع لخيرٍ ظلالُها(٤)
وقد سُمّيتْ باسم امرئ القيْس قرْيةٌ ... كرامٌ صواديها لئامٌ رجالُها(٥)
يظلّ الكرامُ المرملون بجوّها ... سواءٌ عليهم حمْلُها وحيالُها(٦)
ولو وُضعتْ أكوارُها عند بيْهسٍ ... على ذاتِ غسْلٍ لم تُشمّسْ رحالُها(٧)

فقال جرير لهشام، وكان يتّهم ذا الرُّمة بهجائه التيْمَ وهم إخوة عديّ: عليك العبد (يعني ذا الرُّمة). قال: فما أصنع يا أبا حزْرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرُّجزَ، والرُّجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رفدْتني! قال: قل له:

عجبتَ لرحْلٍ من عديٍّ مُشمّسٍ ... وفي أيّ يومٍ تُشمّسُ رحالُها
وفيمَ عديٌّ عند تيْم من العُلا ... وأيُّامنا اللاّتي يُعَدّ فعالُها
مددْتَ بكفٍّ من عديٍّ قصيرةٍ ... لتُدْرِكَ من زيدٍ يداً لا تنالها
وضبّةُ عمّي يابن جلْ فلا ترُمْ ... مساعي قومٍ ليس منك سجالُها(٨)
يُماشي عدياً لؤمُها ما تُجنُّه ... من الناس ما ماشتْ عدياً ظلالُها
أذا الرُّمّ قد قلّدتُ قومك رُمّةً ... بطيناً بأيدي المُطلقين انحلالُها
ترى اللُّؤم ما عاشتْ عديٌّ مُخلّداً ... سرابيلُها منه ومنه نِعالُها

قال: فلجَّ الهجاءُ بين ذي الرُّمة وهشام. فلما أنْشد المرنيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرُّمّة قال:

---

(١) مرأة: قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، وهي باليمامة، سُميت بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.

(٢) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى. (٣) الأبراد: جمع برد وهو الثوب، واليمنة: ضرب من برود اليمن.

(٤) المخادع: البيوت. (٥) الصوادي: النخل التي لا تُسقى وإنّما تشرب بعروقها، الواحدة صادية.

(٦) أرمل القوم: فني زادهم، يقول: سواء عليهم أحالت نخيلهم أم حملت، فهم لا ينالهم منها شيء.

(٧) بيهس: صاحب ذات غسل، وهو مرني، وذات غسل: قرية له، وتشمسّ رحالها: لم تعرّض للشمس، يريد أنّها لا تهمل بل تكرم بإنخالها البيوت.

(٨) جلّ: هو جلّ بن عدي، رجل من مضر رهط ذي الرمة.

كذبَ العبْدُ السُّوْءُ! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نجْديٌّ حنْظليّ، هذا كلام ابنِ الأتان(١). قال: ولم يزل ذو الرّمة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات. (٥٥/٨)

(٣٤)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العباس بن ميْمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول: قال جرير: هجوتُ بني طُهيَّة أنواعَ الهجاء، فلم يحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي:

كأنّ بني طُهيَّةَ رهطَ سلْمى حجـارةُ خارئٍ يرمي كلابا

فجزعوا حينئذ ولانُوا بي. (٧٣/٨)

(٣٥)

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال قال أبو البيْداء: لقي الفرزدق عمر بن عطيّة أخا جرير، وهو حينئذ يُهاجي ابن لجأ، فقال له: ويْلك! قل لأخيك: ثكلتْك أمُّك! أبتِ التّيميُّ منْ عَلُ كما أصنع أنا بك(٢). وكان الفرزدق قد أنفَ لجريرٍ وحمى من أن يتعلّق به التيميُّ. قال ابن سلاّم: فأنشدني له خلفٌ الأحمرُ يقوله للتّيْميّ:

ومـا أنت إن قرْمـا تميمٍ تسـاميا أخا التّيْم إلا كالوشيظة في العظْم(٣)

فلو كنتَ مـوْلى العـزّ أو في ظلاله ظُلِمْـتَ ولكـن لا يديْ لك بالظلـــم

فقال له التّيميّ:

كذبْتَ أنا القرْمُ الذي دقّ مالكاً وأفْناءَ يرْبُـوعٍ ومـا أنت بالقـرْم (٧٧/٧)

(٣٦)

قال ابن سلاّم وحدّثني الرازي عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبتِ ما هجوت قوماً قطُّ إلاّ فضحتهم إلاّ التيّم. فقال: يا بنيّ، لم أجد بناءً أهدمُه ولا شرفاً أضعه(٤). (٧٨/٨)

---

(١) ابن الأتان: لقب كان ينبز به جرير.

(٢) كأنّ الفرزدق يرشد جريراً إلى مذهب في الهجاء كان غائباً عنه، ثمّ يروح بعد هذا يستشهد بنفسه، ومنهجه في هجاء جرير.

(٣) الوشيظة: قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم.

(٤) وتتمّة الخبر: «وكانت تيم رعاءَ غنم يغدون في غنمهم ثمّ يروحون» فكأنّ جريراً لم يجد شيئاً يهجوهم به، وهو ما أشرنا إليه سابقاً.

(٣٧)

قال ابن سلاّم فحدّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرْملة قال: لمّا ورد علينا هجاءُ جرير والتَّيميّ، قال (لي) سعيد بن المُسيب تروّ شيئاً مما قالا؛ فأتيتُه وقد استقبل القبلة يريد أن يكبِّر، فقال لي: أرويْتَ؟ قلتُ نعم. فأقبل عليَّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْميّ وهو يقول: هيهِ هيهِ! ثم أنشدتُه لجرير، فقال: أكلَه أكله!. (٧٨/٨)

(٣٨)

حدّثني ابن عمّار قال حدّثني النَّوْفليّ قال حدّثني علي بن عبد الملك الكعْبيّ من ولد كعْب مولى الحجاج قال حدّثني فلانٌ العلاّمةُ التميميّ يرْويه عن جرير قال: ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمير قطُّ إلا مرّةً واحدة، فإنّي خرجت إلى الشأم فنزلت بقوم نُزُولٍ في قصْرٍ لهم في ضيْعة من ضياعهم، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيّداً حسناً، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمير. فقلت: هذا شأمٍ وأنا بدويٌّ لا يعرفُني، فجئت فاستضفتُ. فلما أذِنَ لي ودخلتُ عليه عرفني فقراني أحْسنَ القِرى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنيَّةٌ له فضمّتْها إليه وترشّفها، فإذا هي أحسنُ الناس وجهاً ولها نشْرٌ لم أشمَّ أطيب منه. فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ: تالله ما رأيتُ أحسنَ من عيْني هذه الصبيّة ولا من حورها قطّ، وعوْنَتُها: فقال لي: يا أبا حزْرة، أسوْداءُ المحاجر(١) هي؟ فذهبتُ أصفُ طيب رائحتها. فقال: أصنٌّ وبْرٍ هي؟(٢) فقلت: يرْحمُك الله! إنّ الشاعر ليقولُ، ووالله لقد ساءني ما قلته، ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت، وذهبت أعتذر. فقال: دعِ ذا عنك أبا حَزْرة، فوالله مالك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأحْسنَ والله إليَّ وزوّدني وكساني، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلف منّي إلى قومه. (٨٣/٨)

(٣٩)

قال الزُّبير وحدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرجز به مكين العُذْريّ فقال:

---

(١) يشير إلى قول جرير في القصيدة البائية التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير:

وخضراء المغابنِ من نُمير يشين سواد محجرها النقابا

(٢) يشير بقوله: (أصنّ وَبْرٍ هي) إلى قول جرير في هذه القصيدة أيضاً:

تطلى وهي سينة المعرّى بصنّ الوَبْر تحسبه ملابا

والوبر: دويبة على قدر السنّور، وصنّه بوله، وهو منتن جداً، والملاب: الطيب.

يابَكْرُ هل تعلم مَنْ علاكا خليفـةُ اللـه على ذُراكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارْجُزْ، وظنَّ الوليد أنَّه يمدحه. فنزل فقال:

أنا جـمـيلٌ في السُّنام مـن مـعـدْ في الذِّرْوةِ العليـاء والرُّكْنِ الأشـدْ
والبـيت مـن سـعْدِ بن زيد والعـددْ مـا يبْتـغي الأعـداءُ منِّي ولقـدْ
أضْـرِيَ بالشَّـتْمِ لسـاني ومـردْ أقـودُ منْ شِئْتُ وصـعْبٌ لم أقـدْ(١)

فقال له الوليد: أركب لاحملك الله!. قال: وما مدح جميل أحداً قطّ. (١٣٣/٨)

(٤٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفريّ قال حدّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال: خرج عمرُ بن أبي ربيعة يريد الشام، فلما كان بالجناب(٢) لقيه جميلٌ؛ فقال له عمرُ: أنشدني، فأنشده:

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطاب، فأنشده:

ألم تسْألِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُلَيَّاتٍ دوارس بلْقعا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفْنا وسـلّمتُ أشْـرقتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنَّعا
تبالهْنَ بالعرْفـان لمّـا عرفْنني وقلْنَ امرؤٌ باغ أكـلٌ وأوْضـعا
وقرَّبْنَ أسـباب الهـوى لمتيَّـم يقيسُ ذراعاً كلَّما قِسْنَ إصْبعا

قال: فصاح جميلٌ واستخذى وقال: ألا إن النَّسيب أُخذ من هذا، وما أنشد حرفاً. فقال له عمر: اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها. (١٤٣/٨)

(٤١)

أمَّـا القطـاةُ فإنِّي سـوف أنعتُهـا نعتاً يوافق منها بعض ما فيـها
سكّاءُ مـخطوبةٌ في ريشـها طرقٌ صُهْبٌ قوادِمُهـا كُـدْرٌ خوافـيـها(٣)

---

(١) ضرى بالشيء: لهج به، وأضراه بالشيء ألهجه به.

(٢) الجناب: موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام.

(٣) السَّكَك: صغر الأذان ولصوقها بالرأس، ويقال للقطاة سكّاء لأنه لا أذن لها. والمخطوبة: التي على لون =

لمّا تبدّى لها طـــارت وقـد علمتْ ... أنْ قـد أظل وأنَّ الحيَّ غـاشـيـهـا
تشْتَقّ في حـيث لم تُبْعِدْ مُصـعّدةً ... ولـم تُصـوِّبْ إلى أدنى مـهـاويهـا(١)
تنْتاشُ صفـراءَ مطـروقـاً بقيّتُهـا ... قد كاد يأزى عن الدُّعموصِ أزيها(٢)
ما هـاج عينك أمْ قـد كاد يُبْكيها ... من رسْمِ دار كسـحْقِ البُرْدِ باقيها(٣)
فـلا غنيـمـة تُوفي بالذي وعـدتْ ... ولا فـؤادُك حـتى الموتِ ناسـيـهـا

فـأمّا خبر هذا الشـعر، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ وأوْس بن غلْفاء الهُجَيْميّ ومُزاحماً العقيليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنّه أشعر من صاحبه. ومرّ بهم سِرْبُ قطاً: فقال أحدهم: تعالوا حتى نصفَ القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيُّنا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أوْس بن غلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أما القطاة». وقال حُميد أبياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

كما انصلتتْ كدْراءُ تسقي فراخـها ... بشـمْظة رِفْهاً والمـياهُ شُعُوبُ(٤)
غدتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونها ... إذا مـا علتْ أهـويـةٌ وصـبُوبُ(٥)
قـرينـةُ سـبْعٍ إنْ تواترن مـرّةً ... ضـربْن فـصـفّتْ أرؤس وجـنوبُ(٦)
فـجاءتْ وما جاء القطا ثم قلّصت ... بمفْحَصهـا والـواردات تَنـوبُ(٧)
وجاءت ومسْـقاها الذي وردتْ بـه ... إلى الصُّدْرِ مشدودُ العصامِ كتيبُ(٨)
تُبـادر أطفـالاً مـسـاكينَ دونهـا ... فـلاً لا تخطّـاه العـيـونُ رغـيبُ(٩)

= العنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت، وصارت فيها خطوط خضر، والطرق في الريش: أن يكون بعضه فوق بعض كأنّ الأعلى يلبس الأسفل، والصهبة: لون يضرب إلى الحمرة أو إلى الشقرة.

(١) تشتقّ: تقطع. (٢) تنتاش: تتناول بقية من الماء، والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول، ويأزى: يقلّ، والدّعموص: الصغير في الضفادع وجمعه دعاميص.

(٣) السحق: الثوب البالي.

(٤) انصلتت: أسرعت في السير، وشمظة: موضع بعكاظ، والرِفه: أقصر الورد، وهو أن ترد الإبل الماء كلّ يوم أو متى شاءت، والشّعوب: البعيدة.

(٥) الأهوية: الهاوية، والصّبوب: منحدر الوادي.

(٦) التواتر: التتابع، يقال تواترت الإبل والقطا إذا جاء بعضها في إثر بعض، ولم تجي مصطفّة.

(٧) قلّصت: انضمّت وزوت، والمفحص: مجثم القطاة، والواردات تنوب: أي الواردات للماء ترجع.

(٨) العصام: حبل تشدّ به القربة، وكتيب: محزوز. (٩) الفلا: الصحراء، والرغيب: الواسع.

وصـفْنَ لهـا مُزْناً بأرض تنُوفـةٍ فـمـا هـي إلاّ نهْلـةٌ وتـؤوبُ(١)

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ـ هكذا ذكر ابن الكلبيّ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّة ـ :

حـذّاءُ مُدْبـرةٌ سـكّاءُ مقبلـةٌ للماء في النحر منها نوْطةٌ عجبُ(٢)
تسـقى أزيغبَ تُرويه مُجـاجتـهـا وذاك من ظمْـأةٍ من ظمْئـهـا شَرَبُ(٣)
مُنْهرت الشّـدقِ لم تنْبُتْ قوادمُـه في حاجب العين من تسبيده زببُ(٤)
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له قُـدّامَ منْحـرهـا ريـشٌ ولا زغبُ
تدعو القطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ يا صِدْقَها حين تدعـوه وتنتسـبُ

وقال مُزاحم العقيليّ:

أذلك أم كُدْريّـةٌ هـاج وِرْدهـا من القـيظ يومٌ واقـدٌ وسَمُومُ
غـدتْ كنواة القسْب لا مُضْمحِلّةٌ ونـاةٌ ولا عـجْلى الفُتـور سـئـومُ(٥)
تُواشِكُ رجْـعَ المنْكبين وترتمي إلى كلْكل، للهـاديات قـدُومُ(٦)
فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها وفَيْءُ الضُّحى قد مـال فهـو ذميمُ
أباطِح وانتُّصْت على حيث تستقي بهـا شـرَكٌ للواردات مقـيمُ(٧)
سقتْها سيولُ المُدْجِنات فأصبحتْ عـلاجيم تجْـري مـرّةً وتـدومُ(٨)
فلما استقتْ من بارد الماء وانجلى عـن النفـس منهـا لوْحـةٌ وهمـومُ(٩)
دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها قـوادمُ حجـن ريشُـهنّ مـليـمُ(١٠)
بجـوزٍ كـحُقّ الهـاجـريّة زانـه بأطراف عـودِ الفـارسيّ وشُومُ(١١)

---

(١) التنوفة: الأرض القفر. النهلة: الشربة. (٢) الحذّاء: القصيرة الذَنَب، والنوطة: الحوصلة.

(٣) المجاجة: الريق، والظمء: ما بين الشربين والوردين.

(٤) مُنْهرت: واسع، والتّسبيد: أوّل ظهور ريش الفرخ، والزبب: كثرة الزغب.

(٥) القَسْب: تمر يابس يتفتّت في الفم صلب، ونواه شديد قوي، والوناة: البطيئة القيام والقعود.

(٦) الهادية: المتقدّمة، يريد أنّها توالي بين جناحيها مسرعة حتى تتقدّم غيرها من السّابقات.

(٧) يقال: انتصّت العروس إذا جلست على المنصّة لترى، هذا هو الأصل فيه، يريد أنّها وقفت على الماء.

(٨) المدجنات: السحائب الدائمة المطر، والعلاجيم: جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير، وتدوم: تسكن.

(٩) اللوحة: العطشة. (١٠) حُجْنٌ: عوج، ومليم: كثير متكاتف.

(١١) الجَوْز: المرور والسّير، الحُقّ: وعاء صغير نو غطاء يتّخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما، والهاجرية: المرأة الحضرية، يريد أنّ مرورها صغير سريع، الوشوم: الرسوم على ذلك الحُقّ الذي شبّه به مرور هذه القطاة.

لتسقىَ زُغْباً بالتنُّوفة لم يكن خلافَ مولاّها لهنَّ حميمُ(١)
ترائكَ بالأرضِ الفلاة ومن يدعْ بمنزلها الأولادَ فهو مُليمُ(٢)
إذا استقبلتْها الريحُ طمَّتْ رفيقةً وهُزَّ بمهْوىً كالكُرات جَشومُ(٣)
يُراطنُّ وقْصاءَ القفا وحْشة الشوَى بدعوى القطا لحْنَّ لهنَّ قديمُ(٤)
فبتْنَ قريراتِ العيون وقد جرى عليهن شِرْبٌ فاستقين مُنيمُ
صبيبُ سقاءٍ نيطَ قد بركتْ به مُعاودةٌ سقيَ الفِراخ رؤومُ(٥)

وقال العُجَيْر - فيما روى ابن الكلبي، وقد تُروى لغيره -:

سأغْلِبُ والسماءَ ومَنْ بناها قطاةَ مُزاحمٍ ومن انتحاها
قطاةَ مُزاحمٍ وأبي المُثنَّى على حُوزيّةٍ صلْبٍ شواها(٦)
غدتْ كالقطْرةِ السفْواء تهْوي أمامَ مُجلْجلٍ زجلٍ نفاها(٧)
تكفَّأ كالجُمانةِ لا تُبالي أبا المومـاةِ أضحتْ أم سواها(٨)
نبتْ منها العجيزةُ فاحزألَّتْ ونبَّس للتقتُّل منكباها(٩)
كأنَّ كعوبها أطرافُ نبْلٍ كساها الرَّازقيةَ مَنْ براها(١٠)

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوْس بن غلْفاء. (٢٠٨/٨)

(٤٢)

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعْنب بن مُحْرز الباهليّ قال حدّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُميد بن ثور والعُجَيْر السلّوليّ ومُزاحم العُقَيليّ وأوْس بن غلْفاء الهُجَيْميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها؛ فقالت:

---

(١) مُولاّها: ذهابها. (٢) ترائك: فراخ هذه القطاة التي تركتهم بالفلاة، والمُليم: الذي يفعل ما يُلام عليه.
(٣) طمّت: أسرعت، جثوم: قابعات، جالسات.
(٤) يُراطِنُّ: الرّطانة في الأصل: التكلّم بكلام غير مفهوم، وأراد بها هنا أصوات فراخ القطاة العجماوات، ووقصاء: قصيرة، والشوَى: الأطراف، واللحن هنا: الإشارة والصوت.
(٥) الصبيب: المصبوب، نيط: رُبط، رؤوم: رحيمة. (٦) الحُوزيّة: الناقة المنحازة عن الإبل لا تخالطها.
(٧) السفْواء: السريعة، المجلجل من السحاب: الذي فيه صوت الرعد، وغيث زجل: لصوته رعد.
(٨) المومـاة: الصحراء. (٩) احزألّت: ارتفعت، ونبس: تحرّك، والتقتّل: التثنّي والتبختر.
(١٠) الرّازقية: ثياب كتّان بيض.

ألا كلُّ ما قال الرُّواة وأنشدوا بها غير ما قال السَّلُوليُّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له. فقال حُميد بن ثَوْر يهجوها:

كأنَّك ورْهاءُ العنانيْنِ بغلةٌ رأت حُصُناً فعارضتْهنَ تشْحجُ(١) (٢٦٣/٨)

(٤٣)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مسلم عن حفْص بن عمر قال: سمعْتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفْص، فحدثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدحُ الناس لكريم وأوصفُه للخمْرِ. (٢٨٦/٨)

(٤٤)

وروى إسماعيل بن عُبيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سماك بن حرْب: أنَّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضوْءُ بن اللَّجْلاجِ؛ فقال له: مَنْ أمدحُ أهل الإسلام؟ فقال له: وما تُريد إلى ذلك؟ قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدحُ العرب. (٢٨٦/٨)

(٤٥)

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مرّار الشَّيْبانيّ: الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحُهم! فقال: لا واللّه! ولكن أهجاهم. مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول:

ونحن رفعنا عن سلُولَ رماحنا وعمْداً رغبنا عن دماء بني نَصْرِ (٢٨٧/٨)

(٤٦)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحِرْمازيّ: أنَّ رجلاً من بني شيْبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنَّا، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإنَّ لك عندي نُصْحا. فقال: هاتِه، فما كذبتَ. فقلت: إنك قد هجوت جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويسُبُّ ربيعةَ سبّاً لا تقدر على سبٍّ مُضر بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارتِه ومُهارتِه. فقال: صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادك، وَصَلَتْك رحِمٌ! فوالصَّليب والقُرْبان لأتخلّصنَّ إلى كُلَيْب خاصةً دون

(١) الورهاء: الخرقاء.

مُضر بما يَلْبسُهم خِزْيُه. ويشْملُهم عارُه(١). ثم اعلم أنَّ العالمَ بالشعر لا يُبالي وحقَّ الصليب إذا مرَّ به البيتُ المُعايَر(٢) السائر الجيِّد، أمُسْلِمٌ قاله أم نصْراني(٣). (٢٨٩/٨)

(٤٧)

وقال هارون بن الزيّات حدّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنْظلة الشَّيْبانيّ قال: قال الأخطل: فضلتُ الشعراء في المديح والهجاء والنَّسيب بمالا يلْحق بي فيه. فأمَّا النَّسيب فقولي:

ألا يا اسْلمي يا هندُ هندَ بني بدْرِ ... وإن كان حيَّاناً عدىً آخر الدَّهْرِ
من الخَفِراتِ البيضِ أمَّا وشاحُها ... فيجري وأمَّا القلْبُ منها فلا يجري(٤)
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي ... بمُطَّردِ المتْنيْن مُنْبترِ الخَصْرِ

وقولي في المديح:

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا ... أبدى النَّواجِذَ يوماً عارمٌ ذكرُ(٥)
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرهُ ... خليفةُ اللهِ يُسْتسْقَى به المطرُ

وقولي في الهجاء:

وكنتَ إذا لقيتَ عبيدَ تَيْمٍ ... وتيماً قلتَ أيُّهُم العبيدُ
لئيمُ العالمين يسُودُ تيْماً ... وسيِّدُهم وإن كرهوا مسُودُ

قال عبد الخالق: وصدق لعمْري، لقد فضلهم. (٢٩٧/٨)

(٤٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهيْر بن حرْب عن خالد بن خداش: أنَّ

---

(١) يذكرّنا كلام الأخطل بكلام حسّان بن ثابت السابق حين قال للرسول(ص): لأسلّنك من قريش مثلما تُسلُّ الشعرة من العجين، فكأنّه سيتعرّض لقريش وحدها بما لا يؤذي رسول الله (ص)، ونجد الأخطل يقتفي ذلك الأثر، ويحاول أن يخصّ بهجائه كليباً وحدها، بما لا يتعرّض فيه لمضرَ عامّة. وهو مذهب في الهجاء دقيق، لا يقدر عليه غير كبار الشعراء بسبب التحام القبائل، ووحدة الأصول.

(٢) المعاير: المتداول بين الناس.

(٣) كأنّ الأخطل هنا يحكّم مقياساً فنياً خالصاً في جودة الشعر أو رداءته، ولا يلتفت إلى مقاييس أخرى كان كثير من النقاد والدارسين يولونها اهتمامهم مثل: الديني أو الخلقي، وسنجد لهذا نظائر فيما بعد.

(٤) القلب: السوار. (٥) العارم: الشديد الشرس.

الأخطل قال لعبد الملك بن المُهلَّب: ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مدْحكم؛ فأعطني عطيَّة تبسُط بها لساني(١)؛ فوالله لأردِّينَّكم أرديةً لا يذهب صقالُها إلى يوم القيامة، فقال: أعْلَمُ والله يا أبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أخاف أن يبلُغ أمير المؤمنين أنِّي أسألُ في غُرْم وأعطي الشعراء فأهلِك ويظنُّ ذلك منِّي حيلةً. فلما قدم على إخوته لامُوه كل اللَّوْم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بعُذْري. (٢٩٨/٨)

(٤٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال: كان ممّا يُقدَّم به الأخطل أنه كان أخبثهم هجاءً في عفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ قطُّ بما تستحي العذراءُ أن تُنْشده أباها(٢). (٣٠٠/٨)

(٥٠)

قال هارون وحدّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كلثُوم قال: قال عبد الملك للفرزدق: مَنْ أشعرُ الناس في الإسلام ؟ فقال: كفاك بابن النَّصرانية(٣) إذا مدح. (٣٠٦/٨)

(٥١)

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلاّم: كان الأخطلُ مع مهارته وشعره يسقُط أحياناً: كان مدح سماكاً الأسديّ، وهو سماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام عليّ هارباً فلحقَ بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المُجيرُ سماكٌ من بني أسدٍ ... بالقاع إذ قتلت جيرانها مُضرُ
قد كنتُ أحسبه قَيْناً وأخْبرُه ... فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشُّرَرُ
إنَّ سماكاً بنى مجداً لأسرته ... حتى الممات وفِعلُ الخير يُبتدرُ

---

(١) يشير كلام الأخطل إلى أنّ قصيدة المديح لا تأتي إلاّ بعد العطاء، ولعلّ هذا يشبه ما رأيناه عند نصيب الذي ذهب إلى أنّه يمدح الرجال على أقدارهم.

(٢) وهذا يدلّ على أنّ الهجاء الذي يقوم على بذيء الكلام وحده، لا يستخدمه سوى ضعاف الشعراء، أمّا كبارهم مثل الأخطل، فلّه متّسع في القول، ينأى به عن الفحش، مع إصابته الغرض في هجائه.

(٣) ابن النّصرانية هو الأخطل.

فقال سماك: يا أخطلُ، أردتَ مدْحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحقَّقتَه. فلما هجا سُويداً قال له سُويدٌ: والله يا أبا مالك، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردتَ مدْح الأسديّ فهجوته - يعني قوله:

قد كنتُ أحسبه قيناً وأنبؤُه ... فاليوم طُيِّر عن أثوابه الشُّررُ

إنَّ سماكاً بنى مجداً لأسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

- وأردتَ هجائي فمدحتني، جعلتَ وائلاً حمُلتْني أمورها، وما طمِعتُ في بني تغْلب فضلاً عن بكر(١). (٣١٢/٨)

(٥٢)

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيد ولا نعت الملوك مثلُ كثيِّر. (٥/٩)

(٥٣)

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال: قال الشعبيُّ: الأعشى أغزلُ الناس في بيت، وأخنث الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله:

غرّاءُ فرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمْشي الهُوينى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ(٢)

وأمّا أخنثُ بيت فقوله:

قالت هُريرةُ لمّا جئتُ زائرها ... ويْلي عليك وويْلي منك يا رجل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله:

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتنا ... أوْ تنزلون فإنا معْشرٌ نُزُلُ (١١٢/٩)

---

(١) لعلّ هذا هو التفاوت الذي أشار إليه بعض النقاد العرب القدامى، وهو الاختلاف في شعر الشاعر نفسه، جودة أو رداءة، فقد رأينا فيما مضى أن الأخطل كان متقدّماً في المديح بشهادة جمهرة من الشعراء والنّقاد، وهو ما عُرف عنه، ولكنّه في هذا النصّ يبدو مجانباً لطريقته في المديح، ويأتي هاجياً من حيث أراد المدح والعكس صحيح.

(٢) الفرّاء: البيضاء. والفرعاء: الطويلة. والعوارض: الثنايا، سُمِّيت عوارض لأنّها في عُرض الفم. ينظر لسان العرب (١٨٠/٧). والوجي: وصف من الوجى وهو أن يجد ألماً في رجليه عند المشي، والوَحِل: الماشي في الوحل، وهي كناية عن التثنّي والتبختر.

(٥٤)

وهو (الشماخ) أوصفُ الناس للحمير، أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشّماخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمّاراً. (١٦١/٩)

(٥٥)

وذكر القحْذميّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنيْ عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يردّني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبْتذَلٌ منّا. فاجتمعوا ليومٍ وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبْنَى. فلمّا رآهم أعْظم مصيرهم إليه وأكْبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال: هي مقضيّةٌ كائنةً ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنةً ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم ولي لُبْنى زوجتك وتطلّقها. قال: فإني أشْهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها. وقال ابن عائشة: فعوّضه الحسنُ من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتُها. فسأل القوم أباها فزوّجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمنُ أفضلَ ما يُجازى ... على الإحسان خيراً من صديق
فقد جرّبتُ إخواني جميعاً ... فما ألفيْتُ كابنِ أبي عتيق
سعى في جمع شمْلي بعد صدْعٍ ... ورأيٍ حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصّتْني حرارتُها بريقي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمْسِكْ عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلاّ ظنّني قوّادا. (٢١٩/٩)

(٥٦)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أحمد بن يحيى ثعْلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبتِ، مَنْ أنْسبُ الشعراء؟ قال له: أتعْني ما قلتُ؟ قال: إنّي لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابنُ الرُّقاع في قوله:

لولا الحياء وأنَّ رأسي قد عسا فيه المشيب لزُرْتُ أمَّ القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً. (٣١٣/٩)

(٥٧)

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دُريد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدة، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرّقة جماعةٌ من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خلفَ بن المرْزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيْبانيّ وقد بيّنتُ رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عُبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمَّة حيث يقول:

تقول ألا تبْكي أخاكَ! وقد أرى مكانَ البكا لكن بُنيتُ على الصبرِ
لمقتل عبد الله والهالك الذي على الشرُّف الأعلى قتيل أبي بكر
وعبدٍ يغُوث أو خليليَ خالدٍ وعزٌّ مُصاباً حثُّ قبرٍ على قبر
أبى القتل إلاَّ آلَ صِمَّة إنهم أبَوْا غيره والقدْرُ يجْري إلى القدْر
فإمَّا ترينا ما تزال دماؤنا لدى واتر يشفى بها آخر الدهر
فإنَّا للحْمُ السيفِ غير نكيرةٍ ونلْحمُه حيناً وليس بذي نُكْر(١)
يُغار علينا واترين فيُشْتفى بنا إن أصبْنا، أو نُغيْر على وِتْر
بذاك قسمْنا الدَّهر شطْرينِ قسمةً فما ينْقضي إلا ونحن على شطْر

وأخبرني ابن عمّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن القاسم الأسديّ عن صاعدٍ مولى الكُميْت بن زيد يقول: أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمَّة، وذكر هذه الأبيات. (٤/١٠)

(٥٨)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ إجازةً عن محمد بن سلاَّم وذكر ذلك الأصمعيّ أيضاً قالا قال أبو عمر بن العلاء: كان أبو النَّجم أبلغ في النَّعْت من العجّاج. (١٥٠/١٠)

---

(١) لحمه: أطعمه اللَّحم.

(٥٩)

قال جرير: ... الأخطل... يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر. (٢٩٠/١٠)

(٦٠)

وقال أبو زيد عمر بن شبُّة: ومما سبقَ فيه زُهير في مدْح هرمٍ ولم يسْبِقْه إليه أحد قولُه:

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هرمٍ ... والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يلْقَ يوماً على علاَّته هرماً ... يلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
يطلب شأوَ امْرأين قدَّما حسباً ... بذَّا الملوكَ وبذَّا هذه السُّوقا(١)
هو الجوادُ فإن يلْحقْ بشأوهما ... على تكاليفه فمثْلُه لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهلٍ ... فمثْلُ ما قدَّما من صالحٍ سبقا(٢)

(٣٠٥/١٠)

(٦١)

أخبرني الجوهريّ والمهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبُّة قال قال المدائنيّ: قال عبد الملك بن مروان: ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مدحَ به زُهيرٌ آلَ أبي حارثة من قوله:

على مُكْثريهم رِزْقُ مَنْ يعْتريهمُ ... وعند المقلِّين السَّماحةُ والبذْلُ(٣)

ألاَّ يملك أمورَ الناس (يعني الخلافة). قال ثم قال: ما ترك منهم زُهيْرٌ غنيّاً ولا فقيراً إلاَّ وصفه ومدحه. (٣٠٦/١٠)

(٦٢)

أخبرني الحسن بن علي عن العنزي عن (محمد بن) معاوية قال: غنَّت جارية عند عبد الملك بن مروان بشعر الأقيشر:

قرَّب الله بالسلام وحيَّا ... زكريا بن طلحة الفيَّاض

---

(١) أراد بالمرأين: أباه وجده. يقول: تساوى أبواه بالملوك وسبقا أوساط الناس وهو يطلب سبقهما، وذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل.

(٢) المهل: التقدّم، يقول: إنَّ الممدوح معذور إذا سبقه أبواه وأخذا عليه المهلة في الشرف؛ لأنَّ مثل فعلهما وما قدَّماه من صالح سعيهما سبق مَنْ جاراهما.

(٣) يعتريهم: يقصدهم ويطلب ما عندهم.

معدن الضيف إن أناخوا إليه بعد أينَ الطلائح الانقاضِ(١)
ساهمات العيون خوص رذايا قد بداها الكلال بعد أياضِ(٢)
زاده خالد ابن عمّ أبيه منْصباً كان في العلاذا انتقاضِ
فرعُ تيم من تيم مُرَّة حقاً قد قضى ذاك لابن طلحة قاضِ

فقال عبد الملك للجارية: ويْحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر قال: هذا المدح لا على طمع ولا فرق(٣). (٢٥٥/١١)

(٦٣)

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسّان دماذ عن أبي عُبيدة قال: مرَّ الأقيشر بخمّارة بالحيرة يقال لها نَوْمةُ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جوِّدي لي الشَّراب حتى أجيد لك المدْح ففعلتْ. فأنشأ يقول:

ألا يا نوْمَ دامَ لك النَّعيمُ وأسْمُرُ ملْؤُهُ كفَّك مستقيمُ
شديدُ الأسر ينْبِضُ حالباه يحُمُّ كأنَّه رجلٌ سقيمُ
يُرَوِّيه الشرابُ فيزْدهيه ويَنْفُخُ فيه شيطانٌ رجيمُ

قال: فسُرَّتْ به الخمّارةُ وقالت: ما قيل فيَّ أحسنُ من هذا ولا أسرُّ لي منه. (٢٧١/١١)

(٦٤)

...قال ذو الرَّمة:

وكائنْ تخطَّت ناقتي من مفازة إليكَ ومن أحواضِ ماءٍ مُسدَّمِ(٤)

---

(١) معدن: اسم من عدن بالمكان إذا أقام به، والأين: التَّعب، والطلائح: جمع طليح وطليحة، وهو الذي أعياه السيْر، والانقاض: جمع نقِض وهو المهزول من السُّير. ويريد بها النوق.

(٢) ساهمات العيون: متغيِّراتها، وخوص: غائرات للعيون، الواحد أخوص وخوصاء، ورذايا: مهزولات، والواحد رذيٌ ورذيَّة. وأياض: هكذا ضُبطت في الأغاني، وعُلِّق عليها: «كذا في أكثر الأصول، وفي جـ هكذا: أباض بالباء الموحّدة، ولم نهتدِ إلى ما نطمئن إليه في هذه الكلمة». وأعتقد أنَّ الكلمة هي «إباض» بالباء، ومعنى الإباض: عقال ينشب في رسغ البعير لئلا يحرد، ولا يحرد البعير إلاّ إذا كان قوياً نشيطاً، وأراد الشاعر أنَّ هذه النوق قد أصابها الكلال والتعب بعد أن كانت قوِيّة نشيطة بدلالة الإباض. وينظر لسان العرب (١١٠/٧).

(٣) الفَرَق: الخوف. (٤) الماء المسدَّم: المتغيِّر لطول العهد.

بأعقاره القردان هَـزْلى كـأنّها نوادر صيصاء الهبيد المحطَّم(١)

.. قال: وهذه قصيدة مدح بها ذو الرُّمة عبد الملك. فلم يمدحه فيها ولا ذكره إلاّ بهذين البيتين، وسائرها في ناقته. فلمّا قدم على عبد الملك بها أنشده إيّاها. فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلاّ ناقتك فخذ منها الثواب. وكان ذو الرُّمة غير محظوظ في المديح.. (١٢/٣٩)

(٦٥)

وحدّثني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليُّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله:

بكر العواذل يبتدرْن ملامتي والعـاذلون فكلُّهم يلْحـاني(٢)
في أن سبقتُ بشربة مقديّةٍ صرفٍ مُشعْشعةٍ بماءِ شُنانِ(٣)

فقال له عبد الملك: شُبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول:

وإني لسهلُ الوجه يُعرف مجلسي إذا أحـزن القانورةُ المتعبِّسُ(٤)
يضيءُ سنا جودي لمن يبتغي القِرى وليلُ بخيـل القـوم ظلماءُ حندس
ألينُ لذي القُربى مـراراً وتلتـوي بأعناق أعـدائي حـبـالُ تمرُّسُ(٥)

قال: وكان عبد الملك يتمثّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجب به:

دعانيَ حصنٌ للفرارِ فسـاءني مواطِنُ أن يُثنى عليَّ فأُشْتَما
فقلت لحصنٍ نحِّ نفسـك إنمـا ينُود الفتى عن حوضه أن يُهدَّما
تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجد لنفسـي حياةً مثلَ أن أتقدَّمـا
سيكفيك أطراف الأسنّة فارسٌ إذا ريعَ نادى بالجوادِ وبالحمى
إذا المرءُ لم يفْشَ المكارهَ أوشكتْ حبالُ الهُوَيْنى بالفتى أن تجذَّما(٦) (١٢/٢٨٠)

---

(١) الأعقار: جمع عقر، وعقر الحوض مؤخّره حيث تقف الإبل إذا وردت. القِردان: مفردها قُرادة. وهي دُوَيبّة متطفّلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدَّواب والطيور، والهبيد: حَبّ الحنظل، والصيصاء: الضاوي الهزيل منه، يقول: القردان ليس لديها شيء تأكله فهي هزلى، فشبّهها بما يشذّ ويخرج من ضاوي حَبّ الحنظل.

(٢) يلحاني: يلومني.

(٣) خمر مَقْديّة: نسبة إلى مَقَد وهي قرية بالأردن، وصرف: خالصة، ومشعشعة: ممزوجة، والشنان: الماء البارد.

(٤) أحزن: صار في الحَزْن، وهو ضدّ السهل، والمراد هنا تشدُّد، والقانورة: السيّء الخلق.

(٥) تمرُّس: هي تتمرُّس، أي يشتدّ التواؤها. (٦) تجذّ ما: هي تتجذّم أي تقطع.

(٦٦)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلَبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحزامي قال: دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحكم الثقفيّ، فولاّه كورة فارس، ودفع إليه عهده بها، فلما دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج: أنشدني بعض شعرك، وإنّما إراد أن يُنشده مديحاً له، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول:

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً ... بيضاءَ تخفُقُ كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضباً، فخرج يزيدُ من غير أن يودّعه، فقال الحجّاج لحاجبه: ارتجع منه العهد، فإذا ردّه فقل له: أيُّهما خيرٌ لك: ما ورّثك أبوك أم هذا؟ فردّ على الحاجب العهد وقال: قل له:

ورثتُ جدّيَ مجده وفعاله ... وورثتَ جدُّك أعْنُزاً بالطائف

وخرج عنه مغضباً، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها:

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معْمُودا ... إذا أقول صحا يعْتادُه عيدا

يقول فيها:

سُمّيتَ باسم امرئ أشبهْتَ شيمتَه ... عدلا وفضلا سليمانَ بنَ داودا

أحْمدْ به في الورى الماضين من ملكٍ ... وأنت أصبحتَ في الباقين محمودا

لا يبْرأ الناس من أن يحمدوا ملكا ... أولاهُمُ في الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان: وكمْ كان أجرى لك لعمالة فارس؟ قال: عشرين ألفا. قال: فهي لك عليّ ما دمتَ حياً. (٢٨٧/١٢)

(٦٧)

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني هارونُ بنُ مُسلم قال حدّثني عثمانُ بنُ حفص قال حدّثني عبد الواحد عريفُ ثقيفٍ بالبصرة: أن العباس بن يزيد بن الحكم الثقفيّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة، قال: فجلست في مسجدها وغشيني قومٌ من أهلها، قال: فوالله إني لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجّح في مشيته، فلما رآني أقبل إليّ، فقال القومُ: هذا جريرٌ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي، ثم قال لي: السّلامُ عليك، ممّنْ أنت؟ قلت: (رجل من ثقيف. قال: أعْرَضتَ الأديم(١)، ثمّ ممن؟ قلت:) رجل من بني مالك، فقال: لا إله إلا

(١) أعرض الشيء وعرّضه: جعله عريضاً أي وسّعه.

الله! أمثلُك يعرفُ بأهل بيته! فقلت: أنا رجل من ولد أبي العاصي، قال: ابن بشْر؟ قلت: نعم. قال: أيُّهُمْ أبوك؟ قلت: يزيد بن الحكم. قال: فمن الذي يقول:

فَني الشَّبابُ وكلُّ شيء فانِ ... وعلا لداتي شيبُهم وعلاني

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

ألا لا مرحبا بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طرد الشبابا
شبابٌ بان محمودا وشيبٌ ... ذميمٌ لم نجدِ لهما اصطحابا
فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتك لحيُتك الخضابا

قلت: أبي، قال: فمن الذي يقول:

تعالَوْا فعُدّوا يعلم الناسُ أيُّنا ... لصاحبه في أوّل الدهر تابعُ
تزيدُ يربوعٌ بكم في عدادها ... كما زيد في عرْض الأديم الأكارع(١)

قال: قلت: غفر الله لك، كان أبي أصْوَنَ لنفسه وعرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمك، فقال: رحم اللهُ أباك، فقد مضى لسبيله، ثم انصرف، فنزّلني بكبشين، فقال لي أهل اليمامة: ما نزّل أحد قبلك قط. (٢٩١/١٢)

(٦٨)

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثنا علي بنُ الصبّاح عن هشام بنِ محمدٍ قال: وفد العجيرُ السلّوليُّ - وسلولُ بنو مرّة بنِ صعصعةَ - على عبد الملك بن مروان، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه لشغلٍ عرضَ لعبد الملك، ثم وصل إليه فلما مثل بين يديه أنشد:

ألا تلك أمُّ الهبْرزيّ تبيَّنَتْ ... عظامي ومنها ناحلٌ وكسيرُ(٢)
وقالتْ تضاءلت الغداةَ ومَنْ يكُنْ ... فتىً قبلَ عامِ الماءِ فهو كبيرُ(٣)
فقلتُ لها إنَّ العُجيرَ تقلَّبتْ ... به أبطنٌ أبلَيْنَه وظهورُ
فمنهُنّ إدلاجي على كُلِّ كوكبٍ ... له من عُمانيٍّ النجومِ نظيرُ(٤)
وقرْعى بكفّي باب ملْك كأنّما ... به القومُ يرجون الأذينَ نُسُورُ(٥)

---

(١) الأكارع: جمع كراع، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس، وهو مُسْتَدُق الساق.

(٢) أمّ الهبرزيّ: الحمّى. (٣) عام الماء: إذا كان عام خصيب مشهور بالكلا والكمأة والجراد سُمّي عام الماء.

(٤) عماني: منسوب إلى عمان. (٥) الأذين: الحاجب الذي يبلغ إذن الملك للمثول بين يديه، وهو الآذن.

ويومٍ تبارى السُنُّ القوم فيهم ... وللموت أرحاءً بهنّ تدورُ
لو ان الجبال الصُمَّ يسْمعن وقْعها ... لعُدْن وقد بانت بهنّ فُطورُ
فرحتُ جواداً والجوادُ مثابرٌ ... على جرْيه ذو علة ويسيرُ

فقال له: يا عجيرُ ما مدحتَ إلاّ نفسك، ولكنّا نُعْطيك لطول مُقامك. وأمر له بمائةٍ من الإبل يُعطاها من صدقات بني عامر. فكتب له بها. (٦٧/١٣)

(٦٩)

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بن عمار قال: حدّثني أبوعمر بُنْدار الكرجيّ قال: حدّثنا أبو غسّان التميمي عن أبي عبيدة قال: كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء: تشبّهوني مرّةً بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلب وولده:(١)

براك اللـه حينَ براكَ بحْراً ... وفجّر منْكَ أنهاراً غزارا
بنوك السابقون إلى المعالي ... إذا ما أعظمَ الناسُ الخطارا(٢)
كأنّهُمُ نجومٌ حولَ بدْر ... درايٌ تكمّل فاسْتدارا(٣)
ملوك ينزلون بكلّ ثغْرٍ ... إذا ما الهامُ يومَ الرَّوْع طارا
رِزانٌ في الأمور ترى عليهم ... من الشّيخ الشمائل والنجارا(٤)
نجومٌ يُهتدى بهمُ إذا ما ... أخو الظّلْماء في الغمراتِ حارا (٢٨٦/١٤)

(٧٠)

أخبرني عمي قال: حدّثني محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثني العُمريّ عن العُتْبيّ قال: قال عبد الملك بنُ مروان: يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأسد الأبخر، والجبل الوعْر، والمِلْح

---

(١) كأنّ عبد الملك يؤكّد هنا ما ذكرناه في نصٍّ سابق من تفضيله المدح بالصفات النفسية، وترك المدح بالصفات الجسدية، فهو لا يستحسن التشبيه بالأسد، والبازي والصقر، بل يفضّل أبيات الأشقريّ التي اهتمّ فيها بصفات الكرم والشجاعة، والحكمة، وفي كتاب المصون، للعسكري (ص٦٢)، نرى عبد الملك يفصّل اعتراضه على الشعراء فيقول: «تشبّهوننا بالأسد والأسد أبخر، وبالبحر والبحر أجاج، وبالجبل والجبل أوعر». وينظر ديوان المعاني، للعسكري (٢٦/١).

(٢) الخطار: المراهنة.

(٣) درايّ: مضيئة. وتقدير البيت: كأنّهم نجوم درايّ: حول بدر تكمّل فاستدار.

(٤) رزان: جمع رزين، والشمائل: جمع شمال وهو الطبع، والنّجار: الأصل والحسب.

الأجاج؟(١) ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولده:

لقد خاب أقوامٌ سروْا ظُلَمَ الدُّجى ... يؤمّون عمراً ذا الشعيرِ وذا البُرِّ
يؤمّونَ من نال الغِنى بعد شيْبِهِ ... وقاسى وليداً ما يقاسي ذوو الفَقْرِ
فقل للجُبَيْمِ يا لبكر بن وائل ... مقالةَ من يلحى أخاه ومن يُزْري(٢)
فلو كنتُم حيّاً صميما نفيْتُمُ ... بخليكُمُ بالرُّغم منه وبالصُّغْر(٣)
ولكنّكم يا آل بكر بن وائل ... يسودُكُم من كان في المال ذا وفْر
هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضيْفَه ... خميصُ الحشا يرعى النجوم التي تسري(٤)

(٢٩٧/١٤)

(٧١)

أخبرني عيسى بن الحسين بن الوراق قال: حدّثنا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله: أيُّ بيتٍ ضربته العربُ (على عصابة)(٥) ووصفتْه أشرفُ حواء، وأهْلاً وبناء؟ فقالوا فأكثروا، وتكلّم من حضرَ فأطالوا، فقال عبد الملك: أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفيلٍ الذي يقول فيه:

وبيتٍ تهبُّ الرّيحُ في حجراته ... بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يحجّب
سماوتُه أسمالُ بُردٍ محبّرٍ ... وصهوتُه من أتحميٍّ معصّب(٦)
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها ... صُدورُ القنا من بادئٍ ومعقّب(٧)
نصبتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهم ... عروقَ الأعادي من غريرٍ وأشْيَبِ(٨)

(٣٥٣/١٥)

---

(١) هذا هو التفضيل الذي أوردناه في التعليق على النص السابق، وهو يبين عدم ارتياح عبد الملك لهذه التشبيهات.

(٢) يلحى: يلوم، وزرى عليه: عابه. (٣) الصُّغر: الذل.

(٤) خميص الحشا: ضامر البطن. (٥) العصابة: الجماعة.

(٦) سماوته: سقفه، الأسمال: الثياب البالية، والمحبّر: المخطّط، والأتحمي: ضرب من البرود، والمعصّب: المخطّط أيضاً.

(٧) الأرسان: جمع رَسَن، وهو ما كان من الأزمّة على الأنف، والجرد: الخيول، والبادئ: الذي غزا أوّل غزوة، والمعقّب: الذي غزا غزوة بعد غزوة.

(٨) تدُرّ: تجرح فتُخرج الدم، والغرير: الشاب الذي لا تجربة له.

(٧٢)

أخبرني الجوهريّ والمُهلَّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: حدّثنا هوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، في حديث طويل قال: كان يهجوهم يعني قريشاً، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وكان حسّان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يُعيّرُهمْ بالكفر، وينسبُهم إليه، ويعلم أن ليس فيهم شيء شرٌّ من الكفر، فكانوا في ذلك الزمان أشدُّ شيء عليهم قولُ حسان وكعب، وأهون شيء عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولُ ابن رواحة(١). (٢٣٠/١٦)

(٧٣)

أخبرني عمي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدّثنا المدائنيّ عن عبد الأعلى القرشيّ قال: قال معاوية يوماً لجلسائه: أخبروني بأشجع بيتَ وصفَ به رجل قومه. فقال له روْح بن زنباع: قول كعب بن مالك:

نَصِل السيوف إذا قصُرْنَ بخطونا قِدْمـا ونُلحقُهـا إذا لـم تلْحـقِ

فقال له معاوية: صدقت. (٢٣٤/١٦)

(٧٤)

وقال قعنب بن المحرز: حدّثني المدائنيّ قال: قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الدِّيل: أنشدني مديحك مُصْعبا. فاستعفاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي، وقد علمتَ أن هواي أمويّ. قال: صدقت، ولكن أنشدني ما قلته. فأنشده:

يرحمُ الله مصعباً فلقد ما تَ كريماً ورامَ أمراً جسيما

فقال عبد الملك: أجلْ، لقد مات كريماً. ثم تمثل:

ولكـنه رام التي لا يرومُهـا من الناس إلا كلُّ خِرْق مُعمَّم(٢) (٣٠٣/١٦)

---

(١) أثّر الإسلام تأثيراً كبيراً في معاني الهجاء، وطُرقه، وقد رأينا هذا واضحاً في هذا النصّ، فلم تَعُدْ الأيام والوقائع والمآثر تلقى كبير شأن لدى المسلمين، إنّما هو الدين والخروج عليه كان المُوجِعَ والمؤذي، وقد أشرنا إلى شيء شبيه بهذا في سياق القضية السابقة.

(٢) الخرق: السيّد الكريم، والمعمّم: إذا سُوِّد الرجل قيل له معمّم أي لبس العمامة لأنّ تيجان العرب العمائم. ينظر لسان العرب (٤٢٥/١٢).

(٧٦)

فقال: وودَّع الكميت هشاماً، وأنشده قوله فيه: ذكر القلبُ إلْفه المذكورا

قال محمد بن كُناسة: وكان الكميتُ يقول: سبقتُ الناسَ في هذه القصيدة من أهل الجاهلية والإسلام إلى معنى ما سُبقتُ إليه في صفة الفرس حين أقول:

يبْحثُ التُّرْبَ عن كواسر في المشْـ ـربِ لا يُجْشِمُ السُّقاةَ الصُّفيرا(١)

هذه رواية ابن عمار. وقد روي فيه غيْر هذا. (٨/١٧)

(٧٦)

أخبرني محمد بن العباس، قال: أخبرني عمِّي عن عُبيد الله بن محمد بن حبيب، عن ابن كناسة، قال: مات وِرْدٌ أخو الكميت، فقيل للكميت: ألا ترثي أخاك؟ فقال: مرثيته ومرْزيته عندي سواء، وإني لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه. (٣١/١٧)

(٧٧)

أخبرني عمي وابن عمار، قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل، قال: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحيّ، عن محمد بن سلمة بن أرتبيل: أنَّ سبب هجاء الكميت أهْلَ اليمن، أنَّ شاعراً من أهل الشام يقال له، حكيم بن عيّاش الكلبيّ كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وبني هاشم جميعاً، وكان منقطعاً إلى بني أمية، فانتصبَ له الكميت فهجاه وسبَّه، فأجابه ولجَّ الهجاء بينهما، وكان الكميتُ يخافُ أن يفتضح في شعره عن عليّ ـ عليه السلام ـ لما وقع بينه وبين هشام، وكان يظهر أنَّ هجاءه إياه في العصبية التي بين عدنان وقحطان، فكان ولد إسماعيل بن الصُّباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرميّ يرْوُونَ شِعْرَ الكلبيّ، فهجا أهلَ اليمن جميعاً إلاَّ هذين، فإنه قال في آل علقمة:

ولولا آلُ علْقمةَ اجتدعْنا بقايا من أنوفٍ مُصلَّمينا(٢)

وقال في إسماعيل:

فإنَّ لإســـماعيل حقـــاً، وإننـا له شاعِبُو الصَّدْع المُقارب للشَّعْبِ

وكانت لآلِ علقمة عنده يدٌ؛ لأنَّ علقمة آواه ليلةً خرج إلى الشَّام، وأمُّ إسماعيل من بني أسد،

---

(١) يريد أنَّ هذه الخيل لا تكلّف السقاة أن يصفروا لها، وينظر ديوان المعاني، لابن قتيبة (٢/٧٤٤).

(٢) مصلَّمين: مفرده مصلَّم وهو في الأصل المقطوع الأذن، وأراد به الذليل.

فكفَّ عنهما لذلك. (٣٦/١٧)

(٧٨)

قال محمد بن أنس: حدّثني المستهلّ بن الكميت، قال: قلت لأبي: يا أبت، إنك هجوت الكلبيّ، فقلت:

ألا يا سلْم يا تِرْبي أفي أسماء من تِرْب؟

وغمزتَ عليه فيها، ففخرتَ ببني أمية، وأنتَ تشهد عليها بالكفر، فألا فخرْت بعليّ وبني هاشم الذين تتولاّهُم! فقال: يابنيّ، أنْتَ تعلم انقطاعَ الكلْبيّ إلى بني أمية، وهم أعداء عليٍّ عليه السلام، فلو ذكرتُ عليّاً لترك ذِكرى، وأقبلَ على هجائه، فأكونَ قد عرّضْتُ علياً له، ولا أجد له ناصراً منْ بني أمية ففخرت عليه ببني أمية، وقلت: إنْ نقضها عليّ قتلُوه، وإن أمسك عن ذكرهم قتلْتُه غماً وغلبتُه(١)؛ فكان كما قال: أمسك الكلبيّ عن جوابه، فغلب عليه، وأفحم الكلبيّ.
(٣٧/١٧)

(٧٩)

قال أبو عبيدة: وقف الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد قصيدته الحائية التي يقول فيها:

إذا ارفضَّ أطراف السياط وهلّلتْ جـروم المطـايا عذْبتهنّ صـيدحُ(٢)

فقال ذو الرمة: كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال: حسناً، قال: فما لي لا أعدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويباعدك ذكرك الأبعار وبكاؤك الديار(٣). (١٥/١٨)

---

(١) بدأ الشعراء يستخدمون مذاهب في الهجاء تتناسب مع الأحوال السياسية والاجتماعية التي حدثت في العصر الأموي، إذ لم يعد الشاعر ينظر إلى المهجو وقبيلته حسب. بل كان يضع في حسبانه الدولة، وسلطانها ومدى اقتراب هذا المهجو منها أو ابتعاده عنها.

(٢) ارفضَّ: تفرق من العرق، والجرم: الجسد، وهلّلت جرومها: صارت كالأهلّة من الهزال، وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٣) يريد الفرزدق أنّ سبب تأخر ذي الرمة هو اقتصاره على هذين الغرضين: وصف الناقة، والوقوف على الأطلال، ولم يكن هذان الغرضان كافيين لكي يقدّما شاعراً في ذلك العصر. إذ كان المدح والهجاء هما الغرضان المفضّلان لدى الجمهرة من الشعراء والمتذوّقين، وكانا سبب التقديم، ولم تشفع جودة شعر ذي الرمّة في تينك الغرضين لتقديمه، ومن الواضح أنّ الفرزدق ينطق بلسان عصره، ويمتح من بئر زمانه.

(٨١)

حدّثنا محمد، قال: حدثنا أبو الغرّاف، قال: مرَّ ذو الرُّمة بمنزل لامرئ القيْس بن زيد مناةَ يقال له: مرْأة، به نخْل، فلم يُنزلوه ولم يقروه، فقال:

نزلْنا وقد طـال النهـارُ وأوْقـدَتْ ... علينا حصى المعزاءِ شمْسٌ تنالُها
أنخْنـا فظلَّلنـا بأبْـرادِ يُمْـنةٍ ... عتـاقٍ وأسـيافٍ قـديمٍ صِقـالُها
فلمـا رأنا أهْـلُ مرْأةَ أغلقـوا ... مخـادعَ لم ترفعْ لخيـرٍ ظلالُها
وقد سُمِّيَتْ باسْمِ امرئ القيس قريةٌ ... كـرامٌ صـواديها لنـامٌ رجـالُها

فلجَّ الهجاء بين ذي الرُّمة وبين هشام المرنيّ، فمرّ الفرزدق بذي الرّمة وهو ينشد:

وقفْتُ على ربْعٍ لميـّـة ناقتي ... فمـا زِلْتُ أبْكي عنده وأخـاطِبُه
وأسـقيـه حـتى كـاد مما أبُثُّه ... تُكلِّمني أحـجـارُه ومـلاعـبُـه

فقال له الفرزدق: ألهاك البكاء في الديار، والعبْدُ يرتجز بك في المقابر(١)، يعني هشاماً.
(١٧/١٨)

(٨١)

نسخت من كتاب ابن النّطاح: حدثني أبو عبيدة، قال: حدّثني فلان المرنيّ، قال: أتانا جرير عشى حمار، وأنا لا أعرفه، فأُتيَ بنبيذ فشرب، فلما أخذ فيه قال: أين هشام؟ فدُعي، فقال له: أنشدني ما قلت في ذي الرُّمة، فأنشده، فجعل كلما أنشده قصيدةً قال: لم تصنع شيئاً(٢)، ثم قال له: قد دنا رواحي فارْدُدْ هذه الأبيات ومُر شبّانكم بروايتها، وذكر الأبيات التي أولها قوله:

غضبْتَ لرجْلٍ من تميم تشمّسُوا

قال: فغلبه هشام بها، فلما كان بعد ذلك لقي ذو الرُّمة جريراً فقال: تعصّبْتَ على خالك للمرنيّ. فقال جرير: حيث فعلتُ ماذا؟ قال: حين تقولُ للمرنيّ كذا وكذا، فقال جرير: لأنك ألهاك البكاء في دار ميّة حتى استقبحتْه محارمُك(٣). (٢٠/١٨)

---

(١) يؤكد هذا النصّ ما أشرنا إليه في النصّ السابق، إذ بينما يهجو هشام ذا الرّمة، نرى الأخير مشغولاً بالوقوف على الطلل، وتذكّر مي، وهذا لا يروق للفرزدق الذي نبّهه وأرشده إلى الردّ عليه.

(٢) يشير جرير إلى ضعف هشام في الهجاء مع محاولته القول فيه.

(٣) نرى موقف جرير مشابهاً لموقف الفرزدق السابق، من حثّ ذي الرّمة على ترك الوقوف على الطلل، والتفرّغ للهجاء، فهما ينطقان بلسان واحد، ويفكّران بعقل متشابه.

(٨٢)

أخبرني محمد بن أحمد بن الطُّلأس، عن الخراز عن المدائنيّ، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال: إنما وضع من ذي الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح، وقد مدح بلال ابن أبي بردة فقال:

رأيتُ الناس ينتجعـــون غيثاً فقلتُ لصَيْدحَ: انتجعي بلالا

فلما أنشده قال له: أولم ينتجعني غير صيْدح؟ يا غلام، أعطه حبل قتٍّ(١) لصيْدح، فأخجله. (٣١/١٨)

(٨٣)

أخبرني الجوهريّ، عن ابن شُبرمة، عن يحيى بن نُجيم، قال: قال رؤبة لبلال بن أبي بُردة: علام تعطي ذا الرمة؟ فوالله إنه ليعْمِد إلى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها، فقال: والله لو لم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته، وأمر له بعشرة آلاف درهم. (٣٥/١٨)

(٨٤)

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك: حدّثني القاسم بن محمد الأسديّ، قال: حدّثني جبرُ بن رياط قال: أنشد ذو الرمة الناس شعراً له، وصف فيه الفلاة بالثّعلبية(٢)، فقال له حلْبَسٌ الأسديّ: إنك لتنعتُ الفلاةَ نعْتاً لا تكون منيّتُك إلا بها. (٤٢/١٨)

(٨٥)

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذري، عن الحرمازي، قال: مرَّ الفرزدق على ذي الرمة وهو ينشد: أمنزلتي ميٍّ سلام عليكما

فلمّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفك القطا وأبوال الإبل. (٥٠/١٨)

(٨٦)

وقال هرون بن الزيّات: أخبرني عبدُ الرحمن بن موسى الرّقيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ محمدُ

---

(١) أي حبلاً مجدولاً من القتّ وهو نبت بريّ. (٢) الثّعلبية: من منازل طريق مكّة.

بن حُمَيْد بن سُلَيْمان بن حفص بن عبد الله بن أبي جهْم بن حُذيفة بن غانم العدويّ قال: حدّثنا يزيدُ بنُ مرة، عن أبي عُبيدة مَعْمر بن المثنى عن عيسى بن يزيد بن بكر المدنيّ، قال: اجتمع عند مسْلمة بن عبد الملك ناس من سُمّاره، فيهم عبدُ الله بنُ عبد الأعلى الشّاعر ، فقال مسْلمة: أيُّ بيْت قالتْه العربُ أوعظُ وأحكم؟ فقال له عبد الله قوله:

صبا ما صبا حتى علا الشيْبُ رأسه ... فلمّا علاه قال للباطل ابْعُدِ

فقال مسلمةُ: إنّه والله ما وعظني شِعْرٌ قطّ كما وعظني شِعْرُ ابن حطّان حيْث يقول:

فيُوشِك يومٌ أن يُقارنَ ليلةً ... يسوقانِ حتْفاً راح نحْوك أو غدا

فقال بعضُ مَنْ حضر: واللهِ لقد سمعتُه أجلَّ الموتَ ثم أفناه، وما صنع هذا غيرُه، فقال مسلمة: وكيْف ذاك؟ قال: قال:

لا يُعجزُ الموتَ شيءٌ دُونَ خالقِه ... والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجلُ

وكلُّ كرْبٍ أمامَ الموتِ مُنْضَعٌ ... للموت، والموتُ فيما بعْده جللُ

فبكى مسلمةُ حتى اخضلّت لحيتُه، ثم قال: ردِّدهما عليَّ، فردّدهما عليه حتى حفظهما.

(١١٩/١٨)

(٨٧)

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرْزبان، قال: حدّثني أبو عبد الله اليمانيّ، قال: حدّثنا الأصمعيُّ، عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قال لي عُبيْدُ الله بنُ زياد: ما هُجيتُ بشيءٍ أشدُّ عليَّ من قوْل ابنِ مُفرّغ:

فكّرْ: ففي ذاك إنْ فكّرْتَ مُعْتبرٌ ... هل نِلْتَ مكرُمةً إلا بتأمير!

عاشتْ سُمَيّةُ ما تدْري وقد عمرتْ ... أنْ ابنها من قُرَيْش في الجماهير

(٢٨٥/١٨)

(٨٨)

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همام الوليد بن شجاع، قال: حدّثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمنُ بن خُريم امرأة له خطأ - يعني قتلها - فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكفّر عنه كفارة القتل، وأعطاه عدّة جوار، ووهب له مالا، فقال أيمن:

رأيتُ الغوانيَ شيباً عُجابا ... لَوَ انس منِّي الغواني الشبابا

ولكنْ جمعَ العذارى الحسانِ عناءً شديد إذا المرء شابا
ولو كلتَ بالمُدِّ للغانيات وضاعفْتَ فوق الثياب ثيابا
إذا لم تُنلْهنَّ من ذاك ذاك بغيْنكَ عنْدَ الأمير الكذابا
يذُدن بكل عصا ذائدٍ ويُصبحن كل غداة صعابا
إذا لم يُخالطْنَ كلَّ الخلاط تراهنَّ مُخرنْطماتٍ غضابا
علام يُكحِّلن حُورَ العيون ويُحْدِثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويعرُكن بالمسك أجيادَهنَّ ويدنين عند الحجال العيابا(١)
ويغمزن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

قال: فبلغني أن عبد الملك أنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمنُ لهنَّ. وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساء أحدٌ مثلَ صفتك، ولا عرَفهنَّ أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنتُ صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأدواء النساءِ طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلَّ ماله فليس لـه في ودِّهنَّ نصيب
يُردْنَ ثراء المال حيث علمنه وشرْخُ الشباب عندهن عجيب

فقال له عبد الملك: قد لعمري صدقْتما وأحسنتما، الشعر لعلْقمة بن عبدة. (٢٠/٣١١)

(٨٩)

حدّثني عمي قال: حدّثني هارون بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدّثني سهلُ بنُ زكريا قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أحمد الباهليّ قال: قال أبان بنُ عبدِ الله النميريّ يوماً لجلسائه - وفيهم أبو نخيلة - : والله لوددت أنه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله:

لولا جرير هلكتْ بجيلـه نعم الفتى وبئست القبيله

وأنني أثبت على ذلك مالي كله، فقال له أبو نُخيلة: هلُمَّ الثواب، فقد حضرني من ذلك ما

---

(١) الحجال: جمع حَجَلة، وهو بيت كالقبّة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار. ينظر لسان العرب (١١/١١٤)، والعياب: كناية عن الصدور، وهي من العيبة وهي موضع السرّ أو وعاء من أدم يكون فيها المتاع، فمثلما يضع الرجل فيها حرْ متاعه وصون ثيابه، يكتم في صدره أخصّ أسراره التي لا يحبُّ شيوعها، فسمّيتِ الصدور والقلوب عياباً. ينظر لسان العرب (١/٦٣٤).

تريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:

لـولا أبـانٌ هلكـت نُمـيرُ نعم الفتى وليس فيهم خيرُ (٤١١/٢٠)

(٩٠)

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بن دُريد قال: حدّثنا الأشناندانيّ عن التوّزيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال: قال رجل لخالدِ بنِ صفوان: كان عبْدةُ بنُ الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فوالله ما أبى من عيّ، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه ضعة، كما يرى تركه مروءة وشرفا، قال:

وأجـرأ مـن رأيتُ يظْهر غيبٍ على عيب الرجال أولـو العيوب (٢٦/٢١)

(٩١)

أخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريُّ قال: حدّثنا أحمدُ بنُ يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابيّ: أن عبد الملك بنَ مروان قال يوماً لجلسائه: أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غِرَقي(١) البيض وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنّها نور الربيع، فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب، قال:

لمّا نزلنا نصـبنا ظلّ أخبـيـةٍ وقـار للقـوم باللحم المراجـيلُ

وردٌ وأشقرُ ما يؤنيه طابخُـه ما غيُّر الغليُ منه فهو ماكول(٢)

ثُمّتَ قـمنا إلى جُرْد مُسـوّمـةٍ أعـرافـهنُ لأيدينـا مـناديـل(٣)

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة. (٢٦/٢١)

(٩٢)

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضاً، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضاً:

كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان، قال: ومات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه:

---

(١) الغرقى: القشرة الملتزقة ببياض البيض.

(٢) شبّه ما أخذ فيه النّضج من اللحم بالورد، وما لم ينضج بالأشقر، ويؤنيه: يمهله.

(٣) الجرد: الخيل، والمسوّمة: التي عليها العلامة من قطن وغيره دلالة على نجابتها وقوتها.

لقد ضمَّت ألا كفانُ من آل دارمٍ فتىً فائضَ الكفَّين محضُ الضَّرائب(١)

(٢٨٣/٢١)

(٩٣)

قال: وروى عن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا أشعر أم هذا الخبيث - يعني الفرزدق - وناشدني لأخبرنَّه، فقلت: لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك في النسيب قال: أوْه قضيت والله له عليَّ(٢)، أنا والله أخبرك: ما دهاني، إلاَّ أنِّي هاجيتُ كذا وكذا شاعراً، فسمَّى عدداً كثيراً، وأنه تفرَّد لي وحدي. (٢٨٦/٢١)

(٩٤)

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: اجتمع الفرزدق وجرير وكثير وابن الرِّقاع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئاً حسناً، فبدرهم الفرزدق، فقال:

وما قوم إذا العلماء عدُّت عروقَ الأكرمين إلى الترابِ(٣)
بمختلفين إن فضُلتمونا عليهم في القديم ولا غضاب
ولو رفع السحابُ إليه قوماً علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالاً(٤). (٣٢٦/٢١)

(٩٥)

فلما ولّى يزيدُ بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه - ولاّه سليمان بن عبد الملك - خافَ الفرزدقُ من بني المُهلّب، فقال يمدحهم:

فلأمدحنَّ بني المهلَّب مدحةً غرَّاء قاهرة على الأشعارِ
مثل النجوم أمامها قمراؤها تجلو العمى وتضيء ليلَ السُّاري(٥) (٣٤٥/٢١)

---

(١) المحض: الخالص، والضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطبيعة والسَّجية، يقول إنَّ سجايا أبيه وطبائعه خالصة ممَّا يشينها. (٢) كان النسيب في منزلة هي أدنى من الهجاء والمديح في ذلك العصر، ولذلك نرى جريراً يتألم من هذا الحكم، ويعدّه عليه.

(٣) يريد بقوله: إلى التراب، الكرام السالفين الذين أصبحوا عظماً رميماً.

(٤) برَّأ الفرزدق أقرانه في غرض الفخر، وكان يبني فخره على ما بناه آباؤه وأجاده قبله من مكارم ومآثر.

(٥) القمراء: ضوء القمر

(٩٦)

أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدّثني محمد بن موسى قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

ما حملتْ ناقةٌ من معشر رجلاً ... مثلي إذا الريح لفّتني على الكُورِ(١)
أعزُّ قوماً وأوفى عند مكرمةٍ ... لمعْظمٍ من دماء القوم مهجورِ(٢)

فقال له: إيه، فقال:

إلاّ قريشاً فإنّ الله فضّلها ... على البريّةِ بالإسلام والخيرِ
تلقى وجوهَ بني مروانَ تحسبُها ... عند اللقاء مشوفاتِ الدّنانيرِ(٣)

ففضّله عليهم، ووصله. (٣٤٨/٢١)

(٩٧)

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال:

رأيتُ زيادةَ الإسلام ولّتْ ... جهاراً حين فارقها زيادُ

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أمسكين أبكي الله عينيك إنّما ... جرى في ضلالٍ دمعها فتحدّرا
أتبكي امرءاً من آل ميسانَ كافراً ... ككسرى على عدّاته أو كقيصرا
أقول له لمّا أتاني نعيُّه ... به لا بظبيٍ بالصريمةِ أعْفرا(٤)

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لستَ قائماً ... ولا قاعداً في القوم إلاّ انبرى ليا
فجئْني بعمّ مثل عمّي أو أبٍ ... كمثلِ أبي أو خالِ صدقٍ كخاليا
بعمرو بن عمرو أو زرارة ذي النّدى ... سموتُ به حتى فَرَعْتُ الروابيا

فأمسك الفرزدق عنه، وكان يقول: نجوتُ من أن يهجوني مسكين، فإن أجبته ذهبتُ بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر. (٣٥٢/٢١)

---

(١) الكُور: الرّحل. (٢) يريد بقوله: «من دماء القوم مهجور»: أنّه لا يطالب بترة.

(٣) مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوّة اللامعة.

(٤) الصّريمة: القطعة من الرمل يكون فيها الظبي

(٩٨)

وأخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدّثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ: قال الفرزدق: ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا. قال: أفتموت عيْشونةُ ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمّك، قال: قلتُ: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى أنظر أي شيء تصنع؟(١). (٣٥٧/٢١)

(٩٩)

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإنّ أبا موسى خليلُ محمدٍ وكفّاه يُمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبي بردة: هلكتَ والله يا أبا فراس.. فارتاع الشيخ، وقال: كيف ذاك؟ قال: ذهب شعرك، أين مثل شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمّى قوماً، فقال: جئتني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم، ففضب بلال حتى درّت أوداجه(٢) ودُعي له بطست فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلّمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفاك الشيخ نفسه وقلّ ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات. (٣٦٢/٢١)

(١٠٠)

أخبرني هاشم الخزاعيّ، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق: كنت أهاجي شعراء قومي، وأنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرّة لساني منذ يومئذ، ووفد بي أبي إلى عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علّمه القرآن فهو خير له. (٣٩٥/٢١)

---

(١) من الواضح أنّ هذا الدهقان يصدر عن تصوّره الخاص الذي يبتعد بُعداً كبيراً عن التّصور العربي للهجاء، فليست القضية موتاً مادّياً، وحياة حقيقية، إنّما هي الفضيحة والخزي اللّذان يلحقان المهجو، ومن هنا كان أثره البعيد في مجتمع يقترب من المكرمات وينأى عن غيرها.

(٢) درّ العرق: امتلأ دماً، والأوداج: جمع ودج، وهو عرق يقطعه الذابح في العنق، فيذهب بالحياة.

العصر العبّاسي

(١)

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال: قال لي الرشيدُ: أنشدني أحسن ما قيل في رجل قد لوّحه السَّفرُ! فأنشدته قول عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت فيضحى وأمّا بالعشيّ فيخْصَرُ(١)

أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقانفتْ به فلواتٌ فهو أشْعثُ أغبرُ

... الأبياتَ كلّها. قال: فقال لي الرشيد: أنا والله ذلك الرجلُ. قال: وهذا بعقب قدومه من بلاد الرُّوم. (٨٢/١)

(٢)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: أدركتُ مشْيخةً من قُريش لا يزنونَ بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النَّسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه، والتَّحلّي بمودّته. والابتيار في شعره(٢)، والابتيارُ: أن يفعل الإنسانُ الشيءَ فيذكره ويفخر به. والابتهارُ أن يقول ما لم يفعل. (١١٨/١)

(٣)

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب الملقّب «كيلجة» قال حدّثني أبو هفّانَ قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصْعب بن عبد الله الزُّبيري، وأخبرني الحرميّ بن أبي

---

(١) يضحى: يظهر للشمس، وعارضت: قابلت، والضمير فيه محذوف أي عارضته، ويخصر: يبرد.

(٢) مذهب العرب في النسيب أن يكون الرجل طالباً والمرأة مطلوبة، ولكنّ عُمَر كسر هذه القاعدة، وأصبح هو المطلوب والمرأة طالبة، ويقف ابن رشيق عند هذا الأمر في الباب الذي عقده للنسيب فيقول: «العادة عند العرب أنّ الشاعر هو الغَزِل المتساوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطِبة، وهذا دليل كرم النُّحيزة في العرب، وغيرتها على الحرم». ينظر العمدة (١٢٤/٢)، ويبدو أنّ خروج عمر على المألوف قد أعجب شيوخ قريش، فلم يؤاخذوه عليه واستحسنوا منه ما كانوا يرونه قبيحاً من غيره.

العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عمه مصعب أنه قال: راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدّة الأسْر، وحسن الوصف، ودقّة المعنى وصواب المصْدر، والقصْد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب، وحُسْن العزاء، ومخاطبة النساء، وعفّة المقال، وقلّة الانتقال، وإثبات الحُجّة، وترجيح الشكّ في موضع اليقين، وطُلاوة الاعتذار، وفتْح الغزل، ونهْج العلل، وعطْف المساءة على العُذّال، وأحْسنَ التفجُّع، وبخْل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصُّفاء، إن قدح أورى، وإن اعتذر أبْرا، وإن تشكّى أشْجى، وأقدم عن خبرة ولم يعتذر بغرّة، وأسر النوم، وغمّ الطّيرْ، وأغذّ السّيْر، وحيّر ماء الشباب، وسهّلَ وقوّل، وقاس الهوى فأرْبى، وعصى وأخْلى، وحالف بسمعه وطرْفه، وأبْرم نعْتَ الرسل وحذّر، وأعْلنَ الحبّ وأسرّ، وبطنَ به وأظهر، وألحّ وأسفّ، وأنْكح النوم، وجنى الحديث، وضرب ظهره لبطْنه، وأذلّ صعبه وقنع بالرّجاء من الوفاء، وأعْلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفّض النومَ، وأغلقَ رهْن منًى وأهْدر قتْلاه؛ وكان بعد هذا كلّه نصيحاً.

فمن سُهولة شعره وشدّة أسْره(١) قولُه:

فلمّا تواقفنا وسلّمتُ أشرقتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا

تبالَهْنَ باعلفران لمّا رأيتني ... وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكلٌ وأوْضعا(٢)

ومن حسن وصفه قوله:

لها من الرِّيم عيناه وسُنّتُهُ ... ونخْوةُ السابق المُخْتال إذ صهلا(٣)

ومن دقّة معناه وصواب مصْدره قولُه:

عُوجا نُحيِّ الطّلل المُحْولا ... والرّبْعَ مِنْ أسماء والمنزلا(٤)

بسابغِ البوْباةِ لم يعْدُه ... تقادمُ العهدِ بأن يُؤهلا(٥)

ومن قصْده للحاجة قولُه:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّريّا سُهيْلا ... عمْرَكَ الله كيفَ يلتقيان(٦)

---

(١) الأسر في كلام العرب: الخلق، والمراد من شدّة الأسر هنا إحكام النّسج ومكانة التركيب.

(٢) أكلٌ: أعيا، وأوضع: أسرع في السيْر (٣) سنّته: صورته.

(٤) المحول والمحيل: الذي أتت عليه أحوال كثيرة فغيّرته (٥) البوباة: الفلاة، واسم لصحراء بأرض تهامة.

(٦) هي الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس، تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ونقلها إلى مصر، فقال عمر هذا الشعر يضرب المثل بالثريا وسهيل النجمين المعروفين.

هي شاميةٌ إذا ما استقلّتْ وسُهيلٌ إذا استقلّ يماني

ومن استنْطاقه الربعَ قولُه:

سائلا الرَّبْعَ بالبُلَيّ وقُولا هجتَ شوقاً لي الغداة طويلا(١)
أين حيٌّ حلُّوك إذا أنت محفو فٌ بهم أهلٌ أراكَ جميلا
قال ساروا فأمْعنوا واستقلُّوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا
سئمُونا وما سئمْنا جواراً وأحبُّوا دماثةً وسُهولا(٢)

ومن إنطاقه القلب قولُه:

قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرتْ مما يقولُ الدموعُ
قال لي ودِّعْ سُلَيْمى ودعْها فأجاب القلبُ: لا أستطيعُ

ومن حسن عزائه قولُه:

أألحقُّ إنْ دارُ الرُّباب تباعدتْ أو انْبتَّ حبلٌ أنَّ قلبك طائرُ(٣)
أفقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ(٤)
زِعِ النفسَ واستبقِ الحياء فإنَّما تُباعدُ أو تُدني الرُّبابَ المقادرُ(٥)
أمِتْ حُبَّها واجعلْ قديم وصالها وعشْرتها كمثل من لا تُعاشرُ
وهبْها كشيءٍ لَمْ يكُنْ أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غيبَّتْه المقابرُ
وكالناس عُلِّقْتَ الرُّباب فلا تكن أحاديث مَنْ يبْنو ومن هو حاضرُ(٦)

ومن حسن غزله في مخاطبة النساء ـ قال مصعب الزُّبيري: وقد أجمع أهل بلدنا ممَّن له علم بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا ـ قوله:

تقولُ غداةَ التقيْنا الرُّبابُ أيـاذا أظلَّتْ أفولَ السِّماكِ(٧)
وكفَّتْ سوابقَ من عبْرةٍ كما ارْفضَّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاكِ(٨)

---

(١) بلَيّ: تلٌّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق، ينظر معجم البلدان (٤٩٤/١)، وأورد يا قوت بيت عمر هذا. (٢) يقال: دَمِثت الأرض دماثة، إذا سهلت ولانت. (٣) انبتَّ: انقطع.

(٤) يريد أنَّ الرجال قد أفاقوا واستحكمت عزائمهم. ينصح قلبه بالسلوّ.

(٥) زع النفس: أي ازجرها وكُفَّها عن هواها. (٦) يبنو: يقيم في البادية. حاضر: مقيم في الحاضرة.

(٧) السِّماك: هما نجمان نيّران يسميَّان: السمّاكان، أحدهما في الشمال وهو السِّماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السِّماك الأعزل. (٨) ارفضّ: همل والسِّلاك، والسِّلك: لعلّه جمع سلك

فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصُّدي ... ـقِ أعداءه يجْتنبْه كذاك
أغرُّك أنّي عصيتُ الملا ... مَ فيك وأنَّ هواناً هواكِ
وألاَّ أرى لذَّة في الحياة ... تقرُّ بها العينُ حتى أراك
فكان من الذّنب لي عندكم ... مُكارمتي واتِّباعي رضاكِ
فليتَ الذي لام في حُبِّكم ... وفي أن تُزاري بقُرنٍ وقاكِ
هُمُومَ الحياة وأسقامها ... وإن كان حتْفٌ جهيزٌ فداك(١)

ومن عفَّة مقاله قولُه:

طالَ ليْلي واعتادني اليومَ سُقْمُ ... وأصابتْ مقاتل القلب نُعْمُ
حُرَّةُ الوجهِ والشمائل والجو ... هرِ تكليمُها لمن نال غُنْمُ
وحديث بمثله تُنْزلُ العُصْـ ... ـمُ رخيم يشوبُ ذلك حِلْمُ(٢)
هكذا وصْفُ ما بدا لي منها ... ليس لي بالذي تغيَّبَ عِلْمُ
إن تجودي أو تبْخلي فبحمْدٍ ... لستِ يا نُعْمُ فيهما منْ يُذَمُّ

ومن قلة انتقاله قولُه:

أيها القائلُ غير الصوابِ ... أمْسِك النُّصْحَ وأقللْ عتابي
واجتنبني واعلمنْ أن ستُعْصى ... ولخيرٌ لك طولُ اجتنابي
إن تقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غشٍّ ... دائم الغمْرِ بعيد الذُّهابِ(٣)
ليس بي عيٌّ بما قلت إنّي ... عالمٌ أفقهُ رَجْعَ الجوابِ
إنّما قُرَّةُ عيني هواها ... فدعِ اللَّومَ وكلْني لما بي
لا تلُمْني في الرُّبابِ وأمستْ ... عَدَلَتْ للنفس بردَ الشَّرابِ(٤)
هي واللّهِ الذي هو ربِّي ... صادقاً أحلفُ غيرَ الكذابِ
أكرمُ الأحياء طُرّاً علينا ... عند قُرْب منهمُ واجتناب
خاطبتني ساعةً وهي تبكي ... ثم عزَّتْ خلّتي في الخطابِ
وكفى بي مِدْرها لخُصُومٍ ... لسواها عند حدِّ تبابي

ومن إثباته الحُجَّة قولُه:

---

(١) جهيز: سريع. (٢) العُصْم: جمع أعصم، وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض، وهي تعتصم غالباً بقُنن الجبال.

(٣) الغمر: الحقد والغلّ. (٤) عدلت: سَاوَتْ.

خليليَّ بعضَ اللوم لا ترْحلا به ... رفيقكما حتى تقُولا على علْمِ(١)
خليليَّ مَنْ يكْلَفْ بآخرَ كالذي ... كلفْتُ به يدْمُلْ فؤاداً على سُقْمِ(٢)
خليليَّ ما كانت تُصابُ مقاتلي ... ولا غرَّتي حتى وقعْتُ على نُغْمِ
خليليَّ حتى لُفَّ حبْلي بخادعٍ ... مُوقًّى إذا يُرْمى صَيُودٍ إذا يرمي
خليليَّ إن باعدتُ لانتْ وإن ألِنْ ... تُباعدْ فلم أنْبُلْ بحرْبٍ ولا سلْمِ(٣)

ومن ترجيحه الشكَّ في موضع اليقين قولُه:

نظرتُ إليها بالمُحصَّب من منىً ... ولي نظرٌ لولا التحرُّجُ عارمُ(٤)
فقلتُ: أشمسٌ أم مصابيحُ بيعةٍ ... بدتْ لك خلْفَ السُّجْف أم أنت حالمُ(٥)
بعيدةُ مهْوى القُرْطِ إمَّا لنوْفلٍ ... أبوها وإمَّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ(٦)
ومدَّ عليها السُّجْفَ يومَ لقيتُها ... على عجلٍ تُبْاعُها والخوادمُ
فلم أستطعْها غير أنْ قد بدا لنا ... عشيَّة راحت وجهها والمعاصمُ
معاصم لم تضْربْ على البهْم بالضُّحى ... عصاها ووجهٌ لم تلُحْهُ السمائمُ(٧)
نُضارٌ ترى فيه أساريع مائه ... صبيحٌ تُفاديه الأكُفُّ النواعمُ(٨)
إذا ما دعتْ أترابها فاكْتنفْنها ... تمايلْنَ أو مالتْ بهنَّ المآكمُ(٩)
طلبْن الصِّبا حتى إذا ما أصبْنه ... نزعْنَ وهنَّ المُسْلمات الظَّوالمُ

ومن طُلاوة(١٠) اعتذاره قولُه:

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شجاهُ ... من حبيبٍ أمسى هوانا هواه
يا لقومي فكيف أصبرُ عمَّنْ ... لا ترى النفسُ طيب عيشٍ سواهُ

---

(١) يقال: رحل فلان فلاناً بما يكره، إذا أثقله بإسماعه إيّاه. (٢) يدمل: يطوي.
(٣) لم أنبل: لم أصبْ. (٤) عارم: شرس.
(٥) البيعة: المكان الذي يتعبّد به الرهبان. (٦) بعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.
(٧) البَهم: جمع بهمة، وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر، يريد أنّها منعمة مخدومة، والسمائم: الريح الحارّة. (٨) أساريع مائه: طرائقه، والمراد أنّه يترقرق فيه ماء الشباب.
(٩) المآكم: جمع مأكمة، وهي العجيزة.
(١٠) الطلاوة: من صفات الشعر الجيد، ينظر الصناعتين، (ص٥٧)، وهي الحسن والبهجة، ووقف عندها حازم في منهاج البلغاء (ص٢٢٥)، فقال: «هي ائتلاف الكلم من حروف صقيلة، وتشاكل يقع في التأليف ربّما خفي سببه، وقصرت العبارة عنه».

أرسلتْ إذ رأتْ بعادي ألاَّ ... يقْبلَنْ بي مُحرِّشاً إن أتاه(١)
دونَ أن يسمعَ المقالةَ منّا ... ولْيُطعني فإنّ عندي رضاه
لا تُطِعْ بي فدتْك نفسي عدوّاً ... لحديثٍ على هواهُ افْتراه
لا تُطِعْ بي مَنْ لو رآني وإيّا ... كَ أسيريْ ضَرُورةٍ ما عناه
ما ضراري نفسي بهجْري مَنْ ليـ ... ـس مُسيئاً ولا بعيداً ثراه
واجتنابي بيتَ الحبيب وما الخلّـ ... ـدُ بأشْهى إليَّ من أن أراه

ومن نهجه العلل قولُه:

وآيةُ ذلك أنْ تسمعي ... إذا جئتُكم ناشداً ينْشُدُ
فرُحْنا سراعاً وراح الهوى ... دليلاً إليها بنا يقْصِدُ
فلمّا دنوْنا لجرْس النُّبا ... ح والصوتِ، والحيُّ لم يرْقُدوا
بعثْنا لها باغياً ناشداً ... وفي الحيّ بُغْيةُ من ينْشُدُ

ومن فتحه الغزل قولُه:

إذا أنت لم تعْشقْ ولم تدْر ما الهوى ... فكُنْ حجراً من يابس الصَّخْر جلْمدا

ومن عطفه المساءةَ على العُذّال قولُه:

لا تلُمْني عتيقُ حسْبي الذي بي ... إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلُمْني وأنت زيَّنتَها لي ... أنت مثلُ الشيطان للإنسان

ومن حسن تفجّعه قولُه:

هجرتَ الحبيب اليومَ من غير ما اجْترمْ ... وقطّعتَ من ذي وُدِّكَ الحبلَ فانصرم
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ ... مقالةَ واشٍ يقْرعِ السِّنَّ مِنْ ندمْ
أتاني رسولٌ كنتُ أحسبُ أنه ... شفيقٌ علينا ناصحٌ كالذي زعم
فلما تباثثنا الحديثَ وصرّحَتْ ... سرائرُه عن بعض ما كان قد كتَمْ(٢)
تبيَّن لي أنَّ المُحرِّشَ كاذبٌ ... فعندي لكِ العُتْبى على رغْمِ مَنْ رغِمْ
فملآن لُمْتُ النفسَ بعد الذي مضى ... وبعد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قسَمْ(٣)
ظلمْتَ ولم تُعْتِبْ وكان رسولُها ... إليك سريعاً بالرِّضا لكَ إذ ظَلَمْ

---

(١) المحرِّش: المُغْري، من التحريش، وهو الإغراء والإفساد.

(٢) بثَّ الحديث ونثّه: أفشاه. (٣) فَملآن: أصله فمن الآن.

ومن تبخيله المنازلَ قوله:

عرفتُ مصيفَ الحيِّ والمُتربَّعا ... ببطْنِ حُلَيّاتٍ دوارس بلْقعا(١)

إلى السُّرْح من وادي المُغمَّس بُدِّلَتْ ... معالمُها وبْلاً ونكْباءَ زعْزعا(٢)

فيبْخلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعد ما ... نكأنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفجَّعا(٣)

ومن اختصاره الخبر قولُه:

أمِن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكرُ ... غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهجِّرُ

بحاجةِ نفسٍ لم تقُلْ في جوابها ... فتُبلِغَ عذراً والمقالةُ تُعذرُ

أشارت بمِدْراها وقالت لتِرْبها ... أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكَرُ

لئن كان إيَّاه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسانُ قد يتغيَّرُ

ومن صِدْقِه الصفاءَ قولُه:

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأنثى ... غيرها وصلُها إليها أداءُ

كلُّ أنثى وإن دنتْ لوصالٍ ... أو نأتْ فهْي للرُّباب الفداءُ

وقوله:

أحبُّ لحبِّكِ مَن لم يكنْ ... صفيّاً لنفسي ولا صاحبا

وأبذُلُ مالي لمرْضاتكم ... وأعْتِبُ مَنْ جاءكم عاتبا

وأرغبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن ... إلى وُدِّه قبلكم راغبا

ولو سلكَ الناسُ في جانبٍ ... من الأرضِ واعتزلتْ جانباً

ليمَّمْتُ طيِّبَها إنَّني ... أرى قُرْبها العجبِ العاجبا(٤)

ومما قدحَ فيه فنُورى قولُه:

طالَ ليْلي وتعنَّاني الطَّربْ ... واعتراني طولُ همٍّ ووصبْ(٥)

أرْسلتْ أسماءُ في عتْبةٍ ... عتبتْها وهي أحلى مَنْ عتبْ

---

(١) حلّيّات: لعلّه موضع قرب مكة بقرينة ذكره مع المغمّس الوارد في البيت بعده. ودوارس وبلقع: مندثرات خاويات. (٢) السُّرح: موضع. والمغمّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف. ونكباء: الريح التي تنكُب عن مهابّ الريح، والزعزع: الشديدة.

(٣) نكأ الجرح: قشره قبل أن يلتئم. (٤) طيِّبُها: ناحيتها وقصدها.

(٥) تعنّاني: أوقعني في العناء، والطرَب: خفّة تعتري الإنسان عند شدّة الفرح أو الحزن والهمّ.

أنْ أتى منهـا رسـولٌ مـوْهِناً ... وجـد الحيَّ نيـامـاً فـانقلبْ(١)
ضـربَ البـابَ فلـم يشْعُرْ به ... أحـدٌ يفـتح باباً إذ ضـربْ
قـال: أيقـاظٌ، ولكـن حـاجـةٌ ... عـرضتْ تُكْتَمُ منّا فـاحـتـجبْ
ولعـمْداً ردَّني، فـاجْتَهـدتْ ... بيـمينٍ حلْفـةً عند الغـضبْ
يشـهـد الرحـمنُ لا يجـمـعُنا ... سـقْفُ بيتٍ رجـبـاً بعـد رجبْ
قلـتُ حِلاً فـاقْبلـي مـعْذرتي ... مـا كذا يجْزي مُحبٌّ مَنْ أحبُّ
إنَّ كفّـي لك رهـنٌ بالرِّضـا ... فـاقْبلي ياهندُ، قالت قد وجبْ

قالوا: ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قولُه:

فالتقينا فرُحبتْ حين سـلّمـ ... ـتُ وكفّتْ دمعاً من العين مارا(٢)
ثم قـالتْ عند العـتـاب رأيْنا ... مـنكَ عـنّا تجلُّداً وانْوِرارا
قلتُ كـلاّلاه ابنُ عمِّك بل خفْـ ... ـنا أمـوراً كنّا بها أغْمارا(٣)
فَجـعلنا الصُّدودَ لمّا خـشـينا ... قـالةَ الناسِ للهـوى أستـاراً
ليس كـالعـهدِ إذ عـهدتِ ولكن ... أو قدَ الناسُ بالنميـمـة نارا
فلذاك الإعـراضُ عـنك ومـا آ ... ثرَ قلبي عليك أخْرى اختـيارا
مـا أبالي إذا النّوى قـرّبتْكم ... فـدنوْتُم مَنْ حلَّ أو مـنْ سـارا
فـاللّيـالي إذا نـأيتِ طـوالٌ ... وأراها إذا قـرُبْتِ تـصـارا

ومن تشكّيه الذي أشجى فيه قولُه:

لعـمرُك مـا جـاورتُ غُمْدان طـانعـاً ... وقصْر شـعُوبٍ أن أكـونَ بـه صـبُّا(٤)
ولكـنَّ حُمّى أضْـرعـتْني ثلاثـةً ... مُجـرِّمـةً ثم اسـتـمـرّتْ بنا غـبّا(٥)
وحتّى لوأن الخُلْد تعْرِضُ إن مشت ... إلى الباب رجْلي مـا نقلتُ لها إرْبا
فـإنّك لـو أبصـرت يـومَ سُـويْقةٍ ... مُناخي وحبْسي العيس داميةً حُدْبا(٦)

---

(١) الموهن: نحو من نصف الليل. (٢) مار: جرى وسال.

(٣) لاه ابن عمّك: أي لله ابن عمّك، والغُمر: الغرّ الجاهل الذي لم يجرّب الأمور.

(٤) غُمدان: قصر باليمن بناه يَشْرُخُ بن يَحْصُب بأربعة وجوه: أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبنى داخله قصراً بسبعة سقوف بين كلّ سقفين أربعون ذراعاً، وقصر شَعوب: قصر عال مرتفع باليمن أيضاً.

(٥) أضرعتني: أضعفتني وأذلتني، ومجرِّمة: تامة، يريد ثلاثة كاملة، والغبّ من الحمى: ما تأخذ يوماً وتدع يوماً. (٦) سُويقة: موضع، وحدبا: جمع أحدب وحدباء، منقوّسة الظهور مزال.

ومصرعَ إخوانٍ كأنَّ أنينهم أنينُ المكاكي صادفتْ بلداً خِصْبا(١)
إذاً لاقشعرَّ الرأسُ منك صبابةً ولاستفرغتْ عيناكِ من سكْبةٍ غرْبا(٢)

ومن إقدامه عن خُبرة ولم يعتذرْ بغرَّة قولُه:

صرَمْتُ وواصلاتُ حتى عرفـ ـتُ أين المصادرُ والموردُ
وجرَّبتُ من ذاك حتّى عرفـ ـتُ ما أتوقّى وما أعمِدُ(٣)

ومن أسْره النومَ قولُه:

نام صحْبي وبات نومي أسيرا أرقبُ النَّجمَ موهناً أن يغُورا

ومن غمِّه الطير قولُه:

فرُحْنا وقلنا للغلام اقض حاجةً لنـا ثـم أدْركْـنا ولا تتغبَّرِ
سراعاً نغُمُّ الطير إن سنحتْ لنا وإن تَلْقَنا الرُّكْبانُ لا نتخبَّرِ(٤)

ومن إغْذاذه السير قوله:

قلتُ سيرا ولا تُقيماً ببصرى وحفيرٍ فما أحبَّ حفيراً(٥)
وإذا ما مررتُما بمعانٍ فاقْلاً به النُّواءَ وسيرا(٦)
إنَّما قصرُنا إذا حسَّر السيـ ـرُ بعيراً أن نستجدَّ بعيرا(٧)

ومن تحييره(٨) ماء الشباب قولُه:

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمْسٍ كواعبٍ أتْراب
ثم قالوا تحبُّها قلتُ بهْراً عدد القطْر والحصى والترابِ(٩)

---

(١) المكاكي: جمع مكاء، وهو طير يشبه القبَّرة إلاّ أنَّ في جناحيه بلقاً، وهو حسن الصوت في تغريده.
(٢) الغَرْب: الدّلو العظيم. (٣) أتوقّى: أجتنب، وأعمد: أقصد إليه.
(٤) نغمُّ الطيْر: لعلّه يريد نحزنها بالسبق، أو نبهرها ونغلبها، من قولهم: غمَّ القمر النجوم، إذا بهرها وكاد يستر ضوْءها، والتخبّر: السؤال عن الخبر.
(٥) بُصري: بلد بالشام، وحفير: نهر بالأردنّ ببلاد الشام. (٦) مُعان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. (٧) قَصْرنا: قصارانا وغايتنا، وحسَّر السَّير بعيراً: أجهده وأعياه.
(٨) التحيير: لزوم المكان وعدم المغادرة، وتحيّر ماء الشباب في خدّيها أي بقي ولزم مكانه لم يبرحه.
(٩) بَهْراً: أي أحبّها حبّاً بهرني بهراً أي غلبني غلبة، وقيل: معناه عجباً، وكثيراً.

وهـي مكنونـةٌ تحيُر منهـا في أديم الخدّيْنِ ماءِ الشبابِ

ومن تقويله وتسْهيله قولُه:

قالتْ على رقْبةٍ يوماً لجارتها ما تأمُرينَ فإنَّ القلبَ قد تُبلا(١)
وهل لي اليومَ مِنْ أختٍ مُواخيةٍ منكنَّ أشْكُو إليها بعض ما فعلا
فراجعتْها حصانٌ غير فاحشةٍ برجْعِ قولٍ ولُبٌ لم يكن خطلا(٢)
لا تذكُري حُبَّه حتى أراجعه إنّي سأكْفيكه إنْ لم أمُتْ عجلا
فاقنَيْ حياءك في ستْرٍ وفي كرمٍ فلستِ أوّلَ أنثى عُلّقتْ رجُلا(٣)

وأما ما قاس فيه الهوى فقولُه:

وقرّبْنَ أسباب الهوى لمتيّم يقيسُ ذراعاً كلما قِسْنَ إصبعا

ومن عصيانه وإخلاله قولُه:

وأنْصُّ المطيُّ يثْبعْنَ بالرُكْـ ـبِ سراعاً نواعمَ الأظعانِ(٤)
فنصيدُ الغرير من بقر الوحـ ـشِ ونلْهُو بلذة الفتْيانِ(٥)
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضجيعي غير شكٍّ عرفتَ لي عصياني
وتقلّبتِ في الفراش ولا تدْ رينَ إلا الظُّنونَ أين مكاني

ومن محالفته بسمعه وطرفه قولُه:

سمْعي وطرْفي حليفاها على جسدي فكيف أصْبرُ عن سمْعي وعن بصري
لو طاوعاني على ألا أكلّمها إذاً لقضّيْتُ من أوْطارها وطري

ومن إبرامه نعتَ الرسلِ قولُه:

فبعثتُ كاتمةَ الحديـ ـثِ رفيقةً بجوابها
وحْشيّةً إنسيّةً خرُاجةً من بابها
فرقتْ فسُهلتِ المعا رضِ من سبيل نقابها

ومن تحذيره قولُه:

---

(١) الرقبة: الحذر والتحفّظ، والمتبول: مَنْ أسقمه الهوى، وغلب الحبّ على أمره.
(٢) حَصَان: عفيفة، والخَطِل: الفاسد المضطرب. (٣) اقني حياءك: لا تفرّطي فيه.
(٤) أنصّ المطيّ: استحثها حثّاً شديداً. (٥) الغرير هنا: الغافل.

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حذَرَكْ
وقُولي في ملاطفةٍ لزينبَ نولّي عُمرَكْ
فإنْ داويتِ ذا سقمٍ فأخزى اللهُ مَنْ كفرَكْ
فهزّتْ رأسها عجباً وقالتْ مَنْ بذا أمرَكْ
أهذا سِحْرُك النِّسْوا ن، قد خبَّرْنَني خبرَكْ
وقلْنَ إذا قضى وطراً وأدْرك حاجةً هجرَكْ

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قولُه:

شكوتُ إليها الحبَّ أعْلِنُ بعضه وأخفيتُ منه في الفؤاد غليلا

ومما بطن به وأظهر قولُه:

حُبُّكم يا آل ليْلى قاتلي ظهر الحبُّ بجسمي وبطنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكُم غير أنْ أقْتُلَ نفسي أو أجَنْ

ومما ألحَّ فيه وأسفَّ قولُه:

ليت حظّي كطرْفة العين منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهنَّا
أو حديثٌ على خلاءٍ يُسلّي ما يُجِنُّ الفؤادُ منها ومنَّا
كبُرَتْ ربِّ نعمةٌ منك يوماً أنْ أراها قبل الممات ومنَّا

ومن إنكاحه النومَ قولُه:

حتّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامُه ونظرتُ غفْلة كاشحٍ أن يعْقلا
واستنكح النومُ الذين نخافُهم وسقى الكرى بوُابهُمْ فاستثْقلا(١)
خرجتْ تأطّرُ في الثياب كأنّها أيْمٌ يسيب على كثيبٍ أهْيَلا(٢)

ومن جنْيه الحديث قولُه:

وجوارٍ مساعفاتٍ على اللّهْـ ـو مُسِرّاتٍ باطن الأضْغانِ
صُيُّدٍ للرجال يرْشُقْن بالطّرْ ف حِسانٍ كخُذْل الغِزْلان(٣)
قد دعاني وقد دعاهُنَّ للّهـ ـوِ شُجُونٌ مُهمّةُ الأشجانِ(٤)

---

(١) يقال: أثقله النوم فهو مستثقَل.

(٢) تأطّر: أصله تتأطّر، بمعنى تتثنى، والأيم: الأفعى، ويسيب: يمشي، والكثيب الأهْيل: الرمل المنهال.

(٣) الخُذْل: جمع خاذل، وهي الظبية تتخلّف عن صواحباتها أو أولادها. (٣) مُهمّة: مثيرة الأشجان.

فـاجـتـنيْنا من الحديث ثمـاراً ... مـا جنى مـثلها لعـمْرُك جـاني

ومن ضـرْبه الحديث ظهره لبطنه قولُه:

في خـلاء مـن الأنيس وأمْـنٍ ... فـبـثـثنا غليلنا واشْتـفـينا
وضربْنا الحديثَ ظهـراً لبطنٍ ... وأتينا مـن أمرنا ما اشْتهيْنا
فـمكثنـا بذاك عـشْـرَ ليـالٍ ... في قـضـاء لِدَيننا واقـتضيْنا

ومن إذلاله صعبَ الحديث قولُه:

فلما أفْضنا في الهوى نستبينهُ ... وعـاد لنا صعبُ الحديث ذلولا
شكوتُ إليها الحبَّ أظْهِرُ بعضه ... وأخفيتُ مـنه في الفـؤاد غليلا

ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قولُه:

فعِدي نائلاً وإن لم تُنيلي ... إنـه ينفع المُحبُّ الرجـاءُ

ومن إعلانه قاتله قولُه:

فـبعـثتُ جـاريتي وقلتُ لها اذهبي ... فـاشْـكـي إليـهـا مـا علمت وسلِّمي
قُولي يقـولُ تحـرُّجي في عـاشقٍ ... كلفـ بكـم حـتّى المـماتِ مُتَـيَّمِ(١)
ويقـول إنّك قـد علمـتِ بأنّكُـمْ ... أصـبـحـتُمْ يا بِشْرُ أوْجَهَ ذي دم(٢)
فُكّي رهينتـه فـإنْ لـم تفعلـي ... فاعْلي على قتْلِ ابنِ عمِّك واسلَمي(٣)
فـتـضـاحكتْ عـجـباً وقـالتْ حقُّه ... ألاّ يُعلِّمـنـا بمـا لـم نعْلَـمَ
علمـي بـه ـ واللـهُ يغْفِـرُ ذنبـه ـ ... فـيـمـا بدا لي، ذو هوىً مُتـقـسِّمِ
طَرِفٌ يُنازعـه إلى الأدنى الهـوى ... ويبُتُّ خُلّـةَ ذي الوصـالِ الأقْـدَمِ(٤)

ومن تنفيضه النومَ قولُه:

فلمّا فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ ... مصابيحُ شُبّتْ بالعشـاء وأنْـورُ(٥)
وغـاب قُمَـيْرٌ كنتُ أرجـو غُيـوبه ... وروّح رُعْـيـانٌ ونـوّم سُـمّـرُ(٦)
ونفَضْتُ عنّي النوم أقبلْتُ مشْيةَ الـ ... ـحُباب وركْني خشْـيةَ القـوم أنْوَرُ

ومن إغلاقه رهْنَ منىً وإهداره قتْلاه قولُه:

---

(١) تحرّجي: كفّي عن الحرج والإثم. (٢) أوْجه ذي دم: أي أحقّ إنسان أخذ منه بدمي.
(٣) اعلّي: ارضي. (٤) الطَّرِف: مَنْ لا يثبت على امرأة ولا صاحب.
(٥) أنْوُر: جمع نار. (٦) روّح من الرواح وهو وقت العشي، ونوّم الرجل تنويماً مبالغة في نام.

فكم من قتيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ومن غلقِ رهْناً إذا لفّه منّى(١)

ومن مالئٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى(٢)

وكان بعد هذا كلّه فصيحاً شاعرا مِقْولاً. (١/١٢٠ - ١٤٥)

(٤)

قال مُصعبٌ الزُّبيريّ: وقد أجْمعَ أهلُ بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا - قولُ عمر بن أبي ربيعة:

تقولُ غداةَ التقينا الرُّبابُ أياذا أفلْتَ أقولَ السِّماكِ

وكفّتْ سوابق من عبْرةٍ كما ارْفضّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاكِ

فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصُّدي ق أعداءه يجْتنبْه كذاكِ

أغرُّك أنّي عصيتُ الملا م فيك وأنّ هوانا هواكِ

وألاّ أرى لذّةً في الحياةِ تقرُّ بها العينُ حتى أراكِ

فكان من الذنب لي عندكم مُكارمتي واتّباعي رضاكِ

فليتَ الذي لامَ في حُبّكم وفي أن تُزاري بقرْنٍ وقاكِ

هُمُومَ الحياة وأسقامُها وإن كان حتْفٌ جهيزٌ فداكِ (١/١٢٤)

(٥)

قال حمّاد: قال أبي: وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة: أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع. (٢/١٧٠)

(٦)

قال أحمد بن إبراهيم: مات ابنُ ميّادة في صدْر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يفِدْ إليه ولا مدحه، لما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم. (٢/٣٤٠)

---

(١) يقال: أباء القاتلَ بالقتيل، إذا قتله به، والمراد هنا: فكم من قتيل يطلّ دمه ولا يؤخذ له بثأر. ويقال: غَلِقِ الرّهن في يد المرتهن يَغْلَق غَلَقا، إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط، يريد: وكم من قلوب أسيرة لا يقدر أصحابها على افتكاكها.

(٢) الدُّمى: جمع دمية وهي الصورة المنقّشة من العاج ونحوه.

(٧)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: رأيتُ علماءنا جميعاً لا يشكُّون في أنّ أحسن ما يُروى في تعظيم السرّ قولُ عمر: ولكنْ سرّي ليس يحْمله مثْلي (٣٧١/٢)

(٨)

قال أبو عبيدة: مروان (بن أبي حفصة) أمدح للملوك (من بشار). (١٤٤/٣)

(٩)

أخبرني جحْظة قال سمعت علي بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أحصي من الرُّواة يقولون: أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول:

ألا انعِمْ صباحا أيُّها الطَّلل البالي

وحيث يقول: قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الإسلام القطاميّ حيث يقول: إنّا مُحيوك فاسلم أيُّها الطَّلَلُ

ومن المحدثين بشّار حيث يقول:

أبى طللٌ بالجزْع أن يتكلّما وماذا عليه لو أجاب مُتيّما

وبالفرع آثارٌ بقين وباللّوى ملاعبُ لا يُعرفْنَ إلا توهُّما(١) (١٤٨/٣)

(١٠)

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال: وقف على بشار بعضُ المُجّانِ وهو يُنْشِدُ شعراً؛ فقال له: استُرْ شعرك هذا كما تستُر عورتك؛ فصفّق بشّارٌ بيديه وغضب وقال له: من أنت ويلك؟ قال: أنا أعزّكَ الله رجل من باهلة(٢)، وأخوالي (من) سلُول(٣)، وأصهاري عُكْل(٤)، واسمي كلبٌ، ومولدي بأضاخ(٥)، ومنزلي بنهر بلال(٦)؛ فضحك بشّارٌ ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عتيقُ لؤمك،

---

(١) الفُرع: قرية بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة، فيها نخل ومياه كثيرة، واللّوى: في الأصل منقطع الرملة، وهو اسم موضع بعينه. (٢) باهلة: قبيلة من قيس عيلان، وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها. (٣) سلول: قبيلة من هوازن وهم بنو مُرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نُسبوا إليها. (٤) عكل: قبيلة فيهم غباوة وقلّة فَهم، ولذلك يقال لكلّ مَنْ فيه غفلة ويستحمق: عكلي. (٥) أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير. (٦) نهر بلال بالبصرة، احتفره بلال بن أبي بروة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل إليها السوق.

قد علم اللهُ أنك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد(١) . (١٥٩/٣)

(١١)

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوفليّ عن عمّه قال: قالت امرأة لبشّار: ما أدري لم يهابُك الناسُ مع قُبح وجهك! فقال لها بشّار: ليس من حُسْنه يُهاب الأسدُ. (١٧٤/٣)

(١٢)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثني أبو الشِّبْل البُرْجُميّ قال: قال رجلٌ لبشّار: إنّ مدائحك عُقبة بنَ سلمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ؛ فقال بشّار: "إنّ عطاياه إيّاي كانت فوق عطاء كلِّ أحدٍ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدتُه:

حرَّم اللهُ أن ترى كابنِ سلْمٍ ... عُقبةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراء
ليس يُعْطيكَ للرَّجاء ولا الخو ... ف ولكن يلذُّ طعْمَ العطاء
يسقطُ الطيرُ حيثُ ينْتثرُ الحبُّ ... وتُغشى منازلُ الكُرماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدحتُ المهديّ وأبا عُبيد الله وزيره - أو قال يعقوب بن داود - وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً، أفألامُ على مدحي هذا!. (١٩٤/٣)

(١٣)

ونسخت من كتابه: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمدُ بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العلويّ قال: قيل لبشّار: إنك لكثيرُ الهجاء! فقال: إني وجدتُ الهجاء المؤلم آخذ بضبُع(٢) الشاعر من المديح الرائع، ومَنْ أرادَ من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعدَّ للفقر وإلا فليُبالغْ في الهجاء ليُخافَ فيُعْطى(٣). (٢٠٧/٣)

---

(١) تقابلنا هذه الظاهرة للمرّة الثالثة، ونراها في عصور مختلفة، وهي إنّ الهجاء يحتاج إلى مادّة جيدة يستخدمها، فإذا عُدمت عدم الهجاء، وهذه الحصون من الحديد هي التي منعت الشاعر من الدخول إلى الهجاء فقد وجدها محكمة قوية. (٢) الضبع: العضد.

(٣) يقابلنا بشّار برأي غريب، ومكمن الغرابة هو إنّ الشاعر يهجو ليُعطى، فهل ينفي بشار سبباً ما للهجاء؟ ونحن نعلم أنّ الهجاء كان يقوم على أسباب شخصية أو قبلية، ولم يكن ليأتي عبثاً، أو بغير سبب. وَفقْهُ كلام بشّار يشير إلى عكس هذا، فهو يدعو إلى أن يتخذ الشاعر الهجاء سلاحاً يشهره بوجه مَنْ يريد بغية أخذ مقدار من المال فيه. وهذا مفهوم لغرض الهجاء، نراه جديداً وغريباً في الوقت عينه.

(١٤)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال: قدم بشار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ، فنهاه عن التشبيب لغيْرةٍ شديدة كانت فيه، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه:

كـأنمـا جـنّتُـه أبشّـرهُ ... ولم أجيء راغباً ومُحتلبا
يُزيِّنُ المنبر الأشمُّ بعطْـ ... ـفيه وأقواله إذا خطبا
تُشمُّ نعْلاه في النَّدى كما ... يُشتمُّ ماءُ الرّيحان منْتهبا(١)

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادةً في كل سنةٍ ونهاه عن التشبيب البتّة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

تجالَلْتُ(٢) عن فِهْرٍ وعن جارتي فـهـر ... وودّعـتُ نُعْمى بالسّـلام وبالبِشْـرِ
وقـالتْ سُليمى فـيكَ عنّا جـلادةٌ ... مـحـلُّكَ دانٍ والزيـارةُ عـن عُفْـرِ(٣)
أخي في الهوى مـالي أراك جـفـوْتنا ... وقـد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ
تثـاقلتُ إلا عن يدٍ أسـتـفـيـدُهـا ... ونَوْرةِ أمْـلاكٍ أشُـدُّ بهـا أزْري
وأخـرجني من وِتْرِ خـمـسين حـجـةً ... فـتىً هاشـميٌّ يقْشعِرُّ مـن الـوِتْرِ
دفنـتُ الهـوى حـيّاً فلسْـتُ بزائرٍ ... سُليْمى ولا صفراء ماقرقر القُمْري(٤)
ومُصْـفـرَّةٍ بالزعـفـران جلـودُهـا ... إذا اجتُلبتْ مثل المُفرطحة الصُّفْرِ(٥)
فـربَّ ثقـال الرِّدفِ هبْـتُ تلـومني ... ولو شـهـدتْ قبري لصلّتْ على قبري
تركـتُ لمهْـديّ الأنـام وصـالهـا ... وراعـيت عـهـداً بيننا ليس بالخَتْرِ(٦)
ولـولا أمـيـرُ المؤمنين مـحـمـدٌ ... لقـبّلتُ فـاها أو لكانَ بهـا فطْري
لعـمْري لقد أوقـرتُ نفسي خطيئـةً ... فـمـا أنا بالمُـزدادِ وِقْـراً على وِقْـرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعْطيه قبل ذلك ولم يزِدْه شيئاً. (٢١٩/٣)

(١٥)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال: بلغ المهديّ قولُ بشّار:

---

(١) المنتهب: المأخوذ المباح لمن شاء. (٢) تجالَلتُ: ترفّعت. (٣) الجلادة: الصلابة والصبر، والعفر: الحين وطول العهد أو قلّة الزيارة. (٤) قَرْقَر: صوّت وردّد صوته.

(٥) يريد بها الدنانير. (٦) الخَتْر: شبيهٌ بالغدر والخديعة، وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه.

قاس الهمومَ تنلْ بها نُجُحا والليلَ إنْ وراءه صُبُحا
لا يُؤيسنَّك من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظه وإن جرحا
عُسر النساء إلى مُياسرةٍ والصعبُ يُمكن بعد ما جمحا

فلمَّا قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، وكان المهديّ غيورا، فغضب وقال: تلك أمُّك يا عاضَ كذا من أمِّه! أتحضُّ الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبَّات! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتين على روحك! فقال بشار في ذلك:

واللـه لولا رضا الخليفة ما أعطيتُ ضيما عليَّ في شجنِ
وربَّما خِرتُ لابن آدمَ في الـ ـكُره وشقَّ الهوى على البدن
فاشربْ على أبنة الزُّمان فما تلقى زمانا صفا من الأبن(١)
اللـه يُعْطيك من فواضله والمرء يغضي عيناً على الكَمَنِ(٢)
قد عشتُ بين الرّيحان والراح والـ ـمِزْهر في ظلِّ مجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلاد ما بين فُغْـ ـفُور(٣) إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبّة: فُغْفُور: ملك الصين.

شِعراً تُصلّي له العواتقُ والـ ـثَّيبُ صلاةَ الغُواة للوثنِ(٤)
ثم نهاني المهدي فانصرفت نفسي صنيع الموفَّق اللَّقِنِ(٥)
فالحمد للـه لا شريك لـه ليس بباقٍ شيء على الزمنِ (٢٤٠/٣)

(١٦)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا العنزي قال: حدّثنا أبو عكرمة قال: حُمَّ الرشيد، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها:

لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا إذا ما ألمتَ أجمعهم
خليفةَ الله أنت ترجحُ بالـ ـناس إذا ما وزِنْت أنت وهُم
قد علم النَّاسُ أنَّ وجهك يسـ ـتغْني إذا ما رآه مُعدِمُهمْ

---

(١) الابن: جمع ابنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر.

(٢) الكمن: جمع كمنة، وهي جرب وحمر تبقى في العين من رمد يساء علاجه.

(٣) فغفور: لقب كلّ مَنْ ملَك الصين، كقيصر للروم وخاقان للترك، وكسرى للفرس.

(٤) العواتق: جمع عاتق وهي الجارية أوّل ما أدركت. (٥) اللَّقِن: سريع الفهم.

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدَ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية، فما زال يُسامره ويحدثُه إلى أن برئ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ.

قال: وحُدِّثتُ أنَّ ابن الأعرابيَّ حدَّث بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لما قلت. قال: ولم؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابيّ - وكان أحدُ الناس -: الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبي العتاهية، لأبي العتاهية تقول: إنَّه ضعيفُ الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضرْبا من السحر، ثم أنشد له:

قطَّعتُ منكَ حبائلَ الآمال ... وحططتُ عن ظهْرِ المطيِّ رحالي
ووجدتُ بردَ اليأس بين جوانحي ... فأرَحْتُ من حلٍّ ومن ترْحال
يأيها البطرُ الذي هو من غدٍ ... في قبره متمزِّقُ الأوْصال
حذف المُنى عنه المُشمِّرُ في الهُدى ... وأرى مُناك طويلة الأذيال
حِيَلُ ابن آدم في الأمور كثيرةٌ ... والموتُ يقْطَعُ حيلةَ المُحتال
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً ... من كلِّ عارفةٍ جرتْ بسؤال
فإذا ابتُليتَ ببذْل وجهك سائلاً ... فابذُلْه للمُتكرِّم المفْضال
وإذا خشيتَ تعذُّراً في بلدةٍ ... فاشدُدْ يديْك بعاجل التَّرحال
واصْبِرْ على غيرِ الزَّمان فإنَّما ... فرجُ الشَّدائد مثلُ حلِّ عقال

ثم قال للرجل: هل تعرف أحداً يُحسنُ أنْ يقول مثل هذا الشعر؟ فقال له الرجل: يا أبا عبد الله، جعلني الله فداك! إني لم أرُدَّ عليك ما قلتَ، ولكنَّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد. فقال: أفليْس الذي يقول في المديح:

وهارونُ ماءُ المُزْن يُشْفى به الصَّدى ... إذا ما الصَّدى بالرِّيق غصَّتْ حناجِرُهْ(١)
وأوْسَطُ بيتٍ في قريش لَبيتُه ... وأوَّلُ عزٍّ في قريش وآخرُهْ
وزحْفٍ له تحكي البروقَ سيوفُه ... وتحكي الرعود القاصفات حوافرُه
إذا حميتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ ... إلى الشَّمس فيه بيْضُه ومغافرُه(٢)
إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بنكْبةٍ ... فهارونُ من بين البريَّة ثائرُه

---

(١) الصَّدى: العطش.

(٢) البَيض: جمع بيضة، وهي الخوذة تصنع من الحديد ليُتَّقى بها في الحرب، والمغافر: جمع مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يُلبس تحت القلنسوة.

ومَنْ ذا يفـــوت الموتَ والموتُ مُدرِكٌ كـــذا لم يَفُتْ هارون ضدٌّ يُنافـــرهْ

قال: فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له: القولُ كما قلتَ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه. (١٣/٤)

(١٧)

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الفلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك: أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُريث صاحبَ المهديّ كان ممدّحا، فمدحه أبو العتاهية، فأمر له بسبعين ألف درهم؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال: كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ! وأيّ شيء مقدارُ شعره! فبلغه ذلك، فأحضر الرجل وقال له: والله إنّ الواحد منكم ليدُور على المعنى فلا يُصيبه، ويتعاطاه فلا يُحسنه، حتى يُشبّب بخمسين بيتاً، ثم يمدحنا ببعضها(١)، وهذا كأنّ المعاني تُجمع له، مدحني فقصّر التشبيب، وقال:

إنّي أمِنْتُ من الزمانِ وريبِه لمّا علقتُ من الأميرِ حبالا
لو يستطيع الناسُ من إجلاله لحفَوْا له حُرَّ الوُجوه نعالا
إنّ المطايا تشتكيك لأنّها قطعتْ إليك سباسباً ورمالا(٢)
فإذا وردْنَ بنا وردن مُخفّةً وإذا رجعْنَ بنا رجعن ثقالا(٣) (٣٨/٤)

(١٨)

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القُرشيّ قال حدّثني المُعلّى بن أيوب قال: دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقْبل على شيخ حسن اللِّحيةِ خضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة(٤)، فقلت للحسن بن أبي سعيد ـ قال: وهو ابن خالة المُعلّى بن أيوب. وكان الحسن كاتب المأمون على العامّة ـ : مَنْ هذا؟ فقال: أما تعرفه؟ فقلت: لو عرفتُه ما سألتُك عنه. فقال: هذا أبو العتاهية. فسمعت المأمونَ يقول له:

---

(١) جعل ابن رشيق في العمدة (١٢٣/٢)، من عيوب النسيب «أن يكثر التغزّل ويقلّ المديح»، وهو يشبه كثيراً ما ذكره عمر بن العلاء، وينظر كذلك الشعر والشعراء لابن قتيبة (٧٦/١) في حديث نصر بن سيّار مع بعض الرُّجّاز الذي مدحه بقصيدة «تشبيبها مائةُ بيت، ومدحها عشرة أبيات»، فطلب منه إن أراد مديحه أن يقتصد في النسيب.

(٢) سباسب: جمع سبسب، وهو الأرض القفر البعيدة. (٣) مُخفّة: قليلة الحمل.

(٤) اللاطئة: قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

أنشدني أحسن ما قلتَ في الموت؛ فأنشده:

أنساكَ محياكَ المماتا ... فطلبْتَ في الدنيا الثُّباتا
أوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ... ـت ترى جماعتها شتاتا
وعَزمتَ منك على الحيا ... ةِ وطولها عزماً بتاتا
يا مَنْ رأى أبويْه فيـ ... ـمنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عبْرةٌ ... أم خِلْتَ أنَّ لك انْفلاتا
ومن الذي طلب التُّفلُـ ... ـتَ من منيَّته ففاتا
كلٌّ تُصبِّحه المنـ ... ـيَّةُ أو تُبيِّتُه بياتا

قال: فلمَّا نهضَ تبِعتُه فقبضت عليه في الصُّحْن أو في الدِّهْليز، فكتبتها عنه. (٥٢/٤)

(١٩)

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتليّ الورَّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية: أنَّ الرشيد لمَّا أطلق أباه من الحبْس، لزم بيته وقطع الناس؛ فذكره الرشيد فعُرِّفَ خبره، فقال: قولوا له: صِرْتَ زيرَ نساء وَحِلْسَ بيْت(١)؛ فكتب إليه أبو العتاهية:

برمْتُ بالنَّاسِ وأخلاقهم ... فصِرْتُ أستأنِسُ بالوَحْدَهْ
ما أكثر النَّاس لعمري وما ... أقلَّهم في مُنْتهى العِدَّهْ

ثم قال: لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له(٢)، فقرن هذين البيتين بأربعةِ أبيات مدحه فيها، وهي:

عاد لي ذِكْرها نصبُ ... فدموعُ العين تنسكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحبُه ... يعْتريه الهمُّ والوصبُ
خيرُ مَنْ يُرْجى ومَنْ يهبُ ... ملكٌ دانتْ له العربُ
وحقيقٌ أنْ يُدان له ... مَنْ أبوه للنَّبيِّ أبُ (١٠٥/٤)

---

(١) حِلْس بيت: ملازمه لا يبرحه، وهو ممَّا يذمّ به الرَّجل.

(٢) كأنَّ المدح أصبح جزءاً أساسياً في القصائد التي تُقدَّم للخلفاء، ويبدو أنَّ الشعراء هم الذين استنُّوا هذه السُّنَّة كي تُقبل أشعارهم، وتُنْشَد بين أيدي الخلفاء.

(٢٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفْوان الجُمَحيّ قال: حملتُ دِيْنا بعسْكر المهديّ، فركب المهديّ بين أبي عُبَيْد الله وعمر بن بزيع، وأنا وراءه في موْكبه على برذَوْنٍ قطُوف(١)؛ فقال: ما أنْسبُ بيتٍ قالتْه العرب؟ فقال له أبو عبيد الله: قولُ امرئ القيس:

وما ذرفَتْ عيْناكِ إلا لتضْربي بسهْميْكِ في أعشارِ قلبٍ مُقتّلِ

فقال: هذا أعرابيٌّ قُحٌّ. فقال عمر بن يزيع: قولُ كُثيِّر يا أمير المؤمنين:

أريدُ لأنْسى ذكرها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيل

فقال: ما هذا بشيء، وماله يُريد أن ينْسى ذكْرها حتى تمثّلَ له! فقلتُ: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! قال: الحق بي. قلت: لا لحاقَ بيّ، ليس ذلك في دابّتي. قال: احْملُوه على دابّة. قلتُ: هذا أوّلُ الفتْح: فحُملْتُ على دابة، فلحقتُ. فقال: ماعندك؟ فقلتُ: قولُ الأحْوص:

إذا قلتُ إنّي مُشْتفٍ بلقائها فُحمّ التلاقي بيننا زادني سُقْما

فقال: أحسن والله! اقْضُوا عنه دينْه؛ فقُضي عنّي دينْي. (٤/٢٦٥)

(٢١)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم، وأخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سلاّم قال: كان لكُثيِّر في النّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقدّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيبْ جميعاً، ولكُثيِّرٍ من فنون الشّعر ما ليس لجميل. وكان كُثيِّر راويةَ جميل، وكان جميلٌ صادقَ الصُّبابة والعشق، ولم يكن كُثيِّر بعاشق، وكان يتقوّل. قال: وكان الناس يستحسنون بيت كُثيِّر في النّسيب:

أريد لأنْسى ذِكْرها فكأنّما تمثّلُ لي ليلى بكلّ سبيل

قال: وقد رأيتُ مَنْ يُفضّل عليه بيت جميل:

خليليّ فيما عِشْتُما هي رأيتُما قتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قبلي (٤/٢٦٦)

(٢٢)

وروى هذا الخبر عن الزُّبير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه، قال: ثم خرج (ابن هرمة) من

---

(١) القطوف: الدّابة التي تبطئ في سيرها.

عندهم، فأتى عبد الله بن حسن فقال: إنّي قد مدحتُك فاستمعْ منّي. قال: لا حاجة لي بذلك، أنا أعطيك ما تُريد ولا أسمع. قال: إذا أسقُط ويكسُد سُوقي(١). فسمع منه وأمر له بمائتي دينار؛ فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال: قد جئتك بما تُنفقه كيف شئت. ولم يزل مقيماً عنده حتى نفدتْ. (٣٨٩/٤)

(٢٣)

أخبرنا يحيى بن علي إجازة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد: أنّ ابنَ هرْمةَ قال يمدح أبا الحكم المُطّلب بن عبد الله:

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كنفْنني ... وأوْرثْنني بُؤسي ذكرتُ أبا الحكمْ
سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... همُ المُصْطفَوْنَ والمُصفُّونَ بالكرمْ

فلاموه وقالوا: أتمدح غلاماً حديث السنّ بمثل هذا! قال نعم. وكانت له ابنةٌ يُلقّبها «عُيينة» - وقال الزبير: كان يلقّبها «عينة» - فقال:

كانتْ عُيينَةُ فينا وهي عاطلةٌ ... بين الجواري فحلاّها أبو الحكم
فمنْ لحانا على حُسْنِ المقالِ له ... كان المُليمَ وكنّا نحن لم نُلِم(٢) (٣٩٤/٤)

(٢٤)

أخبرني أبو الطيّب بن الوشاء قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزْديّ: لو حلفَ حالفٌ أنّ أحسنَ أبياتٍ قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قولُ الصمّة القُشيريّ ما حنث:

حننت إلى ريّا ونفسُك باعدتْ ... مزارك من ريّا وشعْباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزع أنْ داعي الصبابة أسْمعا
بكتْ عينيَ اليُمنى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحلم أسْبلتا معا
وأذكر أيّامَ الحِمى ثم أنثني ... على كبدي من خشيةِ أن تصدّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى برواجع ... عليك ولكن خلّ عينيكَ تدْمعا (٥/٦)

---

(١) من تقاليد قصيدة المدح أن يسمعها الممدوح بنفسه، فإذا امتنع كان هذا سبباً في اضطراب مكانة الشاعر عموماً، لا في قصيدة المديح وحدها. ولذلك نرى حرص ابن هرمة على أن يستمع إليه عبد الله بن حسن، وقد أشرنا إلى شيء قريب من هذا في القضية السابقة.

(٢) لم نلم: لم نأت ما نلام عليه.

(٢٥)

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدّه عن حمّاد الراوية قال: دخلت على المهديّ فقال: أنشدني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر، ولك عشرة آلاف درهم وخلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف؛ فأنشدتُه قول الأخطل:

ترى الزُّجاجَ ولم يُطْمَثْ يُطيفُ بـه ... كأنه من دم الأجواف مُخْتَضَبُ(١)
حتى إذا افتضَّ ماءُ المُزن عُذرتها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
تنْزو إذا شجّها بالماء مازُجها ... نزْوَ الجنادبَ في رمْضاءَ تلتهب(٢)
راحوا وهم يحسبون الأرض في فَلَك ... إن صرَّعوا وقتَ الراحاتُ والرُّكب

فقال لي: أحسنتَ وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذتُه. (٨٧/٦)

(٢٦)

أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدّثني به وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ـ وخبره أتم ـ قال: قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ـ وكان بخيلا لا يحبُّ أن يُعطي أحداً شيئاً ـ ما بالُ الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني!. فبلغ ذلك ابنَ هرْمة، وكان قد مدحه فلم يُثبه، فقال يعرّض به ويمدح عبد الواحد بنَ سليمان:

ومُعْجب بمديح الشِّعر يمنعه ... من المديح ثوابُ المدح والشُّفَقُ
يا أبي المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره ... نو نيقة في حواشي شعره أنق(٣)
إنك والمدح كالعذراء يُعجبها ... مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرق
لكنْ بمدْين من مُفْضَى سويمرةٍ ... من لا يُذمّ ولا يُشْنا له خُلُق(٤)
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صدقوا

---

(١) الطمث: المسّ، يريد أنّه لم يفرّع ولم يمسسه إنسان.

(٢) تنزو: تشب وذلك إذا مُزجَتْ. وشجّها: مزجها، والجنادب: ضرب من الجراد. والرمضاء: الأرض الحارة الحامية من شدّة حرّ الشمس.

(٣) التحبير: التجويد، النيقة: اسم من التنوق. يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره، إذا تجوّد وبالغ، والأنق: الروعة والحسن.

(٤) مدين: مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام على ستّ مراحل، وسويمرة: موضع في نواحي المدينة.

- يعني عبد الواحد بن سليمان -

لا يستقرُّ ولا تخفى علامته ... إذا القنا شال في أطرافها الحرق(١)
في يوم لا مال عند المرء ينفعه ... إلا السِّنانُ وإلا الرمح والدُّرق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم ... بالسيف ثم يُدانيهم فيعتنق
يكاد بابُك من جودٍ ومن كرم ... من دون بوابه للناس ينْدلقُ
أنِّي لأطوي رجالاً أن أزورَهمُ ... وفيهمُ عكر الأنعام والورقُ(٢)
طيُّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ ... فيها المعاوز في التفتيش والخرق(٣)
وأترك الثوبَ يوماً وهو نو سعة ... وألبسُ الثوب وهو الضيِّق الخلق
إكرامَ نفسي وأنِّي لا يوافقني ... ولو ظمئتُ فحُمتُ المشْربُ الرَّنق(٤)

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان - وهو إذا ذاك أميرُ الحجاز - فأمر له بثلثمائة دينار وخِلعةٍ موشيّة من ثيابه، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقْحة ومائةَ شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر، فأخبره به؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسنةٍ، وقال له: هذا لك عليَّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا، واقتطعه لنفسه وأنس به، وقال له: لستُ بمحوجك إلى غيري أبداً. فلما عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدّى للوالي مكانه وامتدحه. ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه، حتى تحمّل عليه(٥) بعبد الله بن الحسن (بن الحسن)، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه. (١٠٢/٦)

(٢٧)

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال: قلت لابن هرمة: أتمدحُ عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به غيره فتقول فيه هذا البيت:

وجدنا غالباً كانت جناحا ... وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

---

(١) شال: ارتفع، والحَرَق: لهب النار. (٢) العُكَر: جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل، قيل: هي فوق خمسمائة من الإبل. والورق: المال من الإبل والغنم.

(٣) المعاوز: خلقان الثياب المبتذلة، واحدها معوز. (٤) الرَّنق: الكدر.

(٥) تحمّل عليه: تشفّع به إليه.

ثم تقول فيها:

أعبد الواحد الميمون إني أغصُّ حذارَ سخطك بالقراح

فبأي شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتني أزمة بالمدينة، فاستنهضتْني بنتُ عمّي للخروج؛ فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يُقلّ جناحي؛ فقالت: أنا أنهضك بما أمكنني، وكان عندي نابٌ(١) لي فنهضتُ عليها نُهجُد النوام ونؤذي السُّمار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دفعتُ إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمتُ فدنوت منه وسلّمت عليه؛ فقال لي: أبو إسحاق! أهلا ومرحباً؛ فقلت لبيك، بأبي أنت وأمي! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه؛ فقال: أما آن لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق، فما وراءك؟ قلت: لا تسلني - بأبي أنت وأمي - فإن الدهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرك؛ فقال: لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحب إن شاء الله. فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتْية قد خرجوا كأنهم الأشْطان(٢)، فسلّموا عليه، فاستدنى الأكبرَ منهم فهمسَ إليه بشيء دوني ودون أخويه؛ فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط(٣) يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: ادْنُ يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصرِ إلينا حتى تفاقَم صدْعُك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا؛ ودفع إليّ ألفَ دينار، وقال لي: قُمْ فارحل فأغِثْ مَنْ وراءك؛ فقمت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضقتُ؛ فقال لي: تعال، ما أرى هذه مُبلغتك، يا غلامُ، قدِّم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سروراً مني بكل ما نلْته؛ فهل تلومني أن أغصَّ حذار سخط هذا بالقراح؛ ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً. (١٠٧/٦)

(٢٨)

والوليد أشعار جيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها - وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه - قوله في صفة الخمر - أنشدنيه الحسن بن علي قال

---

(١) الناب: الناقة المُسنّة.

(٢) الأشطان: جمع شَطَن، وهو الحبل، وقيل الحبل الطويل. (٣) ضابط: قويٌّ شديد.

أنشدني الحسين بن فهْم قال أنشدني عمر بن شبّة قال أنشدني أبو غسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسّان يكاد يرقص إذا أنشدها:

اصدعْ نجيَّ الهموم بالطربِ ... وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبلِ العيشَ في غضارته ... لا تقْفُ منه آثار معتقبِ
من قهوة زانها تقادُمها ... فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشُرْب يوم جلوْتها ... من الفتاة الكريمة النُسب
فقد تجلّت ورقّ جوهرها ... حتى تبدّت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر ... وهي لدى المزج سائلُ الذهب
كأنها في زجاجها قبسٌ ... تذكو ضياءً في عين مرتقب
في فتيةٍ من بني أميَّة أهـ ... ـلِ المجد والمأثُرات والحسب
ما في الورى مثلُهم ولا فيهم ... مثلي ولا مُنْتَمٍ لمثل أبي (١٨/٧)

(٢٩)

لقد هجرتْ سُعْدى وطالَ صدودُها ... وعاود عيْني دمْعُها وسهودُها
وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدى بأرضها ... أرى الأرض تُطْوى لي ويدنو بعيدها
منْعمةٌ لم تلْقَ بؤسَ معيشةٍ ... هي الخلْد في الدنيا لمن يستفيدُها
هي الخلدُ ما دامتْ لأهلكِ جارةً ... وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

وهذه الأبياتُ من قصيدة لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غزله ومختاره. (٨٧/٧)

(٣٠)

ولحسين بن الضُحاك في محمد الأمين مراثٍ كثيرةٌ جياد، وكان كثير التحقّق به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه وميْله إليه وتقديمه إيّاه. وبلغ من جزعه عليه أنّه خُولط؛ فكان يُنكر قتله لمّا بلغه ويدفعه ويقول: إنه مُستتر وإنه قد وقف على تفرُّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنّاً به وشفقةً عليه. ومن جيّد مراثيه إياه قولُه:

سألونا أن كيف نحن فقلنا ... منْ هوى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قوم أصابنا حدثُ الدهـ ... ـر فظلْنا لريْبه نستكين
نتمنّى من الأمين إيّاباً ... لهْفَ نفسي وأين منّي الأمين

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه:

أعزُّي يا محمّد عنك نفسي معاذَ الله والأيدي الجسام
فهلاّ مات قوم لم يموتوا ودُوفع عنك لي يوم الحمام
كأنَّ الموتَ صادف منك غُنْما أو استشفى بُقربك من سقام (١٥٠/٧)

(٣١)

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلْحة قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال سمعت مهْديّ بن سابق يقول: التقى أبو نواس وحسين بن الضُّحّاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر(أهل) زمانك في الغزل؛ قال: وفي أيّ ذلك؟ قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال: لا؛ قال: في قولك:

وابأبي مُقْحم لعزّته قلت له إذ خلوتُ مكتتما
نحبُّ بالله من يخُصك بالو دِّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتي خجلٍ أراد رجعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغي بحيلته بُرءاً من السُّقْم فابتدا سقما (١٧٤/٧)

فقال الحسين: ويحك يا أبا نوّاس! فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتّة؛ قال: لا والله، وبك فضلتك وفضلتُ الناس جميعاً.

(٣٢)

أخبرني عليّ قال حدّثني محمد بن الفضْل الأهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العباس الرومي يقول: حسين بن الضّحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مستعيرَ سوالف الخِشْف اسمعْ لحلْفة صادقِ الحلْف(١)
إنْ لم أصِحْ ليلي: ويا خَرَبي من وجنتيك وفُتْرة الطَّرْف
فجَحدتُ ربِّي فضل نعمته وعبدتُه أبداً على حَرْف (١٧٥/٧)

(٣٣)

قال محمد بن سلاّم: ورأيت أعرابياً من بني أسد أعجبني ظرْفُه وروايته، فقلت له: أيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلِّها غلب جرير، قال في الفخر:

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلَّهُم غضابا

---

(١) السوالف: مفردها سالفة، وهو جانب العنق، والخشف: وَلَدَ الظبية أوّل ما يولد.

والمديح: ألستم خير مَنْ ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ
والهجاء: فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُميرٍ فلا كعْباً بلغتَ ولا كلابا
والنَّسيب: إنَّ العيون التي في طرْفها حورٌ قتلننا ثم لم يُحيْين قتْلانا

قال أبو عبد الله محمد بن سلاَّم: وبيتُ النَّسيب عندي:

فلما التقى الحيَّانِ أُلقيتِ العصا ومات الهوى لما أصيبتْ مقاتلُهْ (٦/٨)

(٣٤)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعتِّب(١). فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رِدِ الماءَ ما جاءتْ بصفْوٍ ذنائبُهْ ودعْهُ إذا خيضتْ بطرْقٍ مشاربُهْ(٢)
أعاتبُ مَنْ يحلو لديَّ عتابُه وأترك مَنْ لا أشتهي وأجانبُهْ
ومن لذَّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً عناقُك مظلوماً وأنت تُعاتبُهْ

فقال: أحْسنَ والله! أعِدْها عليَّ: فأعدتُها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرم. (١٤٦/٨)

(٣٥)

وكان أبو دُلفَ جواداً ممدَّحاً، وفيه يقول عليّ بن جبلة:

إنَّما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين مغْزاهُ ومُحْتضرهْ
وإذا ولَّى أبو دُلفٍ ولَّتِ الدَّنيا على أثرهْ

وهي من جيِّد شعره وحسن مدائحه. وفيها يقول:

ذادَ وِرْد الغيِّ عن صدرهْ وارعوى واللَّهْو من وطرهْ(٣)
ندمي أنَّ الشَّباب مضى لم أُبلِّغْهُ مدى أشرهْ(٤)
حسرتْ عنِّي بشاشتُه وذوى المحمودُ من ثمرهْ

---

(١) متعتِّب: مُتَجنٍّ.

(٢) الذنائب: جمع ذنوب وهي الدلو العظيمة. والطرق: أن تبول الإبل في الماء وتبعر فتكدره، ويقال للماء الذي خوَّضته الإبل فبالت فيه وبعرت: مطروق وطارق.

(٣) ذاد: ردَّ، ووِرْد الغيِّ: الانغماس في البطالة، وارعوى: أقصر وكفَّ، ووطره: حاجته. (٤) الأشر: الحدَّة.

ودمٍ أهْدرتُ من رشـــأٍ لم يُرِدْ عـــقْلاً على هدرِهْ(١)
فـــأتتْ دون الصِّبـــا هنةٌ قلبتْ فُوقـــي على وتـــرِهْ(٢)
دعْ جدا قحْطانَ أو مُضَرٍ في يمـانيهِ وفـي مُضَـرِهْ(٣)
وامْتـــدحْ من وائلٍ رجـــلاً عُصُرُ الآفـاق من عُصُرِهْ(٤)
المنايا في مَقـــــانيه والعطايا في ذرا حُجُرِهْ(٥)
مـــلكٌ تنـــدى أنامِـــلُـــه كـانبـلاح النَّوْء عن مطرِهْ(٦)
مســـتهلٌّ عـن مـواهـبـه كابتسام الرَّوْض عن زهَرِهْ
جـــبلٌ عـــزَّتْ مناكـبُه أمِنتْ عـــدنانُ في نفـرِهْ(٧)
إنَّمـــا الدُّنيـــا أبـو دُلَـــفٍ بين مـــغْزاهُ ومُحـتـضَـــرِهْ
فـــــإذا ولَّى أبو دُلَـــفٍ ولَّتِ الدنيـــــا على أثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عربٍ بيـــن باديـــه إلى حَضَـــره
مستـعيرٌ مـــنه مكرمـةً يكتسيـهـا يوم مفتخره (٢٥٤/٨)

(٣٦)

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدحك، فتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول فيَّ بعد قول ابن النَّصْرانية في بني أميَّة(٨):

شَمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهـم وأعظـمُ الناس أحـلاماً إذا قـدروا (٣٠١/٨)

(٣٧)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: ... ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيّر(٩). (٥/٩)

---

(١) الرشأ: الجارية، والعقل: الدية. (٢) الهنة: الشدّة، والفوق: موضع الوتر من السّهم. (٣) الجَدا: العطاء.
(٤) العُصُر: الملجأ. (٥) المقانب: جماعات الخيل، والذرا: الفنا والساحة. (٦) النَّوء: نجوم تظهر قبل المطر.
(٧) مناكبه: جوانبه. (٨) كانَ الأخطل في رأي أبي العبّاس قد بلغ الغاية في المدح، فليس هناك زيادة لمستزيد. (٩) ذكرنا فيما سبق أنّ مثل هذه الأحكام تعبّر عن وجهة نظر شخصية، فقد رأينا تفضيل الأخطل في المديح على غيره من الشعراء، وهنا نرى تفضيلاً لكثيّر في المديح أيضاً، ولعلّ صاحب الحكم يرى جوانب في قصيدة المديح عند شاعر ما لم يرها غيره من الناس.

(٣٨)

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلاّم قال: وسمعت ابن أبي حفْصة يُعْجبه مذهب كثيِّر في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطلٌ وعُجْب. (٦/٩)

(٣٩)

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشّماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمُنُّ عليه بقِراه. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرْجز الناس على البديهة. (١٦١/٩)

(٤٠)

إنَّ التي عاطيتها فرددتُها قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتها لم تُقْتلِ(١)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ(٢)

الشعر لحسّان بن ثابت. وهذه الأبيات من قصيدة حسّان المشهورة التي يمدح بها بني جَفْنة، وأوّلها: أسألت رسم الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المديح، منها قوله:

أولادُ جفْنةَ عند قبر أبيهُمُ قبر ابن ماريةَ الكريم المُفضِلِ
يَسْقونَ مَنْ ورد البريص عليهمُ بردى يُصفّق بالرّحيق السّلْسلِ(٣)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ
يُغْشَون حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يسألون عن السّواد المُقْبلِ (٢٨٨/٩)

(٤١)

وقال عبد الله بن مُسْلم: وممّا ينْفرد به (عدي بن الرقاع) ويقدّم فيه وصفُ المطيّة: فإنه كان من أوصف الشعراء لها. (٣١٠/٩)

(٤٢)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصِّمّة:

---

(١) القَتْل هنا مَزْج الخمرة بالماء. (٢) المفصل هنا: اللسان. (٣) البريص: اسم غوطة دمشق.

قليلُ التَّشكّي للمُصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غد (١٠/١٠)

(٤٣)

قال محمد بن داود وحدّثني أحمد بن سعيد بن حسّان قال حدّثني ابن إبراهيم قال سمعت دعبلاً يقول: لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لتركنا في غير شيء. (٤٤/١٠)

(٤٤)

أخبرني الصُّوليّ قال: سمعتُ عُبيدَ الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يُعْلَمُ لقديمٍ ولا لمُحْدثٍ في قِصَرِ الليل أحسن من قول إبراهيم بن العبّاس:

وليلةٍ من اللّيالي الزُّهْرِ قابلتُ فيها بدرها ببدرِ
لم تكن غير شفقٍ وفجر حتى تولّتْ وهي بِكْر الدّهر (٦٠/١٠)

(٤٥)

قال محمد النوفلي: .. ولمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة مدائح.. شريفة ومراثٍ حسنة. (٨٤/١٠)

(٤٦)

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيّهما أشعر، فقال لي: قد سُئلتُ عنهما في أيام المهديّ وعن الأخطل قبل ذلك، فقلتُ فيهم قولا عقدتُه في شعر ليثْبُتَ(١). فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدقُ بالهجاء وإنّما حلْوُ القريض ومُرُّه لجريرِ
ولقد هجا فأمضّ أخطلُ تغلبٍ وحوى النُّهى ببيانه المشهورِ
كلُّ الثلاثة قد أجادَ فمدحُه وهجاؤه قد سار كلُّ مسيرِ
ولقد جريْتُ فقُتُّ غير مُهلّلٍ بجراء لا قرفٍ ولا مبهورِ(٢)
إنّي لآنفُ أن أحبِّر مِدْحةً أبداً لغيرِ خليفةٍ ووزير

---

(١) مايزال كثير من الشعراء والعلماء في العصر العباسي يؤمنون أنّ الشعر أكثر قدرة على البقاء من النثر. ونرى مروان بي أبي حفصة يشير إلى هذا، وقد وقفنا في القضية السابقة عند هذا الأمر طويلاً.

(٢) هلّل الرجل: جبن وفرّ، والقرف: الشديدة الحمرة، ولعلّه يعني به الهجين.

ما ضـرَّني حسدُ اللئام ولـم يزلْ ذو الفضل يحسدُه ذوو التقصير(١)

قال: فلم ير أن يقدِّم على نفسه غيرها. وكتبتُ الأبيات عن فيه. (٩٠/١٠)

(٤٧)

... وكان علي بن الجهم ينحو نحو مروان بن أبي حفْصة في هجاء آل أبي طالب وذمِّهم(٢) والإغراء بهم وهجاء الشِّيعة، وهو القائل:

ورافضةٍ تقول بشِعْبِ رضْوى إمامٌ، خاب ذلك من إمامِ(٣)

إمامٌ مَنْ له عشرون ألفا من الأتراك مُشْرعةُ السِّهام (٢٠٥/١٠)

(٤٨)

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا محمد قال قال لي أبو الشِّبْل البُرْجُمِيّ: ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عديِّ بن زيد. (٢٠٨/١٠)

(٤٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهْرويه قال حدَّثني إبراهيم بن المدبِّر قال: كتب

---

(١) هذا لون من ألوان النقد، هو النقد المنظوم. وهو أن يعمد الشاعر إلى حكم نقدي يراه، أو قضية نقدية فيجعلها شعراً، وغالباً ما يولع به الشعراء النقّاد الذين يضمّنون شعرهم تلك الأحكام والقضايا، مثل الفرزدق، وجرير، وأبي تمام، والبحتري، ونشير هنا إلى أنّ اللفتات النقدية التي حواها الشعر كثيرة جداً مثل وصف القصيدة، وكيفية نظمها، ومدى انتشارها، وهذه اللفتات لا يختصّ بها الشعراء النقاد وحدهم. بل نجدها عند الجمهرة الواسعة من الشعراء في عصور متلاحقة.

(٢) فتح مروان بن أبي حفصة باباً في الشعر أملته الظروف السياسية والاجتماعية، وهو تثبيت حقّ العباسيين بالخلافة بوساطة الدين وكان خلال هذا يتعرّض لخصومهم وخاصة من العلويين فيهجوهم، ويسلبهم ما يرون أنّه حقّهم، وكأنّ ذلك النهج قد أعجب شعراء آخرين، فساروا عليه، واقتدوا به، ومنهم عليّ بن الجهم.

(٣) رَضْوى: جبل بالمدينة، منيف ذو شعاب وأودية، وهو الجبل الذي تزعم الكيسانية أنّ محمد بن الحنفية به مقيم حيّ يرزق، وفي ذلك يقول كثيّر:

وسِبْط لا تراه العينُ حتّى يقودَ الخيل يقدُمها اللِّواءُ

تغيّب لا يُرى عنهم زماناً برَضْوى عنده عسلٌ وماءُ

ينظر الأغاني (١٥/٩)، وواضح أنّ علي بن الجهم يرفض هذه الدّعوى، ويهاجم الإمام المستتر، وهو ما ينسجم مع المذهب الذي اختّطه لنفسه، مقتفياً بذلك أثر مروان بن أبي حفصة.

صاحب الخبر إلى المتوكّل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال علي بن الجهْم: قد بلغني أنّ العامل قتله وصانع صاحبَ الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى بالجلساء إلى المتوكّل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدتُه التي أوّلها:

قالتَ حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغْمَدُ

أوما رأيتِ اللَّيْثَ يألَفُ غيله ... كِبْراً وأوباشُ السِّباع تردُّدُ(١)

والشمسُ لولا أنّها محجوبةٌ ... عن ناظريْك لما أضاء الفرْقدُ

والبدرُ يُدْركه السِّرارُ فتنجلي ... أيّامُه وكأنّه مُتجدِّدُ(٢)

والغيثُ يحْصُره الغمامُ فَمَا يُرى ... إلاّ وريِّقُه يروع ويرْعُدُ

والزاعبيّةَ لا يُقيم كُعُوبَها ... إلاّ الثُّقافُ وجذْوةٌ تتوقّدُ(٣)

والنارُ في أحجارها مخبوءةً ... لا تُصْطلى إن لم تُثِرها الأزْنَدُ

والحبس ما لم تَغْشَه لدنيّةٍ ... شنعاءَ نِعْمَ المنزلُ المتورَّدُ(٤)

بيتٌ يجدِّدُ للكريم كرامةً ... ويُزار فيه ولا يزور ويُحْمَدُ

لو لم يكن في الحبس إلاّ أنّه ... لا يستذلُّك بالحجاب الأعْبُدُ

كم من عليل قد تخطّاه الرَّدى ... فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ إنّما ... تُدْعى لكلِّ عظيمة يا أحمدُ

أبْلِغْ أميرَ المؤمنين فدونَه ... خَوْضُ الرَّدى ومخاوفٌ لا تنْفَدُ

أنتم بنو عمِّ النبيِّ محمدٍ ... أولى بما شرع النبيُّ محمَّدُ

ما كان من كرمٍ فأنتم أهلُه ... كرُمَتْ مفارسُكم وطاب المَحْتِدُ

أمِنَ السُّوَيْقةِ يابنَ عمِّ محمدٍ ... خَصْمٌ تُقرِّبُه وأخرُ تُبْعِدُ

إنّ الذين سعَوْا إليك بباطل ... حُسَّادُ نعمتك التي لا تُجْحَدُ

شهِدوا وغِبْنا عنهُم فتحكّموا ... فينا وليس كغائب مَنْ يشْهدُ

لو يجمع الخُصماءَ عندك مجلسٌ ... يوماً لبان لك الطريقُ الأقْصدُ

---

(١) غيله: عرينه، ومكان إقامته. (٢) السِّرار: آخر أيام الشهر.

(٣) الزّاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له: زاعب، كان يعمل الأسنّة، والثُّقاف: آلة من خشب تسوّى بها الرماح.

(٤) المتورَّد: الذي يورد ويزار مثل المورود.

فبأيِّ جُـرْمٍ أصْبَحَـتْ أعراضُـنا نَهْباً تقسِـمُها اللئيـمُ الأوْغَـدُ (٢١٣/١٠)

(٥٠)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: لمّا مات أبو العبّاس السفّاح وولي المنصورُ، دخل عليه أبو دُلامة، فقال له أبو جعفر: ألستَ القائلَ لأبي العبّاس:

وكنّا بالخليفة قد عقدْنا لواءَ الأمـر فانتقض اللواءُ
فنحن رعيّةٌ هلكتْ ضياعاً تسُوق بنا إلى الفتن الرِّعاءُ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبتَ والله! أفلستَ القائل:

هلك النَّدى إذ بنتَ يابن محمد فجعلته لك في التراب عديلا(١)
ولقد سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقد حلفْتُ على يمينٍ بـرَّةٍ بالله مـا أعطيتُ بعـدك سُولا

فقال أبو دُلامة: إنَّ أخاك صلّى الله عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزَّني بإحسانه إليّ وجزعي عليه، فقلت مالم أتأمّله، وإني أرغب في الثمن فاستَقْرَه السِّلْعة حيّاً وميِّتا. فإن أعْطيْتَ ما أعطى، أخذت ما أخذ. فأمر به فحُبس ثلاثا ثم خلّى سبيله ودعاه إليه فوصله، ثم عاد له إلى ما كان عليه. (٢٤٢/١٠)

(٥١)

وقال ابن النّطاح: دخل أبو دُلامةَ على المهديّ وعنده شاعرٌ يُنْشده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جهد نفسه لك فاجْهَدْ نفسك له(٢). فقال المهديّ: وأبيك إنها لكلمةٌ عذْراءُ منك، أحسبك تعرفه! قال: لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلاّ حقّاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دُلامة بمثلها لحسن محْضرِه. (٢٦٤/١٠)

(٥٢)

إنّي أرِقْتُ ولم يأرق معي صاحِ مُسْتكِفٌ بُعَيْد النوم لـوّاحِ(٣)

---

(١) بِنْتَ: بَعُدت وفارقت. (٢) جهد نفسه: أراد إنّه قال مديحاً أتعب نفسه فيه، فجاء جيّداً حسناً، وأجهد نفسك له: أي أعطه عطاءً جيداً يتناسب مع جودة شعره فيك.

(٣) مُستكفّ: مستدير، وكلُّ طُرّة كِفّة، ولوّاح: من قولهم لاح يلوح إذا ظهر.

دانٍ مُسِفٌّ فويق الأرضِ هيْدبُه يكاد يدفعه مَنْ قام بالرَّاحِ(١)

...(قال أبو الفرج)... وهو أحسن ما وُصِفَ به السحاب (٦٨/١١)

(٥٣)

...(قال أبو الفرج)...: ومن فاضل مراثي أوس بن حجر ونادرها في فضالة بن كلدة قوله:

أيَّتُها النفسُ أجملي جزعاً إنَّ الذي تكْرهين قد وقعا
إنَّ الذي جمَّع السماحةَ والـ ـنَّجْدةَ والحزم والقُوى جُمَعا
المُخْلِفَ المُتْلِفَ المُرزَّأ لم يُمْتَعْ بضعْفٍ ولم يمُتْ طبعا(٢)
أوْدى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ شيءٍ لمن قد يُحاولُ البدعا(٣)

وهي قصيدة أيضا يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته. وله فيه قصائد غير هذه. (٧٤/١١)

(٥٤)

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعْد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه: أنَّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه: أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منَّا ومن بني أميَّة أفخَرُ؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصْرانية في عبد الملك:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا(٤) (٦٧/١١)

(٥٥)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثنا حُذيفة بن محمد

---

(١) دانٍ: قريب، ومُسِفّ: قد أسفَّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرب منها أو دنا إليها، الهيدب: السحاب المتدلّي الذي يدنو من الأرض ويُرى كأنّه خيوط عند انصبابه، والرّاح: هي راحة اليد أي باطنها، يقول: هذا السحاب يكاد مَنْ قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض.

(٢) المخلف المتلف: يريد أنّه يتلف ماله كرماً، ويخلفه نجدة، والمرزّأ: الذي تناله الرزّيات في ماله لما يُعطى ويُسأل، والإمتاع: الإقامة، يقول: لم يقم وهو ضعيف، والطبع: الدّنس.

(٣) أودى: هلك، والإشاحة: الحذر، يقول: هل ينفع الحذر والخوف شيئاً لمن يحاول دفع الموت.

(٤) رأينا في النصّ السادس والثلاثين أنّ أبا العباس جعل من هذا البيت غاية المدح، ونرى الرشيد هنا يجعله أمدح بيت وأفخره، فكأنّ هذا البيت قد أصبح مثال المدح الذي لا يدانيه مدح، خاصة وأنّ الحكم يصدر عن خليفتين يعرفان مذاهب المديح، وطرق الشّعر.

الكوفيّ قال قال المُفضّل:

إذا ركب الطرمّاحُ الهجاء فكأنّما يُوحى إليه(١)، ثم أنشد له قوله:

لـو حان وِرْدُ تميـم ثـم قيـل لهـا ... حوضُ الرّسولِ عليه الأزدُ لم تردِ
أوْ أنزلَ الله وحـيـاً أنْ يُعـذّبهـا ... إن لـم تعُدْ لقـتـالِ الأزدِ لم تَعُـدِ
لا عزَّ نصرُ امرئٍ أضْحى له فرسٌ ... علـى تميـم يُريد النصرمـن أحـدِ
لو كان يخْفى على الرحمن خـافيةٌ ... مـن خلقـهِ خفيتْ عنه بنـو أسـد (٤٣/١٢)

(٥٦)

... ومدح الشعراء يزيد بن مزيد، فكان أحسنهم مدحاً مُسْلم بن الوليد؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها:

أجْرِرْتُ حبْل خليعٍ في الصِّبا غزل ... وشمّرتْ همـمُ العُذّالِ في عذلي(٢)
هاج البكاءَ على العين الطَّموح هوىً ... مفـرّقٌ بيـن توديـع ومُحْتمل(٣)
كيف السُّلُوُّ لقلْبٍ بات مُخْتبَلاً ... يهْذي بصاحب قلْبٍ غيرِ مُخْتبَلِ(٤)

وفيها يقول:

يفْترُّ عند افترارِ الحرْبِ مبتسماً ... إذا تغيَّرَ وجهُ الفارس البطـلِ(٥)
مُوفٍ على مُهج في يوم ذي رهجٍ ... كـأنّه أجلٌ يسـعى إلى أملِ(٦)
ينالُ بالرِّفق ما يعْيا الرِّجالُ به ... كالموت مُستعجلاً يأتي على مهلِ
لا يرْحلُ النَّاسُ إلاّ نحو حُجرته ... كالبيت يُفْضي إليه ملْتقى السُّبُلِ(٧)
يقْري المنيّة أرواحَ العُداةِ كما ... يقري الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ(٨)

---

(١) يلاحظ مثل هذه العبارات القصيرة التي تتضمّن الأحكام النقدية. فهي قصيرة، تأثيرية، تجمع بكلمات قليلة معانياً كثيرة، وسنرى انتشارها وشيوعها فيما سنستقبل من قضايا.

(٢) أجررت حبل : مهلت له في إرادته غَزَل: نو غزل ومجانة.

(٣) الطموح: المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون، ومفرّق: مقسّم.

(٤) مختبل: مخبول العقل فاسده.

(٥) افترّ فلان ضاحكاً: أبدى أسنانه عند الضحك، وافترار الحرب: تكشيرها عن أنيابها كناية عن شدّتها.

(٦) الرهج: الغبار، يقول: يوفي على المهج بالقتل في يوم قد ثار نقعه من شدّة القتال؛ فهو يعمل عمل الأجل في الأمل. (٧) الحُجرة: الناحية.

(٨) الكوم من النوق: العظام الأسنمة، والبزل: جمع بزول وهو ما بلغ من الإبل تسع سنين.

يكسو السُّيوفَ رُءوس الناكثين به ويجعلُ الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُل(١) (٩٦/١٢)

(٥٧)

... قال يحيى بن علي: ... ومن مختار مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب في قصيدته:

حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فعشّك مأوى بيضها المتفلِّقِ

قوله:

فإلاَّ تُواتِ اليومَ سلمى فربما شربنا بحوض اللهو غيرِ المرنَّقِ(٢)
فدعها فقد أعْذَرْتَ في ذكر وصلها وأجريت فيها شأو غربٍ ومشرقِ(٣)
ولكن لعبد الله فانطقَ بمدحةٍ تُجيرُك من عُسْر الزمانِ المُطبِّقِ
أخ قلت للأدْنين لمَّا مدحتُه هأمُّوا وساري الليل م الآن فاطْرُقِ
شديدُ التأنّي في الأمور مجرّب متى يعْرُ أمرُ القوم يفْرِ ويخلُقِ(٤)
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه كما لألأتْ في السيف جريةُ رونْقِ(٥)
كريم إذا ما شاء عدَّ له أبا له نسبٌ فوق السِّماك المحلَّقِ
وأمُّا لها فضلٌ على كلِّ حرَّة متى ما تسابِق بابنها القوْمَ تسْبق (٢٢٦/١٢)

(٥٨)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه، وأخبرني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبيه عن الأصمعي، قال: لم يقل أحد في تفضيلِ أخٍ على أخيه وهُما لأب وأمٍّ، مثلَ قولِ المغيرةِ بن حبناء لأخيه صخر:

أبوك أبي وأنت أخي ولكنْ تفاضلتِ الطَّبائعُ والظُّروف
وأمُّكَ حين تُنسب أمُّ صدقٍ ولكنَّ ابنها طبع سخيفُ

قال: وكان عبدُ الملك بن مروان إذا نظر إلى أخيه معاوية ـ وكان ضعيفاً يتمثَّل بهذين البيتين. (١٠٠/١٣)

---

(١) الناكثون: الناقضون للعهد، والذابل من القنا: وهي من الرماح: الرقيق اللاصق.

(٢) المرنّق: الكدر. (٣) أعذر: بلغ أقصى الغاية في العذر والشأو: الغاية.

(٤) يفري: يشق ويقطع. ويخلق: يقدّر، من خلق الأديم: قدّده لما يريد قبل القطع.

(٥) أسرّة الوجه: خطوطه، ولألأ البرق: أضاء ولمع، والرونق: ماء السيف وصفاؤه وحسنه.

(٥٩)

قال الأبيرد:

تطاول ليلى لم أنمه تقلُّبا ... كأنَّ فراشي حال من دونه الجمر

فإن تكن الأيامُ فرَّقْن بيننا ... فقد بان مني في تذكُّره العذرُ

.. وهذان البيتان من قصيدة له يرثي بها أخاه، وهي معدودة من مختار المراثي. (١٢٦/١٣)

(٦٠)

والقصيدة التي رثى بها الأبيردُ أخاه بريدا وفي أوّلها الغناءُ المذكور، من جيد الشعر، ومختار المراثي، المختار منها قوله:

تطاول ليلى لم أنمه تقلُّبا ... كأنَّ فراشي حال من دونه الجمرُ

أراقب من ليل التَّمام نجومه ... لدُنْ غاب قرنُ الشَّمس حتّى بدا الفجرُ(١)

تذكرت قرْماً بانَ منَّا بنصره ... ونائلِه يا حبّذا ذلك الذُّكرُ(٢)

فإن تكن الأيامُ فرَّقن بيننا ... فقد عذرتنا في صحابتنا العُذرُ

وكنت أرى هجْرا فراقكَ ساعةً ... ألا لا بل الموتُ التفرُّق والهجر

أحقّاً عباد الله أن لستُ لاقيا ... بريدا طوال الدهر ما لألأ العُفْرُ(٣)

فتىً إن هو استغنى تخرّق في الغنى ... فإن قلَّ مالاً لم يُؤدْ متنه الفقرُ(٤)

وسامى جسيماتِ الأمور فنالها ... على العسر حتى أدرك العُسْرَ اليسرُ(٥)

ترى القومَ في العزّاء ينتظرونه ... إذا ضلَّ رأيُ القوم أو حزب الأمرُ(٦)

فليتك كنتَ الحي في الناس باقيا ... وكنتُ أنا الميتَ الذي غيب القبرُ

فتىً يشتري حُسْنَ الثناء بماله ... إذا السَّنةُ الشهباءُ قلَّ بها القَطْرُ(٧)

كأن لم يُصاحبنا بُريدٌ بغبطة ... ولم يأتنا يوماً بأخباره السُّفْرُ

لعمري لنعمَ المرءُ عالى نعيُّه ... لنا ابنُ عزيز بعد ما قصر العصرُ(٨)

تمضَّت به الأخبارُ حتى تغلغلت ... ولم تُثْنِه الأطباع دوني ولا الجُدرُ(٩)

---

(١) لَدُن: منذ. (٢) القرم: السيد، وبان من البين: وهو البُعْد، والذُّكر: التذكر.

(٣) لألأ العُفْر: حرّكت الظباء أذنابها. (٤) تخرّق: صار متلافاً.

(٥) سامى: بارى فنالها بعد الامتناع. (٦) العزّاء: مأخوذة من العزاز، وهو الأرض الصلبة الصعبة، وانتقلت مجازاً إلى الشدّة. (٧) الشّهباء: السنة الشديدة، ويقال: أشهبت السنة القوم: جرّدت أموالهم.

(٨) عالى: رفع الصّوت به، والنعيّ: خبر الموت. (٩) الأطباع: جمع طبع، وهو النهر

ولما نعى الناعي بُريداً تفوّلتْ ... بيَ الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر(١)
عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرةٍ طارت بهامته الخمر(٢)
إلى الله أشكو في بُريدٍ مصيبتي ... وبثّي وأحزانا تضمّنها الصدرُ
وقد كنت أستعفي إلهي إذا شكا ... من الأجر لي فيه وإنْ سرّني الأجر
وما زال في عينيَ بعْدُ غشاوةٌ ... وسمعي عمّا كنت أسمعه وقر(٣)
على أنني أقني الحياءَ وأتّقي ... شماتة أعداءٍ عيونهم خُزر(٤)
فحياك عنّي الليل والصُبح إذْ بدا ... وهُوجٌ من الأرواح غُوتها شهر(٥)
سقى جدثا لو أستطيع سقيته ... بأوْدٍ فروّاه الروافد والقطر(٦)
ولا زال يرعى منْ بلادٍ ثوى بها ... نباتٌ إذا صابَ الربيعُ بها نضر
حَلَفْتُ بسرب الرافعين أكُفّهم ... وربِّ الهدايا حيثُ حلّ بها النحرُ
ومُجْتمعِ الحجاج حيثُ توافقت ... رفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جأر
يمينَ امرئٍ آلى وليس بكاذب ... وما في يمينٍ قالها صادقٌ وِزْرُ
لئن كان أمسى ابنُ المعذّر قد ثوى ... بريدٌ لنعم المرءُ غيّبه القبر
هو الخلفُ المعروفُ والدين والتقى ... ومسعرُ حرب لا كهامٌ ولا غُمْر(٧)
أقام فنادى أهلُه فتحمّلوا ... وصُرّمت الأسبابُ واختلط النّجرُ(٨)
فتى كان يُغْلي اللحم نيئاً ولحمُه ... رخيصٌ لجاديه إذا تُنْزَلُ القدر(٩)
فتى الحيِّ والأضياف إن روُحتهم ... بليلٌ وزادُ السفر إن أرمل السّفرُ(١٠)
إذا جارةٌ حلّتْ لديه وفى بها ... فأبت ولم يُهْتَكْ لجارته ستر

---

(١) تفوّلت: كاد تميد. (٢) العساكر: الشدائد.

(٣) الوَقْر: الصمم. (٤) أقني الحياء: لزمه، والخزر: كسر العين خلقةً أو ضيقها.

(٥) الهوج: الشديدة، والأرواح جمع روح: وهي الرياح العاصفة.

(٦) أود: موضع في ديار بني تميم تم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحَزْن، أو هو موضع بالبادية، ينظر معجم البلدان (١/٢٧٧).

(٧) مسعر حرب: مثيرها، والكهام: الجبان، والغمر: الذي لم يجرّب الأمور.

(٨) صُرّمت: تقطّعت، النجَر: الأصل.

(٩) يغلي اللحم: يشتريه غالياً، والرخيص: المبذول، والجادي: طالب الجدوى والنوال.

(١٠) روُحتهم: هبّت عليهم، وزاد السفر: هو أن يقوم المرء بزاد المسافرين الذين لم يحضروا طعاماً. والسّفر: المسافرون. وأرمل: نفد زاده.

عفيف عن السوآت ما التبست به ... صليبٌ فما يُلقى لعودٍ به كسرُ
سلكت سبيلَ العالمين فما لَهُم ... وراء الذي لاقيت مَعْدىً ولا قصر
وكلُّ امرئ يوما سيلقى حمامه ... وإن نأت الدعوى وطال به العمرُ
وأبليتَ خيراً في الحياة وإنّما ... ثوابُك عندي اليومَ أن ينطق الشَعرُ

(١٣٦/١٣)

(٦١)

أخبرني عمي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن طُهمان السلّمي قال: حدّثني أحمد بنُ سيار الشيبانيّ الشاعرُ قال: كان هارون أميرُ المؤمنين يحتمل أن يُمْدح بما تمدح به الأنبياءُ فلا يُنْكر ذلك ولا يردّه(١)؛ حتّى دخل عليه نفرٌ من الشعراء فيهم رجلٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، فأفرط في مدحه حتّى قال فيه: فكأنّه بعد الرسولِ رسولُ

فغضب هارون ولم ينتفعْ به أحد يومئذ، وحرم ذلك الشاعر فلم يُعْطه شيئاً، وأنشد منصورٌ النمري قصيدةً مدحه بها وهجا آل علي وثلبهم(٢)، فضجر هارونُ وقال له: يا ابن اللُّخْناء. أتظنُّ أنك تتقربُ إليّ بهجاءِ قومٍ أبوهم أبي، ونسبُهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي؟! فقال: وما شهدنا إلا بما علمنا. فازداد غضبُه، وأمر مسروراً فوجأ(٣) في عنقه وأُخرج، ثم وصل إليه يوماً آخر بعد ذلك فأنشده:

---

(١) لا ريب في أنّ هذا النوع من المديح داخل في المبالغة والإفراط وهو «مذهب عام في المحدثين»، ينظر الوساطة (ص٤٢٠)، وقد وقف كثير من النقاد عندهما بين مجيز لهما أو مانع، ونرى العلوي صاحب الطراز (١١٩/٣) يقول: «... وأمّا مَنْ استجاد المبالغة على الإطلاق فغير مصيب على الإطلاق أيضاً. لأنّ منها ما يخرج عن الحدّ فيعظم فيه الغلوّ والإغراق فيكون مذموماً كما سيحكى عن أقوام أغرقوا فيها وتجاوزوا الحدّ بحيث لا يمكن تصوّر ما قالوه على حال قرب ولا بعد»، ولا شكّ في أنّ وصف الخليفة بالرسول داخل تحت هذا الذي أسماه العلوي تجاوز الحدّ، وهو مذهب في المديح خاصة، والشعر عامة أولع به الشعراء، وخاصة المحدثون منهم.

(٢) عُرف عن النمري أنّه كان يسلك مذهب مروان بن أبي حفصة في المديح والهجاء، فهو يشبه في ذلك ما رأيناه سابقاً من علي بن الجهّم الذي اتبع المنهج ذاته، وراحا جميعاً يثبتان الخلافة للعباسيين وينفيانها عن العلويين وغيرهم، ويبدو أن النمرّي في هذا الموضع قد تجاوز الحدّ، وأسرف على نفسه، وغيره، فلم يَرَ ما يرضيه من الرشيد.

(٣) وجأ في عنقه: ضربه

بني حسنٍ ورهط بني حُسينٍ عليكم بالسُّداد من الأمور
فقد ذقتم قراعَ بني أبيكمْ غداةَ الرَّوْع بالبيض الذُّكور(١)
أحينَ شفوكمو من كلِّ وترٍ وضمُّوكم إلى كنف وثير(٢)
وجادوكم على ظمإٍ شديد سُقيتم من نوالهم الغزير(٣)
فما كان العقوقُ لهم جزاءً بفعلهم وأدى للشُّفور(٤)
وإنك حين تُبلغهم أذاةً وإن ظلموا لمحزون الضمير

فقال له: صدقت، وإلا فعليَّ وعليَّ، وأمر له بثلاثين ألف درهم. (١٤٣/١٣)

(٦٢)

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدّثني سوّار بن أبي شُراعة، وأخبرنا به سوار أجازة، قال: حدّثني أبي، قال: لمّا هجا الجماز عبدَ الصمد بنَ المعذّل جاءني فقال لي: أنقدني منه. فقلت له: أمثلك يفْرق(٥) من الجماز؟ فقال: نعم، لأنه لا يبالي بالهجاء، ولا يفْرقُ منه، ولا عرض له، وشعره ينفُق(٦) على من لا يدري. فلم أزل حتّى أصلحت بينهما بعد أن سار قوله فيه:

ابن المعذَّل مَنْ هُو ومَنْ أبوه المعذَّل
سألت وهبانَ عنه فقال بَيضٌ مُحوَّل(٧) (٢٣٤/١٣)

(٦٣)

أخبرني محمدُ بنُ عمران الصيرفيُّ وأحمدُ بنُ العباس العسكريّ، قالا: حدّثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدّثنا الفضل بن أبي جرزة، قال: كان أبو قلابة الجرميُّ وعبدُ الصمد بن المعذّل وعبد الله بن محمد بن أبي عيينة المهلّبيّ أرادوا المسير إلى بيت بحرٍ البكراويّ، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها: جبلةُ، وكان أبورِهْم إليها مائلا يتعشّقها، ثم اشتراها بعد ذلك، فلما أرادوا الدّخولَ إليْها وافاهم أبو رِهم، فأدخلوه وحده وحجبوهم، فانصرفوا إلى بستان ابنِ أبي عيينه، فقال أبو قلابة: لا بدَّ أن نهجو أبا أبارِهم. فقالوا: قل. فقال:

ألا قـل لأبـي رهـمٍ سيهوى نعتك الوصفُ

---

(١) البيض الذكور: السيوف القوية.
(٢) الوتر: الثأر. والكنف الوثير: الجناب اللين. (٣) جاد: أمطر.
(٤) الشفور: جمع ثأر. (٥) يفرق: يخاف ويفزع.
(٦) ينفق: يروج وينتشر (٧) محوّل: أي حضنه غير أبويه.

كـمـا حـالفك الغيُّ كـذا جـانبك الظَّرفُ
أتـانا أنـه أهـدى إلى بحـرٍ من الشُّغْفِ(١)
حُزيماتٌ من الصِّيـر فـهَلا مـعَه رُغْـفُ(٢)
فنادوا اقـسمي فـينا فـقد جـاءكـم اللُّطْفُ

فقال له عبد الصمد: سَخنتْ عينك أيش هذا الشعر، بمثل هذا يُهجى مَنْ يُراد به الفضيحة، فقال أبو قلابة: هذا الذي حضرني. فقل أنت ما يحضرك. فقال: أفعله وأجوّد فكان هذا سبب هجاء عبد الصمد أبارِهم، وأول قصيدة هجاه بها قوله:

دعوا الإسلامَ وانتحلوا المجوسا وألقوا الرِّيطَ واشتملوا القلوسا(٣)
بني العبدِ المقيم بنهرِ تيرى لقد أنهضتُ طيركم نحوسا(٤)
حرامٌ أن يبيت لكم نزيلٌ فلا يمسى بأمْكم عروسا
إذا ركدَ الظلامُ رأتْ عُسيلا يحثُّ على نداماه الكؤوسا(٥)
ويُذكرهم أبو رهم بهجْوٍ فيستدعي إلى الحُرَم النفوسا (٢٤٤/١٣)

(٦٤)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن بعض البصريين قال: كان مالك بن أبي سعدة عمّ جابرٍ الشطرنجي جميلَ الوجه حسن الجسم، وكان يعاشر حمادَ عجردٍ ومطيع بن إياس وشرب معهما فأفسد بينهما وبينه وتباعد. فقال حمادُ عجردٍ يهجوه:

أتـوبُ إلى الله مـن مـالكٍ صديقا ومن صُحبتي مالكا
فـإنْ كنتُ صـاحـبتُهُ مـرةً فـقد تبتُ يارِبِّ مـن ذلكـا

قال: وأنشدها مطيعاً، فقال له مطيع: سخنت عينُك! هكذا تهجو الناس؟ قال: فكيف كنتُ أقول؟ قال: كنتَ تقول:

---

(١) الشُّغف: أن يبلغ الحبّ شغاف القلب، وفي البيت إقواء.
(٢) الحزيمات: جمع حزيمة وهي ما رُبط، والصِّير: سمكات مملوحات.
(٣) الرِّيط: جمع ريطة، كلّ ملاءة غير ذات لفقين كلّها نسج واحد وقطعة واحدة، والقلس: الحبل الضخم من حبال السفينة.
(٤) نهر تيرى: بلد في الأهواز حفره أردشير الأصغر. (٥) عسيل: اسم علم.

نظـرةً مـا نظرتُهـا يوم أبصـرتُ مـالكا
في ثيـاب مُعصْفـرا تٍ على الوجـه باركـا
تركـتْني ألُـوط مـن بعـد مـا كنتُ ناسكا
نظـرة مـا نظـرتُهـا أو ردتْنـي المهـالكـا (٣١٩/١٣)

(٦٥)

قال أبو عبيدة: قال الشمردل يرثي أخاه وائلاً، وهي من مختار المراثي وجيّد شعره:

لعـمـري لئن غـالت أخي دارُ فُرقـةٍ وأب إلينـا سـيـفُـه ورواحـلُـه
وحلّت به أثقـالهـا الأرضُ وانتـهى بمثـواه منهـا وهـو عـفٌّ مـاكلـه
لقـد ضمّنت جلْدَ القُوى كـان يُتـقى بـه جـانبُ الثـغـر المخـوف زلازلُه
وصَولٌ إذا استـغنى وإن كان مقْترا من المال لم يُحِف الصديق مسـائله(١)
مـحلٌّ لأضـيـاف الشتّـاء كـأنما هُـمُ عـنده أيتـامـه وأرامـلُـه
رخـيصُ نضـيـج اللحم مُغْلٍ بنيـئِهِ إذا بـردت عـند الصِّـلاءِ أنامـلُـه(٢)
أقـولُ وقـد رجّمتُ عنه فـأسـرعت إليـهَ بأخـبـارِ اليـقين مـحـاصلُه(٣)
إلى الله أشكو لا إلى الناس فـقـده ولوعـةَ حـزنٍ أوجـعَ القلبَ داخـلُـه
وتحـقـيق رؤيا في المنام رأيتُهـا فكـان أخي رُمْحـا ترفّضَ عـاملُه(٤)
سـقى جـدثا أعـرافُ غـمـرة دونه ببـيـشـةَ ديمـاتُ الربيـع ووابلُـه(٥)
بمثْوى غـريبٍ ليس منا مـزارُه بـدانٍ ولانُو الـودُ مِـنّا مـواصلُـه

---

(١) المقتر: القليل المال، أحفاه: برح به في الإلحاح عليه، أو سأله فأكثر عليه الطّلب.

(٢) رخيص نضيج اللحم: يقدم اللحم النضيج بكثرة، ومُغْلٍ: أي غالى فيه، والمعنى أنه لا يقدّم لضيوفه لحماً نيئاً. والصِّلاء: اسم للنار أو للوقود.

(٣) الترجيم: من الرّجم، وهو القذف بالغيب والظن.

(٤) عامل الرمح: صدره، وهو ما يلي السنان، ترّفض: تكسّر وتحطّم.

(٥) الأعراف: في الأصل ما ارتفع من الرمل، الواحدة عُرْفة، وفي بلاد العرب بلدان كثيرة تُسمّى الأعراف، منها أعراف غمرة هذه التي ذكرها الشاعر، ينظر معجم البلدان (٢٢١/١). وبيشة: اسم قرية غنّاء في وادٍ كثير الأهل من بلاد اليمن، وهي خير ديار بني سلول، وهو وادٍ يصبّ سيله من الحجاز، حجاز الطائف ثم ينصبُّ في نجد حتى ينتهي في بلاد عقيل. ينظر معجم البلدان (٥٢٩/١). الديمات: جمع ديمة وهي السحابة، والوابل: المطر.

إذا مـــا أتى يومٌ مـــن الدهـــر دونه ... فـــحـــيِّاك عنا شـــرقُه وأصـــائلُه

سنا صـبحٍ إشـراقٍ أضـاء ومـغـربٌ ... مـن الشـمس وافى جنحَ ليـلٍ أوائلُه

تحـــيـــة من أدّى الرســـالة حُبِّبت ... إليـــه ولـــم ترجع بشيءٍ رســـائلُه

أبى الصـبـر أن العين بعـدك لم يزلْ ... يخـالـط جـفْنيـهـا قـذىً لا يزايلـه(١)

وكنتُ أعـيـر الدمع قـبلك مـن بكى ... فـأنت على من مـات بعـدك شـاغلُه

يذكـرنـي هـيْـفُ الجـنـوب ومُنتـهـى ... مسـيـرِ الصَّبـا رمْساً عليه جنادلُه(٢)

وهتَّافـةٌ فـوق الغـصـونِ تفـجّعـت ... لفـقـدِ حـمـام أفـردتهـا حـبـائلُه

من الوُرق بالأصياف نواحة الضحى ... إذا الفـرقد التفـت عليه غياطلـه(٣)

وسُـورةُ أيدي القوم إذ حُـلّت الحُبا ... حُبا الشَّيب واستعوى أخا الحلم جاهله(٤)

فـعـينيّ إذ أبكاكـمـا الدهرُ فـابكيـا ... لمـن نصـرُه قـد بـان مـنـا ونائلـه(٥)

إذا استـعبـرت عُوذُ النساء وشـمّرت ... مـآزر يـوم مـا تـوارى خلاخلـه(٦)

وأصـبح بيت الهـجـرِ قـد حـال دونـه ... وغـال امـرأ مـا كـان يُخْشى غـوائله

وثِقْن به عند الحـفـيظةِ فـارعـوى ... إلى صـوتـه جـاراته وحـلائلـه

إلى ذائد في الحـرب لم يك خـامـلا ... إذا عـاذ بالسـيف المجـرَّد حـاملـه

كـمـا ذاد عن عـرِّيسـة الفـيل مُخْدِر ... يخـافُ الـردى ركـبـانُـه ورواحلـه(٧)

فـمـا كـانت ألفي لامـرئ عند مـوطنٍ ... أخـاً بأخـي، لـو كـان حـيّاً أبادلـه

وكنت به أغـشى القـتـال فـعـزّنـي ... عليـه مـن المقـدار مـن لا أقـاتلـه

لعـمـرك إنَّ المـوتَ منا لـمـولعٌ ... بمن كـان يُرجى نفـعُه ونوافلـه

فـمـا البـعـد إلا أننا بعـد صـحـبـة ... كـأنْ لـم نُبـايت وائـلا ونقـايلـه

سـقى الضُّفـراتِ الغيثُ مـادام ثاويا ... بهـنّ وجـادت أهـلَ شُـوكٍ مـخـايلـه(٨)

---

(١) القذى: ما ترمي به العين من غمص ورمص.

(٢) الهيف: ريح حارّة تأتي من نحو اليمن، والصَّبا: ريح مهبّها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٣) الفرقد: شجر، والغياطل: ما اجتمع عليه والتفّ.

(٤) الحُبا: جمع حبوة، وهو الثوب يحتبى به، وحلُّ الحبا كناية عن الاستعداد للحرب ونحوها.

(٥) بان: بعد وانفصل، والنائل العطاء. (٦) استعبرت: جرت عبرا تهنّ، وعوذ النساء: جمع عائذ، والعائذ كل أنثى إذا وضعت، مدّة سبعة أيام، لأنّ ولدها يعوذ بها.

(٧) العرِّيسة: مكان كثير الشجر ملتف يأوي إليه الأسد، والمخدر: الأسد في خدره، أي عرينه.

(٨) الضُّفرات: جمع الضفرة، وهي أرض سهلة مستطيلة، وشوك: ناحية نجدية قريبة من الحجاز.

وما بي حبُّ الأرض إلاّ جوارها صداه وقول ظُنَّ إنّي قائلُه

(٣٥٣/١٣)

(٦٦)

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ وابن الوشّاء جميعاً قالا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال: قال ابن الأعرابيّ: أحسنُ ما قال المُحْدثون من شُعَراء هذا الزّمان في مديح الشّباب وذمّ الشّيب (قول محمد بن حازم):

لا حينَ صبرٍ فخلِّ الدّمْعَ ينهملُ فقْدُ الشّبابِ بيوم المرءِ متّصلُ
سقْياً ورعْياً لأيّام الشّباب وإنْ لم يبْقَ منه له رسمٌ ولا طللُ
جرَ الزّمانُ ذُيولاً في مفارقِه وللزّمانِ على إحسانه عِلَلُ
وربّما جرّ أذيالَ الصّبا مرحاً وبين بُرْديْه غُصْنٌ ناعمٌ خضِلُ(١)
يُصْبي الغواني ويزْهاه بشرّتِه شرْخُ الشّبابِ وثوبٌ حالكٌ رَجِلُ(٢)
لا تكْذبنّ فما الدّنْيا بأجمعها من الشّبابِ بيومٍ واحدٍ بدلُ
كفاكَ بالشّيْب عيباً عند غانيةٍ وبالشّبابِ شفيعاً أيُّها الرّجُلُ
بان الشّبابُ وولّى عنكَ باطلُهُ فليس يحسُنُ منك اللّهْو والغزلُ
أمّا الغواني فقد أعرضن عنك قِلىً وكان إعراضَهُنّ الدّلُّ والخجلُ
أعرْنَك الهجْرَ ما لاحتْ مُطوّقةٌ فلا وصالٌ ولا عهْدٌ ولا يُسَلُ
ليتَ المنايا أصابتْني بأسْهُمِها فكُنّ يبْكينَ عهْدي قبل أكْتهِل
عهْدَ الشّبابِ لقد أبقيت لي حزناً ماجدٌ ذكرُك إلاّ جدّ لي ثكلُ
إنّ الشبابَ إذا ما حلّ رائدُهُ في منْهلٍ رادَ يقفو إثْرَهُ أجلُ(٣)

قال ابن الوشّاء خاصّةً: وما أساء ولا قصّر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

أبكي الشّبابَ لندْمانٍ وغانيةٍ وللمغاني وللأطلال والكُثُبِ
وللصّريخ وللآجام في غلسٍ وللقنا السُّمْرِ والهنديّة القُضُبِ(٤)

---

(١) خَضِل: نَدٍ، طريّ. (٢) شرّة الشباب: نشاطه، وشرخ الشّباب: أوّله، ويزهاه: يستخفّه ويحمله على الزّهو، وثوب حالك يريد به شَعْر الشباب، وشعر رجل: بين السبوطة والجعدة.

(٣) الرائد: المُرسل في طلب الكلأ، ورادت الدّابة ترود: رعت.

(٤) الصّريخ: المستغيث، والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الملتفّ الكثير، أي وللصيد والقنص، والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح، والهندية: أي السيوف الهندية، والقُضُب: القاطعة.

وللخيال الذي قد كان يطرُقُني ... وللنُّدامى وللذّاتِ والطَّربِ
يا صاحباً لم يدعْ فقْدي له جلداً ... أضعتُ بعدك إنَّ الدهر ذو عُقبِ(١)
وقد أكونُ، وشعْبانا معاً، رجُلاً ... يومَ الكريهةِ فرّاجاً عنِ الكُربِ (٩٤/١٤)

(٦٧)

حدّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: قال محمد بن حازم الباهليّ: عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سهْلٍ، فأتيتُه، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له، فعرفني، فقال: ما قلت فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا لو مدحتَ فتىً كريماً ... فقلتُ وكيف لي بفتىً كريم؟
بلوْتُ الناسَ مُذْ خمسين عاماً ... وحسْبُك بالمُجرَّبِ من عليم
فما أحدٌ يُعدُّ ليومِ خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود ولا حميمُ(٢)
ويعجبني الفتى وأظنُّ خيرا ... فأكشف منه عن رجل لئيم
تقيلُ بعضُهم بعضاً فأضْحوا ... بني أبوينِ قُدّاً من أديمِ(٣)
فطاف الناسُ بالحسن بن سهْلٍ ... طوافَهُمُ بزمْزم والحطيم
وقالوا سيِّدٌ يُعْطي جزيلاً ... ويكْشف كُرْبة الرجلِ الكظيم(٤)
فقلتُ مضى بذمِّ القوم شعْري ... وقد يُؤتى البريءُ من السَّقيم
وما خبرٌ ترجمُه ظُنُوني ... بأشْفى من مُعاينةِ الحليم
فجئتُ وللأمور مُبشّراتٌ ... ولن يخفى الأغرُّ من البهيم(٥)
فإنْ يكُ ما تنشّر عنه حقّاً ... رجعت بأهْبةِ الرجلِ المُقيم
وإن يكُ غيرُ ذاكَ حمدتُ ربّي ... وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيم
وما الآمالُ تَعْطفُني عليه ... ولكنَّ الكريمَ أخو الكريم

قال: فلمّا أنشدتُه هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك

---

(١) عقب: جمع عُقبة، وهي النوبة. (٢) يلاحظ الأقواء في البيت.
(٣) تقيّل: أشبه، قُدّاً من أديم: يعني هما شيءٌ واحد. (٤) الكظيم: المكروب.
(٥) الأغرّ: ذو الغرّة، وهي بياض في الجبهة، والبهيم: الأسود.

لما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا!(١) فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعدُ، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله، قال: فافعل، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جوْدة البيت الأخير فأعجبه، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح، فأدخلت إليه، فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يُعْفني، وقال: قد قنعْنا منك بهذا القدر إذ لم تنْخِلْنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إيَّاه؛ فضحك وقال: ويحك! مالك وللناس تعُمُّهم بالهجاء؟ حسْبُك الآن من هذا النمط(٢) وأبْقِ عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلْتُ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديتُ إليه هديةً فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبتُ القومَ للحسن بن سهْلٍ ... فعوِّضني الجزيلَ من الثَّوابِ
وقال دعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً ... فإنَّ القصدَ أقربُ للثواب
فقلت له: برئتُ إليك منهم ... فليتهمُ بمنقطع التراب(٣)
ولولا نعمةُ الحسنِ بن سهلٍ ... عليَّ لسُمْتُهُم سُوء العذاب
بشِعْرٍ يعْجَبُ الشعراءُ منه ... يُشبِّهُ بالهجاء وبالعتابِ
أكيدُهُمُ مُكايدة الأعادي ... وأخْتلُهُمْ مُخاتلةَ الذِّئاب
بلوتُ خيارهم فبلوْتُ قوماً ... كُهولُهُمُ أخسُّ من الشَّباب
وما مُسِخُوا كلاباً غير أنِّي ... رأيتُ القومَ أشباهَ الكلاب

قال: فضحك وقال: ويحك! الساعة ابتدأت بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ. فقلت: هذه بُقْيةٌ طفحتْ على قلبي، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير. (١٠٢/١٤)

---

(١) هذا نهج في المديح لم يَرَه الشعراء والنقاد مقبولاً، خاصة حين يُوجَّه المديح إلى خليفة، أو أمير. ونعني به مخاطبة الممدوح مخاطبة الصديق، أو النظير. وممّا يُذكر في هذا الصدد أنّ من ضمن المآخذ التي أخذت على المتنبي أنّه كان يخاطب ممدوحيه مخاطبة الصديق صديقه، ولا نعدم من النقاد مَنْ أعجب بهذا النهج عند المتنبي، ورآه صادراً «عن قلب صادق الودّ، وعن الإخلاص والإعجاب» ينظر أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي (ص١٩٥).

(٢) النمط: هو الضرب من الضروب، والنوع من الأنواع، وهو الطريقة، والفنّ، والطريق، ينظر لسان العرب (٤١٧/٧)، وقد استخدم بهذا المعنى في كتب النقد العربي والبلاغة، ينظر مثلاً: الوساطة (ص٧)، والمثل السائر (٤٠٥/٢)، ومنهاج البلغاء (ص ٣٧٤) وغيرها.

(٣) منقطع التراب: أي بالمكان النائي الموحش، الذي انقطع وطء ترابه واجتيازه، أو القبر.

(٦٨)

أخبرني محمد بن الحسين الكندي المؤدِّب قال: حدّثنا الرياشي قال: سمعت الأصمعي يقول: قال هذا الباهليُّ محمد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهليّ: تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ وبالشَّبابِ شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال: إيَّاه عنيتُ. فقال له الباهليّ: ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدثين أحسن منه. (١١٠/١٤)

(٦٩)

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهلي عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجهْم البرمكي: قال لي المأمون يوماً: يا محمد: أنشدني بيتاً من المديح جيّدا فاخرا عربيا لمحدث حتى أولّيكَ كُورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل:

فمع السماءِ فروعُ نبْعتهم ومع الحضيض منابتُ الفرْس(١)
متهلِّلين على أسرّتهم ولدى الهياج مصاعبٍ شُمْسِ(٢)

فقال: أحسنت، وقد وليتك الدِّينور، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول: (هو مسلم بن الوليد):

قبحت مناظرُهم فحين خبرتهم حسُنت مناظرُهم لقُبح المخبرِ

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك همذان، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول: (هو مسلم بن الوليد):

أرادوا ليُخفوا قبره عن عدوِّه فطيبُ تراب القبرِ دلَّ على القبر

فقال: قد أحسنت، قد ولّيتك نهاوند، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت: قول الذي يقول:

تعاليْ نجدِّد دارس العلم بيننا كلانا على طول الجفاء ملُوم

---

(١) النبعة: واحدة النَّبع، وهو شجر للقسيّ وللسهام والحضيض: القرار في الأرض.

(٢) تهلّل الوجه: تلألأ، ومصاعب: جمع مُصعَب، وهو الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يُركب، ورجل مصعب: مسوَّد، وشُمس: جمع شموس من شمس الفرس إذا منع ظهره.

فقال: قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُور الأهواز، فولاني ذلك أجمع، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي. (١٧٨/١٤)

(٧٠)

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلّبي قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: لما قال حمّاد عجردٍ في بشّار:

نُسبْتَ إلى بُرْد وأنتَ لغيْره وهبْكَ لبُردٍ نِكْتَ أمُّك مَنْ بُرْدُ؟

قال بشّار: تهيّأ له عليَّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ إلى بُرد» معنىً؛ ثم قوله: «وأنت لغيره» معنىً آخر، ثم قوله: «فهبك لبرد» معنىً ثالث، وقوله: «نكت أمّك» شتمٌ مفرد، واستخفافٌ مجدٌّ، وهو معنىً رابع، ثم ختمها بقوله: مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني، ونحا هذا النحو، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت، وهو قوله:

لمّا وضعتُ على الفرزدق ميسمي وضعا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطل(١)

فلم يُدرك أكثر من هذا. (٣٤٥/١٤)

(٧١)

أخبرني علي بن سليمان قال: حدّثني هرون بن يحيى قال: حدّثني علي بن مهدي قال: أجمع العلماء بالبصرة أنّه ليس في هجاء حمّاد عجرد لبشّار شيء جيّد إلاّ أربعين بيتاً معدودةً، ولبشّار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيّد، قال: وكلّ واحد منهما هو الذي هَتَك صاحبه بالزُّندقة وأظهرها عليه، وكانا يجتمعان عليها، فسقط حمّاد عجرد وتهتّك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه، وبقي بشّار على حاله لم يسقط، وعُرِفَ مذهبه في الزندقة فقُتِل به. (٣٤٩/١٤)

(٧٢)

قال أبو الفرج: الطفيل الغنوي .. من أوصف العرب للخيل. (٣٤٩/١٥)

(٧٣)

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلف الخزاعيّ، قال: حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريبٍ الأنصاريّ قال: قال لي عمي: إنّ رجلاً من العرب سمعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها، فقال: كان يقال إنّ طفيلاً ركبَ الخيلَ ووليها لأهله، وإنّ

---

(١) الميسم: المكواة، يريد به أهاجيه التي يكويه بها، وضعا ضعفاً: استخذى.

أبا دُوادٍ الإياديّ ملكها لنفسه ووليها لغيره، كان يليها للملوك، وأنّ النابغة الجعدي لما أسلمَ الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل، فسمعَ ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمعَ وعرفَ قبل ذلك في صفة الخيل. وكان هؤلاء نُعَاتَ الخيل. (٣٤٩/١٥)

(٧٤)

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال: حدّثنا محمد بن حبيب قال: كان طفيلٌ الغنوي يسمّى «طفيل الخيل» لكثرة وصفه إيّاها. (٣٥٠/١٥)

(٧٥)

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية، قال: حدّثني الرياشي قال: حدّثني الأصمعي قال: كان أهل الجاهلية يسمّون طفيلاً الغنويّ «المحبّر»؛ لحُسْن وصْفِه الخيل. (٣٥٠/١٥)

(٧٦)

أخبرني على بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يزيد قال: قال أبو عبيدة: طُفيلٌ الغنويّ، والنابغة الجعْديّ، وأبو دُوادٍ الإياديّ، أعلمُ العرب بالخيل وأوصفُهم لها. (٣٥٠/١٥)

(٧٧)

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال: حدّثنا العمري عن لقيط قال: قال قتيبة بن مسلم لأعرابيّ من غنيّ قدمَ عليه من خُراسان: أيُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ؟ قال: قولُ طفيلٍ الغنويّ:

ولا أكونُ وِكاءَ الزاد أحبسه ... لقد علمت بأنّ الزاد مأكولُ(١)

قال: فأيُّ بيتٍ قالته العرب في الحرب أجْود؟ قال: قول طفيل:

بحيٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عواويرُ يخْشونَ الرُّدى أينَ نركبُ(٢)

قال: فأيّ بيتٍ قالته العرب في الصّبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوي:

ومن خيرِ ما فينا من الأمر أنّنا ... متى ما نُوافي موطِنَ الصّبر نصبر

---

(١) الوكاء: في الأصل الخيط الذي تُشدُّ به الصُّرّة أو الكيس، ويقال: فلان وكاء ما يبضُّ بشيء: بخيل.

(٢) العواوير: جمع عوار، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار.

قال: فقال قتيبة: ما تركت لأخوانك من باهلة؟ قال: قول صاحبهم:

وإنَّا أناسٌ ما تزالُ سوامُنا ... تنوِّر نيرانَ العدوِّ مناسمُه(١)

وليس لنا حيٌّ نُضافُ إليهمُ ... ولكن لنا عَودٌ شديد شكائمُه(٢)

(حرامٌ وإن صلَّيته ودهنته ... تؤُدُّه ما كان في السيف قائمُه(٣) (٣٥٠/١٥)

(٧٨)

وقال أبو عمرو الشيباني: كانتْ فزارةُ لقيتْ بني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من مُحارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم أدركتْهم غنيٌّ فاستنقذتْهم، فلما قتلتْ طيِّئٌ قيس النُّدامى، وقتلتْ بنو عبسٍ هُريم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشة بن عبيد بن سعد بن كعب بن جلاّن بن غنم بن غنيّ، وكان فارساً حسيبا قد ساد ورأس، قتله ابن هدْم العبسيّ طريد الملك، فقال له الملك(٤): كيف قتلته؟ قال: «حملت عليه في الكَبَة، وطعنتُه في السُّبَة، حتى خرج الرمح من اللُّبَة»(٥). وقُتل أسماءُ بن واقدِ بن رُفيد بن رياح بن يربوع بن ثعْلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلاّن، (وهو من النجوم)، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرِّ بن مالك بن سعد بن عوف، فاستغاثت غنيٌّ ببني أبي بكر وبني محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل في ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم في نُصرتهم، ويرثي القتلى، قال:

تأوَّبني همٌّ من اللَّيل مُنْصبُ ... وجاء من الأخبار ما لا أكذِّبُ

تتابَعْنَ حتى لم تكنْ لي ريبةٌ ... ولم يكُ عمَّا خبَّروا متعقَّب

وكان هُريمٌ من سنانٍ خليفةً ... وحصنٍ ومن أسماء لمَّا تغيَّبوا

ومن قيسٍ الثَّاوي برمَّانَ بيتُه ... ويومَ (حقيلٍ فاد آخرُ) مُعجب(٦)

---

(١) السوام: الإبل الراعية، والمناسم: جمع مَنْسِم: وهو طرف خفّ البعير والنعامة والفيل والحافر. ينظر لسان العرب (٣١١/١٢، ٥٧٤).

(٢) العَوْد: هو الجمل المسنّ وفيه بقية. ينظر لسان العرب (٣٢١/٣).

(٣) صليْته: لعلّه من الصِّلا: وهو وسط الظهر من الإنسان ومن كلِّ ذي أربع، يعني جعلته مصلِّياً أي بعد السابق، دلالة الاعتناء به والقيام عليه. ينظر لسان العرب (٤٦٦/١٤).

(٤) الملك هو النعمان بن المنذر.

(٥) الكَبَة: الحملة في الحرب والدفعة في القتال، والسُّبَة: الأست. واللُّبة: وسط الصدر والمنحر.

(٦) رَمَّان: جبل في بلاد طيء في غربي سلمى أحد جبلي طيء، ينظر معجم البلدان (٦٧/٣)، وقد أورد ياقوت هذا البيت، والذي قبله، وحقيل: موضع في بلاد بني أسد، وفاد يفيد: مات.

أشمُّ طويلُ الساعدين كأنّه فنيقُ هجانٍ في يديه مُركّبُ(١)
وبالسُّهبِ ميمونُ النُّقيبة قولُه لمتلمس المعروف أهلٌ ومرحبُ
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقض كوكبٌ بدا وانجلت عنه الدُّجنّةُ كوكبُ

وهي قصيدةٌ طويلة، وذكرتُ منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذي فيها. ومن مختار مرثيته فيها قوله:

لعمري لقد خلّى ابنُ جندع ثلمةً ومن أينَ إنْ لم يرأب اللهُ تُرأبُ
ندامايَ أمسوا قد تخلّيتُ عنهُم فكيف ألذُّ الخمر أم كيف أشرب
مضَوْا سلفاً قصْدَ السّبيل عليهم وصرْف المنايا بالرجال تقلّبُ (٣٥٤/١٥)

(٧٩)

... وزياد الأعجم هو الذي يقول يرثي المغيرة بن المهلب بقوله:

قُلْ للقوافل والغزيِّ إذا غزوْا والباكرين وللمجدِّ الرائح(٢)
إنَّ المروءةَ والسّماحة ضُمِّنا قبراً بمرْوَ على الطّريق الواضح
فإذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به كُومَ الهجانِ وكلَّ طرفٍ سابح(٣)
وانضحْ جوانبَ قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح
يامن بمهوى الشّمس من حيٍّ إلى ما بين مطلع قرنها المتنازح
ماتَ المغيرةُ بعد طولِ تمرُّضٍ للموت بين أسنّةٍ وصفائح
والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى حيّاً يؤخّر للشّفيق الناصح

وهي طويلة. وهذا من نادر الكلام، ونقّي المعاني، ومختار القصيد، وهي معدودة من مراثي الشّعراء في عصر زياد ومقدّمها. (٣٨١/١٥)

(٨٠)

قال أبو المنذر: زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقريّ، وقد أوثر عليه في عدّة قصائد. منها التي يقول فيها:

قُبيلةٌ خيرُها شرٌّها وأصدقُها الكاذب الآثمُ

---

(١) الفنيق: الفحل المكرّم. (٢) الغزيّ: اسم جمع للغازي.
(٣) الكوم: القطعة من الإبل، والطِرف: الجواد الكريم الطرفين: الأب والأم، السابح: السريع كأنّه يسبح بقوائمه.

وضيفهُم وسْطَ أبياتهمْ وإن لم يكن صائماً صائمُ

وفيه يقول: إذا عذَّبَ الله الرجالَ بشعرهم أمِنْتُ لكعبٍ أنْ يُعذَّبَ بالشعرِ

وفيه يقول: أتتْكَ الأزدُ مصفَرّاً لحاها تساقطُ من مناخرها الجُوافُ[1] (١٥/٢٩٣)

(٨١)

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا، قال: نسخت من كتاب المفضل بن سلمة: قال أبو عكرمة الضبيّ: قال المفضل الضبيّ: كنت يوماً جالسا على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليَّ عشرة آلاف درهم، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال: أجب أمير المؤمنين. فقلت: ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساع. وتخوّفته، لخروجي كان - مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فدخلت منزلي، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين وصرت إليه. فلما مثلت بين يديه سلمت، فردَّ عليّ، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي: يا مفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء. وكان مستلقيا فاستوى جالساً، ثم قال: وأي بيت هو؟ قلت قولها:

وإنَّ صخرا لتأتمُّ الهداة به كأنَّه علمٌ في رأسِهِ نارُ

فنوما إلى إسحاق بن بزيع، ثم قال: قد قلت له ذلك فأباه، فقلت: الصواب ما قاله أمير المؤمنين. (١٦/٢١)

(٨٢)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدّثني محمد بن الحسن الأحول، عن الطُرسوسيّ، عن ابن الأعرابيّ، قال: أجود بيت وصفت به الطعنة قول أهْبان بن عادياء قاتل ربيعة بن مكدم، حيث يقول:

ولقد طعنتُ ربيعةَ بن مكدَّمٍ يوم الكديد فخرُ غير موسَّدَ

في ناقع شرقت بما في جوفه منه بأحمر كالعقيق المُجسَّد (١٦/٧٧)

(٨٣)

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني عمي عن أبيه؛ قال: قال الرشيد يوماً

---

(١) الجواف: ضرب من السمك.

لجلسائه: أنشدوني شعراً حسنا في امرأة خفرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه يابن مصعب، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنّها ... قمر توسط جنح ليل مُبردِ
موسومة بالحسن ذات حواسد ... إنّ الحسان مظنة للحسّد
وترى مدامعها تُرقرق مقلة ... حوراء ترغب عن سواد الإثمد(١)
خوْد إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تُقْصد
لم يطفها شرف الشباب ولم تضع ... منها مُعاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح ... صلّتٍ وأسودَ في النصيف معقد(٢)
وكأنّ طعم سلافة مشمولة ... بالريق في أثر السواك الأغيد

فقال الرشيد: هذا والله الشعر، لا ما أنشد تمونيه سائر اليوم! ثم أمر مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون، فروّاهما الأبيات. (١١٣/١٦)

(٨٤)

أخبرني محمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثني النضر بن شميل، قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرْو وعليّ أطمار مترعبلة(٣)؛ فقال لي: يانضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: إن حرّ مرو لا يُدفع إلا بمثل هذه الأخلاق. فقال: لا. ولكنك رجل متقشّف. فتجاريْنا الحديث، فقال المأمون: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب. قال: قلت: قول حمزة بن بيض يا أمير المؤمنين:

تقول لي والعيون هاجعة: ... أقم علينا يوما، فلم أقِم
قالت: فأيُّ الوجوه؟ قلت لها: ... لأيّ وجه إلاّ إلى الحكم؟
متى يقُلْ حاجبا سرادقه: ... هذا ابن بيض بالباب، يبتسم
قد كنت أسلمتُ فيكِ مُقْتبلاً ... فهات إذ حلّ أعطني سلَمي(٤)

---

(١) الإثمد: الكحل.

(٢) الواضح: هنا الجبين الأبيض، وصلّت: أملس، والأسود هنا: الشّعر، والنّصيف: كلُّ ما غطّى الرأس من خمار أو عمامة.

(٣) مترعبلة: ممزّقة.

(٤) أسلمت: أسلفت، يريد أنّه قدّم إليه مديحه ولم يأخذ جائزته، ومقتبلاً: مستأنفاً، وسلَمي: سلفي.

فقال المأمون: لله درُّك، كأنَّما شُقَّ لك عن قلبي! فأنشدني أنصف بيت للعرب. قال: قلت: قول أبي عروبة المدني:

إني وإن كان ابن عمي عاتبا ... لزاحمٌ من خلفه وورائه
ومُفيده نصري وإن كنت امرأ ... متزحزحا عن أرضه وسمائه
وأكون والي سره وأصونه ... حتى يحين عليَّ وقتُ أدائه
وإذا الحوادث أجحفت بسوامه ... قُرنت صحيحتنا إلى جرْبائه(١)
وإذا دعا باسمي ليركبَ مركبا ... صعباً قعدتُ له على سيسائه(٢)
وإذا أتى من وجهه بطريقةٍ ... لم أطَّلع ممَّا وراء خبائه
وإذا ارتدى ثوباً جميلا لم أقل: ... يا ليت أن عليَّ حسن ردائه

فقال: أحسنت يا نضر! أنشدني الآن أقنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسديّ:

إني امرؤ لم أزل، وذاك من اللـ ... ـه قديماً، أعلّم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدا ... رُ وإن كنت مازحاً طربا
لا أجتوي خُلَّة الصديق ولا ... أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا(٣)
أطلب ما يطلب الكريم من الرِّزق ... بنفسي وأجمِل الطلبا(٤)
وأحلب الثَّرة الصفيَّ ولا ... أجهد أخلاف غيرها حلبا(٥)
إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغَّبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثلُ الحمار المُوقَّع السَّوْءِ لا ... يُحسن مشْيا إلا إذا ضُربا(٦)
قد يُرزق الخافضُ المقيمُ وما ... شد بعيس رحلا ولا قتبا
ويُحْرمُ الرزقَ ذو المطيةِ والرَّ ... حل ومن لا يزال مغتربا

---

(١) أجحفت بسوامه: أضرَّت بإبله.

(٢) السيساء في الأصل: من الحمار أو البغل: الظهر ومن الفرس: الحارك، ينظر لسان العرب (١٠٩/٦)، يريد أنَّني أسبق ابن عمي إذا دعاني، فأركب المركب الصَّعب.

(٣) اجتوى: كره. (٤) أجمل الطلب: إذا كان رقيقاً سهلاً.

(٥) الصفيّ: من النوق الغزيرة الكثيرة اللَّبن، والأخلاف: الضروع، وهي مدارُّ الحليب.

(٦) الموقَّع: الذي في ظهره سَحَج، وقيل في أطراف عظامه، من الركوب.

ولـم أجـد عُـدَّة الخـلائق إلاَّ الدِّين لما اعـتـبـرتُ والحـسـبـا

فقال: أحسنت يا نضر. (٢١٣/١٦)

(٨٥)

... وذكر عبدُ الله بن المعتز ربيعةَ الرقي فقال: كان ربيعة الرقي أشعر غزلاً من أبي نواس، لأنَّ في غزل أبي نواس برْدا(١) كثيراً، وغزل هذا سليم سهل عذب. (٢٥٥/١٦)

(٨٦)

وكان سبب إغراق ربيعة في هجاء يزيد بن اسيد، أنه زاره يستمنحه، لقضاء دين كان عليه، فلم يجد عنده ما أحب، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلّبيّ، فطفل(٢) على قضاء دينه وبره، فاستفرغ ربيعة جُهده في مدحه، وله فيه عدة قصائد مختارة، يطول ذكرها. (٢٦٠/١٦)

(٨٧)

قال أبو الفرج الأصْبهاني: وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المدبِّر مدائح كثيرة، لما أولاه من هذا الفعل، ولصداقة كانت بينهما، فمن جيد ما قاله فيه قوله:

أتخبِر عنهمُ الدِّمَنُ الدُّثور وقد يُنبي إذا سُئل الخبيرُ(٣)
وكـيف تُبيِّـنُ الأنبـاءَ دارٌ تعاقبها الشمائلُ والدُّبُورُ(٤)

يقول فيها في مدحه:

فـهـلاً في الـذي أولاكَ عُرْفـا تُسـدِّي من مـقـالك مـا تُنيـر(٥)
ثناءً غـيـرَ مـخـتلق ومـدْحـا مع الركبـان يُنْجد أو يغـورُ(٦)
أخ واسـاك في كَـلَب الليـالي وقد خذل الأقارب والنصيرُ(٧)

---

(١) البرد: مصطلح يطلق على الشعر إذا كان ضعيفاً غثّاً فيسمّى بارداً، ينظر رسائل الجاحظ (٢٥٣/١)، ووصفه ابن منقذ في كتابه البديع (ص ١٦٠) فقال: «إنَّ الشعر النادر هو الذي يستفزّ القلب ويحمي المزاج في استحسانه، والبارد بضد ذلك». أي إنَّ ابن المعتز يجد في غزل أبي نواس ضعفاً وغثاثة.

(٢) طفل: ترفّق ولطف. (٣) الدُّثور: المندثرة. (٤) الشمائل والدُّبور: اسمان من أسماء الريح.

(٥) تسدّي: تقوّي لُحمة الثوب بالسدى و تنيّر: تنسج النير، وهو لُحمة الثوب.

(٦) غير مختلق: غير بال، فهو باق لا يذهب.

(٧) كَلَب الليالي: نزول المحن والمصائب

حفاظا حين أسلمك الموالي وضنَّ بنفسه الرجلُ الصبور
فإن تشكر فقد أولى جميلا وإن تكفر فإنك للكفورُ
وما في آل خاقانَ اعتصامٌ إذا ما عُمِّمَ الخطْبُ الكبير
لنام الناس إثراء وفقرا وأعجزهم إذا حميَ القتير
قويم لا يزوُّجهم كريم ولا تُسنى لنسوتهم مُهورُ(١) (٣٦٧/١٦)

(٨٨)

ولمحمد بن صالح في المتوكل والمنتصر مدائح جياد كثيرة، منها قوله في المتوكل:

ألِفَ التُّقى ووفى بنذر الناذرِ وأبى الوقوفَ على المحل الداثرِ
ولقدْ تهيج له الديارُ صبابةً حينا وتكْلف بالخليط السائرِ(٢)
فرأى الهداية أن أناب وأنه قصر المديحَ على الإمام العاشر
يابن الخلائف والذين بهديهمْ ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادر
وابن الذين حووْا تُراث محمدٍ دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نطق الكتابُ لكم بذاك مُصدِّقا ومضتْ به سُنَنُ النبيِّ الطاهر
ووصلتَ أسباب الخلافة بالهُدى إذ نِلْتها وأنمتَ عين الساهر
أحييتَ سنَّة من مضى فتجدَّدتْ وأبنتَ بدعة ذي الضلالِ الخاسرِ
فافخرْ بنفسك أو بجدِّك مُعْلنا أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ
ما للمكارم غيرُكُم من أولٍ بعد النبيُّ وما لها من آخرِ
إنِّي دعوتُك فاستجبتَ لدعوتي والموتُ مني قيدُ شِبْر الشابرِ
فانتشلتني من قعْر مَوْردة الردى أمْنا ولم تسمع مقالةَ زاجرِ
وفككتَ أسري والبلاءُ مُوكَّل وجبرتَ كسْرا ماله من جابرِ
وعطفتَ بالرُّحم التي ترجُو بها قرب المحلِّ من المليك القادر
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أرى غرضا ببابك للمُلم الفاقر
أو أن أضيَّع بعدما أنقذتني من ريب مُهْلكة وجدٌ عاثر
ولقد مننتَ فكنت غيرَ مكدِّر ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكر (٣٧٠/١٦)

---

(١) قُويم: تصغير قوم، وتُسنى: يُرفع ثمنها (٢) الخليط هنا: القافلة التي تعزم على السير.

(٨٩)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال: حدّثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال: أبو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طُفيل الغنويّ والنابغة الجعديّ. (٣٧٥/١٦)

(٩٠)

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال: لم يصف أحد قطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دُواد، ولا وصف الخمر إلا احتاج إلى أوس بن حجر، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة، ولا اعتذر أحد في شعره إلا احتاج إلى النابغة الذبياني(١). (٣٧٥/١٦)

(٩١)

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدّثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد: طُفيل: وأبو دُواد، والجعديّ. فأمّا أبو دواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر. وأما طُفيل فإنه كان يركبها وهو أغرل(٢) إلى أن كبر. وأما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء، فأخذ عنهم(٣). (٣٧٥/١٦)

---

(١) كأنّ ابن الأعرابي هنا يسمّي الأشياء بأسمائها، ويردُّ كلّ غرض أو معنى إلى صاحبه الذي أبدع فيه، وبلغ الغاية.

(٢) الأغرل: الصبي الذي لم يختن.

(٣) يشير الأصمعي هنا إلى قضية مهمّة من قضايا النقد الأدبي وهي مصدر الإبداع لدى الشاعر. أهو التجربة الشخصية؟ أم الواقع؟ أم الثقافة؟ وقد أريق مداد كثير حول هذه القضية، وتباينت الآراء حولها، وذهب بعض الدارسين إلى أنّ «البيئة المباشرة للشعر حقاً هي تراث الشعراء الذين ورثهم الفنان، فالشعراء يستمدّون من الفن أكثر ممّا يستمدّون من الطبيعة والمجتمع»، ينظر دراسة الأدب العربي، د. مصطفى ناصف (ص ١٠٨).

ولعلّنا نجد تشابهاً كبيراً بين هذا الرأي، وبين ما ذهب إليه الأصمعي بخصوص النابغة الجعدي، فهو لم يَعِشْ مع الخيل مثل أبي دؤاد، ولم يركبها صغيراً مثل طفيل. بل استفاد من هذا، وذاك، وغيرهما من الشعراء وأدمن السماع والتمثّل، فاستقامت له الطريقة، وبان له منهج الوصف، فوصف، فكأنّ الأصمعي يشير إلى مصدرين من مصادر الإبداع: التجربة، والثقافة، وكلا المصدرين قادران على أن يصنعا شعراء متميزين في الغرض ذاته، يكونان المثل فيه، ومنتهى الغاية التي تضرب بها الأمثال.

(٩٢)

... قال الأصمعي: وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل. (٣٧٧/١٦)

(٩٣)

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنْبل، عن سعيد بن جابر الكرخيّ، عن أبيه: أنه حضر أبو دلف القاسم بن عيسى وعنده أبو تمام الطائيّ، وقد أنشده قصيدته:

على مثلها من أربُعٍ وملاعب أذيلَتْ مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ إلى قوله:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسِها وزادت على ما وطّدت من مناقبِ
فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سُيوفُكم عُروش الذين استُرْهِنوا قوس حاجبِ(١)
محاسنُ من مجد متى تقْرُنوا بها محاسن أقوامٍ تكن كالمعايب

فقال أبو دُلف: يا معشر ربيعة، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ، فما عندكم لقائله؟ فبادروه بمطارفهم يرْمون بها إليه. فقال أبو دُلف: قد قبلها وأعاركم لبْسها، وسأثوب عنكم في ثوابه. تمِّم القصيدة يا أبا تمام. فتممها، فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: والله ما هي بإزاء استحقاقك وقدرك. فاعذرنا، فشكره وقام ليقبِّل يده، فحلف ألاّ يفعل، ثم قال له: أنشدني قولك في محمد بن حُميد:

وما مات حتى ماتَ مضْرِب سيفه من الضرب واعتلّت عليه القنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلا فردَّه إليه الحفاظ المرُّ والخلُقُ الوعْر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخْمُصِك الحشر

---

(١) يوم ذي قار: يشير إلى المعركة التي دارت بين العرب والفرس، وهو يوم مشهور لبني بكر بن وائل وقادمة بني شيبان وبعدهم بنو عجل، والذين استرهنوا القوس هم الفرس، وحاجب صاحب القوس هو حاجب بن زرارة التميمي، طلب من كسرى أن يؤذن لقومه في دخول الريِّف بسبب الجدب الذي حلَّ بهم، فأبى كسرى وقال: إذا أذنتم لكم أفسدتم بلادي، وأغريتم عليَّ رعيتي. فقال حاجب: أنا ضامن للملك ألاّ يفعلوا. فقال كسرى: فَمَن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي، فقبلها كسرى. ووفى حاجب وقومه ما وعدوا به، ثمّ ارتحل عطارد بن حاجب بعد موت أبيه إلى كسرى فاستردّ قوس أبيه. فضرب المثل بقوس حاجب. ينظر ثمار القلوب للثعالبي، (٦٢٥).

غـدا غـدوةً والحـمـد نسْـجُ ردائِهِ فلم ينصـرف إلا وأكـفـانه الأجـر
كـأنَّ بنـي نبـهـانَ يـوم مُصـابـهِ نجـومُ سـمـاء خـرَّ من بينهـا البـدر
يُعـزَّوْن عـن ثاو يُعـزَّى بـه العُلـى ويبكي عليه البـأسُ والجـود والشـعـر

فأنشده إياها، فقال: والله لوددت أنها فيّ. فقال: بل أفدّي الأمير بنفسي وأهلي، وأكونُ المقدم، فقال: إنه لم يمت من رُثي بهذا الشعر، أو مثله. (٣٨٩/١٦)

(٩٤)

... ومما رثى لبيد أخاه أربد قوله وهي من مختار مراثيه:

طربَ الفـؤادُ وليْتـه لم يطْرَبِ وعناه ذِكْـرى خُـلَّة لم تصْقَبِ(١)
سفهـاً، ولو أني أطعْتُ عواذلي فيما يُشِـرْنَ به بسفْح المذْنبِ
لزجـرتُ قلْبـاً لا يريعُ لزاجـرٍ إنَّ الغَـوِيَّ إذا نُهـى لـم يُعْتَبِ(٢)
فتعزَّ عن هـذا، وقُـلْ في غيْره واذكُرْ شمائلَ من أخيك المُنْجِبِ
يا أربدَ الخيْرِ الكـريم جـدودُه أفردتني أمشي بقرْنٍ أعضبِ(٣)
إنَّ الرزيـئـة لا رزيـئـة مـثلهـا فقْدانُ كلِّ أخٍ كـضـوْء الكوكبِ
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ
يتـأكَّلون مـغـالةً وخـيـانـةً ويُعـابُ قـائلُهم وإنْ لم يشْغبِ(٤)
ولقد أراني تارةً مـنْ جعْفـرٍ من مثل غيْثِ الوابلِ المتحلِّبِ(٥)
مِنْ كل كهْـلٍ كالسِّـنان وسيِّدٍ صعْبِ المقادةِ كالفنيق المُصْعبِ(٦)
مِنْ مـعْشـرٍ سـنَّتْ لهم آباؤهم والعـزُّ قـد يأتي بغـيـر تطلُّبِ
فبرى عظامي بعد لحمي فقْدُهم والدَّهْـرُ إنْ عـاتبتَ ليس بمُعْتبِ (٦٤/١٧)

(٩٥)

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار، قال: حدّثني داود بن محمد بن جميل، عن ابن الأعرابيّ، قال: قال لي الهيثم بن عدي: كنّا جلوساً عند صالح بن حسان، فقال لنا: وأخبرني

---

(١) تصقب: تجاور وتقترب. (٢) لا يريع: لا يرجع ولا يتّعظ، ولم يعتب: لم يرجع إلى ما يرضي عاتبه.
(٣) أعضب: مكسور أو مقطوع. (٤) مغالةً: اغتيالاً.
(٥) جعفر: يعني قومه بني جعفر، وفي مثل غيث الوابل: أي كثرةُ عدد.
(٦) الفنيق: الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله، والمصعب: غير الذلول.

عمّي عن الكُرانيّ، عن النوشجاني، عن العمريّ، عن الهيثم بن عديّ، قال: قال لنا صالح بن حسّان. وأخبرني به الأخفش عن المبرّد، قال: قال لي صالح بن حسّان: أنشدوني بيْتاً خفِراً في امرأة خفرة شريفة، فقلنا: قول حاتم:

يُضيء لها البيتُ الظليلُ خصاصُه ... إذا هي يوْمــاً حــاولتْ أن تبسّـما

فقال: هذه من الأصنام، أريد أحسنَ من هذا. قلنا: قول الأعشى:

كأنَّ مِشْيتها مِنْ بيْتِ جارتها ... مرُّ السحابةِ لا ريْثٌ ولا عجلُ

فقال: هذه خرُاجة ولاجة كثيرة الاختلاف. قلنا: بيت ذي الرُّمّة:

تنُـوء بأخراهــا فلأياً قيامُهــا ... وتَمشي الهُوَيْنا مِنْ قريبٍ فتُبْهَرُ

فقال: هذا ليس ما أردت، إنما وصف هذه بالسمن، وثقل البدن فقلنا: ما عندنا شيء. فقال: قول أبي قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزُرنها ... وتعْتلُّ عن إتيانهنَّ فتُعْـذَرُ

وليس لها أنْ تستهينَ بجارةٍ ... ولكنهــا مِنْهُنَّ تحْـيا وتخفـرُ

ثم قال: أنشدوني أحسن بيتٍ وُصفت به الثريّا، قلنا: بيت ابن الزّبير الأسديّ:

وقد لاح في القُور الثُّريّا كأنما ... به رايةٌ بيضــاء تخفـقُ للطَّعْنِ(١)

قال: أريد أحسنَ من هذا. قلنا: بيت امرئ القيس:

إذا ما الثريّا في السماء تعرَّضَتْ ... تعرُّضَ أثناء الوشــاحِ المُفصّـل

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: بيت ابن الطُّثُريّة:

إذا ما الثريّا في السماء كأنّها ... جُمانٌ وهي مِنْ سِـلْكِهِ فتسرُّعا

قال: أريد أحسن من هذا. قلنا: ما عندنا شيء. قال: قول أبي قيس بن الأسلت:

وقد لاح في الصُّبْح الثريا لمن رأى ... كعنقود مُلّاحيــةٍ حين نوّرا(٢)

قال: فحكم له عليهم في هذين المعنيين بالتقدم. (١٢٩/١٧)

---

(١) القور: جمع قارة وهو الجُبيل الصغير المنقطع عن الجبال ذو لون أسود. ينظر لسان العرب (١٢١/٥).

(٢) المُلّاحيّة: ضرب من العنب، أبيض في حبّه طول. ينظر لسان العرب (٦٠٣/٢). ونوّرا: أزهر.

(٩٦)

وفي عبْدِ المجيد يقولُ ابنُ مُناذر يمدحُه، وهو من مُخْتار ما قاله فيه، أنشدنيها عليّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن محمد بن زيْد من قصيدةٍ أولها:

شَـيَّبَ ريبُ الزَّمـانِ رأسي ... لهْفي على ريبِ ذا الزَّمـانِ
يقـدحُ في الصُّمِّ من شـروْرى ... ويخْـدُر الصُّـمَّ مـن أبانِ(١)

يقولُ فيها يمدح عبْدَ المجيد:

منِّي إلـى الماجد المُرجَّـى ... عبدِ المجيد الفتى الهجانِ
خيـرِ ثقيفٍ أباً ونفْسـاً ... إذا التقت حلْقتـا البطان
نفْـسي فـداءٌ له وأهْلي ... وكُـلُّ مـا تمْلك اليـدانِ
كـأنَّ شمسَ الضُّحى وبدر ... النُّجـوم عليـه مُعلَّقـان
نيطا معـاً فوق حاجبيْه ... والبدرُ والشَّمسُ يضْحكانِ
مُشـمِّرٌ، همُّه المعـالي ... ليـس بـرثٌّ ولا بـواني
بنى له عـزهْةً ومـجْداً ... في أولِ الدَّهـرِ بانيـان
بـانٍ تلقَّـاه من ثقيـفٍ ... ومن ذُرا الأزدِ خيـرُ باني
فاسـألْه ممَّـا حـوت يداه ... يهْتزُّ كالصَّـارم اليمـاني (١٧٧/١٨)

(٩٧)

أخبرني عمّي، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ أبي سعْد، قال: حدّثني أبو توْبة صالحُ بنُ مُحمد قال: مرض عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب الثَّقفيّ مرضاً شديداً بالبصْرة، وكان ابنُ مناذر ملازما له يُمرِّضُه ويخدمه، ويتولى أمره بنفسه، لايكله إلى أحد، فحدّثني بعضُ أهلهم قال: حضرتُ يوما عنده، وقد أسْخنَ له ماءٌ حارٌ ليشربه، واشتدَّ به الأمرُ فجعل يقول: آه! بصوت ضعيف، فغمس ابنُ مُناذر يده في الماء الحارِّ وجعل يتأوَّه مع عبد المجيد ويدهُ تحْترق حتى كادت يدهُ تسقُط، فجذبْناها وأخرجْناها من الماء، وقلنا له: أمجْنونٌ أنت! أيُّ شيء هذا! أينتفع به ذاك! فقال: أساعده، وهذا جهْد من مقلٍّ، ثم استقلَّ من علَّته تلك وعُوفي مُدَّة طويلة، ثم تردَّى من سطح فمات، فجزِع عليه جزعاً شديداً حتى كاد يفضلُ أهله وإخوته في البكاء والعويل، وظهر منه من الجزع ما عجب الناسُ له، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشْهورة، فرواها أهلُ البصْرة، ونيح بها

(١) شروري: جبل مطلّ على تبوك في شرقيِّها، وأبان: جبل أسود، ينظر معجم البلدان (٣٣٩/٣، ٦٢/١).

على عبد المجيد، وكان الناس يُعجبون بها ويستحْسنُونها. أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم النُّوشجانيّ، قال: سمعت أبي يقول: حضرتُ سُفيان بن عيينة يقول لابن مُناذر: أنشدني ما قلتَ في عبد المجيد، فأنشده قصيدته الطويلة الدّالية. قال سفيان: بارك الله فيك، فلقد تفرّدت بمراثي أهل العراق. (١٧٨/١٨)

(٩٨)

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّب، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزي، قال: حدّثني جعفر بن محمد عن دماذ قال: دار بيْن الخليل بن أحْمد وبيْن ابنِ مُناذر كلام، فقال له الخليل: إنّما أنتم معْشر الشُّعراء تبعٌ لي، وأنا سكّان السُّفينة، وإن قرُظْتُكم ورضيتُ قولكم نفقْتُم وإلاّ كسدْتم(١)، فقال ابنُ مُناذر: والله لأقولنّ في الخليفة قصيدةً أمتدحُهُ بها ولا أحتاجُ إليك فيها عنده ولا إلى غيرك، فقال في الرّشيد قصيدته التي أولُها:

ما هيّجَ الشوقَ من مُطوّقةٍ أوفتْ على بانـةٍ تُغنّينا

يقول فيها: لو سـألْنا بحُسْـن وجْهك يا هارونُ صوّبَ الغمام أسقينا

قال: وأراد أن يفِدَ بها إلى الرشيد، فلم يلبث أن قدِمَ الرشيدُ البصْرة حاجّاً ليأخذَ على طريق النّباج(٢) وكان الطريق قديماً، فدخلها وعديلُه(٣)إبراهيم الحرّانيّ فتحمّل عليه ابنُ مُناذر بعُثْمان بنِ الحكمَ الثّقفيّ، وأبي بكر السُّلميّ حتى أوصلاه إلى الرّشيد، فأنشده إيّاها، فلما بلغ آخرها كان فيها بيت يفْتخر فيه وهو:

قومي تميمٌ عند السِّماك لهم مجْـدٌ وعِـزٌ فمـا يُنالونا

فلما أنشده هذا البيت تعصّبَ عليه قوْمٌ من الجلساء، فقال له بعضهم: يا جاهلُ، أتفخر في قصيدةٍ مدحْتَ بها أمير المؤمنين(٤)، وقال آخر: هذه حماقة بصْريّة، فكفّهم عنه الرشيد ووهب له

---

(١) لعلّ الخليل لا يريد نفسه وحدها، وإنّما يقصد معاشر العلماء والنقاد الذين يتعهّدون الشعراء بالرعاية والإرشاد، والنقد الموضوعي، ونحن نعلم أنّ من وظائف النقد رعاية الأعمال الأدبية وتوجيهها، والتنبيه على جوانبها المضيئة، والمظلمة على حدٍّ سواء.

(٢) في بلاد العرب نباجان، أحدهما على طريق البصرة يقال له نباج بني عامر، وهو بحذاء فيد، والآخر نباج بني سعد بالقريتين.

(٣) عديله: أي الجالس إلى جانبه. (٤) كأنه أخطأ حين خلط المديح بالفخر، وكان يجب أن تأتي القصيدة خالصة للمديح، وهو ما يناسب المقام الذي ألقيت فيه

عشرينَ ألفَ درْهم. (١٨٣/١٨)

(٩٩)

أخبرني عليّ بن سُلَيْمان، قال: حدّثنا محمدُ بن يزيد، عن مُحمد بن عامر الحنفيّ، قال: لمّا ماتَ عبدُ المجيد بنُ عبد الوهاب، خرج ابنُ مُناذر إلى مكّة، وترك النُّسُك وعاد للمُجونِ والخَلْع، وقال في هذا المعنى شِعْراً كثيراً، حتى كان إذا مدح أو فخر، لم يجعل افْتتاحَ شعره ومباديه إلا المُجون، وحتى قال في مدْحه للرَّشيد:

هل عندكم رُخْصةٌ عن الحسـ ـن البصْريّ في العِشْق وابنِ سيرينا
إنْ سفاهاً بذي الجلالة والشَّيْبةَ ألاّ يزالَ مفْتونا

وقال أيضاً في هذا المعْنى:

ألا يا قمر المسْجد هل عندك تَنْويلُ؟
شفاني منك - إن نوَّلْتني - شمٌّ وتقْبيلُ
سلا كُلُّ فؤادٍ و فُؤادي بك مشْغُولُ
لقد حُمِّلت من حُبِّيـ ـك ما لا يحمل الفيلُ (١٩٢/١٨)

(١٠٠)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيُّ، عن أبي حاتم، قال: قال ابنُ مناذر: مامرَّ بي شيء قطُّ أشدَّ عليَّ مِمّا مرَّ بي من قولِ أبي العسْعاسِ فيّ:

كثُرت أبوَّتُه وقلَّ عديدُه ورمى القضاءُ به فراشَ مُناذرِ

انظُر بكم صِنْف قد هجاني في هذا البيْت قبَّحه الله، ثم منعني من مُكافأته أنّي لم أجِد له نباهة فأغُضَّها، ولا شرفاً فأهدمه، ولا قدْراً فأضعه(١). (١٠٦/١٨)

(١٠١)

أخبرني مُحمد بن عِمْران، قال: حدّثني العنزيّ، قال: حدّثني صخْر بن أسد السُّلميّ قال: حدّثني أبي أسدُ بنُ جديلة قال: حدّثني أشجعُ السُّلميّ قال: شخصت من البصْرة إلى الرُّقة، فوجدت الرّشيد غازياً، ونالتْني خلّة، فخرجت حتى لقيتُه مُنصرفاً من الغزو، وكنت قد اتّصلْت

(١) هذا يقوّي ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الهجاء محتاج إلى مادّة، يكون الشرف سداها، والسؤدد لحمتها، وعندما يعدم هذا كلّه، يصبح الهجاء غير ذي معنى.

ببعض أهل داره، فصاح صائحٌ ببابه: مَنْ كان ها هنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبْعة وأنا ثامنهم، وأمرنا بالبُكور في يوم الجمعة، فبكَّرنا وأدخلنا، وقُدِّم واحدٌ واحدٌ منا يُنشِدُ على الأسنان، وكُنتُ أحدثَ القوم سنًّا، وأرثُّهم حالاً، فما بُلِغ إليَّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقُدِّمت والرُّشيد على كُرْسيّ، وأصحابُ الأعمدة بين يديه سماطان(١)، فقال لي: أنشدني، فخِفْت أن أبتدئ من أوّل قصيدتي بالتَّشْبيب فتجب الصلاة ويفوتني ما أردت، فتركتُ التَّشْبيب وأنشدتُه من موْضع المديح في قصيدتي التي أوّلها:

تذكَّر عهد البيضِ وهو لها تِرْبُ ... وأيّام يُصبي الغانياتِ ولا يصْبُو

فابتدأتُ قولي في المديح:

إلى ملك يستفرقُ المالَ جُودُه ... مكارمُه نثْرٌ ومعْروفه سكْبُ
وما زال هارونُ الرِّضا بنُ مُحمَّدٍ ... له من مياهِ النَّصْر مشْرَبُها العذْبُ
متى تبلغُ العيسُ المراسيلُ بابه ... بنا فهناك الرُّحْبُ والمنزلُ الرَّحْبُ
لقد جُمِعت فيك الظُّنون ولم يكن ... بغيرك ظنٌّ يستريح له القلْبُ
جمعتَ نوي الأهواء حتى كأنَّهُم ... على منهجٍ بعْد افتراقهمُ ركْبُ
بثثْتَ على الأعداء أبناء دُرْبةٍ ... فلم يقهم منهم حُصونٌ ولا درْبُ
وما زلتَ ترْميهم بهم مُتفرِّدا ... أنيساك حزْمُ الرَّأيِ والصَّارمُ العضْبُ
جهدْتُ فلم أبلغ عُلاك بمدْحةٍ ... وليس على مَنْ كان مُجتهداً عتْبُ

فضحك الرُّشيد وقال لي: خِفْتَ أن يفوتَ وقْتُ الصلاة فينقطع المديح عليك، فبدأتَ به وتركت التَّشْبيب، وأمرني بأن أنشده التَّشْبيبَ فأنشدتُه إيَّاه، فأمر لكُلِّ واحد من الشُّعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعْفها. (٢١٢/١٨)

(١٠٢)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفَّاف، قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه، قال: حدَّثني أبي، قال: بلغني أنَّ أشْجع لمَّا أنشد الرَّشيد هذين البيتين: وعلى عدوِّك يابْنَ عمِّ مُحمَّدٍ

والذي بعده، طرب الرشيد، وكان مُتَّكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحسن والله، هكذا تُمدح الملوك. (٢١٥/١٨)

---

(١) سماطان: صفّان.

(١٠٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الحسنُ بن محمد بن طالب الدّيناريّ قال: حدّثني عليُّ بنُ الجهم، قال: دخل أشجعُ على الرّشيد وقد مات ابنٌ له، والناسُ يُعزُّونه فأنشده قوله:

نقْصٌ من الدِّين ومن أهله ... نقصُ الرّزايا من بني هاشمِ
قدْمته ـ فاصبر على فقده ـ ... إلى أبيه وأبي القاسمِ

فقال الرّشيد: ما عزّاني اليوم أحدٌ أحسن من تعْزية أشجع، وأمر له بصلة (٢٢٣/١٨)

(١٠٤)

أخبرني الحسن، ومحمد بن يحيى الصُّوليّ، قالا: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن منصور بن زياد، وكان يُقال لأبيه فتى العسكر، قال: أقبل أشجعُ إلى باب أبي، فرأى ازْدحامَ الناس عليه، فقال:

على بابِ ابنِ منصور ... علاماتٌ من البذْلِ
جماعاتٌ وحسْبُ البا ... بِ نُبْلاً كثرةُ الأهلِ

فبلغ أبي بيتاه هذان، فقال: هما واللهِ أحبُّ مدائحه إليّ. (٢٢٤/١٨)

(١٠٥)

وقال أحمدُ بنُ الحارث: فقيل لأحمد بن عمرو أخي أشْجع: مالك لا تمدح المُلوكَ كما يمدحهم أخوك؟ فقال: إن أخي بلاءً عليّ وإن كان فخْرا، لأنّي لا أمدح أحداً ممّن يرضيه دُون شعْري ويُثيب عليه بالكثير من الثّواب إلاّ قال: أينَ هذا من قوْل أشجع؟ فقد امتنعْتُ من مدْح أحد لذلك. (٢٢٧/١٨)

(١٠٦)

قال: فقدم العمانيُّ على عيسى بن موسى، فلمّا وصل إليه أنشده مديحاً له وفد إليه به، فاستحسنه ووصله واقْتطعه إليه وخصّه، وجعله في جلسائه، فقال العُمانيُّ فيه:

ما كنتُ أدْري ما رخاءُ العيْشِ ... ولا لبستُ الوشْيَ بعد الخيْشِ
حتى تمدّحْتُ فتى قُريشِ ... عيسى، وعيسى عند وقتْ الهيْش(١)

(١) الهيش: الفتنة

حين يخفُّ غـيـرُه للطِّيش زيْـن المقـيـمين وعـزُّ الجـيشِ
راش جناحيَ وفوق الرِّيشِ (٣١٨/١٨)

(١٠٧)

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: قال لي محمد بنُ عبد الله بن مسلم: حدّثني أبي قال: اجتمع أصحابُ المأمون عنده يوما، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء، فقال له بعضهم: أين أنت يا أمير المؤمنين عن مُسلم بن الوليد؟ قال: حيث يقولُ ماذا؟ قال: حيثُ يقول وقد رثى رجلاً:

أرادوا ليُخْفوا قبره عن عـدُوِّه فطيبُ تُرابِ القبر دلَّ على القبْرِ

وحيث مدح رجلا بالشّجاعة فقال:

يجودُ بالنَّفس إذْ ضنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنَّفْس أقصى غايةِ الجُودِ

وهجا رجُلا بقُبْح الوجه والأخْلاقِ فقال:

قَبُحتْ مناظرُه فحين خبرتُه حسُنَتْ مناظرُه لقُبْح المخْبرِ

وتغازل فقال: هوىً يجدُّ وحبيبٌ يلعبُ أنتْ لَقىً بينهمـا مُعذَّبُ

فقال المأمونُ: هذا أشعرُ مَنْ خُصِصْتُم اليوم في ذكره. (٣٤/١٩)

(١٠٨)

أخبرني محمدُ بنُ عِمْران الصيْرفيّ والحسن بنُ علي الخفّاف قالا: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدّثني قَعْنب بنُ المُحْرز، وابنُ النَّطّاح، عن القحْذميّ قال: قال يزيدُ بنُ مزْيد: أرسلَ إليَّ الرّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسل فيه إلى مثْلي فأتيتُه لابسا سلاحي، مُستعداً لأمر إن أراده، فلما رآني ضحِك إليَّ ثم قال: يا يزيد خبِّرني مَنِ الذي يقولُ فيك:

تراهُ في الأمْنِ في درْعٍ مُضاعفَـة لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يُدْعى على عجلِ
صافي العيـان طموحُ العين همَّتُه فـكُّ العُناةِ وأسْـرُ الفاتك الخطِلِ
لله من هاشم في أرضـه جـبلٌ وأنـتَ وابنُـك ركْـنا ذلك الجـبل

فقلت: لا أعرفُه يا أمير المؤمنين. قال: سوْءَةٌ لك من سيِّد قوم يُمدح بمثْل هذا الشِّعر ولا تعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله، وهو مُسْلِمُ بنُ الوليدِ. فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلتُه وولّيتُه. (٣٤/١٩)

(١٠٩)

أخبرني محمد بنُ يزيد قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جدِّه قال: قلتُ لمُسلم بن الوليد: ويْحك! أما استحْييْتَ من النَّاس حين تهْجو خُزيمة بنَ خازم، ولا استحْييتَ منا ونحن إخوانُك، وقد علمتَ أنَّا نتولّاه وهو مَنْ تعرف فضْلا وجُوداً؟ فضحك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لغيْرك الجهْل، أما تعْلم أنَّ الهجاء آخذٌ بضبْع الشَّاعر وأجدى عليه من المديح المُضرِع؟(١) وما ظلمتُ مع ذلك منهم أحداً، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردِّه، ولكن قد وهبتُ لك عرْض خزيمة بعد هذا. قال: ثم أنشدني قوله في سعيد بن سلْم:

دُيونك لا يُقْضى الزمان غريمُها ... ويُخْلُك بخْلُ الباهليِّ سعيدِ
سعيدُ بنُ سلْم أبخلُ الناس كلِّهم ... وما قومه من بُخله ببعيدِ

فقلت له: وسعيدُ بنُ سلْم صديقي أيضاً، فهبْه لي، فقال: إن أقبلتَ على ما يعْنيك، وإلاَّ رجعْتُ فيما وهبتُ لك من خُزيمة، فأمسكتُ عنه راضياً بالكفاف. (٥٧/١٩)

(١١٠)

أخبرني الحسنُ بنُ علي قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني عليّ بن عُبيد الكوفيّ قال: حدّثني عليُّ بن عمروس الأنصاريّ قال: جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخزْرج إلى مُسلم بنِ الوليد فقال له: ويْلك ما لنا ولك، قد فضحتنا وأخزيتنا، تعرَّضت لابن قنْبر فهاجيْتَه، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلتَ عنه وأرعيْته لُحومنا، فلا أنت سكتَّ ووسعك ما وسع غيرك، ولا أنت لمَّا انتصرتَ انتصفتَ. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كفَّ وإلا تحمَّلتُ عليه بإخوانه، فإن كفَّ وإلا وكلتُه إلى بغْيه، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو الله عليه فيها فإنها تُهلكه، فقال له الأنصاريّ: سخِنَتْ عينُك! أو بهذا تنتصفُ ممن هجاك؟ ثم قال له:

قد لاذ من خوفِ ابن قنبر مُسلمٌ ... بدُعاء والده مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخ أو جارِ
ثكلتْك أمُّك قد هتكْتَ حريمنا ... وفضحت أسرتنا بني النجارِ

---

(١) الضبع: العضد، يريد أنَّ الهجاء ملازم للشاعر مرافق له، والمضرع: المُذلّ، وقد رأينا في نصّ سابق هو الثالث عشر أنَّ بشّار بن برد يقول كلاماً قريباً من هذا الذي نقرؤه في هذا النصّ، وكأنَّ هذا الأمر قد أصبح شائعاً بين الشعراء، وهو أمر غريب، علّقنا هناك بما يكفي.

عممتَ خزرجنا ومعشر أوسِنا خزياً جنيتَ به على الأنصارِ
فعليك من مولىً وناصرِ أسرةٍ وعشيرةٍ غضبُ الإله الباري

قال: فكاد مسلم أن يموت غماً وبُكاءً وقال له: أنت شرٌّ عليَّ من ابنِ قنبر. ثم أثاب وحمي، فهنك ابنَ قنبر ومزَّقه حتى تركه، وتحمَّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة. (٦٢/١٩)

(١١١)

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: مَنْ سمع ابنَ الأعرابيّ يقول: أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمد بن وُهيب:

لم تند كفاك من بذْل النوال كما لم يَنْدَ سيفُك مذ قلّدته بدمِ (٨٢/١٩)

(١١٢)

قال الأصبهانيّ: ولمحمد بن وهيب في المأمون والحسن بنِ سهل خاصة مدائحُ شريفة نادرة، من عيونها قولُه في المأمون في قصيدة أولُها:

العُذْرُ إن أنصفتَ متَّضحُ وشهيدُ حُبِّك أدمعٌ سُفُحُ
فضحت ضميرَك عن ودائعه إنَّ الجُفونَ نواطقٌ فُصُح
وإذا تكلَّمت العُيون على إعجامها فالسِّرُّ مُفتضحُ(١)
ربما أبيتُ مُعانقي قمرٌ للحُسْن فيه مخايل تضحُ(٢)
نشرَ الجمالُ على محاسنه بِدَعاً وأذهب همَّه الفرحُ
يختال في حُلَلِ الشَّباب به مرحٌ ودَاؤُك أنه مرحُ
مازال يُلثِمُني مراشفَه ويَعلُّني الإبريقُ والقدحُ
حتى استردَّ الليلُ خِلْعَتَه ونشا خلالَ سواده وضحُ
وبدا الصَّباحُ كأن غُرَّتَه وجهُ الخليفةِ حين يُمتدحُ

يقول فيها:

نشرت بك الدُّنيا محاسنها وتزيَّنت بصفاتك المِدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عنك له بإزاء طرفك عارضاً شبحُ
وإذا سلِمتَ فكلُّ حادثةٍ جللٌ فلا بُؤسٌ ولا ترحُ (٨٨/١٩)

---

(١) الإعجام هنا: السكوت. (٢) تَضح: تبين وتظهر.

(١١٣)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد القاسم بن مهْرويه، عن علي بن الصبّاح - وأظنه مُرسلا وأن بينه وبينه ابن أبي سعْد أو غيره، لأنه لم يسْمع من عليّ بن الصبّاح - قال: حدّثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشدني أشجع بيت وأعفّه وأكرمه من شعر المحدثين، فأنشدته:

ومن يفْتقر منّا يَعِشْ بحُسامه ... ومن يفْتقرْ من سائرِ النّاسِ يسْأل
وإنّا لنلْهُو بالسُّيوف كما لهت ... عروس بعقدٍ أو سِخابِ قرنْفُلِ(١)

فقال: ويحك ! مَنْ يقول هذا؟ فقلت: بكْرُ بنُ النطّاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كذب في قوله، فما باله يسألُ أبا دُلف ويمتدحه وينتجعهُ! هلاّ أكل خُبزه بسيْفه كما قال! (١٠٨/١٩)

(١١٤)

أخبرني محمدُ بن مزيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كنت يوماً عند عليّ بن هشام، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقيْل، فحدّثتُه أنّ بكر بنَ النُطاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، فقال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تسْتطرفه، فبدر إليه بكْرٌ وقال: أنا أنشدك أيها الأميرُ بيْتين قُلْتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأحكّمك، فقال: هات، فإن شهد لك أبو محمد رضينا، فأنشده:

إذا كان الشّتاءُ فأنت شمْسٌ ... وإن حضر المصيفُ فأنتَ ظلُّ
وما تدري إذا أعْطيْتَ مالاً ... أتُكثِرُ في سماحك أم تُقِلُّ

فقلت له: أحسن والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذا رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحُملتْ إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ، وجّه بها أبو دلف، قال: فقال عُمارة لعليّ بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة:

ولاعيبَ فيهم غيرَ أنّ أكفّهم ... لأموالهم مثلُ السّنين الحواطم(٢)
وأنّهم لا يُورثُون بنيهُمُ ... - وأن ورثوا خيراً - كنوزَ الدّارهم (١١١/١٩)

---

(١) سِخاب قرنفل: عِقد قرنفل.

(٢) الحواطم: الشديدة التي يمتنع فيها المطر، ويكثر الجدب والقحط، ويؤتى فيها على كلّ شيء.

(١١٥)

قال أبو الفرج: ... ورثى بكرُ بن النّطاح مالكَ بن علي الخزاعي بعدّة قصائد هي من غرر شعره وعيونه. (١١٣/١٩)

(١١٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن طهمان، قال: أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مزيد أن يزيد بنَ مزيد قال: ما حسدْتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلا عاصم بن عُتبة الغسّانيَ، فإني حسدته على قول سلم الخاسر فيه:

لعاصمٍ سماءٌ عارضُها تهتانُ(١)
أمطارُها اللجينُ والدر والعقيان(٢)
وناره تنادي إذْ خبت النّيرانُ
الجودُ في قحطان ما بقيت غسان
اسلَمْ ولا أبالي ما فعل الإخوان
صلْتٌ له المعالي والسيف والسنان(٣) (٢٦٨/١٩)

(١١٧)

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدّثنا العنزيّ، قال: حدّثني العباسُ بنُ عبدِ الواحد بنِ جعفر بن سليمان، قال: حدّثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمعيّ، قال: سمعت أبا عبيدة معْمر بنَ المثنى يقول: كان سلْم الخاسر لا يحسن أن يمْدح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل. (٢٧٥/١٩)

(١١٨)

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدّثني عيسى بنُ إسماعيل تينةُ قال: حدّثني القحْذميّ، قال: قيل لِمَعْنِ بن زائدة: ما أحْسَنُ ما مُدِحْتَ به من الشعرِ عندك؟ قال: قولُ سلْم الخاسر:

أبْلِغ الفتيانَ مألُكةً أنْ خيرَ الوُدّ مانفعا(٤)

---

(١) عارضها: مطرها، تهتان: منسكب غزير (٢) العقيان: الذهب الخالص.

(٣) الصلْت من الرجال: القوي الشديد. (٤) المألكة: الرسالة.

أنَّ قرْماً من بني مطرٍ ائتلفتْ كفّاه ماجمعا
كُلّما عُدْنا لنائلـه عاد في معروفه جذعا(١) (٢٨٣/١٩)

(١١٩)

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال: حدّثنا أحمدُ بن أبي خيثمة، قال: حدّثني مصعب بنُ عبد الله قال: سمعتُ أبي يقول: لم يبرح هذه الثنيّة(٢) قطُّ أحد يقذف أعراض الناس ويهجوهم، قلت: مثلُ مَن؟ قال: الحزينُ الكنانيّ، والحكمُ بنُ عكرمة الدؤليّ، وعبد الله بن يونُس الخياطُ، وابنه يونس، وأبو الشدائد. (١/٢٠)

(١٢٠)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثني يونُس بنُ الخيّاط قال: أنشدتُ سعيد بن عمرو الزبيريّ:

لو فاح ريح حبيبةٍ من حبِّها فاحت رياح حبيبتي من ريحي

قال: فقال لي سعيد بن عمرو: والله إني لأقول النسيب، فلا أقدر على مثل هذا. فقلت له: ومن أين تقدر على مثل هذا يا أبا عثمان؟ لا تقدر والله على مثله حتى يسوء الثناء عليك. (٨/٢٠)

(١٢١)

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حدّثني أبو نزارٍ الضبيُّ الشاعر قال: قال لي عليُّ بنُ جبلة قلت لحُميد بنِ عبد الحميد الطُّوسي: يا أبا غانم، إني قد مدحْتُ أمير المؤمنين بمدْح لا يحسن مثله أحد من أهل الأرض، فاذكرْني له. قال: فأنشدني، فأنشدتُه، قال: أشهد أنك صادق، ما يحسن أحد أن يقول هكذا. وأخذ المديح فأدخله إلى المأمون، فقال له: ياحُميد، الجواب في هذا واضح، إن شاء عفونا عنه وجعلنا ذلك ثوابا لمديحه، وإن شاء جمعْنا بين شعره فيك وفي أبي دلف وبين شعره فينا، فإن كان الذي قاله فيكما أجود ضربنا ظهره، وأطلنا حبسه، وإن كان الذي قاله فينا أجود أعطيناه لكل بيت ألف درهم، وإن شاء أقللناه. فقلت له: يا سيدي ومن أنا ومن أبو دلفَ حتى يمدحنا بأجود من مديحك! فقال: ليس هذا الكلامُ من الجواب في شيء، فاعرض ما قلت لك على الرجل، فقال: أفعل. قال عليُّ بن جبلة: فقال لي

---

(١) الجذع: الشاب الحدث، والمراد: عاد أكثر ارتياحاً للندى. (٢) الثنيّة: الطريق في الجبل. جمعها الثنايا.

حميد: ما ترى؟ فقلت: الإقالة أحبُّ إليّ، فأخبرَ المأمون بذلك. فقال: هو أعلم، ثم قال لي حُميد: يا أبا الحسن أيُّ شيء يعني من مدائحك لي ولأبي دُلف؟ فقلت: قولي فيك:

لولا حُميدٌ لم يكن حسب يُعدُّ ولا نسبْ
ياواحد العرب الذي عزَّت بعزَّته العرب

وقولي في أبي دُلف:

إنما الدنيا أبو دُلف بين باديه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

قال: فأطرقَ حُميد ثم قال: لقد انتقد عليك أميرُ المؤمنين فأجاد(١)، وأمر لي بعشرة آلاف درهم وخلعة وفرس وخادم، وبلغ ذلك أبا دُلف فأضعف لي العطيَّة، وكان ذلك في ستر منهما، ما علم به أحد خوفاً من المأمون حتى حدثتك به يا أبا نزار. (٢٠/٢٣)

(١٢٢)

قال أبو الفرج ولما مات حُميد الطُّوسي رثاه علي بن جبلة بقصيدته العينية المشهورة وهي من نادر الشعر وبديعه:

أللدهرِ تبكي أم على الدهر تجزع؟ وما صاحب الأيام إلا مفجَّعُ(٢)
ولو سهُلت عنك الأسا كان في الأسا عزاء مُعزٌّ للبيب ومقنعُ(٣)
تعزَّ بما عزَّيتَ غيرك إنها سهام المنايا حائمات ووُقَّعُ(٤)
أصبنا بيوم في حُميدٍ لو أنه أصاب عروش الدهر ظلت تضعضع
وأدَّبنا ما أدب الناس قبلنا ولكنه لم يبقَ للصبر موضع

---

(١) انتقد: اختبر، أو وجّه نقداً ما لبيت أو قصيدة، أي ميّز بين صحيحها وفاسدها، ونرى المأمون يصنع هذا كلّه، فقد وازن بين قصيدة المديح الموجّهة إلى ثلاثة أفراد، هو واحد منهم، وتوصّل إلى نتيجة لم يفصح عنها، وترك للشاعر حريّة الاختيار، ومن المؤكد أنّ الشاعر يعلم القيمة الفنية لما قاله لهؤلاء الثلاثة، فأثر الإقالة، وهي النتيجة نفسها التي توصّل إليها المأمون، أي إن قصائده في الرجلين أجود من قصائده في الخليفة، وهو ما يعرفه الشاعر من جهة، والخليفة الناقد من جهة أخرى.

(٢) صاحب الأيّام: هو الإنسان.

(٣) الأسا: مفردها أسوة، وهي من أسيتَ فلاناً بمصيبته إذا عزّيته، وذلك إذا ضربت له الأسا، وهو أن تقول له مالك تحزن، وفلان إسوتك أي أصابه ما أصابك فَصَبَر فتأسَّ به. ينظر لسان العرب (١٤/٣٥ ـ ٣٦).

(٤) حائمات: دائرات لم يقعن بعد، ووُقَّع: أي صائبات نافذات.

ألم تر للأيام كيف تصرّمت ... به وبه كانت تُذادُ وتُدفع
وكيف التقى مثوىً من الأرض ضيق ... على جبل كانت به الأرض تُمنع
ولما انقضت أيامه انقضت العلا ... وأضحى به أنف الندى وهو أجدعُ
وراحَ عدوّ الدِّين جذلان ينتحي ... أمانيّ كانت في حشاه تقطع
وكان حُميد معقلا ركعت به ... قواعدُ ما كانت على الضيم تركع
وكنتُ أراه كالرزايا رُزئتُها ... ولم أدْرِ أن الخلق يبكيه أجمع
حِمام رماه من مواضع أمنه ... حِمامٌ كذاك الخطب بالخطب يُقدع(١)
وليس بغرْوٍ أن تصيب منية ... حِمى أختها أو أن يذلُّ المُمنَّع
لقد أدركت فينا المنايا بثارها ... وحلّت بخطب وهْيُه ليس يُرقع(٢)
نعاه حُميدا للسرايا إذا غدت ... تذاد بأطراف الرماح وتوزع(٣)
وللمُرهَق المكروبِ ضاقت بأمره ... فلم يدر في حوماتها كيف يصنع؟
وللبيض خلّتها البُعول ولم يدع ... لها غيره داعي الصباح المفزَّع
كأنَّ حُميداً لم يقُدْ جيش عسكر ... إلى عسكر أشياعه لا تُروَّع
ولم يبعث الخيل المغيرة بالضحا ... مِراحاً ولم يرجع بها وهي ظلَّع
رواجع يحملن النِّهاب ولم تكن ... كتائبه إلا على النهب ترجع(٤)
هوى جبلُ الدنيا المنيعُ وغيثها ... المريع وحاميها الكمّي المشيع(٥)
وسيفُ أمير المؤمنين ورمحه ... ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع
فأقنعه من مُلكه ورباعه ... ونائله قِفر من الأرض بلقع
على أيّ شجو تشتكي النفس بعده ... إلى شجوه أو يذخر الدمعَ مدمع
ألم ترى أن الشمس حال ضياؤها ... عليه وأضحى لونها وهو أسفع(٦)
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها ... وأجدب مرعاها الذي كان يمرع
وقد كانت الدنيا به مطمئنة ... فقد جعلت أوتادها تتقلع
بكى فقده روح الحياة كما بكى ... نداه الندى وابنُ السبيل المدفّع
وفارقت البيضُ الخدور وأبرزت ... عواطل حسرى بعده لا تقنّع(٧)

---

(١) يُقدع: يدفع. (٢) وَهْيُه: فَتْقُه. (٣) نَعاه حُميداً: انعه، وأظهر خبر وفاته.
(٤) النِّهاب: الغنائم. (٥) المشيَّع: الشجاع. (٦) أسفع: أسود شاحب.
(٧) العواطل: جمع عاطل وهي المرأة إذا لم يكن عليها حَلْيٌ ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد. ينظر =

وأيقـظ أجفاناً وكان لها الكـرى ونامـت عيون لم تكن قبلُ تهجع
ولكنه مـقـدار يـوم ثـوى بـه لكل امـرئ منه نهـال ومـشـرع
وقـد رأب اللـه المـلا بمحـمـد وبالأصل يَنمى فـرعُه المتـفـرِّعُ(١)
أغـرّ على أسـيـافـه ورمـاحـه تُقسِّم أنفـال الخـمـيس وتُجـمع
حوى عن أبيه بذل راحته الندى وطعن الكلى والزاعبيـة شـرّع(٢)

وإنما ذكرت هذه القصيدة على طولها لجودتها وكثرة نادرتها. (٢٠/٢٧)

(١٢٣)

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: تذاكرْنا يوما أقبح ما هُجي به الناس في ترك الضيافة وإضافة الضيف، فأنشدنا علي بن جبلة لنفسه:

أقـامـوا الدِّيدبان على يفـاعٍ وقـالـوا لاتنـم للدِّيدبـان(٣)
فـإن آنَسْتَ شـخصـاً من بعيد فصفِّـق بالبنان على البنان
تراهم خشية الأضياف خُرساً ويـأتـون الصـلاة بـلا أذان (٢٠/٣٧)

(١٢٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثنا أحمدُ بنُ عُبيد بن ناصح قال: كلَّم حُميد الطوسيُّ المأمون في أن يدخل عليه عليُّ بن جبلة، فيسمع منه مديحاً مدحه به، فقال: وأيّ شيء يقوله فيَّ بعد قوله في أبي دلف:

إنما الدنيا أبـو دُلـفٍ بين مغزاه ومحتضره
فـإذا ولّى أبـو دُلـف ولّت الدنيـا على أثره

وبعد قوله فيك: يا واحد العرب الذي عزّت بعزتـه العـربْ

أحسن أحواله أن يقول فيَّ مثل ما قاله في أبي دُلف، فيجعلني نظيراً له. هذا إن قدر على ذلك ولم يقصر عنه، فخيِّروه بين أن أسمع منْه، فإن كان مدحه إياي أفضل من مدحه أبا دلف وصلته، وإلا ضربتُ عنقه أو قطعت لسانه، وبين أن أقيله وأعفيه من هذا وذا، فخيِّروه بذلك،

= لسان العرب (١١/٤٥٣)، وتقنّع: هي تتقنّع أي تتحجّب.

(١) رأب: أصلح. (٢) الزاعبيّة: هي الرماح التي إذا هُزّت كانت كأنّ كعوبها يجري بعضها في بعض، أو هي المنسوبة إلى زاعب: بلد، أو رجل. وشُرّع: ممدودة.

(٣) الدّيدبان: الحارس، واليفاع: هو كلُّ مرتفع عن الأرض.

فاختار الإقالة، ثم مدح حُميداً الطوسيُّ، فقال له: وما عساك أن تقول فيَّ بعدما قلته في أبي دُلف، فقال: قدقلتُ فيك خيراً من ذلك قال: هات، فأنشده:

دجلـــة تســـقي وأبو غـــانمٍ يُطعم من تســـقي من النَّاس
النَّاس جســـم وإمـام الهدى رأس وأنـت العـين في الرأس

فقال له حُميد: قد أجدتَ، ولكن ليس هذا مثل ذلك، ووصله. (٣٩/٢٠)

(١٢٥)

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: حدثني أبو الحسن بن المنجم قال: رأيتُ مسلم بن الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي، ثم خرج من عنده، فلقيه ابن أبي عيينة فسلَّم عليه وتحفَّى به، ثم قال: ما خبرُك مع خالد؟ قال: الخبر الذي تعرفه، ثم أنشده قوله فيه:

يا حفْصُ عاطِ أخاك عاطِهْ كأســا تُهيِّج مـن نشـاطِهْ

قال: ومسلمٌ يتبسَّم من هجائه إياه حتى مر فيها كلُّها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تطـاولـت الـرو سُ فغطِّ رأسك ثم طاطِهْ

فقال مسلم: مَهْ، إنَّا لله! هتكته والله وأخزيته، وإنما كنتُ أظن أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتَّى ختمتَه بالجدِّ القبيح، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه، ثم مضى وهو يقول: فضحته والله، هتكته والله!. (١١١/٢٠)

(١٢٦)

أخبرني عمي قال: حدَّثني أحمدُ بن يزيد قال: حدَّثني أبي قال: لقي دِعْبل أبا عُيينة فقال له: أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده:

يا حفصُ عاط أخاكَ عاطِهْ كأســا تُهيِّج مـن نشـاطِهْ
صبْراً فما طـوتْ عنـه الهمـو مُ نعيمـه بعـد انبسـاطه
فـبكـى وحـقَّ لـه البكـا لشـقـائه بعـد اغـتـبـاطه
جـزِع المخـنَّـثُ خـالد لمَّا وقـعتُ على قـمـاطه
فـانظـر إلى نـزواتـه من منطقي وإلى اختـلاطه
دعـني وأيَّـا خـالـدٍ فـلأقطعنَّ عُرى نيـاطه
إنِّـي وجـدْتُ كـلامـه فـيـه مـشـابهٌ من ضُراطه

رجُـــلٌ يعـــدُّ لك الوعـيـــ ـد إذا وطئتَ على بســاطه
وإذا انتظـــرْتَ غـــــداءه فـخفِ البوادر من سياطهْ
يا خالِ صـــدُّ المجـدُ عنـ ـك فلن تجوزَ على صراطه
وعـريتَ مـن حـُلل الندى عُرْي الـ ـتـيم ومن رياطه(١)
فـــإذا تطـــاولـت الـرو ـس فـــفطٌّ رأسك ثُمَّ طاطه

فقال له دِعْبلٌ: أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلته وغضضت منه، وإنّما استنشدتك وأنا أظن أنك قلتَ كما يقول الناسُ قولا متوسطاً، ولو علمتُ أنك بلغْتَ به هذا كله لما استنشدْتك. (١١٢/٢٠)

(١٢٧)

أخبرني بهذا الخبرِ الحسنُ بنُ عليٍّ وعمي قالا: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال: حدّثني الحسين بنُ السريّ قال: لقي دعبل أبا عُيينة فقال له: أنشدني بعض ما قلتَ في ابنِ عمك، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيد، وقال فيه: إنما ظننتُ أنك قلتَ فيه قولا أبقيتَ معه عليه بعض الإبقاء، ولو علمتُ أنك بلغْتَ به هذا كلّه وأغرقتَ هذا الإغراق ما استنشدتك، وجعل يعيد «ففطّ رأسك ثم طاطه»، ويقول: قتله والله! (١١٣/٢٠)

(١٢٨)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: زعم القحْذميّ أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: مَن أهجى المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا؟ قال: الذي يقول في ابن عمه:

لو كـــمـا ينقص يزدا د إذاً نـال الســمـــاء
خـــالدٌ لـــولا أبـــوه كـــان والكلبَ ســـواء
أنا مـا عـشتُ عليـه أسـوأُ النـــاس ثنـاء
إنَّ مَنْ كـان مـسـيـنـا لحـــقـيق أن يُســـاء

فقال الرشيد: هذا ابنُ أبي عُيينة، ولعمري لقد صَدَقَ. (١١٦/٢٠)

(١٢٩)

أخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: قال لنا أبو العباس محمدُ بن يزيد: لم يجتمع لأحد

---

(١) الرياط: جمع الرِّيطة وهي المُلاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفقين، أراد أنّك خالٍ من الكرم بخيل.

من المحدثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله:

أبوك لنا غيثٌ نعيش بوبْلِه وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

وقال محمدُ بن يزيد: ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا:

على إخوتي مني السلامُ تحيةً تحيةَ مُثنٍ بالأخوّة حامدِ
وقل لهُم بعد التحية أنتُم بنفسي ومالي من طريفٍ وتالد
وعزَّ عليهمْ أن أقيم ببلدة أخا سقم فيها قليلَ العوائد
لئن ساءهم ما كان من فعل خالد لقد سرَّهم ما قد فعلْتُ بخالد
وقد علموا أن ليس مني بمُفلت ولا يومُه المسكينِ مني بواحد
أخالدُ كانت صحبتيك ضلالةً عصيتُ بها ربّي وخالفْتُ والدي
وأرسل يبغي الصلح لما تكنّفت عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد
فأرسلتُ بعد الشرّ أني مسالم إلى غير ما لا تشتهي غيرُ عائد (١١٦/٢٠)

(١٣٠)

قال أبو الفرج: وكان دعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى علي صلوات الله عليه، وقصيدته «مدارس آيات خلت من تلاوة» من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت، عليهم السلام، وقصد بها أبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا، عليه السلام، بخُراسان، فأعطاه عشْرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خِلعة من ثيابه. (١٢٠/٢٠)

(١٣١)

أخبرني محمد بن عمران قال: حدّثني أبو خالد الخزامي الأسلمي قال: قلت لدعبل: ويحك! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرك كلّه شريد طريد هارب خائف، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك!. فقال: ويحك؟ إني تأمّلْتُ ما تقول، فوجدْتُ أكثرَ الناس لا يُنتفَع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخف شرُّه، ولمنْ يتقيك على عرضه أكثرُ ممن يرغب إليك في تشريفه، وعيوب النّاس أكثر من محاسنهم، وليس كلُّ مَنْ شرُفته شرُف، ولا كلُّ من وصفتَه بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك، فإذا رآك قد أوجعْتَ عرض غيره وفضحته ـ اتقاك على نفسه وخاف من مثل ماجرى على الآخر. ويحك، يا أبا خالد إن الهجاءُ المقذع أخذٌ بضبع الشاعر من المديح المضْرِع(١). فضحكتُ من قوله، وقلت: هذا والله مقالُ من لا يموت حتْفَ أنفه. (١٢٥/٢٠)

---

(١) تقابلنا هذه المقولة مرّة ثالثة على لسان دعبل، وكانت قد تردّدت على لسان بشّار ومسلم بن الوليد قبل =

(١٣٢)

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني ابن مهْرويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: كان دعبل يُنشدني كثيراً هجاءً قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحدٌ بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه، وذكر اسمه في الشعر(١). (١٢٩/٢٠)

(١٣٣)

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مهْرويه قال حدّثني إبراهيمُ بنُ المدبّر قال: لقيتُ دعبلَ بنَ عليّ، فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إنّي من القوم الذين سيوفُهم ... قتلتْ أخاك وشرّفتك بمقعد

رفعوا محلك بعد طول خُموله ... واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فقال: يا أبا إسحق، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة، فلا أجد من يصلّبني عليها. (١٣١/٢٠)

(١٣٤)

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني محمود بن داود عن أبي عكرمة عامر بنِ عمران عن مسعود بنِ بشر عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيها الفائر المستشيط ... فيم تغار إذا لم تُغَرْ؟

فما خير عِرْس إذا خفتها ... وما خير عرس إذا لم تُزر؟

تغار على الناس أن ينظروا ... وهل يفْتن الصالحاتِ النظرْ؟

وإني سأخلي لها بيتها ... فتحفظ لي نفسها أو تذر

إذا اللهُ لم يُعطني حُبُّها ... فلن يُعطيَ الحُبُّ سوطٌ مُمرْ (٢٠٧/٢٠)

= هذا، وكأنّ دعبلاً يُفَصِّل الحديث عن هذه الظاهرة، في ما أجمله الآخران، فهو يهجو للهجاء، ويهجو لكي يُسمِع غير المهجو، فيتّقي الهجاء بالعطاء، وهو يشير أيضاً إلى عدم اهتمام الناس بالشعر الجيد البعيد عن الهجاء، وهي ظاهرة في مجملها غريبة، أملتها أحداث مستجدّة، ولم نَرَ لها نظائر قبل العصر العباسي.

(١) هذا النصّ يؤكّد ما ذكرناه في التعليق على النصّ السابق، إذ إنّ مادّة الهجاء جاهزة، غير موجهّة إلى أحد، فإذا حان حينها أخرجت، ونالت شخصاً ما باذاها بعد وضع الاسم عليها. وستقابلنا نصوص أخرى شبيهة في أغراض أخرى مثل، المديح والرثاء في قضية صنعة الشعر.

(١٣٥)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال: حدّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ، عن أبيه قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عَريب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنَّر يغنّيانه، فقال: أطعموا محمدا شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلا أقلّه، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحكميّ:

عتقت حتى لو اتّصلتْ ... بلسان ناطق وفم
لاحتبتْ في القوم مائلةً ... ثم قصّت قصّة الأمم

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقُوا محمدا رطلين، وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمّد:

إنّي وأنت رضيعا قهوة لطفتْ ... عن العيان ودقّت عن مدى الفهم
لم نرتضعْ غير كأسٍ درُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أولى من الرُّحمِ

قال: والشّعر له قاله في ذلك الوقت. (٢٤٧/٢٠)

(١٣٦)

حدّثني اليزيديّ قال: حدّثني أبي عن عمي عن أبي جعفرٍ أحمد بن محمد قال: دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله - وأنا يومئذ غلام - فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبُك ترفعا، فأنشدته:

يامن شكوت إليه ما ألقاهُ ... وبذلتُ من وجدي له أقصاهُ
فأجابني بخلاف ما أمّلتُه ... ولربما مُنع الحريصُ مناه
أترى جميلا أن شكا نو صبْوة ... فهجرته وغضبتَ من شكواه
يكفيك صُمت أو جواب مؤيس ... إن كنت تكره وصله وهواه
موت المحب سعادة إن كان من ... يهواه يزعم أن ذاك رضاه

فلما صرت إلى المديح قلت:

أبقي لنا الله الإمام وزاده ... عزّاً إلى العز الذي أعطاه
فالله مكرمنا بأنّا معشر ... عُتقاء من نعم العباد سواه

فسرّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة، ويحسن العمل. (٢٥٩/٢٠)

(١٣٧)

حدّثني جحْظةُ، قال: حدّثني خالد الكاتب، قال: دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني، فقلت: أيها الأمير، أنا غلامٌ أقول في شُجونِ نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو، فقال: ذلك أشدُّ لدواعي البلاء(١). (٢٧٨/٢٠)

(١٣٨)

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب: لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له، وكان قد باعدَهُ ولم أعلم، فأنشأ يقول:

ظعن الغريبُ لغيبة الأبد ... حتى المخافة نائيَ البلدِ
حيرانَ يُؤنسه ويكلؤه ... يومٌ توعّدَهُ بشرٍّ غدِ
سنح الغُرابُ له بأنكرَ ما ... تغدو النحوسُ به على أحدِ
وابتاع أشأمه بأيمنه الجدُّ ... العثورُ له يداً بيدِ
حتى يُنيخ بأرضِ مهْلكةٍ ... في حيثُ لم يولد ولم يلدِ
جزعتْ حليلتُه عليه فما ... تخلو من الزفرات والكمدِ
نزل الزمانُ بها فأهلكها ... منه وأهدى اليُتْم للولدِ
ظفرتْ به الأيامُ فانحسرت ... عنه بناقرةٍ ولم تكدِ(٢)
فتركْنَ منه بعد طيْتِهِ ... مثل الذي أبقيْن من لُبَدِ(٣)

قال، فقلت له: يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمتُ فحوربت، وصافيت فتوقفت. (٢٧٩/٢٠)

---

(١) يبدو أنّ نظرة العصر الأموي إلى الأغرض الشعرية مايزال لها سلطان في العصر العباسي من حيث تفضيل أغراض بعينها، وعدم الاهتمام بأغراض أخرى، فقد صار بلاءً أن يقتصر الشاعر على شجون نفسه، ويتجنّب المدح والهجاء، وهذا يذكّرنا بموقف الشعراء من ذي الرّمة الذي قصر هو الآخر شعره على شجون نفسه، فكان التأخُّر نصيبه.

(٢) الناقرة: الداهية.

(٣) لبد: آخر نسور لقمان. كانت سبعة، كلّما هلك نسر خلفه نسر حتى هلكت كلها.

(١٣٩)

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ، قال: حدّثنا العلائيّ، قال: حدّثني محمد بن أبي العتاهية، قال: لما جلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يابنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البريّه ... إنّما أنتَ رحمةٌ للرّعيّه
يا إمامَ الهدى الأمينَ المصفّى ... بلُبابِ الخلافةِ الهاشميّه
لك نفسٌ أمّارة لك بالخيـ ... ـروكفٌّ بالمكرمات ندِيّه
إنّ نفساً تحمّلت منك ما حُمّـ ... ـلتَ للمسلمين نفسٌ قويّه

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدتَ أمير المؤمنين، فأنشدها. فقالت: أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد؟ فغضب وقال: إنما أنشدُ أمير المؤمنين ما يستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ ... والذي صيغَ من حياءٍ وجُودِ
والذي فيه ما يُسلّي ذوي الأحـ ... ـزان عن كلِّ هالكٍ مفقودِ
إنّ يومـاً أراك فيه ليومٌ ... طلعتَ شمسُه بسعد السعودِ

فقالت له: الآن وفيت المديحَ حقه، وأمرت له بعشرة آلاف درهم. (٣٠٢/٢٠)

(١٤٠)

أخبرني محمدُ بن العباس اليزيديُّ قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: أرثى بيتٍ قالته العرب قول عبْدة بن الطبيب:

فما كان قيس هلْكُه هُلكَ واحدٍ ... ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدّما (٢٥/٢١)

(١٤١)

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث (في قلّة الهجاء في شعر البحتري) وهذا ـ كما قال أبو الغوث ـ لا فائدة لك ولا لي فيه، لأنّ الذي وجدْناه وبقي في أيْدي الناس من هجائه أكثرُهُ ساقط، مثل قوله في ابن شيرزاد:

نفقْتَ نُفُوق الحمار الذّكَرْ ... وبان ضُراطُكَ عنا فمرْ

ومثل قوله في عليّ بن الجهم:

ولو أعطاك ربُّك مـا تمنّى ... لزادك منه في غِلظ الأيورِ
علامَ طفقْت تهجوني مليّاً ... بما لفّقت من كذبٍ وزُورِ

وأشباه لهذه الأبيات، ومثلها لا يُشاكل طبعه، ولا تليق بمذهبه، وتنبئ بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلّة حظّه في الهجاء(١)، وما يعرف له هجاءٌ جيّدٌ إلا قصيدتان إحداهما قولُه في ابن أبي قماش:

مرَّت على عزْمها ولم تقفِ ... مُهديَّةٌ للشَّنان والشَّنَفِ(٢)

يقول فيها لابن أبي قماش:

قد كان في الواجب المُحقَّق أن ... تعرف ما في ضميرها النُّطفِ(٣)
بما تعاطيتَ في العيوب وما ... أوتيت من حكمة ومن لطفِ(٤)
أما رأيت المرّيخَ قد مازج الزُّ ... هرة في الجدّ منه والشَّرفِ(٥)
وأخبرتك النُّحوسُ أنكما ... في حالتي ثابت ومُنْصرفِ(٦)
من أين أعملتَ ذا وأنت على ... التَّقويم والزِّيج جِدّ مُنْعكفِ(٧)
رذَلْتَ في هذه الصناعةِ أو ... أكديتَ أو رمتها على الخرفِ(٨)
لم تخْطُ باب الدّهليز منصرفاً ... إلا وخلخالُها مع الشَّنفِ(٩)

وهي طويلة، ولم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، وقصيدته في يعقوب بن الفرج النّصرانيّ، فإنها - وإن لم تكن في أسلوب(١٠) هذه وطريقتها - تجري مجرى

---

(١) هذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الهجاء ليس نظم السِّباب شعراً، فهذا ممّا تقدر عليه الكثرة من الشعراء، وهو أقرب إلى أن يكون شعراً غثّاً، ركيكاً لا قيمة له مثلما قرأنا في النصّ.

(٢) الشنان: هو الشنآن خفف همزته الممدودة وهو البغض، والشنف: التنكر. (٣) النُّطف: ذو العيب والشرّ.

(٤) في ديوان البحتري (١٤٠٨/٣): الغيوب بدل العيوب، وهو أصوب لاتفاقه مع شخصية المهجو الذي كان منجماً. واللّطف: من طرائف التحف.

(٥) في ديوان البحتري (١٤١١/٣): الحَدّ بدل الجدّ وهو أصوب لأنّ الحدّ هو أنّ درجات كلّ برج مقسومة بين الكواكب الخمسة المتحيرة على غير سويّة، وكلّ قسم يُسمّى حَدّاً، ولا معنى لكلمة الجدّ هنا، والشرّف: شرف الكواكب درجة في برج يُنسب إليه، ولكلّ واحد من السبعة الكواكب شرف.

(٦) الثابت والمنصرف من النجوم أو الكواكب: الثوابت والمتحركة، وتقاس الثوابت بشدّة لمعانها.

(٧) الزِّيج: كتاب تُعرف به أحوال حركات الكواكب ويؤخذ منه التقويم. (٨) أكدى: بخل عند السؤال، قلّ خيره، أخفق ولم يظفر بحاجته. (٩) الدهليز: معرّبة وهي ما بين الباب والدار. والشنف: الأقراط، ويريد أنّ ساقيها قد بلغتا موضع أذنيها كناية عن فجورها.

(١٠) الأسلوب: في الأصل السَّطر من النخيل. ثم صار مصطلحاً نقدياً يراد به طريقة التعبير، والضرب من النظم، ونرى أبا الفرج يستخدم هذا المصطلح بما يتلاءم مع هذه المعاني، فالقصيدة الثانية لا تشبه =

التَّهكّم باللفْظ الطيّب الخبيث المعاني(١)، وهي:

تظنُّ شـــجُونيَ لـــم تعْتلِجْ وقد خلـج البيْنُ مَن قد خَلَجْ (٣٧/٢١)

(١٤٢)

وقد حدّثني علي بن سليمان الأخفش أيضاً: قال حدّثني عبد الله بن الحسين بن سند القطربلي: كان أبو تمام مدّاحاً لأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروي أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح لا كما قال الأخير. وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال: كنّا نعمل للرجاء، نحن اليوم نعمل للوفاء، وبينهما بُعْد(٢). (٤٢/٢١)

(١٤٣)

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدّثني محمدُ بن علي الأنباريّ قال: سمعْتُ البحتريّ يقول: أنشدني أبو تمام يوماً لنفسه:

وسـابحٍ هطـلِ التّعـداء هـتـان على الجـراء أمينٍ غـيـر خـوّانِ(٣)

= الأولى في طريقة نظمها، ومعانيها، ولكنّهما تشتركان في أنهّما قصيدتا هجاء. ينظر عن الأسلوب، الشعر والشعراء. ابن قتيبة (٧٥/١)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ص٢٦١)، ومقدمة ابن خلدون (ص٥٧٠).

(١) طبّق أبو الفرج المفصل في هذه العبارة القصيرة، الكثيرة المعاني، فقد حدّد أركان الهجاء العالي وهي: التهكّم، واللّفظ الطيب، والمعنى الخبيث، فالقضية ليست شتماً، وسباباً، بل رسم صور مضحكة للمهجو، والنيْل منه بعبارات مهذبّة، مؤثرة، ولا يستطيع هذا النمط من الشعر سوى القلّة من الشعراء.

(٢) ينبع هذا الكلام من التصور القديم لأسباب قول الشعر، وقد حُصِرت في «أربع قواعد هي: الرغبة، والرّهبة، والطّرب، والغضب، فمع الرغبة يكون المديح، ومع الرهبة يكون الاعتذار .. ومع الطرب يكون الشوق ورقّة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء .. » ينظر العمدة (٢٤٦/١)، طبعة محمدقرقزان، ولم يرد ذكر للوفاء في هذه القواعد، وكأنّ أبا تمام قد خالف مَنْ ذهب إلى أن المدائح ينبغي أن تكون أجود من المراثي، بسبب انتظار النوال في الأولى، وعدم توقّعه شيئاً في الثانية، فليس الشاعر طالب نوال أبداً، فهو يتفرّغ لشجونه، وشؤونه ويقول ما تمليه الأحداث في كثير من الأحيان، أمّا هذا الآخر الذي ذكره أبو تمام وقد سئل عن ضعف مراثيه فهو أبو يعقوب الخريمي الذي سأله أحمد بن يوسف الكاتب: أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك له، فأجاب جوابه الذي ذكره أبو تمام. ينظر الخبر في الشعر والشعراء (٧٩/١)، وطبقات ابن المعتز (ص ٢٩٣)، والعمدة (٢٥١/١).

(٣) سابح: الفرس السريع كأنه يسبح لسرعته، هطل التّعداء: سريع الركض، هتّان: سريع مثل نزول المطر، =

أظمى الفُصوص ولم تظمأ قوائمُه فخلْ عينيك في ظمآن ريّانِ(١)
فلو تراه مُشيحاً والحصى زيمٌ بين السَّنابك من مثنىً ووُحدان(٢)
أيقنتَ إنْ لم تثبَّتْ أنَّ حافره من صخْر تدْمر أو من وجْه عثمان(٣)

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو قال الاستطراد، قلت: وما معنى ذلك؟ قال: يُريك أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان، وقد فعل البحتري ذلك، فقال في صفة الفرس:

ما إن يعافُ قذىً ولو أوردته يوماً خلائقَ حمْدويْهِ الأحْول(٤)

وكان حمدويه الأحول عدواً لمحمد بن علي القُمّي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً. والله أعلم. (٤٨/٢١)

(١٤٤)

حدّثني عليُّ بنُ سليمان الأخفش: قال حدّثني أبو الغوْث بن البُحتريّ: قال: حدّثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنَّ بني حُمَيْد أعْطوك مالاً جليلاً فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئاً منه، فأنشدته بعض ما قلْته فيهم، فقال لي: كم أعطوْك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوْك حقّك، فلِم استكثرتَ ما دفعوه إليك؟ والله لبيتٌ منها خيرٌ مما أخذْت، ثم أطرق قليلاً، ثم قال: لعمْري لقد استكثرت ذلك، واستُكثر لك لمّا مات الناسُ وذهب الكرام وغاضت المكارمُ، فكسدت سُوقُ الأدب، أنت والله يا بُنيَّ أميرُ الشعراء غداً بعدي، فقمتُ فقبّلت رأسه ويديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القولُ أسرُّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إليّ من القوم.

(٤٨/٢١)

= والجراء: جاء في حاشية الأغاني: «الجراء جرو، وهو ولد الكلب وكلّ سبع» ولا يستقيم الكلام مع هذا المعنى. والجراء هنا الجري، جاء في لسان العرب (١٤/١٤٠): «جرى الفرس وغيره جَرْياً وجِراءً».

(١) الفصوص: المفاصل، وظمؤها: ضمورها

(٢) زيم: متفرّق، يريد أن شدّة جري هذا الفرس فرّق الحصى وجعله يتطاير. ينظر لسان العرب (١٢/٢٨٠).

(٣) تثبّت: هي تتثبّت يعني تمعن النّظر، وتدمر. مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام، والمقصود وصف وجه عثمان بالصفاقة، حتّى كأنّه قطعة قُدّت من صخر.

(٤) يريد أنّ هذا الفرس متعوّد على مواجهة الصعاب. لا يعاف شيئاً منها، حتى ولو ورد على خلائق حمدويه، يصفها أنّها شديدة الكراهة.

(١٤٥)

أخبرني حبيب المهلّبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدّثني جعفر بن محمد العنزيّ، عن خالد بن أم كلثوم، قال قيل للمفضل الضبيّ: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: ولم؟ قال: لأنه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح فيه قبيلتين وأحسن في ذلك فقال:

عجبتُ لعجلٍ إذ تُهاجي عبيدها ... كما آلُ يربوع هجَوْا آلَ دارِم

فقيل له: قد قال جرير:

إنَّ الفرزدقَ والبعيثَ وأمَّه ... وأبا البعيث لشرُّ ما إستارِ

فقال: وأيّ شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة(١)! (٢٨٤/٢١)

(١٤٦)

قال أبو الفرج: ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند:

ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبي مذ شطَّتْ بها الدارُ مُدنفُ
ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعة ... بأنْعمَ في أهل الديار تطوُّف
أتتْ بين أترابٍ تمايسُ إذ مشتْ ... كبيبَ القطا أوهنَّ منهنَّ أقْطَفُ(٢)
يباكرْنَ مِرْآةً جليّاً وتارةً ... ذكيّاً وبالأيْدي مداكٌ ومسْوَفُ(٣)
أشارت إلينا في خفاةٍ وراعها ... سراةُ الضُّحى مني على الحيِّ موقف
وقالت: تباعد يابن عمي فإنَّني ... مُنيتُ بذي صوْلٍ يَغارُ ويعْنُفُ(٤)

(٢٤٢/٢٢)

(١٤٧)

أخبرني عمي عن أبي العيناء، قال: كان محمد بن عبد الملك يُعادي أحمدَ بن أبي دؤاد،

---

(١) يدخل كلام المفضل ضمن ما ذكرناه مراراً عن الاختلاف الكبير بين الهجاء من حيث هو غرض دقيق، وبين الهجاء الذي يقتصر على الشتم، وما أهون الثاني. (٢) أقطف: أخفّ وأسرع.

(٣) المداك: حجر يسحق عليه الطيّب، ومِسْوف: من ساف الشيء إذا شمّه، وهو وعاء يوضع فيه الطيّب، ينظر لسان العرب (١٠/٤٣٠، ٩/١٦٤). (٤) ذو صَوْل: قويّ شديد.

ويهجوه، فكان أحمدُ يجمع الشعراء، ويُحرّضهم على هجائه ويصلُهم، ثم قال فيه أحمد بيتين، كانا أجودَ ما هُجيَ به، وهما:

أحسن من خمسين بيتاً سُدىً ... جمعُك إيّاهُنّ في بيت

ما أحوجَ الناسَ إلى مطرة ... تُذهبُ عنهم وضرَ الزيت (٢٣/٥٦)

(١٤٨)

ومات سليمان بن وهب في محبسه وهو مُطالب، فرثاه جماعة من الشعراء، فمّمن جوّد في مرثيته البحتريّ حيث يقول:

هذا سليمانُ بنُ وهبٍ بعد ما ... طالتْ مساعيه النجومَ سمُوكا

وتنصّف الدنيا يُدبّر أمرها ... سبعين حولا قد تمّمْن دكيكا(١)

أغْرت به الأقدارُ بَغْتَ ملمّةً ... ما كان رسُّ حديثها مأفوكا(٢)

أبلغ عُبيدَ الله بارعَ مذْحجٍ ... شرفا ومُعطى فضْلها تمليكا

ومتى وجدتَ الناس إلا تاركاً ... لحميمهِ في التُّرب أو متروكا

بلغ الإرادة إذ فداك بنفسه ... وتودُّ لو تفديه لا يفديكا

إن الرزيّة في الفقيد فإن هفا ... جزعٌ يُلبّك فالرزيّةُ فيكا

لو ينجلي لك ذخرُها من نكبةٍ ... جللٍ لأضحكك الذي يبكيكا (٢٣/١٥٣)

(١٤٩)

أخبرني الأخفش عن المبرد عن أبي وائلة، قال: كان أبان اللاحقيّ يُولعَ بابن مُناذر، ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي، فإذا مت فلا ترْثني، فكثر ذلك من أبان عليه، حتى أغضبه، فقال فيه ابنُ مُناذر:

غُنْجُ أبانٍ ولينُ منطقه ... يخبر الناس أنه حلقي

داء به تُعرفون كلُّكم ... يا آل عبد الحميد في الأفُقِ

حتّى إذا ما المساء جلّلهُ ... كان أطبّاؤه على الطرُقِ

ففرّجوا عنه بعض كربته ... بمسبطرٍّ مُطوق العُنُق

قال: وهجاه بمثل هذه القصيدة، ولم يجبه أبانٌ خوفاً منه، وسُعيَ بينهما، فأمسك عنه. (٢٣/١٦٥)

---

(١) الدكيك: التام.

(٢) الرّسّ: بدء الشيء وطرف منه. ومأفوك: كاذب.

(١٥٠)

أخبرني حبيب ن نصر المهلّبيّ: قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ: أنّ أبان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه، فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروانُ ابنُ أبي حفصة، فقالوا له: إن لمروانَ مذهبا في هجاء آل أبي طالب وذمّهم، به يحظى وعليه يُعطى، فاسلكه حتى نفعل، قال: لا أستحلّ ذلك، قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلبُ الدنيا إلا بما لا يحلّ، فقال أبان:

نشدتُ بحقّ الله مَن كان مسلما ... أعُمُّ بما قد قلتُه العُجم والعربْ
أعمُّ رسولِ الله أقربُ زلفةً ... لديه أم ابنُ العمّ في رتبة النسبْ
وأيُّهما أولى به وبعهده ... ومن ذا له حقُّ التُّراث بما وجَبْ!
فإن كان عبّاسٌ أحقّ بتلكمُ ... وكان عليٌّ بعد ذاك على سَببْ
فأبناء عباسٍ هُمُ يرثونه ... كما العمُّ لابن العمّ في الإرث قد حجبْ

وهي طويلة، قد تركت ذكرها لما فيه، فقال له الفضل: ما يردُّ على أمير المؤمنين اليومَ شيء أعجب إليه من أبياتك، فركب فأنشدها الرّشيدَ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم، ثم اتصلت بعد ذلك خدمته الرشيد، وخُصَّ به. (١٦١/٢٣)

(١٥١)

ومن مختار قول تُويت في سعدى هذه مما أخذتُه من رواية عبد الله بن شبيب من قصيدة أولها:

سنُرضي في سُعيدى عاذلينا ... بعاقبة وإن كرمتْ علينا

يقول فيها:

لقيتُ سُعيدَ تمشي في جوارٍ ... بجرعاء النُّقا فلقيتُ حَيْنا(١)
سلبنَ القلبَ ثم مضينَ عنّي ... وقد ناديتُهنّ فما لوينا(٢)
فقلتُ وقد بقيتُ بغير قلب ... بقلبي يا سُعيدى أين أيْنا!
فما تجزين يا سعْدى مُحبّاً ... يهيم بكم ولا تقضينَ دينا
فقالوا إذ شكوتَ المطلَ منها ... لعمركَ من سمعت له قضينا
ومن هذا الذي إن جاء يشكُو ... إلينا الحبَّ من سقمٍ شفينا

---

(١) الجرعاء: هي الرملة التي لا تنبت شيئاً، والحَيْن: الموت. (٢) لوينا: أجبن.

فهنَّ فواعلٌ بي غيرَ شكٍّ كما قبلي فعلْنَ بصاحبيْنا
بعروةَ والذي بسهامِ هندٍ أصيب، فما أقدْنَ ولا ودينْا(١)

ومن مختار قوله فيها:

سلِ الأطلالَ إن نفع السؤالُ وإن لم يربعَ الركبُ العجالُ
عن الخودِ التي قتلتكَ ظلماً وليس بها إذا بطشت قتالُ
أصابكَ مُقلتانِ لها وجيدٌ وأشنبُ باردٌ عذبٌ زُلالُ(٢)
أعارَكِ ما تبلْتِ به فؤادي من العينين والجيدِ الغزالُ
أيا ثاراتِ من قتلتْه سُعدى دمي ـ لا تطلبوهُ ـ لها حلالُ
أرِقُّ لها وأشفق بعد قتلي على سُعْدى وإن قلَّ النَّوالُ
وما جادتْ لنا يوماً ببذلٍ يمينٌ من سُعادَ ولا شمالُ (١٧١/٢٣)

(١٥٢)

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدّثني أحمد بن عليّ الأنباريّ، قال: كنا يوماً في مجلس يزيد بن محمد المهلّبيّ بسرٍّ من رأى، فجرى ذكر أبي العبر، فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه، فقلت ليزيد: كيف كان عندك، فقد رأيته؟ فقال: ما كان إلاّ أديباً فاضلاً، ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفعَ له، فتحامق. فقلت له: أنشدُك أبياتاً له أنشدنيها، فانظر لو أراد دعبل ـ فإنه أهجى أهل زماننا ـ أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال، قال: أنشدنيها، فأنشدته قوله:

رأيتُ من العجائبِ قاضيَيْن هما أحدوثةٌ في الخافقيْن
هما اقتسما العمى نصفين فذّاً كما اقتسما قضاء الجانبيْن(٣)
هما فألُ الزمان بهُلك يحيى إذا افتُتح القضاء بأعورين
وتحسب منهما مَن هزّ رأسا لينظر في مواريثٍ ودَيْن
كأنك قد جعلتَ عليه دنّاً فتحت بزاله من فردِ عيْن(٤)

فجعل يضحكُ من قوله: ويعجب منه، ثم كتب الأبيات. (٢٠٣/٢٣)

---

(١) عروة: هو عروة بن حزام. وصاحبته عفراء. والذي أصيب بسهام هند هو عبد الله بن عجلان، وصاحبته هند بنت كعب بن عمرو النهدي. وأقدن: من القود وهو القصاص. وودينا: أي دفعن الدية.

(٢) الأشنب: الفم. (٣) فذّاً: فرداً. (٤) البزال: موضع ثقب الدنّ، والحديدة التي يفتح بها.

(١٥٣)

أخبرني حبيب بن نصْر المهلّبيّ قال: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: أنشدني الأصمعيُّ للقتّال رائيةً يقول فيها:

إنَّ العُروقَ إذا استنزعتَها نزعتْ ... والعرقُ يسْري إذا ما عرّس السُّاري

قد جرّب الناسُ عُودي يقرعُون به ... فاقصرُوا عن صليبٍ غيرِ خوّار

فقال: لقد أحسن وأجاد، لولا أنه أفسدها بقوله إنه طلب جُعْلا فلم يُعْطَه، وكان في دناءة نفسه يُشبه الحطيئة، وكان فارساً شاعراً شجاعاً. (١٨٥/٢٤)

(١٥٤)

وأخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: قال لي عُمارة: ما هاجيت شاعراً قطّ إلا كُفيتُ مؤونته في سنةٍ أو أقلّ من سنةٍ، إمّا أن يموت، أو يُقْتل، أو أفحمه، حتى هاجاني أبو الرُّدينيّ العُكليّ، فخنقني بالهجاء، ثم هجا بني نُمَيْر فقال:

أتوعدني لتقْتلني نُميْرٌ ... متى قتلتْ نُميْرٌ مَنْ هجاها؟

فكفانيه بنو نُمير فقتلوه، فقتلت بنو عُكْل - وهم يومئذ ثلاثمائة رجل - أربعة آلاف رجلٍ من بني نُمَيْر، وقتلت لهم شاعريْن: رأس الكلْبِ وشاعراً آخر. (٢٤٦/٢٤)

(١٥٥)

حدّثني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثنا أبو ذكوان قال: حدّثنا أبو مُحلّم قال: هجا عمارةُ بن عقيل امرأةً، ثم أتته في حاجة بعد ذلك، فجعل يعتذر إليها، فقالت له: خفض عليك يا أخي، فلو ضرُّ الهجاءُ أحداً لقتلك وقتل أباك وجدّك.

قال مؤلّف هذا الكتاب. وكان عُمارةُ هجّاءً خبيث اللّسان، فهجا فروة بن حميصة الأسديّ وطال التّهاجي بينهما، فلم يغلب أحدُهما صاحبه حتى قُتل فرْوة. (٢٤٦/٢٤)

(١٥٦)

أخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني العنزي قال: حدّثني محمدُ بن عبد الله بن آدم العبْديّ قال: حدّثني عُمارة بنُ عقيل قال: كنتُ جالساً مع المأمون، فإذا أنا بهاتفٍ يهتف من خلفي ويقول:

نجّى عُمارةَ منّا أنَّ مُدْتُه ... فيها تراخٍ وركْضُ السّابح النّقلِ

ولو ثقفناه أوهيْنا جوانحه بذابلٍ من رماح الخطِّ مُعْتدلِ
فإنَّ أعناقكم للسَّيفِ محلبةٌ وإنَّ مالكم المرعيَّ كالهملِ
إذ لا يُوطَّن عبدُ الله مُهْجته على النِّزال ولا لصُّا بني حملِ

قال: وهذا الشِّعر لفرْوة بن حميصة فيّ. قال: فدخلني من ذلك ما الله يعْلمه، وما ظننتُ أنَّ شعرَ فروة وقع إلى مَنْ هُنالك، ثم خرج عليُّ بنُ هشام من المجلس وهو يضْحك، فقلتُ: يا أبا الحسن، أتفعل بي مثلَ هذا وأنا صديقُك؟ فقال: ليس عليك في هذا شيْء، فقلت: من أين وقع إليك شعر فروة؟ قال: وهل بقي كتاب إلا وهو عِندي؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أهْجى في دارك وبحضرتك؟ فضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين أنصفني، فقال: دعْ هذا وأخبرني بخبر هذا الرجل، وما كان بينك وبينه، فأنشدتُه قصيدتي فيه فلما انتهيت إلى قولي:

ما في السَّوية أن تجُرَّ عليهم وتكونَ يوم الرُّوع أوَّلَ صادر

أعجب المأمونَ هذا البيتُ فقال لي المأمون: ألهذه القصيدة نقيضة؟ قلت: نعم، قال: فهاتها، فقلت له: أؤَدِّي سمعي بلساني؟ فقال: عليَّ ذلك، فأنشدتُه إياها، فلما بلغتُ إلى قوله:

وابنُ المراغة جاحرٌ من خوفنا بادٍ بمنزلة الذَّليل الصَّاغرِ
يخْشى الرِّياحَ بأن تكون طليعةً أو أن تحُلَّ به عقوبةُ قادر

فقال لي: أوجعك يا عُمارة، فقلت: ما أوجعتُه به أكثر. (٢٤٧/٢٤)

(١٥٧)

قال العنزيّ: وسمعتُ سلْم بن خالد يقول: قلتُ لعُمارة ما أجودُ شعرك؟ قال: ما هجوْت به الأشرافَ. فقلت: ومنْ هُم؟ قال: بنُو أسد، هل هاجاني أشرفُ، من بني أسد؟ (٢٥٦/٢٤)

(١٥٨)

أخبرني الصُّوليُّ قال: حدّثنا الحسن قال: سمعْتُ عبد الله بن محمد النُّباجيّ يقول: سمعت عُمارة يقول: ما هُجيت بشيءٍ أشدَّ علي من بيْت فروْة:

وابنُ المراغةِ جاحرٌ مِنْ خوْفنا بالوشْم منزلةَ الذَّليلِ الصَّاغر (٢٥٦/٢٤)

(١٥٩)

وكان فرْوةُ من أحسنِ النَّاس وجْهاً وشِعْراً وقدّاً، لو كان امرأةً لانتحرت عليه بنو أسد: أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ، قال: حدّثني العنزيّ، قال: حدّثني علي بن مُسلم قال:

أنشدتُ يعقوبَ بنَ السِّكيت قصيدة عمارة التي ردَّ فيها على رجاء بن هارون أخي بني تيم اللات بن ثعلبة التي أوَّلها:

حيَّ الدِّيارَ كأنَّها أسطارُ بالوحْي يَدْرُس صُحْفها الأحْبارُ(١)
لعبَ البلى بجديدها وتنفَّستْ عرصاتها الأرْواحُ والأمطارُ(٢)

قالَ أبو عليَ: وهذا البيت الذي أخطأ فيه عمارة فقال: الأرياح، فردَّه عليه أبو حاتم السِّجستانيّ وهو يتفيَّظ - فلما بلغ إلى قوله:

وجموع أسْعد إذ تعضُّ رؤوسهم بيضٌ يطيرِ لوقعهنَّ شرارُ
حتى إذا عزَمُوا الفِرارَ وأسلموا بيضاً حواصِنَ ما بهنَّ قرارُ
لحقت حفيظتُنا بهنَّ ولم نزلْ دُونَ النِّساء إذا فزِعْنَ نغارُ

قال ابن السِّكِّيت: لله درُّه، ما سمعت هجاء قط أكرمَ من هذا. (٢٤/٢٥٧)

---

(١) أسطار: سطور، والوحي: الكتابة، شبّه الأطلال بالسطور في الكتب، وهي صورة قديمة تناقلها الشعراء منذ العصر الجاهلي.

(٢) عرصاتها: جوانبها، والأرواح: أراد الرياح.

آراء في الشعر

بيَّنا في مقدّمة القضية الأولى مكانة الشعر عند العرب، واستمرار هذه المكانة إلى وقت متأخّر في العصر العبّاسي، وأشرنا إلى التذبذب الحاصل لمنزلة الشاعر في بعض الأحيان من حيث تدُني هذه المنزلة بسبب ابتذاله في المديح، وإراقته ماء وجهه، وإلحافه في السؤال، ولكنّ الصورة العامة للشعر بقيت وضيئة، مشرقة بالرُّغم من السحب التي ضلَّلتها. ولا شكَّ، بعد هذا الاعتناء بالشعر، أن تقف الجمهرة من الدارسين، والعلماء، والمتذوّقين عنده، فاحصة إيَّاه، مبيّنة رأيها فيه، منبِّهة على سقطاته، ومشيرة إلى الجيِّد الرائع منه، وهذه العملية من صميم الجهد النقدي، بل هي النقد في أحسن أحواله التطبيقية، ومقاربته للنصوص، خاصّةً - ونحن نعلم - أنّ (نقد النثر) لم يلاقِ من الاهتمام والانتشار ما وجده (نقد الشعر) في مسيرة النقد العربي، بالإضافة إلى قلّة ما بأيدينا من النقد النظري الذي تركه النقاد، ومدارُ العناية كان النقد التطبيقي في أجزاء واسعة من النقد العربي.

وفي الأغاني سيلٌ من تلك الآراء - مثلما سنرى - حول بيت، أو أبيات، أو قصيدة، بعضها وصفٌ للشعر وتحديد لخصائصه، والآخر حكمٌ عليه سلباً أو إيجاباً، ويستمرُّ هذا الحكم في كثير من الأحيان فيقدِّم (الناقد) تعليلاً لحكمه، وهو ما يُراد من النُّقد، ويتطلَّبه الدارسون منه، وتختلف هذه الأوصاف والأحكام حسب ذوق أصحابها، وثقافتهم، والعصور التي تفيَّؤوا ظلالها.

وسنحاول عرض الجهد النقدي لهذه القضية من خلال أربعة محاور؛ رأينا أنّ تلك النصوص تنضوي تحت أجنحتها، مستفيدين من العصور الأربعة التي درجنا على تقسيم النصوص بموجبها في هذا الكتاب، وتاركين التفاصيل الدقيقة للتعليقات التي جاءت بعد كلّ نصٍّ فأضاءته، وأثرته، وقدَّمت له من الفوائد ما سيراها القارئ في مواضعها.

ولعلَّ سمات النقد التطبيقي في تلك العصور، وألوانه التي وجدناه عليها، هي أوَّلُ ما يستوقفنا في المحور الأوَّل، فقد رأينا آراء الجاهليين تأثّريّة، قصيرة، تعتمد على الانطباع الأوّل، وتلجأ إلى التشبيه، تفتقر كثيراً إلى التحليل، أو التعليل، ولا نطلب من ذلك العصر أكثر من هذا فما يزال النقد في مَيْعته، وطفولته، ولا نعدم في بعض النصوص تحليلاً، ووصفاً من نوع ما ينسجم مع ذلك العصر، وأدوات (الناقد) المتاحة التي يستخدمها.

ويقابلنا في العصر الإسلامي لون من النقد يعتمد على الدِّين الجديد، ويتَّخذ منه مقياساً

للاستحسان أو الاستهجان، وجدنا هذا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، من ذلك استهجان شعر المشركين لما فيه من قيم جاهلية، وإعجاب بشعر أميّة بن أبي الصلت ـ مثلاً ـ لما تضمّنه من معانٍ إيمانية، خلقية، مع مَيْل إلى الاقتصاد في الوصف، وعدم المغالاة، وشيء من التعليل عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وتظلّ التأثرية المستندة إلى القيم الإسلامية هي السائدة في ذلك العصر، وفي هذا تطوّر واضح عمّا رأيناه في العصر الجاهلي.

ووجد الشّعر ونقده في العصر الأموي مدى أوسع، ومضماراً أرحب من العصرين السابقين، فقد كثر المهتّمون بالنقد، وغزرت الأدوات بيد (الناقد)، واستطعنا تحديد ثلاث فئات كان لها دور مهمّ في النقد التطبيقي هي: الخلفاء، والشعراء، والعلماء، فقد فتح الخلفاء مجالسهم أمام العلماء والشعراء، فأفاضوا في الحديث عن الشعر، ووقفوا عند نماذج منه، ناقدين، ومحلّلين، ويأخذ الأمر مساراً آخر حين يكون الخليفة نفسه عالماً بالشعر، متذوّقاً له مثل معاوية، وعبد الملك، وهشام، وغيرهم، عند ذاك تصبح المشاركة فاعلة، ويصير الحديث عن الشعر حديثاً ذا فائدة، وأهمية. أمّا الشعراء فقد رأينا بعضهم ينقد بعضاً، ويستحسن، أو يستهجن من شعر غيره ما شاء له الاستحسان، أو الاستهجان، بالإضافة إلى نقد أشعارهم الشخصية، وتبيان رأيهم في الشعر السابق عليهم، وشكّل الشعراء تياراً قوياً من تيارات النّقد التطبيقي، ولعلّ ذلك يرجع إلى تماسّهم الشديد بالشعر، وغَوْصهم إلى دقائقه، ومشكلاته، من خلال تجاربهم، ومعاناتهم في نظمه، وكان للعلماء دورهم في الوقوف عند الشعر، ولم يكن التخصّص قد أخذ مداه بعدُ عندهم، فكان أحدهم حافظاً لكتابِ اللّه المجيد، وحديث الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلم، واسعَ الاطّلاع على لغة العرب، راويةً للشعر والأخبار، وما إلى ذلك من العلوم السائدة في ذلك العصر، والتي بدأت تتخلّق، وتأخذ سماتها المتميِّزة التي ستكون عليها فيما بعد، وكان الشعر يمثّل ركناً ركيناً من ثقافتهم، فكان لابدّ لهم من المشاركة في نقده سُئلوا أم لم يُسألوا.

ووجدنا النقد في كلا العصرين جزئياً، يهتمّ باللفظة المفردة، أو الجزء من البيت، ومن النادر أن يوجّه نظرة كلّية إلى القصيدة برمّتها، كما رأيناه يولي الموسيقى شيئاً من الاهتمام، ولعلّ هذا الأمر يقودنا إلى الإشارة إلى الاختلاف في نوعية الأحكام على الشعر في هذا العصر، إذ بدأت الموضوعية تُطلُّ برأسها، ولم يبق التأثّر الشخصي، أو الانطباع الفردي، هما السمتان على هذا النقد، بل أصبح كثير من رجال الفئات الثلاثة يميل إلى توجيه نقده للشعر مستخدماً أدوات محدّدة، سنقف عندها بعد قليل، كما اتسّعت مساحة التعليل للأحكام بالقياس إلى

العصرين السابقين، وبدأ الجوّ النقدي مستعّداً لتوجيه الأسئلة للناقد عن السبب في موقفه من الشعر الذي أبان رأيه فيه، ويتطلّب منه الإجابة. ولم يعد يكتفي بالوصف وحده، أو إطلاق الحكم، والسكوت، وقد اتّسع هذا الأمر فيما بعد، في العصر العباسي، ودخلت كثير من هذه الأحكام المعلّلة كتب النقد المتخصّصة، وبنى عليها النّقاد أحكامهم، وتحليلهم للشعر.

وقد أثّرت البيئة، ومواضعاتها على النقد تأثيراً مباشراً من حيث الإعجاب بشعر ذي خصائص معينة، فقد وجدنا الشعر الجزل المتين هو المفضّل، كما احتلّ شعر المديح، والهجاء الصدارة بين بقية الفنون، أمّا بقية الأغراض فلم يكن لها صدى كبير سوى ما رأيناه عند عمر بن أبي ربيعة، وإعجاب الكثرة من الشعراء الذين يمثّلون الاتجاهين السابقين بشعره، إذ رأوا فيه شيئاً جديداً، ونمطاً لم يُسبق إليه، وقد حاولوا هم أن يأتوا بمثله، وداروا عليه فلم يفلحوا، فكانَ إعجابهم بشعره إعجابٌ بالجديد الطريف الذي قدّمه، والتفرّد الذي اتّصف به، وهو حكم موضوعي يحسب لأولئك الشعراء.

ويتسّع المجال كثيراً في العصر العباسي، ويأخذ آماداً أرحب من العصر الأموي، فبالإضافة إلى الفئات الثلاثة التي أشرنا إليها فيما سبق، مع كثرةٍ في أفرادها فقد شاركت فئات جديدة في عملية النقد منها: الكتّاب، وحاشية الخلفاء، والمغنّون، وغيرهم، وقد تضافرت الفئات جميعها على تقديم صورة للنقد التطبيقي لا يمكن البتّة لكتب النقد المتخصّصة التي ألّفت في ذلك العصر، أو بعده بقليل أن تفيَ بها، فقد رأينا ألواناً متنوعة، ومشاربَ مختلفة، ودروباً جديدة، لم نألفها من قبل، فاتّسع النقد، واصطنع أدوات جديدة، ومال إلى الموضوعية والتعليل مَيْلاً كبيراً، وأثّر التغيّر الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي عليه تأثيراً شديداً، ولكنّ هذا لا يعني اختفاء النقد التأثري غير المعلّل اختفاءً تاماً، بل ما نزال نجد له أصداء بين الشعراء، والمتنوّقين، ولكنّ التغيّر هو السمة الغالبة على النقد التطبيقي في ذلك العصر.

وممّا يجب ذكره هنا أنّ نوعيات الشعر التي استحسنتها الأذواق في هذا العصر لم تَعُدْ قَصْراً على الشعر الجزل المتين وحده، مثلما رأينا في العصر الأموي، أو شعر المديح، والهجاء حسب، إذ نجد الذوق يميل إلى الشعر السّهل، القريب فيستحسنه، ويذهب كذلك إلى الإعجاب بشعر ذي الرّمّة - مثلاً - وكان متأخراً في العصر الأموي للأسباب المعروفة، ونرى تقارب أذواق أهل البادية مع أهل الحاضرة، من حيث إعجاب أهل البادية بشعر حضري رقيق مثل شعر العباس بن الأحنف أو شعر اسحق بن إبراهيم، وتبقى للشعر الجزل المتين مكانته ولكن في مواضع يُراد فيها مثل المديح، أو الفخر، أمّا بقية الأغراض فلا بأس بالرقيق من الشعر فهو

أقرب إلى الذوق، وأكثر تلاؤماً مع المكان، وهذا تطوّر لم نلمس له وجوداً في العصور السابقة.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أنّنا وجدنا تعبيراً للإعجاب بالشعر لا يقوم على الكلام، والحكم، بل على الفعل والحركة، رأينا هذا في العصرين الأموي، والعباسي. فقد كان المستمع يسجد للشعر الذي يسمعه، أو يرمي نفسه في بئر أو نهر، أو يقوم بأفعال، وحركات تدلّ على الاهتزاز، والذّهول، كلُّ هذا تعبيراً منه عن شدّة الإعجاب بما يسمع، فكأنّه لم يجد ما يقوله، أو يعبّر به كي يترجم إعجابه، فيؤثر القيام بتلك الحركات، وهي، مثلما هو معروف، لا تدخل في صميم النقد، ولكنّها لون من ألوان التعبير، ونمط من الإعجاب غريب.

ويتمثّل المحور الثاني في المقاييس التي اعتمدها (النُّقاد) لاستحسان الشعر، أو استهجانه، ولم تُذكر هذه المقاييس صراحة في كلام المتصدّين لنقد الشعر، ولكنّنا استطعنا استخلاصها من نوعية الأحكام نفسها، وانتشار المقياس الواحد في جمهرة من النصوص، إذ يؤدي جمع شتاته إلى تكوين ظاهرة معينة، تكون جوهر المقياس، والروح العامة التي تهيمن عليه، ومعلوم أنّ لجوء الناقد، أيّ ناقد، إلى مقاييس محدّدة يشير إلى موضوعية في نقده، ونُضْج في أحكامه، وقد استطعنا تحديد أربعة مقاييس كان يحتكم إليها (النقّاد) في هذا الأمر وهي:

ـ قوة الشعر وجزالته، وقد كان هذا المقياس معتَمداً في العصور الثلاثة الأولى، وقد رأينا عدولاً عنه في العصر العباسي إلى حدٍّ ما، فقد لاحظنا أنّ الشعر الذي كان يُقابل بالإطراء، والمدح، والتقديم، هو الشعر القويّ المتين، ويُنظر إلى الشعر الرقيق، السهل نظرة ملؤها عدم الارتياح، وتصل هذه النظرة إلى الاستهجان والتأخير، ولعلّ سيادة القيم البدوية، وذوق البادية قد أثّر في هذا الأمر كثيراً، يؤيّد هذا تأخير شعر لعدي بن زيد، والكميت، والطرمّاح وغيرهم لأنّ ألفاظهم ليست بنجديّة، وأنّهم كانوا حضريين، أو يقيمون في الحاضرة، وعلى هذا فإنّ الشعر المفضّل هو الذي يستمدّ بناءه من البادية في خشونتها، وقوّتها.

ـ تأثير الشعر في نفس المتلّقي، ويعتمد هذا المقياس على مدى ما يحدثه الشعر في نفوس مستمعيه من أثر، وما يثير في نفوسهم من عواطف وانفعالات، فإذا نجح في الاستثارة، فهو شعرٌ جيّد، وإن أخفق فهو رديء، وواضح أنّه مقياس غائم، غير محدّد، فتغيّرُ المستمعين، واختلاف عواطفهم يكون مدعاةً لتغيّر الحكم، والشعر هو نفسه لم يتغيّر، ولكنّه على أيّة حال ظلّ مقياساً مهماً لجودة الشعر أو رداءته، ومن المفيد أن نذكر هنا أنّ هذا المقياس استمرّ فاعلاً حتّى في كتب النقد المتخصّصة، فنقرأ للقاضي الجرجاني مثلاً في الوساطة (ص ٢٧)، ما يشير إلى هذا الأمر بعد أن قرأ قصيدة البحتري ومطلعها:

ألامُ على هواكِ وليس عَدْلاً إذا أحببتُ مثلَكِ أن ألاما

فيقول: « .. ثمّ تأمّل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتفقّدْ ما يتداخلك من الارتياح، ويستخفّك من الطرب إذا سمعته، وتذكّرْ صبوةً إن كانتْ لك تراها ممثّلةً لضميرك، ومصوّرةً تلقاء ناظرك». ألم يترك القاضي الشعر، وانشغل بالمتلقي، وذكرياته، وهمومه؟ ففكرة الأثر والمؤثّر ما تزال قويّة، فاعلة، وبها يقاس الشعر، وهو كلام فيه نظر.

ـ انتشار الشعر وسيرورته، ويراد به ذيوع الشعر بين الناس، وتناقل الرواة له، وإنشادهم إيّاه في المجالس، فكلّما كان الشعر كذلك دلّ على جودته، وتميّزه، ومن الطبيعي أن يكون الشعر القليل الانتشار رديئاً، أو هو في منزلة دون ذلك الذائع، المستطير. ومن الضروري أن نقف هنا عند بعض النقاط نضيء بها هذا المقياس، إذ وجدنا أنّ بعض (النقاد) يشيرون إلى اختلاف أذواق الناس، وخاصة أذواق العلماء، وأذواق الجمهرة من الناس، فربّما انتشر شعر في الفئة الثانية، لم يجد له صدى عندالأولى، والعكس صحيح، فما يريده العلماء من الشعر غير ما يريده الناس منه، وهي تفرقة مهمة داخل هذا المقياس تضع له شيئاً من القيود، والمعالم، ورأينا كذلك إشارات من بعض النقاد أيضاً إلى أنّ الشعر الرائج ليس من الضروري أن يكون عالي الجودة، فقد ينتشر شعر ما بسببٍ سياسي، أو قومي، أو اجتماعي، ويحمل شعر آخر للأسباب نفسها، وهي تفرقة أخرى تجعل من هذا المقياس أدعى للقبول من إطلاقه هكذا بلا قيود.

ـ المذهب الشعري، وهذا المقياس خاصّ بالشعراء الذين تصدّوا لنقد الشعر، إذ وجدنا كثيراً منهم يقدّم شعراً ما لتوافقه مع مذهبه في القول، أو يؤخّر شعراً معيّناً لاختلافٍ معه في هذا المذهب، رأينا هذا عند جرير والفرزدق مع ذي الرمّة وشعره، ووجدنا هذا عند البحتري في تفضيله شعر دعبل بن علي على شعر مسلم بن الوليد لأنّ كلام الأول أدخل في كلام العرب، وأكثر ملاءمة لمذاهبهم من الثاني ـ على حدّ قوله ـ وهو ما كان البحتري يوصف به، ومن الممكن فَهم هذا المقياس في ضوء تعصّب الشاعر لطرازه في القول، ومنهجه فيه، وإلا لم يَرْتضه لنفسه، ومن الضروري أن يؤخذ بحذر بسبب من هذا التعصب، والنظرة الواحدة.

أمّا المحور الثالث فهو الأدوات التي استخدمها (النقّاد) في نقدهم للشعر، أو وَصْفِهم له، أو الحكم عليه، والحديث عن هذه الأدوات ـ في الحقيقة ـ وقوف عند ثقافة الناقد، وما يجب عليه أن يتزوّد به من زاد ثقافي يمكّنه من تحليل الشعر، والحكم عليه، وقد رصدنا ـ من خلال النصوص ـ تطوّراً ملحوظاً في عدد الأدوات ونوعيتها، واختلافها من عصر لآخر، ولكنّ ما نطمئن إليه هو أنّ هذه الأدوات كانت تزداد، وتتعقّد مع تطوّر الحضارة العربية الإسلامية وتعقّدها، فما وجدناه

في العصر العباسي لم يكن له وجود في العصر الجاهلي أو الإسلامي وهكذا، فكأنَّ النقد كان يستفيد من البيئات الثقافية من حوله، ويحاول تعميق نظرته للشعر من خلال هذه الاستفادة، ورَفْد أدواته بروافد جديدة على الدُّوام، ولعلَّنا نستطيع الوقوف عند خمسة أدوات كان (النقّاد) يستخدمونها في تعاملهم مع النصوص، وهي:

ـ الذوق، جاء في لسان العرب (١٠/١١١)، «ذقتُ فلاناً، وذقتُ ما عنده أي خبرته»، والمعنى عرفته معرفة وثيقة، فكأنَّ هذا المعنى قد انتقل إلى الذوق في النقد، فأضفى عليه شيئاً من ظلاله، فالذوق هو القدرة على تمييز الجيِّد والرديء من الشعر، ولا يتمّ هذا إلاّ بتراكم خبرات مختلفة لدى هذا المتذوِّق جاءت من طول مدارسته للنصوص، وكثرة قراءته لها، وطول روايته ومعايشته معها، وهناك اختلاف بين نوعين من الذوق، الأول هو الذوق غير المدُرب، وتنضوي تحته جمهرة كبيرة من الناس، والقرّاء، وهو ما لا يُراد هنا، أمّا الثاني فهو الذوق المدرَّب، المهذَّب، وهو المقصود هنا. إنَّه ذوق قد تشكَّل، وصارت له معالم، وحدود من خلال تلك التجربة مع الشعر، والقراءة المستديمة فيه، وأصبح قادراً على التمييز، والوزن، والنَّظر، وهو من أهمّ أركان التأثرية غير المعلَّلة، ولكنَّ أغلب أحكامها سليمة لأنَّها نابعة من ذلك الذوق، وتلك الخبرة التي تكوَّنت بمرور الزمن، وفي طبقات ابن سلاّم (١/٦)، نصٌّ يوضح هذا الأمر حيث يقول: « .. ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: إنَّه لنديُّ الحَلْقِ، طلُّ الصوت، طويل النَّفَس، مصيبٌ لِلَّحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بَوْنٌ بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له، بلا صفة يُنتهى إليها، ولا علم يُوقف عليه، وإنَّ كثرة المدارسة لتعدي على العلم به»، ويعمِّق الآمدي في الموازنة (١/٤١٣)، هذا المعنى بقوله: «ألا ترى أنَّه قد يكون فَرَسَان سَلِيمان من كُلِّ عيب، موجود فيهما سائر علامات العِتْق والجودة والنجابة، ويكون أحدهما أفضلَ من الآخر بفرقٍ لا يعلمه إلاّ أهل الخبرة والدربة الطويلة .. فإذا قيل من أين فضُلت أنت هذا الفرس على صاحبه، لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما، وإنَّما يعرفه كلّ واحد بطبعه، وكثرة دربته، وطول ملابسته»، وأشار إلى أنَّ هذا الأمر ينطبق على الشعر وغيره من صنوف الصناعات مع حديث طويل عن التعليل، وكيفيّته ممّا لا علاقة له بموضوعنا.

وسنرى أنَّ الذوق كان أداة مهمة بيد النُّقاد في مختلف العصور، وأصبح المنفذ الطبيعي للنصوص حين يريدون الدخول إليها، للوقوف عندها، ومن ثمّ الحكم عليها. كما لاحظنا أنَّ أغلب (النقّاد) ـ إن لم يكونوا كلُّهم ـ كانوا من ذوي الذوق المدُرب، المصقول، الذي هذَّبته التجربة، وأحكمته مدارسة الشعر، فهم ـ على اختلاف فئاتهم ـ ذوو معرفة شعرية واسعة، وعلم غزير

بمذاهب العرب في كلامها، ولذلك لم تأتِ الأحكام عشوائية، مضطربة، بل أتت وهي نتاج تلك الخبرة الطويلة بالشعر، ولا عجب بعد هذا أن تنال كثير من تلك الأحكام احترام النّقاد المتخصصين، وتدخل في كتبهم، وتكون من ضمن الأسس التي بنوا عليها أحكامهم، أو هياكلهم النّقدية.

ـ الثقافة الشعرية، ونعني بها ما كان (الناقد) يتزوّد به من اطلاع واسع على الشعر المعاصر له، والتراث الشعري قبله، وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما سبق، وسنرى في النصوص أن (النقّاد) كانوا محيطين بالحركة الشعرية حولهم متعرّفين على خصائصها، غائصين إلى أعماق شعر الشاعر الواحد، فحينما يتصدّى أحدهم لوصف شعر شاعر ما فإنّه يقف عند أهمّ ما يتميّز به، مع إلحاحه على هذا التميّز. بالإضافة إلى إشارات لخصائص أخرى تميّز بها شعره، ويتبيّن هذا أيضاً في الموازنات بين الشعراء، فهي تبيّن معرفة (الناقد) بالفروق الدقيقة بين الشعراء، وبالأغراض التي جوّلوا فيها، وتظهر هذه الثقافة الواسعة في ذلك الشعر الذي تتمثّلُ به الجمهرة من (النقاد)، وهو تمثّل ينبئ عن الإعجاب، والاستحسان، وتظهر أيضاً في تشبيه شاعر معاصر للناقد بشاعر قديم، كأن يكون جاهلياً أو إسلامياً، وتبيان التشابه أو الاختلاف بين هذين الشاعرين، ولعلّ هذا يدلّ بقوة على الإحاطة بعصورالشعر العربي، ومعرفة مواقع التشابه أو الاختلاف بين أنواعٍ من الشعر. ومن الضروري أن نثبت هنا أيضاً أنّ هذه الثقافة الشعرية قد دخلت كتب النقّاد المتخصّصين، وهم يتحدّثون عن الأدوات اللازمة للناقد كي يكون ناقداً حقيقياً، ذا رأي مسموع، عند ذاك تقف الثقافة الشعرية في مقدّمة الأدوات وتصبح مدارسة الشعر، والإحاطة بعصوره من الشروط اللازمة للناقد المتخصّص، وإلاّ فإنّه يفقد ركناً خطيراً من أركان أدواته، وتصبح أحكامه جاهزة، فجّة، لا تقوم على النصوص، بل تأتي بمعزل عنها، وهو نقص مهم نبّه النقاد إليه، ودعَوا إلى تجنبّه.

ـ اللّغة، وقد آثرنا إفرادها بموضع مستقلّ لأهمّيتها، إذ لعلّها تشكّل مع الذوق. أقدم الأدوات بيد الناقد، وأكثرها فاعلية، بالإضافة إلى استمرار الأخذ بها، والتّعويل عليها في عصور النقد العربي المتلاحقة، ونعني باللغة تلك القواعد والأسس التي استخلصها العلماء من خلال استقرائهم للغة العرب، بالإضافة إلى ما يمكن تسميته بالعُرف اللغوي والمواضعات التي درج عليها العرب في كلامهم، وأخذتْ فيما بَعْدُ بُعداً ثالثاً هو النظر إلى التطور الذي أصاب الألفاظ، والتراكيب على حدٍ سواء، والوقوف عنده، ومعرفة مدى ملاءمته للغة العرب، أو خروجه عنها، ممّا شكّل حركة نقدية لغوية كبيرة ما بين مؤيّد لهذا الرأي أو معارض له، وقد شكّل هذا بمجموعه تلك

الأداة التي نظر (النقّاد) بموجبها إلى الشعر.

ومنذ العصر الجاهلي وجدنا تلك النظرات اللغوية إلى الشعر التي تقوى وتنضج في العصر الأموي بظهور طبقة من العلماء، كانت العلوم اللغوية جزءاً مهماً من ثقافتها، وأصبحوا لا ينظرون - على وجه التقريب - إلى الشعر إلاّ من خلال هذه الزاوية، وقد أدّى هذا الأمر إلى حدوث خلاف حادّ بين اللغويين من جهة، والشعراء من جهة أخرى، بسبب اختلاف النظرتين إلى الشعر، ولعلّ ما سنراه من نزاع الفرزدق مع عنبسة الفيل، وعبد الله بن أبي إسحاق، وخصومة خلف، وابن الأعرابي - مثلاً - مع شعراء عصريهما، لعلّ هذا يبيّن بجلاء أنّ كثيراً من الشعراء لم يعيروا قواعد اللغويين، وقوانينهم أهمية كبيرة، ولكنّ اللغويين، مع هذا كلّه، ظلّوا مخلصين لتلك القواعد، داعين الشعراء إلى الأخذ بها، وموجّهين اللوم، والتخطئة لمن يخرج عليها، أو يأتي بشيء لا يتّفق معها.

وقد بقيت اللغة أداة مهمة من أدوات النقد لا يُستغنى عنها، ومادام الشعر في جوهره بناءً لغوياً، ألفاظُه، وتراكيبُه غاية في نفسها، وليست وسيلة إلى شيء آخر، فسيظلّ النقد اللغويّ على شتّى صوره، وألوانه معلماً بارزاً من معالم النقد العربي لا يمكن إغفاله أو تجاهله.

- العلوم السائدة، ويراد بها الحقول الثقافية الأخرى التي يلجأ إليها (الناقد) فيتزوّد منها، ويستخدمها بعد ذلك في مجمل العملية النقدية، من ذلك، القرآن الكريم وتفسيره، وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، والفقه، والتاريخ، وأسماء المواضع، وأيام العرب، والأخبار، والأنساب، والأنواء، وغيرها، ومن الضروري أن نذكر هنا أنّ أولئك (النقّاد) كانوا يستخدمون من هذه العلوم ما هو متاح، موجود في بيئاتهم: كما إنّهم يتفاوتون فيما بينهم في مقدار تحصيل علم ما، كثرةً أو قلّة، أي إنّ ما هو متاح في العصر الأموي غير ما هو منتشر، ذائع في العصر العباسي، وكلا العصرين يختلفان في هذه الناحية عن العصرين: الجاهلي، والإسلامي، ومردُّ هذا إلى تطوّر الحركة العلمية، وتعقّدها، وظهور علوم جديدة لم تكن من قبل، أو تعميق النظر في علوم نشأت في العصر الإسلامي وأخذت آماداً أرحب في العصور اللاحقة، كما إنّ (الناقد) نفسه يتزوّد من هذه العلوم بما يتّفق مع مزاجه، ومَيْله، وتركيبه الفكري، والثقافي، فليس كلّهم سواء في تحصيل هذه العلوم، ولذلك رأينا اهتمام ناقد ما بجانب من الشعر، وتوجيه النقد إليه، ولم يلفت هذا الجانب ناقداً آخر، بل نظر إليه نظرة مختلفة، مستخدماً علماً آخر، برع فيه، وتزوّد منه ما شاء له التزوّد، ولكنّ جَمْعَ هذه النصوص التي استخدمتِ العلومَ المشار إليها آنفاً، يؤدي إلى تكوين صورة واضحة عن نوعية العلوم التي اتُّخِذَت أدواتٍ في النظر النقدي، وهو ما رأيناه

فيما بعد مبسوطاً في كتب النقد المتخصّصة التي اشترطت على الناقد الواحد أن يبذل الجهد والطاقة في جمع علوم شتّى، كي يقف مع الشعر على صعيد واحد، ويستطيع مجاراة الشعراء، وهم المثقّفون، فيما يأتون به من فنون، ومايوغلون فيه من علوم يضمّنونها شعرهم.

- العُرف الاجتماعي، ونعني به ما استقرّ في الوجدان العربي عن صنوف الأوصاف، والتشبيهات، والاستعارات، والأساليب الأخرى السائدة في الشعر. فقد كان (الناقد) يلجأ إلى هذه الأمور حين ينظر إلى الشعر، فيحكم عليه بالخطأ أو الصواب من خلالها، كأن يأتي شاعر ما بوصف للفرس في أبيات فيتصدّى له (الناقد) بالتخطئة على اعتبار أنّ وصفه مخالف لما استقرّ عند العرب من أوصاف الفرس الجيّد، أو يأتي الشاعر بأسلوب معين فيُنعت بالخطأ لأنّ هذا الأسلوب لم تعرفه العرب أو تدرج على الأخذ به في كلامها، ولعلّ هذه الأداة تثير جدلاً واسعاً من حيث إنّ هذا النقد (محافظ)، لا يلتفت إلى الجديد، ويدعو إلى تقييد حركة الشاعر داخل شعره، ويجعله سائراً على الدوام في ركاب الأقدمين، قد يقال مثل هذا الكلام، ويُقال ما هو أكثر منه، ولكنّ ما وجدناه في النصوص يشير إلى هذا، ويومئ إليه، وممّا يجب إضافته هنا هو أنّ كثيراً من كتب النقد المتخصّصة قد أخذت بهذه الأداة، واستخدمتها في نظرتها إلى الشعر، ولعلّ الآمدي صاحب كتاب الموازنة خير مثال على هذا، فقد واجه أبا تمام بالتخطئة، ووصفه بقول المحال، والإغراق، وليس من سبب لهذا سوى خروج أبي تمام على هذا العُرف الذي أشرنا إليه، والآمدي يصرّح بهذا تصريحاً كاملاً، فهو يذكر أنّ أبا تمام أخطأ لأنّه قال ما لم يقله السابقون، ويروح بعد هذا يعدّد أبياتاً لشعراء جاهليين، وأمويين قد نهجوا نهجاً معيناً، ولكنّ أبا تمام خالفهم، فاستحقّ التخطئة، واللّوم. وعلى أيّة حال. فإنّ هذه الأداة كانت أكثر انسجاماً مع أولئك (النقّاد) الذين يؤثرون النمط القديم في الشعر، وقد اتّسعت كثيراً في العصر العباسي في ظلّ الاصطراع بين القديم والجديد، وتفضيل كلّ فئة للّون الذي تأنس به من الشعر، وتأخذ على أولئك الشعراء أو النّقاد الذين يخالفونهم، أو يخرجون على ما استقرّت عليه أعراف وتقاليد الشعر العربي.

ونقف أخيراً عند المحور الرابع لهذه القضية، وهي المصطلح النقدي الذي استخدمه (النقّاد) في وصفهم الشعر، أو الحكم عليه، ومن المعروف أنّ المصطلح النّقدي من أهمّ قضايا النقد الأدبي التي يطول الحديث عنها، ولن نشغل هذه المقدّمة بالحديث عن إشكالية المصطلح النقدي، وتعدّده بين النقّاد، وضرورة إيجاد مصطلح موحّد يجمع النقّاد على رأي واحد، وكلمة سواء، فهذا كلّه ليس موضعه هنا، وسنكتفي بالتوقّف عن المصطلح مثلما أظهرته النصوص التي

بأيدينا، وكيفية استخدام (النقّاد) له.

لعلَّ أوّل ما ينبغي الوقوف عنده هو كثرة المصطلحات التي قابلتنا في النصوص منذ العصر الإسلامي، وإلى العصر العباسي، وقد شُرح كلُّ مصطلح في موضعه من النَصّ من خلال التعليقات على النصوص، وهذه نماذج من المصطلحات التي كَثُر استخدام (النقّاد) لها: البارد - الحارّ - الفاتر - الإقذاع - الطراز - الفحولة - عمود الشعر - النسج - الحَوْك - الطبقة - تنقيح الشعر - التخلّص - المعاظلة - التكلّف، وغيرها، وقد وردتْ تلك المصطلحات بألفاظها السابقة، ودلّتْ على ما تدلّ عليه في كتب النقد المتخصّصة، ممّا يشير إلى وعي أولئك (النقّاد) بدلالة المصطلح، والمعنى الدقيق الذي يشير إليه، كما قابلتنا مصطلحات في زمن مبكر لتأليف كتب النقد مثل العصر الإسلامي والأموي، وانتقلت بدلالتها التي كانت عليها في تينك العصرين إلى العصر العباسي، وكتبِ النقد المتخصّصة، ممّا يشير إلى جذور المصطلح، وكونه عربيّاً نبت في تلك البيئة، ونشأ فيها، واستمدّ حياته من تربتها، وارتوى من مائها، وممّا يقوّي هذا الأمر، ويدعمه ما وجدناه عند بعض (النقّاد) من استخدامهم ألفاظاً معيّنة لا ترقى إلى أن تُسمّى مصطلحاً، ولكنّها اتُّخذت لوصف الشعر، أو الحكم عليه، مثل تشبيه الشعر بالبازل وهو الجمل العظيم، أو تشبيهه بنقط العروس، وطوالع النُّجد، وخوالد المهد، أو يقال من جاء بالبديع الجديد لِمَنْ الشعر: لقد أقفرتَ، أو أفليتَ، أي رعيت فلاة قفراء غير مطروقة، وغير هذا كثير، وهو يشير إلى ارتباط هذه الألفاظ بالبيئة تستمدّ منها مواضعاتها، وتعتمد عليها في النّقد، والحكم. وممّا يرتبط بهذا الأمر ما وجدناه في بعض النصوص من إشارات إلى بعض الظواهر في الشعر بلا ذكر لمصطلح ما، ولكنَّ هذه الظواهر نفسها ستتحدّد فيما بعد تحت مصطلح معيّن، وسيكون لها مباحث واسعة في كتب النقد المتخصّصة، وهذا يدعم أيضاً فكرة الجذر التي أشرنا إليها فيما سبق، من ذلك وَصْفُ شعر شاعر بأنّه خلْف، ويريدون به (التفاوت) الذي استقرّ مصطلحه فيما بعد، أو الإشارة إلى التحام أبيات قصيدة ما، وهو ما يُدعى بـ (القِران) فيما بعد أيضاً، أو استقصاء الشاعر، وتفصيل ما ابتدأ به، وعدم مغادرة قسم يقتضيه المعنى، وهو ما أطْلِق عليه (التقسيم)، وغير هذا، وهو يومئ إلى بدايات تشكُّل المصطلح في نفوس (النقّاد)، وإحساسهم أنَّ هذا التركيب الذي يقابلونه يدلّ على أمر ما، ولكنّهم لم يستطيعوا تحديد مصطلح معيّن له، حتّى جاء الوقت المناسب، وكثُرت الظواهر، وتعدّدت، وعالجها غير واحد من الدارسين، فاستقرّت على مصطلحها المعروف في كتب النقد المتأخرة. ولعلَّ ما حواه الأغاني من مصطلحات في هذه القضية، وغيرها يقدّم رافداً ثرّاً لدارسي المصطلح، وجذوره، وتطوّره التاريخي، وهذا ما يراد من تلك الدراسات.

هذه هي المحاور الأربعة التي استطعنا استخلاصها من هذه القضية، ولابدَّ من التنويه هنا إلى أنَّ شخصية أبي الفرج النقدية قد بدأت في الظهور، بخلاف ما رأيناه فيما سبق، وخاصّة في القضية الأولى، إذ نجده هنا متذوّقاً للشعر، مبدياً رأيه في كثير من نصوصه، محبّاً للشعر الجزل المتين، غير غافل عن التغيّر الذي أصاب الشعر في العصر العباسي، فهو ابن عصره، ولذلك رأيناه يقف عند نماذج من الشعر الرقيق، السهل فيعجب بها، ويبيّن محاسنها، ثمّ أليس أخيراً هو الشاعر الذي ينطق بلسان بيئته، ويستمدّ قيم شعره وأساليبه منها، وفي هذا توضيح كافٍ لإعجابه بنوعي الشعر: الجزل المتين، والرقيق السَّهل.

العصر الجاهلي

(١)

... وقصيدة قيس بن الخطيم:

أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهبِ لعمْرةَ وحْشاً غير موقف راكبِ

هي مما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أجله. (٨/٣)

(٢)

قالت (جميلة): نازع امرؤ القيس علْقمةَ بنَ عبدَةَ الفحلَ الشعر؛ فقال له: قد حكّمتُ بيني وبينك امرأتك أمَّ جُنْدب؛ قال: قد رضيتُ، فقالت لهما: قُولا شعراً على رويٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيل. فقال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدبِ أقضِّ لُباناتِ الفؤادِ المُعذَّبِ(١)

وقال علْقمة:

ذهبتَ من الهِجْران في غير مذْهبِ ولم يكُ حقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ

وأنشداها، فغلَّبتْ علْقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيِّ شيء غلَّبته؟ قالت: لأنك قلت:

فللسَّوْطِ ألْهوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْرِ منه وقْعُ أهْوجَ مِنْعبِ(٢)

فجهدْتَ فرسكَ بسَوْطِك، ومريْته بساقك(٣) وزجْرك، وأتْعبته بجهْدك. وقال علقمةُ:

فولَّى على آثارهنَّ بحاصبٍ وغَبيةِ شُؤبُوبٍ من الشدِّ مُلْهبِ(٤)

---

(١) لُبانات: حاجات. (٢) ألهوب: يعني ألهب جَرْيه حين زجره، وللسّاق دِرَّة: أي إذا غُمز درَّ بالجري، والأخرج: ذكر النعام وهو الظليم، ومِنعب: الأحمق المصوّت، وفي لسان العرب (١/٧٦٥): «فرس مِنْعب: جواد يمدُّ عنقه كما يفعل الغراب»، وينظر الموشّح للمرزباني (ص ٢٩).

(٣) مرى الفرس: استخرج جريه.

(٤) على آثارهنَّ: يعني البقر، وبحاصب: يعني بِعَدْو شديد كالحاصب من المطر وهو العظيم القطر. والغبية: =

فـأدركـهنَّ ثانيـاً من عنانه يَمُـرَّ كـمـرِّ الرائح المُتـحلِّب(١)

فلم يضرب فرسه بسوط، ولم يمرّه بساق، ولم يُتعبْه برَجْر. فقال ابن عائشة: جُعلتُ فداكِ! أتأذنين أن أحدِّث؟ قالت: هيه قال: إنما تزوَّج أمُّ جُنْدب حين هرب من المُنْذر بن ماء السماء فأتى جبلَي طيِّء، وكان مُفرُكاً(٢). فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له: قُمْ يا خيرَ الفتيان فقد أصبحتَ، فلم يَقُم: فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجر فقال لها: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العجيزة، سريعُ الإراقة، بطيءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكت. فلما أصْبح أتى علقمةَ وهو في خيْمته وخلْفَه أمّ جُنْدب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال علْقمة مثلَ ذلك، فتحاكما إلى أمِّ جُنْدب، ففضلَّت أمُّ جندب علْقمة على امرئ القيس. فقال لها: بم فضلْتِه عليَّ؟ قالت: فرسُ ابن عبدةَ أجودُ من فرسك، زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقيْك، وابنُ عبدةَ جامدٌ لا مقتدر(٣). ففضب من قولها وطلّقها وخلفَ عليها علْقمةُ. (١٩٤/٨)

(٣)

قال: وأنشد الأعشى قصيدته هذه(كِسْرى) ففُسِّرت له؛ فلما سمعها قال: إنْ كان هذا سهر لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصٌّ. ومطلع القصيدة:

أرِقْتُ وما هذا السـهاد المـورِّقُ وما بيَ من سُقْمٍ وما بي معْشَقُ(٤) (١١٥/٩)

= المطرة التي تجيء شديدة. والشؤبوب: أوّل كلّ شيء وحدّته، وملهب: مثير للهب من جريه، واللهب: الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار.

(١) أدركهنَّ: يعني أدرك البقر أي وصلها، وثانياً: جانباً، والرائح يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ، والمتحلّب: المتساقط المتتابع. (٢) المفرك: الذي تبغضه النساء.

(٣) نلاحظ ظهور التعليل في هذا الخبر، فأمّ جندب تقدّم تعليلاً لتفضيلها شعر علقمة على شعر امرئ القيس، للأسباب التي ذكرتها، ونحن نعلم أنّ التعليل من سمات النقد الناضج. وبعض الدارسين يدفع صحة هذا الخبر بسبب من ذلك التعليل الذي لا يتناسب - فيما يقولون - مع العصر الجاهلي.

(٤) من الواضح أنّنا نستطيع فهم تعليق كسرى بسهولة، فقد غابت عنه الروح العربية التي تقف خلف هذا الشعر، وتقاليد القصيدة التي ضُيِّعت بسبب من هذه الترجمة، وهذا يذكرّنا برأي الجاحظ في ترجمة الشعر إذ قال: « .. والشعر لا يُستطاع أن يُترجم، ولا يجوز عليه النّقل، ومتى حُوِّل تقطّع نظمه، وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجّب». الحيوان (٧٥/١). وقد حدث هذا الذي ذكره الجاحظ لبيت الأعشى، وينظر حول ترجمة بيت الأعشى، الشعر والشعراء (٢٥٨/١)، وخزانة البغدادي (٢٥٣/٣).

(٤)

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ، قال قال: أبو عمرو الشَّيْبانيّ: قال عنترةَ هذه القصيدة (التي مطلعها: هل غادر الشعراء من متردَّم) لأن رجلاً من بني عبْس سابَّه فذكر سواده وسواد أمّه وإخوته وعيَّره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس ليترافدُون(١) بالطُّعْمة، فوالله ما حضرت مرْفدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جدُّك قطُّ. وإنَّ الناس ليُدْعَوْن في الفزع فما رأيتك في خيلٍ قطُّ، ولا كنتَ في أوّل النساء، وإن اللَّبْس (يعني الاختلاط) ليكونُ بيننا فما حضرت أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطَّةٍ فيْصلٍ قطُّ، وكنتَ فَقْعاً بقَرْقَرة(٢)، ولو كنتُ في مرتبتك ومغْرسِك الذي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتُك، أو طاولتُك لطلّتُك. ولو سألتَ أمُّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته، وإنّي لأحتضر الوغى، وأوفّي المغْنم، وأعِفُّ عن المسألة، وأجُودَ بما ملكتُ، وأفصل الخُطَّة الصَّمْعاء(٣)، فقال له الآخر: أنا أشعرُ منك. فقال: ستعلم!. وكان عنترة لا يقول من الشِّعر إلاّ البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها. وكانت العرب تسمّيها المُذْهبة. (٢٢٣/٩)

(٥)

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني محمد بن سعْد الكُرانيّ عن أبي عبد الرحمن الثّقفيّ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة: أن نابغة بني ذُبيان كان تُضرب له قُبة من أدم بسُوق عُكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء(١)؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدتْه

---

(١) يترافدون: يتعاونون. (٢) فقعاً بقرقرة: مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على مَنْ يضيمه، والفقع: هجين الكمأة، وهو أبيض سريع الفساد، قليل الصبر عن الحيا، ولا يمتنع على مَنْ اجتناه، والقرقرة: الأرض المستوية السهلة.

(٣) الصَّمْعاء: الحازمة. (٤) إنّ ضرب القبّة لشخص معين يعني التقديم والتكريم، فإذا كان شاعراً، وجاءه الشعراء تعرض عليه أشعارها أخذ التكريم سَمْتاً آخر، ومذهباً جديداً. هو النقد، فكأنّ من أتى إلى النابغة يعرف سلَفاً أنّه سيعرض شعره على ناقد، وينبغي أن يرضى بحكمه، ومن خلال معرفتنا بأسماء بعض الشعراء الذين وفدوا إلى تلك القُبة مثل الأعشى، والخنساء، وهم من متقدّمي الشعراء، أقول من خلال معرفتنا ببعض الشعراء ندرك المكانة النقدية الكبيرة التي يتمتع النابغة بها، فلا يرضى شاعر أن يعرض شعره على مَنْ هو أدنى منه، وخاصة شاعر كبير مثل الأعشى.

ومن المفيد أن نضيف هنا أنّ ضَرْبَ القبّة كان معروفاً بين العرب، ويراد منه التكريم والاحترام لِمَنْ تُضرب =

الخنْساء قولها: قذىً بعينكِ أم بالعين عُوّارُ

حتى انتهتْ إلى قولها:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنه علمٌ في رأسه نار

وإنّ صخراً لمولانا وسيِّدُنا ... وإنّ صخراً إذا نشتُو لنحّار

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنكِ أشعر الناس(١)! أنت والله أشعر من كل ذات مثانة. قالت: والله ومن كلِّ خُصيتين. فقال حسّان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ حيث أقول:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعْنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يقْطُرْنَ من نجْدةٍ دما

ولدْنا بني العنْقاء وابنيْ محرِّقٍ ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بنا ابْنما

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جفانك وفخرْتَ بمن ولدتَ ولم تفْخرْ بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت «الجفنات» فقلّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثر. وقلت «يلمعن في الضُّحى» ولو قلت «يبْرُقْنَ بالدُّجى» لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً. وقلت «يقْطُرْنَ من نجدة دماً» فدلّلتَ على قلة القتْلِ ولو قلت «يجْرينَ» لكان أكثر لانصباب الدّم. وفخرْتَ بمن ولدْتَ ولم تفخر بمن ولدك(٢). فقام حسّان منكسراً منقطعاً. (٣٣٩/٩)

= له هذه القبّة، فعلى سبيل المثال، أنّ النعمان بن المنذر كان يضرب على مَنْ يريد قبّة من أدم حمراء، «فإذا فعل ذلك برجل عُرِف قدره منه ومكانته عنده». الأغاني(٥٢/٩)، ويصف عبيد بن الأبرص قومه بأنّهم كانوا:

أهلَ القباب الحُمْر والنَّـ ... ـعم المؤبَّل والمدامه

الأغاني (٨٣/٩)، وكان كعب بن جعيل شاعر بني تغلب «وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبّة» الأغاني (٢٨٠/٨)، وغير هذا كثير.

(١) سنتوقف عند هذا المصطلح: (أشعر) في قضية مستقلّة.

(٢) هذا من نصوص النقد الجاهلي المشهورة، وقد أوردته كتب تاريخ النقد جميعها، وهو يشير إلى وجود تعليل ما، قوّى به النابغة حكمه على بيْتَيْ حسان، وقد شكّ بعض الدارسين في هذا التعليل، ونبع شكّهم من أن هذا التعليل لا يتناسب مع المستوى الثقافي للعصر الجاهلي، وهو تعليل متأخر عن هذا العصر يتلاءم مع العصر العباسي، وفي الموشّح للمرزباني (ص٨٣) تفصيل دقيق لهذا الخبر نرى فيه أنّ شيئاً من كلام الصولي قد تداخل مع كلام النابغة، وينظر كذلك تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه أحمد إبراهيم (ص١٩).

(٦)

... عن ابن قتيبة: ... وكان (عمرو بن كلثوم) قام بهذه القصيدة خطيباً بسوق عكاظ (ومطلعها: ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا) وقام بها في موسم مكة. وبنو تغلب تعظّمها جداً ويروونها صغارهم وكبارهم، حتى هُجُوا بذلك: قال بعض شعراء بكر بن وائل:

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها أبداً منذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسنوم (٥٤/١١)

(٧)

أخبرني حبيب بن نَصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثني عبد الملك بن قُرَيْب قال: كان يُضرب للنابغة قُبّةٌ من أدم بسوق عُكاظ، فتأتيه الشعراء فتعْرِض عليه أشعارها. قال: وأوّل من أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنْساءُ بنت عمرو بن الشَّريد:

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنّه علمٌ في رأسه نارُ

فقال: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني آنفاً لقلتُ إنك أشعر الجنّ والإنس. فقام حسّان فقال: والله لأنا أشعرُ منك ومن أبيك!. فقال له النابغة: يابن أخي، أنت لا تُحسن أن تقول:

فإنّك كاللّيل الذي هو مُدْركي وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْنٌ في حبالٍ متينةٍ تمُدّ بها أيدٍ إليك نوازعُ(١)

قال: فخنسَ(٢) حسّان لقوله. (٦/١١)

(٨)

وكان النابغة قال في هذا البيت: «وبذاك خبّرنا الغُرابُ الأسودُ» ثم ورد يثْرِبَ فسمعه يُغنّى فيه، فبان له الإقواءُ، فغيّره في مواضع من شعره. (٩/١١)

---

(١) الخطاطيف: جمع خُطاف، وخُطاف البئر حديدة معوجة تستخرج بها الدّلاء وغيرها، وحجن، واحدها أحجن، والأنثى حجناء، وهي المعوجّة، ونوازع: جواذب، يقول: لك خطاطيف هذه صفتها أجريتها إليك، وهذا تمثيل، يريد أنّه في قبضتيه، لا مفرّ له منه.

(٢) خنس: انقبضَ، أو رجع وتنحّى.

(٩)

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي: قال أبو عُبَيْدة: كان فحْلانِ من الشعراء يُقْويان: النابغةُ وبِشْرُ بن أبي خازم(١). فأمَّا النابغة فدخلَ يثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت، فدعوْا قينةً وأمروها أن تغنِّي في شعره ففعلتْ. فلمَّا سمع الغناء وغير موزونٍ، و«الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللحن فطنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ. وأمَّا بِشْر بن أبي خازمٍ فقال له أخوه سوادةُ: إنَّك تُقْوي. قال: وما ذاك؟ قال: قولُك: «وينْسى مثلَ ما نسيتْ جُذامُ» ثم قلت بعده «إلى البلد الشامِ»، ففطن فلم يَعُدْ. (١٠/١١)

(١٠)

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا: كان النابغةُ يقول: إنَّ في شعري لعاهةً ما أقفُ عليها. فلمَّا قدم المدينة غُنِّي في شعره؛ فلمَّا سمع قوله: «واثِّقتْنا باليدِ» و«يكاد من اللُّطافة يُعْقَدُ» تبيّن له لمَّا مُدَّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدَّتْ «يُعقدُ» فصارت الضمّة كالواو؛ ففطن فغيَّره وجعله:

عنَمٌ على أغصانه لم يُعْقَدِ

وكان يقول: وردتُ يثْرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة، فصدرتُ عنها وأنا أشْعَرُ الناس. (١٠/١١)

(١١)

... قال (النعمان بن المنذر) بعد أن سمع شعراً: هذا شعرٌ عُلْويّ(٢)، هذا شعر النابغة(٣).

(٢٨/١١)

---

(١) من الممكن اعتبار الإقواء ظاهرة موجودة في الشعر الجاهلي، لا يقتصر وجوده عند هذين الشاعرين، ونسمع للأخفش رأياً حول هذا الموضوع إذ يقول: «وقدسمعتُ مثل هذا من العرب كثيراً ما لا يُحصى. قلّ قصيدة ينشدونها إلاّ وفيها إقواء، ثم لا يستنكرونه، وذلك لأنّه لا يكسر الشعر» ينظر كتاب القوافي، للأخفش (ص٤٢)، وقد عدّ بعض الدارسين وجود الإقواء في الشعر الجاهلي دليلاً على أنّ الرواة لم يصلحوه إصلاحاً واسعاً». ينظر العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، (ص١٨٥)، ولكنّه يظلّ في الأحوال كلّها عيباً من عيوب القافية حاول كبار الشعراء تجنبّه.

(٢) عُلْوي: نسبة إلى العالية على غير قياس، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة، وقرى بظاهر المدينة. ينظر معجم البلدان (٤/٧١).

(٣) كأنَّ النعمان ميّز الشعر الذي سمعه، وردّه إلى أرضه، فقال هو علوي، ولم يكن يتوقّع أن يأتيه من العالية =

(١٢)

... قال حسّان: حسدتُ النابغة على ثلاث لا أدري على أيتُّهن كنتُ له أشدُّ حسداً: على إدناء النُّعْمان له بعد المباعدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم على جَوْدةِ شعره أم على مائة بعيرٍ من عصافيره(١) أمر له بها. (٢٨/١١)

(١٣)

... قال الأصمعي: حدّثني عيسى بن عمر أنَّ (قصيدة سويد بن أبي كاهل ومطلعها:

بســطت رابعــة الحبل لنــا فوصلنا الحبلَ منها ما اتّسع)

كانت في الجاهلية تُسمى: «اليتيمة». (١٠٢/١٣)

(١٤)

أخبرنا أبو زيد، عن عبد الرحمن، عن عمه، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثني عمي عبيد الله، عن ابن حبيب. وأخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرانيّ، قال: حدّثنا العمريّ، عن لقيطٍ قالوا: اجتمع الزبرقانُ بن بدر والمخبل السعديّ وعبْدة بن الطبيب وعمرو بن الأهتم قبل أن يُسلموا، وبعدَ مبعث النبيّ(ص)، فنحروا جَزُوراً، واشتروا خمراً ببعير، وجلسوا يشوون ويأكلون، فقال بعضهم: لو أنَّ قوماً طاروا من جودة أشعارهم لطِرْنا، فتحاكموا إلى أوّل من يطّلعُ عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حُذار الأسديّ، وقال اليزيديّ: فجاءهم رجلٌ من بني يربوع يسأل عنهم، فدُلَّ عليهم وقد نزلوا بطن وادٍ وهم جلوس يشربون، فلما رأوه سرهم، وقالوا له: أخبرنا أيُّنا أشعرُ؟ قال: أخاف أن تغضبوا، فأمّنُوه من ذلك، فقال: أما عمرو فشعره برودٌ يمنية تنشر وتطوى، وأما أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحُرت، فأخذ من أطايبها وخلطه بغير ذلك.

وقال لقيط في خبره، قال له ربيعةُ بن حذار: وأمّا أنت يا زبرقان فشعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولم يُترك نيئاً فيُنتفعَ به، وأما أنت يا مخبّلُ فشعرك شُهُبٌ من نار الله يلقيها على من يشاء، وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة(٢) أحْكِم خرزها فليس يقطر منها شيء(٣).

(١٩٧/١٣)

= سوى النابغة، فنسبه إليه، وقد صحّت النسبة.

(١) العصافير: إبل نجائب كانت للملوك. (٢) المزادة: الراوية، وقيل لا تكون إلاّ من جلدين بينهما ثالث لتّتسع.

(٣) نرى أنّ هذا (الناقد) قد عمد إلى أمرين في مقولته النقدية عن شعر هؤلاء الأربعة، أولهما الوصف، حيث =

(١٥)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المَهلَبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ قال: حدّثني يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال: قال حسان بن ثابت: أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغسّاني وقد مدحتُه، فأذِن لي فجلستُ بين يديه، وعن يمينه رجلٌ له ضفيرتان، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أمّا هذا فأعرفه، وهو النابغة، وأما هذا فلا أعرفه. قال: فهو علقمة بن عبدة، فإن شئتَ استنشدتهما وسمعتَ منهما، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِدَ بعدهما أنشدتَ، وإن شئتَ أن تسكت سكتَّ. قلت: فذاك. قال: فأنشده النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

قال: فذهب نصفي(١). ثم قال لعلقمة: أنشد. فأنشد:

طَحابكَ قلبٌ في الحسانِ طروبِ ... بُعيد الشباب عصرَ حانَ مشيبُ

فذهب نصفي الآخر فقال لي: أنت أعلم، الان إن شئتَ أن تنشدَ بعدهما أنشدتَ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ، فتشدَّدتُ ثم قلت: لا بل، أنشد، قال: هات، فأنشدتُه:

للـه درُّ عـصـابـةٍ نادمـتُهـا ... يومـاً بجلّق في الزّمـان الأوّلِ

أولاد جـفْنـة عـندَ قـبـر أبيـهـم ... قـبـرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفـضل

يسـقُونَ مَن ورد البريص عليـهـم ... كـأسـا تُصـفّق بالرحـيق السلسلِ

يُغـشـونَ حـتّى مـا تـهرُّ كـلابُهم ... لا يسـألون عن السّـواد المقـبل

بيضُ الوجـوهِ كـريمةٌ أحـسـابهـم ... شـمُّ الأنـوفِ مـن الطـرازِ الأوّل

وصف شعرهم بلا تقديمٍ لأحدهم بشكل صريح. وثاني الأمرين هو التشبيه، إذ شبّه شعر كلّ واحد منهم بما يرى أنّه يُشْبهه، فالبرود اليمنية لشعر عمرو، ولحم الجزور لشعر الزبرقان، وشهب النار لشعر المخبّل، والمزادة لشعر عبدة، وهذا يشير - من ضمن ما يشار إليه - إلى ضعف ملكة التحليل عند هذا الناقد، وعدم القدرة على تسمية الأشياء بأسمائها، ولكنّه مع هذا كلّه يبدو خبيراً بشعر هؤلاء الأربعة، عارفاً بالسمات العامة التي يتميّز بها شعر كلّ واحد منهم، وجاءت ملاحظاته هذه، نتيجةً لتلك الخبرة، وقد عدّ الدكتور إحسان عباس هذا النموذج من «أرقى الأمثلة، وأشدّها دلالة على طبيعة النقد الأدبي ...»، ينظر تاريخ النقد الأدبي (ص ١٣).

(١) ذهب نصفي: يعني بدأت أتساقط من جودة الشعر حتى لم يبق عندي شيء أقوله.

فقال لي: ادنُهْ ادنهْ، لعمري ما أنتَ بدونهما(١). ثم أمر لي بثلثمائة دينار، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد، وقال: هذا لك عندنا في كلِّ عام. (١٥٧/١٥)

(١٦)

وكان لبيد يقول الشعر ويقول: لا تُظْهروه، حتى قال: عفت الدِّيارُ محلُّها فمُقامها

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضمْرة بن ضمرة، ومنْ حضرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيدٌ حينئذ: أظهروها(٢). (٣٦٧/١٥)

(١٧)

قال محرز بن أبي هريرة: كنَّا عند معاوية، فتذاكرنا ملوك العرب، حتى ذكرنا الزِّباء وابنة عفزر، فقال معاوية: إني لأحب أن أسمع حديث ماوية وحاتم، وماويةُ بنت عفْزَر، فقال رجل من القوم: ألا أحدثك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى. فقال: إنَّ ماوية بنت عفزر كانت ملكة، وكانت تتزوج مَنْ أرادت، وإنها بعثت غلماناً لها وأمرتْهم أن يأتوها بأوسَمِ مَنْ يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم، فقالت له: استقدم إلى الفراش، فقال: حتى أخبرك، وقعد على الباب، وقال: إني أنتظر صاحبين لي، فقالت: دونَك أستدخل المجْمر. فقال: استي لم تُعوَّد المِجْمر، فأرسلها مثلاً، فارتابتْ منه، وسقتْه خمراً ليسكر، فجعل يهريقُه بالباب فلا تراه تحت الليل، ثم قال: ما أنا بذائقٍ قرىً ولا قارٌ حتى أنظر ما فعل صاحباي. فقالت: إنَّا سنرسلُ إليهما بقرىً، فقال حاتم: ليس بنافعي شيئاً أو آتيهما. قال: فأتاهما، فقال: أفتكونان عبْدين لابنة عفْزر، ترعيان غنمها أحبُّ إليكما أم تقتلكما؟ فقالا: كلُّ شيء يُشبه بعضُه بعضاً، وبعضُ الشرِّ أهون من بعض، فقال حاتم: الرحيل والنجاة.

وذكروا أن حاتماً دعتْهُ نفسه إليها بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها فوجد عندها النابغة ورجلاً من الأنصار من النُّبيت؛ فقالت لهم: انقلبُوا إلى رحالكم، وليقُل كلُّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإني أتزوَّج أكرمكم وأشعركم.

---

(١) جعل جبلة بن الأيهم حسّانَ بن ثابت على مستوى واحد مع شاعرين من كبار شعراء العصر الجاهلي، بسبب هذه القصيدة، ومن المعروف أنَّها من عيون شعر حسّان.

(٢) كانَّ الشاعر كان يخفي ما يقول. اتّهاماً لنفسه، ومظنَّة في أنَّ ما قاله ليس جيداً، ولعلَّه استوى على ساقه، ونضج في هذه القصيدة، فطلب أن تُروى وتظهر. وهي من أشهر قصائد لبيد.

فانصرفوا ونحر كلُّ واحد منهم جزوراً، ولبست ماوية ثياباً لأمةٍ لها وتبعتهم، فأتتْ النُّبيتيّ فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثيل(١) جمله فأخذته، ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمها ذنبَ جزوره فأخذته، ثم أتت حاتما وقد نصب قِدره فاستطعمته، فقال لها: قفي حتى أعطيك ما تنتفعين به إذا صار إليك، فانتظرت فأطعمها قطعاً من العَجُز والسنام، ومثلها من المِخْدش، وهو عند الحارك(٢)، ثم انصرفت. وأرسل كلُّ واحد منهم إليها ظهر جمله، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثل ما أرسل إليها، ولم يكن يترك جاراته إلاّ بهدية. وصبُّحوها فاستنشدتهم فأنشدها النُّبيتيّ:

هلاَّ سألتِ النُّبيتيَّنَ ما حسبي ... عند الشتاء إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ
وردٌ جازِرُهم حرفاً مُصرَّمة ... في الرأس منها وفي الأصلاء تمليح(٣)
وقال رائدُهم: سيُّان مالُهم ... مِثْلانِ مِثْلٌ لمن يرعى وتسْريحُ
إذا اللِّقاحُ غدت ملْقىً أصرَّتها ... ولا كريمَ مِنَ الولدان مصبُوحُ(٤)

فقالت له: لقد ذكرت مجْهدةً ثم استنشدت النابغة، فأنشدها يقول:

هلاَّ سألتِ بني ذبيانَ ما حسبي ... إذا الدُّخانُ تَغَشَّ الأشمطَ البرما(٥)
وهبَّتْ الريحُ مِنْ تلقاء ذي أرُلٍ ... تُزْجي مع الليل مِنْ صُرَّادها الصِّرما(٦)
إنّي أتتهم أيْساري وأمْنحُهم ... مِئْتَى الأيادي وأكْسُو الجفْنةَ الأدُما(٧)

فلمَّا أنشدها قالت: ما ينفكُّ الناس بخير ما انتدموا، ثم قالت: يا أخا طيِّء أنشدني، فأنشدها:

أماويُّ قد طال التَّجنُّبُ والهجْرُ ... وقد عذرتْني في طلا بكمُ العُذْرُ

---

(١) الثِّيل: وعاء قضيب البعير. (٢) المخدش: كاهل البعير، والحارك: أعلى الظَّهر.

(٣) الحرف: الناقة الضامرة أو المهزولة، ومصرَّمة: ناقة يقطع طبياها ليعيش الإحليل فلا يخرج اللبن ليكون أقوى لها، والأصلاء: جمع الصلا، وهو وسط الظهر، والتمليح: السمن.

(٤) أصرَّة: جمع صرار وهو ما يُشدّ به.

(٥) الأشمط: الذي خالطها الشيب، والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

(٦) ذو أرَل: جبل بأرض غطفان بينها وبين عذرة، والصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه، والصرام: جمع صرمة وهي قطع السحاب.

(٧) الأيسار: جمع يسر، وهم المقامرون، والجفنة: الوعاء الكبير يوضع فيه الطعام، والأدم: ما يؤكل مع الخبز من مرق وغيره.

أمـــاويُّ إنَّ المـــالَ غـــادٍ ورائـــحٌ ... ويبْقى من المال الأحـــاديثُ والذِّكْرُ
أمـــاويُّ إني لا أقـــولُ لســـائلٍ ... إذا جـاء يومـاً: حلَّ في مـالنا النَّذْرُ
أمـــاويُّ إمَّا مـــانعٌ فمـــبـــيِّنٌ ... وإمـــا عطـــاءٌ لا يُنهْنهُـــهُ الزَّجْـرُ
أمـاويُّ مـا يُغْني الثَّراء عـن الفتى ... إذا حشرجتْ يوْماً وضاقَ بها الصَّدْرُ
إذا أنـــا دلاَّني الذيـن أحـــبُّهـم ... بملحـــودةٍ زَلِجٍ جـــوانبُهـــا غُبـــرُ(١)
وراحـوا ســراعـاً ينفـضُون أكـفَّهم ... يقـــولـون: قـد دمَّى أناملنا الحـفْـرُ
أمـاويُّ إنْ يُصـبحْ صـدايَ بقـفْرةٍ ... مـن الأرضِ لا مـاء لـديَّ ولا خـمْـرُ
تريْ أنْ مـا أنفـقتُ لم يكُ ضـرَّني ... وأنْ يـدي ممـا بخلْـتُ بـه صِفْـرُ(٢)
أمـــاويُّ إنـَّي رُبَّ واحـدِ أمِّـــهِ ... أخـذْتُ فـلا قـتْلٌ عليـه ولا أسْرُ
وقـد علم الأقـوامُ لو أنَّ حـاتما ... أرادَ ثـراءَ المـالِ كـان لـَهُ وفْـرُ
فـــإنيَ لا آلُو بمالي صنيـعـــةً ... فـــلَوْلاَّ ـــه زادٌ وآخـــرُهُ ذُخْـــرُ
يُفكُّ بـه العـــانـي ويُؤْكـــلُ طيِّبـا ... ومـا إنْ تعـرَّتْهُ القـداحُ ولا الخـمْرُ
ولا أظلِم ابنَ العمِّ إن كـان إخـوتي ... شُهـوداً وقـد أوْدى بإخـوته الدَّهْر
غنينـا زمـاناً بالتَّصعْـلُكِ والغنـى ... وكـلاًّ سـقانا بكأسـهـمـا العُصـرُ
فـمـا زادنا بغْيـاً على ذي قـرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأحْسـابنا الفـقـرُ
ومـا ضـرَّ جـاراً يابْنة القـوم فـاعْلمي ... يجـــاورنـي ألاَّ يكـون لـــه سـتْر
بعـيني عن جـاراتِ قـوْمـيَ غـفْلةٌ ... وفي السَّـمْعِ منِّي عن حـديثُهم وَقْرُ

فلما فرغ حاتمٌ من إنشاده دعتْ بالغداء، وكانت قد أمرت إماءها أنْ يقدِّمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها، فقدَّمْن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أنْ يقدمنه إليهم، فنكَّس النُّبيتيُّ رأسه والنابغة، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذي قُدِّم إليهما، وأطعمهما مما قدم إليه، فتسللا لواذاً، وقالت: إنَّ حاتماً أكرمكم و أشعركم. (٣٨٠/١٧)

(١٨)

أخبرني عمِّي قال: حدَّثني النَّضرُ بن عمرو قال: حدَّثني أبو السَّوار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حمَّادٍ الراويةِ قال: كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، وما ردُّوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمةُ بن عبدة، فأنشدهم

(١) الزَّلج: الزلق، وهي المزلة تزلّ فيها الأقدام لملاستها. (٢) صِفْر: فارغة.

قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمتَ وما استُودعْتَ مكتوم أم حبْلُها أنْ نأتكَ اليومَ مصـــرومُ

فقالوا: هذه سمطُ الدهر، ثم عاد إليهم العامَ المقبلَ فأنشدهم:

طحابك قلب في الحسَان طروبُ بُعيْد الشَّباب عصْرَ حان مشيبُ

فقالوا: هاتان سمْطا الدهر. (٢٠١/٢١)

(١٩)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيُّ قال: حدّثنا العنزيّ عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عُمر بن شبّة قال: حدّثني أبو عُبيدة قال: كانت تحت امرئ القيس امرأةٌ من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمةُ الفحْل بن عبدة التّميميّ، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله: خليليّ مُرّا بي على أمّ جُنْدبِ

حتى مرَّ بقوله: فللسَّوط ألهوبٌ وللسَّاق درَّةٌ وللزَّجر منه وقْعُ أخْرَجَ مُهذبِ

فأنشدها علقمة قوله: ذهبْتَ من الهجرانِ في غير مذْهبِ

حتى انتهى إلى قوله: فأدركه حتى ثنى من عنانه يمُـرُّ كـغيثٍ رائـحٍ متحلِّب

فقالت له: علقمةُ أشعرُ منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحرّكته بساقك، وضربته بسوطك. وإنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلتِ، ولكنك هويتهِ، فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لُقّبَ علقمةَ الفَحْل. (٢٠٢/٢١)

(٢٠)

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمريّ، عن لقيط قال: تحاكم علقمةُ بن عبدة التميميّ، والزبرقانُ بن بدْر السعدي، والمُخبّل، وعمرو بن الأهتم، إلى ربيعة بن حُذار الأسديّ، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيُؤكل، ولا تُرك نيئاً فيُنتفع به، وأمّا أنت يا عمرو فإنّ شعرك كبُرد حَبرة يتلألأ في البصر، فكلّما أعَدْته فيه نقص، وأما أنت يا مُخبّل فإنك تصرّت عن الجاهلية ولم تدرك الإسلام، وأما أنت يا علقمة فإن شعرك مزادة قد أحكم خرزُها فليس يقْطر منها شيء. (٢٠٣/٢١)

(٢١)

أخبرني محمد بن عمران المؤدب وعمي: قالا: حدّثنا محمد بن عبيد: قال: حدّثني محمد بن

يزيد بن زياد الكلبي، عن الشرقي بن القطامي: قال: ... إنَّ عبيد بن الأبرص كان أول مَنْ أشرف على (المنذر بن ماء السماء) في يوم بؤسه، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟... أنشدني، فقد كان شعرك يعجبني ... (٨٦/٢٢)

العصر الإسلامي

(١)

قال: ولامَ (عبدَ الله بن عبّاس) بعضُ أصحابه في حفظ هذه القصيدة:«أمن آل نُعْم..»فقال: إنّا نستجيدها، وقال الزُّبير في خبره عن عمّه: فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول: هل أحدث هذا المُغيريُّ شيئاً بعْدنا؟ قال: وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال: كان عبد الله بن الزُّبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة: فيضْحى وأمُّا بالعشيّ فيخْصَر

قال: لا، بل: فيخزى وأمُّا بالعشيّ فيخسرُ

قال عمرُ بن شبّة وأبو هفّان والزُّبير في حديثهم: ثم أقبل على ابنِ أبي ربيعة فقال: أنْشِدْ، فأنشده: تشُطُّ غداً دارُ جيراننا

وسكت؛ فقال ابن عباس: وللدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ

فقال له عمرُ: كذلك قلتُ ـ أصلحك اللهُ ـ أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي(١). (٧٣/١)

(٢)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة قال: بلغني أن هذا البيت في التوراة، ذكره غير واحد عن أبيّ بن كعْب، يعني قول الحطيئة: لا يذهب العرف بين الله والناس

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوبَ بن عثمان الدِّمشْقيّ عن عثمان بن أبي عائشة قال: سمعَ كعْبُ الحِبْرُ رجلاً يُنشدُ بيتَ الحطيئة:

من يفعل الخيرَ لا يعدمْ جوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناس

---

(١) كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عالماً بالشعر، راوياً له، مستفيداً منه في تفسيره للقرآن الكريم، فكأنّ تتمتّه للبيت جاءت عن تلك الخبرة التي أدهشت الشاعر، فظنّه قد سمع البيت قبل هذا، وكان يستحسن الشعر ويعجب به.

فقال: والذي نفسي بيده إنَّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق قال العُمريّ: والذي صحَّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين الله والعباد». (١٧٤/٢)

(٣)

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كنانة من أهل المدينة يقول: كان حسّان بن ثابت إذا قيل له: تُنوشدت الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول: فهل أنشدتْ كلمةُ الحُويدرة:

بكرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً فتمتّعي

قال أبو عبيدة: وهي من مختار الشعر، أصمعيّةٌ مُفضّليّةٌ. (٢٧١/٣)

(٤)

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال: كان أميَّة يُحرّض قريشاً بعد وقعْة بدْرٍ، وكان يرْثي مَنْ قُتِلَ من قريش في وقعْة بدر؛ فمن ذلك قولُه:

مـــاذا ببدْرٍ والعقنْـ قلِ مِنْ مرازبةٍ جَحَاجِحْ(١)

وقال: وهي قصيدةٌ نهى رسول الله (ص) عن رواياتها. ويقال: إنَّ أميَّة قدم على أهل مكة «باسمك اللّهُمّ»؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم). (١٢٢/٤)

(٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهلّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عكرمة قال: أنشد النبيُّ (ص) قول أميَّة:

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبحنا بالخير صبَّحنا ربّي ومسّانا
ربُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خزائنُها مملوءةٌ طبَّقَ الآفاقَ سُلطانا
ألا نبيٌّ لنا منّا فيخبرنا ما بعدَ غايتنا من رأسِ محيانا
بينا يُربّيننا آباؤنا هلكُوا وبينما نقْتني الأولادَ أفنانا
وقد علْمنا لو أن العلم ينفعنا أنْ سوف يلْحقُ أخْرانا بأوْلانا

فقال النبيّ (ص): «إنْ كاد أميَّةُ ليُسلم». (١٢٩/٤)

---

(١) العقنقل: كثيب رمل ببدر، ومرازبة: جمع مرزبان، وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك، وهو معرّب وأصله فارسي، وجحاجح: جمع جَحْجَح وهو السيّد المسارع في المكارم.

(٦)

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سلْمان عن سليمان بن حرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين: أنّ حسّان أخذ يوماً بطرف لسانه وقال: يا رسول الله، ما يسرُّني أنّ لي به مقْولاً بين صنْعاءَ وبُصْرى(١)، ثم قال:

لساني مِقْولٌ لا عيبَ فيه ... وبحْري ما تُكدِّرُه الدِّلاءُ (١٦٤/٤)

(٧)

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنه سمع أن حسّان بن ثابت أنشد رسول الله (ص):

لقد غدوتُ أمامَ القوم مُنْتطقاً ... بصارمٍ مثْلِ لوْنِ الملْحِ قطّاعِ

يحْفِزُ عنّي نجادَ السيف سابغةٌ ... فضْفاضةٌ مثل لوْنِ النَّهْي بالقاعِ(٢)

قال: فضحك رسولُ الله (ص)؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفْسه مع جنْبه. (١٦٦/٤)

(٨)

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلْحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مشايخي: أنّ الحُطيئةَ وقف على حسان بن ثابت وحسّانُ يُنْشِدُ من شِعْره؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه: كيف تسْمع هذا الشعر يا أعرابيّ؟ قال الحُطيئة: لا أرى به بأساً. ففضب حسّان وقال: اسْمَعُوا إلى كلام هذا الأعرابيّ! ما كُنْيتُك؟ قال: أبو مُليكة. قال: ما كنتَ قطُّ أهْونَ عليَّ منك حين كُنّيتَ بامرأةٍ، فما اسْمُك؟ قال: الحُطيئةَ فقال حسّان: امْضِ بسلام(٣). (١٦٧/٤)

(٩)

حدّثنا أحمد بن عمر بن موسى القطّان المعروف بابن زنْجويه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد

---

(١) بصرى: اسم لموضعين: بصرى الشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران، وبصرى بغداد وهي إحدى قراها قُرب عكبرا.

(٢) يحفز: يدفع، والسابغة: هي الدرع إذا كانت طويلة تامّة، وفضفاضة: واسعة، والنهْي: الغدير.

(٣) كأنّ حسّان بن ثابت لم يعجبه حكم الحطيئة وهو لا يعرفه، وكان ينتظر منه أن يقول كلاماً غير الذي قاله، فأغلظ له القول، وبعد المعرفة، عرف كلُّ واحد موضعه من الشعر، فطلب منه الانصراف.

الله السكريّ قال حدّثنا يعلى بن الأشدق العُقَيليّ قال حدّثني نابغة بني جعْدة قال: أنشدتُ النبيُّ (ص) هذا الشعر فأعجب به:

بلغنا السماء مجدُنا وجدودنا وإنّا لنبْغي فوقَ ذلك مظْهرا

فقال النبّي(ص): «فأين المظهرُ يا أبا ليلى»؛ فقلت: الجنة؛ فقال: «قل إن شاء الله»؛ فقلت: إن شاء الله.

ولا خيْرَ في حِلْم إذا لم يكن له بوادرُ تحْمي صفْوه أن يُكدّرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أوْردَ الأمرَ أصْدرا

فقال النّبيّ (ص): «أجدْتَ لا يفْضُضِ اللهُ فاك»؛ قال: فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفض(١) مِن فيه سنّ. (٨/٥)

(١٠)

أخبرني أحمد عليّ الخفاف قال حدّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيتُ رسول الله(ص) في النوم وقُدّامه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ، فنظرتُ إليه فلم أعْرفه، إذ التفتَ إليه رسول الله(ص) فقال: يا سيّد، أنشدني قولك: لأمّ عمر في اللّوى مرْبَعُ

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتُها عنه كلّها في النوم، قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحّانةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يَتَتَعْتَعْ(٢) فيها ولم يلحن. (٢٥١/٧)

(١١)

وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترقِ عن السيّد: أنه رأى النّبيّ (ص) في النوم، فاستنشده فأنشده قوله:

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامُه بلْقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له لو شئتَ أعْلَمْتَنا إلى مَنِ الغايةُ والمفزعُ

---

(١) انفضّ: سقط. (٢) التعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردّد من حصر أو وعيّ.

فقال: حسبُك! ثم نفض يده وقال: قد والله أعلمتُهم. (٢٧٦/٧)

(١٢)

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال: أنشد النبيُّ (ص) قول عنترة: ولقد أبيتُ على الطُّوى وأظلُّه حتّى أنالَ بـه كـريمَ المآكـل
فقال (ص): «ما وُصِفَ لي أعرابيٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلاّ عنترة». (٢٤٣/٨)

(١٣)

أخبرني حبيب بن نصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال عمر بن الخطاب للحُطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألفَ فارس حازمٍ. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زُهيْر فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمل إذا حمل ونُحجم إذا أحجم. وكان فينا الرُّبيع بن زياد وكان ذا رأي فكنّا نستشيره ولا نُخالفه. وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدقت. (٢٤٤/٨)

(١٤)

وقال ابن الأعرابيّ قال أبو زياد الكلابيّ: أنشد عثمان بن عفّان قول زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على النّاس تُعْلَمِ

فقال: أحسن زُهيْرٌ وصدق، لو أنّ رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدّث به الناس. قال وقال النّبيّ(ص): «لا تَعْملْ عملاً تكْرَهُ أن يُتحدّثَ عنك به». (٣٠٦/١٠)

(١٥)

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحيّ إجازة قال: حدّثني محمد بن سلاّم الجُمَحيّ قال حدّثني أبو الغرّاف قال: كان أبو زبيدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصّةً ملوك العجم، وكان عالماً بسيرهم. وكان عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه يُقرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه، وكان نصرانياً. (فحضر ذات يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار)، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها. قال: فالتفتَ عثمانُ إلى أبي زُبيد وقال: يا أخا تُبُّع المسيح أسْمِعْنا بعض قولك، فقد أنْبئتُ أنك تُجيد فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

مَنْ مُبْلِغٌ قومنا النائين إذ شحَطوا أنّ الفـــؤادَ إليهـــم شـــيِّقٌ ولَـــعُ(١)

(١) شحطوا: بعدوا، وشيّق: مشتاق.

ووصف (فيها) الأسدَ، فقال عثمان رضي الله تعالى عنه: تالله تفتأ تذكرُ الأسدَ ما حييت. والله إنِّي لأحْسبُك جباناً هداناً(١). قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكنِّي رأيتُ منه منْظراً وشهدتُ منه مشْهداً لا يبرح ذِكْرُه يتجدّد ويتردّد في قلبي. (١٢/١٢٧)

(١٦)

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ وعمِّي قالا حدّثنا عبدُ الله بنُ شبيبٍ قال حدّثني إبراهيم بن حمزة قال حدّثني موسى بنُ شيْبة قال: سمعتُ أبا وجزة السعديّ يقول قال رسولُ الله (ص): «ليس شعرُ حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعرا، ولكنه حكمةٌ». (١٢/٢٤١)

(١٧)

وقال عمرو بن شبّة في خبره الذي ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم، وأخبرني به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا: كان لبيد من جُوداء العرب(٢)، وكان قد آلى في الجاهلية أن لا تهبَّ صبا إلاّ أطعم، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ في كلِّ يومٍ على مسجد قومه فيُطعمهم، فهبَّت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة، فصعِد الوليدُ المنبر فخطبَ الناس ثم قال: إنَّ أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهبَّ صباً إلاّ أطعم، وهذا يومٌ من أيامه، وقد هبَّتْ صباً فأعينوه، وأنا أوَّلُ من فعل. ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة، وكتب إليه بأبياتٍ قالها:

أرى الجزار يشحذُ شفرتيه ... إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيل
أشمُّ الأنف أصيدُ عامريٌّ ... طويل الباع كالسَّيْف الصَّقيلِ
وفى ابنُ الجعفريِّ بحلفتيه ... على العلاّتِ والمالِ القليل(٣)
بنحرِ الكُوم إذ سُحبت عليه ... ذيولُ صباً تجاوبُ بالأصيل

فلما بلغت أبياتُه لبيداً قال لابنته: أجيبيه، فلعمري لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجواب شاعر، فقالت ابنته:

إذا هبَّتْ رياحُ أبي عقيلٍ ... دعْونا عند هبَّتها الوليدا
أشمَّ الأنف أروع عبشمياً ... أعانَ على مروءته لبيدا

(١) الهِدان: الأحمق الثقيل. (٢) جُوداء: جمع جواد.
(٣) على العلاّت: على أكمل حال في عسره ويسره.

بأمثالِ الهضاب كأنَّ ركْباً عليها من بني حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ جزاك اللهُ خيراً نحرناها فأطعمْنا الثُّريدا
فعُدْ إنَّ الكريمَ لـه معادٌ وظنِّي يا ابن أروى أن تعودا

فقال لها لبيد: أحسنتِ لولا أنك استطعمتِه. فقالت: إنَّ الملوك لا يُستحيا من مسألتهم. فقال: وأنتِ يا بُنيَّةُ في هذه أشعر. (٣٧٠/١٥)

(١٨)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبة قال: حدّثني محمد بن منصور قال: حدّثني سعيد بن عامر قال: حدّثني جُويرية بن أسماء قال: بلغني أن رسول الله(ص) قال: أمرتُ عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرتُ حسّاناً فشفى واشتفى. (٢٣٢/١٦)

(١٩)

أخبرني الجوهري والمهلّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا عبد الله بن يحيى مولى ثقيف قال: حدّثنا عبدالواحد بن زياد قال: حدّثنا مجالد، عن الشعبيّ قال: لما انهزم المشركون يوم الأحزاب، قال رسول الله (ص): إنَّ المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذىً ويهجونكم، فمن يحمي أعراض المسلمين؟ فقام عبد الله بن رواحة، فقال: أنا. فقال: إنَّك لحسن الشعر. ثم قام كعب فقال: أنا. فقال: وإنَّك لحسن الشعر. (٢٣٢/١٦)

(٢٠)

أخبرني الجوهريّ والمهلّبيّ قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثني عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث: أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أنيس عن أمه، وهي بنت كعب بن مالك: أنَّ النبيَّ (ص) خرج على كعب وهو في مسجد رسول الله يُنْشد، فلما رآه كأنّه انقبض، فقال: ما كنتم فيه؟ فقال كعب: كنت أنشد. فقال رسول الله(ص): فأنشد، فأنشد حتى أتى على قوله: مُقاتلُنا عن جِذْمنا كُلُّ فخمةٍ(١)
فقال رسول الله (ص) لا تقل عن جِذْمنا، ولكن قل: مُقاتلُنا عن ديننا. (٢٣٢/١٦)

---

(١) الفخمة: الكتيبة العظيمة، والجذم: الأصل.

(٢١)

نسختُ من كتاب ابن النطاح، عن المدائني، عن علي بن مجاهد، قال: أنشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قول لبيد في أخيه أربد:

لعمْري لئنْ كـان المخبِّرُ صادقاً لقد رُزِئْتْ في حادث الدَّهْر جعْفرُ
أخٌ لي، أمَّا كـلُّ شـيء سـألْتـه فـيُعْطي، وأمـا كلُّ ذنْبٍ فـيـغـفرُ

فقال أبو بكر رضوان الله عليه: ذلك رسولُ الله، لا أربد بن قيس. (٦٣/١٧)

(٢٢)

قال عمر بن شبَّة: فحدّثني الحزاميّ، قال: حدّثني محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعْد، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبيّ، قال: حدّثنا محمد بن فُليح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسولَ الله(ص) في مسجده، فلما بلغ إلى قوله:

إنَّ الرَّسولَ لسيْفٌ يُستضاءُ به مهنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّـهِ مسْلُولُ
في فِتْيةٍ مِنْ قريش قال قائلُهم ببطْنِ مكـة لمَّا أسلموا: زُولوا
زالوا فمازال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عند اللقاء ولا خُورٌ معازيلُ(١)

أشار رسول الله (ص) إلى الحلَق(٢) أن يسمعوا شِعْر كعب بن زهير. (٨٧/١٧)

(٢٣)

... وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنُّها في الآذان أولج، وفي أفواه الناس أعلق(٣)... (٣٥٨/٢١)

(٢٤)

وقال الأثرم: حدّثني السَّريُّ بنُ صالح بن أبي مسهر قال: أخبرني بعضُ الأعراب، أنَّ أول

---

(١) الأنكاس: جمع نِكْس وهو الرَّذل المقصِّر عن غاية النجدة والكرم، والكُشُف: الذين ينهزمون ولا يثبتون، والمعازيل: جمع أعزل وهو الذي لا يثبت على السرج.

(٢) الحلَق: جمع حلقة.

(٣) هذا لون من النقد المنفعل السريع، وهو يشير إلى شدّة الإعجاب، وعمق التأثر، وسنرى نماذج كثيرة منه في النصوص القادمة.

ما تكلم به عبدٌ بني الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول:

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحبشيِّ حوله بناتُه

فقالوا: شاعرٌ والله، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك. (٣٠٤/٢٢)

(٢٥)

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال: أنشد سُحيمٌ عمر بن الخطاب قوله:

عُميرة ودّع إن تجهّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قلتَ شعرك كلَّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه. (٣٠٤/٢٢)

(٢٦)

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال: حدّثني أحمد بن القاسم قال: حدّثني إسحاق بن محمد النُّخعيّ، عن ابن أبي عائشة قال: أنشد عبد بني الحسحاس عمر قوله:

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال له عمر: لو قدّمتَ بالإسلامَ على الشيب لأجزتك. (٣٠٥/٢٢)

العصر الأموي

(١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه قال: كان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناسُ فيتذاكرون العلم: فذُكر يوماً شعرُ عمر بن أبي ربيعة فهجّنه، فقالوا له: بمن ترضى؟ ومرَّ بهم حمّادٌ الراويةُ فقال: قد رضيتُ بهذا. فقالوا له: ما تقول فيمن يزعم أنَّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحْسِنْ شيئاً؟ فقال: أين هذا؟ اذهبُوا بنا إليه. قالوا: نصنع به ماذا؟ قال: نَنْزُو على أمّه لعلّها تأتي بمن هو أمثلُ من عمر(١). (٧٥/١)

(٢)

قال إسحاق وحدّثني الهيْثم بن عديّ عن حمّاد الراوية: أنه سُئل عن شعْر عمر بن أبي ربيعة فقال: ذاك الفُسْتق المُقشَّرُ. (٧٥/١)

(٣)

قال إسحاق: وقال أبو المقوّم الأنْصاريّ: ما عُصيَ اللهُ بشيء كما عُصِي بشعر عمر ابن أبي ربيعة. (٧٦/١)

(٤)

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني الحُسينُ بن إسماعيل قال حدّثنا ابنُ عائشة عن أبيه قال: كان جرير إذا أنشدَ شعر عمر بن أبي ربيعة قال: هذا شعرٌ تهاميٌّ إذا أنْجد وجد البرد(١)، حتى أُنشد قوله:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحى وأمّا بالعشيّ فيخْصَرُ
قليلاً على ظهر المطيَّة ظلُّه سوى ما نفى عنه الرداءُ المُحبَّرُ(٢)

---

(١) تهامي نسبة إلى تهامة، وأنجد، قصد نجداً، كأنّه لا يرى في شعر عمر خيراً، فهو بارد ضعيف. وينظر الموشح (ص ٣١٨). (٢) المحبَّر: المزَّين المحسَّن

وأعجبها من عيشها ظلُّ غُرفةٍ ورِيَّانُ مُلْتفُّ الحدائق أخضرُ
ووالٍ كفاها كلُّ شيءٍ يهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخر الليلِ تسهرُ

فقال جرير: ما زال القُرشيّ يهْذي حتى قال الشعر(١). (٨١/١)

(٥)

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطّاف بن خالد الوابصيّ عن عبد الرحمن بن حرْملة قال: أنشد سعيدُ بنُ المُسيَّب قول عمر بن أبي ربيعة:

وغابَ قُميرٌ كنتُ أرجو غيُوبَه وروْحَ رُعْيانٌ ونَوْمَ سُمُرْ

فقال: ماله قاتله الله! لقد صغّر ما عظّم اللهُ! يقول الله عزوجل: (والقمرَ قدّرْناهُ منازلَ حتّى عاد كالعُرْجُونِ القديم). (٨٤/١)

(٦)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني عبدُ الملك بنُ عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشون قال: أنشد عمرُ بنُ أبي ربيعة قوله:

يا خليليّ من ملامٍ دعاني وألمّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ ـقلبَ رهْنٌ بآل زينب عاني

.. القصيدة، قال: فبلغ ذلك أبا وداعةَ السُّهْميّ فأنكره وغضب، وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له: إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى، وقال: لا أقرُّ لابنِ أبي ربيعة أن يذكرُ امرأةً من بني هُصيص في شعره. فقال ابنُ أبي عتيقٍ: لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظ مِنْ سمرْقندَ على أهلِ عدنَ! (٩٧/١)

(٧)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال: لمّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب:

لم تدعْ للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق: رضيتَ لها بالمودّة، وللنساء بالدُّهْفشة. قال: والدُّهفشة: التُّجْميشُ والخديعةُ بالشيء اليسير. (وقال غير الزُّبير في هذا الخبر: الدهقشة، مكان الدهفشة). (١٠١/١)

---

(١) جعل جرير ما قاله عمر قبل هذا، هذياناً، فلمّا سمع هذه الأبيات أعجب بها، وأطراها.

(٨)

أخبرني عمّي قال: حدَّثنا الكراني قال: حدَّثنا العُمريّ عن لقيط قال: أنشد جرير قول عمر بن أبي ربيعة:

سائلا الربعَ بالبُليّ وقُولا ... هِجْتَ شوقاً لي الغداة طويلا(١)
أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محْفُو ... فٌ بهم أهلٌ أراك جميلا؟
قال ساروُا فأمْعَنُوا واسْتقلُّوا ... وبرغْمي لو استطعتُ سبيلا(٢)
سنمونا وما سنمنا مُقاماً ... وأحبُّوا دماثةً وسُهولا

فقال جرير: إنَّ هذا الذي كنَّا نُدورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشيّ(٣). (١٠٦/١)

(٩)

أخبرني الطُّوسيّ: قال حدثنا الزُّبير قال حدّثتني ظمْياءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعب قالت: سمعت جدَّك يقول وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة:

ياليتني قد أجزْتُ الحبلَ نحْوَكُمُ ... حبْلَ المعرُّفِ أو جاوزت ذا عُشَرِ(٤)
إنَّ الثُّواء بأرضٍ لا أراك بها ... فاسْتيقنيه ثواءٌ حقُّ ذي كدر
وما مللْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ ... ولا منحْتُ سواك الحبَّ من بشر
ولا جَذِلْتُ بشيء كان بعدكمُ ... ولا مَنَحْتُ سواكِ الحبَّ مِن بشرِ

وتمام الأبيات:

أذْري الدموع كذي سُقم يُخامرُه ... وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ
كم قد ذكرتُك لو أجْدى تذكُّرُكُمْ ... يا أشبه الناس كلَّ الناس بالقمرِ

---

(١) البُلّيّ: تلّ قصير أسفل حاذةَ بينها وبين ذات عرق.

(٢) استقلّوا: واصلوا السَّير، وجدّوا في الارتحال.

(٣) كأنّ جريراً يريد أنّ الشعراء قد حاولت القول في هذه المعاني، ولكنّها دارت حولها حسب، ولم تستطع النفاذ إلى صميمها، حتى جاء عمر فأصاب ما دار غيره حوله، وهو تشخيص دقيق لمعاني النسيب عند عمر. وقد عالجتُ هذا الموضوع بتفصيل في كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ١٠٩ ـ ١١٢) فليراجع هناك.

(٤) أجزت: جاوزت، والحبل: حبل عرفة، وهو موضع بعرفات، يقال: عرُف القومُ: إذا وقفوا بعرفة، والمعرُّف: موضع الوقوف بها، ونو عُشَر: وادٍ بين البصرة ومكة.

قالت: فقال جدّك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموْقعاً في القلب، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره، ولو كان شعرٌ يسْحَرُ لكان شعرُه سحراً(١). (١٠٧/١)

(١٠)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمامةُ بن عُمر قال: رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عُروة بن الزُّبير يسأل المسْور بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة، فجعل يذكرُ له شيئاً لا يعرفه، فيسألُه أن يُكتبهُ إيّاه فيفعلُ، فرأيتُه يكتبُ ويدُه تُرْعد من الفرح. (١٠٨/١)

(١١)

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون عن عمّه يوسف قال: ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام، فقال: صاحبُنا- يعني الحارث بن خالد- أشعرُهما. فقال له ابن أبي عتيق: بعض قولك يا بن أخي، لشعْرِ عمر بن ربيعة نوْطةٌ(٢) في القلب، وعُلُوقٌ بالنفس، ودرَكٌ للحاجة ليست لشعْرٍ، وما عُصيَ الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصيَ بشعر ابن أبي ربيعة، فخُذْ عنّي ما أصِفُ لك: أشعرُ قريش مَنْ دقّ معناه، ولطُف مدْخَلُه، وسهُل مخْرجه، ومتُن حشْوه، وتعطّفت حواشيه، وأنارتْ معانيه، وأعرب عن حاجته(٣). فقال المنضّل

---

(١) هذا لون آخر من النقد الذي يشير إلى الإعجاب، والتأثر، فرعدة اليد ذات دلالة قوية على السعادة، والاستحسان لهذا الشعر الذي يكتبه.

(٢) النوطة: التعلُّق.

(٣) يضع ابن أبي عتيق خصائص مهمة للشعر الجيد هي: دقّة المعنى، ولُطف المدخل ويريد به الافتتاح الجيّد الذي أولع به القدماء، وسهولة المخرج وهو الانتهاء الذي هو «آخر ما يبقى في الأسماع» من القصيدة، ينظر العمدة (٢٣٩/١)، ومتانة الحشو، ولعلّه يشير إلى ما اصطُلح عليه بعد ذلك بالحشو، أو الاتكاء، وهو «أن يُحشى البيت بلفظ لا يُحتاج إليه لإقامة الوزن (نقد الشعر لقدامة، ص٢٤٨). وأشار النقاد والبلاغيون إلى ضرب من الحشو محمود، حسن، وهو يساعد على تجميل الشعر. ويضفي عليه رونقاً، (ينظر البديع، لابن المعتز، ص٥٩، والصناعتين، لأبي هلال العسري، ص ٤٨). وهو الذي عناه الحاتمي بقوله: «وهذا باب لطيف جداً، لا يتيقّظ له إلاّ مَنْ كان متوقّد القريحة، متبصّر الآلة، طبّاً بمجاري الكلام. عارفاً بأسرار الشعر (حلية المحاضرة ١/ ١٩٠)، ولعلّ هذا هو الذي أراده ابن أبي عتيق ووصفه بالمتانة، ومن المفيد أن نورد ما قاله عبد القاهر الجرجاني عن الحشو في أسرار البلاغة (ص ١٩) حيث قال: «وأمّا الحشو فإنّما كُره وذُمّ وأنكر وردّ لأنّه خلا من الفائدة، ولم يُخل منه بعائدة، ولو أفاد لم يكن حشواً، ولم يُدْعَ لغواً»، ولكنه يستدرك =

فيقول: «وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعاً من القبول أحسن موقع، ومدركاً من الرضى أجزل حظّه». ويضيف ابن أبي عتيق إلى خصائص الشعر الجيد تعطُّفَ الحواشي وإنارةَ المعاني، ولعلّ فيما ذكره ابن أبي عتيق عن الشعر الجيد كان الأساس الطبيعي لمباحث النّقاد المتخصصين فيما بعد عن مفهوم الشعر، وتعريفه، والمصطلحات النقدية التي استخدموها وهم يدرسون هذا الفنّ الأثير إلى نفوسهم.

للحارث: أليس صاحبُنا الذي يقول:

إنّي وما نحرُوا غداة منىً ... عند الجمارِ يؤُدُها العقْل
لو بُدِّلَتْ أعلى مساكنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يعلُو
فيكادُ يعرفها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقْواءُ والمَحْلُ
لعرفْتُ مغْناها بما احتملتْ ... منّي الضلوعُ لأهلها قبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق: يابن أخي، استُرْ على نفسك، واكتُمْ على صاحبك، ولا تُشاهد المحافل بمثل هذا؛ أما تطيُّر الحارثُ عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله! وما بقي إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجِّيل. ابنُ أبي ربيعةَ كان أحسنَ صُحْبة للربع من صاحبك، وأجمل مخاطبة حيث يقول:

سائلا الربعَ بالبُلَيِّ وقولا ... هجْتَ شوقاً لي الغداةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية. قال: فانصرف الرجل خجلاً مُذْعِناً(١). (١٠٨/١)

(١٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكْريّ وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه قال: دخلتُ مسجد رسول الله(ص) مع نوْفل بن مُساحق؛ فإنه لمعتمدٌ على يدي، إذ مررنا بسعيد بن المسيَّب في مجلسه وحوله جلساؤه، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا، ثم قال لنوْفل: يا أبا سعيد، مَنْ أشعرُ: صاحبُنا أم صاحبكم؟ يريد: عبد الله بن قيْس، أو

(١) لا يكتفي ابن أبي عتيق بالجانب النظري في وصف شعر عمر، بل يسنده بجانب تطبيقي حين يعقد تلك الموازنة بين أبيات له. وأخرى للحارث به خالد في معنى واحد هو الوقوف على المنازل، فبينما يكون هذا الوقوف مدعاة للتذكّر، والشوق عند عمر، نراه عند الحارث طلباً لأن تقلب عاليها سافلا، وفي هذا فرق عميق بين الموقفين. ومن المفيد أن نشير هنا أن لابن أبي عتيق وقفات طويلة عند الشعراء وخاصة عمر، وله آراء نقدية كثيرة، وللدكتور عبد العزيز عتيق كتاب عنه، فصّل فيه الحديث عن حياته، وجهوده النقدية.

عمر بن أبي ربيعة. فقال نوْفلٌ: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟ قال: حين يقولُ صاحبُنا:

خليليَّ مـا بالُ المطـايا كـأنَّمـا ... نراها على الأدْبار بالقـوم تنْكُصُ(١)

وقـد قُطِعَتْ أعناقُهن صـبـابـةً ... فـأنفُسـنـا ممـا يُلاقين شُـخَّصُ(٢)

وقد أتعبَ الحادي سُرامُنُّ وانْتحى ... بهنَّ فـمـا يألُو عـجـولٌ مُقلِّصُ(٣)

يـزِدْنَ بنا قـرباً فيـزدادُ شـوْقُنا ... إذا زاد طولُ العـهـد والبُعدُ ينْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ. فقال له نوفلٌ: صاحبكم أشعرُ في الغزل، وصاحبُنا أكثرُ أفانين شعرٍ(٤). فقال سعيد: صدقت. فلما انقضى ما بينهما من ذكْرِ الشعر، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعْقد بيده حتى وفَّى مائةً. فقال البكْريَّ في حديثه عن عبد الجبَّار: قال مُسْلم: فلما انصرفنا قلت لنوْفل: أتُراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله (ص)؟ فقال: كلاَّ! هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه. (١١٣/١)

(١٣)

أخبرني الحرميَّ قال حدَّثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدَّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولًى هشام بن الوليد بن المُغيرة ـ قال: وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ ... فأتَمِرْ أمرَ رشيدٍ مُؤتمنْ

قال: شهدتُ عمر بن أبي ربيعة، وجميل بن عبد الله بن معْمَر العُذْريَّ، وقد اجتمعا بالأبْطح: فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) تنكص: ترجع وتحجم.

(٢) شُخَّص: شخص الرجل ببصره عند الموت: رفعه فلم يطرف، ومنه شخصت نفسه: أي توشك أن تموت.

(٣) مقلِّص: مشمِّر، جادٌّ في السير.

(٤) الأفانين: جمع فَنّ، ينظر لسان العرب (١٣/ ٣٢٦)، ويريد بها هنا الأغراض الشعرية بدلالة ورود الغزل في بداية الكلام، ونرى كلمة الفن، والفنون تطلق على الأغراض الشعرية في مواضع كثيرة من كتب النقاد، والأدباء، قال أبو عبيدة: «مَنْ قدَّم الأعشى يحتجّ .. بتصرّفه في المديح، والهجاء، وسائر فنون الشعر» الأغاني (١٠٩/٩)، ونرى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقدّم ابن المعتز ويعدّه أشعر قريش «لأنّه ليس فيهم مَنْ له مثل فنونه، لأنّه قال في الخمر، والطُّرد، والمديح، والهجاء .. والمراثي، فأحسن في جميعها»، ينظر أشعار أولاد الخلفاء، للصولي (ص ١١٢)، وينظر كذلك: نقد الشعر لقدامة (ص٩)، وعيار الشعر لابن طباطبا (ص٥)، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب (ص ١٧٠)، ويتيمة الدهر للثعالبي (٣٥٦/٢) وغيرها كثير.

لقد فرح الواشُون أنْ صرمَتْ حبلي ... بُثينـةُ أو أبدتْ لنا جـانبَ البُخْـلِ
يقـولـون مـهْلاً يا جـمـيلُ وإنَّني ... لأقْسِمُ مـالي عن بُثـينَةَ من مـهْلِ

حتى أتى على آخرها، ثم قال لعمر: يا أبا الخطَّاب، هل قلتَ في هذا الرَّويّ شيئاً؟ قال نعم. قال: فأنْشدنيه؛ فأنشده قوله:

جرى ناصـحٌ بالـوُدِّ بيني وبينها ... فـقرَّبَني يوم الحِصابِ إلى قـتْلي(١)
فطـارتْ بحـدٍّ من فـؤادي وقـارنتْ ... قـرينتُهـا حبلَ الصَّفـاء إلى حـبلي
فلمَّـا تـواقفْنا عـرفتُ الذي بهـا ... كمثل الذي بي حذْوكَ النعلَ بالنعلِ
فـقلْـن لهـا هـذا عـشـاءٌ وأهـلُنا ... قـريبٌ ألمَّا تسـأمي مـركب البـغْلِ
فقالتْ فما شـئْتُنَّ قلـنَ لها انزلي ... فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رحْلِ
نُجـومٌ درايٍّ تكـنُفْـنَ صـورةً ... من البدر وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا عُجْلِ(٢)
فسلَّمْتُ واستـأنستُ خيفةَ أن يرى ... عدوٌّ مُقـامي أو يرى كاشـحٌ فعْلي
فـقـالتْ وأرْختْ جـانبَ السِّتْر إنَّمـا ... مـعي فـتكلَّمْ غـير ذي رقْبـةٍ أهْـلي
فـقلتُ لهـا مـا بي لهم من ترقُّبٍ ... ولكنَّ سـرِّي ليس يحْملُـه مـثلي
فلمَّـا اقتصرنا دونهنَّ حديثنا ... وهُنَّ طبيبـاتٌ بحاجـة ذي الشَّكْلِ(٣)
عرفْنَ الذي تهـوى فقلنَ ائذني لنا ... نطُفْ ساعةً في بردِ ليلٍ وفي سهْلِ
فقالتْ فـلا تلْبثْنَ قُلْـنَ تحـدَّثي ... أتيناك، وانْسبْنَ انسيابَ مها الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقـد أفـهمْنَ ذا اللهُبِّ إنَّمـا ... أتيْنَ الذي يأتين من ذاكَ من أجْلي

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطَّاب! لا أقولُ واللهِ مثلَ هذا سجيس الليالي(٤)، والله ما يُخاطِبُ النساءَ مخاطبتكَ أحدٌ. وقام مُشمِّراً. (١١٤/١)

(١٤)

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفَّان عن إسحاق عن المدائنيّ قالك سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة يُنْشد قوله:

---

(١) الحصاب كالمحصَّب: موضع رمي الجمار.

(٢) درايّ: منيرة، وهوج: جمع هوجاء، وهي المتعجّلة في السير كأنَّ بها هوجاً، وحمقاً.

(٣) الشَّكل: دلُّ المرأة وغزلها.

(٤) سجيس الليالي: هي كلمة تستعمل للتأبيد؛ يقال: لا آتيك سجيس الليالي، أي لا آتيك أبداً.

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بين وبينها فقرَّبني يوم الحصابِ إلى قَتْلي

ولمَّا بلغ قوله:

فقُمْنَ وقد أفهمن ذا اللَّبَ إنما أتيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي

صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراءُ فأخطأتْه، وبكتْ على الديار(١). (١١٦/١)

(١٥)

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المُنْذر الحزاميّ عن عبد العزيز بن عمْران قال: قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله:

بينمـــا يَنْعَتْنني أبْصـــرتني دونَ قيدِ الميلِ يعْلُو بي الأغرْ(٢)
قـــالتِ الكبرى أتعْرفنَ الفتى قالتِ الوُسْطى نعْم هذا عمرْ
قـــالتِ الصغـــرى وقـــد تيُمْتُها قد عرفناه وهل يخْفى القمرْ

فقال له ابن أبي عتيق: - وقد أنشدها - أنت لم تنْسُب بها، وإنما نسبْتَ بنفسك؛ كان ينبغي أن تقول: قلتُ لها فقالتْ لي، فوضعتُ خدِّي فوطئتْ عليه(٣). (١١٨/١)

(١٦)

قال عمر:

ســـائلا الرُّبْـــع بالُبلـــيِّ وقـــولا هِجْتَ شوقاً لي الغداة طويلا
أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محـفـو فٌ بهـم أهـــلٌ أراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا واستقلُّوا وبرغمي لو قد وجدت سبيلا
سئمونا وما سئمنا جوارا وأحـبّوا دمـــاثةً وسُـــهولا(٤)

قال إسحاق: أُنشِد جرير هذه الأبيات فقال: إنَّ هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه. (١٢٣/١)

(١٧)

قال إسحاق في خبره: وحدّثني ابن كُناسة قال أخبرني حمّادٌ الراويةُ قال: استنشدني

---

(١) يراجع التعليق على النص الثامن السابق. (٢) قيد الميل: قدره.

(٣) يمثّل ابن أبي عتيق المفهوم السائد للغزل العربي، ورأى في أبيات عمر خروجاً على هذا المفهوم فاعترض عليه، وقد أشرنا إلى شيء من هذا فيما سبق.

(٤) يقال: دَمِثت الأرض دماثة: إذا سهلت ولانت.

الوليدُ بنُ يزيد، فأنشدتُه نحواً من ألفِ قصيدةٍ، فما استعادني إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة: طال ليلي وتعنّاني الطربْ

فلما أنشدتُه قوله: فاتّتْهـا طَبْـةٌ عـالمـةٌ تخْلِطُ الجدّ مراراً باللّعِبْ

إلى قوله: إنَّ كفّـي لكِ رَهْـنٌ بالرِّضـا فاقبلي يا هندُ قالت قد وجبْ

فقال الوليد: ويْحكَ يا حمّاد! أطلُبْ لي مثلَ هذه أرسلْها إلى سلْمى، يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكان طلّقها ليتزوج أختها ثم تتّبعتْها نفسُه. (١٣٥/١)

(١٨)

قال إسحاق وحدّثني جماعةٌ منهم الحرميُّ والزُّبيريُّ وغيرُهما: أنَّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق هذه القصيدة؛ فقال له ابنُ أبي عتيق: النّاس يطلبون خليفةً (مذ قُتل عثمان) في صفة قوّادتك هذه يدبّر أمورهم فما يجدونه! (١٣٥/١)

(١٩)

قال الزبير: حدّثني عمي قال حدّثني أبي قال: قال شيخ من قريش لا تُروّوا نساءكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطْنَ في الزنا تورّطاً، وأنشد:

لقد أرسلتُ جاريتي.. وقلتُ لها خذي حذرَكْ

... الأبيات (١٤١/١)

(٢٠)

وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن المُسيّبيّ ومحمد بن سلاّم أنَّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله:

حبُّذا أنتِ يا قومُ وأسما ءُ وعيـصٌ يكُنُّنا وخـلاءُ

فقال له: ما أبقيتَ شيئاً يُتمنّى يا أبا الخطّاب إلا مرْجلاً يُسخّن لكم فيه الماءُ للغُسْل(١). (١٦٦/١)

(٢١)

قال عمر: أيهّـا الراكـبُ المُجدُّ ابتكـارا قد قضى من تهامـة الأوطـارا

(١) تتميّز تعليقات ابن أبي عتيق بخفّة الروح، والظرف، والنعومة، وهي الصفات التي تميّز بها أهل الحجاز، وقد انعكس هذا على تلك التعليقات.

مَنْ يكن قلبه صحيحا سليماً ففؤادي بالخيف أمس مُعارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلُّ يومين حجّة واعتمارا

... وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا، فقال: الله أرحمُ بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليتمَّ لكَ فسقك. (١٦٧/١)

(٢٢)

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحُسين بن إسماعيل عن أبي عائشة عن أبيه قال: كان جريرٌ إذا أُنشد شعر عمر بن أبي ربيعة قال: شعرٌ تهاميٌّ إذا أنْجد وجد البرْد، حتى أُنشدَ قوله:

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحى وأمّا بالعشيِّ فيخْصَرُ

... الأبيات، فقال: مازال هذا يهْذي حتى قال الشعر. (١٧٣/١)

(٢٣)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يعقوبُ بن إسحاق الرّبعيّ عن أبيه قال: أنشد عمرُ بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله:

لم ترَ العينُ للثريّا شبيهاً بمسيل التِّلاعَ يومَ التقيْنا(١)

فلما بلغ إلى قوله:

ثم قالتْ لأختها قد ظلمْنا إن رددْناه خائباً واعتديْنا

قال: أحسنتْ والهدايا(٢) وأجادت، ثم أنشده ابنُ أبي عتيق مُتمثّلاً قول الشاعر:

أريني جواداً مات هُزْلاً لعلّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخلّدا

فلمّا بلغ عُمر إلى قوله في الشعر: في خلاءٍ من الأنيس وأمْنٍ

قال ابنُ أبي عتيق: أمْكنتْ للشّارب الغُدُر(٣) «مَنْ عالَ بعدها فلا انجبر»(٤). فلمّا بلغ إلى قوله:

---

(١) التِّلاع: جمع تلعة وهي مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.

(٢) الهدايا: جمع هديّة، وهي ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعم لتُنْحر.

(٣) الغُدُر: جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها.

(٤) هذا مثل أورده الميداني، يقال: جبرته فجبر أي استغنى، وعال: افتقر، يضرب في اغتنام الفرصة عند الإمكان.

فمكثنا كذاك عشْراً تباعاً في قضاءٍ لدينْنا واقْتضينْا

قال: أما والله ما قضيْتَها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتَها إيَّاه، فلا عرَّفكما الله قبيحاً! فلمَّا بلغ إلى قوله: كان ذا في مسيرنا إذا حججْنا علم الله فيه ما قد نوينْا

قال: إنَّ ظاهرَ أمرك ليدلُّ على باطنه، فأرْوِد(١) التفسير، ولئنْ مُتَّ لأموتنَّ معك، أفٌّ للدنيا بعدك يا أبا الخطاب! فقال له عمرُ: بل عليها بعدك العفاءُ يا أبا محمد! (٢٢٨/١)

(٢٤)

وأمَّا خبر السُّواد في ثنيَّتيْ عمر فإنَّ الزُّبير بن بكَّار ذكره عن عمِّه مُصْعب في خبره: أنَّ امرأةً غارتْ عليه فاعترضتْه بمِسْواكٍ كان في يدها فضربتْ به ثنيَّتيه فاسْودَّتا. وذكر إسحاقُ الموْصليَّ عن أبي عبد الله المُسيَّبيِّ وأبي الحسن المدائنيِّ: أنه أتى الثريا يوماً ومعه صديقٌ له كان يُصاحبُه ويتوصَّل بذكره في الشعر؛ فلمَّا كشفت الثريَّا السِّتْرَ وأرادت الخروجَ إليه، رأت صاحبه فرجعتْ. فقال لها: إنه ليس ممَّنْ أحْتشمُه ولا أخفي عنه شيئاً؛ واسْتلْقى فضحك - وكان النساءُ إذ ذاك يتخثَّمْنَ في أصابعهنَّ العشْر- فخرجتْ إليه فضربتْه بظاهر كفِّها، فأصابت الخواتيمُ ثنيَّتيه العلْيينْ فنفضتا(٢) وكادتا تسْقُطان، فقدمَ البصرة فعُولجتا له، فثبتتا واسودَّتا. فقال الحزينُ الكنانيُّ يُعيِّره بذلك - وكان عدوَّه وقد بلغه خبرُه -:

ما بالُ سنِّيْكَ أمْ ما بالُ كسْرهما أهكذا كُسراً في غيرِ ما باسِ
أم نفْحةٌ من فتاةٍ كنتَ تألفُها أم نالها وسْطَ شرْبٍ صدْمةُ الكاس(٣)

قال: ولقيه الحزين الكنانيّ يوماً فأنشده هذين البيتين؛ فقال له عمرُ: اذْهبْ اذْهَبْ، ويْلكَ! فإنَّك لا تُحْسنُ أن تقول:

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشفتْ أنفسنا مما تجِدْ
واستبدَّتْ مرةً واحدةً إنَّما العاجزُ مَنْ لا يستبدْ (٢٣٠/١)

(٢٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال حدَّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال: قدم جرير بن الخطفى المدينة (وسعى إلى مكة ليسمع ابن سُريج)... فغناه ابن سُريج.. فقال

---

(١) أرْوِد: اترك، يعني إنْ ظاهر أمرك ليدلّ على باطنه، فدع التفسير فلا حاجة إليه.

(٢) نفضت سنُّه تنفض: قَلقت وتحركت. (٣) النفحة: الضربة، والشَّرْب: الجماعة يشربون الخمر.

جرير: لله دركُم يا أهل مكة ما أعطيتم .. وجوهكم الحسان ورقّة ألسنتكم. (٢٩٥/١)

(٢٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاقُ بن يحيى بنِ طلْحة قال: قدم جريرُ بنُ الخطفى المدينةَ ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلُبُ الشّعْر، فاحْتشدْنا له ومعنا أشعَبُ. فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمْنا لم نبْرح. وجاء الأحْوصُ بنُ محمد الشاعرُ من قُباءَ على حمارٍ فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام لحاجةٍ، فما حاجتُك إليه؟ قال: أريد والله أنَّ أعْلمه أنَّ الفرزدق أشعرُ منه وأشرفُ. قلنا: ويْحك! لا تعْرضْ له وانْصرفْ، فانصرف وخرج. فجاء جريرٌ فلم يكن بأسرعَ من أن أقبلَ الأحوصُ الشاعرُ فأقبل عليه، فقال: السلامُ عليكَ يا جريرُ. قال جريرٌ: وعليك السلام، فقال الأحوصُ: يابن الخطفى، الفرزدقُ أشرفُ منكَ وأشعرُ. قال جريرٌ: مَنْ هذا أخْزاه اللهُ؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلح. فقال: نعم! هذا الخبيثُ ابن الطيب، أأنتَ القائلُ:

يقـرُّ بعيْني مـا يقـرُّ بعْينها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قرّتِ

قال نعْم. قال: فإنه يَقَرُّ بعينها أن يدخلُ فيها مثلُ ذراعِ البكْر، أفيقرُّ ذلك بعينك؟! (٢٩٥/١)

(٢٧)

أخبرني الحسيْن بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال: كتب الوليد بنُ عبدِ الملك إلى عامل مكة أنْ أشْخصْ إليَّ ابن سُريج، فأشْخصه. فلمّا قدم مكث أيّاماً لا يدْعُو به ولا يلتفتُ إليه. قال: ثم إنه ذكره، فقال: ويلكم! أين ابنُ سُريج؟ قالوا: هو حاضرٌ. قال: عليَّ به. فقالوا: أجبْ أمير المؤمنين. فتهيّأ ولبس وأقبلَ حتى دخل عليه فسلّم. فأشار إليه أنْ اجلِسْ، فجلس (بعيداً). فاستدناه (فدنا) حتى كان منه قريباً، وقال: ويْحك يا عُبيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بكَ مِنْ كثرةِ أدبك وجوْدةِ اختيارك مع ظرْف لسانك وحلاوة مجلسك. فقال: جُعِلْتُ فداكَ يا أمير المؤمنين! «تسمعُ بالمعُيديِّ خيرٌ من أن تراه». قال الوليدُ: إني لأرْجُو ألاّ تكون أنت ذاك، ثم قال: هاتِ ما عندك. فاندفع ابنُ سُريج فغنّى بشعر الأحوص:

أمنزلتي سلْمى على القدمِ اسْلما فقد هِجْتُما للشوق قلباً متيماً
وذكّرْتُما عصْرَ الشّبابِ الذي مضى وجِدّةَ وصْلٍ حبْلُه قد تجذما(١)

(١) تجذّم: تقطّع.

وإني إذا حلَّتْ ببيشٍ مقيمةٌ وحلَّ بوجٍ جالساً أو تتهَّما(١)
يمانيةٌ شطَّتْ فأصبح نفعُها رجاءً وظنّاً بالمغيبِ مُرجَّما
أحبُّ دُنُوَّ الدارِ منها وقد أبى بها صدْعُ شعْب الدار إلاَّ تثلُّما
بكاها وما يدري سوى الظنِّ مَنْ بكى أحيًّا يُبكِّي أم تُراباً وأعظُما
فدعْها وأخْلِفْ الخليفةِ مِدْحةً تُزِلْ عنكَ بُؤسى أو تُفيدك أنْعُما
فإنَّ بكفَّيْه مفاتيحَ رحمةٍ وغيثَ حياً يحْيا به الناس مُرْهما(٢)
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يثُبْ على مُلْكه مالاً حراماً ولا دما
تخيَّرُه ربُّ العباد لخلْقه وليًّا وكان الله بالناس أعْلما
فلمَّا قضاه اللهُ لم يدْعُ مُسْلماً لبيْتِه إلاَّ أجابَ وسلَّما
ينالُ الغنى والعزُّ مَنْ نال وُدَّه ويرْهبُ موتاً عاجلاً مَنْ تشأَّما

فقال الوليد: أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأحْوصُ! عليَّ بالأحوص. (٢٩٧/١)

(٢٨)

أخبرني إسماعيلُ بنُ يونس قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة عن إسحاقَ الموْصليَّ عن ابن كُناسة قال: اجتمع النُّصيب والكُميت وذو الرُّمة، فأنشدهما الكُميتُ قوله:

هل أنت عن طلبِ الأيْفاعِ مُنْقلِب(٣)

حتى بلغ إلى قوله فيها:

أم هلْ ظعائنُ بالعلياءِ نافعةٌ وإن تكامل فيها الأنْسُ والشُّنَبُ(٤)

فعقد نصيبٌ واحدةً. فقال له الكُميت: ماذا تُحْصي؟ قال: خطأك، باعدت في القول، ما الأنْسُ من الشَّنَب، ألا قُلتَ كما قال ذو الرُّمَّة:

لمياءُ في شفتيْها حُوَّةٌ لعسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنْيابها شنبُ(٥)

ثم أنشدهما قوله: أبتْ هذه النفسُ إلاَّ ادِّكارا حتى بلغ إلى قوله:

---

(١) بيش: موضع في بلاد اليمن قرب دهلك، ووج: اسم وادٍ بالطائف بالبادية، وجالساً: أتياً الجلس وهو نجد، وتتهم: أتى تهامة.

(٢) أرهمت السماء: أتت بالرِّهام جمع رِهمة، وهي المطر الضعيف الدائم.

(٣) الأيفاع: الكواعب التي شارفت البلوغ (٤) العلياء: اسم بلد، والشَّنَب: رقَّةٌ وبردٌ وعذوبة في الأسنان.

(٥) اللمياء: بيِّنة اللَّمى، هو سمرة الشفتين واللثات، والحوَّة: سمرة الشفة، واللَّمس: سواد اللثة والشفة في حمرة.

إذا ما الهجارسُ غنَّيتها تُجاوبْنَ بالفلواتِ الوباراُ(١)

فقال له النُّصيب: والوبارُ لا تسكنُ الفلواتِ. ثم أنشد حتى بلغ منها:

كـأنَّ الغُطـامط من غلْيها أراجيزُ أسْلَمَ تهْجو غفاراُ(٢)

فقال النُّصيب: ما هجتْ أسْلمُ غفاراً قطُّ(٣)؛ فانكسر الكُميتُ وأمسك. (٣٤٧/١)

(٢٩)

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني عبدُ الله بنُ إسماعيل بن أبي عُبيد الله كاتب المهديّ قال: وجدتُ في كتاب أبي بخطّه: حدّثني أبو يوسف التُّجيبيّ قال حدّثني إسماعيلُ بنُ المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال: حدّثني النُّصيب أبو محْجن أنه خرج وهو كُثيِّر والأحوصُ غبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماءُ، فقال: هل لكم في أن نركبَ جميعاً فنسيرَ حتّى نأتي العقيق فنُمتِّعَ فيه أبصارنا؟ فقالوا نعْم. فركبوا أفضلَ ما يقْدرونَ عليه من الدوابِّ، ولبسوا أحسنَ ما يقدرون عليه من الثياب، وتنكَّروا ثم ساروُا حتّى أتَوُا العقيق، فجعلوا يتصفَّحُونَ(٤) ويرْون بعضَ ما يشْتهون، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأمُّوه حتى أتَوه، فإذا وصائفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ، فسألنهم أن ينزلوا، فاستحْيوا أن يُجيبُوهنَّ من أوَّل وهْلة، فقالوا: لا نستطيع أو نمْضي في حاجةٍ لنا. فحلَّفْنهم أن يرجعُوا إليهنّ، ففعلوا وأتوْهنّ، فسألنهم النزولَ فنزلوا. ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنْت لهم، فلم تلبث أنْ جاءت المرأةُ فقالت: ادخلوا. فدخلنا على امرأة جميلة برْزةٍ على فُرُشٍ لها، فرحَّبتْ وحيَّتْ، وإذا كراسيّ موضوعة، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسيّ فقالت: إن أحببْتُم أن ندعو بصبيّ لنا فنُصيِّحه ونعْرُكَ أذنَهُ(٥) فعلْنا، وإن شئتُم بدأنا بالغداء. فقلنا: بل تدْعين بالصبيّ ولن يفوتنا

---

(١) الهجارس: جمع هِجْرس، وهو القرد والثعلب، أو ولده، أو هو من السّباع كلّ ما يُعسعس بالليل ممّا كان دون الثعلب وفوق اليربوع، والوبار: جمع وَبْر، وهو دويبّة على قدر السّنور غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء حسنة العينين، ويقال إنّها دابة لا ذَنَب لها تدجن في البيوت، وهو يتفّق مع نقد نصيب.

(٢) الغُطامط: صوت غليان القدر، وأسلم وغفار: قبيلتان.

(٣) من المفيد أن نورد هنا ما ورد في حاشية الأغاني نقلاً عن تاج العروس ما يأتي: «وقيل وردت غفار وأسلم إلى النبي صلّى الله عليه وسلم، فلّما صاروا في الطريق قالت غفار لأسلم: انزلوا بنا، فلّما حطّت أسلم رحلَها، مضت غفار فلم تنزل فسبّوهم، فلّما رأت ذلك أسلم ارتحلوا وجعلوا يرجزون بهجائهم».

(٤) تصفحّت الشيء: نظرت إليه لأتعرّفه.

(٥) عَرْك الأذن: دلكها: وهي تقصد العود.

الغداء. فأومأتْ بيدها إلى بعض الخدم، فلم يكُنْ إلا كلا(١) ولا حتّى جاءتْ جاريةٌ جميلةٌ قد سُترت بمُطرف، فأمْسكُوه عليها حتى ذهب بُهْرُها(٢)، ثم كُشِفَ عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال مولاتها، فرحَّبتْ بهم وحيَّتْهم، فقالت لها مولاتُها: خُذي - ويْحك ! - من قول النُّصيب عافى اللهُ أبا مِحْجن:

ألا هل من البيْن المُفرِّق من بُدٍّ ... وهل مثلُ أيامٍ بمُنْقطع السُّعْد(٣)

تمنَّيتُ أيَّامي أولئك، والمُنى ... على عهد عادٍ ما تُعيدُ ولا تُبْدي(٤)

ففنَّته، فجاءتْ به كأحسن ما سمعتُه قط بأحلى لفظٍ وأشْجى صوت. ثم قالت لها: خُذي أيضاً من قول أبي مِحْجن عافى الله أبا محجن:

أرِق المُحبُّ وعاده سهدُهْ ... لطوارقِ الهمِّ التي ترِدُهْ

وذكرتُ مَنْ رقَّتْ له كبدي ... وأبى فليس تَرِقُّ لي كبِدُهْ

لا قومُه قومي ولا بلدي ... فنكُونَ حيناً جيرةً - بلدُهْ

ووجدْتُ وجْداً لم يكن أحدٌ ... قبلي مِنَ اجْلِ صبابةً يجدُهْ

إلاَّ ابنُ عجلانَ الذي تبلتْ ... هِنْدٌ ففات بنفسه كمدُهْ(٥)

قال: فجاءتْ به أحسن من الأوّل، فكدتُ أطيرُ سروراً، ثم قالتْ لها: ويْحكِ! خُذي من قول أبي مِحْجنَ عافى اللهُ أبا محجن:

فيا لكَ من ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه ... وهل طائفٌ من نائمٍ متمتِّعُ

نعَمْ إنَّ ذا شجْوٍ متى يلْقَ شجْوه ... ولو نائماً مُسْتعتبٌ أو مُودَّعُ

له حاجةٌ قد طالما قد أسرَّها ... من الناس في صدْر بها يتصدَّعُ

تحمَّلها طُولَ الزمان لعلُّها ... يكونُ لها يوماً من الدهر منْزعُ

وقد قُرعتْ في أمِّ عمروٍ لي العصا ... قديماً كما كانتْ لذي الحِلْم تُقْرعُ(٦)

---

(١) كلا ولا: العرب إذا أرادت تقليل مدّة فعل أو ظهور شيء خفيّ قالوا: كان فعله كلا، وربما كرّروا فقالوا: كلا ولا، يعني لم يمرّ سوى قليل من الوقت حتى جاءت الجارية. (٢) بُهْرها: يعني حتى هدأ روعها واطمأنّت.

(٣) منقطع المكان: حيث ينقطع وينتهي، والسَّعد: موضع معروف قريب من المدينة بينهما ثلاثة أميال.

(٤) ما تعيد ولا تبدي: أي لا تأتي بعائدة ولا بائدة، يريد أنّه لا نفع فيها.

(٥) ابن عجلان: يريد عمرو بن عامر بن برد بن منبه أحد بني كاه ، بن لحيان بن هذيل المعروف بعمرو ذي الكلب، وفات بنفسه كمده: أي ذهب كمده بنفسه وأتى عليها فأهلكه ا.

(٦) يشير بذلك إلى المثل المعروف: «إنَّ العصا قُرِعت لذي الحلم»، وأصله أنَّ حكماً من حكام العرب عاش حتى =

قال: فجاءت والله بشيء حيَّرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسُروراً باختيارها الغناء في شعري، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها وإحكامها. ثم قالت لها: خُذي أيضاً من قول أبي محجن، عافى الله أبا محجن:

يأيُّها الرَّكبُ إنِّي غيرُ تابعكُمْ ... حتى تُلمُّوا وأنتُمْ بي مُلمُّونا
فما أرى مثلَكم ركْباً كشكْلكُمُ ... يدعوهُمُ نُو هدىً إلاَّ يعُوجُونا
أم خبِّروني عن دائي بعلمكُم ... وأعلمُ النَّاسِ بالداءِ الأطبَّونا(١)

قال نُصيب: فوالله لقد زُهيتُ بما سمعتُ زهْواً خيَّل إليَّ أنِّي من قُريش، وأنَّ الخلافة لي، ثم قالت: حسْبُك يا بُنيَّة! هاتِ الطعامَ يا غلامُ! فوثب الأحوصُ وكُثيِّرٌ وقالا: والله لا نطعَم لك طعاماً ولا نجلسُ لك في مجلس؛ فقد أسأتِ عشرتنا واستخففتِ بنا، وقدَّمتِ شعر هذا على أشعارنا، واستمعتِ الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفْضُلُ شعْره، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا. فقالت: على معرفةٍ كل ما كان منِّي، فأيُّ شعركما أفضلُ من شعره؟ أقولُك يا أحوصُ:

يقرُّ بعيني ما يقرُّ بعينها ... وأحسنُ شيء ما به العينُ قرَّتِ

أو قولُك يا كُثيِّر في عزَّة:

وما حسبتْ ضمْريَّةٌ جُدويَّةٌ(٢) ... سوى التَّيْس ذي القرْنين أنَّ لها بَعْلا

أم قولُك فيها:

إذا ضَمْريَّةٌ عطستْ فنِكْها ... فإن عُطاسها طرفُ السِّفادِ

قال: فخرجا مُغْضبينَ واحْتبستني، فتغدَّيتُ عندها، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلَّتين وطيب، ثم دفعتْ إليَّ مائتي دينار وقالت: ادفعْها إلى صاحبيك: فإن قبلاها وإلا فهي لك. فأتيتُهما منازلهما فأخبرتُهما القصَّة. فأمَّا الأحوصُ فقبلها، وأمَّا كُثيِّر فلم يقبلها، وقال لعنَ الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها! فأخذتُها وانصرفتُ، فسألتُ النُّصيب: ممن المرأةُ؟ فقال: من بني أميَّةَ ولا أذكرُ اسمها ما حييتُ لأحد. (٣٦٥/١)

= أهتر، فقال لابنته: إذا أنكرتِ من فهمي شيئاً عن الحكم فاقرعي لي المجنَّ بالعصا لارتدع، وهذا الحكم هو عمرو بن حُمَمة الدوسي، وقيل: أول مَنْ قُرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني أحد حكماء العرب وحكامهم. والمثل يُضرب لمَنْ إذا نُبِّه انتبه. يريد أنَّه ليم في حبِّها قديماً.

(١) الأطبَّون: البارعون في الطبِّ.

(٢) جدويَّة: نسبة إلى جُدَيّ بن ضمرة بن بكر من كنانة.

(٣٠)

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن مُصْعب الزُّبيريّ عن مشيخةٍ من أهل الحجاز: أنّ نُصيباً دخل على عبد الملك بن مروان، فقال له: أنْشدني بعض ما رثيْتَ به أخي؛ فأنشده قوله:

عرفتُ وجرّبتُ الأمورَ فما أرى ... كمـاضٍ تـلاه الغـابرُ المتـأخّـرُ(١)
ولكنّ أهلَ الفضل من أهل نِعْمتي ... يمـرُّون أسْـلافاً أمـامي وأغْبُرُ(٢)
فإن أبْكِـهِ أعْذَرْ وإن أغلب الأسى ... بصبرٍ فمثلي عندما اشتدّ يصْبرُ
وكانت ركـابي كلّمـا شـئتُ تنْتحي ... إليكَ فـتقْضي نحْبـها وهي ضُمّرُ
ترى الوِرْدَ يُسْـراً والثّواءَ غنيـمـةً ... لديكَ وتُثْنى بالرِّضـا حين تصْـدُرُ
فـقد عـريتْ بعـدَ ابنِ ليلى فـإنّما ... ذُراهـا لمن لاقـتْ من الناس مَنْظرُ
ولو كـان حـيًّا لم يزلْ بدُفـوفـهـا ... مـرادٌ لفـرْبـان الطريـق ومـنْقـرُ(٣)
فـإن كُـنّ قـد نِلْنَ ابنَ ليلى فـإنّه ... هو المصطفى من أهله المُتـخـيَّرُ

فلمّا سمع عبدُ الملك قوله:

فإن أبكه أعْذرْ وإن أغلب الأسى ... بِصَبْرٍ فمثلي عندما اشتدّ يصبرُ

قال له: ويلك! أنا كنتُ أحقّ بهذه الصفة في أخي منك! فهلاّ وصفْتني بها! وجعل يبكي. (٣٦١/١)

(٣١)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كُناسة قال: قال لي عبد الله بن إسحاق البصريّ: لو وليتُ العراقَ لاستكتبتُ نُصيباً قلتُ: لماذا؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيّد الكلام، ألم تسمع قوله:

فلا النفسُ ملّتْها ولا العينُ تنتهي ... إليها سـوام الطَّرْف عنها فترْجِعُ(٤)
رأتْهـا فمـا ترْتدُّ عنهـا سـآمـةً ... ترى بـدلاً منهـا بـه النّفْسُ تقْـنعُ (٣٦٢/١)

---

(١) الغابر هنا: الباقي؛ ويُستعمل أيضاً في الماضي.

(٢) أغبر: أبقى وأعيش.

(٣) الدفوف: جمع دف، وهو هنا صفحة الجانب، يريد أنّها كانت سمينة.

(٤) سوام الطرف: أي إذا انتهت إليها نظرات الطرْف التي تسمو إليها من العين، تعلّقت بها فلم ترجع عنها.

(٣٢)

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال: أنشد نُصيب قوله:

وكِدْتُ ولم أخْلقْ من الطير إن بدا لها بارقٌ نحـو الحجـاز أطيرُ

فسمعه ابنُ أبي عتيق، فقال: يابنَ أمّ، قُلْ غاقٍ فإنّك تطير، يعني أنه غُرابٌ أسودُ(١). (٣٦٤/١)

(٣٣)

أخبرني محمد بن مزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني الموْصليّ عن ابن أبي عُبيدة قال: أتى نُصيبٌ مكةَ فأتى المسجد الحرام ليلاً، فبينما هو كذلك إذ طلع ثلاثُ نسوةٍ فجلسْنَ قريباً منه وجعلْنَ يتحدّثْن ويتذاكرْن الشعر والشعراء، وإذا هنّ من أفصح النساء وأدبهنّ، فقالت إحداهنّ: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

وبين الصفـا والمـروْتين ذكـرتُكـم بمُخْتلفٍ مـا بين سـاعٍ ومـوجف
وعـند طـوافي قـد ذكـرتُك ذكْـرةً هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تضْعُف

فقالت الأخرى: بل قاتل اللهُ كُثيِّر عزّة حيث يقول:

طلفْن علينا بين مروْة والصفـا يمُرْنَ على البطْحاء موْرَ السحائب(٢)
فكِدْنَ لعـمْرُ الله يُحْدِثْنَ فـتنةً لمُخْتـشـعٍ من خـشْيـة الله تائبِ

فقالت الأخرى: قاتَلَ اللهُ ابن الزانية نُصيباً حيث يقول:

ألامُ على ليْلى ولو أسـتطيعُها وحُرْمةِ ما بين البنيّةِ والسِّتْرِ(٣)
لمِلْتُ على ليْلى بنفسـيَ ميْلـةً ولو كان في يوم التَّحالُق والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلّم عليهنّ فردَدْنَ عليه السلام فقال لهنّ: إنّي رأيتُكنّ تتحادثْنَ شيئاً عندي منه علمٌ. فقلن: ومن أنت؟ قال: اسمعْنَ أوّلاً. فقلن: هات، فأنشدهنّ قصيدته التي أوّلها:

ويوم ذي سـلمٍ شـاقتْكَ نانحةٌ ورقْاءُ في فننٍ والريحُ تضطربُ(٤)

فقلن له: نسألك بالله وبحقّ هذه البنيّة، من أنت؟ فقال: أنا ابنُ المظلومة المقنوفة بغير جُرْم

---

(١) هذا لون آخر من ألوان نقد ابن أبي عتيق المتّسمة بالخفّة والظرف.

(٢) يَمُرْن: يتمايلن جانيات ذاهبات. (٣) البنيّة: هي الكعبة المشرفة.

(٤) ذو سلَم: وادٍ بالحجاز، ذكره ياقوت في معجمه (٣/ ٢٤٠).

«نُصيب». فقُمْنَ إليه فسلَّمن عليه ورحَّبْنَ به، واعتذرت إليه القائلة، وقالت: والله ما أردتُ سوءا، وإنَّما حملني الاستحسانُ لقولك على ما سمعت(١)، فضحك وجلس إليهنَّ، فحادثهنَّ إلى أنِ انصرفن. (٣٧٦/١)

(٣٤)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عُرْوةُ بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال: أنشد ابنُ جُنْدبٍ الهُذليّ ابن أبي عتيق قول العرْجيّ:

وما أنسَ م الأشياءِ لا أنس قولها ... لخادمها قُومي اسْألي لي عن الوِتْرِ
فقالت يقول الناسُ في سِتِّ عشرةً ... فلا تعجلي منهُ فإنَّك في أجْرِ
فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ ... ولا ليلةُ الأضْحى ولا ليلةُ الفطْرِ
بعادلةِ الإثنينِ عندي وبالحرى ... يكونُ سواءً منهما ليلةُ القدْرِ

فقال ابنُ أبي عتيق: أشهدكم أنَّها حُرَّةٌ من مالي إن أجاز ذلك أهلُها، هذه والله أفْقَهُ من ابنِ شهاب(٢). (٣٩٨/١)

(٣٥)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا: حدّثنا عُمر بن شبَّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة، وأخبرني عثمانُ عن الكُرانيّ عن العُمريّ عن لقيط، وحدّثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثمُ بنُ عديّ عن عثمانَ بن عمارة، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعيّ وأبو مسلم المُسْتَمْلي عن ابنُ الأعرابيّ - يزيد بعضهم على بعض - أنَّ عثمانَ بن عمارة المرّي أخبرهم أنَّ شيخاً منهم من بني مرَّة حدَّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، قال: فدُلِلْتُ على محلَّتِه فأتيتُها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نعمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخُ:

---

(١) يأتي الإطراء والاستحسان في بعض العبارات على هيئةٍ يُفهم من ظاهرها الشتم مثل هذا النص، ومثل: قاتله الله، أو لعنه الله، وأشباه هذا، وهي تشير في مجملها إلى الأثر الذي يحدثه الشعر في النفس، فيُعبَّر عنه بمثل تلك العبارات القصيرة المنفعلة.

(٢) ابن شهاب: يريد به محمدبن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، نسبة إلى زهرة بن كلاب، عالم المدينة، ومحدثها، وفقيهها، توفي سنة (١٢٣هـ)، جاء في البيان والتبيين (٢٤٢/١): « .. والذين بثُّوا العلم في الدنيا أربعة: قتادة، والزُّهري، والأعمش، والكلبي».

والله لهو كان أثر في نفسي من هؤلاء وأحبُّهم إليَّ! وإنه هوى امرأةٌ من قومه، والله ما كانت تطمعُ في مثله، فلمَّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوِّجها منه بعد ظهور الخبر فزوَّجها من غيره، فذهب عقلُ ابني ولحقه خبلٌ وهام في الفيافي وجْداً عليها، فحبسناه وقيدْناه فجعل يعضُّ لسانه وشفتيه حتى خفْنا (عليه) أن يقطعها فخلَّينا سبيله، فهو يهيم في (هذه) الفيافي مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلَّ يوم بطعامه فيوضعُ له حيث يراه، فإذا تنحَّوا عنه جاء فأكل منه. قال: فسألتُهم أن يدلّوني عليه، فدلّوني على فتىً من الحيِّ كان صديقاً له وقالوا: إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته فسألتُه أن يدلّني عليه؛ فقال: إن كنتَ تريد شعره فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُك به؛ فقلتُ: بل (أريد أن) تدلّني عليه لآتيه؛ فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني فيذهبُ شِعْرُه، فأبيتُ إلاَّ أن يدلّني عليه؛ فقال: اطلبه في هذه الصحارى (فإذا رأيته) فادنُ (منه) مستأنساً ولا تُرِه أنك تهابُه، فإنه يتهدَّدك ويتوعدُك أن يرميك بشيء، فلا يروعنّك واجلسْ صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً، فإذا رأيته قد سكن من نفاره فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنتَ تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشده إياه فإنه مُعْجبٌ به؛ فخرجتُ فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدتُه جالساً على رمْل قد خطَّ فيه بأصبعه خطوطاً، فدنوتُ منه غيرَ منقبضٍ، فنفر منّي نفور الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ، فلمَّا طال جلوسي سكن وأقبل يخط بأصبعه، فأقبلتُ عليه وقلت: أحسنَ والله قيسُ بن ذريح حيث يقول:

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّني ... بعلمك في لُبنى وأنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخْبر بشيءٍ علمته ... فلا طِرْتَ إلا والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ ... كما قد تراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليَّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقولُ:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدى ... بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فباتت ... تُجاذبه وقد علِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هنيهةً، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسنَ والله قيس بنُ ذريح حيث يقول:

وإني لَمُفْنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا ... حذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعدَ ذاكَ بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كانت أخشى أن تكون منيَّتي ... بكفَّيك إلا أن مَنَنْ حانَ حائنُ

قال: فبكى - والله - حتى ظننتُ أنَّ نفسه قد فاضتْ، وقد رأيتُ دموعه قد بلَّتِ الرملَ الذي بين

يديه، ثم قال: أحسنَ لعمرُ الله، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

وأدْنيتِني حتى إذا ما سبيتني ... بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهْلَ الأباطحِ(١)
تناعيْتِ عنّي حينَ لا لي حيلةٌ ... وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ (٨٧/٢)

(٣٦)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: قال ابن عُيينة: سمعت ابنُ شبْرمة يقول: أنا والله أعلم بجيِّد الشعر، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول:

أولئك قوم إن بنَوْا أحسنوا البُنى ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانتِ النُّعْماءُ فيهم جزَوْا بها ... وإن أنْعموا لا كدُّرُوها ولا كدُّوا
وإن قال موْلاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم ردُّوا

قال: وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدْنان عن هذا البيت: ما واحد البُنى، قال: بنْية؛ فقال له: أتُجْمع فِعْلة على فُعْل؟ قال: نعم مثل رِشْوة ورُشىً وحِبْوة وحُبىً. (١٧٨/٢)

(٣٧)

قال يحيى في خبره: واجتمع ابن ميُّادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عقال شديد الرأي في اليمن، فغمز(٢) عقالٌ ابن ميادة واعتلاه؛ فقال ابن ميُّادة:

فجرنا ينابيع الكلام وبحره ... فاصبح فيه ذو الرِّواية يسبحُ
وما الشعر إلاّ شعر قيس وخِنْدفٍ ... وقول سواهم كلفةٌ وتملُّحُ(٣)

فقال عقال يجيبه:

ألا أبلغ الرُّماح نقض مقالة ... بها خَطِلَ الرُّمّاحُ أو كان يمزحُ
لئن كان في قيس وخِنْدفَ ألسنٌ ... طوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرقَ الحيُّ اليمانون قبلهم ... بحورَ الكلام تُستقى وهي تطفحُ
وهم علّموا مَنْ بعدهم فتعلموا ... وهم أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا

---

(١) العُصْم: جمع أعصم وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض، والوعل: تيس الجبل. يريد أنّ قولها يخلب العصم ويستنزل لها من الجبال وهي مساكنها إلى الأباطح السهلة.

(٢) غمزه: عابه وصغّر من شأنه.

(٣) تملُّح: تكلّف الملاحة، يقال: فلان يتظرّف ويتملّح، أي يتكلّف الظرف، والملاحة.

فللسابقين الـ ـ لا يحسدونه وليس لمخلوقٍ عليهم تَبَجُّحُ (٢/٣٠٩)

(٣٨)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مولى هشام بن الوليد المخزومي وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارثِ قلْبي طائرٌ فاستمعْ قولَ رشيدٍ مُؤتمنْ

قال: شهدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبْطح، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها:

لقد فرحَ الواشُون أنْ صرمَتْ حبْلي بُثَيْنةُ أو أبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال: يا أبا الخطاب، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً؟ قال: نعم؛ فأنشده قوله:

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيْني وبيْنها

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطاب، والله لا أقول مثل هذا سجيس الليالي؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ! وقام مُشمِّراً. (٢/٣٧٠)

(٣٩)

أخبرني محمد بن أحمد الطُّلْس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ: أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة، فلمّا بلغ إلى قوله:

فقُمْنَ وقد أفْهمْنَ ذا اللبِّ أنّما فعلْنَ الذي يفْعلنَ من ذاك من أجْلي

صاحَ الفرزدق وقال: هذا والله الشعرُ الذي أرادتْه الشعراء فأخطأتْهُ وبكتِ الديار. (٢/٣٧١)

(٤٠)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصْعبُ الزُّبيريّ: اجتمع نِسْوةٌ فذكرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرْفه وحُسْنَ مجلسه وحديثَهُ وتشوّقْنَ إليه وتمنّينه؛ فقالت سُكينة: أنا لكُنَّ به، فبعثتْ إليه رسولا ووعدته الصُّوَيْرين(١) الليلةَ سمّتها، فوافاها على رواحله ومعه الفريض، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافُهنّ، فقال لهنّ: إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبيّ (ص) والصلاة في مسجده، ولكن لا أخْلِطُ بزيارتكنّ شيئاً، ثم انصرف إلى مكة وقال:

---

(١) الصُّوران: موضع بالمدينة بالبقيع.

ألمِمْ بزينبَ إنَّ البيْنَ قد أفدا قلَّ الثَّواءُ لئنْ كان الرحيلُ غدا(١)

قال: وانصرفَ عمر بالغريض معه، فلما كان بمكة قال عمر: يا غريض، إني أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه، فهل لك فيه؟ قال: افعلْ من ذلك ما شئتَ وما أنت أهلُه؛ قال: إني قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعرا فامضِ به إلى النِّسْوة فأنْشدهُنَّ ذلك وأخبرهُنَّ أني وجَّهتُ بك فيه قاصدا؛ قال: نعم. فحمل الغريضُ الشعر ورجع إلى المدينة فقصد سُكينة وقال لها: جُعِلْتُ فداكِ يا سيّدتي ومولاتي، إن أبا الخطّاب - أبقاه الله - وجَّهني إليك قاصداً، قالت: أوليْسَ في خيرٍ وسرور تركتَهُ؟ قال: نعم؛ قالت: وفيمَ وجَّهك أبو الخطّاب حفظه الله؟ قال: جُعلت فداك، إن ابن أبي ربيعة حملني شعرا وأمرني أن أنشدكِ إياه؛ قالت: فهاته، قال فأنشدها:

ألمِمْ بزينبَ إن البيْنَ قد أفدا قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدا

الشعر كلُّه؛ قلت: فياويْحه! فما كان عليه ألاّ يرْحل في غده! فوجَّهتْ إلى النِّسوة فجمعتْهنَّ وأنشدتهنَّ الشعر، وقالت للغريض: هل عملتَ فيه شيئاً؟ قال: قد غنيّتُه ابن أبي ربيعة؛ قالت: فهاته، فغنّاه الغريض؛ فقالت سُكينة: أحسنتَ والله وأحسنَ ابنُ أبي ربيعة، لولا أنك سبقْتَ فغنّيته عُمرَ قبْلنا لأحْسنّا جائزتك، يا بُنانةُ، أعطيه بكلّ بيتٍ ألف درهم، فأخرجتْ إليه بُنانةُ أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه؛ وقالت سُكينة: لو زادنا عُمرُ لزدْناك.

ألِمْ بزينبَ إنَّ البيْنَ قد أفِدا قلَّ الثَّواء لئن كان الرَّحيلُ غدا
قد حلفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدة وما على الحُرِّ إلا الصَّبْرُ مُجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصِفها لقد وجدتُ به فَوق الذي وجدا(٢)
لعمرُها ما أراني إن نويَ نزحتْ وهكذا الحبُّ إلا ميِّتاً كمدا (٣٧٦/٢)

(٤١)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السُّعْديّ: أنَّ الوليد بن عبد الملك قدم مكّة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال: هل من رجل عالمٍ يُخْبرني عنها؟ فقالوا: عُمرُ بن أبي ربيعة؛ قال: لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكروه فأباه، ثمَّ عاد فذكروه فقال: هاتوه؛ وركب معه فجعل يُحدِّثه، وكان قد حمل الغريضَ معه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنَّ عندي أجملَ الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل لك أن تسمعه؟ قال: هاتِه، فدعا به فقال: أسمِعْ أمير المؤمنين

---

(١) أفِد: دنا وحضر (٢) المناصف: جمع مِنْصَف وهو الخادم، والأنثى بالهاء: مِنْصَفة

أحسنَ شيء قلته؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر.

إني لأحفظُ سِرَّكم ويسُرُّني ... لو تعلمين بصالح أن تُذْكُري
ويكون يومٌ لا أرى لك مُرْسلاً ... أو تلتقي فيه عليَّ كأشهُرِ
يا ليتني ألقى المنيَّة بغتةً ... إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
ما كنتِ والوعدَ الذي تعدينني ... إلاَّ كبرْقٍ سحابةٍ لم تمْطُرِ
تُقْضى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

قال: فاشتدَّ سرورُ الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رُقْيتُك، ووصله وكساه وقضى حوائجه. (٢/٣٩٥)

(٤٢)

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عبْدل، فقالوا للحجّاج: إنما شعرُ ابن عبْدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف؛ فقال له: قد سمعت قولهم فاستمع منّي؛ قال هات؛ فأنشده قوله:

وإنّي لأسْتغْني فما أبْطَرُ الغِنى ... وأعْرِضُ ميْسوري لمن يبْتغي قرْضي(١)
وأعْسِرُ أحْياناً فتشْتدُّ عُسْرتي ... فأدْرِكُ ميْسورَ الغنى ومعى عِرْضي

حتى انتهى إلى قوله:

ولستُ بذي وجْهيْنِ فيمن عرفْتَهُ ... ولا البُخْلُ فاعلَمْ من سمائي ولا أرْضي

فقال له الحجاج: أحسنتَ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفيْ درهم. (٢/٤٢٦)

(٤٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد (قال حدّثنا حمّاد) بن إسحاق عن أبيه قال: أنشد ابنُ أبي عتيق قولَ قيس بن الخطيم:

بين شكُولِ النساء خِلْقتُها ... حنْواً فلا جبْلةٌ ولا قصَفُ(٢)

فقال: لولا أن أبا يزيد قال: حنْواً ما درى الناسُ كيف يحْشُون هذا الموضع(٣). (١/٣)

---

(١) البَطَر: الطغيان عند النِّعمة. (٢) الشكول: الضروب، والحنو: التقدير، يريد أنّها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمينة ولا بالمهزولة، والجبلة: الغليظة، والقصف: دقّة اللحم.

(٣) رأينا في موضع سابق حديث ابن أبي عتيق عن خصائص الشعر الجيّد، ومنها متانة الحشو، ويعود هنا ليستخدم هذا المصطلح تطبيقاً على بيت قيس، واستحسانه حشوه لبيته بكلمة (حنو).

(٤٤)

قال عبد الملك بن مروان: ما يسرّني أنّ أحداً من العرب ولدني ممّن لم يلِدْني إلا عُروةَ بن الورد لقوله:

إنّي امرؤٌ عافي إنائيَ شركةٌ ... وأنت امرؤٌ عافي إنائك واحدُ(١)
أتهزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى ... بجسمي مسَّ الحقّ والحقُّ جاهدُ
أفرِّق جِسْمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحْسُو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ (٧٤/٣)

(٤٥)

أخبرني علي بن صالح بن الهيْثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا: حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال: تفاخر مولًى لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشعريْهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرف المنازلَ إذا قُلبت، يعني قول الحارث:

إني وما نحروا غداةَ منىً ... عند الجمارِ تُؤودها العُقُلُ(٢)
لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلُها يعْلُو
فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيردُّه الإقْواءُ والمحْلُ
لعرفتُ مغْناها بما احتملتْ ... منّي الضلوع لأهلها قبْلُ

قال عمر بن شبّة: وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه: - فقال مولى ابنِ أبي ربيعة لمولى الحارث: والله ما يُحسِنُ مولاك في شعرٍ إلا نُسِب إلى مولاي. قال ابن سلاّم: وأنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلّها حتى انتهى إلى قوله:

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ ... منّى الضلوعُ لأهلها قبلُ

فقال له ابنُ عمر: قُلْ: إن شاء الله؛ قال: إذاً يفْسُد بها الشعرُ يا عمّ، فقال له: يابن أخي، إنه لا خيرَ في شيءٍ يُفسدُه «إن شاء الله». قال عمر: وحدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحد، وأظنّه لم يروْها إلاّ عن محمد بن سلاّم. وأخبرني محمد بن خلف المَرزبان عن أبي الفضل المَرْوَرُوذيّ عن إسحاق عن أبي عُبيْدة، فذكر قصّةَ الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه. (٣١٣/٣)

---

(١) العافي: طالب المعروف، وشركة: أراد خلقاً كثيراً. (٢) تؤودها: تثقلها، والعُقُل: جمع عقال.

(٤٦)

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الفقاريّ عن يحيى بن عُروة بن أذينة عن أبيه قال: كان كُثيرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرَّ بهم سعيدُ الراس، وكان مُغنّياً، فقالوا لكثير: يا أبا صخر، هل لك أن نُسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعوْا به فسألوه أن يغنيهم:

هلاَّ سألتَ معالمَ الأطلالِ ... بالجزع من حُرُضٍ وهنَّ بوالي(١)
سقْياً لعزَّةَ خلّتي سقْيا لها ... إذ نحن بالهضباتِ من أمْلالِ(٢)
إذ لا تكلّمنا وكان كلامُها ... نقلا نؤمله من الأنْفالِ(٣)

فغنّاه، فطرب كثيّر وارتاح، وطرب القومُ جميعاً، واستحسنوا قولَ كثيّر، وقالوا له: يا أبا صخْر ما يستطيع أحدٌ أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

إني وما نحروا غداةَ منىً ... عند الجمار تؤودُها العُقْلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها ... سُفْلا وأصبح سُفْلها يعلو
لعرفتُ مغناها بما احتملتْ ... منّي الضلوع لأهلها قبْلُ(٤) (٣١٤/٣)

(٤٧)

أخبرني محمد بن مزيْد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جُعْدُبة قال: لما أن قدِمتْ عائشة بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على مكة: إنّي أريد السلامَ عليك، فإذا خفَّ عليك أذِنْتِ، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له: إنّا حُرُم، فإذا أحْللنا أنبأناك، فلما أحلّت سرتْ على بغلاتها، ولحقها الغريضُ بعُسْفان(٥) أو قريبٍ منه، ومعه كتابُ الحارث إليها: ما ضرُكم لو قُلتُم سداداً ـ الأبيات المذكورة ـ ؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت: ما يدعُ الحارث باطله! ثم قالت للغريض: هل أحدثْتَ شيئاً؟ قال: نعم، فاسمعي،

---

(١) حُرُض: وادٍ عند أحد.

(٢) أملال: ويقال له ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة.

(٣) النُّقل: الغنيمة والعطيّة.

(٤) وجْه ابن أبي عتيق فيما سبق نقداً لإذعاً لهذه الأبيات. وفضّل أبياتاً لعمر عليها في المعنى نفسه، ونرى كثيّراً هنا يطريها، ويجعلها تقف مع شعره، وهذا اختلاف يثري النقد، ويعمّقه.

(٥) عُسْفان: قرية جامعة بها نخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكّة.

ثم اندفع يغني في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: والله ما قلنا إلا سدادا، ولا أردنا إلا أن نشتري لسانَهُ؛ وأتى على الشعر كلّه، فاستحسنته عائشة. (٣٢٠/٣)

(٤٨)

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال: أنشدتُ سُكَيْنةُ بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففرَغْن من سبْع وقد جُهدت أحشـــاؤهن موائلَ الخُمْـرِ

فقالت: أحَسَنٌ عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، فقالت: وما حُسْنُه! فوالله لو طافت الإبل سبعاً لجُهدت أحشاؤها. (٣٢٧/٣)

(٤٩)

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارن بن موسى الفرْوي قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام ،ن عبد الملك قال: بينا أنا ألقي على ولد هشامٍ شعر قريشٍ إذ أنشدتُهم شعر الحارث بن خالد:

إنَّ امـــرأً تعتـادُه ذِكَـرٌ منها ثلاثٌ منيَّ لذو صبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليَّ حتى ألقيتُ عليهم قوله:

ففرغْنَ من سبعٍ وقد جُهدتْ أحشـــاؤهن مـــوائلَ الخُمْـــرِ

فانصرف وهو يقول: هذا كلامُ مُعاينٍ. (٣٢٨/٣)

(٥٠)

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيُّوب قال حدّثني محمد بن سلاّم عن يونس قال: لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل(١)، تمثّل رُتْبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام:

ترك الأحبَّةَ أنْ يُقاتلَ دونَهُمْ ونجـــا برأس طمُّرةٍ ولجـــامِ(٢)

---

(١) رُتبيل: صاحب الترك، كان بنواحي سجستان، وقد غزاه في سنة (٧٩هـ) عبيد الله بن أبي بكرة، وكان والياً بسجستان. وتوَغّل في بلاده، وأصاب منه غنائمَ، وأموالاً وهدم قلاعاً، وحصوناً، وغزاه في سنة (٨٠هـ) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج أيضاً.

(٢) الطُّمرُّة: أنثى الفرس الجواد، والمذكّر طمُرٌّ، وهو المستفزّ للوثب والعدو، ينظر لسان العرب (٥٠٣/٤).

فقال له ابن الأشعث: أو ما سمعت ماردٌ عليه الحارثُ بن هشام؟ قال: وما هو؟ فقال قال:

اللهُ يعلـم مـا تركـتُ قتالهـم حتى رَموْا فرسي بأشْقر مُزْبدِ(١)
وعلْمـتُ أنّي إنْ أقـاتلْ واحداً أقْتَلْ ولا يضْرُرْ عُدَوِي مشهدي
فصـددتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقـاب يوم مُرْصـدِ

فقال رُتْبيل: يا معشرَ العرب، حسُنتم كلُّ شيء حتى حسُنتم الفرار. (١٦٩/٤)

(٥١)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعضُ أهل العلم قال: دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد: والله لو لم تمُتْ إلينا بحُرْمة، ولا توصّلت بدالّة، ولا جئْتَ لنا مدْحاً، غير أنك مُقْتصرٌ على البيتين اللذين قلتهما فينا، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلةِ منّي حيث تقول:

وإنّي لأسـتحييكُـمُ أنْ يقـودني إلى غيركم من سائر الناس مطْمَعُ
وأنْ أجْتـدي للنفع غيـرك منهُم وأنـت إمـامٌ للرعـيّة مـقْنعُ(٢)

قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها عمر بن عبد العزيز. (٢٥٠/٤)

(٥٢)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ: أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قولَ الأحوص:

إذْ أنتِ فينا لمنْ ينْهاكَ عاصيةٌ وإذْ أجُرُّ إليكـم سـادراً رسني

فوثب أبو عُبيدةَ بن عمّار بن ياسرٍ قائماً ثم أرْخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرْض(٣) ثم رجع. فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس: ما شأنُك؟ فقال: أيُّها الأمير، إني سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني، فحلفتُ لا أسمعهُ إلاّ جررْتُ رَسني. (٢٦١/٤)

---

(١) الأشقر من الدواب: الأحمر في مُغْرة حمرة صافية يحمرُّ منها السُّبيب، والمَعْرَفَة والناصية، والأشقر: الدم الذي لم يَعلُه غبار، ينظر لسان العرب (٤٢١/٤).

(٢) رجل مَقْنع: يُقْنع به ويُرضى برأيه، وقضائه.

(٣) العِرض: الوادي فيه زرع ونخل؛ يقال: أخصبت أعراض المدينة؛ وهي قراها التي في أوديتها، ويراد به هنا مكان بعينه.

(٥٣)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيْزة قال: هجا الأحوصُ رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير، وكان كثير المال؛ فغضب من ذلك، فخرج حتّى قدِم على الفرزدق بالبصْرة وأهدى إليه وألطفه(١)، فقبل منه، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار. قال: ما أقدَمك؟ قال جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني. قال: قد أجارك الله منه وكفاكَ مؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني. فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

ألا قِفْ برسْمِ الدّارِ فاسْتنطِقِ الرَّسْما فقدْ هاج أحزاني وذكّرني نُعْما

قال بلى. قال: فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعْره. فخرج ابن بشير فاشترى أفضلَ من الشِّراء الأوّل من الهدايا، فقدم بها على جرير؛ فأخذها وقال له: ما أقْدمك؟ قال: جئتُ مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني. فقال: قد أجارك الله عزّوجل منه وكفاك، أين أنت عن ابن عمّك الأحْوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني. قال: فأطرق ساعةً ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشّى بشِتْمي في أكاريس مالكٍ تُشيدُ به كالكلْبِ إذ ينْبَحُ النُّجْما(٢)
فما أنا بالمخْسُوسِ في جِذمِ مالكٍ ولا بالمُسمّى ثم يلْتزِمُ الإسْما(٣)
ولكنّ بيتي إنْ سألتَ وجدتَه توسّطَ منها العزَّ والحسبَ الضَّخْما

قال: بلى والله. قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره. قال: فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه. (٢٦٣/٤)

(٥٤)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان ـ قال الحرميّ: أحْسِبُه ابنَ عبد الرحمن المخزوميّ ـ قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال: قيل لُحْرز بن جعفر: أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، ونراك تلْزم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إنّ هناك للشَّعْرَ عينَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبُهم الأحوص الذي يقول:

يقولون لو ماتت لقد غاض حُبُّهُ وذلك حينَ الفاجعاتِ وحيني

---

(١) ألطفه: أكرمه وبرّه بطرف التّحف.

(٢) أكاريس: جمع الجمع لكرس، وهو هنا الجماعة من الناس.

(٣) الجذم: الأصل.

لعمْرُك إنّي إنْ تُحَمَّ وفاتُها بصُحْبة مَنْ يبْقى لَغيْرُ ضنينِ

وهو الذي يقول:

وإنّي لكَرّامُ لسادات مالكٍ وإنّي لنوْكى مالك لسبُوبُ(١)

وإنّي على الحلْمِ الذي من سجيّتي لحمّالُ أضْغانٍ لهُنّ طلُوبُ (٢٦٨/٤)

(٥٥)

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه: حدّثنا المدائنيّ: أنّ الوليد جلس يوماً في مجلس له عامٍّ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشده ثم وثب طريح، وهو عن يسار الوليد، وكان أهلُ بيته عن يمينه، وأخوالُه عن شماله وهو فيهم، فأنشده:

أنت ابنُ مُسْلَنْطَح البطاح ولم تُطرقْ عليك الحُنيُّ والولُجُ(٢)

طوبى لفرْعيْكَ من هنا وهنا طُوبى لأعراقك التي تشجُ(٣)

لو قلتَ للسيل دعْ طريقك والـ ـموجُ عليه كالهضْب يعتلجُ(٤)

لساخ وارتدّ أو لكانَ له في سائر الأرض عنك مُنْعرجُ

فطرب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه، وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي، فلا يُنشدْني أحدٌ بعده شيئاً؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طُريحاً عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر. (٣١٦/٤)

(٥٦)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي: حدّثني مُصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول: ركِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله بإسماعيل بن يسار النَّسائيّ حتّى أتى به قُباءَ؛ فاستخرج الأحوص فقال له: أنْشدني قولك:

ما ضرّ جيراننا إذ انتجعوا لو أنّهم قبل بيْنهم ربعُوا

---

(١) النوكى: الحمقى، وسبوب: شاتم.

(٢) المسلنطح من البطاح: ما اتّسع واستوى سطحه منها، وتُطرق عليك: تُطبق عليك وتغطّيك وتضيّق مكانك، والحُنيّ: الأزقّة، والوُلُج: واحدتها ولَجَة: وهو الفامض من الأرض، ينظر لسان العرب (٣٩٩/٢).

(٣) تَشِج: تشتبك وتلتف. (٤) يعتلج: يلتطم.

فأنشده القصيدة. فأعْجب بها، ثم انصرف. فقال له إسماعيل بن يسار: أما جئتَ إلاّ لما أرى؟ قال لا. قال: فاسمعْ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ما ضرَّ أهلك لو تطوُّف عاشقٌ بفناء بيتك أو ألمَّ فسلَّما

فقال: والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنك قلتها لما أتيتهُ. (٤/٤١٤)

(٥٧)

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ والحرميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمه محمد بن عبد العزيز: أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له: يا عمّي، إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنك ناصحٌ لقومك، فإن كان جيّدا قلتُ، وإن كان رديئاً كففتُ؛ فقال له: أنشد، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

منع اللهوَ والهوى وسُرى الليلِ مُصْعبُ
وسياطٌ على أكفِّ رجالٍ تقلَّبُ

فقال: قل يابن أخي فإنك شاعر. (٥/٧٦)

(٥٨)

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد: قرأت على أبي: أوَ بلغك أن ابن أبي عتيق أنشد قول ابن قيس: سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها. فقال: كانت هذه يابنَ أمٍّ فيما أرى عمْياء. (٥/٨٨)

(٥٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي مصعب عن جدّي (عن) هشام بن سليمان المخزومي قال: قال ابن أبي عتيق لعُبيد الله بن قيس وقد مرَّ به فسلَّم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العمياء؛ فقال له: ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ! بأبي أنت! قال: أنت سميّتَ نفسك حيث تقول: سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
فما يستوي الليلُ والنهارُ إلا على عمْياء؛ قال: إنما عَنَيْتُ التعبَ، قال: فبيتك هذا يحتاج إلى ترْجُمان يترجم عنه. (٥/٨٨)

(٦٠)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال

حدّثني أبي عن عبد الرحيم بن حرْملة قال: كنتُ عند سعيد بن المسيَّب، فجاء ابنُ قيس الرقيّات، فهشَّ وقال: مرْحباً بظُفُر من أظفار العشيرة، ما أحدثتَ بعدي؟ قال: قد قلتُ أبياتاً وأستفتيكَ في بيت منها فاسمعها؛ قال: هات؛ فأنشده:

هل للدِّيارِ بأهلها عِلْمُ ... أم هل تُبينُ فينطقَ الرسمُ
قالتْ رُقَيَّةُ فيمَ تصرمُنا ... أرُقَيَّ ليس لوجهكِ الصَّرمُ
تخطُو بخلْخالَيْن حشْوُهما ... ساقانِ مارَ عليهما اللحم(١)
ياصاح هل أبكاك موقفُنا ... أم هل علينا في البُكا إثمُ

فقال سعيد: لا والله ما أبكاني؛ قال ابنُ قيس الرقيّات:

بل ما بكاك منزلاً خَلَقاً ... قفْراً يلُوح كأنه الوشْمُ

فقال سعيد: اعتذر الرجل. ثم أنشد:

أتلبثُ في تكْريتَ لا في عشيرةٍ ... شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ(٢)
وأنت امرؤ للحزم عندك منزلٌ ... وللدِّينِ والإسلام منك نصيب

فقال سعيدٌ: لا مُقام على ذلك، فاخرُجْ منها؛ قال: قد فعلتُ؛ قال: قد أصبت أصاب الله بك. (٩١/٥)

(٦١)

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال: أنْشد كُثيِّرٌ ابن عتيق كلمته التي يقول فيها:

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ ... قليلٍ ولا أرضى له بقليل

فقال له: هذا كلامُ مكافئٍ ليس بعاشقٍ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك: ابنُ أبي ربيعة حيث يقول:

ليتَ حَظِّي كلحْظةِ العينِ منها ... وكثيرٌ منها القليلُ المُهنَّا

وقوله أيضاً:

---

(١) مار: تردّد وتحرّك واضطرب.

(٢) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، تبعد عن بغداد ثلاثون فرسخاً، لها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة. ينظر معجم البلدان (٣٨/٢)، وقد أورد ياقوت بيت ابن الرقيات هذا.

فَعِدي نائلاً وإن لم تُنيلي إنـه يُقنعُ المحبَّ الرجاءُ

وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول:

رُقيَّ بعيشكم لا تهجُرينا ومنّينا المُنى ثم امطُلينا
عدينا في غدٍ ما شئتِ إنّا نُحبّ وإن مطلتِ الواعدينا
فإمّا تُنجزي عدتي وإمّا نعيشُ بما نُؤمّل منكِ حينا

قال: فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى، فقال: صدق ابن أبي عتيق وفّقه الله، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول:

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ لبـاكٍ ولا ليلى لـذي الـودِّ تبذُلُ
وأخنعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبَتْ كنتُ الـذي أتنصّـلُ (٩٥/٥)

(٦٢)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيّر قال: كان كثيّر مديونا، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة: اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدّث عنده؛ قال: فذهبت إليه معه؛ فاستنشده ابنُ أبي عتيق، فأنشده قوله: أبانتةً سُعدى نعم ستبينُ

حتى بلغ إلى قوله:

وأخلفْنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي وليس لمن خـان الأمـانةَ دينُ

فقال له ابن أبي عتيق: أعلى الأمانة تَبِعْتَها(١)! فانكفَّ واستغضب نفسه وصاح وقال:

كذبْنَ صفاءَ الودِّ يوم محلّه وأنكدنني من وعدهنَّ ديونُ

فقال له ابن أبي عتيق: ويْلك! هذا أملح لهنَّ وأدعى للقلوب إليهنّ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهنّ! أما سمعتَ قوله:

حـبَّ ذاكَ الـدلُّ والغُـنُـجُ والتي في عـينهـا دعجُ
والتي إن حـدَّثتْ كـذبتْ والتي فـي وعـدهـا خلَـجُ

---

(١) من الملاحظ أنّ النقد في أغلب الأحيان جزئي، يقوم على نقد الكلمة المفردة، أو المعنى الدقيق، ولكن عند جمع هذه (النقدات) من الممكن أن نحصل على اتجاه عام يتضمّن هذا النقد من حيث المؤثرات والخصائص.

وترى في البيت صـــورتها مثلما في البيعة السُّـرُجُ(١)
خـــبِّروني هل على رجـلٍ عـــاشقٍ في قُبلةٍ حـــرجُ

قال: فسكن كُثيِّر واستحلى ذلك، وقال: لا! إن شاء الله؛ فضحك ابن أبي عتيق حتى ذُهِبَ به.
(٩٨/٥)

(٦٣)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن غُرير الزُّهْريّ قال: أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قول ابن قيس الرقيّات:

قد أتانا من آل سُعْدى رسولُ حـبَّذا مـا يقـول لـي وأقـولُ
مِنْ فتاةٍ كأنّها قرْنُ شمسٍ ضـاقَ عنها دمالـجٌ وحُجُـولُ(٢)
حـبَّذا ليلتي بمِـزَّة كـلـبٍ غـال عنّي بهـا الكوانين غُولُ(٣)

فقال لي: يابنَ الأمير ما تُراه كان يقول وتقول؟ فقلت:

حديثاً كما يسري النّدى لوسمعته شـفاك من ادواءٍ كـثيرٍ وأسْـقما

فطرِب وقال: بأبي وأمي! ما زلتُ أحبّك، ولقد أضعف حبّي إياك حين تفهم عني هذا الفهم.
(٩٩/٥)

(٦٤)

أخبرني أحمد بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعيْم قال حدّثني كثير بن أبي جعفر الحزاميّ الكوفيّ عن أحمد بن جوّاس الحنفيّ عن أبي بكر بن عيّاش قال: كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء، فأجد ذلك يشتدّ عليّ، حتّى مَررتُ ذات يوم بالكُناسة(٤)، فإذا أنا بأعرابيّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشد:

خليليّ عُوجا منْ صُدور الرَّواحـلِ بجرعاءِ حُزْوى فابكيا في المنازلِ(٥)

---

(١) البيعة: مكان العبادة لدى اليهود أو النصارى.
(٢) دمالج: جمع دملج وهو المعضد من الحلي، أي حلية تُلبس في العضد، والحجول: جمع حجل وهو الخلخال، يريد أنّها بضّة سمينة ضاقت عنها دمالجها، وحجولها.
(٣) مِزّة كلب: قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ، والكوانين: الثقلاء من الناس، والغول: الداهية. (٤) الكُناسة: محلّة بالكوفة.
(٥) حُزْوى: من رمال الدّهناء، ينظر معجم البلدان (٢٥٥/٢)، وقد أورد ياقوت بيت ذي الرمّة هذا.

لعلَ انحدار الدُّمع يُعقِب راحةً من الوجد أويشفي نجيُّ البلابل

فسألتُ عنه فقيل لي: هذا ذو الرُّمة؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجد لذلك راحة؛ فقلت: قاتل الله الأعرابيَّ! ما كان أعلمه وأفصح لهجته!. (٣٦٤/٥)

(٦٥)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد قال: كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببطْحاء ابنِ أزْهر (على ستة أميال من المدينة، حيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزومي معنا، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغزل، وبين أيدينا طبقٌ عليه فريك(١) فنحن نُصيب منه، والحسن يومئذ عاملُ المنصور على المدينة؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سلْم وجعل يمُدُّ به صوته ويُطرِّبه:

فعرَّسْنا ببطن عُرَيْتنات ليجْمَعنا وفاطمةَ المسيرُ(٢)
أتنْسى إذ تَعرَّض وهو بادٍ مُقلَّدُها كما برق الصُّبير(٣)
ومن يُطِع الهوى يُعْرَفْ هواه وقد يُنْبيك بالأمر الخبير
على أني زفرْتُ غداةَ هرْشى فكاد يُريبهم منّي الزَّفير(٤)

قال: فأخذ أبو السائب الطبقَ؛ فوحَّش(٥) به إلى السماء، فوقع الفريكُ على رأس الحسن بن زيد؛ فقال له: مالك؟ ويْحك! أجنُنتَ! فقال له أبو السائب: أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله (ص) إلاَّ ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوت ومددْتَه كما فعلتَ! قال: فما ملك الحسنُ نفسه ضحكا، وردَّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إيَّاه. قال ابنُ أبي الزِّناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابن أبي الزِّناد، أما سمعت مدَّه: ومن يُطع الهوى يُعْرَفْ هواه

فقلت نعم؛ قال: لو علمتُ أنه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات، أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمد الرازيّ وعمّي قالا حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذليّ. (١٦/٦)

---

(١) الفريك: طعام يفرك ويلَّت بسمن وغيره.

(٢) عرَّس القوم: نزلوا في السَّفر في آخر الليل للاستراحة ثم يرتحلون، وعريتنات: اسم واد.

(٣) المقلَّد: موضع القلادة وهي الرقبة، والصُّبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٤) هَرْشَ: ثنيَّة قرب الجحفة في طريق مكّة يُرى منها البحر.

(٥) وحَّش: رمى.

(٦٦)

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن معْن الغفاريّ قال أخبرني ابن الربيح قال: مرَّ بنا جميل ونحن بضريّة(١)، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقتُ الأسود (يريد بالأسود الشاعر نصيب) إلى قوله:

بزينبَ ألمم قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا ـ لشيءٍ قاله عظيم ـ . (١٢٠/٦)

(٦٧)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كُناسة قال: قال نصيب: ما توهمت أنّي أحسن أن أقول الشعر حتى قلت:

بزينب ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركب(٢) (١٢٠/٦)

(٦٨)

أخبرني الحرمي قال حدّثني الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن حبيب بن شوذب الأسديّ قال: مرَّ بنا جرير بن الخطفى ونحن بضريّة، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول: لأن أكونَ سبقتُ العبد إلى هذا البيت أحبُّ إليَّ من كذا وكذا: يعني قوله:

بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ (١٢١/٦)

(٦٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله السُّعدي عن جدّته جمال بنت عوْن عن جدِّها قال: قلت للنُصيب: أنشدني يا أبا محْجن من شعرك شيئاً؛ فقال: أيُّه تريد؟ قلت: ما شئت؛ قال: لا أنشدكَ أو تقترح ما تريد؛ فقلت: قولك: بزينبَ ألْمِمْ قبلَ أن يرحلَ الركبُ.

قال: فتبسّم وقال: هذا شعرٌ قلته وأنا غلام؛ ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: وهي أجود ما قال. (١٢٣/٦)

---

(١) ضريّة: قرية عامرة قديمة في طريق مكة من البصرة من بلاد نجد.

(٢) هذا من باب نقد الشعراء لأنفسهم، ونحن نعلم أنّ أولّ ناقد لشعر الشاعر، هو الشاعر نفسه، فكأنّه رأى في هذه القصيدة تميّزاً، ونمطاً جديداً لم يقُل مثله من قبل فحكم عليها بالجودة.

(٧٠)

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن علي بن منصور قال أخبرني أبو عتاب عن إبرهيم بن محمد بن العباس المطلبيّ: أنّ سعيد بن المسيب مرّ في بعض أزقّة مكة. فسمع الأخضر الحربي يتغنّى في دار العاص بن وائل ببيت النميري:

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... بـه زينب فـي نسـوة خَفِـراتِ(١)

فضرب برجله وقال: هذا والله ممّا يلذ استماعه(٢) (٢٠٢/٦)

(٧١)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حمّاد الراوية قال: دخلت يوما على الوليد وكان آخرَ يوم لقيتُه فيه، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام؛ فما هشَّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعمار ذي كنان مجنبذاً:

أشـتـهي مِنْك منك منـ ... ـك مكـانا مُجَنْبذا(٣)
فـأجـا فـيـه فـيـه فـيـ ... ـه بأيْـر كـمـثـل ذا
ليتَ أيْـرى وحـرك يـو ... مـا جـمـيـعـاً تجـابذا
فـأخـذ ذا بشـعـر ذا ... وأخـذ ذا بقـعـر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب؛ وجعل يستعيدني الأبياتَ فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة؛ فعلمتُ أن أمره قد أدبرَ. ثم أدخلتُ على أبي مُسْلِم فاستنشدني فأنشدتُه، قول الأفوه: لنا معاشرُ لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله:

تُهدى الأمورُ بأهل الرشد ما صلَحَتْ ... وإن تولّـت فبالأشـرارِ تنقـادُ

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبل(٤). (٥٦/٧)

---

(١) نَعْمان: وادٍ بين مكة والطائف، وقيل: وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات، ينظر معجم البلدان (٢٩٣/٥).

(٢) لعلّه أعجب بالشعر والغناء معاً. فمن الشائع عندهم أنّ الغناء يحسّن الشعر، وينشره، ويضيف له أبعاداً من الجمال جديدة (٣) المجنبذ: المرتفع.

(٤) كأنّ حمّاد الراوية يضع مقياساً لإدبار شخص أو إقباله بنوع الشعر الذي يُعجب به، ويطرب له. فقد =

استحسن الوليد شعراً في السُّخف، واستحسن أبو مسلم شعراً في الحكمة، وبينهما بَوْنٌ شاسع، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ حماد الراوية كان هواه أمويّاً.

(٧٢)

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد: أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدّي يزيد بن ضبّة، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيدا حسناً، ولحق عليه حماراً فصرعه؛ فقال لجدّي: صِفْ فرسي هذا وصيدنا اليوم؛ فقال في ذلك:

وأحْوى سلِسُ المرْسِـن مـثلُ الصِّدَع الشَّعْب(١)
سـما فـوق مُنيـفـاتٍ طوالٍ كـالقنا سُـلْب(٢)
طويلُ الساق عُنْجُوجٌ أشـقُّ أصـمعُ الكعْب(٣)
علي لاحِمٍ أصـمَّ مُضـمَّـرِ الأشْعـر كـالقـعْب(٤)
ترى بيـن حـوامـيـه نُسُـوراً كنوى القـسْب(٥)
مُعـالىً شنجُ الأنْسـا ءِ سـامٍ جُرْشُعُ الجنْب(٦)
طوى بين الشراسيف إلى المـنْقـب فـالقـنْب(٧)
يفـوص الملحم القـائـ ـم نو حـدّ ونو شـفْب
عَتيدُ الشـدّ والتّقْـريـ ـب والإحْضارِ والعقب(٨)

---

١) المرسن: الأنف، والصِّدَع: الشاب القوي من الأوعال والظباء، والشَّعَب: تباعد ما بين القرنين فهو وصفٌ بالمصدر (٢) الرمح السُّلب: الطويل.

(٣) العُنْجوج: الرائع من الخيل، والأشقّ: الطويل، والصمع في الكعوب: لطافتها واستواؤها.

(٤) اللام: الشديد من كلّ شيء، ومن الحوافر: أشدُّها، يريد على حافر شديد صلب، والأشعر: ما استدار بالحافر من منتهى الجلد حيث تنتهي الشعيرات حول الحافر، والقعب: القدح الصغير يشبّه به الحافر.

(٥) الحوامي: ميامين الفرس ومياسره، والنسر: لحمة صلبة في باطن الحافر كأنّها حصاة أو نواة، والقسب: تمر يابس يتفتّت في الفم صلب النواة.

(٦) الأنساء: جمع نسا وهو عرق يخرج من الورك فيستطير الفخذين ثمّ يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، وفرسٌ شنج النسا: متقبّضه وهو مدح له، وجرشع الجنب: منتفخه.

(٧) الشراسيف: أطراف أضلاع الصّدر التي تشرف على البطن، والمَنْقَب: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدّابة، والقنب: جراب قضيب الدّابة.

(٨) يقال فرس عتيد: شديد الخلق معدّ للجري، والتقريب: ضرب من العدو، وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً وهو دون الإحضار، والعقب: الجري يجيء بعد الجري الأول.

صليب الأذن والكاهـ ـل والموقف والعَجْب(١)
عريض الخدّ والجبْهـ ـة والبِرْكة والهُلْب(٢)
إذا ما حثّه حاثٌّ يباري الرّيحَ في غرْب(٣)
وإن وجّهه أسْر ع كالخُذْرُوفِ في الثُّقْب(٤)
وقفْاهنّ كالأجْدَ ل لما انضمّ للضَّرْب
ووالى الطعنَ يختار جواشنَ بُدْنٍ قُبّ(٥)
ترى كلَّ مُدلٍّ قا نمًا يلْهث كالكلب(٦)
كأن الماء في الأعطا ف منه قطَعُ العُطْب(٧)
كأن الدَّمَ في النَّحْر تذالٌ عُلَّ بالخضْب(٨)
يزينُ الدار موقوفاً ويشْفي قرمَ الرُّكْب(٩)

قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيباً(١٠) وأعْطِهِ الفُزَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنّيا فيه؛ فقال:

إلى هندٍ صبا قلبي وهندٌ مثلُها يُصْبي
وهندٌ غادةٌ غيْدا ءُ جُرْثومةٍ غُلْبِ(١١)
وما إنْ وجدَ الناسُ من الأدواء كالحبِّ
لقد لجَّ بها الإعرا ضُ والهجرُ بلا ذنبِ

---

(١) الموقفان من الفرس: نقرتا الخاصرة على رأس الكلية، والعجب: أصل الذَّنَب عند رأس العصعص.
(٢) البِركة: الصدر، والهلب: شعر الذَّنَب. (٣) غرب الفرس: حدّته ونشاطه.
(٤) الخذروف: شيء يدوِّره الصبي بخيط في يده فيُسمع له دويّ.
(٥) الجواشن: الصدور، وقُبّ: مرتفعات. (٦) مُدلّ: جريء.
(٧) العُطْب: القطن. (٨) عُلّ: مُزِجَ.
(٩) القرم: الشهوة إلى اللحم.
(١٠) ذكرنا في القضية السابقة أنّ الشعراء كانوا يحافظون على نسق القصيدة العربية من حيث أغراضها، ونرى الوليد، وهو الشاعر، يطلب من الشاعر أن يجعل لقصيدته تشبيباً يكون فاتحتها، فلا مناص من وجوده في القصيدة وإلاّ جاءت ناقصة، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الأبيات تذاع، وتُسمع بلا تشبيب، ولكن عندما يُراد منها أن تكون قصيدة يعمد الشاعر فيضع ما شاء من أبيات تكون تشبيباً لها.
(١١) الجرثومة: الأصل، والغُلب: جمع أغلب، وهو في الأصل الغليظ الرقبة، وهم يصفون السادة أبداً بغلظ الرقبة وطولها.

ولَمَا أقْضِ مِن هندٍ ومن جاراتها نحْبي(١)
أرى وجدي بهندٍ دا ئماً يزْداد عن غِبِّ(٢)
وقد أطْوِلتُ إعراضاً وما بغضُهُم طبيَ
ولكن رِقْبةُ الأعين قد تحجزُ ذا اللُّبِّ (١٠٠/٧)

(٧٣)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حَدثني الزبير قال حدَّثني عمّي قال حدّثني القاسم بن المعتمر الزُّهْريّ قال: قلتُ لأبي السائب المخزوميّ: يا أبا السائب، أما أحسن أبو دهبل حيث يقول:

أأتْرُك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنّي إذاً لصبورُ
هبُوني امرأً منكم أضلُّ بعيره له ذمّة إن الذِّمام كبيرُ
وللصاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّةً على صاحبٍ من أن يضلَّ بعيرُ

قال: فقال لي: وبأبي أنت! كنتُ والله لا أحبُّك وتثْقُل عليّ، فأنا الآن أحبّك وتخفُّ عليّ. (١٤٣/٧)

(٧٤)

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ: قال خالد بن كُلْثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبتُ لعجْلٍ إذ تُهاجي عبيدها كما آلُ يرْبُوعٍ هجْوا آلَ دارمِ(٣)

يعْني بعبيدها بني حنيفة. وقال جرير بيتا هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبعيث وأمَّه وأبا البعيث لشرُّ ما إسْتارِ(٤)

قال: وقال جرير: لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعرا قبلي، قلتُ:

من الأصلاب ينْزِل لؤمُ تيْمٍ وفي الأرحام يُخلق والمشيمِ (٥/٨)

(٧٥)

قال ابن سلاّم: وحدّثني أبو البيْداء قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير، وهما:

---

(١) نحبي: حاجتي. (٢) الغبّ: قلّة الزيارة.

(٣) آل دارم: قوم الفرزدق، وآل يربوع: قوم جرير.

(٤) إسْتار: من العدد: الأربعة، وما زائدة يريد أنّ هؤلاء المذكورين في البيت شرّ أربعة.

وعاوٍ عوى من غير شيء رميتُه بقارعةٍ أنْفاذُها تقْطُرُ الدُّما
خروجٍ بأفواه الرُّواةِ كأنَّها قرا هُنْداونيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما(١)

فاتْبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنِّ والإنس ما أغْنوْا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويْحكم ألام على أن يغلبني مثلُ هذا!. (٩/٨)

(٧٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة، قالا: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة، فقال الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواء وطلاء(٢) وغناء. قال: ذلك لك، ومضى به إلى قيْنة بالمدينة؛ فغنّتْه:

ألا حيِّ الديار بِسُعْد إنِّي أحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيارا(٣)
إذا ما حلَّ أهلُكِ يا سُلَيْمى بدارةِ صلْصلٍ شحطوا مزارا(٤)
أراد الظاعنون ليحْزُنُوني فهاجُوا صدْعَ قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرقَّ أشعاركم يأهل الحجاز وأمْلحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، قال: فهو والله لجريرٍ يهْجوك به. فقال: ويْلُ ابنِ المراغة! ما كان أحْوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحْوجني مع شهواتي إلى رقَّة شعره!(٥). (١١/٨)

(٧٧)

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاقَ الموْصليّ، وأخبرني محمد بن مزْيد عن حمّاد عن أبيه قال (قال) إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم علينا جريرٌ المدينةَ فحشدْنا له. فبينا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ قلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟

---

(١) قرا: وسط الشيء وظهرُه. والهنداوني: المنسوب للهند، وهو السيف.

(٢) الطِّلاء: من أسماء الخمر. (٣) سُعْد: موضع بنجد.

(٤) دارة صلصل: لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد. ينظر معجم البلدان (٤٢٨/٢)، وأورد ياقوت بيت جرير هذا. والدارة: كلُّ جَوْبةٍ بين جبال في حَزْن كان ذلك أو سهل وهي كذلك رمل مستدير في وسطه فجوة، وتجمع الدارة دارات، وقد أحصى ياقوت في معجم البلدان (٤٢٤/٢)، ستين دارة ونيّف، استخرجها من كتب العلماء المتقنة، وأشعار العرب المحكمة. وأفواه المشايخ الثقات، واستدلَّ عليها بالأشعار.

(٥) فصّلتُ الحديث عن قضية الصلابة في شعر الفرزدق، والرِّقة في شعر جرير، في كتابي الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٨٣ ـ ٨٦).

قال: أخْزِيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: من الرجل؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلح. قال: هذا الخبيث ابنُ الطيِّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلت:

يَقَرُّ بعيْني ما يَقَرُّ بعينها وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنه يقرُّ بعينها أن يدخلُ فيها مثلُ ذراع البكْر، أفيقرُّ ذلك بعينك؟ (١٢/٨)

(٧٨)

قال المدائنيّ وحدّثني عوانة بن الحكم قال: جاء جرير إلى باب سُكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيّدتي: أنت القائل:

طرقتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجعي بسلام

قال نعم. قالت: فإنّ أخذتَ بيدها فرحبْتَ بها وأدنيتَ مجلسها وقلتَ لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضَعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحقْ بأهلك. (٣٨/٨)

(٧٩)

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا العباس بن ميمون قال حدّثنا التُّوزيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسيب قال: دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمة يُنشده. فقال المهاجر بن عبد الله لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنْعم. ففضب ذو الرُّمة ونهض وهو يقول: أنا أبو الحارثِ واسْمي غيْلانُ

فنهض جرير وقال:

إنّي امرؤٌ خُلقتُ شكْساً أشُوسا إن تضْرساني تضْرسا مُضرّسا(١)

قد لبس الدهرَ وأبقى ملْبسا من شباءَ من نارِ الجحيمِ اقتبسا

قال: فجلس ذو الرُّمة وحاد عنه فلم يُجبْه. (٥٤/٨)

(٨٠)

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني العُمريّ عن لقيط قال حدّثني أبو بكر بن

---

(١) الشكس: الصعب الخلق، والأشوس: الذي ينظر بمؤخر عينه تكبّراً أو تغيّظاً. والجريء على القتال الشديد، وضرسه: عجمه ليختبره.

نوفل قال حدّثني من سأل النُّصيبَ قال: قلت له: يا أبا مِحْجن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأحبَّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ قولك:

أضربُها التهجيرُ حتى كأنّها ... أكبُّ عليها جازرٌ مُتعرِّقُ(١)

وقال جميل: أضربُها التهجيرُ حتى كأنها ... بقايا سُلالٍ لم يدعْها سُلالُها(٢)

وقال جرير: إذا بلغوا المنازل لم تُقيِّدْ ... وفي طُول الكلالِ لها قيودُ

فقال نُصيب: قاتل الله ابنَ الخطفى! ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أمّا أنت فقد فضلته؛ فقال: هو ما أقول لك. (٨/٥٩)

(٨١)

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال: لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير:

هذا ابن عمِّي في دمشق خليفةٌ ... لو شئتُ ساقكُمُ إليّ قطينا(٣)

قال: مازاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرْطيّاً! أما إنّه لو قال: لو شاء ساقكم إليَّ قطينا لسقتُهم إليه كما قال. (٨/٦٠)

(٨٢)

أخبرنا أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني حاجب بن زيد بن شيْبان بن علْقمة بن زُرارة قال: قال جرير بالكوفة:

لقد قادني من حُبِّ ماويَّةَ الهوى ... وما كنتُ تلقاني الجنيبةُ أقودا(٤)
أحبُّ ثرى نجْدٍ وبالغوْرِ حاجةٌ ... فغار الهوى يا عبدَ قيْسٍ وأنْجدا
أقول له يا عبد قيْسٍ صبابةً ... بأيِّ ترى مستوقد النار أوْقدا
فقال أرى ناراً يُشبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاضَ الجزْع شيحاً وغرْقدا(٥)

فأعجبت الناس وتناشدوها. قال: فحدّثني جبار بن جنْدل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بابنِ القيْن وقد قال:

---

(١) التعرُّق: إزالة ما على العظم من اللحم. (٢) السُّلال: مثل السُّل وهو داء معروف.
(٣) القطين: الخدم والأتباع. (٤) الجنيبة: التي تجنب معه، والأقود: المنقاد المطيع.
(٥) الغرقد: كبار العوسج.

أعِدْ نظراً يا عبدَ قيْسٍ لعلّما أضاءت لك النارُ الحمارَ المقيَّدا(١)

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حمارٌ بمرُّوتِ السُّحامةِ قاربتْ وظيفيْه حوْلَ البيتِ حتى تردَّدا(٢)
كُليْبيَّةٌ لم يجعلِ اللهُ وجهها كريماً ولم يُسنحْ بها الطيرُ أسْعُدا

قال: فتناشدها الناسُ. فقال الفرزدق: كأنكم بابنِ المراغة قد قال:

وما عِبْتَ من نارٍ أضاء وُقُودُها فراساً وبسْطام بنَ قيْسٍ مقيَّدا(٣)

قال فإذا بالبيتِ قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأوْقدتَ بالسِّيدانِ ناراً ذليلةً وأشْهدْتَ من سوْءاتِ جعثَنَ مشْهدا(٤) (٦١/٨)

(٨٣)

أخبرني أبو خليفة قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال: كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان يُنْشد أرْجوزةً له يصف فيها إبله وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قد وردتْ قبل أنا ضحائها تُفرِّسُ الحيّاتِ في خرْشائها(٥)
(جرُّ العجُوزِ الثُّنيَ من ردائها)

فقال له جرير: أخْفقتَ. فقال: كيف أقول؟ قال تقول: جرُّ العرُوسِ الثُّنيَ من ردائها

فقال له التَّيْميّ أنت أسوأ قولاً منّي حيث تقول:

وأوْثقُ عند المُرْدفاتِ عشيَّةً لَحاقاً إذا ما جَرّد السيفَ لامعُ

فجعلتهنّ مُرْدفاتِ غُدْوةً ثم تداركْتهنّ عشيَّةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

وأوْثقُ عند المُرْهفات عشيَّةً

---

(١) يريد حماراً من حمير بني كليب وذلك أنّهم أصحاب حَمير، يهجوهم بذلك، ويؤنّبه ويضع من قدره، نسبة إلى رعية الحمير. (٢) المرُّوت: موضع لبني جمان بن عبد العزّى بن كعب بن سعد، والسحامة: ماءة لبني كليب باليمامة، الوظيفان: موضع القيدين.

(٣) يريد فراسي بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير، وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود.

(٤) السيدان: موضع، وجعثن: أخت الفرزدق، يريد بهذا البيت تعريضاً بالفرزدق وأخته.

(٥) الأنا: الوقت، والضحاء: الضحى، وتفرِّس: تقتل، والخرشاء: جلد الحيّة.

فقال جرير: والله لهذا البيتُ أحبُّ إليَّ من بكْري حزْرة(١)، ولكنك مُجْلِبٌ(٢) للفرزدق. قال: ثم اجتمع جرير وابن لجإ بالمدينة وقد وردها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألَّه(٣) في نفسه، فقال: أتقْذِفان المُحْصناتِ وتُغْضبانهنَّ! ثم أمر أبا بكر محمد بن حزْم الأنصاري - وكان والياً له بالمدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البَلْس(٤) مقرونيْن، والتَّيْميُّ يومئذٍ أشبُّ من جرير. فجعل يشُولُ(٥) بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المشُولُ به:

فلَسْتُ مُفارقاً قَرَنيَّ حتى ... يطُولَ تصعُّدي بك وانحداري

فقال ابن لجإ: ولمَّا أن قُرِنتُ إلى جريرٍ ... أبى نو بطْنه إلاَّ انحدارا(٦)

فقال له قدامة بنُ إبراهيمَ الجُمَحيّ: وبئْسما قلت! جعلت نفسك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقول. قال تقول: ولمَّا لُزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال: جُزيتَ خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا. (٧٠/٨)

(٨٤)

... كان الفرزدق إذا أنشد (قصيدة جرير:

حيَّ الهِدَمْلةَ من ذات المواعيسِ ... فالحِنْو أصبحَ قفْراً غير مأنوسِ)(٧)

يقول: مثلها فليقل ابن اللُّخناء(٨) ... (٨٤/٨)

(٨٥)

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال: وقف جميلٌ على الحزين الدِّيْليّ والحزينُ يُنشد الناس. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تسْمع شعري؟

---

(١) حَزْرة: ولده، وبه يكنى.

(٢) مجلب: معين، واجتلاب الشعر: سوقه وأخذه من الغير، وهو من مصطلحات السرقات الشعرية، وعدّه بعض النقّاد غير معيب إذا استخدمه الشاعر وخاصة إذا رأى «الشاعر بيتاً يصلح لموضع في شعره فيجتلبه» وعند ذاك «يكون لغير معنى السَّرَق» ينظر قراضة الذهب، لابن رشيق (٤٣)، وينظر العمدة أيضاً (٢٨٢/٢).

(٣) التألّه: التنسك والتعبُّد.

(٤) البَلْس: غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن، ويشهر عليها مَنْ ينكل به، ويُنادى به.

(٥) يشول به: يرتفع به. (٦) نو البطن: الرجيع.

(٧) الهدملة، والمواعيس، والحنو مواضع.

(٨) يلاحظ أنّ هذا السبَّ دلالة على الإعجاب بالقصيدة، وقد رأينا نماذج منه فيما سبق.

الدِّيلُ أذنابُ بكْرٍ حين تنسبُهم وكلُّ قومٍ لهم من قومهم ذنبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه الله إلاَّ كفَّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف. (١٣٣/٨)

(٨٦)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء ومحمد بن مزْيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخْزوميّ قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة: يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال: شهدتُ عمرَ بن أبي ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن معْمر وقد اجتمعا بالأبطح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته:

لقد فرِحَ الواشون أن صرمَتْ حبْلي بُثينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ

يقولون مهْلاً يا جميلُ وإنّني لأقسم ما بي عن بُثينة من مهْلِ

أحِلْماً فقبل اليوم كان أوانُه أم اخْشى فقبل اليوم أُوعدتُ بالقتلِ

لقد أنْكحُوا حرْبي نُبيهاً ظعينةً لطيفةَ طيِّ البطْنِ ذاتَ شوىً خدْلِ(١)

وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ لآخر لم يعْمدْ بكفٍّ ولا رجلِ

إذا ما تراجعْنا الذي كان بيننا جرى الدمعُ من عيْني بُثَيْنةَ بالكحلِ

كلانا بكى أو كاد يبْكي صبابةً إلى إلْفِهِ واستعْجلتْ عبْرةً قبلي

فلو تركتْ عقْلي معي ما طلبتُها ولكنْ طلابيها لما فات من عقلي

فيا ويْحَ نفسي حسْبُ نفسي الذي بها ويا ويْحَ أهلي ما أصيب به أهلي

وقالت لأتْرابٍ لها لا زعانفٍ قصارٍ ولا كُسِّ الثّنايا ولا عُثْلِ(٢)

إذا حميتْ شمسُ النّهارِ اتّقينها بأكسية الدِّيباج والخزِّ ذي الخمْلِ

تداعينَ فاستعْجمْنَ مشْياً بذي الغضا دبيبَ القطا الكُدريّ في الدِّمث السَّهْلِ(٣)

إذا ارتعْنَ أو فزِّعْنَ قُمْنَ حوالها قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ(٤)

أجِدِّيَ لا ألْقى بُثَيْنةَ مرَّةً من الدهر إلا خائفاً أو على رِجْلِ(٥)

---

(١) الشّوى: أطراف الجسم، والخدل: الممتلئ التام.

(٢) الزعانف: جمع زعنفة وهي القصيرة، والكسس: قصر الأسنان وصغرها، والثقل: جمع ثعلاء، والثعل: زيادة سنّ أو نخول سنّ تحت أخرى. (٣) الكُدْري: لون قريب من الرمادي.

(٤) بنات الماء: الطيور التي تلازم الماء، والضّحل: الماء القليل.

(٥) الرجل: الخوف أو الفزع من فوت الشيء.

خليليَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قبلي

قال: وأنشده عمرٌ قوله:

جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها فقرَّبني يوم الحصاب إلى قتلي
فما أنْسَ م الأشياءِ لا أنْسَ موْقفي وموقفها وهْناً بقارعة النخلِ
فلَّما تواقفْنا عرفتُ الذي بها كمثل الذي بي حذْوكَ النعلَ بالنعل
فقلْنَ لها هذا عشاءٌ وأهلُنا قريبٌ ألَمَّا تسْأمي مرْكبَ البغلِ
فقالت فما شِئْتُنَّ قلْنَ لها انزلي فلَلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رحْلِ
فأقْبلْنَ أمثالَ الدُّمى فاكتنفْنها وكُلٌّ يُفْدِّي بالمودَّة والأهلِ
نُجومٌ درايٌّ تكنَّفْنَ صورةً من البدر وافتْ غير هُوجٍ ولا نُجلِ(١)
فسلَّمْتُ واستأنستُ خيفةَ أن يرى عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي
فقالت وألقتْ جانبَ السِّتْرِ إنما معي فتحدَّثْ غير ذي رِقْبةٍ أهلي
فقلتْ لها ما بي من ترقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يحملُه مثلي
فلما اقتصرْنا دونهنَّ حديثنا وهُنَّ طبيباتٌ بحاجة ذي التَّبْلِ(٢)
عرفْنَ الذي نهْوى فقلْنَ ائذني لنا نَطُفْ ساعةً في بردِ ليلٍ وفي سهْلِ
فقالتْ فلا تَلْبَثْن قلْنَ تحدَّثي أتَيْناكِ وانْسَبْنَ انسيابَ مَها الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقد أفْهمْنَ ذا اللُّبِّ إنما أتيْنَ الذي يأتين من ذاك من أجْلي

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطاب: لا أقولُ والله مثلَ هذا سجيس الليالي! وما خاطبَ النساء مخاطبتك أحد؛ وقام مشمِّرًا. (١٣٩/٨)

(٨٧)

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني علي بن الصبَّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثَرية، فلمَّا بُلِغَ إلى قوله:

بنفْسيَ مَنْ لو مرَّ بَرْدُ بنانه على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابني في كلِّ أمرٍ وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

طربَ لذلك وقال: هذا والله من مفنج الكلام. (١٦٢/٨)

---

(١) درايٌّ: منيرة، ونُجل: جمع نُجلاء، وصف من النُّجل وهو عظم البطن واسترخاؤه.

(٢) التَّبْل: أن يُسقم الهوى الإنسان.

(٨٨)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصبّاح قال: قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطُّثرية: هي والله من مغنج الكلام:

بنفسي مَنْ لو مرّ بردُ بنانه ... على كبدي كانت شفاءً أناملُهْ
ومنْ هابني في كلّ شيء وهبْتُه ... فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحْشيةَ الجرْميّة التي مضى ذكرها. (٨/١٧٠)

(٨٩)

أخبرني محمد بن خلف بن المرْزبان قال حدّثني أحمد بن الهيْثم بن فراس قال حدّثني أبو عمرو الخصّاف عن العُتْبيّ قال: خرج سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم مُعاونته، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن زيد قد طلّق امرأته العثمانية ليتزوّج أختها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوّجه. فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسّان؟ قال: نعمْ أيها الأمير. فقال له: ما أقْدمكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحبتُهم من أهله، فلم أنلْ منه حُظوةً وقبولاً. قال: لكنّك تجد عندي ما تُحبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشدني قصيدةً بلغتْني لك شوّقتني إليك، وغنّيتُ في بعضها، فلم أزلْ أتمنى لقاءك. فقال: أيّ قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبانتنةُ سُعْدى ولم تُوفِ بالعهْدِ ... ولم تشْفِ قلباً تيّمتْه على عمْدِ
نعَمْ أفمسُودٍ أنت إن شطّتِ النّوى ... بسُعْدى وما من فُرقة الدهر من ردِّ(١)
كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيْء دونه ... فم الآنَ أعْلِنْ ما تُسِرُّ من الوجدِ(٢)
لعلّك منها بعد أن تشْحط النّوى ... مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عجْلان من هندِ(٣)

---

(١) مُودٍ: ميت. (٢) فم الآن: أصلها فمن الآن.

(٣) هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحبّ بن عامر بن كعب، جاهلي يُضرب به المثل في العشق، وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النّهدي.

فـويْلُ ابنِ سلْمى خُلَّةٌ غـيـر أنهـا ... تُبلّـغ منّي وهـي مـازحـةٌ جِـدِّي
وتدنو لنا في القـول وهي بعـيـدةٌ ... فـمـا إنْ بسـلْمى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
ومهمـا أكُـنْ جلْداً عليه فـإنّني ... علي هجْرها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرها قُطِعتْ به ... فـجـانبتُه فيمـا أسرّ ومـا أبْـدي
كأنّي أرى في هجرهـا، أيَّ سـاعةٍ ... هممْتُ به، موتى وفي وصلها خُلْدي
ومن أجلها صـافـيْتُ مَنْ لا تردّني ... عـليـه لـه قُرْبى ولا نعمـةٌ عـندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى ... يقولـون أقوالاً أمضُّوا بها جِلْدي
وأقصيتُ مَـنْ قد كنتُ أدْني مكـانه ... وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جهْدي
فإن يكُ أمس وصلُ سـلمى خلابةً ... فـما أنا بالمفتونِ في مثلها وحدي
فـأصْبحَ مـا منّتك دينْاً مُسـوّفـاً ... لواه غـيـرمٌ ذو اعـتـلالٍ وذو جـحْدِ
تجـود بتـقـريب الذي هـو آجـلٌ ... من الوعـد ممطولٌ وتبـخل بالنّقْدِ
وقـد قلـت إذ أهـدتْ إلينـا تحـيّـةً ... عليـهـا سـلامُ الله من نازح مُهْدي
سقى الغيـثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ... ونجـداً إذا صارت نواها إلى نجدِ

قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خدّيه حتى فرغ منها(١)، ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفْدِ أحد ولا معونته ما بقيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: ابْعثْ بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدم ما تُحِبّ ما بقيت، فلم يزل معه زماناً، ثمّ استأذنه وانصرف. (٢٦٩/٨)

(٩٠)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغلابيّ عن ابن عائشة قال: قال رجلٌ من الأنصار لعديّ بن الرِّقاع: أكْتبني شيئاً من شعرك. قال: ومن أيِّ العرب أنت؟ قال: أنا رجلٌ من الأنصار. قال: ومنْ منكم القائل:

إنَّ الحمامَ إلى الحجازِ يهيجُ لي ... طـربـاً ترنُّمـهُ إذا يترنَّـمُ
والبـرقُ حين أشـيمُه مُتيامناً ... وجـنـائبُ الأرواحِ حين تنسَّمُ

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت، فقال: عليكم بصاحبكم فاكْتُبْ شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره(٢). (٢٧٢/٨)

---

(١) لا شكّ أنّ الدموعَ من علامات التأثر والإعجاب، ولا نستطيع إغفال دور إنشاد الشعر في إضفاء مستويات جديدة على القصيدة تزيدها جمالاً، خاصّة إذا كان المنشد بارعاً في إنشاده. (٢) هذا نمط من النقد =

لا نراه كثيراً عند الشعراء، فمن النادر أن نجد مثل عديّ يفضّل شاعراً على نفسه، نعم، وجدنا مَنْ يفضّل شاعراً على آخر، ولكنّه يستثني نفسه مثل الفرزدق، أو يسكت عنها مثل كثير من الشعراء، وهذا لون من الإنصاف، والاعتدال جميل.

(٩١)

وقال ابن الزيّات حدّثني جعفر بن محمد بن عُيينة بن المُنْهال عن هشام عن عوانة قال: أنشد عبدُ الملك قولَ كُثيِّر فيه:

فما تركوها عنْوةً عن مودّةٍ ولكن بحدِّ المشْرفيِّ استقالها

فأعْجب به. فقال له الأخطل: ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه. قال: وما قلتَ؟ قال قلت: أهلُّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالي ملّكٍ لا طريفٍ ولا غصْبِ

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذته غصْبا؛ قال: صدقتَ. (٢٨٨/٨)

(٩٢)

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد سلام قال قال أبانُ بن عثمان حدّثني سماك بن حرْب عن ضوْء بن اللجْلاج قال: دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال فقال: ممّن الرجل؟ قلت: من بني ذُهل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هبته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبني غُدانةَ إنّني حرُرتكم فوهبتُكم لعطيّةَ بن جعالِ(١)

لولا عطيّةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين ألأم أنْفٍ وسبالِ(٢)

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلتُ: هجوتَ زُفر بن الحارث ثم خوّفت الخليفةَ منه فقلتَ:

بني أميّةَ إنّي ناصحٌ لكمُ فلا يبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ

مفترشاً كافْتراش اللّيث كلْكله لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ(٣)

ومدحتَ عكْرمةَ بن ربعْيٍ فقلتَ:

قد كنتُ أحسبه قيناً وأخْبَرُه فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشُّررُ

---

(١) بنو غدانة: بطن من يربوع، وعطية بن جعال بن مجمع كان من سادتهم.

(٢) سبلة الرجل: الدائرة التي في وسط الشفة العليا. (٣) الجَزَر: القتلى.

قال: لو أردتَ المبالغة في هجائه ما زدتَ على هذا. (فقال له الأخطل): والله لولا أنك من قوم سبقَ لي منهم ما سبق لهجوتك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنتَ هاجيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ولا تُكدِّرُ نُعْمى بعد ما تجَبُ

اخْرُجْ عنّي(١) (٨/٢٩٥)

(٩٣)

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غيْلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساور قال: دخلتُ إلى الأخطل فسلّمت عليه، فنسبني(٢) فانتسبت، واستنشدته فقال: أنْشدك حبّة قلبي، ثم أنشدني:

لعمري لقد أسْريتُ لا ليلَ عاجز بِسَلْهبةِ الخدَّيْنِ ضاويةِ القُرْبِ(٣)

إليكَ أميرَ المؤمنين رحَلتُها على الطائر الميمون والمنزل الرُّحْبِ (٨/٣٠٣)

(٩٤)

وقال يعقوب بن السِّكِّيت حدّثني سلمة النُّميْريّ - وتُوفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة - أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسع عشرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده: فأحْضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلاً: أنيخها ما بدالي ثم أرْحلُها

ثم قال: أيُكم أتمُّ البيتَ كما أريد فهي له. فقال جرير: كأنّها نقْنقٌ(٤) يعْلُو بصحْراء

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق: كأنّها كاسرٌ بالدَّوِّ فَتْخاءُ(٥)

---

(١) ينبغي أن نلاحظ تلك الموضوعية التي اكتنفت نقد ضوء بن اللجلاج، وهي مستمدّة من الشعر نفسه، ومن نقد الأخطل بلسانه، فما وجده الأخطل عيباً في شعر الفرزدق، موجود في شعره، وقد واجهه (الناقد) بالأبيات المتناظرة، فهل يعترف الأخطل، ويذهب إلى وجود العيب نفسه الذي وجده في شعر الفرزدق؟ لقد آثر طريق الإنكار، واللجوء إلى أساليب هي بعيدة تماماً عن روح النقد، هدَّد الرجلَ بالهجاء، ولكنّه عدل للأسباب التي أوردها، ويظلّ النقد الموجّه إلى أبيات الأخطل سليماً وإن رفض، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أنّ الفرزدق هو الآخر كان يلجأ إلى الأسلوب عينه، حين يُنَبّه إلى شيء ما في شعره، إذ سرعان ما يغضب، ويهدّد القائل بالهجاء. ينظر كتابي: الشعراء النقّاد .. الفرزدق (ص ٣٦) وما بعدها.

(٢) نسبني: سألني أن أنتسب. (٣) سلهبة الخدّين: طويلتهما، ويريد بها ناقته، والقرب: الخاصرة.

(٤) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام.

(٥) الكاسر: العقاب، والدوّ: الفلاة الواسعة، والفتخاء: اللينة الجناح لأنّها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتها.

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل: تُرْخي المشافرَ واللُّحْيين إرخاءَ(١)
فقال: اركبها لاحملك الله!. (٣٠٤/٨)

(٩٥)

أخبرني أبو خليفةَ قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا أبو الفرّاف قال: لما قال جرير:

إذا أخـذتْ قيسٌ عليك وخِنْدفٌ بأقطارها لم تدْرِ من أين تسْرَحُ

قال الأخطل لا أين! سدُّ والله عليُّ الدنيا. فلمّا أنْشد قوله:

فما لكَ في نجدٍ حَصاةٌ تعدُّها ومالكَ من غَوريْ تهامـةَ أبطـحُ

لا أبالي والله ألاّ يكونَ فتُحَ لي والصُّليب القولُ! ثم قال:

ولكـنْ لنـا بـرُّ العـراقِ وبحْـرُه وحيث ترى القُرْقُور(٢) في الماء يسْبَحُ (٣١٦/٨)

(٩٦)

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال المدائنيّ: كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرَّبه عكْرمة الفيّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث إليه فتعشّى معه، ثم قال له: أتُصيب من الشراب شيئاً؟ قال نعم، قال: أيُّه؟ قال: كلُّه إلاّ شرابك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قيْنتانِ هما خلفه وبينه وبينهما سِتْرٌ. وإذا الأخطل أشهب اللّحية له ضفيرتان؛ فغمز الستر بقضيب في يده وقال: غنّياني بأردية الشعر، ففنّتاه بقول عمرو بن شأس:

وبيضٍ تطلّى بالعبيرِ كـأنّما يطأنَ وإن أعْنقنَ في جُدَدٍ وحْلا(٣)
لهوْنا بها يوماً ويومـاً بشـاربٍ إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقـلا (٣١٨/٨)

(٩٧)

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمْحيّ قال: كانت سلاّمة وريّا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً، فاجتمع الأحْوص وابن قيْس الرقيّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات: إني أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدقُ فيها ولا أكذبُ، فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقربكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال قلتُ:

---

(١) المشفر للناقة مثل الشفة للإنسان، واللحْيين: الفكّين.

(٢) القرقور: السفينة العظيمة. (٣) الإعناق: سير فسيح سريع، والجدد: الطرق.

لقد فتنتْ ريَّا وسلاّمةُ القسَّا ... فلم تتركا للقسِّ عقلاً ولا نفسا(١)
فتاتانِ أمَّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأخْرى منهما تُشبه الشمسا
تكُنَّانِ أبشاراً رقاقاً وأوجُهاً ... عتاقاً وأطرافاً مُخضَّبةً ملْسا(٢)

فغنّته سلاّمة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلتَ يا أخا الأنصار؟ قال قلت:

أسلام هل لمتيَّم تنويلُ ... أم هل صرمْتِ وغالَ ودُّكِ غولُ
لا تصْرفي عنِّي دلالكِ إنَّه ... حسنٌ لديّ وإن بخلْتِ جميلُ
أزعمتِ أنَّ صبابتي أكذوبةٌ ... يوماً وأنَّ زيارتي تعليلُ

فغنَّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقيَّات: يا سلاَّمة! أحسنتِ والله! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحلقيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك إلى هذا؟ قال: حُسْنُ غنائها بشعرك، فلولا أنَّ لك في قلبها محبَّةً مُفْرطةً ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدْر حُسْنِ شعري على شعرك هكذا حسُن الغناءُ به. (٣٣٧/٨)

(٩٨)

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال: لمّا قدم يزيد بن عبد الملك مكةَ وأراد شراء سلامة القس وعُرِضتْ عليه، أمرها أن تغنّيه؛ فكان أوّل صوت غنّته:

إنَّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمزْهرها وأنت حرامُ
والبيضُ تمْشي كالبُدورِ وكالدُّمى ... ونواعمٌ يمْشين في الأرقامِ(٣)
لَتصيدُ قلبكَ أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنَّ الرفيق له عليك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها:

ألا قُلْ لهذا القلب هل أنت مبصرُ ... وهل أنت عن سلاّمةَ اليومَ مُقْصرُ
ألا ليتَ أنِّي حين صار بها النَّوى ... جليسٌ لسلْمى حيث ما عجَّ مزْهرُ
وإنِّي إذا ما الموتُ زالَ بنفْسها ... يُزالُ بنفسي قبلها حينَ تُقْبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها ... يطيرُ إليها قلبُه حين ينظرُ

---

(١) القسّ: هو عبد الرحمن بن أبي عمّار الجشميّ من قرّاء أهل مكة، كان يُلقّب بالقسّ لعبادته. شُغف بسلاّمة وشُهر.

(٢) تكنّان: تخفيان، أبشاراً: هي البشرة، وعتاقاً: جميلة.

(٣) الرقم: ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ أو البرود.

كـأنَّ حمـامـاً راعـبـيّاً مـؤدِّيـاً إذا نطقتْ من صدرها يتـغـشْمَرُ(١)

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، مَنْ قائل هذا الشعر؟ فقصّت عليه القصّة، فرقّ له وقال: أحسنَ وأحسنتِ!. (وقائل الشعر عبد الرحمن القس) (٣٣٩/٨)

(٩٩)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال: وجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه، وكان الفريض معه، فقال له: اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه؛ فإنّي لا أحملِ إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك، فخرجا. فلمّا قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به، فأنشده مدائحَ فاستحسنها، وخرج من عنده؛ فبعثتْ إليه سلاّمةُ جاريةُ يزيدَ بلطفٍ(٢)، فأرسلَ إليها: إنّ الفريض عندي قدمتُ به هديّةً إليك، فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الفريض وإلى الاستماع منه. فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص: إذا دعاك أمير المؤمنين فاحْتَلْ له في أنْ تذكر له الفريض. فلما دعا يزيدُ الأحوص قال له يزيد: ويْحك يا أحوص! هل سمعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى استقصيْتُ خبره، فإذا هو الفريض، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه:

ألا هاجَ التّذكّرُ لي سـقاما ونُكْسَ الداءِ والوجعَ الغراما(٣)
سـلامةُ إنهـا همّي ودائي وشرُّ الداءِ ما بطن العظاما
فقلتُ له ودمعُ العينِ يجري على الخدّين أربعةً سجاما
عليك لها السلامُ فمنْ لصبٍّ يبيت الليلَ يهْذي مُستهاما (٣٤٤/٨)

(١٠٠)

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له؛ فلمّا دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سبُّك - يعني جريراً، وجرير جالسٌ - فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركت خنازير أمّك؟! قال: راعيةً مع أعيار أمّك؛ وإن أتيتنا قريناك منها. فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال: يا

---

(١) الرّاعبي: جنس من الحمام، وحمامة راعبية: ترعب في صوتها ترعيباً وهو شدّة الصوت. ويتغشمر: يصوّت.
(٢) لَطَف: هديّة. (٣) نُكْس الداء: عودته بعد أن خفّ، والغرام: الملازم الشديد.

أمير المؤمنين، إنَّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه. قال: صدقَ يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!.

تعيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرى ... ويشـرب قومُكَ العجبَ العجيبا
مَنيُّ العبد عبد أبي سُواج ... أحـقُّ من المُدامةِ أن تعيبـا(١)

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأنْشدني يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائد كلُّها في الحجّاج يمدحه بها، فأحْفظ عبدُ الملك، وقال له: يا جرير، إنَّ الله لم ينصر الحجّاج وإنما نصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

فقال عبد الملك: هذه المُزمِّرة؛ والله لو وُضعتْ على زُبرَ(٢) الحديد لأذابتها. ثم أمر له بخلعٍ فخُلعتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إنَّ لكل قومٍ شاعراً، وإنَّ الأخطل شاعرُ بني أميَّة.
(٣٦٠/٨)

(١٠١)

أخبرني محمدُ بنُ مزيدٍ، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: لقي أنس بن زُنيم الدُّئلي حارثة بن بدرٍ فقال له: يا حارثة، قد قُلْتُ لك أبياتاً فاسْمعْها. فقال: هاتها، فأنشده:

فحتّى متى أنـت ابنَ بدْرٍ مُخـيمٌ ... وصحْبُكَ يحْسُون الحليبَ من الكَرْمِ
فـإنْ كـان شـرّاً فـالهُ عنه وخلِّه ... لغـيـرك من أهـل التَّخبُّطِ والظُّلْمِ
وإن كان غُنْماً يابن بدرٍ فقد أرى ... سـنمتُ من الإكثار من ذلك الغُنْمِ
وإن كنتَ ذا علم بها واحْتسـائها ... فمـالك تأتي مـا يشـينك عـن علْمِ
تقِ اللـه واقْبلْ يابن بدرٍ نصيحتي ... ودعْها لمن أمْسى بعيداً من الحَزْمِ
فلـو أنهـا كانت شراباً مُحلَّلاً ... وقُلت لي اتركْها لأوْضعتُ في الحُكْمِ(٣)
وأيقنت أن القول مـا قلتَ فانْتفعْ ... بقولي ولا تجْعلْ كلامي من الجُرْمِ
فربَّ نصيح الجيب رُدَّ انْتصاحُه ... عليه بلا ذنبٍ وعُوجِـلَ بالشَّـتْمِ(٤)

فقال له حارثةُ: لقد قلتَ فأحسنت، ونصحتَ فبالغت، جُزيتَ الخير أبا زُنيم. (٤١٣/٨)

---

(١) أورد أبو الفرج قصة طويلة لهذين البيتين فلتراجع (٣٠٧/٨ ـ ٣٠٩).

(٢) الزبرة: القطعة الضخمة من الحديد.

(٣) أوضعت: أسرعت. (٤) نصيح الجيب: أمين.

(١٠٢)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال كُثيِّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوص عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالي طارفاً من تجارةٍ ... وما كان ميراثاً من المال مُتْلدا
ولكن عطايا من إمامٍ مُبارك ... ملا الأرض معروفاً وُجوداً وسُؤددا

فقال كُثيِّر: إنّه لضَرِعٌ قبحه الله! ألا قال كما قلتُ:

دعْ عنكَ سلْمى إذ فاتَ مطْلبُها ... واذكُرْ خليليْكَ من بني الحكم(١)
ما أعطياني ولا سألتُهما ... إلاّ وإنّي لحاجزي كرمي
إنّي متى لا يكن نوالُهما ... عندي بما قد فعلتُ أحتشم
مُبْدي الرِّضا عنهما ومُنصرفٌ ... عن بعض ما لو فعلتُ لم ألم
لا أنْزُر النائل الخليلَ إذا ... ما اعتلّ نزْرَ الظُّؤورِ لم ترم(٢) (٨/٩)

(١٠٣)

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن ابن أبي عوفٍ عن عوانة قال: قال كثيِّر لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر(٣). (٢٣/٩)

(١٠٤)

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جميع بن عليّ النُّميريّ عن عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجن بن النُّصيب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصيب قالت: وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذنَ له. فأرسل إليه حاجبه فقال: استنشده، فإن كان شعره رديئاً فارْدُدْه، وإن كان جيّداً فأدْخِلْه. فقال نُصيْب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذهنٍ(٤)، فأدخله. فلمّا واجهه أنشده قصيدته

(١) خليليْك: يعني بهما عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان بن الحكم.

(٢) الظؤور: هي المرأة أو الناقة تعطف على ولدها أو ولد غيرها، وتَرَم: تحنّ وتعطف.

(٣) كأنّه جعله في منزلة عالية بين الشعراء، فهو يسبق السحر في تأثيره، وكثيراً ما كانت العرب تشبّه الشعر بالسحر من هذه الجهة، وهو يغلب شعر غيره أي لا يدانيه أحد أو يشابهه. (٤) ذَهِن: عاقل.

التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقر بن مرْوان أنني ... أُردُّ لدى الأبواب عنه وأحْجَبُ
وأنّي ثويتُ اليومَ والأمسِ قبله ... على الباب حتى كادت الشمسُ تغربُ
وإنّي إذا رمتُ الدخول تردُّني ... مهابةُ قيْس والرِّتاجُ المُضبَّبُ(١)

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قيْسا. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرَّبْعُ المقيمُ بعُنْبُب ... سقتْك السُّواقي من مُراحٍ ومعْزِبِ(٢)

قال: فلمّا دخل على بعد العزيز أعجب بشعره وأوْجهه(٣)، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلاّ من لغته. قال: هذا والله أشعرُ منك!. قال: وقال نُصيْب فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهمْ ... بها كاسبٌ غيري ولا متقلِّبُ
فهل تُلْحقنِّيهمْ بعبْلٍ مواشكٍ ... على الأين من نُجْب ابن مرْوانَ أصْهبِ(٤)
أبو بكراتٍ إن أردتُ افتتاحه ... وذو ثبتاتٍ بالرُّديفيْن مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المهاري فخُذْ منها ما شئت، فلَوْ كنت سألت غيره لأعطيته. فدخل فردَّه الجمّال. فقال عبد العزيز: دعْه فإنما يأخذ الذي نعت فأخذه. (٩/٤٥)

(١٠٥)

قال: وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يابن أخي! أما اتَّقيتَ الله حيث تقول(٥):

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا ... كلُّ يومين حجَّة واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي! إني وضعت ليْتاً حيث لا تُغني. (٩/٦٣)

---

(١) رتاج مضبَّب: مجعولة له ضبَّة، يريد أن الأبواب مقفلة في وجهه.

(٢) عُنْبُب: وادٍ باليمن، هكذا ذكر ياقوت، في معجم البلدان (٤/١٦١)، والمُراح: مأوى الماشية، والمعزب: الأرض البعيدة عن الديار، يطلب السقيا لهذا الرَّبع جميعه ما بَعُد منه وما دنا.

(٣) أوجهه: جعله وجيهاً وشرَّفه.

(٤) العبل: الضخم، والمواشك: السريع، والأين: الإعياء والتعَب، وفي هذا البيت إقواء.

(٥) لاحظنا في (نقد) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّه يحكِّم مقاييس دينية أخلاقية على الشعر، وليس هذا بغريب على رجل تربّى في كنف عمر بن الخطاب، وترعرع في بيته، ورأى من تقواه وورعه ما رأى، بالإضافة إلى مواقف عمر رضي الله عنه النقدية التي تتشابه مع مواقف ولده كثيراً.

(١٠٦)

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى: لقد كان في حول ثواء ثويته

ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصحُّ. قال أبو خليفة: وأمّا أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. (١٠٦/٩)

(١٠٧)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني سوّار بن أبي شُراعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمراً وتضمّخ بِلَخالخ(١). وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ(٢). فلما رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطلُ أمّهاتِ الشعراء جميعا، فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال حين يقول:

وتظلُّ تَنْصِفُنا(٣) بها قَرْوِيَّةٌ إبريقُها برقاعه ملثومُ
فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجاجها نفحتْ فشمَّ رياحها المزكومُ

فقال الأخطل: سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إن أمِنْتُك قلتُ لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعرُ والله منك الذي يقول:

وأدْكنَ عاتقٍ حَجَلٍ رِبَحْلٍ صبَحتُ براحه شَرَباً كراما(٤)
من اللاتي حُمِلْن على المطايا كريح المسك تستلُّ الزُّكاما

فقال الأخطل: ويْكَ! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعش بني قيس بن ثعْلبة. فقال: قُنَّوس قُنَّوس! ناك الأعشى أمّهاتِ الشعراء جميعا وحقّ الصليب!. (١٢٣/٩)

(١٠٨)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عُبيدة والهيْثم بن

---

(١) لخالخ: جمع لخلخة وهي ضرب من الطيب.

(٢) الشعبيّ: هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري، ونسبته إلى شَعَب بالفتح بطن من همذان، كان من كبار الحفاظ، والعلماء، واستقضاه عمر بن عبد العزيز، ولد بالكوفة سنة (١٩هـ) وتوفي سنة (١٠٣هـ)، وله آراء نقدية كثيرة حفظ الأغاني جانباً كبيراً منها مثلما سنرى. (٣) تنصفنا: تخدمنا.

(٤) الأدكن: الضارب إلى السواد، والعاتق: القديم، والحجل: السقاء الواسع، والربحل: الضخم.

عديّ، وحدّثني الصُّوليُّ قال حدّثني الغلابيّ عن العتبي عن أبيه، وذكر هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضُّبيّ، قالوا جميعاً: قدِم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبيّ يَسْمع من شعره. قال: فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيته، فوُضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتُك؟ قلت: أحبّ أن أسمع من شعرك؛ فأنشدني قوله:

صرمتْ أمامةُ حبلنا ورُعومُ

حتى انتهى إلى قوله: فإذا تعاورت الأكُفُّ ختامها نفحتْ فشمُّ رياحها المزكوم

فقال: يا شعْبيّ، ناك الأخطل أمَّهاتِ الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك. قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال:

منْ خمر عانة قد أتى لختامها حوْلٌ تسلّ غُمامةَ المزكوم(١)

فضرب بالكأس الأرض وقال: هو والمسيح أشعرُ منّي! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلاّ أنا(٢). (١٢٣/٩)

(١٠٩)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: أنْشد عُبيد الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرْخيةَ الغلابيّ لنفسه:

لعمْرُ أبي المُحْصينَ أيامَ نلتقي لما لا نُلاقيها من الدهر أكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها وينْسوْن ما كانت على الدهر تهجُر
وإن أولعَ الواشون عمْداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعاً، فسرَّ ذلك عبيد الله فكساه وحمله. (١٤٦/٩)

---

(١) عانة: بلد مشهور بين الرّقة وهيت يعدّ في أعمال الجزيرة، وجاء في الشعر عانات، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة. ينظر معجم البلدان (٧٢/٤).

(٢) ذكرنا في النص التسعين السابق أنّ النقد المنصف عند عدي بن الرقاع لا نجده كثيراً بين الشعراء، فكثير منهم يستحسن قول شاعر غيره ولكنّه لا يفضّله على نفسه، ونرى مصداق ذلك هنا، حيث يبدو الأخطل معجباً، ذاهلاً بقول الأعشى في ذلك المعنى في الخمر، ويفضّله على الشعراء جميعاً ويستثني نفسه، إذ لا يحتمل أن يوجد شاعر أفضل منه. وهذا نقد تشوبه الذاتية كثيراً.

(١١٠)

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا الخرّاز عن المدائني قال: أنشد عبدُ الملك قول الشمّاخ في عرابة بن أوس:

إذا بلّغتْني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

فقال: بئس المكافأة كافأها! حملتْ رحله وبلّغتْه بُغيته فجعل مكافأتها نحْرها(١). (١٦٩/٩)

(١١١)

وقال القحْذميّ حدّثني أبو الوَرْدانِ قال حدّثني أبي قال: أنْشدتُ أبا السّائب المخْزوميّ قول قيس:

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه هـواكِ فليم فالتـأم الفطور

فصـاح بجارية له سِنْدية تسمّى زُبْدة، فقال: أيْ زبدةُ عجّلي. فقالت: أنا أعْجِن. فقال: ويْحكِ! تعالَيْ ودعي العجينَ. فجاءت فقال لي: أنشِدْ بيتيْ قيس، فأعدتُهما. فقال لها: يازُبْدة، أحسن قيس وإلاّ فأنت حرّة! ارجعي الآن إلى عجينك أدْركيه لا يبْرُد. (١٩٠/٩)

(١١٢)

وقال القحْذميّ: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحرُّ ما قُلْتَ في لُبْنى فأنشده قوله:

وإني لأهوى النّومَ في غير حينه لعـلّ لقـاءً في المـنام يكـون

---

(١) كأنّ عبد الملك يأخذ على الشماخ ذبحه ناقته بعد أن أوصلته إلى غايته، وقد تردّد صدى هذا البيت، ولفتة عبد الملك النقدية في كثير من كتب النقد المتخصصة، وعقّبت عليه الجمهرة من الشعراء. من ذلك ما ورد في الموشح (ص ٩٤): «.. قد عاب بعضهم قول الشماخ: إذا بلّغتني .. كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها». وينظر العمدة (١٠٥٤/٢)، طبعة قرقزان، ومن الشعراء الذين عقّبوا عليه متفّقين مع رأي عبد الملك، أبو نؤاس الذي قال:

أقول لناقتي إذ بلّغتني لقد أصبحتِ عندي باليمينِ

فلم أجعلْكِ للغربان نُحْلاً ولا قلتُ اشرقي بدم الوتين

ينظر الموشح (ص ٩٦)، والعمدة (١٠٥٤/٢)، ومن الشعراء أيضاً أبو تمام الذي قال:

لَسْتُ كشمّاخ المنمّ في سوء مكافاته ومجترمه

ينظر الموشح (ص ٩٧)، وخزانة الأدب (٤١/٣)، ومنهم محمد بن علي القنبري الهمذاني، ينظر الموشح (ص ٩٧) وغيرهم.

تُحدِّثني الأحلامُ أنّي أراكُمُ فيا ليتَ أحلامَ المنام يقين
شهدتُ بأني لم أحُلْ عن مَوَدَّةٍ وإنّي بكم لو تعلمين ضنين
وأنَّ فؤادي لا يلين إلى هوى سواكِ وإن قالوا بلى سيلين

فقال له ابن أبي عتيق: لقلَّ ما رضيتَ به منها يا قيْس. قال: ذلك جُهْدُ المُقِلِّ. (٢١٣/٩)

(١١٣)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيُّوب المدينيّ، قال الزُّبير قال حدّثتني ظبْية قالت: سمعتُ عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدب يُنْشد زوجي قول قيس بن ذريح:

إذا ذُكِرتْ لُبْنى تأوَّه واشتكى تأوُّهَ محمومٍ عليه البلابلُ
يَبيت ويُضْحي تحت ظلّ منيَّةٍ به رمقٌ تبْكي عليه القبائل
فتيلَ للُبْنى صدَّع الحبُّ قلبه وفي الحب شغلٌ للمحبِّين شاغل

فصاح زوجي: أوّه! واحرباه واسلباه!. ثم أقبل على ابن جُندب فقال: ويْلك! أتُنشد هذا كذا! قال: فكيف أنشدُه؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي!. (٢١٣/٩)

(١١٤)

أخبرني الحرميُّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أنشدت أبا السائب المخْزوميّ قول قيس بن ذريح:

أحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أجِدْ لها مثلاً في سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنَّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ بمعرفتي منه بما يتكلَّف
ومنهن ألاّ يعْرِضَ الدَّهرَ ذكرُها على القلب إلاّ كادتِ النفس تتْلَفُ
وحبٌّ بدا بالجسم واللون ظاهرٌ وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوح ألطف

قال أبو السائب: لا جرم والله لأخْلِصنَّ له الصَّفاءَ ولأغضبنَّ لغضبه ولأرضينَّ لرضاه. (٢١٥/٩)

(١١٥)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال: ذُكر كثيِّر وعديّ بن الرِّقاع العامليّ في مجلس بعض خُلفاء بني أميَّة، فامتروْا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرف في

الناس من عديّ بن الرِّقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثيِّر:

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةً وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال: فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرِّقاع أعرفَ في الناس من بيت كثيِّر ليُسْرجنَّ جريراً وليُلجمنَّه وليُركبنَّ عديّ بن الرِّقاع على ظهره. فكتب إلى واليه بالمدينة: إذا فرغت من خطبتك فسلِ الناس من الذي يقول:

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةً وصاح غرابُ البين أنت حزين

وعن نسب ابن الرِّقاع. فلمَّا فرغ الوالي من خطبته قال: إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أسألكم من الذي يقول: أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جيرةً

قال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كُثيِّر كثيِّر. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرِّقاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال: هو من عاملة. (٣٠٩/٩)

(١١٦)

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا محمد بن عباد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعْرض أو يعْرض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عديّ بن الرِّقاع، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات:

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا فيه المشيبُ لزُرْتُ أمَّ القاسم(١)
وكأنَّها وسْطَ النساء وأعارها عينيه أحْورُ من جآذر جاسم
وسْنانُ أقْصَده النُّعاسُ فرنَّقتْ في عينه سِنةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن والله!. فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيّ: أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضْبان الدَّفْلى(٢) تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحسانا. يعني إذا كان يُغنِّي به على العود. (٣١٠/٩)

(١١٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله المعروف بالحزَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عديّ بن الرِّقاع. لما قرأ عليه القصيدة

---

(١) عسا: اشتدّ.

(٢) الدَّفلى: نبت مرٌّ زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرّوب.

التي يقول فيها:

لولا الحياءُ وأنَّ رأسي قد عسا فيه المشـيبُ لزرتُ أمَّ القاسم

قال أبي: أحسن والله عديُّ بن الرِّقاع!. قال: وعنده شيخ مدنيٌّ جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عديٌّ أحسن لما أساء أبو عبّاد. قال أبي: ومن هو أبو عبّاد؟ قال: معْبد. والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسناك له أكثر. فجعل أبي يضحك. (٣١٢/٩)

(١١٨)

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: قال جرير: سمعت عديَ بن الرِّقاع يُنشد: تُزْجي أغنُّ كأنَّ إبرة روْقِه(١)

فرحمتُه من هذا التشبيه فقلت: بأيِّ شيء يُشبِّهه تُرى(٢)! فلما قال:

قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مدادها.

رحمتُ نفسي منه. (٣١٣/٩)

(١١٩)

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني أحمد بن الهَيْثم بن فراس قال حدّثني العُمريّ عن الهيثم بن عديٍّ قال: أنْشد عديُّ بن الرِّقاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدته التي أوّلُها:

عرف الديار توهُّما فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يبلُغه عن عديٍّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازي مقْرورٌ(٣) إذا أصابه قُرُّ الشأم جمد وهلك، فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله:

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمع بينها حتى أقـوِّم ميْلَها وسـنادها(٤)

فقال له كثيِّر: لو كنتَ مطبوعا أو فصيحاً أو عالما لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سناد فتحتاج إلى

---

(١) الروق: القرن. (٢) يلاحظ هذا التعقّب الدقيق الذي يدلّ على تغلغل في مسالك الشعر، ونفاذ عميق فيه.

(٣) مقرور: بارد، يعني أنّه ركيك، هابط، ويوصف شعر الحجاز كذلك لرقّته لأنّه شعر حاضرة، وابتعاده عن البادية التي تجعل الشعر خشناً، قويّاً.

(٤) السّناد: عيب من عيوب الشعر، وهو في اصطلاح العروضين اختلاف الحرف الذي قبل الردف بالفتح والكسر، وجعلوه على خمسة أضرب، ينظر الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي (ص ١٦٤) وما بعدها، وينظر ديوان عدي (ص ٨٨).

أن تقوِّمها(١). ثم أنشد:

نظر المثقِّف في كُعوب قناته حتى يقيمَ ثقافُه مُنْآدها(٢)

فقال له كثيِّر: لا جرمَ أنَّ الأيام إذا تطاولتْ عليها عادت عوجاء، ولأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج إلى ثقاف أجودُ لها. ثم أنشد:

وعلمتُ حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فقال كثيِّر: كذبتَ وربِّ البيت الحرام! فليمتحنْكَ أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّن جهلك. وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآن حيث تظنُّ هذا بنفسك(٣). فضحك الوليد ومنْ حضر، وقُطِع بعديِّ بن الرِّقاع حتى ما نطق. (٣١٦/٩)

(١٢٠)

ويقول في ذلك أيضاً دُريد بن الصِّمَّة في قصيدة له أخرى:

جزيْنا بني عبْسٍ جزاءً موفَّراً بمقتل عبد الله يومَ الذُّنائبِ(٤)

ولولا سوادُ الليل أدْرك ركْضُنا بذي الرَّمْثِ والأرْطى عياضَ بن ناشبِ(٥)

قتلنا بعبد الله خير لداته نُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة: أنْشد عبدُ الملك بن مروان شِعر دريد بن الصِّمَّة هذا فقال: كاد دريد أن ينْسُب نؤابَ بنَ أسماءَ إلى آدم. فلما بلغ المُنْشدُ قوله:

ولولا سوادُ الليل أدْرك ركْضُنا بذي الرَّمْثِ والأرْطى عياضَ بن ناشب

قال عبد الملك: ليت الشمس كانت بقيتْ له قليلا حتى يُدْركه. (١٣/١٠)

---

(١) كأنَّ (الشاعر الناقد) يأخذ هنا على عديّ إصلاحه قصيدته قبل نشرها، وهذا نقد فيه الكثير من التحامل، فللشاعر الحقُّ في تهذيب قصيدته، وتنقيحها، أليس هو الناقد الأول لشعره؟

(٢) منآدها: ما دخلها من ضعف واعوجاج.

(٣) جاء في الأغاني (٣١٠/٩)، أنَّ محمد بن المنجمّ قال: ما أحد ذُكر لي فاحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلاّ عديّ بن الرقاع لقوله: وعلمت حتى .. فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلّما مرَّ به شيء لا يحسنه أمرتُ بصفعه، وينظر الموشح، ص (٣٠٠)، وخزانة الأدب (١٧٥/١١).

(٤) الذنائب يوم من أيام العرب المشهورة.

(٥) ذو الرُّمث: موضع، والرمث والأرطى: نباتان.

(١٢١)

ووجدتُ في أخبار أبي النَّجْم عن أبي عمرو الشيّبانيّ قال: قال له فتيانٌ من عِجْل: هذا رؤبةُ بالمِرْبد(١) يجلس فيُسمِع شعره ويُنْشِد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أوتُحبُّون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعُسٍّ(٢) من نبيذ فأتَوْه به، فشربه ثم نهض وقال:

إذا اصطحبتُ أربعاً عرفْتني ثم تجشـــمتُ الذي جشُمتني

فلمـا رآه رؤبة أعْظمـه وقـام له عن مكانه وقـال: هذا رَجّاز العـرب. وسـألوه أن يُنْشـدهم فأنشدهم: الحمد لله الوهُوب المُجْزِلِ

وكان إذا أنشد ووحش بثيابه (أي رمى بها). وكان من أحسن الناس إنشاداً فلما فرغ منها قال رؤبة: هذه أمُّ الرَّجز. (١٥١/١٠)

(١٢٢)

وقال أبو عمرو في هذه الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخْفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المُبرّد قال حدّثني محمد بن المُغيرة بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال: ورد أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صفُوا لي إبلاً فقطّروها(٣) وأوْرِدوها وأصْدروها حتى كأنّي أنظر إليها. فأنشدوه وأنشده أبو النَّجْم: الحمدُ لله الوهُوبِ المُجْزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأفق كعين...» وأراد أن يقول «الأحولِ» ثم ذكر حوْلة هشام فلم يُتِمَّ البيتَ وأرتج عليه. فقال هشام: أجِزِ البيت، فقال «كعين الأحول» وأتمَّ القصيدة. فأمر هشام فُوجِئ(٤) عُنُقه وأخْرِجَ من الرُّصافة وقال لصاحب شُرْطته: يا ربيع إيّاك وأن أرى هذا!(٥). (١٥٥/١٠)

---

(١) يعني مربد البصرة وهو من أشهر محالّها، كانت به سوق الإبل قديماً ثمّ صار محلّة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.

(٢) العُسّ: القدح الكبير. (٣) قطر الإبل: قرْب بعضها من بعض على نسق.

(٤) يقال وجأه باليد والسكين إذا ضربه.

(٥) من الواضح أنّ هذا النقد لا يقوم على أسس فنيّة، بل يستمدّ الخليفة من موقعه، ومركزه قوّة في التعامل مع الشاعر، ومن المؤكّد أنه لم يكن ليعرّض بالخليفة في هذا البيت، ولكنّ استدعاء القافية هو الذي دعا إلى ذلك، ولم يمنع هذا كلّه من عقابه، وهناك شواهد أخرى تقترب من هذا النصّ وقعت مع خلفاء آخرين.

(١٢٣)

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن المغيرة بن محمد المهلّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن عمران البزّازي قال: لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً، وبالمدينة سنةً، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات، فتُناضل بين الرُّماة. فمرّ بها النُّميري الشاعرُ، فسألتْ عنه فنُسبَ لها، فقالت: ائتُوني به. فقالت له لمّا أتوْها به: أنشدني ممّا قلت في زينب. فامتنع وقال: ابنةُ عمّي وقد صارتْ عظاماً بالية. قالت: أقسمتُ لمّا فعلت. فأنشدها قوله:

نزلنَ بفخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً ... يُلبِّين للرحمن مُعْتمرات(١)
يخبُّن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى ... ويخرجن شطرَ الليل مُعتجرات(٢)
ولمّا رأتْ ركْبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ من أنْ يلْقينه حذرات
تضوّع مِسْكاً بطنُ نعْمانَ أن مشتْ ... به زينبٌ في نسوةٍ خَفِراتِ

فقالت: والله ما قلتَ إلاّ جميلاً، ولا وصفتَ إلا كرما وطيبا وتُقىً ودينا، أعْطُوه ألفَ درهم. فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها، فقالت: عليّ به فجاء. فقالت: أنْشدْني من شعرك في زينب. فقال: أو أنْشِدُك من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها. فقالت: دعُوه؛ فإنه أراد أن يسْتقيد لابنه عمّه، هات. فأنشدها:

ظعنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغدْوا بُلبِّكَ مطلِعَ الشَّرْقِ
وتنُوءُ تُثقِلُها عجيزتُها ... نهْضَ الضعيف ينوء بالوسْقِ(٣)
ما صبَّحتْ زوجاً بطلْعتها ... إلاّ غدا بكواكب الطَّلْقِ(٤)
قُرشيّةٌ عبقَ العبيرُ بها ... عبقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ(٥)
بيضاءُ من تيم كلفْتُ بها، ... هذا الجنون وليس بالعشق

قالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر إنّي إذا صبَّحت زوجاً بوجهي غداً بكواكب الطّلْق، وأني غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق. أعْطُوه ألفَ درهم واكسُوه حلّتين، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُميريُّ. (١٩٠/١١)

---

(١) فخّ: وادٍ بمكة. (٢) الاعتجار: لفُّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك.
(٣) الوسق: الحمل الثقيل. (٤) الطَّلق: الاعتدال، يقال: يوم طلق وليلة طلقة: لا حرَّ فيها ولا برد. ينظر كتاب الأزمنة لقطرب (ص ١٤٣). (٥) الحُقّ: وعاء يحفظ فيه الطيب.

(١٢٤)

قال معاوية لليلى الأخيلية: خبِّريني بأجود ما قلت في توبة من الشعر.. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت فيه شيئاً إلاَّ والذي فيه من خصال الخير أكثرُ منه. ولقد أجدتُ حين قلتُ:

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ بكفه ... فتىً من عُقَيْلٍ ساد غير مُكلَّفِ
فتىً كانت الدُّنيا تهونُ بأسْرِها ... عليه ولا ينفكُّ جمُّ التَّصرُّفِ
ينالُ عليَّاتِ الأمورِ بهونةٍ ... إذا هي أعيتْ كلَّ خرْقٍ مُشرَّفِ(١)
هو الذَّوْبُ بل أرْيُ الخلايا شبيهُه ... بدرْياقةٍ من خمر بيسانَ قرقفِ(٢)
فياتوْبُ ما في العيش خيرٌ ولا ندىً ... يُعدّ وقد أمسيتَ في تُرْبِ نفْنفِ(٣)
وما نِلْتُ منك النِّصْفَ حتى ارتمت بك الـ ... ـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعْجفِ(٤)
فيا ألْفَ ألفٍ كنتَ حيّاً مُسلَّماً ... لألقاكَ مثلَ القسورِ المتطرِّفِ(٥)
كما كنتَ إذ كنتَ المُنحَّى من الرَّدى ... إذا الخيلُ جالت بالقنا المُتقصِّفِ(٦)
وكمْ من لهيفٍ مُحْجرٍ قد أجبتَه ... بأبيضَ قطّاعِ الضَّريبةِ مُرْهفِ(٧)
فأنقذتَه والموتُ يحْرُقُ نابَه ... عليه ولم يُطْعَنْ ولم يتنسَّفِ(٨)

(٢٣٨/١١)

(١٢٥)

أخبرنا الحسن قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سلمة بن أيُّوبَ بن مسْلمة الهمْداني قال: كان جدّي عند الحجاج، فدخلتْ عليه امرأةٌ برْزةٌ(٩)،

---

(١) الهونة: الرِّفق والسهولة، وأعياه الشيء: أكلّه وأعجزه، والخِرق: السخيّ أو الظريف في سخاوة، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة، ومشرَّف: جعل له شرف.

(٢) الذوب: العسل، والأرْي العسل أيضاً، والدرياقة: الخمر، وبيسان: بلدة كانت بالشام مشهورة بالخمرة، والقرقف: الخمر يرعد عنها صاحبها.

(٣) النفنف: المفازة أو الصحراء. (٤) النِّصف هنا: إعطاء الحق مثل الإنصاف، والسهم الأعجف: الرقيق.

(٥) القسور: الأسد، والمتطرِّف: المُغير. (٦) جوَلان الخيل: كناية عن الحرب، والقنا المتقصِّف: المتكسِّر.

(٧) لهيف: ملهوف، ومحجر: مُضيَّق عليه، الأبيض: السيف، تريد كم ساعدت وأنجدت مَنْ كانوا في ضيق وعُسر. (٨) حرق الأنياب: حكّها بعضها بعض، وهو كناية عن الغضب والغيظ. وتنسَّف في الصراع: قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره.

(٩) المرأة البرزة: الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون وهي عفيفة.

فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: كنتُ عند الحجاج. وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جُويريةَ عن بشرِ بن عبد الله بن أبي بكر: أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج، فلما قالت: غُلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها

قال لها: لا تقولي «غلامٌ»، قولي «هُمامٌ»(١). (٢٤٢/١١)

(١٢٦)

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحرونِ قال حدّثنا الكسْرويّ عن الأصمعيّ قال: قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر. فأنشده قوله:

تُريكَ القذى من دونها وهي دونه ... لوجْهِ أخيها في الإناء قُطوبُ

كُميْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأس وردةٌ ... لها في عظام الشاربين دبيبُ(٢)

فقال له: أحسنتَ يا أبا مُعْرِض! ولقد أجدتَ وصفها، وأظنُّك قد شربتها، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه ليريبني منك معْرفتُك بهذا. (٢٦٩/١١)

(١٢٧)

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحرَنْبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال: عشق أبو جِلْدةَ اليشْكُريُّ دِهقانةً ببُسْت(٣) وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ... ونازعنيها صاحبٌ لي مُلـوَّمُ(٤)

أغرُّ كأنّ البدْرَ سُنَّةُ وجْهِه ... له كفِلٌ وافٍ وفرْعٌ ومبْسِمُ(٥)

يُضيء دُجى الظلْماءِ رونقُ خدِّه ... ويَنجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ

---

(١) لعلّ هذا التغيير الذي اقترحه الحجاج أكثر انسجاماً مع أوصاف النجدة والشجاعة التي أسبغتها ليلى على تولية، فهي بالهمام أكثر التصاقاً منها بالغلام، وهذا يشير إلى إحساس مرهف بمواقع الكلمات، والفروق بينها. (٢) وردةٌ: حمراء.

(٣) بُسْت: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، ويبدو أنّها من أعمال كابل، كبيرة، حارّة المزاج، كثيرة الأنهار والبساتين، خرج منها كثير من العلماء والأدباء، والشعراء. ينظر معجم البلدان، ياقوت (٤١٤/١)، وقد كتب عنها باستفاضة.

(٤) مُلوّم: يلومه الناس كثيراً. (٥) سُنّة الوجه: دائرته أو صورته، أو الجبهة والجبينان، والمبسم: الثغر.

وثديان كالحُقَّين والمتنُ مُدْمَجٌ وجيدٌ عليه نسقُ دُرٍّ مُنظَّمُ
وبطنٌ طواه الله طيّاً ومنطِقٌ رَخيمٌ وردفٌ نيطَ بالحِقْوِ مُفأَمُ(١)
به تبلتني واستبتني وغادرتْ لظىً في فؤادي نارُها تتضرَّمُ
أبيتُ بها أهذي إذا الليلُ جنَّني وأصْبِحُ مبهوتاً فما أتكلَّم
فمنْ مُبْلِغٌ قومي الدُّنا أنَّ مُهْجتي تبينُ، لئن بانت ألا تتلوَّمُ(٢)
وعهْدي بها ـ واللهُ يُصْلِحُ بالها ـ تجودُ على منْ يشْتهيها وتُنْعِمُ
فما بالُها ضنَّتْ عليَّ بودِّها وقلبي لها يا قومِ عانٍ مُتَيَّمُ

قال: فلمَّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها، فلما انتهى المُفسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبتْ فقالت: أنا زانيةٌ كما زعم! إنَّ كلمته كلمةٌ أبداً. أو كلُما اشتهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً! أيْ أنا أذاً زانية. فصرمته، فلم يَقْدر عليها وعُذِّب بها زماناً، ثم قال فيها لمَّا يئس منها:

صحا قلبي وأقْصر بعد غيٍّ طويلٍ كان فيه من الغواني
بأنْ قصد السبيلَ فباع جهلاً برُشْدٍ وارتجى عُقْبي الزَّمانِ
وخافَ الموتَ واعتصمَ ابنُ حُجْرٍ من الحُبِّ المبرِّح بالجِنانِ(٣)
وقِدْماً كان مُعْترماً جُموحاً إلى لذَّاته سلسَ العِنانِ(٤)
وأقلعَ بعد صبوتِه وأضحى طويلَ اللَّيلِ يهْرف بالقُرانِ
ويدعو الله مجتهداً لكيما ينالَ الفوْزَ من غُرَفِ الجِنانِ (٣٢٥/١١)

(١٢٨)

«ونسخت من كتابه رضي الله عنه(٥): أخبرني الحسن بن سعيد قال: أخبرني ابن علاّق قال: أخبرني شيخ لنا أنَّ خالد بن كلثوم أخبره قال: بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطِّرماح والكميت وهما جالسانِ بقُرْبِ باب الفيل(٦)، إذ رأيتُ أعرابياً قد جاء يسْحب أهداماً له(٧)، حتى

(١) نيط: عُلِّق به. والحقو: الكشح. ومفأم: سمين.
(٢) قومي الدُّنا: قومي الأقربون. والتلوّم: التلبُّث والانتظار. (٣) حجر: من آباء الشاعر.
(٤) الاعترام هنا: الشراسة والبطر مثل العرام والصرامة. (٥) يقصد جدَّه لأمِّه.
(٦) باب الفيل: موضع بالكوفة، سُمِّي بذلك لأنَّ زيادبن أبيه لمَّا تزوج أمَّ أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط وهي حدثة كان يأمر بفيل كان عنده فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب.
(٧) الأهدام: جمع هِدم وهو الثوب البالي المرقّع.

إذا توسُّط المسجد خرَّ ساجداً، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمَّاحَ فقصدهما، فقلتُ: مَنْ هذا الحائن(١) الذي وقع بين هذين الأسدين! وعجبتُ من سجْدته في غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة. فقصدتُه، ثم سلَّمت عليه ثم جلست أمامهم، فالتفت إلى الكُميت فقال: أسْمِعْني شيئاً يا أبا المُسْتهلّ: فأنشده قوله: أبتْ هذه النَّفْسُ إلاَّ ادِّكارا

حتى أتى على آخرها، فقال له: أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذا القوافي ونظْمِ عقْدها! ثم التفت إلى الطِّرِمَّاح فقال: أسْمِعْني شيئاً يا أبا ضبينة؛ فأنشده كلمته التي يقول فيها: أساءَتْ تقويضُ الخليطِ المُباينِ نعم والنَّوى قطَّاعةٌ للقرائنِ(٢)

فقال: لله درُّ هذا الكلام! ما أحسن إجابته لرويَّتك(٣)! إنْ كِدتُ لأطيل لك حسداً. ثم قال الأعرابيّ: والله لقد قلتُ بعد كما ثلاثة أشعار، أمَّا أحدها فكدْتُ أطير به في السماء فرحاً، وأمَّا الثاني فكدتُ أدَّعي به الخلافة. وأمَّا الثالث فرأيت رقصاناً(٤) استفزَّني به الجذَلُ حتَّى أتيتُ عليه. قالوا: فهات؛ فأنشدهم (قوله):

أإنْ توهَّمْتَ مِنْ خرقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ(٥)

حتَّى إذا بلغ قوله:

---

(١) الحائن: الهالك، وكلّ ما لم يوفق للرشاد فهو حائن.

(٢) التقويض هنا: نَزْع أعواد خيامهم وأطنابها، والخليط هنا: القوم الذين أمرهم واحد وذلك أنَّ العرب كانوا ينتجعون أيام الكلأ، فتجتمع منهم قبائل شتَّى في مكان واحد، فتقع ألفة، فإذا قوَّضوا خيامهم وافترقوا رجعوا إلى أوطانهم ساعتهم ذلك.

(٣) الرويَّة: التفكّر في الأمر، والنظر فيه، وترك العجلة، وقد دخلت هذه الكلمة في مصطلحات النقد، خاصة في مبحث المطبوع والمصنوع من الشعر، وفرّق النقاد بينها وبين البديهة وذهبوا إلى أن بعض الشعراء ينظم شعره على البديهة، وبعضهم يأتي بشعره على الرويَّة، وصنف ثالث يكون «شعره في البديهة والرويَّة سواء، وعند الأمن، والخوف لقدرته .. ». العمدة (٣٥٦/١)، طبعة محمد قرقزان، ويذهب المصري في تحرير التحبير، ص (٤١٨) إلى أنَّ «من الناس مَنْ شعره في البديهة أبدع منه في الرويَّة، ومَنْ هو مُجيد في رويَّته وليست له بديهة، وقلَّما يتساويان». وعرض لها كذلك حازم في منهاج البلغاء (ص ٢١٤) بتفصيل، ومن الواضح أنَّ الأعرابي يطري شعر الطرماح الذي أعمل فيه رويَّته فجاء بديعاً، جيِّداً.

(٤) الرُّقصان: هو الرُّقص، ضرب من الخبب، ينظر لسان العرب (٤٢/٧).

(٥) خرقاء: صاحبة ذي الرمّة، وقد ذكرها في شعره كثيراً، وقد وُصِفَت بأنَّها «امراة طويلة حسنة، بها قوة» الأغاني (٣٨/١٨)، وشاع بيت ذي الرمة الآتي فيها: تمامُ الحجِّ أن تقف المطايا على خَرقاءَ واضعة اللثام وترسمت الدار: نظرت رسومها، والصبابة: رقَّة الشوق، ومسجوم: مصبوب.

تنْجُو إذا جعلتْ تدْمي أخشتُها وابْتلَّ بالزُّبدِ الجعْدِ الخراطيمُ(١)

قال: أعلمتم أنِّي في طلب هذا البيت منذ سنةٍ، فما ظفرتُ به إلاَّ أنفاً(٢)، وأحْسبكم قد رأيتم السجدة له(٣). ثم أسمعهم قوله: ما بالُ عينك منها الماءُ ينْسكبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها:

إذا اللَّيْلُ عن نشْزٍ تجلّى رَمَينهُ بأمثالِ أبصارِ النِّساء الفوارِكِ

قال: فضرب الكُمَيْتُ بيده على صدر الطِّرمَّاح، ثم قال: هذه والله الدِّيباجُ لانسْجي ونسجك الكرابيس(٤). فقال الطرماح: لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجودته. فقُطب ذو الرُّمَّة وقال: يا طرمَّاح! أأنت تُحْسنُ أن تقول:

وكائن تخطَّت ناقتي من مفازةٍ إليك ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسدَّمِ(٥)
بأعْقاره القِرْدان هزْلى كأنَّها نوادرُ صيصاء الهبيدِ المُحطَّمِ(٦)

فأصغى الطِّرمَّاح إلى الكميت وقال له: فانظرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر! ـ قال: وهذه قصيدةٌ مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك، فلمْ يمْدحْه فيها ولا ذكره إلاَّ بهذين البيتين، وسائرها في

---

(١) تنجو: تسرع، والأخشّة: جمع خِشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها، والجعد من الزُّبد: الثخين الغليظ.

(٢) من المعروف أنَّ ذا الرّمة كان من الشعراء الذين يطيلون النظر في شعرهم، ويُعملون فيه تنقيحاً وتهذيباً، وقد أشار هو إلى هذا بقوله:

وشعرٍ قد أرقتُ له غريبٍ أجنِّبه المُساندَ والمحالا
فبتُّ أقيمهُ وأقدُّ منه قَوافيَ لا أعدُّ لها مثالا

ينظر ديوانه (٣/١٥٣٢ ـ ١٥٣٣)، ويذكر في هذا النصّ طلبه لهذا البيت حولاً كاملاً، فما استقام له، وظفر به إلاّ بعد هذا الحول.

(٣) السجود للشعر من علامات الإعجاب به، وسنرى ذكراً له في النصوص القادمة.

(٤) الكرابيس: جمع كِرباس وهو ثوب غليظ من القطن، جعل من شعريهما نسيجَ قطن، وجعل من شعره حريراً، يصفه بالجودة والالتحام، ويصف شعريهما بالغلظة، وعدم الترابط. وقد أطرى النقاد الشعر الملام النسج. وعابوا ذلك الشعر الذي وصفوه بالمتفاوت النسج وجاءوا له بشواهد. ينظر الموشح (ص ٧٠).

(٥) الماء المسدَّم: المتغيّر لطول العهد.

(٦) الأعقار: جمع عقر، وعقر الحوض، مؤخره حيث تقف الإبل إذا وردت، والهبيد: حبّ الحنظل، والصيصاء: الضاوي الهزيل منه: يقول: ليس للقردان شيء تأكله فهي هزلى، فشبّهها بما يشذُّ ويخرج من ضاوي حبّ الحنظل.

ناقته. فلمّا قدم على عبد الملك بها أنشده إيّاها، فقال له: ما مدحتَ بهذه القصيدة إلا ناقتك، فخُذْ منها الثّواب(١). وكان ذو الرُّمة غيرَ محظوظ من المديح ـ قال: فلم يفْهَمْ ذو الرُّمةَ قول الطرماح للكميت. فقال له الكميت: إنه ذو الرّمة وله فضلُه، فاعْتبه. فقال له الطرماح: معذرةً إليك! إنّ عنانَ الشِّعْرِ لفي كفّك، فارْجِعْ مُعْتباً، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ. (٣٧/١٢)

(١٢٩)

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا أبو حاتم قال حدّثني الحجاجيُّ قال: بلغني أنّ الطِّرمّاح جلس في حلْقةٍ فيها رجلٌ من بني عبْس، فأنشد العبسيّ قول كُثيِّر في عبد الملك:

فكنتَ المُعلّى إذ أجيلتْ قداحُهُم ... وجال المنيحُ وسْطها يتقلْقلُ(٢)

فقال الطِّرمّاح: أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعباً، ولكنه موّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخُلفاء الذين كان كثيِّر لا يقول بإمامتهم؛ لأنه أخرج عليّاً عليه السلام منهم، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع، وكذلك المُعلّى السابعُ من القداح، فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

وكان الخلائفُ بعدَ الرّسُو ... لِ للّـــه كُلُّهُـــمُ تـابعـــا
شيدانِ من بعد صدِّيقهمْ ... وكان ابنُ حربٍ لـه رابعـا
وكـان ابنُه بعـده خـامســاً ... مُطيعـاً لمن قبلَه سـامـعـا
ومروانُ سادسُ مَنْ قد مضى ... وكـان ابنُـه بعـده ســابعا

قال: فعجبْنا من تنبُّه الطرمّاح لمعنى قولِ كُثيِّر. وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً(٣).

(٤١/١٢)

---

(١) أشرنا إلى هذا النقطة في القضية السابقة، من حيث إنّ تأخّر ذي الرّمة عن بقية الشعراء جاء بسبب عدم تمكنّه من المديح، وهو من الأغراض التي كان يتطلبّها عصره، ويصرُّ عليها.

(٢) المُعلّى: هو القدح الذي له سبعة حظوظ من الجزور في لعب الميسر إذا خرج. وأجيلت: أديرت. والمنيح: قِدح تثقل به القداح ولاحظّ له إن فاز، ولا غُرم عليه إن خاب، ينظر نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسي (٧٩٧/٢)، فقد فصّل الحديث عن القداح وأنواعها.

(٣) هذا نقد دقيق يعتمد على البصر بكلام العرب، وأعرافهم من جهة. وعلى نفاذ وبصيرة بالشعر من جهة أخرى، وهو لا يتهيّأ إلا لمن كانت له إحاطة بهذا كلّه، مع اطّلاع على مذاهب الفرق، وأقاويلها، ومن المعروف أنّ كثيِّراً كان كيسانياً يقول بقوله، ويدين برجعة محمد الحنفية، ويزعم أنّه حيّ، وهو المهدي المنتظر، وله في ذلك شعر كثير. ينظر الملل والنحل، للشهر ستاني (١٩٦/١)، على هامش فِصَل ابن حزم.

(١٣٠)

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزي قال حدّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال: قدم معنٌ بن أوْس المُزنيّ البصْرة، فقعد يُنْشد في المِرْبد، فوقف عليه الفرزدق فقال: يا معْنُ مَنِ الذي يقول:

لعمْرُكَ ما مُزَيْنةُ رهْطُ معْنٍ ... بأخفاف يطأنَ ولا سنام

فقال معنٌ: أتعْرف يا فرزدقُ الذي يقول:

لعمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فلْجٍ ... بأرْداف المُلوك ولا كرام(١)

فقال الفرزدق: حسْبُك ! إنّما جرّبتُك. قال: قد جرّبتَ وأنت أعلم، فانصرف وتركه. (٥٨/١٢)

(١٣١)

أخبرني محمد بن عمْران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هشام قال: قال عبدُ الملك بن مرْوانَ يوماً وعنده عدّةٌ من أهل بيته وولده: ليقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سمع به؛ فذكروا لامرئ القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتّى أتوْا على محاسن ما قالوا. فقال عبد الملك: أشعرُهم والله الذي يقول:

وذي رحمٍ قَلَّمْتُ أظْفارَ ضِغْنه ... بحِلْميَ عنهُ وهُوَ ليس له حلمُ
إذا سُمْتُه وصْلَ القرابة سامني ... قطيعتها، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأسْعى لكي أبني ويهْدِمُ صالحي ... وليس الذي يبْني كمنْ شأنُه الهدْمُ
يُحاولُ رغْمي لا يُحاول غيره ... وكالموتِ عندي أن ينالَ له رغمُ
فما زِلْتُ في لينٍ له وتعطُّفٍ ... عليه كما تحنُو على الولدِ الأمُّ
لأسْتلَّ منه الضِّغْنَ حتّى سللْتُه ... وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يضيقُ به الحِلْمُ

قالوا: ومنْ قائلها يا أمير المؤمنين؟ قال: معْنُ بن أوْسٍ المُزنيّ. (٥٩/١٢)

(١٣٢)

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا سليمان بن عيّاش السَّعْديّ قال (أخبرني السائب بن ذكْوانَ راويةُ كُثَيِّر قال): قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة، وأخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن

---

(١) فلج هنا: وادٍ بين البصرة وحمى ضريّة من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، والأرداف: جمع رِدف وهو هنا جليس الملك عن يمينه يشرب معه ويخلفه إذا غزا.

عثمان بن حفص قال، وأخبرني علي بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبيريّ والمُسيبيّ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز (الجوهريّ) قال حدّثنا عمر بن شبّة موقوفاً عليه. وجمعتُ رواياتهم، وأكثرُ اللّفظ للزُّبير (بن بكّار) وخبرُه أتمُّ: أنّ عمر بن أبي ربيعة قدم المدينة؛ فزعموا أنّه قدمها من أجل امرأةٍ من أهلها، فأقام بها شهراً؛ فذلك قوله:

يا خليليَّ قد مَلِلتُ ثوائي ... بالمُصلّى وقد شننتُ البقيعا(١)

قال: ثم خرج إلى مكة، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا.

قال الزُّبير في خبره عن سائب راوية كُثيِّر إنه قال: لمّا مرُّا بالرُّوْحاء(٢) استتلياني(٣) فخرجت أتلوهما، حتّى لحقتُهما بالعَرْج(٤) عند رواحهما، فخرجْنا جميعاً حتّى وردْنا ودّانَ(٥)، فحبسهما النُّصيبُ وذبحَ لهما وأكرمهما، وخرجنا وخرج معنا النُّصيب، فلمّا جئنا كُلَيَّة عدلنا(٦) جميعاً إلى منزل كُثيِّر، فقيل لنا: هبطَ قديداً(٧)، فذُكر لنا أنّه في خيمةٍ من خيامها. فقال لي ابن أبي ربيعة: اذْهبْ فادْعُه لي، فقال النُّصيب: هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك. فقال لي عمر: اذْهبْ كما أقول (لك:) فادعُه لي، فجئته، فهشَّ لي وقال: «اذْكُرْ غائباً تره» لقد جئت وأنا أذكرُك. فأبلغته رسالة عمر؛ فحدَّد إليَّ نظرةً وقال: أما كان عندك من المعرفة ما يردَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة؟ قلت: بلى والله! ولكنّي سترتُ عليك فأبى اللهُ إلاّ أن يهتك ستركَ. فقال لي: إنّك والله يابنَ ذكْوانَ ما أنتَ من شكْلي؛ فقُلْ لابن أبي ربيعة: إنْ كنتَ قُرشيّاً فأنا قرشيٌّ. فقلت له: لا تترك هذا التَّصنُّع وأنت تقْرفُ عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ(٨)! فقال: والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سدوس. ثم قال: وقل له: إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك. فقلت له: هذا إذا كان الحُكْمُ إليك. فقال: وإلى مَنْ هو ومنْ أولى بالحكم منّي! (وبعد هذا يابن ذكوان فاحْمدِ الله على لومك؛ فقد منعك منّي) اليوم؟ فرجعتُ إلى عمر، فقال: ما وراءك؟ فقلتُ: ما قال لك نُصيبٌ. فقال: وإنْ فأخبرتُه فضحك وضحك صاحباه ظهْراً لبطْنٍ، ثم نهضوا معي إليه. فدخلنا عليه في خيمةٍ، فوجدناه جالساً على جلْدِ كبْشٍ، فوالله ما أوسع للقُرشيّ. فلمّا تحدّثوا مليّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعْر، أقبل على عُمرَ فقال له: أنت تنْعتُ المرأة فتنْسب بها ثم تدعها وتنْسب بنفسك، أخبرني

---

(١) شننتُ: أبغضت، وكرهت. (٢) الرّوحاء: قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً.

(٣) استتلياني طلب إليه أن يتلوه. (٤) العَرْج: قرية كانت جامعة في وادٍ من نواحي الطائف.

(٥) ودّان: قرية جامعة من نواحي الفُرْع بين مكة والمدنية. (٦) كُلَيَّة: قرية بين مكة والمدينة.

(٧) قديد: موضع قرب مكة. (٨) يقول له: أنت لست بأصيل في قريش ولا بمتمكنٍ فيهم، كالصمغة من الشجرة: فإنّ الصمغة إذا قرفت وقُلعت لم يبق لها أثر.

يا هذا عن قولك:

قـالتْ تصدُّيْ لـه ليعْرفنا ثمّ اغمزيه يا أخت في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبطرَّتْ تشتدُّ في أثري(١)
وقولُها والدُّموعُ تسبقُها لتُفسدنَّ الطُّواف في عُمر

أتراكُ لو وصفت بهذا هرّة أهلك ألم تكن قد قبُحت وأسأتَ وقلتَ الهُجْر؛ إنّما تُوصفُ الحُرّةُ بالحياء والإباء والالتواء والبخْل والامتناع(٢)، كما قال هذا ـ وأشار إلى الأحوص:

أدُورُ ولولا أنْ أرى أمّ جـعْفـرٍ بأبيـاتِكُمْ مـا دُرْتُ حـيثُ أدور
ومـا كُنْتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهـوى إذا لـم يزُرْ لا بُدَّ أن سـيـزورُ
لقد منعتْ معروفها أمّ جعْفرٍ وإنّـي إلى معـروفها لفقـيرُ

قال: فدخلتِ الأحْوص أبُهةٌ وعُرفتِ الخُيلاءُ فيه. فلما استبان كُثيِّر ذلك فيه قال: أبطل آخِرُك أوّلك. أخبرني عن قولك:

فإن تصلي أصلكِ وإنْ تبيني بصُرمك بعد وَصْلك لا أبالي
ولا ألفى كمنْ إنْ سيمَ صرْماً تعرَّضَ كـي يُردَّ إلى الوصـالِ

أما والله لو كنتَ فحْلاً لباليتَ ولو كَسرتْ أنْفك. ألا قلْتَ كما قال هذا الأسود ـ وأشار إلى نُصيب:

بزينبَ ألمِمْ قبل أن يرْحلَ الرَّكْبُ وقُـلْ إنْ تملَّينا فمـا مَلَكِ القلْبُ

قال: فانكسر الأحوصُ، ودخلتِ النُّصيْبَ أبهةٌ. فلمّا نظر أنّ الكبرياء قد دخلته. قال له: يابنَ السَّوداء، فأخبرني عن قولك:

أهيم بدعْدٍ ما حييتُ فإنْ أمُتْ فواكبدي مَنْ ذا يهيمُ بها بعْدي

أهمُّك منْ ينيكُها بعدك! فقال نُصيْب: استوتِ القوقُ، قال: وهي لُعْبةٌ مثل المنقلة. ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين. قال سائب: فلمّا أمسك كثيِّر أقبل عليه عُمر فقال له: قد أنْصفْنا لك فاسْمع يا مذْبوبُ(٣) (إليّ)! أخْبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لمن تُحبّ حيث تقول:

ألا ليتنا يا عـزُّ كُنّا لـذي غنىً بعيريْنِ نرْعى في الخلاءِ ونعْزُبُ

---

(١) اسبطرّت: أسرعت.

(٢) أطلنا الوقوف عند هذا الأمر في القضية السابقة. (٣) المذبوب: المجنون.

كلانا به عَرٌّ فمنْ يرنا يَقُلْ ... على حُسْنها جرْباءُ تُعْدى وأجْربُ
إذا ما وردْنا منْهلاً صاح أهلُه ... علينا فما ننْفكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ
ودِدْتُ وبيْتِ اللهِ أنَّكِ بكْرةٌ ... هجانٌ وأنِّي مُصْعَبٌ ثم نهْرُبُ(١)
نكون بعيريْ ذي غِنى فيُضيعُنا ... فلا هُو يرْعانا ولا نحن نُطلَبُ

وقال: تمنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقَّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمسْخَ، فأيُّ مكْروهٍ لم تمنَّ لها ولنفسك! لقد أصابها منك قولُ القائل: «مُعاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمق». قال: فجعل يختلج جسده كله. ثم أقبل عليه الأحوص فقال: إليَّ يابن استْها(٢) أخْبِرْكَ بخبرك وتعرُّضك للشرّ وعجْزك عنه وإهدافك لمن رماك. أخبرني عن قولك:

وقُلْنَ - وقد يكْذبْنَ - فيكَ تعيُّفٌ ... وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاح ناعقُهْ
وأعْييتْنا لا راضياً بكرامةٍ ... ولا تاركاً شكْوى الذي أنت صادقُهْ
فأدركتَ صفْو الوُدِّ منَّا فلُمْتنا ... وليس لنا ذنْبٌ فنحن موازقُهْ(٣)
وألفيتنا سلْماً فصدَّعْتَ بيْننا ... كما صدَّعتْ بين الأديم خوالقُهْ(٤)

والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤتَ به على نفْسك. قال: فخفق كما يخْفِق الطائرُ. ثم أقبل عليه النُّصيْبُ فقال: أقْبِلْ عليَّ يا زُبُّ الذُّبابِ! فقد تمنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي عِلْمُه فيك حيث تقول:

ودِدعتُ - وما تُغْني الودادةُ - أنَّني ... بما في ضمير الحاجبيَّة عالم
فإنْ كان خيراً سرَّني وعلِمْتُه ... وإنْ كان شرّاً لم تُلْمني اللَّوائمُ

انْظُرْ في مرْآتك واطَّلِعْ في جيبك واعْرِفْ صورة وجهك، تعْرِفْ ما عندها (لك). فاضطرب اضطراب العُصْفور، وقام القوم يضحكون. وجلست عنده؛ فلمَّا هدأ شأْوُه قال لي: أرْضيتُك فيهم؟ فقلتُ له: أمَّا في نفسك فنعَمْ! فقد نحُس يومُك معهم، وقد بقيتُ أنا عليك. فما عُذْرُك - ولا عُذْرَ لك - في قولك:

سقى دِمْنتيْنِ لم نجِدْ لهما أهْلا ... بحقْلٍ لكم يا عزَّ قد رابنا حقْلا(٥)

---

(١) بكرة هجان: بيضاء، والمصعب: الفحل. (٢) كلمة تُستعمل للتحقير.

(٣) موازق: جمع مازقة، يقال: مذق الودُّ إذا لم يُخلصه.

(٤) البين هنا: الوصل، وخوالق الأديم: اللاتي يقدرنه قبل أن يقطعنه.

(٥) حَقْل: مكان دون أيلة بستة عشر ميلاً، ويذكر ياقوت أنَّه كان لعزَّة صاحبة كثيِّر، ينظر معجم البلدان (٢/٢٧٨)، ويسوق هذا البيت.

نجـــاءُ الثُّريَّا كُـلَّ آخـــر لَيْلَـــةٍ يجـــودُهمـــا جـــوْداً ويُتْبِعُه وبْلا

(ثم قلت في آخرها):

ومـــا حســـبتْ ضَمْرِيـــةٌ حَدَريـــةٌ سوى التَّيْس ذي القرْنين أنَّ لها بعْلا

أهكذا يقول الناسُ ويحكَ! ثم تظنُّ أنَّ ذلك قد خفي ولم يعْلم به أحدٌ، فتسُبَّ الرجالَ وتعيبهم! فقال: وما أنت وهذا؟ وما علْمُك بمعنى ما أردت؟ فقلت: هذا أعجب من ذاك، أتذكر امرأة تنسب بها في شِعرك وتسْتغْرزُ لها الغيْثَ في أوّل شِعْرك، وتحْملُ عليها التَّيْسَ في آخره! قال: فأطرق وذلَّ وسكن. فعُدْتُ إلى أصحابي فأعْلمتُهم ما كان من خبره بعدهم، فقالوا: ما أنت بأهْون حجارته التي رُمي بها اليوم منّا. قال فقلتُ لهم: إنَّه لم يترني فأطْلُبَه بذحْلٍ(١)، ولكنّي نَصَحْتُه لئلاّ يُخِلَّ هذا الإخلالَ الشديد، ويركب هذه العروض(٢) التي ركب في الطَّعْن على الأحرار والعيْب لهم(٣). (١١٣/١٢)

(١٣٣)

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا حمادُ بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة عن عوانة وعيسى بن يزيد: أنَّ كُثَيِّراً دخل على عزّةَ ذات يوم، فقالت له: ما ينبغي لنا أن نأذن لك في الجلوس. قال: ولم؟ قالت: لأنّي رأيتُ الأحوص ألْين جانباً (في شعره) منك في شِعْرك وأضْرَعَ خَدّاً للنساء، وإنَّه لأشعرُ منك حين يقول:

يـأيُّهـا اللاّئمي فـيـهـا لأصْرِمَهـا أكـثـرتَ لو كـان يُغْني منك إكْثـارُ
ارْجَعْ فلستَ مُطاعاً إذ وشيتَ بها لا القلبُ سـالٍ ولا في حُبِّهـا عـارُ

وإنّي استرقَقْتُ قوله:

وما كنتُ زوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لـم يَـزُرْ لابُدَّ أنْ سـيُزورُ

وأعجبني قولُه:

كمْ من دنيٍّ لها قد صِرْتُ أتْبَعُه ولو صحا القلبُ عنها كان لي تبعا(٤)

---

(١) يترني: أي يصبح موتوراً، وهو صاحب الثأر الذي لم يدرك ثأره بعد، والذَحْل: الثأر.

(٢) العروض: الطريق في عرض الجبل.

(٣) هذا نمط من نقد الشعراء الذي انتشر في العصر الأموي، وهو يستند على خبرة الشاعر، وذوقه، وإحساسه بمواقع الألفاظ، ومعرفته بالأعراف الشعرية والاجتماعية، ويمثّل هذا النقد جانباً مهماً من الحركة النقدية في العصر الأموي. (٤) الدنيّ: الخسيس، وأصله دنيء بالهمز.

وزادني كلفاً بالحُبِّ أنْ منعتْ أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

وقوله أيضاً:

وما العيْشُ إلاَّ ما تلذُّ وتشتهي وإنْ لام فيه ذو الشَّنآنِ وفنَّدا(١)

فقال كُثيِّر: قد والله أجاد! فما الذي استجْفيتِ من قولي؟ قالت: أخزاك الله، أما استحييتَ حين تقول:

يُحاذِرْنَ منِّي غيْرةً قد عرفْنها لديَّ فما يضْحكْنَ إلاَّ تبسُّما

فقال كثيِّر:

ودِدْتُ وبيت الله أنَّك بكْرةً هجانٌ وأنِّي مُصْعبٌ ثم نهْرُبُ
كلانا به عَرٌّ فمنْ يرنا يقُلْ على حُسْنها جرْباء تُعدِي وأجربُ
نكون لذي مالٍ كثير مُغفَّلٍ فلا هُو يرعانا ولا نحن نُطْلبُ

فقالت لي: ويْحك! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويلَ، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأطْيبُ.
(١٢٤/١٢)

(١٣٤)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصبّاح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال: كان الأقوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه. والعرب تعدّه من حكمائها. وتعدّ داليته:

معاشر ما بنو مجدا لقومهم وإن بنى غيْرهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها. (١٦٩/١٢)

(١٣٥)

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن المدائنيّ: أنّ عبد الملك لما وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمَّنه، ثم تواثبَ أهل الشام ليقتلوه، قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول:

اسمع أمير المؤمنين من لمدحتي وثنائها

---

(١) الشَّنآن: البغض مثل الشنآن.

أنتَ ابن مُعْتلج البطـا ح كُدَيِّهـا وكـدائهـا(١)
ولبطْـن عـائشـةَ التي فـضلتَ أرومَ نسـائهـا

فلما أنشد هذا البيت قال له عبد الملك: قل «ولنسل عائشة». قال: لا بل «ولبطن عائشة». حتّى ردَّ ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى إلاَّ «ولبطن عائشة». فقال له عبد الملك: اسحنفر(٢) الآن. قال: وعائشة أمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. هذه رواية الزبير بن بكّار. (١٨٣/١٢)

(١٣٦)

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبي عبد الرحمن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السّلوسيّ راوية كثيّر قال: والله إني لأسير يوما مع كثيّر، حتى إذا كنا ببطن جدار (جبل من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رحالة(٣) متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرّت جنابي فسلّمتْ ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز. قالت: فهل تروي لكثيِّر شيئاً؟ قلت: نعم، قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيِّراً وأسمع شعره، فهل تروي قصيدته: أهاجك برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ

قلت: نعم: فأنشدتها إياها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله:

كأنك لم تسمعْ ولم تر قبلها تَفَـرُّقَ آلاَف لهـنّ حـنينُ

قلت: نعم وأنشدتها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً: لعزةَ من أيام ذي الغُصْن شاقني

قلت: نعم وأنشدتها إلى آخرها. قالت: فهل تروي قوله أيضاً: أأطلالَ سُعدى باللوى تتعهَّدُ

قلت: نعم وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثلَ العين ضنَّت بمائها عليٌّ ولا مثلي على الدمع يحسُدُ

قالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثيِّر أحدٌ على الأرض. والله لأن أكون رأيت كثيِّراً، أو سمعتُ منه شعره أحبُّ إليَّ من مائة ألف درهم. قال: فقلت: هو ذاكِ الراكبُ أمامك، وأنا السائب راويته. قالت: حياك الله تعالى. ثم ركضت بغلتها حتى أدركته فقالت: أنت كثيِّر؟ قال: مالك ويلك!

---

(١) كدى وكداء: موضعان بمكة، وقيل: جبلان.

(٢) اسحنفر الرجل في منطقه: مضى فيه ولم يتمكّث.

(٣) الرحالة: مركب من جلود لا خشب فيه.

فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حُسرتْ عنه العمامةُ راعها جميلُ المحيَّا أغفلتْه الدواهنِ

والله ما رأيت عربياً قطُّ أقبحَ ولا أحقر ولا ألأمَ منك. قال: أنتِ والله أقبح مني وألأم. قالت له: أولستَ القائل:

تراهنَّ إلا أن يؤدِّين نظرةً بمؤخرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصما
كواظمَ ما ينطقْنَ إلا مَحُورة رجيعةَ قولٍ بعد أن يتفهَّما(١)
يحاذرْن مني غيْرةً قد عرفْنها قديماً فما يضحكْن إلا تبسُّما

لعن الله من يفرق(٢) منك، قال: بل لعنك الله. قالت: أو لست الذي تقول:

إذا ضمْريَّةٌ عطست فنكِها فإن عُطاسها طرفُ الوداقِ

قال: من أنتِ؟ قالت: لا يضرّك أن لم تعرفني ولا من أنا. قال: والله إني لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرة. قالت: حيَّاك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليَّ وجهاً ولا لقاء منك. قال: لا حياكِ الله، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منك، قالت: أتعرفني؟ قال: أعرف أنك لئيمة من اللئام، فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضرة أمُّ ولدٍ لبِشْر بن مروان. (١٨٣/١٢)

(١٣٧)

حدّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دأبٍ: وسمع قولَ الشُّماخ بن ضرارٍ الثعلبيِّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله:

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيَّ سُرى صادفَ زادا وحديثا يُشْتهى
إنَّ الحديث طرفٌ من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشّماخ يقول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسي:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عرابةُ باليمين

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة. (٢١٩/١٢)

(١٣٨)

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال قال عبد الملك بنُ مروان:

---

(١) المحورة: الجواب، يريد أنّهن لا ينطقن إلاّ بعد أن يُسألن. (٢) يفرق: يخاف.

كان شاعرُ ثقيفٍ في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام، فقيل له: من يعْني أميرُ المؤمنين؟ فقال لهم: أمّا شاعرهم في الإسلام فيزيدُ بنُ الحكم حيث يقول:

فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتْك لحيتُك الخضابا
عقائلُ من عقائل أهلِ نجد ... ومكّةَ لم يُعقِّلْنَ الرِّكابا
ولم يطرُدْنَ أبقعَ يوم ظعنٍ ... ولا كلبا طردن ولا غرابا(١)

وقال شاعرهم في الجاهليّة:

والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه ... عُمُراً يكون خلاله مُتنفّسُ
لم ينتقص منّي المشيبُ قُلامةً ... ولما بقى منّي ألبٌّ وأكيسُ (٢٩٠/١٢)

(١٣٩)

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهْرويه قال حدّثني إسحاق بن محمد النخعي عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم البزّي قال حدّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال: كان أبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قُشير، وكان بنو قشير عثمانية، وكان امرأته أمّ عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبُّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فإذا أصبح قال لهم: يا بني قشير، أيُّ جوارٍ هذا! فيقولون له: لم نرمِك، وإنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينك، فقال في ذلك:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طوالَ الدهر لا تنسى عليًّا!
فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً عَلَيّا؟
أحبُّ محمدا حباً شديدا ... وعباساً وحمزة والوصيّا
بني عمّ النبيّ وأقربيه ... أحبُّ الناس كلّهم إليّا
فإن يك حبّهم رُشْدا أصبه ... ولستُ بمخطئٍ إن كان غيّا
همُ أهل النصيحة غير شكّ ... وأهل مودّتي ما دمت حيّا
هوىً أعطيتُه لما استدارت ... رحى الإسلام لم يُعْدلَ سويًّا(٢)
أحبهمُ لحبّ الله حتّى ... أجيء إذا بُعثتُ على هويًّا(٣)

---

(١) الغراب الأبقع: ما كان فيه سواد وبياض.

(٢) الطريق السويّ: المستقيم. (٣) على هويا: على هواي.

رأيت الله خالقَ كلِّ شيءٍ هداهم واجتبى منهم نبيًّا
ولم يخصُص بها أحد سواهم هنيئاً ما اصطفاه لهم مريا

قال: فقالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول:

فإن يك حبهم رشدا أصبه

فقال: أما سمعتم قول الله عزَّوجل: (وإنَّا أوْ إيَّاكُمْ لعلى هُدىً أوْ في ضلالٍ مُبين). أفترى الله جلَّ وعزَّ شكَّ في نبيِّه وقد رُوي أنَّ معاوية قال هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب. (٣٢٠/١٢)

(١٤٠)

وقال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رويتهم شعرا فلا تُروِّهم إلاَّ مثلَ قول العُجير السلولي:

يبين الجارُحين يبين عنّي ولم تأنسْ إليَّ كلابُ جاري
وتظعنُ جارتي من جنب بيتي ولم تُستربستر من جداري
وتأمن أن أطالع حين آتي عليها وهي واضعةُ الخمار
كذلك هَدْيُ آبائي قديماً توارثه النُّجار عن النُّجار
فهديي هديُهم وهُمُ افتلوني كما افتُلي العتيق من المهار(١) (٧٥/١٣)

(١٤١)

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني الحكم بن موسى بن الحسين السلولي قال: حدّثني أبي عن عمه قال: عرضَ العجيرُ لسليمانَ بن عبد الله وهو في الطواف، وعلى العجير بُرْدان يساويان مائةً وخمسين دينارا، فانقطع شِسعُ نعله فأخذها بيده، ثم هتف بسليمان فقال:

ودلَّيتُ دلوي في دلاء كثيرة إليك فكان الماءُ ريَّان مُعلما(٢)

فوقف سليمانُ ثم قال: لله درُّه ما أفصحه، والله ما رضي أن قال ريان حتى قال معلما(٣)،

---

(١) افتلوني: يقال فلا الصبيُّ والمهر فلوا وأفلاه وافتلاه: عزله عن الرضاع وفصله، وافتليته: فطمته، أي: فطموني عن جهل الصبا وعقلت، والعتيق: الفرس الرائع الكريم، والمِهار: جمع مُهر وهو ولد الفرس.

(٢) الريَّان: الكثير، والمعلم: ما فيه علامة، أراد أنَّه مشهور معروف. (٣) إنَّ إشارة سليمان النقدية أخذت مداها بعد هذا، فنراه أعجب بلفظة «معلم» التي جاءت بعد «ريان»، وصارت قافية للبيت، وإيضاحاً لما =

والله إنه ليُخيَّلُ إليَّ أنه العُجير، وما رأيته قط إلا عند عبد الملك. فقيل له: هو العجير. فأرسل إليه: أن صِر إلينا إذا حللنا. فصار إليه، فأمر له بثلاثين ألفا وبصدقات قومه، فردُّها العجير عليهم ووهبها لهم. (٧٦/١٣)

(١٤٢)

أخبرني هاشمُ بن محمد قال حدّثنا المغيرةُ بنُ محمد المهلّبيّ عن رواة باهلة، أنّ المهلّب بن أبي صفرة لما هزم قطريّ بن الفجاءة بسابور(١) جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حال الشّجا دون طعْم العيش والسهرُ ... واعتاد عينك من إدمانها الدِّررُ(٢)

واستحقبتكَ أمورٌ كنتَ تكرهها ... لو كان ينفعُ منها النُّأيُ والحذرُ(٣)

وفي الموارد للأقوام تهلُكةٌ ... إذا الموارِدُ لم يُعْلم لها صدرُ(٤)

= قبلها، وقد تردّد هذا المفهوم في كتب النقد والبلاغة واستقرّ على مصطلحين هما: الأطناب بالإيغال، والإشباع، وللأصمعي رأي في بيت لذي الرمّة يشبه رأي سليمان السابق حيث قال: «إنّ أشعر الناس مَنْ .. ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى .. مثل ذي الرمة حيث يقول:

قِفِ العيسَ في أطلال ميّة فاسألِ ... رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتمّ كلامه قبل «المسلسل» ثم قال: «المسلسل» فزاد شيئاً، ينظر نقد الشعر (ص ١٩٤)، ووقف عنده قدامة في نقد الشعر (ص ١٩٢)، وسمّاه ائتلاف القافية مع سائر البيت، أمّا الإطناب بالإيغال فهو «ختم البيت بما يفيد نكتة يتمّ المعنى بغيرها»، ينظر الإيضاح للقزويني (ص ١٩٩)، وذكره ابن سنان، في سرّ الفصاحة (ص ١٨١) حيث قال: «إنّ الشاعر يوغل بالقافية في الوصف إن كان واصفاً، وفي التشبيه إن كان مشبّهاً»، ومن الواضح أنّ العجير في بيته السابق كان واصفاً، أمّا الإشباع فهو «أن يأتي الشاعر بالبيت معلّق القافية على آخر أجزائه، ولايكاد يفعل ذلك إلاّ حُذّاق الشعراء، وذلك أنّ الشاعر إذا كان بارعاً جلب بقدرته وذكائه وفطنته إلى البيت، وقد تمّت معانيه واستُغني عن الزيادة فيه بقافية متمّمة لأعاريضه ووزنه، فجعلها نعتاً للمذكور». ينظر المثل السائر (٢٠٨/٣)، وقد صنع العجيرهذا كلّه في بيته السابق، وقد ذكرنا هذا لنؤكد كلاماً طالما رددّناه وهو إنّ جذور المصطلحات ينبغي أن يُبحث عنها في أمثال هذه النصوص، فهي ليست مستجلبة، أو مترجمة، فالإشارات إليها موجودة، ولكنّ تقعيدها، ووضعها في موضعها المناسب لم يكن ليتهيأ في ذلك الوقت المبكر، حتى جاء النقّاد المتخصّصون فاستفادوا من ذلك التراث، وصنّفوه مثلما رأينا سابقاً.

(١) سابور: كورة مشهورة بأرض فارس.

(٢) الدِّرر: جمع درّة، هي كثرة اللبن، والمراد هنا انسكاب الدمع بغزارة. (٣) استحقبتك: أخّرتك.

(٤) الموارد: جمع مورد، وموارد الأمور: مداخلها، يقول: مَنْ لم يعرف عاقبة أمره الذي دخل فيه هلك.

ليس العزيزُ بمن تغشى محارمُه ولا الكريمُ بمن يُجْفى ويُحْتقرُ

حتى انتهى إلى قوله:

أمسى العبادُ بشرٍّ لاغياثَ لهم إلا المهلبُ بعد الله والمطرُ
كلاهما طيِّبٌ تُرجى نوافله مباركٌ سيبُهُ يرجى ويُنْتظر(١)
لا يجْمُدانِ عليهم عند جهدهم كلاهما نافعٌ فيهم إذا افتقروا(٢)
هذا يذودُ ويحمي عن ذمارهم وذا يعيش به الأنعام والشُّجر(٣)
واستسلم الناسُ إذ حلَّ العدوُّ بهم فلا ربيعتُهم تُرجى ولا مضرُ
وأنت رأسٌ لأهل الدين منتخبٌ والرأسُ فيه يكون السمع والبصر
إن المهلَّب في الأيام فضلُه على منازلِ أقوام إذا ذُكروا
حزمٌ وجود وأيامٌ له سلفتْ فيها يُعدُّ جسيمُ الأمر والخطرُ
ماضٍ على الهول ما ينفكُّ مرتحلا أسبابَ معضلةٍ يعيا بها البشر(٤)
سهلُ الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفرُ
شهابُ حربٍ إذا حلَّت بساحته يُخْزي به اللهُ أقواماً إذا غدروا
تزيدُهُ الحربُ والأهوال إن حضرت حزما وعزما ويجلو وجهه السفر
ما إن يزال على أرجاءِ مُظْلمةٍ لولا يكفكفُها عن مصرهم دمروا(٥)
سهلٌ إليهم حليم عن مجاهلهم كأنما بينهم عثمانُ أو عمر
كهفٌ يلوذون من ذُلّ الحياة به إذا تكنَّفهم من هولها ضرر
أمنٌ لخائفهم فيضٌ لسائلهم ينتاب نائلَه البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشِّعْرُ، لا ما نُعلِّلُ به. (٨٥/١٣)

(١٤٣)

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن جُدُّان، قال: حدّثني أحمد بن محمد بن مخلد المهلبيّ، قال: نظر الحجّاج إلى يزيد بنِ المهلب يخطر في مشيته، فقال: لعن الله المغيرة بن حبناءً حيث يقول:

---

(١) السيب: العطاء. (٢) لا يجمدان: لا يبخلان. (٣) الذِّمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.
(٤) مرتحلاً: راكباً، أي هو يركب المعضلات من الأمور حتى يذلّلها ويُيَسّرها.
(٥) يكفكفها: يردّها، دمروا: هلكوا.

جميلُ المحيَّا بختريٌّ إذا مشـــى وفي الدِّرعِ ضخمُ المنكبينِ شِناق(١)

فالتفت إليه يزيد، فقال: إنه يقول فيها:

شديد القوى من أهلِ بيتٍ إذا وهى من الدِّين فـتقٌ حُمِّلوا فأطـاقوا(٢)

مـراجيحُ في اللأواء إن نزلتْ بهـم ميامينُ قد قادوا الجيوش وسـاقوا(٣) (١٣/١٠٠)

(١٤٤)

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني عبد الله بن عمرو قال: حدّثني أبو توبةَ صالحُ بن محمدٍ عن محمدٍ جبير، عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: حدّثني إبراهيم بن المهدي قال: قال لي جعفر بن يحيى: ذكر حكمٌ الواديّ، أنه غنّى الوليدَ بن يزيد ذات ليلة وهو غلامٌ حديث السنّ، فقال:

إكليلُهـــا ألـــوانُ ووجُهـــهـــا فـــتّانُ

وخـــالُهـــا فـــريدٌ ليس لهـا جـيـرانُ

إذا مـــشـــتْ تثنّت كـــأنّهـــا ثعـبـــانُ

فطرب حتّى زحف عن مجلسه إليّ، وقال: أعدْ فديتك بحياتي، فأعدتُه حتى صحل(٤) صوتي، فقال لي: ويحك، من يقول هذا؟ فقلت: عبدٌ لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. فقال: ومن هو فديتك؟ فقلت: مطيع بن إياسٍ الكناني، فقال: وأين محله؟ قلت: الكوفة. فأمر أن يُحمل إليه على البريد، فحُمل إليه، فما أشعر يوماً إلا برسوله قد جاءني، فدخلتُ إليه ومطيعُ بن إياسٍ واقفٌ بين يديه، وفي يد الوليدِ طاسٌ من ذهب يشربُ به، فقال له: غنّ هذا الصوت يا واديّ. فغنّيتُه إياه، فشرب عليه، ثم قال لمطيع: من يقول هذا الشعر؟ قال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: ادن مني. فدنا منه، فضمّه الوليد وقبّل فاه وبين عينيه، وقبّل مطيعٌ رجله والأرض بين يديه، ثم أدناه منه حتّى جلس أقربَ المجالس إليه، ثم تمّ يومُه فاصطبح أسبوعاً متوالي الأيام على هذا الصوت. (١٣/٢٧٧)

(١٤٥)

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يهوى أمَّ مالك بنت نؤيب الخزاعيّ، وكان بطون من

---

(١) البختري: حسن المشي، والشِناق: الطويل. (٢) الفتق: الشقّ والخرق، وأطاقوا: وسعوا واحتملوا.

(٣) مراجيح: ذوو أحلام وبصر بالأمور. (٤) صحل: بُحَّ.

خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أجدبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدَّم قبيصة بن نؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت نؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور:

أجِدكِ إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازعُ ... قد اقتربتْ لو أن ذلك نافعُ

قد اقتربت لو أن في قُرب دارها ... نوالا، ولكن كلُّ من ضنَّ مانع

وقد جاورتْنا نعمى في شهورٍ كثيرة ... فما نوَّلتْ، واللّهُ راءٍ وسامعُ

فإن تَلْقَيْنْ(١) نعمى هُديتَ فحيِّها ... وسل كيف تُرعى بالمغيب الودائع

وظنِّي بها حفظٌ لغيبي، ورعيةٌ ... لما استرعُيَتْ، والظن بالغيب واسع

وقلت لها في السرّ بيني وبينها ... على عجلٍ: أيان من سار راجع؟

فقالت: لقاءٌ بعد حول وحجّةٍ ... وشَحْطُ النوى إلا لذي العهد قاطع(٢)

وقد يلقى بعد الشتات أولو النّوى ... ويسترجع الحيُّ السحابُ اللوامع(٣)

وما إنْ خذولٌ نازعتْ حبل حابلٍ ... لتنجوَ إلا استسلمت وهي ظالع(٤)

بأحسنَ منها ذاتَ يوم لقيتُها ... لها نظرٌ نحوى كذى البثّ خاشع

رأيت لها نارا تُشبّ، ودونها ... طويلُ القرا من رأس ذروةَ فارعُ(٥)

فَقلْتُ لأصحابي: اصطلوا النّارَ إنّها ... قريبٌ، فقالوا: بل مكانك نافعُ(٦)

فيا لك من حادٍ حبوت مقيّدا ... وأنحى على عرنين أنفك جادع(٧)

أغيظا أرادتْ أن تخبَّ جمالُها ... لتفجعَ بالإضعان من أنت فاجع(٨)

فما نُطفة بالطُّود أو بضريّة ... بقية سيلٍ أحرزتْها الوقائع(٩)

---

(١) تَلْقَيْنْ: مؤكدٌ بنون التوكيد الخفيفة. (٢) الحجّة: السنة، والشحط: البعد.

(٣) النوى: البعد، ويسترجع الحي: أي يرجعهم ويردّهم. (٤) الخذول من الظباء والبقر: التي تخذل صواحباتها وتتخلّف عن القطيع وتنفرد مع ولدها، وظلع: غمز في مشيه.

(٥) تشبّ: توقد، والقرا: الظهر، وذروة: اسم جبل، والفارع: العالي. (٦) اصطلوا النار: يريد جدّوا في السير لنصطلي النار. (٧) المعنى: فقالوا عجباً لك! إنّك تسير سيراً بطيئاً كحبو الصبي مقيّداً، وقد جُدع عرنين أنفك أي ليس لديك العدّة الكافية للّحاق بها فكيف تدركها.

(٨) المعنى: هل أرادت أن تخبّ جمالها غيظاً لك فيحملك ذلك على أن تشقّ على أصحابك وتجهدهم في السير.

(٩) النطفة: الماء الصافي قلّ أو كثر والجمع نطاف، والطود: الجبل، وضريّة: بئر، والوقائع جمع وقيعة وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.

يطيف بها حرّانُ صادٍ ولا يرى ... إليها سبيلا غيرَ أنْ سيطالع(١)

بأطيب من فيها إذا جئت طارقا ... من الليل واخضلّتْ عليك المضاجع(٢)

وحسبُك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر ... ومن حزنٍ أن زادَ شوقك رابعُ

سعى بينهم واش بأفلاق برمةٍ ... ليفجع بالأضعانَ من هو جازعُ(٣)

بكت من حديث بثّه وأشاعه ... ورصّفه واشٍ من القوم راصعُ(٤)

بكت عينُ من أبكاك لا يعرف البكا ... ولا تتخالجك الأمور النوازعُ

فلا يسمعَنْ سري وسرّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سرٍّ جاوز اثنين شائعُ

وكيف يشيع السرُّ منّي ودُونه ... حجاب ومن دون الحجاب الأضالعُ

وحبٍّ لهذا الربع يمضي أمامه ... قليلُ القِلى منه جليلٌ ورادع

لهوتُ به حتى إذا خِفتُ أهله ... وبيّن منه للحبيب المخادع

نزعتُ فما سرّي لأوّل سائل ... ونو السر ما لم يحفظ السرُّ ماذع(٥)

وقد يحمد اللهُ العزاء من الفتى ... وقد يجمع الأمر الشتيتَ الجوامعُ

ألا قد يُسلّى ذو الهوى عن حبيبه ... فيسلى، وقد تُردي المطيُّ المطامعُ

وما راعني إلاّ المنادي ألا اظعنوا ... وإلا الرواغي غُدوةً والقعاقع(٦)

فجئت كأني مستضيفٌ وسائل ... لأخبرها كلُّ الذي أنا صانعُ

فقالت: تزحزحْ ما بنا كُبْرُ حاجةٍ ... إليك ولا منّا لفقرك راقعُ

فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنني ... من الحرِّ نو طِمْرين في البحر كارعُ(٧)

فهزّت إليّ الرأس مني تعجُّبا ... وعُضّض مما قد فعلتُ الأصابعُ

فأيُّهما ما أتبعنَ فإنني ... حزين على إثر الذي أنا وادعُ(٨)

---

(١) أطاف به: ألمّ به وقاربه، وحرّان صاد: عطشان، طالعه: اطلع عليه أي أشرف.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً، واخضلّت: ندیت. (٣) برمة: عرض من أعراض المدينة، بين خيبر ووادي القرى، وهي عيون ونخل لقريش، وأفلاق جمع فَلَق وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين.

(٤) بثّ الخبر: نشره، ورصف الشيء: ضمّ بعضه إلى بعض ونظمه، ورصعه بالرمح: طعنه طعناً شديداً غيّب السنان كلّه فيه، ورصع الشيء: عقده عقداً مثلّثاً متداخلاً كمعقد التميمة ونحوها.

(٥) المَذَاع: مَنْ لا وفاء له ولا يحفظ أحداً بالغيب، ومَنْ لا يكتم السرّ.

(٦) رغت الناقة رغاءً: صوّتت فهي راغية، والجمع الرواغي، والقعاقع: تتابع أصوات الرعد في شدّة، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية، وما إلى ذلك تأهّباً للرحيل. (٧) الطمر: الثوب الخلق، وكرع من الماء: تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفّيه ولا بإناء. (٨) وادع: تارك.

بكى من فراق الحيّ قيسُ بنُ مُنقذ وإذراءُ عينيْ مثلُه الدمعَ شائع
بأربعةٍ تنهلُّ لمّا تقدّمتْ بهم طُرُقٌ شتّى ومنْ جوامع(١)
وما خِلْتُ بين الحيّ حتى رأيتهم ببينونة السفلى وهبّت سوافع(٢)
كأنّ فؤادي بين شقّين من عصا حذار وقوع البين والبينُ واقعُ
يحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نجاؤه ومُغْرىً عن الساقين والثوب واسع(٣)
فقلت لها يا نُعم حلّي محلّنا فإن الهوى يا نُعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرةً بأهلي بيِّنْ لي متى أنت راجع؟
فقلّت لها تالله يدري مسافر إذا أضمرتْه الأرضُ ما الله صانعُ
فشدّت على فيها اللثامَ وأعرضتْ وأمعن بالكُحل السُحيقِ المدامع(٤)
وإني لعهد السوءَ راعٍ، وإنّني بوصلك مالم يطوني الموتُ طامع

قال أبو عمرو: فأنشدتُ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حلّي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك. (١٥٤/١٤)

(١٤٦)

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدّثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه، ويعجّزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم، فقال المهلّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يملكه لا إلى من يعرفه، فإن كنتَ نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبّرها كما أرى، فإن أمكنتّني الفرصة انتهزتُها، وإن لم تُمْكنّي (توقفّت)، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، وإن أردتَ منّي أن أعمل (وأنا حاضر) برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان فعليّ، فابعث من رأيتَ مكاني، وكتب من فورِه بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: لا تُعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعْجِلْه، ودعْه يدبّر أمره، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج:

إنّ ابنَ يوسف غرّه من غزوكمْ خفضُ المقام بجانب الأمصار(٥)

---

(١) بأربعة: أي بأربع أعين وهي عيناه وعيناها، وانهلّت العين: سالت بالدمع.

(٢) بينونة: موضع بين عمان والبحرين، والسوافع: لوافح السموم. (٣) النجاء: السرعة في السير.

(٤) أمعن الماء: سال وجرى. (٥) خفض المقام: لين العيش وسهولته.

لَوْ شاهد الصُّفَّيْن حين تلاقيا ضاقت عليه رحيبةُ الأقطار
من أرض سابُورِ الجُنودِ ، وخيلُنا مثلُ القداح بريْتَها بشفارِ(١)
من كلّ خنذيذ يُرى بلبانه وقْعُ الظُّباة مع القنا الخطّار(٢)
ورأى معاودةَ الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتار(٣)
فَدَعِ الحروبَ لشيبها وشبابها وعليك كلُّ خريدةٍ معطار(٤)

فبلغت أبياتُه الحجّاج، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري إليه، فأعلم المهلبُ كعبا بذلك، وأوفده إلى عبد الملك (من تحت ليلته، وكتب إليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك)، واستنشده فأعجبه ما سمع منه، فأوفده إلى الحجّاج، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفو عنه ويُعرض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل إليه ودخل عليه قال: إيه يا كعب:

ورأى معاودةَ الرِّباع غنيمةً

فقال له : أيها الأمير، والله لقد وددتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها، وما يُوردناه المهلّب من خطرها، أن أنجو منها وأكونَ حجُّاماً أو حائكاً، فقال له الحجّاج: أولى لك، لولا قسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحقْ بصاحبك، وردُّه من وقته. (١٤/٢٩٠)

(١٤٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواءٌ وطلاء وغناء، قال: ذلك لك. ومضى به إلى قينةٍ بالمدينة ففتنته:

ألا حيِّ الديار بسعدَ إنّي أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا
أرادَ الظاعنون ليحزنوني فهاجُوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق: ما أرقَّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ فقال: لا والله. قال: هو لجرير، يهجوك به. فقال: ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقّة شعره. (١٥/١٣٥)

---

(١) سابور: كورة بفارس. (٢) الخنذيذ: الفارس الشجاع، اللبان: الصدر أو وسطه، والظباة: جمع ظبة، وهي حدُّ السيف، ورمح خطّار: ذو اهتزاز شديد.
(٣) الرِّباع: الدّية يحملها قوم عن قوم. (٤) امرأة معطار: اعتادت أن تتعهدَ نفسها بالطيب وتكثر منه.

(١٤٨)

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: بلغني أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنيم: أنشدني أفضلَ شعرٍ قالته كنانة. فأنشده قصيدةَ أبي الطَّفيل:

أيدْعُونني شيخاً وقد عشتُ برهةً وهـنَّ من الأزواجِ نحـوي نوازعُ

فقال له بشر: صدقت هذا أشعر شعرائكم. قال: وقال له الحجاج أيضاً: أنشدني قول شاعركم: «أيدعونني شيخا» فأنشده إياه فقال: قاتله الله مُنافقا، ما أشعره! (١٤٨/١٥)

(١٤٩)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة هكذا موقوفا لم يتجاوز، وأخبرني أنّ كثيِّر بن عبد الرحمن كان غاليا في التشيُّع. وأخبر عن قطام صاحبةِ ابن مُلجم في قدمةٍ قدمها الكوفة فأراد الدخول عليها ليوبِّخها، فقيل له: لا تُردها فإن لها جوابا. فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرعه فقالت: من هذا؟ فقال: كثيِّر بن عبد الرحمن الشاعر. فقالت لبنات عمّ لها: تنحيْنَ حتى يدخل الرجل. فولِجنَ البيتَ وأذنتَ له، فدخل وتنحتْ من بين يديه، فرآها وقد ولّت فقال لها: أنت قطام؟ قالت: نعم، قال: صاحبة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قالت: صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم. قال: أليس فيك قُتل علي بن أبي طالب؟ قالت: بل مات بأجله، قال: أما والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ، فلما رأيتك نبتْ عيني عنك، فما احلوليت في خلدي. قالت: والله إنّك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيحُ المنظر، وإنك لكما قال الأوّل: «تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه»(١) فقال:

رأتْ رجلاً أودى السُّفارُ بوجهه فلم يبقَ إلا منظرٌ وجناجن(٢)
فإنْ أكُ معروقَ العظام فإنني إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن(٣)
وإنّي لما استودعتني من أمانةٍ إذا ضاعت الأسرار للسر دافن

فقالت: أنت لله أبوك كثيِّر عزة؟ قال: نعم. قالت: الحمدُ لله الذي قصّر بك فصرتَ لا تُعرف إلا بامرأة! فقال: الأمر كذلك، فوالله لقد سار بها شعري وطار بها ذكري، وقرُبَ من الخليفة

---

(١) المعيدي هذا هو شقّة بن ضمرة بن جابر، رآه المنذر بن ماء السماء وكان يعجبه ما يبلغه عنه، فلمّا رآه حقره وأرسل فيه هذا المثل، فقال له شقة: أبيت اللعن، إنّ القوم ليسوا بجزر - يعني الشاء - إنّما يعيش الرجل بأصغريه: لسانه وقلبه، فأعجب المنذر كلامه وسرّه ما رأى منه.

(٢) السُّفار: السفر، والجناجن: جمع جنجن، وهي عظام الصدر. (٣) معروق العظام: نحيل.

مجلسي، وأنا لكما قلتُ:

فإن خفيتْ كانت لعينك قُرَّةً ... وإن تبدُ يوما لم يعمَّك عارُها
فما روضةٌ بالحزنِ طيبة الثرى ... يمجُّ الندى جثجاثُها وعرارها(١)
بأطيب من أردانِ عزَّة موهنا ... وقد أوقدتْ بالمندلِ اللَّدنِ نارُها

فقالت: بالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أنقص عقلا منك، ولا أضعفَ وصفاً، أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول:

ألم تريانى كلّما جئتُ طارقا ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيَّبِ

فخرج وهو يقول:

الحقُّ أبلج لا يُخيل سبيلُه ... والحقُّ يعرفه ذوو الألباب(٢) (٢٨٣/١٥)

(١٥٠)

قال العمريّ: وحدّثني عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثي، قال: قال الحزين الدّيلي يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمروٍ بماجدٍ ... ولكنّه كزُّ اليدينِ بخيلُ
ينام عن التقوى ويُوقظه الخنا ... فيخبط أثناء الظلام يجولُ
فلا خير في عمرٍ ولجارٍ ولا له ... ذِمامٌ ولكنْ للئام وصولُ
مواعيدُ عمرو تُرّهاتٌ ووجهُه ... على كلّ ما قد قلت فيه دليل
جبانٌ وفحّاشٌ لئيمٌ مذمَّمٌ ... وأكذبُ خلقِ الله حين يقول
كلام ابنِ عمروٍ صُوفةٌ وسطَ بلقع ... وكفُّ ابن عمرو في الرُخاء تطول
(وإنْ حزبته الحازبات تشنُّجتْ ... يداه ورمحٌ في الهياج كليلُ)

فبلغ شعرُه عمراً فقال: ماله لعنه الله ولعن مَن ولده، لقد هجاني بنيّةٍ صادقة ولسان صنَع ذَلِق، وما عداني إلى غيري(٣). قال: فلقي الحزين عروة بن أذينة الليثي فأنشده هذه الأبيات فقال له: ويْحك، بعضُها كان يكفيك، فقد بنيتها ولم تُقِمْ أودها، وداخلْتها وجعلتَ معانيها في

---

(١) الجثجاث والعرار: من نبات البادية.

(٢) لا يخيل: لا يشتبه ولا يلتبس.

(٣) لسان صنَع: حاذق، ماهر، وذلق: حادٌ ذرب، ينظر لسان العرب (٢٠٩/٨، ١١٠/١٠)، يريد أنّ شعره جيّد، يدلّ على خبرة، ومهارة، بالإضافة إلى أنّه اقتصر في هجائه عليه، لم يتعدّ إلى شخص آخر.

أكمُتها. قال الحزين: ذلك والله أرغبُ للناس فيها(١). فقال له عروة: خيرُ الناس من حلُم عن الجهّال، وما أراه إلا قد حلم عنك. فقال الحزين: حلُم والله عنّي شاء أو أبى، برغمه وصغره(٢). (٣٣٨/١٥)

(١٥١)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عمران الضبي قال: حدّثني القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبي قال: قدم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أقيصر، وعليه رجلٌ يُنشد قول لبيد:

وجلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها

فسجد الفرزدق فقيل له: ما هذا يا أبا فراس؟ فقال: أنتم تعرفون سجدة القرآن، وأنا أعرفُ سجدة الشعر(٣). (٣٧١/١٥)

(١٥٢)

أخبرني عمي قال: حدّثني الكراني وأبو العيناء عن القحذميّ قال: لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له الفرزدق: لقد هممتُ أن أهجو عبد القيس، وأصفَ من فسْوِهم شيئاً. قال له زياد: كما أنتَ حتى أسمعك شيئاً، ثم قال: قل إن شئتَ أو أمسك. قال: هات. قال:

وما ترك الهاجون لي إن هجوتُه مَصَحّاً أراه في أديم الفرزدقِ
فإنّا وما تُهدي لنا إنْ هجوتنا لكلبحر مهما يلْقَ في البحر يغرقِ

فقال له الفرزدق: حسبك هلُمّ نتتارك. قال: ذاك إليك. وما عاوده بشيء. (٣٩٢/١٥)

---

(١) بَنَيْتُها: أي نظمتها، وقلتها، ومن ذلك قول ابن طباطبا في عيار الشعر (ص ٧): «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى في فكره»، ولم تُقِم أودها: الأود: العوج، أي لم تثقّف هذه القصيدة وتنقحها بعد بنائها، والأكمةُ: جمع الكِمام، وهي في الأصل وعاء كلّ نَور وزهرة، ينظر لسان العرب (٥٢٦/١٢)، كأنّه يقول له جعلت معاني هذه القصيدة ظاهرة، واضحة، فهي إذن قصيدة لم ينقحّها صاحبها، قريبة المعنى، ولهذا صارت مرغوبة عند الناس لدنوّها من أفهامهم، وسرعة تأثيرها فيهم.

(٢) الصَغْر: الذلّ والمهانة.

(٣) تمثّل هذه السجدة موقفاً نقدياً واضحاً يشبه ما أشرنا إليه سابقاً، من استخدام بعض النقاد لألفاظ منفعلة تدلّ على الإعجاب، والانبهار، وهذه السجدة التي ستتكرّر تشير إلى هذا الإعجاب، والانبهار.

(١٥٣)

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا العتبي عن العباس بن هشام عن أبيه قال: حدّثني خراش، وكان عالما راوية لأبي، ولمؤرّج، ولجابر بن كلثوم، قال: أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناس في المربد وقد اجتمعوا حوله. فقال: مَن هذا؟ قيل: الأعجم. فأقبل نحوه فقيل له: هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك. فقام فتلقّاه وحيّا كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، فقال له الفرزدق: ما زالت تنازعني نفسي إلى هجاء عبد القيس منذُ دهْر. قال زياد: وما يدعوك إلى ذلك؟ قال: لأنّي رأيتُ الأشقريَّ هجاكم فلم يصنَعْ شيئاً، وأنا أشعر منه، وقد عرفتُ الذي هيّج بينك وبينه. قال: وما هو؟ قال إنّكم اجتمعتم في قُبّة عبد الله بن الحشرج بخراسان، فقلت له قد قلت شيئاً فمن قال مثله فهو أشعر منّي، ومن لم يقُلْ مثله ومدَّ إليَّ عنقه فإنّي أشعر منه. فقال لك: وما قلتَ؟ فقلت: قلتُ:

وقافيةٍ حذّاء بتُّ أحوكُها ... إذا ما سهيلٌ في السّماء تلالا(١)

فقال لك الأشقريّ:

وأقلف صلّى بعد ما ناك أمُّه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالا

فأقبلتَ على من حضر فقلت: يالأمِّ كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أنّمها حين تُخبر ابنها بقلّفتي! فضحك الناسُ وغلبت عليه في المجلس. فقال له زياد: يا أبا فراس، هَبْ لي نفسك ساعةً ولا تعجلْ حتّى يأتيك رسولي بهديّتي ثم ترى رأيك. وظنَّ الفرزدقُ أنه سيُهدي إليه شيئاً يستكفّه به، فكتب إليه:

وما ترك الهاجُون لي إن أردتُه ... مصحّاً أراهُ في أديم الفرزدقِ
وما تركوا لحماً يدقّون عظمه ... لأكله ألقوْه للمتعرّقِ
سأحطِمُ ما أبْقوا له من عظامه ... فأنكتُ عظمَ الساق منه وأنتقي(٢)
فإنا وما تُهدي لنا إنْ هجوتنا ... لكالبحر مهما يُلقَ في البحر يغرق

فبعث إليه الفرزدق: لا أهجو قوماً أنتَ منهم أبداً. (٣٩٢/١٥)

(١٥٤)

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: أخبرني عيسى بن

---

(١) وقافية: قصيدة، وحذّاء: سائرة لا عيب فيها، ولا يتعلقُ بها شيء من القصائد لجودتها.

(٢) نكّت العظم: ضرب طرفه بشيء ليُخرج مخّه، والانتقاء: استخراج النقي، وهو المخّ.

إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني، وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، عن عُمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا: اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكُثيِّر وجميل ونُصيب، فمكثوا أياماً، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة[1] وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

هما دلّتاني من ثمانين قامةً ... كما انحط باز أقتم الريش كاسرُهْ
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أحيٌّ يُرجَّى أم قتيل نحاذرهْ
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلتُ في أعجاز ليلٍ أبادرهْ[2]
أبادر بوّابيْن قد وُكِّلا بنا ... وأحمر من ساج تبصُّ مسامرهْ[3]

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلاَّ سترتها وسترت نفسك؟ خذ هذه الألف، والحق بأهلك. ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حينَ الزيارةِ فارجعي بسلام
تُجْري السواك على أغرَّ كأنَّه ... بَرَد تحدُّر من مُتون غمام
لو كان عهدكِ كالذي حدثتنا ... لوصلتِ ذاك فكانَ غير رمام[4]
إني أواصل من أردْتُ وصاله ... بحبالِ لا صلفٍ ولا لوَّام

قال: نعم. قلت: أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف. خذ هذه الألف والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم كُثيِّر؟ فقال: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

وأعجبني يا عزُّ منك خلائق ... كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ
دنُوك حتى يطمع الطالبُ الصِّبا ... ودفعك أسباب الهوى حين يطمع
وقطعُك أسباب الكريم ووصلك الـ ... ـلئيم وخلاّت المكارم ترفع
فوالله ما يدري كريم مماطلٌ ... أينساك إذ باعدتِ أم يتضرَّعُ

---

(١) وضيئة: جميلة. (٢) الأمراس: الحبال.
(٣) أحمر من ساج: باب من خشب الساج، وتبصّ: تصوّت. (٤) رمام: منقطع.

قال: نعم، قالت: ملُحْتَ وشكلْت. خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك. ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم نُصيْب؟ قال: هأنذا. قالت: أأنت القائل:

ولولا أن يقـــال صبـا نُصيْب لقلت بنفسيَ النُشـأُ الصِّغـارُ
بنفسي كل مـهضـوم حشـاها إذا ظُلِمَتْ فليس لهـا انتصـارُ

قال: نعم، قالت: ربُيتنا صغارا، ومدحتنا كبارا، خذ هذه الأربعة الآلاف، والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تقرئك السلام، وتقول لك: والله ما زلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شـعـري هل أبيتَنْ ليلـةً بوادي القُرى إنّي إذا لَسعـيدُ
لكـل حـديثٍ بينهنُ بشـاشـةٌ وكلُ قـتـيلٍ عندهن شـهـيـدُ

جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف الدينار، والحق بأهلك. (١٦/١٦١)

(١٥٥)

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبي عبد الله الزبيريّ قال: اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثيِّر وراوية جميل وراوية نصيب وراوية الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال: صاحبي أشعر، فحكموا سكينةبنت الحسين بن عليّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقاذون(١)، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذي كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارجـعي بسـلامِ

وأيّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ألا قال: فادخلي بسلام! ثم قالت لراوية كُثيِّر: أليس صاحبُك الذي يقول:

يقـرُّ بعيني مـا يقـرُّ بعينهـا وأحسن شيء ما به العين قرَّتِ

فليس شيء أقرُّ لعينها من النكاح، أفيحبُّ صاحبك أن يُنكح؟ قبح الله صاحبك، وقبح شعره! ثم قالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركَتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك من هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره! ثم قالت لراوية

---

(١) يتقاذون: أي يتبارون في التفاخر بأصحابهم.

نُصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعد ما حييت فـإن أمُت فيا حَرَبا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلاّ من يتعشقها بعده! قبحه الله وقبح شعره! ألا قال:

أهيم بدعد مـا حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلّة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبُك الذي يقول::

من عاشـقين تواعدا وتراسـلا لـيـلا إذا نجـمُ الثريـا حلّقا

باتـا بأنعـم ليلـة وألذّهـا حتى إذا وضح الصباحُ تفرّقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره! ألا قال: تعانقا.

قال إسحاق في خبره: فلم نَثْنِ على أحد منهم في ذلك اليوم، ولم نقدّمه. قال: وذكر لي الهيثم بن عديّ مثل ذلك في جميعهم إلا جميلاً، فإنه خالف هذه الراوية، وقال: فقالت، لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فياليتني أعمى أصمُّ تقودني بثُينـة لا يخْفى عليَّ كلامهـا

قال: نعم، قالت: رحم الله صاحبك كان صادقاً في شعره، كان جميلاً كاسمه، فحكمت له(١). (١٦٣/١٦)

(١٥٦)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر قلته، فأنشده قوله:

عزفْتَ بأعشاش وما كـدت تعـزفُ وأنكرتَ من حدراء ما كنتَ تعرفُ(٢) (١٦٧/١٦)

---

(١) يمثّل نقد السيدة سكينة لوناً من ألوان النقد القائم على البَصَر بالشعر، والخبرة بحركة الشعر المعاصر لها، بالإضافة إلى ما تستمده من البيئة الحجازية من ظرف، ورقّة، فهو يشبه كثيراً نقد ابن أبي عتيق لاتّفاق البلد، وائتلاف المزاج، وقد بيّن النّصان السابقان جوانب من نقد السيدة سكينة وأطرافاً منه.

(٢) عَزَف عن الشيء: انصرف عنه، وأورد صاحب اللسان (٩/٢٤٤)، هذا البيت شاهداً على العزوف عن النساء فقال: «رجل عزوف عن النساء إذا لم يَصْبُ إليهنّ»، وأعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة، ينظر معجم البلدان (١/٢٢١)، وأورد ياقوت هذا البيت أيضاً، وحدراء: اسم امرأة كانت له. وهذا البيت مطلع قصيدة مشهورة للفرزدق عدّتها مئة بيت وعشرة أبيات، وهي من عيون شعره، وقد جعلها القرشي في جمهرته (٢/٨٧٣)، أولى الملحمات، وهي القصائد المحكمة النظم، الملتحمة الشعر دلالة على =

(١٥٧)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثني علي بن محمد النوفليّ قال: كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن عليّ وهو والي البصرة، وعنده وجوه أهل البصرة، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر، فأفاضوا في ذكر بني هاشم، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه (ص)، فمن منشد شعرا، ومتحدث حديثا، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم. فقال أبي: قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللّهبي في بيت قاله، ثم أنشد قوله:

ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا ... إلا لقومي عليهم منّةٌ ويدُ
نحن السّنام الذي طالت شظيته ... فما يخالطه الأدواء والعمد(١)

فمن صلّى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله (ص) يدا عليه، بما هداه الله عزوجل إلى الإسلام به، ونحن قومه، فتلك منّة لنا على الناس. (١٨١/١٦)

(١٥٨)

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالا: حدّثنا عمر بن شبة قال: حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، قال: قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، على عبد الملك بن مروان، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد، فقال الزياديّ: والله ما أسمع شعرا، فلما كان العشيّ راح إليه الفضل، فوقف بين يديه، ثم قال: يا أمير المؤمنين:

أتيتك حالا وابن عمٍ وعمةٍ ... ولم أك شعْبا لاطه بك مِشعبُ(٢)
فَصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة ... ألا صلةُ الأرحام أبقى وأقرب
ولا تجعلنّي كامرئ ليس بينه ... وبينكُم قربى ولا متنسّب

= قوتها، وانسجامها، ولا ريب في أنّ الفرزدق كان واعياً بما يقول حين جعل هذه القصيدة أجود شعره، فهو كلام خبير، متمرّس، يعرف شعره أكثر ممّا يعرفه غيره، وقد أعجب بها الدارسون والنقّاد لدى طويل، ممّا يؤيد صحة حكم الفرزدق وصوابه.

(١) شظيتُه: رأسه وارتفاعه، والعَمَد: اسم جمع لـ (عُمُد) ومفرده العِماد، وهو ما أقيم به، ينظر لسان العرب (٣٠٣/٣)، يريد أنهم قائمون بأنفسهم، بالغو ذروة المجد بشر فهم لا يستندون على أحد، أو يستعينون بغيرهم، والسبب معروف هو رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

(٢) لاطه: ألصقه: وفي الشعر تعريض بزياد بن أبيه، وقصّة استلحاقه.

أتحدب من دون العشيرة كلها فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزياديّ: هذا، والله يا أمير المؤمنين، الشعر! فقال عبد الملك: النُّخْس يكفيك البطيء(١). وجعل يضحك من استرسال الزياديّ في يده، وأحسن صلته. (١٨١/١٦)

(١٥٩)

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا دماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائي عن ابنِ عائشة عن أبيه، والروايتان كالمتفقتين: أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبد الملك بن مروان، فأدخل عليه، فسأله عن نسبه، فانتسب، فقال له: لا أنعم الله بقيْن عينا تحية السخطِ إذا التقينا

أأنت لا أمُّ لك القائل:

نظرت إليها بالمحصَّب من منىً ولي نظرة لولا التحرُّج عارمُ

فقلت: أشمس أم مصابيح بيعةٍ بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيدةُ مهْوى القُرط إمّا لنوفل أبوها وإما عبدُ شمس وهاشمُ

فلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنا عشية راحت كفُّها والمعاصمُ

معاصم لم تضرب على البهْم بالضُّحى عصاها، ووجه لم تَلُحْه السَّمائمُ(٢)

ثم قال له عبد الملك: قاتلك الله! ما ألأمك! أما كانت لك في بنات العرب مندوحة عن بنات عمك! فقال عمر: بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين لابن العم، على شحْط الدار، ونأي المزار. فقال له عبد الملك: أراك مرتدعا عن ذلك؟ فقال: إنّي إلى الله تعالى تائب. فقال عبد الملك: إذن يتوبَ الله عليك، وسيحسن جائزتك. ولكن أخبرني عن منازعتك اللُّهبيّ في المسجد الجامع، فقد أتاني نبأ ذلك، وكنت أحبُّ أن أسمعه منك. قال عمر: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالسٌ في المسجد الحرام، في جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقني وأنا أتمثل بهذا البيت:

وأصبح بطنُ مكة مقشعرّاً كأنَّ الأرضَ ليس بها هشام

فأقبل عليّ وقال: يا أخا بني مخزوم، والله إن بلدة تبحبح(٣) بها عبد المطلب، وبُعث منها

---

(١) هذا مثل، معناه أنَّ الحثَّ يحرِّك البطيء الضعيف، ويحمله على السرعة.

(٢) شُرحت هذه الأبيات فيما سبق.

(٣) تبحبح: تمكّن في المقام والحلول.

رسول الله(ص)، واستقرَّ بها بيت الله عزوجلّ،، لحقيقة ألا تقْشعرّ لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدقُ قولُ من يقول:

إنما عبد مناف جوهر زيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلبِ

فاقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أشعر من صاحبك الذي يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناءُ مخزومَ للخيرات مخزومُ

فقال لي: أشعر والله من صاحبك الذي يقول:

جبريلُ أهدى لنا الخيراتِ أجمعها إذ أمُّ هاشمَ لا أبناءَ مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني والله. ثم حملني الطمع في انقطاعه عليّ، فخاطبته فقلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزومٍ الحريقُ إذا حركته تارة ترى ضرما
يخرج منه الشَّرارُ معْ لهبٍ من حاد عن حرِّه فقد سلما

فوالله ما تلعثم(١) أن أقبل عليّ بوجهه فقال: يا أخا بني مخزوم، أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمُ بحر إذا سما وطما أخمد حرُّ الحريق واضطرما
واعْلم وخير المقال أصدقُه بأنَّ من رام هاشما هُشِما

قال: فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرضَ ساختْ بي، ثم تجلدت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أشعر من صاحبك الذي يقول:

أبناءُ مخزومَ أنجمٌ طلعتْ للناس تجلو بنورها الظُّلما
نجود بالنَّيل قبلَ تُسْأله جُوداً هنيئاً وتضربُ البُهَما(٢)

فاقبل عليّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمُ شمسٌ بالسُّعْدِ مطْلعها إذا بدت أخفت النجومَ معا
اختار منها ربِّي النبيُّ فمن قارعها بعد أحمدٍ قَرعا

فاسودَّت الدنيا في عيني، ودير بي، وانقطعت، فلم أحر جواباً. (١٨٥/١٦)

---

(١) ما تلعثم: ما توقف.

(٢) البُهَم: جمع بهمة، وهو الشجاع ينبهم أمره على قَرْنه، فلا يدري من أين يصيبه.

(١٦٠)

أخبرني الحرمي قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنا المدائنيّ. وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن زهير، عن الزبير بن بكار قال: عن المدائنيّ قال: شهد رجل عند قاض بشهادة، فقيل له: من يعرفك؟ قال: ابن أبي عتيق. فبعث إليه يسأله عنه. فقال: عدلٌ رضاً. فقيل له: أكنت تعرفه قبل اليوم؟ قال: لا. ولكني سمعته ينشد:

غيُضْنَ من عبراتهن وقُلْن لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا!

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن، فشهدت له بالعدالة(١). (٣١٨/١٦)

(١٦١)

أخبرني الحرميّ قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد بن الضحاك قالا: كان أبو السائب المخزوميّ واقفا على رأس بئر، فأنشده ابن جندب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزالَ معينا

فرمى بنفسه في البئر بثيابه، فبعد لأيٍ ما أخرجوه(٢). (٣١٨/١٦)

(١٦٢)

وقيل في سبب المنافرة بين خالد والكميتُ غير هذا، نسختُه من كتاب محمد بن يحيى الخرّاز، قال: حدّثني أحمد بن إبراهيم الحاسب، قال: حدّثني عبد الرحمن بن داود بن أبي أميّة البلخيّ. قال: كان حكيم بن عيّاش الاعور الكلبيُّ ولعاً بهجاء مضر، فكانت شعراء مُضر تهْجُوه ويجيبهم، وكان الكميت يقول: هو والله أشعر منكم. قالوا: فأجب الرجل. قال: إنّ خالد بن عبد الله القسْريّ محسن إليَّ فلا أقدر أنْ أردَّ عليه، قالوا: فاسمعْ بأذنك ما يقول في بنات عمّك وبنات خالك من الهجاء، وأنشدوه ذلك؛ فحمي الكُميت لعشيرته، فقال المُذْهبة:

ألا حُيِّيتِ عنّا يا مَدينا(٣)

---

(١) فتح ابن أبي عتيق للنقد آفاقاً جعلته يتغلغل في حياة الناس وشؤونهم، فهو معجب ببيت جرير، مبهور به، وقد نقل هذا الإعجاب إلى غيره، فكلُّ مَنْ يرويه، ويطريه يمتلك ذوقاً رفيعاً، وإحساساً رقيقاً، وهو من أبيات جرير المشهورة في الغزل.

(٢) هذا نمط آخر من الإعجاب، يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، إذ لم يملك أبو السائب شيئاً يعبّر به عن هذا الإعجاب سوى رمي نفسه في البئر، وهو لون جديد لم نعهده من قبل

(٣) يا مدينا: أراد: يا مدينة فرخّم.

فأحسن فيها، وبلغ خالداً خبرها. فقال: لا أبالي ما لم يجْرِ لعشيرتي ذكر، فأنشدوه قوله:

ومِنْ عجبٍ عليَّ لعمرُ أمٍّ ... غذتك وغير هاتيًا يمينا
تجاوزتَ المياهَ بلا دليل ... ولا علمٍ تعسُّفَ مخطئينا(١)
فإنكَ والتحوّل مِنْ معدّ ... كهيلةَ قبْلنا والحالبينا
تخطَّت خيرهم حلباً ونسْئاً ... إلى المولى المغادر هاربينا(٢)
كعنْز السَّوء تنطحُ عالفيها ... وترميها عِصيُّ الذابحينا

فبلغ ذلك خالداً، فقال: فعلها! والله لأقتلنَّه. (٨/١٧)

(١٦٣)

أنشد الكميت وهشام بن عبد الملك يسمع:

أورثته الحصان أم هشام ... حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى به ابنُ عائشة البد ... ر فأمس له رقيبا نظيرا
وكساه أبو الخلائف مرْوا ... ن سنيَّ المكارم المأثورا
لم تجهمّ له البطاح ولكن ... وجدتها له مغاراً ونُورا

وكان هشامٌ متّكئاً فاستوى جالساً، وقال: هكذا فليكن الشعر يقولها لسالم بن عبد الله بن عمر، وكان إلى جانبه. (١٤/١٧)

(١٦٤)

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن بُكيْر الأسديّ، قال: حدّثني محمد بن أنس السُّلاميّ، قال: حدّثني محمد بن سهْل راوية الكميت، قال: جاء الكُميتُ إلى الفرزدق لما قدم الكوفة، فقال له إني قد قلْتُ شيئاً فاسْمعْهُ مني يا أبا فراس. قال: هاته، فأنشده قوله:

طربْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً مني وذو الشيب يلْعبُ
ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُّهى ... وخيْرِ بني حوّاء والخيْرُ يُطْلَبُ

فقال له: قد طربْتَ إلى شيء ما طرب إليه أحدٌ قبلك، فأما نحن فما نطربُ، ولا طرب مَنْ كان

---

(١) العلم: الهادي أو الدليل. والتعسّف: التخبّط وعدم الاستدلال.

(٢) النسيّ: اللبن الرقيق الكثير الماء.

قبلنا إلاّ إلى ما تركتَ أنْتَ الطُّربَ إليه(١). (٢٧/١٧)

(١٦٥)

أخبرني الحسن، قال: حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ، قال: حدّثني أحمد بن بُكير، قال: حدّثني محمد بن أنس، قال: حدّثني محمد بن سهل راوية الكميت عن الكميت، قال: لما قدم ذو الرُّمة أتيتُه فقلت له: إنّي قد قلْتُ قصيدةً عارضتُ بها قصيدتك: «ما بال عيْنك منها الماء ينسكب».

فقال لي: وأيّ شيء قلت؟ قال: قلتُ:

هــل أنتَ عن طلب الأيْفاعِ مُنْقلبُ أم كيف يحسنُ مِنْ ذي الشَّيْبةِ اللَّعِبُ(٢)

حتى أنشدتُه إياها، فقال لي: ويْحك! إنّك لتقولُ قولاً ما يقدرُ إنسانٌ أن يقول لك أصبتَ ولا أخطأتَ، وذلك أنك تصفُ الشيء فلا تجيء به، ولا تقعُ بعيداً منه، بل تقع قريباً، قلت له: أو تدري لم ذلك؟ قال: لا قلتُ: لأنك تصفُ شيئاً رأيته بعيْنك، وأنا أصِفُ شيئاً وُصِف لي، وليست المعاينةُ كالوصف. قال: فسكت(٣). (٢٩/١٧)

(١٦٦)

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أبو بكر الأموي، قال: حدّثنا ابن فضيل قال: سمعتُ ابن شُبْرمة، قال: قلت للكُميت: إنك قلتَ في بني هاشم فأحسنتَ، وقلتَ في بني أمية أفضل، قال: إني إذا قلت أحببتُ أنْ أحسن(٤). (٣٥/١٧)

---

(١) كأنّ الفرزدق رأى في معاني الشاعر خروجاً على التقليد الذي استنّه الشعراء العرب لأنفسهم من افتتاح القصيدة بالنسيب، والصبوة إلى النساء، والميل إليهن.

(٢) الأيفاع: الكواعب التي شارفت البلوغ.

(٣) يشير ذو الرّمة إلى شيء وجده في شعر الكميت وهو إنّه يحوم حول ما يصف فيقع قريباً منه، ولا يستطيع الدخول إليه، وقد فسّر الكميت هذه الظاهرة بأنّه يستفيد ممّا وُصف له، لا يأخذ الأشياء عن تجربة، ومعاينة، فكأنّ هذه المسافة بينه وبين الأشياء جعلته عاجزاً عن النفاذ إلى أعماقها، واصفاً لها عن قرب حسب، وسنرى في قضية قابلة أنّ بعض الشعراء يذكرون أنّهم يستفيدون من الشعر، ولا يعتمدون على المشاهدة، ومرّ هذا أيضاً في القضية السابقة في الحديث عن وصف الخيل.

(٤) كأنّه يبتغي التجويد في قوله أيّاً كان هذا القول، فهل نرى في كلام الكميت جذراً لقضية مهمة بحثها =

(١٦٧)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن القاسم بن الحسن، عن محمد بن سعد، عن الواقديّ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، قال: قال رجلٌ من أهل المدينة: ما ذُكِر بيت حسّان بن ثابت:

أهْوى حديثَ النُّدمانِ في فلقِ الصُّبح وصوْتَ المُسامرِ الفردِ

إلاّ عُدْتُ في الفتوّة كما كنت. قال: وهذا البيت من قصيدته التي يقول فيها:

انظر خليلي بباب جلّق هل تُؤْنسَ دونَ البلقاء مِنْ أحدِ (١٧٢/١٧)

(١٦٨)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزّبير بن بكار، قال: حدّثني عمّي ويعقوب بن عيسى، وأخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم، قال: حدّثنا أبو هفان عن إسحاق الموصلي، عن الزّبير: أنّ عمر بن أبي ربيعة رأى مالك بن أسماء، قال أبو هفان في خبره: وهو يطوفُ بالبيت، وقد بهر الناس جمالُه وكماله، فأعجب عمر ما رأى منه، فسأل عنه فعرفه، فعانقه وسلّم عليه وقال له: أنْتَ أخي حقّاً، فقال له مالك: ومنْ أنا ومَنْ أنت؟ فقال: أما أنا فستعرفني، وأما أنت فالذي تقول:

إنّ لي عند كلّ نفحةِ بستا نٍ من الورد أو من الياسمينا

نظراً والتفاتةً أترجّى أنْ تكوني حللْتِ فيما يلينا

وقال أبو هفّان في حديثه: قال له عُمر: مازلْتُ أحبُّك منذ سمعتُ هذا الشعر لك، فقال له

= قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر (ص ٦٦)، حيث قال: «وممّا يجب تقديمه أيضاً أنّ مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، أو يذمّه بعد ذلك ذمّاً حسناً، بيّناً غير مُنكَر عليه، ولا معيب في فعله، إذا أحسن المدح والذم .. لأنّ الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً، بل إنّما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن ينسخ ما قاله في وقت أخر». فقد أولى قدامة عنايته للقول وحده وتجويده، بلا نظر إلى قيم أخرى. وقد صنع الكميت في قولته السابقة ما يشبه هذا الكلام من خلال معرفتنا لموقف بني هاشم من الأمويين من جهة، واصطناع الكميت نفسه شاعراً لبني هاشم من جهة أخرى، ومع هذا نراه يمدح الفريقين، ويحبُّ أن يجوِّد في القولين، وينظر كذلك منهاج البلغاء لحازم (ص ١٣٨)، الذي ينقل كلاماً مهماً للجاحظ حول التناقض، وينظر البرهان في وجوه البيان لابن وهب (ص ٢٣٠ ـ ٢٣١).

مالك: أنت عُمر بن أبي ربيعة، قال: نعم. قال الزبير في خبره خاصة: وحدّثني ابنُ أبي كُناسة: أنَّ عمر لما لقي مالكاً استنشده، فأنشده مالكٌ شيئاً من شعره، فقال له عمر: ما أحسنَ شعرك لولا أسماء القرى التي تذكرها فيه(١)، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

إنَّ في الرفْقةِ التي شيَّعتنا ... بجويرٍ سما لزيْنَ الرُّفاقِ(٢)

ومثل قولك: أشهدْتنا أم كنتِ غائبةً ... عن ليلتي بحديثةِ القسْبِ(٣)

ومثل قولك: حبَّذا ليلتي بتلِّ بونَى ... حين نُسْقى شرابنا ونُغَنَّى(٤)

فقال له مالك: هي قُرى البلد الذي أنا فيه، وهو مثل ما تذكره في شعرك من أرْضِ بلادك، قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قولك:

حيَّ المنازلَ قد دثرْنَ خرابا ... بين الجوين وبيْن رُكْنِ كُسابا(٥)

ومثل قولك: ما على الرَّسْم بالبُلَيَّيْن لو ... بيَّنَ رجْعَ السلام أوْ لو أجابا(٦)

فأمسك عنه عُمر بن أبي ربيعة. (٢٣٤/١٧)

(١٦٩)

نسخت من كتاب ابن الطحان: قال الهيثم بن عديّ: أخبرنا حمّاد الراوية، قال: أنشدت أبا

---

(١) هل يجد عمر في ذكر القرى في الشعر مدخلاً لانتقاصه؟ سياق الكلام يشير إلى هذا، ولم نعلم سبباً وجيهاً يقدّمه لهذا النقد، فقد دأبت الشعراء منذ العصر الجاهلي على ذكر القرى والمواضع في شعرها، سواء أكانت طللاً دارساً أم منازل عامرة، وهي تتخذها وسيلة للتذكّر، أو للارتباط بالأرض والحنين إليها أو ما شاكل ذلك، ولعلّ الردَّ الذي جوبه به، وسكوته بعد ذلك دليل على أنَّ الاعتراض لم يكن في محلّه، خاصّة أنّ مالكاً ذكر له أسماء قرى وردت في شعره، فهل يُعدُّ هذا ضعفاً فيه اعتماداً على مقياسه الذي وضعه بنفسه؟!

(٢) سُمَّى: وادٍ بالحجاز، ينظر معجم البلدان (٣/٢٤٥).

(٣) حديثة: اسم لعدّة مواضع، في الموصل، والفرات، ودمشق، ينظر معجم البلدان (٢/٢٣٠).

(٤) تلّ بونَى: من قرى الكوفة. ينظر معجم البلدان (٢/٤٠)، وأورد ياقوت هذا الخبر مع تغيير.

(٥) الجوين: اسم كورة جليلة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور. ينظر معجم البلدان (٢/١٩٢)، وقد وردت هكذا في الأغاني، ولكنّ هذا البيت ورد في معجم البلدان (٤/٤٥٩)، وفيه (الجُرير) بدل (الجوين)، والجُرير: موضع قرب مكة، وهو أقرب إلى شعر عمر وأكثر تلاؤماً معه، فأن يذكر وادياً قرب مكة أوفق من أن يذكر كورة بين بسطام ونيسابور. وكُساب: موضع. ينظر معجم البلدان (٤/٤٥٩).

(٦) البليّان: مفرده بُليّ، وهو تلّ قصير أسفل حاذة بينها وبين ذات عرق، ينظر معجم البلدان (١/٤٩٤).

عطاء السنديّ في أثناء حديثٍ هذا البيت:

إذا كنْتَ في حاجةٍ مرسلاً فأرسِلْ حكيما ولا تُوصِهِ

فقال أبو عطاء: بئس ما قال. فقلت: كيف تقول أنت؟ قال: أقول:

إذا أرسلتَ في أمرٍ رسولا فأفهِمْـــه وأرســـلْه أديبا

وإنْ ضيَّعتَ ذاك فـلا تلُمْـهُ على أن لـم يكن علِمَ الغُيوبا (٣٣٦/١٧)

(١٧٠)

ونسخت من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، عن أبيه، وعن أشياخه، وعدّة من أهل البادية من بني عديّ، منهم زُرْعة بن أذبول وابنه سليمان وأبو قيس وتميم وغيرهم من علمائهم: أنّ أمّ ذي الرُّمة جاءت إلى الحُصين بن عبدة بن نُعيم العدويّ وهو يقرئ الأعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم، فقالت له: يا أبا الخليل: إن ابْني هذا يُروِّع بالليل، فاكتب لي معاذةً أعلّقها على عنقه، فقال لها: ائتيني برقّ أكتب فيه، قالت: فإن لم يكن، فهل يستقيم في غير رقّ أن يكتب له؟ قال: فجيئيني بجلد، فأتته بقطعة جلد غليظ، فكتب له معاذة فيه، فعلّقته في عنقه، فمكث دهْراً. ثم إنّها مرّت مع ابنها لبعض حوائجها بالحُصينَ وهو جالس في ملأ من أصحابه ومواليه، فدنتْ منه، فسلّمت عليه، وقالت: يا أبا الخليل، ألا تسمع قولَ غيْلان وشِعْره؟ قال: بلى. فتقدّم فأنشده، وكانت المعاذةُ مشدودةً على يساره في حبل أسود، فقال الحصين: أحسن ذو الرّمة؛ فغلبت عليه. (٢/١٨)

(١٧١)

وقال هارون بن الزيات: حدّثني عليّ بن أحمد الباهليّ، قال: حدّثني ربيح النمريّ، قال: اجتمع الناس مُرّةً وتحلّقوا على ذي الرمة، وهو ينشدهم، فجاءت أمه فاطّلعت من بينهم فإذا رجل قاعد وهو ذو الرمة. وكان دميما شَخْتاً أجْنأ(١) فقالت أمه: استمعوا إلى شعْره، ولا تنظروا إلى وجهه(٢). (٦/١٨)

---

(١) الشخت: الدقيق الضامر خلقةً لا هزالاً. والأجنأ: مَنْ يُشرف كاهله على صدره.

(٢) كأنّ هذه الوالدة تفرّق بين الخلقة، والشعر، وتطلب منهم الاستماع للشعر الجيد، دون النظر إلى صاحب الشعر، وهي تفرقة منصفة تجعل الحكم في النهاية على الشعر وحده بلا مؤثرات أخرى.

(١٧٢)

نسخت من كتاب محمد بن داود: وحدّثني هارون بن الزيات، عن محمد بن صالح العدويّ، قال قال حمّاد الراوية: قال الكميت حين سمع قول ذي الرمة:

أعاذلُ قد أكثرتِ مِنْ قول قائلٍ وعيْبٌ على ذي الوُدّ لوْمُ العواذلِ

هذا والله مُلهم، وما علِمُ بدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كنْز العقل المعدُّ لذوي الألباب! أحسن ثم أحسن. (٧/١٨)

(١٧٣)

قال محمد بن صالح: وحدّثني محمد بن كُناسة بذلك عن الكميت، وقال: لما أنشد قوله في هذه القصيدة (ذو الرّمة):

دعاني وما داعي الهوى مِنْ بلادها إذا ما نأتْ خرْقاءُ عنّي بغافلِ

فقال الكُميت: لله بلادُ هذا الغلام! ما أحسن قوله وما أجود وصفه! ولقد شفع البيتَ الأول بمثله في جودة الفهم والفطنة، وقال قولَ مستُسلم. (٧/١٨)

(١٧٤)

قال: وكان صالح بن سليمان راويةً لشعر ذي الرّمة، فأنشد يوماً قصيدةً له، وأعرابيّ من بني عديّ يسمع. فقال: أشهد عنْك ـ أي أنّك ـ لفقيهٌ تُحْسِنُ ما تتلوه، وكان يحسبه قرآنا. (٧/١٨)

(١٧٥)

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو البيداء الرّياحيّ، قال: قال جرير: قاتل اللهُ ذا الرّمة حيث يقول:

ومُنْتزعٍ مِنْ بين نِسْعيْهِ جِرّةٌ نشيجَ الشّجا جاءت إلى ضرْسِهِ نزْرا(١)

---

(١) يصف بعيراً قد أعيى من طول الرحلة، وقلّة الكلأ، منتزع: يخرجها انتزاعاً من جهد جهيد، والنّسع: سير يضفر ضفراً عريضاً لشدّ الرّحل على صدر البعير، والجِرّة: ما يخرجه البعير من بطنه ليجترّه، أي ليمضغه ثم يبلعه، والنشيج: البكاء يتردّد في الصدر، ويغصّ به الباكي ويسمع له صوت في الجوف، والشجا: ما يعترض في حلق الإنسان أو الدابة من عظم أو عود أو غيرهما، وأراد الفصّة تعترض في الحلق، ونزر: قليل، يقول: انتزع جرّته انتزاعاً من جوفه، فلم يخرج له من الطعام الباقي إلاّ قليل، كأنّه يتنفّس نفس المجهود الذي غصّ بالبكاء. ينظر طبقات فحول الشعراء (٢/٥٥٠)، ومن هنا نرى أنّ اقتراح جرير أدقّ =

أما والله لو قال: «ما بين جنْبيْه» لما كان عليه منْ سبيل. (١٤/١٨)

(١٧٦)

أخبرني أبو خليفة، عن ابن سلاّم، قال: كان أبو عمْرو بن العلاء يقول: إنما شعر ذي الرّمة نُقط (عروس يضمحل عن قليل) وأبعار لها مشمّ في أول شمّة، ثم تعودُ إلى أرواحُ البعر. (١٤/١٨)

(١٧٧)

قال: وكان عمر بن شبة يقول عمن أخبره عن أبي عمرو: إنما شعره نقط عروس تضمحلّ عمّا قليل، وأبعار ظباء لها مشمّ في أول شمها، ثم تعود إلى أرواح الأبعار(١). (١٥/١٨)

(١٧٨)

قال أبو زيد بن شبّة: قال أبو عبيدة: وقف الفرزدق على ذي الرّمة وهو ينشد قصيدته (الحائية) التي يقول فيها:

إذا ارْفضّ أطرافُ السِّياط وهلّلتْ جُـرومُ المطـايا عذّبتهنّ صـيْدحُ(٢)

فقال ذو الرّمة: كيف تسمعُ يا أبا فراس؟ قال: أسمعُ حسنا، قال: فمالي لا أعدُّ في الفحول من الشعراء؟ قال: يمنعك من ذلك ويُباعدك ذكرُك الأبعار ويكاؤُك الديار، ثم قال:

ودوّيّـةٍ لـو ذُو الرُّمـيْمـةِ رامـهـا لقصر عنها ذو الرُّميمْ وصيْدَحُ(٣)

= في وصف حالة هذا البعير من الموجود في البيت، فهو ينتزع الجرّة من الجنبين لا من النّسمين.

(١) من المفيد أن نورد تعليق الأصمعي على هذا الرأي إذ يقول: «إنّ شعر ذي الرمة حلو أوّل ما تسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف، ولم يكن له حسن، لأنّ أبعار الظباء أول ما تُشمّ يوجد لها رائحة ما أكلت الظباء من الشيح والقيصوم والنبت الطيب الرائحة، فإذا أمَتْ شمّه ذهبت تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت» (الموشح ص ٢٧١)، وللفرزدق رأي في شعر ذي الرمة يختلف قليلاً عن هذا الذي سبق، يقول: «أرى شعراً مثل بعر الصّيران إن شممتَ شممتَ رائحة طيبة، وإن فتّتَّ فتّتَّ عن نتن» (الموشح ص ٢٧١)، فكأنّ مجمل الإشارتين تتحدّثان عن قضية اللفظ والمعنى في شعر ذي الرمة، ألفاظ جميلة برّاقة، ومعنى إذا فتّشت عنه لم تجد شيئاً. ينظر كتابي الشعراء النقاد .. الفرزدق (ص ٩٨) وما بعدها فقد بحثتُ هذا الأمر هناك تفصيلاً. (٢) ارفضّ: تفرّق من العرق، والجرم: الجسد، وهلّلت جرومها: صارت كالأهلّة من الهزال، وصيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٣) الدّوية: الصحراء، وذو الرميمة: تصغير ذو الرُّمة، ورامها: أراد قطع الصحراء.

قطعتُ إلى معروفها منكراتها إذا اشتدَّ آلُ الأمْعز المتوضِّحُ(١)

وقال عمر بن شبّة في هذا الخبز: فقام إليه ذو الرمة فقال: أنشدك الله أبا فراس أن تزيد عليهما شيئاً، فقال: إنهما بيتان، ولن أزيد عليهما شيئاً. (١٨/١٥)

(١٧٩)

أخبرني عليُّ بن سليمان، عن محمد بن يزيد، عن عمارة بن عقيل، قال: كان جرير يقول: ما أحببتُ أن يُنسب إليّ من شعر ذي الرمة إلا قوله: «ما بالُ عيْنكَ منها الماءُ ينْسكِبُ»، فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً(٢). (١٨/٢٣)

(١٨٠)

نسختُ من كتاب محمد بن داود بن الجرّاح: حدّثني هارون بن محمد الزيات، قال: حدّثني حمّاد بن إسحاق عن عمارة بن عقيل، قال: قيل لبلال بن جرير: أيّ شعر ذي الرّمة أجود؟ فقال: «هل حبل خَرقاء بعْدَ اليوْمِ مرْمُوم»، إنها مدينة الشعر. (١٨/٣٣)

(١٨١)

أخبرني أبو الحسن الأسديّ، عن العباس بن ميمون طانع، قال: حدّثنا أبو عثمان المازنيّ، عن الأصمعيّ، عن عنبسة النحويّ، قال: قلت لذي الرّمة وسمعْتُه ينشد ويقول:

وعيْنان قال الله كونا فكانتا فعُولَيْنِ بالألبابِ ما تفْعل الخمْرُ

قال: فقلت له: فهلاّ قلتَ: فعُولان؟ فقال: لو قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كان خيراً لك: أي أنك أردْتَ القدر، وأراد ذو الرّمة كونا فعولين بالألباب، وأراد عنبسة، وعينان فعولان(٣). (١٨/٣٣)

---

(١) معروفها: ما يُعرف من طُرق الصحراء، ومنكراتها: ما يُجهل منها، والأمعز: المكان الصلب الكثير الحصى، والمتوضِّح: المستبين.

(٢) تتردّد في نصوص كثيرة رغبةُ الشعراء في نسبة شيء من شعر غيرهم إليهم، وهذه علامة من علامات الإعجاب والشهادة لذلك الشعر بالتفوّق. وقد أفردنا لقضية الشياطين مكاناً مستقلاً.

(٣) هذا نموذج من الاختلاف الدائم بين العلماء والشعراء، بسبب اختلاف الثقافة، والنظرة إلى الشعر، وسنرى نماذج أخرى كثيرة.

(١٨٢)

وحُكي أن إسحاقَ بن سُويد المعارضَ له قال: وأخبرني الأخفش قال: حدَّثني محمد بن يزيد النحويّ، قال: حدَّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال: حدَّثني أبي، عن أبيه قال: قدم ذو الرّمة الكوفة فوقف يُنشد الناس بالكُناسة(١) قصيدته الحائية، حتى أتى على قوله:

إذا غيرُ النَّأيُ المُحبينَ لم يكدْ رسيسُ الهوى مِنْ حُبّ ميَّةَ يبْرَحُ

فناداه ابنُ شُبْرمةُ: يا غيْلان، أراهُ قد برَّح. فشنق(٢) ناقته، وجعل يتأخّر بها ويفكر. ثم عاد فأنشد قوله: إذا غيرُ النَّأيُ المحبين لم أجدْ

قال: فلما انصرفت حدَّثتُ أبي، فقال: أخطأ ابن شُبْرمةُ حين أنكر على ذي الرُّمة ما أنشد، وأخطأ ذو الرُّمةَ حين غيَّر شِعْره لقول ابن شبرمة، إنما هذا مثل قول الله عزوجل: (ظُلماتٌ بعضُها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكدْ يراها) وإنما معناه لم يرها ولم يكد. (٣٤/١٨)

(١٨٣)

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدَّثنا عمر بن شبة: حدَّثنا إسحاق الموصليّ، عن الأصمعيّ، قال: قال رجل: رأيت ذا الرُّمة بمربد البصرة وعليه جماعة مُجتمعة وهو قائم، وعليه بُرْد قيمته مائتا دينار، وهو ينشد، ودموعُه تجري على لحيته: ما بالُ عَيْنِك منها الماء ينْسَكبُ

فلما انتهى إلى قوله:

تُصْغي إذا شدَّها بالكُورِ جانحةً حتى إذا ما اسْتوى في غرْزها تثِبُ(٣)

قلتُ: يا أخا بني تميم، ما هكذا قال عمُّك. قال: وأيُّ أعمامي يرحمك الله؟ قلتُ: الراعي، قال: وما قال؟ قال: قلت: قوله:

ولا تُعْجل المرء قبل الوُرو ك وهي بركبته أبْصرُ(٤)
وهيَ إذا قام في غرْزها كمثل السفينة إذ تُوقر(٥)
ومُصْغية خدَّها بالزِّما م فالرأس منها لَهُ أصعر(٦)

---

(١) الكناسة: محلّة بالكوفة. (٢) شنق البعير: كفَّه بزمامه حتى رفع رأسه وهو راكبه.

(٣) تصغي: تميل رأسها كأنّها تسمع، والكور: الرَّحل، والغرز: هو للناقة مثل الركاب للدابة. ينظر أمالي المرتضى (٢٧٩/١). (٤) يعني هي ساكنة لا تتحرك حتّى يركبها صاحبها.

(٥) توقر: تحمّل بالأثقال. (٦) أصعر: مائل.

حتى إذا ما استوى طبَّقتْ كما طبَّقَ المِسْحَلُ الأغْبرُ(١)

قال: فارتج عليه ساعة، ثم قال: إنه نعتَ ناقةَ ملكٍ ونعتُ ناقةَ سُوقةٍ، فخرج منها على رءوس الناس(٢). (١٨/٣٥)

(١٨٤)

... أنشدتْ خرقاءُ ذي الرُّمة الحجّاجَ بن عمير بن يزيد قولها:

لقد أصبحتَ في فرْعي معدّ مكان النَّجم في فلك السماء
إذ ذُكرت محاسنُه تدرَّت بحارُ الجود من نحو السماء
حُصينٌ شادَ باسمك غيرَ شكٍّ فأنْتَ غياثُ محْلٍ بالفناءِ
إذا ضنَّتْ سحابةُ ماءِ مُزْنٍ تشُجُّ بحارُ جُودك بارتواء
لقد نُصرت بإسمك أرضُ قحطٍ كما نُثرت عديٌّ بالثُّراء

فقال: أحسنتِ يا خرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إي وربي، قلت: فماذا قال؟ قالت: قال: شكر الله لك يا خرقاء نعمةً ربيْتِ شُكْرها من ذكرها، فقالت: أثقلنا حقُّها، ثم قالت: اللهم غفْراً، هذا في اللفظ، ونحتاج إلى العمل. (١٨/٤١)

(١٨٥)

وذكر ابن الزيات، عن محمد بن صالح العذريّ، عن الحرمازيّ، قال: مرَّ الفرزدق على ذي الرّمة وهو يُنشد: أمنزلتي ميٌّ سلام عليكما

فلمّا فرغ قال له: يا أبا فراس، كيف ترى؟ قال: أراك شاعراً. قال: فما أقعدني عن غاية الشعراء؟ قال: بكاؤك على الدِّمن، ووصفُك القطا وأبوالَ الإبل(٣). (١٨/٥٠)

---

(١) طبقّت: وثبت على أربع قوائمها، والمسحل: الحمار الوحشيّ، وسُمّيَ مسحلاً لسحيله، وهو صوته، والأغبر في لونه غبرة.

(٢) يتلخّص النقد الموجّه إلى بيت ذي الرّمة في أنّه جعل ناقته تثب «فترمي براكبها فيُدّق عنقه». الموشح (ص ٢٧٨)، في حين أنّ الراعي جعل منها ناقة هادئة لا تتحرك قبل استقرار الراكب عليها، وقد تخلّص ذوالرّمة من هذا الاعتراض بجوابه السابق، وهو لا يغني كثيراً.

(٣) ذكرنا في القضية السابقة أنّ من مقاييس تقديم الشعراء في العصر الأموي اهتمامهم بغرضي المديح والهجاء، ومَنْ أغفلهما، مثلما صنع ذو الرّمة، تأخرّ. ونرى هنا قول الفرزدق الذي ينطق بلسان عصره مبرّراً تأخر ذي الرّمة من أنّه اقتصر على الوقوف على الأطلال، والوصف.

(١٨٦)

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد المكتب قال: حدّثني علي بن الصبّاح، عن ابن الكلبيّ، قال: قدم جُبيهاء الأشجعيّ المدينة بجلُوبة له، فبينا هو يبيعها والفرزدقُ يومئذ بالمدينة إذ مرَّ به، فقال له: ممن أنت؟ قال: من أشجع، قال: أتعرف شاعراً منكم يقال له جبْهاء أو جُبيْهاء؟ قال: نعم. قال: أتروي قصيدته:

ألا لا أبالي بعد ريًّا أوافقتْ نوانا نوى الجيران أم لم تُوافق

قال: نعم. قال: أنْشدنيها، فأنشده إيّاها، فقال الفرزدق: أقسم بالله إنّك لجُبيْهاء، أو إنك لشيْطانه. (٩٥/١٨)

(١٨٧)

قال جريرُ بن حازم: كان الفرزدق يقول: لقد أحسن بنا ابنُ حِطّان حيث لم يأخذ فيما أخذْنا فيه، ولو أخذ فيما أخذْنا فيه لأسقطنا؛ يعني لجودة شعره. (١١٧/١٨)

(١٨٨)

أخبرني أحمدُ بنُ الحسين الأصْبهانيُّ ابنُ عمّي قال: حدّثني أبو جعفر بن رستم الطبري النحْوي، قال: حدُّثنا أبو عثمان المازني قال: حدُّثنا عمرو بن مرّة قال: مرَّ عمران بن حطّان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله، فوقف عليه، ثم قال:

أيُّها المادحُ العبادَ ليُعْطى إنَّ للـه ما بأيدي العبادِ
فاسألِ اللهَ ما طلبتَ إليهم وارجُ فضلَ المُقسِّم العوّادِ
لا تقُل في الجواد ما ليس فيه وتُسمِّي البخيلَ باسم الجوادِ

فقال الفرزدق: لولا أنَّ الله عزّ وجل شغلَ عنّا هذا برأيه للقينا منه شرّاً(١). (١١٩/١٨)

(١٨٩)

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا ابنُ أبي سعْد، قال: حدّثني أحمدُ بنُ الهيْثم السُّلميّ قال: حدّثني أبو فراس محمد بن فراس، عن الكلبيّ، قال: أتى أعشى بني أبي ربيعة أسماء بن خارجة فامتدحه فأعْطاه وكساه، فقال:

---

(١) كأنَّ الفرزدق يشير إلى انشغال عمران بمذهبه الخارجي والدفاع عنه، ولو تفرّغ لأغراض العصر الأخرى من مدح، وهجاء، وغيرها لتفوّق على بقية الشعراء بسبب جودة شعره، وامتلاكه الأدوات.

لأسماء بنُ خارجة بن حصْنٍ على عبءِ النَّوائبِ والفرامهْ
أقلُّ تعلُّلاً يوماً وبُخْلاً على السُّؤَّال من كعْبِ بن مامَهْ
ومصْقلةُ الذي يبْتاع بيْعاً ربيحاً فوق ناجية بنِ سامَهْ

قال الكلبيّ: جعل ناجيةَ رجلا وهي امرأة؛ لضرورة الشعر. (١٣٦/١٨)

(١٩٠)

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عمّي، عن عُروة بن عبدِ الله، وأخبرنا به وكيعٌ، عن هارونَ بن الزَّيّات، عن الزُّبيْري، عن عمه، عن عُروةَ بن عبد الله، وذكره حمّاد، عن أبيه، عن الزُّبيْريّ، عن عروة هذا قال: كان عُروةُ بنُ أذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق، فسمعه ينشد:

إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملَّها جُعلتْ هواكَ كما جُعلتَ هوىً لها
فبكَ الذي زعمتْ بها وكلاكُما يُبدي لصاحبه الصَّبابة كلَّها
ويبيتُ بين جوانحي حُبٌّ لها لو كان تحت فراشها لأقلَّها(١)
ولعمرُها لو كان حبُّك فوقها يوماً وقد ضَحِيَتْ إذاً لأظلَّها
وإذا وجدتُ لها وساوس سلْوةٍ شفع الفُؤادُ إلى الضَّمير فسلَّها
بيضاءُ باكرها النَّعيمُ فصاغها بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها
لما عرضْتُ مُسلِّماً لي حاجةً أرجُو مبعونتها وأخْشى دلَّها
منعتْ تحيَّتها فقلتُ لصاحبي: ما كان أكْثرها لنا وأقلَّها
فدنا فقال: لعلَّها مسْنُورةً من أجل رقْبتها، فقلتُ: لعلَّها

قال: فأتاني أبو السَّائب المخْزوميُّ وأنا في داري بالعقيق، فقلت له بعد التَّرحيب: هل بدت لك حاجة؟ فقال: نعم، أبيات لعُروة بن أذينة، بلغني أنَّك سمعتها منه، فقلت له: وأيَّة أبيات؟ فقال: وهل يخْفى القمر؟ قوله: إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملَّها

فأنشدتُه إيَّاها، فلما بلغْتُ إلى قوله: (فقلت: لعلَّها). قال: أحسن والله، هذا والله الدائمُ العهْد، الصادقُ الصبابة، لا الذي يقول:

إن كان أهلُكِ يمْنعونكِ رغْبةً عنّي فأهْلي بي أضنُّ وأرغبُ

اذهبْ لاصحبك الله ولا وسَّع عليك - يعْني قائلَ هذا البيت - لقد عدا الأعرابيُّ طوْره، وإنّي لأرجُو

---

(١) أقلَّها: أصابها وأتعبها.

أن يغْفر الله لصاحبك - يعْني عُرْوةَ - لحُسْن ظنّه بها، وطلبه العُذْر لها. قال: فعرضْتُ عليه الطّعام فقال: لا، والله ما كُنْتُ لآكُل بهذه الأبيات طعاماً إلى اللّيل، وانصرف. (٣٣٠/١٨)

(١٩١)

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثنا عُمر بن أبي بكر المؤمليُّ قال: أخبرنا عبدُ الله بن أبي عُبيدة قال: قلتُ لأبي السّائب المخْزوميّ: ما أحسن عُروة بنَ أذيْنة حيث يقول:

لبثُوا ثلاثَ منىً بمنزلِ غبْطةٍ ... وهُمُ على غرضٍ لَعَمْرُك ما هُمُ
مُتجاورين بغيْر دارِ إقامةٍ ... لو قد أجدُّ رحيلُهم لم يندمُوا
ولهنَّ بالبيت العتيق لُبانةٌ ... والبيتُ يعرفهنَّ لوْ يتكلّم(١)
لو كان حيًّا قبْلهنَّ ظعائنا ... حيًّا الحطيمُ وجوههنَّ وزمْزمُ
وكأنّهُنَّ وقد حسِرن لواغباً ... بيْضٌ بأكْناف الحطيمِ مُركّمُ(٢)

قال: فقال: لا، والله ما أحسن ولا أجمل، ولكنّه أهْجر وأخْطل في صفتهنَّ بهذه الصفة، ثم لا ينْدم على رحيلهن، أهكذا قال كُثيِّر حيث يقول:

تفرّق أهواء الحجيج على منىً ... وصدّعهم شعْب النّوى صبْحَ أرْبعِ
فريقان: منْهُم سالكٌ بطْنَ نخْلة ... وآخرُ منهم سالكٌ بطنَ تضْرُعِ(٣)
فلم أرَ داراً مثْلها دارَ غبْطةٍ ... وملقى إذا التفّ الحجيجُ بمجْمعِ
أقلَّ مُقيماً راضياً بمكانهِ ... وأكثر جاراً ظاعناً لم يُودِّعِ

انْظرْ إليه كيف تقدّمت شهادتُه علمه وكبا لسانُه ببيانه، وهل يفتبط عاقل بمقام لا يرضى به، ولكن مُكْرَهٌ أخوك لا بطل، والعرْجيّ كان أوفى بالعهْد منهما وأوْلى بالصّواب، حين تعرّض لها نافرةٌ من منىً، فقال لها عاتباً مُسْتكينا:

عوجي عليَّ فسلّمي جبْرُ ... فيمَ الصُّدود وأنتُم سَفْرُ
ما نلْتقي إلاّ ثلاثَ منىً ... حتى يُفرّق بيْننا النَّفْرُ (٣٣١/١٨)

---

(١) لُبانة: حاجة.

(٢) لواغب: يقال ألغبه إذا أنصبه وأتعبه، ومركّم: متجمّع.

(٣) نخلة: اسم لعدّة مواضع، فهووادٍ يصبُّ من الغُمير، وهو موضع بالحجاز قريب من مكة، وهو وادٍ يصبُّ فيه يَدَعان وبه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ينظر معجم البلدان (٢٧٧/٥).

(١٩٢)

أخبرنا عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمدُ بن يزيد: قال حدّثَ الزبيريّ، عن خالد صامة، وكان أحد المُغنّين قال: قدِمْتُ على الوليد بن يزيد، فدخلت إليه وهو في مجلسٍ ناهيك به، وهو على سرير، وبين يديْه معْبد ومالك وابنُ عائشة وأبو كامل، فجعلوا يُغنّون، حتى بلغت النّوبةُ إليَّ ففنّيْته:

سرى همّي وهمُّ المرءِ يسْري ... وغار النّجْم إلا قيسَ فتْرِ(١)
أراقبُ في المجرّةِ كُلَّ نجْمٍ ... تعرّض للمجرّة كيف يجْري
لهمٌّ ما أزالُ له مُديماً ... كأنَّ القلْبَ أضْرم حرُّ جمْرِ
على بكْرٍ أخي ولَى حميداً ... وأيُّ العيْش يصْفو بعد بكْرِ

فقال له الوليدُ: أعد يا صام، ففعلْتُ، فقال لي: منْ يقولُ هذا الشعر؟ قُلتُ: عروة بن أذنية يرثي أخاه بكْرا، فقال لي: وأيّ العيْش لا يصْفُو بعده هذا العيْش واللهِ الذي نحن فيه على رغْم أنْفه، والله لقد تحجّر واسعاً(٢). (٣٣٣/١٨)

(١٩٣)

أخبرني عمي قال: حدّثنا محمد بن سعد الكراني، قال: حدّثنا العمري عن لقيط، عن الهيثم بن عدي، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمّه، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا: دخل ابنُ أبي محجن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول:

إذا متُّ فادفنيّ إلى أصل كرْمةٍ ... تروّي عظامي بعد موتي عروقُها
ولا تدفنّني بالفلاة فانّني ... أخاف إذا ما متّ ألاّ أنوقها

فقال ابن أبي محجن: لو شئت لذكرتُ ماهو أحسن من هذا من شعره! قال: وماذاك؟ قال: قوله:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته ... وسائلي الناس ما فعلي وما خُلُقي
أعطي السِّنانَ غداةَ الروع حصّته ... وعامل الرمح أرويه من العلقِ(٣)

---

(١) قيس فتر: مقداره.

(٢) تحجّر واسعاً: ضيّق على نفسه.

(٣) عامل الرمح: ما يلي السِّنان، والعلق: الدم.

وأطعن الطعنة النجلاء عن عُرُضٍ ... وأحفظُ السرَّ فيه ضربةُ العنقِ
عفُّ المطالب عمّا لستُ نائلَه ... - وإن ظُلمتُ - شديد الحقد والحنقِ
وقد أجود وما مالي بذي فنعٍ ... وقد أكرُّ وراء المُحجرِ البرقِ(١)
والقوم أعلم أنّي من سراتِهُم ... إذا سما بَصَرُ الرعديدة الشفقِ(٢)
قد يُعسر المرء حيناً وهو ذو كرم ... وقد يثوب سوام العاجز الحمقِ(٣) (١٠/١٩)

(١٩٤)

أخبرني محمد بنُ خلف بن المرْزبان قال: حدّثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق الموْصليّ قال: قال لي عُمارة بن عُقيل: كان جريرٌ يقول: ما من بيتين كنتُ أحبُّ أن أكون سُبقت إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقيليّ:

ورِدْتُ على ما كان من سَرَف الهوى ... وغيّ الأماني أنَّ ما شئتُ يُفعلُ
فترجع أيّام مضينَ ولذّة ... تولّتْ وهل يُثْنى من العيْش أوّلُ (٩٨/١٩)

(١٩٥)

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النُّحويّ قال: حدّثني عُمارة بن عُقيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بن مروان لجرير: يا أبا حزْرة، هل تُحب أن يكون لك بشيء من شعْرك شيءٌ من شعْر غيرك؟ قال: لا ما أُحبُّ ذلك، إلاّ أنَّ غُلاماً ينْزل الرُّوضات من بلاد بني عُقيل يقال له مُزاحم العُقيليّ، يقول حسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله، كنت أحب أن يكون لي بعضُ شعْره مُقايضة ببعض شعري. (١٠٢/١٩)

(١٩٦)

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الرحيم بن أحمد بن زيد بن الفرج قال: حدّثني محمد بن عبد الله قال: كان عبد الملك بن مروان معجباً بشعر عبد الله بن جحش. (٢١٣/١٩)

(١٩٧)

حدّثني الحسنُ بن علي قال: حدّثنا أحمدُ بنُ زهير بن حرب قال: حدّثني مصعبُ بنُ عبد

---

(١) الفنع: الكثرة، والمحجر: المغطّى المستور، والبَرِق: الدهش المتحيِّر حتى لا يطرف.

(٢) الرعديدة: الجبان يرعد عند القتال. (٣) يثوب: يجتمع.

الله قال: وحدثنيه زُبيرٌ عن عمه قال: كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً، وهو يومئذ على العراق، فورد عليه وهو ثمل، وكان فيه كلام أحفظه، فأمر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً، فلما وردَ عليه علِم أنه كتبه وهو سكران، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً. وبلغ بشراً عتْبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل. ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمّنته لزدتُ فيه، وبقيةُ الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم، ولقد أحسن مسكينٌ الدارميُّ حين يقول:

أخـاك أخـاكَ إنّ مـن لا أخـا لـه ... كسـاع إلى الهيجـا بغير سلاح

وإنّ ابنَ عـمَ المرء فـاعلم جناحُه ... وهـل ينهض البـازي بغـير جناح

قال: فلما وصل كتابُه إلى عبد العزيز دمعت عينه، وقال: إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى، فسلُوا عمن شهد ذلك المجلس؛ فسئل عنهم، فأخبر بهم، فقبل عذره، وأقسم عليه أن لا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا المجلس، وأن يعزل كاتبه عن كتابته، ففعل.

(٢٠/٢١٠)

(١٩٨)

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثني عمي الفضل، قال: حدّثني مُصعْبُ الزبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال: يا معشر الشعراء تُشبِّهوننا مرة بالأسد الأبخر، ومرة بالجبل الأوعر، ومرة بالبحر الأجاج(١)، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خُريم في بني هاشم:

نهـارُكُم مكـابدةٌ وصـومٌ ... وليلُكُمُ صـلاة واقـتـراءُ(٢)

وليـتـم بالقـُران وبالتُّزكـّي ... فـأسـرع فـيكُمُ ذاك البـلاءُ

بكى نَجدٌ غداة غدٍ عليكم ... ومكـّةُ والمـدينةُ والجـواءُ(٣)

وحقّ لكل أرض فـارقـُوها ... عليكم لا أبالُكـم البكـاء

أأجـعلكم وأقـوامـاً سـواءً ... وبينكُـم وبينهـُـم الهـواء

وهـمْ أرض لأرْجلُكـم وأنتـم ... لأرؤسـهم وأعينهـم سـماء (٢٠/٣١٠)

---

(١) أشرنا إلى هذا الأمر في القضية السابقة، من حيث إنّ عبد الملك كان يفضّل المدح بالصفات النفسية، ولا يريد من الشعراء وصفه بهذه الصفات الجسدية، مثل القوّة والضخامة وغيرها، وهو هنا يشير إلى شيء من هذا مع استحسانه أبيات أيمن به خريم.

(٢) اقتراء: قراءة. (٣) الجواء: اليمامة، وهو اسم لمواضع أخرى.

(١٩٩)

أخبرني محمدُ بن الحسن بن دُريد، قال: حدّثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن رؤبة، قال لما وُلّي الوليدُ بنُ عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاجُ مع أبي لنلقاه، فاستقبلنا الشُّمال حتى صرنا بباب الفراديس(١). فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً، فاستعهدنا ألا نُعين عليه، فكان أولَ من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا، فأقبلَ الوليد على جرير فقال له: ويلك! ألا تكون مثل هذين؟ عقدا الشِّفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أظْلَمُ فلا أصبر.

ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال: يا بني أمِّ العجّاج، والله لئن وضعتُ كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطّعاتكما(٢)، فقلنا: لا والله ما بلغه عنا شيء، ولكنه حسدنا لما أذنَ لنا قبله، واستُنشدنا قبله. (٢٠/٣٥٠)

(٢٠٠)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال حدّثنا عمر بن شبّة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ، عن سليمان بن أخضر، عن ابن عون، قال: ما شبُّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلا بلهجة رؤبة، ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قطّ(٣). (٢٠/٣٥١)

(٢٠١)

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ، قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ، قال: قال روح بن فلان الكلبيّ: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير: فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: والله لئن سهِرْت لك ليلة ليقلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه فقال العجاج: يا أبا حزْرة، والله ما فعلت ما بلغك، وجعل يعتذر ويحلف ويخضع؛ فلما خرج قال له رجل: لشدّ ما اعتذرت إلى جرير، قال: والله لو علمتُ أنه لا ينفعني إلا السُّلاح لسلحْتُ. (٢٠/٣٥١)

---

(١) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق، أضيف إلى موضع قريب منها.

(٢) لكثير من الشعراء موقف حادّ من الرجز يتمثّل في الانتقاص منه، وعدّه مركب الضعفة من الشعراء، نجد هذا عند جرير، والفرزدق، والأخطل، وبقي هذا الاتجاه إلى أبي العلاء المعرّي الذي قرّر في مواضع كثيرة من كتبه، وديوانيْ شعره أنّ الرجز أضعف من القصيد، كما إنّ بحره من البحور الخفيفة المهانة، ينظر عن الرجز كتابي أبو العلاء المعرّي .. ناقداً (ص ١٦٢ ـ ١٧٥).

(٣) الإدغام: إدخال حرف في حرف، وله شروط مبثوثة في كتب الصرف، ينظر لسان العرب (١٢/٢٠٣).

(٢٠٢)

أخبرني الحسن بن يحيى قال: قال حماد: أخبرني أبي عن الأصمعي قال: أنشد رؤبة سلْم بن قتيبة في صفة خيل: يهْوِينَ شتّى ويقعْنَ وُقّفا

فقال له: أخطأت يا أبا الجحّاف: جعلته مقيداً فقال: أدْنني أيها الأمير ذنبَ البعير أصِفْه لك كما يجب(١). (٢٠/٣٥٤)

(٢٠٣)

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيباني قال: قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبور

قال: نعم، قال فبئس المحبُّ أنت: تركتها وبينها وبينك غُدوة قال: يا أمير المؤمنين، إنها من غُدوات سليمان، غدوُها شهر، ورواحها شهر. (٢٠/٣٧٢)

(٢٠٤)

أخبرني اليزيديّ عن أحمد بن يحيى وابنِ زهيرٍ قال حدّثني عمرُ بنُ القاسم بن المعتمر الزهريّ قال: قلت لأبي السائب المخزوميّ: أما أحسن الذي يقول:

أأترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبور
هبوني امرأ منكم أضل بعيره له ذمة إن الزمام كبير
وَالصاحب المتروك أعظم حُرمة على صاحب من أن يضلّ بعير

فقال: بأبي أنت، كنتُ والله أجنّبك وتثقل عليّ، فأنا الآن أحبك وتخفُّ عليّ، حيث تعرف هذا. (٢٠/٣٧٢)

(٢٠٥)

أخبرني الحرميّ، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك: أنّ الفرزدق وكثيِّراً جاءا إلى الأخوص فقالا له: أنشدنا بعض ما أحدثت فأنشدهم قوله:

يابيت عاتكة الذي أتعزّل حذر العدا وبه الفؤاد موكّل

حتى أتى على آخرها، فقال الفرزدق لكثيِّر: قاتله الله ما أشعره... (٢١/١٠٤)

---

(١) يريد أنّه أقدر على وصف البعير منه على وصف الفرس، وذلك لبداوته، واستخدامه البعير ركوباً دائماً له.

(٢٠٦)

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وعمّي عبدُ العزيز بن أحمد بن بكّار: قالا: حدّثنا الزبير: قال: حدّثتني ظبية مولاة فاطمة: قالت: كان جدّك عبدُ الله بنُ مصْعب يستنشدني كثيراً أبيات عبْدِ الله بن حسن ويُعْجَبُ بها:

إنّ عيني تعوّدت كُحْـل هِنْدٍ جمعت كفُّها مـع الرّفـق لينا (١٢٥/٢١)

(٢٠٧)

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديُّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيْثمة قال: حدّثني مصعبٌ الزبيريُّ قال: كُنّا بالمدينة أهلَ البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبرٌ هدية وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنّا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها. (٢٧٣/٢١)

(٢٠٨)

أخبرنا ابن دُريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلاّم، قال: دخل الفرزدق المدينة هارباً من زياد، وعليها سعيدُ بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قبل معاوية، فدخل على سعيد، ومثّل بين يديه، وهو معتم، وفي مجلس سعيد الحُطيئة وكعب بني جُعيل التغلبي، وصاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائذ بالله وبك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال: فأطرق سعيدٌ مليّا، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دماً حراماً، ولا مالاً حراماً، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

إليـك فـررتُ مـنك ومـن زياد ولم أحسب دمي لكمـا حـلالا
ولكنّي هجـوتُ وقـد هـجاني معاشرُ قد رضخْتُ لهم سجالا(١)
فـإن يكن الهـجـاء أحلّ قـتلي فـقـد قلنا لشـاعـرهـم وقـالا
أرقتُ فلـم أنـم ليـلاً طـويلا أراقب هل أرى النّسـرين زالا(٢)
عليك بني أميـة فاسـتـجرهـم وخذ منهم لما تخشـى حـبالا
فـإنّ بني أمـيـة في قـريش بنوْا لبـيـوتهم عَمَداً طوالا

---

(١) رضخت لهم: من قولهم: رضخت التيوس إذا أخذت في النطاح، أي أخذت أساجلهم النطاح.

(٢) النّسران: كوكبان أحدهما يسمّى الواقع، والآخر الطائر. وهما شاميان، فأمّا الواقع فكوكب منير، خلفه كوكبان أصغر منه منيران، فكأنّ الثلاثة أثافيّ، وأمّا الطائر، فهو إزاء الواقع، وبينهما المجرّة، وهو كوكب منير بين كوكبين عن جانبيه. ينظر الأنواء في مواسم العرب، لابن قتيبة (ص ١٥٥).

نرى الفرْ الجحاجح من قريشٍ إذا ما الأمر في الحدثان غالا
قياما ينظرون إلى سعيد كأنهمُ يرون به هلالا

قال: فلما قال هذا البيت: قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلّلُ به منذ اليوم. فقال كعب بن جعيل: فضلته على نفسك، فلا تفضله على غيرك. قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت منْ قبلك، وسبقت مَنْ بعدك، ولئن طال عمرك لتبرُزَنّ(١). (٣٢٢/٢١)

(٢٠٩)

أخبرنا ابن دريد عن الرياشيّ، عن النضر بن شميل قال: قال جرير: ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد أكتفانه، أي قَلَبْتُه إلا قوله:

ليس الكرامُ بناحليكَ أباهم حتى يُردَّ إلى عطيةَ تُعتَّلْ(٢)

فإني لا أدري كيف أقول فيها. (٣٢٤/٢١)

(٢١٠)

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأنّي رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجْول. (٣٥٨/٢١)

(٢١١)

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: قال الفرزدق لكثيِّر عزّة بعد أن سمع شعراً لحسّان بن ثابت: قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجُتهم وأجود شعرهم. (٣٧١/٢١)

(٢١٢)

قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

---

(١) هذا حكمٌ يعتدُّ به، فهو صادر من شاعر كبير، خبر مسالك الشعر ودروبه الوعرة، فلم يكن ليقول هذا إلاّ بعد اقتناع، وإعجاب بما سمع.

(٢) عطيّة: أبو جرير، وتعتل: تجرُّ جرّاً عنيفاً. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن هذا البيت ورد في الأغاني في موضع آخر هو (٣٠٥/٢١)، وفيه «نهشل» بدل تُعتل». وجاء في التعليق: (لن تعدَّ من الكرام إلاّ إذا ثبت أنّ جدّي نهشلاً من صلب عطية أبيك، وفي بعض النسخ «تعتل» وهو تحريف)، فإذا كان تحريفاً وجب إثبات الصواب في هذا الموضع أيضاً.

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف[1]. (٢٧١/٢١)

(٢١٣)

فأمّا أخبار خالد بن عبد الله في تخنثه وإرسال عمر بن أبي ربيعة إياه إلى النساء، فأخبرني به علي بن صالح بن الهيثم عن أبي هفان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدّثني الزبير بن بكار، قال: حدّثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي، عن إبراهيم بن قُدامة الحاطبيّ، عن أبيه، واللفظُ لعلي بن صالح في خبره، قالا: قال الحاطبيّ: أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين، فانتظرته في مجلس قومه، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه، ومعي صاحب لي، فقال لي صاحبي: هل لك في أن تُريغه[2] عن الغزل، فننظر هل بقي منه شيء عنده؟ فقلت له: دونك. فقال: يا أبا الخطاب أحسنَ والله ريْسان العذري ـ قاتله الله ـ قال: وفيم أحسن؟ قلت: حيث يقول:

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودّتها ... لمالَ لا شك يهوي نحوها راسي

فقال: نعم أحسن. فقلت: يا أبا الخطاب. وأحسن واللهِ تحيَّةُ بنُ جُنادة العذريَّ. قال: في ماذا؟ قلت: حيث يقول:

سرت لعينيك سلْمى بعد مفقاها ... فبتُّ مستوهناً من بعْدِ مسراها
فقلت: أهلاً وسهلاً مَن هداكِ لنا ... إن كنتِ تمثالها أو كنتِ إيَّاها

وفي رواية الزبير خاصة:

تأتي الرياحُ التي من نحْوِ أرضكمُ ... حتى أقول: دنتْ منّا بريّاها
وقد تراخت بها عنّا نوىً قَذَفٌ ... هيهاتَ مُصْبحُها من بعد مُمْساها[3]
مِنْ حُبِّها أتمنّى أنْ يلاقيني ... من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ: فراقٌ لا لقاء له ... وتُضمرَ اليأسَ نفسي ثم تسْلاها
ولو تموت لراعتْني وقلتُ لها: ... يابؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها
ويروى: ..... لراعتني منيَّتُها ... وقلتُ يابؤسَ ليت الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال: يا ويحه أحسن والله. (٢٦/٢٢)

---

(١) ينظر التعليق على النص السادس والخمسين بعد المائة السابق.

(٢) تريغه من أراغه عن الأمر وعليه: طلبه منه. (٣) قَذَف: بعيدة، تتقاذف مَنْ تصيبه.

(٢١٤)

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء: قال: حدّثنا الزبير بن بكّار: قال: أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

أخبرني خالي يوسف بن الماجشون، قال: كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه يُنْشِدُه:

إنّا إذا مالت دواعي الهوى ... وأنصتَ السّامعُ للقائلِ
واصطرعَ القومُ بألبابهم ... نقضي بحُكْمٍ عادلٍ فاصلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا ... نُلْحِظُ دون الحقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفه أحلامُنا ... فنُخْمِلَ الدّهرَ مع الخاملِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين. (والأبيات لسعية بن عُرَيض) (١٢٤/٢٢)

(٢١٥)

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعيّ: كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّي النمرَ بن تولب الكيِّسَ لجودة شعره وحُسنه. (٢٧٣/٢٢)

(٢١٦)

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يشبّهُ شِعْرَ النمر بشعرِ حاتم الطائيّ. (٢٧٧/٢٢)

(٢١٧)

قال حمّاد الرواية: كان النمرُ بن تولب كثير البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به، فمن ذلك قوله:

لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله ... وعلى كرائم صُلْبِ مالكَ فاغضبِ
وإذا تصيبك خصاصة فارجُ الغنى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ

وقوله:

تلبَّسْ لدهرِكَ أثوابَه ... فلن يبتني النّاسُ ما هُدِّما
وأحبب حبيبك حبّاً رويدا ... فليس يعوقُك أن تصْرِما
وأبغضْ بغيضك بُغضاً رويداً ... إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقوله:

أعاذلُ أن يصبحْ صدايَ بقفرةٍ بعيدٍ فـأنّي ناصـري وقـريبي
تـريْ أنّ مـا أبقيتُ لـم أكُ ربَّـه وأنّ الذي أفنيت كـان نصـيبي (٢٨١/٢٢)

(٢١٨)

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانيّ قال: حدّثنا العُمريُّ، عن الهيْثم بن عديٍّ، عن عبد الله بن عياش، عن مُجالد، عن الشعبيّ قال: قال عبدُ الملك بن مروان، وأنا حاضرٌ، للأخطل: يا أخطلُ، أتُحبّ أنّ لك بشعرك شعر شاعرٍ من العرب؟ قال: اللّهمّ لا، إلا شاعراً منّا مُغْدفَ القناع(١)، خاملَ الذّكر، حديث السِّنّ، إن يكنْ في أحدٍ خيرٌ فيكون فيه، ولوددْتُ أنّي سبقْتُه إلى قوله: (وهما للقطامي)

يقْتُلْننا بحـــديثٍ ليس يعلمُه مَنْ يتـــقينَ ولا مكنونُه بادي
فهُنّ ينبذْنَ مـن قـولٍ يُصبْنَ بـه مواقعَ المـاء من ذي الغُلّةِ الصّادي (١٧/٢٤)

(٢١٩)

نسختُ مِنْ كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز - ولم أسمعه من أحدٍ، وهو خبرٌ فيه طول اقتصرت منه على ما فيه من خبر القُطاميّ - قال أحمد بن الحارث الخرّاز: حدّثني المدائنيّ، عن عبد الملك بن مُسلم، قال: قال عبدُ الملك بن مروان للأخطل، وعنده عامرٌ الشعبيّ: أتحبُّ أن لك قياضاً بشعرك شعر أحدٍ من العرب أم تحبُّ أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أنّي وددتُ أني كنتُ قلتُ أبياتاً قالها رجل منّا مُغدفُ القناعِ، قليلُ السِّماع، قصيرُ الذّراع، قال: وما قال؟ فأنشد قول القُطاميّ:

إنّا مُحيُّوكَ فاسلـمْ أيُّها الطّللُ وإن بليـتَ وإن طـالتْ بـكَ الطِّيلُ(٢)
ليس الجديدُ به تبقى بشاشتُه إلا قليـلاً ولا ذو خُـلّـةٍ يصـلُ(٣)
والعـيشُ لا عـيشَ إلا مـا تقـرُّ به عينٌ ولا حـالَ إلا سـوفَ تنْتقـلُ
إن ترْجعي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً فقد يُهونُ على المسـتنْجحِ العملُ(٤)
والناسُ مَنْ يلْقَ خـيراً قـائلون له مـا يشـتهي ولأمّ المخطئ الهـبلُ
قـد يُدْرك المتـأنّي بعضَ حـاجتـه وقـد يكـونُ مع المسْـتعـجل الزّللُ

---

(١) أغدف قناعه: أرسله على وجهه. (٢) الطِّيل: العمر.

(٣) به: الضمير هنا يعود على الدهر في بيت سابق لم يُذكر هنا. (٤) يخاطب ناقته.

حتى أتى على آخرها: قال الشعبيُّ: فقلت له: قد قال القُطاميُّ أفضلَ من هذا. قال: وما قال؟ قلت: قال:

طرقتْ جَنُوبُ رحالنا من مَطْرَقٍ ... ما كنتُ أحْسبُها قريبَ المُعْنَقِ(١)
قطعتْ إليكَ بمثل جِيدِ جدابةٍ ... حُسنٍ مُعلَّقُ تومتيْه مُطوَّقِ(٢)
ومُصرَّعينَ من الكلالِ كأنَّما ... بكروا الغبوقَ من الرُّحيقِ المُعتقِ(٣)
مُتوسِّدين ذراعَ كلِّ شِملَّةٍ ... ومُفرَّجٍ عرقِ المقذِّ مُنوَّقِ(٤)
وَجَثَتْ على رُكبٍ تهدُّ بها الصُّفا ... وعلى كلاكلَ كالنُّقيلِ المُطرَّقِ(٥)
وإذا سمعْنَ إلى هماهم رُفْقةٍ ... ومن النُّجُوم غوابرٌ لم تخفقِ
جعلتْ تُميلُ خُدودها آذانُها ... طرباً بهنَّ إلى حُداءِ السُّوْقِ
كالمُنصِتاتِ إلى الزَّميرِ سَمِعْنه ... من رائعٍ لقلوبهنَّ مُشوِّقِ
فإذا نظرْنَ إلى الطَّريقِ رأينَهُ ... لهقاً كشاكلةِ الحصانِ الأبلقِ(٦)
وإذا تخلَّفَ بعدهنَّ لحاجةٍ ... حادٍ يُشمِّسُ نعلَه لم يلحقِ(٧)
وإذا يُصيبُك ـ والحوادثُ جمَّةٌ ـ ... حدثٌ حداك إلى أخيك الأوثقِ
ليتَ الهُمُومَ عن الفؤادِ تفرَّجتْ ... وخلا التكلُّمُ للِّسانِ المُطلقِ

قال: فقال عبدُ الملك بن مروان: ثكلت القطاميَّ أمُّه، هذا والله الشِّعْرُ. (٤٧/٢٤)

(٢٢٠)

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي وأبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش، قالا حدّثنا أبو سعيد السكّريّ، عن محمد بن حبيب وإبراهيم بن سعْدان، عن أبي عُبيدة وسعدان والمفضل وعمارة بن عقيل، وأخبرنا به أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن أبي البيداء قالوا جميعاً: مرَّ

---

(١) المعنق: مصدر ميمي من أعنق: سار سيراً سريعاً، أو هو مكان، أي المكان الذي أعنقت منه.

(٢) الجيد: الغزالة، والتُّومة: حبة تُعمل من الفضة كاللؤلؤة. (٣) المعتق: صارت ذات عتق أي قِدَم.

(٤) الشملّة: الناقة الخفيفة، والمقذّ: ما بين الأذنين من خلف، والجمل المنوّق: المذلّل الذي أحسنتْ رياضته.

(٥) النُّقيل: جمع نقيلة وهي رقعة النَّعل، والمطرق: الذي وضع بعضه فوق بعض.

(٦) اللهق: الأبيض الذي ليس بذي بريق، والشاكلة: الخاصرة.

(٧) يشمِّس: أي يجعل لها شسعاً، وهو سير يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النَّعل.

راكبٌ بالرُّاعي وهو يتفنَّى:

وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رميتُه بقافيةٍ أنفاذُها تقطرُ الدَّما(١)

خـروجٍ بأفواهِ الرُّواة كأنَّها قرا هُنديُّوانيٌّ إذا هُزَّ صمَّما(٢)

فسمعها الرُّاعي فاتَّبعهُ رسُولاً. وقال له: مَنْ يقول هذين البيتين؟ قال جرير: فقال الرُّاعي: أوُلام أن يغلبني هذا؟ والله لو اجْتمع الجنُّ والإنْسُ على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً. قال ابنُ سلام خاصَّةً في خبره: وهذان البيتان لجرير في البعيثِ. وكذلك كان خبره معه، اعترضه في غير شيء. (٢١٢/٢٤)

الناشيء

(١) الأنفاذ جمع نفذ: وهو منفذ الجراحة.

(٢) خروج: كثيرة الخروج متداولة، وسيف هندواني: عُمل ببلاد الهند وأحكم عمله، وصمَّم السيف: مضى إلى العظم.

الناشر